الشَّوقِيَّات
دِيوَان أمِير الشُّعراء
أحمَد شوقي

الجُزْءُ الأَوَّل

تَحْقِيْق
محمّد نَعِيْم بَرْبَرْ

مُقَدَّمَة

إنّ أكثر ما يشدّني في أي عمل أدبي، نثراً كان أو شعراً، هو تلك النّزعة الإنسانيّة التي تسعى إلى التوحّد في هذا العالم حيث تتشكّل كحالة وجوديّة تعبّر عن حقائق الكون بألوان مختلفة، تلازم الإنسان في إنسانيّته فيبحث عنها في حقول المعرفة الخلّاقة حيث تتواجد في كلمة أو لحن أو لوحة فنيّة. إذ في هذا الجو الرّحب تتآخى الكلمة والصورة والنّظرة في وحدة متكاملة، فنتفاعل معها بعاطفة توقظ حياة الدفء في أحاسيسنا ومشاعرنا، وتوقد فينا حرارة التاريخ وعَبَق الحضارات عبر العصور.

هذه النزعة الإنسانيّة هي التي شدّتني إلى شعر أمير الشعراء، من خلال مواقفه التأمليّة ومرتكزاته الفكريّة التي تَعْبُر إلى التاريخ فتمجّد الحضارات كما تميّز العظماء الذين مرّوا وتركوا أعمالاً خالدة في العمل الإنساني الدؤوب، حيث تأثّر بهم وعرف كيف يستفيد من الثقافات فٱسْتنطق التاريخ ورجالاته ليؤلف فيما بينهم وبين ما يجيش في نفسه ويتفاعل في وجدانه لكي يؤسس لمرحلة من الإيمان بالقيم الإنسانيّة والأخلاقية التي طالما حلم أن يكون عليها أبناء مجتمعه، ليس في مصر فحسب، بل على امتداد بلاد العرب المترامية، فٱنشغل بقضاياهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية مُمْتَدّاً كالنهر الكبير في شرايين العالم ليعيش لحظات التاريخ الخالدة...

في هذا المجال الخصب من التوحّد والتألّق الذهني عرف أمير الشعراء كيف يستحضر مخزون الينابيع الأصيلة التي نهل منها من اللّغة العربية التي كان عالِماً بأصولها واسع الاطلاع على قواعد الفصاحة والبلاغة فيها، عارفاً بتمايز مفرداتها واشتقاقاتها التي ساعدته في تخيّر مفرداته بتجربة الخبير في جواهر اللّغة ولآلئ المعاني التي أسست له هذا الصرح العظيم الذي منحه القدرة على توليد المعاني وتجديد العبارات الشعرية

والابتكارات التصويرية وذلك بهدف التوحّد المتناسق بين التراث العريق ومستجدات الحداثة في جميع الموضوعات التي طرقها في شعره، حيث جمع إلى غزارة الإنتاج، القدرة على الخلق والإبداع في عطاء قلّ نظيره في هذا التنوع الزاخر بين المحاكاة والانكشاف لحالة التجدّد والابتداع، فاستحق عن جدارة أن يكون شاعر الشُموليّة المتميزة التي رفعته بمبايعة معاصريه من كبار الشعراء والأدباء إلى سُدّة الإمارة فكان بحق أميراً للشعراء وليس فقط شاعراً للأمير. . . في بلاط الخديوي والعائلة المالكة التي حفظ لها بالوفاء والولاء حقها في تمجيد مآثرها وأعمالها في شعره حيث كان معتزاً بهذا اللّقب فقال:

شاعر العزيز وما بالقليل ذا اللّقبُ

بل كان شاعر الشَّرق العربي أيضاً في مشاركته آلامه وأفراحه فقال:

كان شعري الغناء في فرح الشَّر قِ وكان العزاء في أحزانِهْ

وكل شعره كان شاهداً على صدق المواقف الوطنية والإنسانيّة التي التزمها، كما كانت مبايعة كبار الشعراء له بالقيادة والإمارة خير دليل على هذه المصداقية حيث قال حافظ إبراهيم:

أمير القوافي قد أتيت مبايعاً وهذي جموع الشَّرق قد بايعت معي

إذاً، في هذه المقدمة القصيرة لن أدخل في التفصيل بالحديث عن أمير الشعراء ونسبه وعائلته، أو خصوبة وغزارة إنتاجه وتنوّع شعره في التاريخ والسياسة والاجتماع، ولا عن واقع الشعر في عصره أو التجديد أو الابتداع من خلال تعدد الموضوعات وتنوع الأعمال ابتداء من علاقته بالعائلة المالكة في مصر ومدحهم ومرافقة مسيرتهم التي غالباً ما كانت عبر التاريخ بين الشاعر وممدوحه محل تجاذب واختلاف رأي عند النّقاد والباحثين، إلى شعر المناسبات الوطنية والسياسية والاجتماعية وخاصة المراثي التي تناولت كبار الزعماء والقادة، أو اتجاهاته الإنسانيّة والفكرية التي تناولت شخصيات عالمية شهد بعبقريتهم أمثال فكتور هيجو،

وتولستوي وغاندي ونابليون، وعلى رأس هؤلاء جميعاً النَّبيّ الكريم ﷺ الذي مدحه في قصيدته: (الهَمْزِيَّة النّبويّة... ولد الهدى...)، ناهيك عن التراث الحضاري الغارق في جذور التاريخ الذي يمثّله الفراعنة وتمجيده لآثارهم خاصة في قصائده التي كان يخصصها للمؤتمرات العالمية التي كان يمثّل فيها الحكومة المصرية، أو بالمسرحيات والأمثال والحِكَم على ألسنة الحيوانات والطيور التي حاكى فيها الآداب العالمية.

إنّ تاريخ الأدب العربي سيحفل بالكثير مِمَّا سيُكتب عن أمير الشعراء أحمد شوقي وشعره وعصره وسيزخر بما سيؤلف النّقاد والأدباء والمحقّقون في الدراسات الأدبية عنه، فهو البحر الزاخر بالدَّراري النفيسة، وفيه من الحوافز والدوافع للكشف عنها في شعره ما يؤكد جدارتَهُ في إمارة الشعر والأدب.

أما النواحي التي أردت التأكيد عليها في هذا الجهد المتواضع الذي تناولته في تحقيق «الشوقيّات»، والأهداف الرئيسية التي سعيت إليها هو أن ترقى هذه الطبعة إلى المستوى اللّائق بشعر أمير الشعراء وذلك من عدة أوجه ترتكز في جلائها على النص الأدبي والتعامل معه على الشكل التالي:

ـ التدقيق والبحث من خلال القراءة المتأنّية عن الأخطاء اللّغوية الموجودة في النّص والتي عادة ما يكون سببها المرجّح هو النقل عن الأوراق أو المسودّات، إضافة إلى الأخطاء المطبعية الناتجة عن أعمال فنية مثل صفّ الحروف ومن شابه ذلك والتي وجدتها في الطبعات القديمة والحديثة للشوقيّات على السّواء، فقمت بتصحيحها في النّص مباشرة. وأما بعض الأخطاء كالتي تشكِّل خللاً لِوَزْن الشعر، أو كنقص كلمة أو حرف في البيت، أو وجود شطر من بيت على وزن يخالف بحر القصيدة فقد أشرت إلى ذلك في الهوامش.

ـ إعادة النظر في شكل القصيدة خاصة في شطرَيْ البيت الواحد فيما بينهما، إما بوصل الشطرين حيث الحاجة إلى وصلهما أو بفصلهما في استقلال كل شطر عن الآخر حيث يلزم ذلك الأمر، آخذاً في الاعتبار ما

تتطلبه أوزان بحور الشعر، وهذه الحالة منتشرة في كثير من القصائد التي ٱطّلعت عليها في بعض طبعات «الشوقيّات»، القديمة والحديثة أيضاً.

ـ تحليل أوزان بحور الشعر وإثبات اسم البحر في أعلى كل قصيدة ليتسنّى للقارئ أو الطالب معرفة بحر الشعر المتجانس مع القصيدة بسهولة، خاصة لو ٱتخذت هذه الأبيات كنموذج لتحليل وزن القصيدة في الدراسات والنقد الأدبي.

ـ تشكيل المفردات في القصائد ما ٱستطعت إليه سبيلاً وخاصة القوافي لتسهيل القراءة والمحافظة على صحة الإعراب وبالتالي المساعدة على فهم معاني الكلمات.

ـ شرح المفردات، حيث تدعو الحاجة بشكل يتناسب مع أهمية وموضوع القصيدة وتمايز المفردات واشتقاقاتها بما هو أقرب ما يكون لروح النّص، وكذلك شرح المعاني التي تتجلّى فيها الصور المتفرِّدة والخيال العبقري لأمير الشعراء والربط ما أمكن بين هذه الصور. وأما ما يختص في ذكر السبب المباشر لنظم القصيدة أو الحادثة التي دفعت إلى نظمها، أو تاريخها، فقد ٱرتأيت أن التزم بالحفاظ على المعلومات القيّمة التي ٱطّلعت عليها، وأن أُثْبِتَهَا كي لا تفقد قيمتها التوثيقيّة والتاريخيّة.

ـ وضع عناوين للقصائد التي أُغْفِل وضع عناوين لها في الطبعات السابقة للديوان، وذلك بشكل يتناسب مع مضمون القصيدة وموضوعها الرئيسي.

آملاً أن يكون هذا الجهد المتواضع قد أضاف شيئاً مفيداً في العمل، لتحقيق هذا الديوان بالشّكل الذي يليق بمقام أمير الشعراء.

واللَّهُ المُوَفِّق

محمد نعيم بربر

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدَّمَةُ الطَّبْعَةِ الأُولَى

بقلم الدكتور محمد
حسين هيكل

١ ـ كانت مصر إلى حين قدوم الحملة الفرنسية إليها في سنة ١٧٩٨م بعيدة عن الاحتكاك بدول أوروبا خلا ما كان من مرور بعض التجار والمتاجر بأرضها في ذهابهم وعودتهم بين الغرب والشرق. وكانت بحكم خضوعها لاستبداد المماليك، تحت سيادة تركيا: تسود فيها الدسائس ويعمل كل من أمرائها لما يجرّ إليه النفع. وكانت الحركة العلمية والأدبية خامدة فيها خمودها في سائر بلاد الدولة العثمانية.

وبلغ من ذلك أن تدلّى علماء الفقه الإسلامي، الذين كانوا في مختلف العصور فخر مصر وزينتها، وفتر نشاطهم وفسد إنتاجهم في ذلك العصر.

فأما الأدب من شعر ونثر فلم تقم له إلى ذلك العصر قائمة منذ اُمتدّ سلطان الأتراك على مصر. وإنك لتعجب حين تقرأ كاتباً كالجبرتي أو ابن إياس لضعف تأليفه ولغته ولسقم ما فيه من آثار الأدب شعراً كانت هذه الآثار أم نثراً.

فلمّا جاء الفرنسيون إلى مصر وتغلغلوا فيها وسارت مع حملة الجنود حملة العلماء، رأى المصريون مظهراً جديداً من مظاهر الحياة لم يكن لهم في تاريخهم الأخير به عهد.

كان من بينهم الأطباء والمهندسون والصنّاع والقوّاد: ومن بينهم قام

رفاعة بك رافع وتلاميذه يُحْيُون عهد الأدب العربي في مصر، ولكنها كانت حياة تحيط بها ظلمات ماض طويل، لذلك كان سريان نورها ضئيلاً قصير المدى، لكنها مع ذلك كانت بدءاً له ما بعده فلمّا كان عهد إسماعيل سارت في سبيل النضج والقوّة ثم كانت الثورة العرابية وما تلاها من الحوادث مثاراً لشاعرية أكابر الشعراء من أمثال: سامي باشا البارودي وإسماعيل باشا صبري، ووحياً لخيال شبان كان روح الشعر آخذاً بنفوسهم متهيئاً ليفيض منها ما ينفخ في الأدب العربي روحاً وقوّة.

وكانت الفترة التي أنقضت ما بين الحملة الفرنسية في مصر سنة ١٧٩٨م واحتلال الإنكليز إياها على الثورة العرابية في سنة ١٨٨١م فترة تقلبات سياسية عجّت بين الشرق والغرب والمسلمين والنّصارى.

فقد كانت تركيا من قبل ذلك التاريخ في عهد تدهورها، وكانت مطمح أطماع روسيا، فلم تكن تمرّ حقبة من الزمن من غير أن تشبّ بينهما حرب تنقص من أطراف المملكة العثمانية. وضعف تركيا هو الذي دفع محمد علي إلى غزوها، لكنه ما كاد يقترب من الأستانة حتى تألّبت عليه إنكلترا وفرنسا وروسيا مخافة أن يزعجهم قيامه في عاصمة آل عثمان بين الدول الأوروبية، بعد ما كان من انتصاراته الباهرة في الشرق ومن سعيه لتوطيد قوّة السيف وقوة العلم في مصر، وكأن ما قامت به الثورة الفرنسية من نشر مبادئ حرية الرأي والعقيدة لم يغير من نفس تلك الدول التي جعلت من الإسلام والمسيحية والشرق والغرب خصمين لا يتهادنان من غير أن تنطوي الضلوع على حفيظة.

فأما المسلمون في أقطار الأرض فلم يشتدّ حقدهم على محمد علي، ذلك بأن الدول الأوروبية كافة وروسيا خاصة كانت لا تفتأ تشنّ الغارة على الأتراك وتزيدهم ضعفاً على ضعفهم، فقد أنتهت حروب الإمبراطورة كاترينا في سنة ١٧٩٢م بمدّ الحدود الروسية إلى الدنيستر، ثم تحالفت روسيا وإنكلترا وفرنسا في سنة ١٨٢٨م وسلخن اليونان من جسم الدولة العثمانية وأقمنها مملكة مستقلة. وفي سنة ١٨٥٣م كانت حرب القرم

ولولا خوف إنكلترا وفرنسا من طغيان روسيا ومن اكتساح الجنس السلافي أوروبا لنال الروس من تركيا أكثر مما نالوا من قبل ولنفّذوا برنامجهم بإجلاء الأتراك عن أوروبا.

وهذا الضعف والاضمحلال الذي أصيبت الدولة التركية به هو الذي جعل المسلمين لا يحقدون على محمد علي حين غزا الأتراك متمسكين بقول الشاعر:

فـإن كـنـت مـأكـولاً فـكـن أنـت آكـلـي
وإلّا فـــأدركـــنـــي ولـــمَّـــا أُمـــزَّقِ

على أنّ الحرب التي شبّت نارها بين روسيا وتركيا في سنة ١٨٧٧م والتي خلّد فيها الغازي عثمان باشا انتصار الترك بدفاعه المجيد عن (بلفنا) أحيت في نفوس المسلمين آمالاً في دولة الخلافة كانت توشك أن تنهدم وتنهار.

ولقد كان المصريون إلى ذلك العهد يعطفون على تركيا عطف غيرهم من المسلمين، لكنهم كانوا أبداً يفكرون في استقلالهم عنها ويريدون تحقيقه، ولم يكن الأمل في ذلك بعيداً بعد الفرمان الذي ٱستصدره إسماعيل باشا في سنة ١٨٧٣م وٱستقل فيه بإدارة الدولة وبالتشريع لها وبإنشاء الجيش الذي يقوم بحاجاتها ومطامعها، لذلك كان عطفهم على تركيا منبعثاً عن شعور ديني بحت لا أثر للتبعية السياسية فيه. فلمّا حطمت انكلترا وفرنسا آمال إسماعيل، وقضتا عليه باسم ديون مصر، ودفعتا تركيا إلى خلعه، وٱنتهت إنكلترا باحتلال مصر بعد الثورة العرابية، ونكثت بعد الاحتلال وعودها بالجلاء، وأحسّ المصريون بتدخلها في شؤونهم، اشتدّ عطفهم على تركيا وضعف تبرمهم بسيادتها عليهم، وثبت عندهم اليقين بأنّ دول النّصرانية تطارد دول الإسلام، وقويت فيهم النزعة الدينية، وكان من ذلك ما زاد النشاط في بعث الحضارة الإسلامية والأدب العربي في مصر.

٢ ـ وسط هذه العوامل السياسية والاجتماعية وُجد أحمد شوقي، وُلد

«بباب إسماعيل» وشبّ في جواره ونشأ في حماه، فكان طبيعياً أن تتأثر نفسه بالبيئة الاجتماعية والسياسية، وأن تكون أكثر تأثراً بها لقربها من المسرح الذي تشتبك فيه أصول هذه العوامل وأسبابها، وتضطرب فيه اضطراباً يخفيه ما تقضي به حياة القصور، ثم تصدر إلى الحياة بعد أن تكون قد نظمت وهذبت. وشوقي خلق شاعراً، والشاعر يتأثر أضعاف ما يتأثر سائر الناس، لذلك كان لكل هذه العوامل أثرٌ بادٍ في شعره وفي حياته.

ومع أن شوقي درس في مصر، ثم أتم دراسته في أوروبا وتأثر بالوسط الأوروبي وبالحياة الأوروبية وبالشعر الأوروبي تأثراً كبيراً، فقد ظل تأثره بالبيئة التي وصفنا ظاهراً في حياته وفي شعره، كما ظل تأثره بالبيئة الأوروبية ظاهراً فيهما كذلك. وإنك لتكاد تشعر حين مراجعتك أجزاء ديوانه... بعد أن يتم نشرها جميعاً كأنك أمام رجلين مختلفين جدّ الاختلاف لا صلة بين أحدهما والآخر، إلّا أنّ كليهما شاعر مطبوع يصل من الشعر إلى عليا سماواته، وأنّ كليهما مصري يبلغ حبه مصر حدّ التقديس والعبادة. أما فيما سوى هذا فأحد الرجلين غير الرجل الآخر: أحدهما مؤمن عامر النفس بالإيمان، مسلم يقدّس أُخوّة المسلمين ويجعل من دولة الخلافة قدساً تفيض عليه شؤونه وحوادثه ووحي الشعر وإلهامه، حكيم يرى الحكمة ملاك الحياة وقوامها، محافظ في اللغة يرى العربية تتسع لكلّ صورة ولكلّ معنى ولكلّ فكرة ولكلّ خيال. والآخر رجل دنيا يرى في المتاع بالحياة ونعيمها خير آمال الحياة وغاياتها، متسامح تسع نفسه الإنسانيّة وتسع معها الوجود كله، ساخر من الناس وأمانيّهم، مجدّد في اللغة لفظاً ومعنى. وهذا الازدواج ظاهر في شعر شوقي من أوّل شبابه إلى هذا الوقت الحاضر، وإن كان لتأثره بالقديم الغلبة اليوم، وكانت آثار الرجل الآخر لا تظهر اليوم في شعر شوقي إلّا قليلاً.

ولا تَقُلْ إنّ الازدواج النفسي شأن الشعراء، وإنّ أبا نواس الذي كان يقول:

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمرُ ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهرُ

والذي كان يقول:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراءُ وداوني بالتي كانت هي الداءُ

هو أبو نواس الذي كان يقول:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشّفت له عن عدوّ في ثياب صديقِ

فليس هذا من أبي نواس ازدواجاً في الروح، وما الحكمة الزاهدة عنده إلّا فتورُ نفس أجهدتها اللّذة فأضعفتها، فأخافها الضعف فألجأها إلى حمى الحكمة والزهد، وإلى استغفار اللّه والتوبة إليه لذلك لا تلبث نفسه أن تعاودها القوّة حتى تعود إلى نعيم التَّرف والإباحة، وذلك هو السر في أنك لا ترى الزهد في شعر أبي نواس إلّا عرضاً واستثناء، وذلك شأن الشعراء جميعاً إلّا قليل منهم، وشوقي من هذا القليل ففي شعره صورتان من صور الحياة تقوم كل منهما مستقلة كأنما صاحبها غير الآخر. فأنت تقرأ:

حفّ كأسها الحببُ فهي فضة ذهبُ

أو تقرأ:

رمضان ولّى هاتِها يا ساقي مشتاقةً تسعى إلى مشتاقِ

فتراك في حضرة شاعر مغرم بالحياة وبمتاعها ونعمتها، شاعر تختلف روحه جدّ الاختلاف عن صاحب نهج البردة التي مطلعها:

ريمٌ على القاعِ بين البانِ والعلمِ أحلّ سفكَ دمي في الأشهُرِ الحُرُمِ

وصاحب الهمزية النبوية الذي يقول:

ولد الهدى فالكائنات ضياءُ وفمُ الزمانِ تبسّم وثناءُ

وهذان الروحان أو هاتان الصورتان من صور الحياة تتجاوزان في نفس شوقي وتصدران عنها وهي في كل قوّتها وسلطانها. وأنت لذلك حين تقرأ القصيدتين الأوليين تمتلئ إعجاباً بالحياة ومتاعها ولذتها، وحين تقرأ الثانيتين تكون أشدّ إعجاباً بكلمة الإيمان وروح الحق ورسالته. وأنت لا

تشعر في أي الحالين بضعف نفساني عند الشاعر دفع به إلى لبوس روح غير روحه، بل أنت فيهما جميعاً يبهرك شوقي بقوّة شاعريته الممتلئة حياة وخيالاً، والتي تفيض بمتاع العيش فيضها بنور الإيمان. كيف كان هذا الازدواج؟ كيف جمع شوقي في نفسه بين هذين الشاعرين، شاعر الحياة العربية بحضارتها الإسلامية وبما فيها من قِيَم وإيمان، وبين شاعر الحياة الغربية الخاضعة لحكم العلم وما يكشف عنه كل يوم من جديد؟

مسألة تبدو للنظرة الأولى دقيقة معقدة: فقد تزدوج في نفس واحدة حياتان بينهما من الصلة ما يبيح الازدواج، فيكون الرجل الواحد فيلسوفاً وشاعراً، كما كان المعرّي أو كما كان فولتير. فأما أن يكون الرجل شاعراً، وحدة حياته الشعر، ثم تكون نفسه مقسمة مع هذه الوحدة قسمة ازدواج على نحو شوقي، فذلك عجب في شاعر مطبوع يفيض عنه الشعر كما يفيض الماء من النبع، وكما ينهمل المطر من الغمام.

على أنّ لهذا الازدواج سبباً لم يكن مفرّ من أن يؤدي إليه، ذلك أن شوقي كان في طبع شبابه رسول الحياة، كان شاعر:

حـفّ كـأسَـهـا الـحـبـبُ فـهـي فـضّـةٌ ذهـبُ

لكن هذا الشباب لم يكن في ملك نفسه، فقد بعث به المغفور له الخديوي توفيق باشا ليتم علومه في أوروبا، وكان من قبل ذلك شاعراً متفوّقاً، وكان في تفوّقه ككل شاعر شاب يرسل القول كما تلهمه إياه نفسه. فلمّا عاد إلى مصر اتصل بالأمير الشاب عبّاس حلمي باشا وصار كلمته، ورأى يومئذٍ صنواً له على العرش جعلته روحه الشابة مقداماً لا يهاب. ومع ما فوجئ به أوّل ولايته في حادث عرض الجيش في السودان مما اضطره للاعتذار قد بقي شبابه يدفعه إلى ما كان يندفع إليه جدّه إسماعيل من مغامرة. لكن قيام الاحتلال الإنكليزي في مصر جعل الخصومة بينه وبينهم وليست بينه وبين الأتراك، بل لقد كان منظوراً إليه أكثر الأحيان بشيء غير قليل من العطف في بلاد آل عثمان، لذلك كانت عواطفه متفقة وعواطف المسلمين الذين كانوا بعد

انتصار الأتراك يرون في الخليفة الموئل الأخير لأمم الإسلام جميعاً.

اتصل الشاعر الشاب بالأمير الشاب، فحتمّ عليه ذلك أن يكون المعبّر عن الميول والآمال الكمينة في نفوس المسلمين جميعاً لا في نفوس المصريين وحدهم، وبذلك اُجتمع في نفسه من أوّل حياته ميله للحياة وحبه إياها وحرصه على المتاع بها، مع إيمان المسلمين جميعاً وحرصهم على وحدتهم وعلى كيانهم بإزاء الأمم الغربية التي كانت تنظر إليهم بعين صليبية بحتة. وكانت هذه الناحية التي تمثلها نفسه من ظروف الحياة ومن البيئة المحيطة به أكثر استيحاء لشعره من الناحية الأولى التي هي طبيعة نفسه، فكان بذلك كالرجل القوي الذي يرى وطنه في خطر، ويصبح جندياً، وجندياً باسلاً، ويتفوّق في كل مواقف الحرب، ويصبح القائد الأعظم ولو أن وطنه لم يكن في خطر لرأيته صديق النعمة السعيد بها غاية السعادة.

٣ ـ وهذا الجزء الأوّل من ديوان شوقي فيه طائفة من شعره أُوحي إليه بها على أنه ممثل المصريين والعرب والمسلمين، وأولى قصائده التي مطلعها:

همّت الفُلْك واٌحتواها الماءُ وحداها بمن تقلّ الرّجاءُ

هي رواية من الروايات الخالدة لتاريخ مصر منذ الفراعنة إلى عهد أبناء محمد علي، وقف فيها الشاعر وقفة مصري صادق العاطفة تفيض عليه ربّة الشعر تاريخ بلاده منذ عرفها التاريخ، أي منذ عرف الناس شيئاً اسمه التاريخ وأنت تراه في عرضه هذا التاريخ ممتلئ النفس فخراً بمجد مصر حين يرتفع بها المجد إلى عليا ذراه، آسفاً حزيناً حين تمر بمصر فترات ظلم وذلة مستفزاً للهمم حافزاً لعزائم أهل جيله والأجيال التي بعده كي يعيدوا مجد الماضي وعظمته.

وتراه في انتقاله من الفخر إلى الأسف إلى الاستفزاز يسير مع الحوادث متدفقاً مندفعاً فوق موج الماضي آتياً من لا نهايات القدم كأنما هو قيثارة آلهة ذلك الزمان البعيد يدفع إليها كل جيل نسائمه فتتغنى وتشدو بأهازيج

النّصر وبترانيم المسرّة طوراً، وبشجو الألم أحياناً[١].

وللقدم وللماضي على نفس الشاعر أثر يذهب إلى أعماقها. وليس لمثل الآثار المصرية من القدم نصيب، فهذه الأهرام ما تزال تحتوي من الطلاسم ما يحار العقل في حلّه، وهذا أبو الهول في مجثمه بين رمال الصحراء أكثر ثباتاً من الليل والنهار ومن الشمس والقمر، وهو في روعة صمته يُنطق كل خط خطّته الدّهور على صحائف جثمانه بما حوته من عِبَر أيسرها دوام انهيار الأشياء لدوام تجددها وهذا الملك الشاب «توت عنخ أمون» نبش قبره النابشون باسم العلم فإذا فيه من طرف الفنّ ما يزري بكل فنّ وعلم. هذه وسواها من الآثار تثير في النفس ـ إلى جانب صورتها الظاهرة وما يدل عليه إبداع صنعها ودقة فنها من حضارة كملت لها كل أدوات الحضارة ـ صورة الماضي الذاهب في القدم إلى أغوار الأزل، وتثير من شاعرية شوقي معاني بالغة في الموعظة والعبرة مبلغها من السموّ والعظمة. وأنت إذ تقرأ قصائده: على سفح الأهرام، وأبو الهول، وتوت عنخ أمون، يهزك الشعور بصورة هذا الماضي في قداستها ومهابتها. وتمتلكك نفس الشاعر فترفع بك من مستوى الحياة الدنيا إلى سماوات الخلد، ذلك بأن شوقي يهديك المعنى الذي كانت تلتمسه نفسك فلا تقع عليه، ويرسم أمامك بوضوح وقوّة وسموّ خيال ونبل عاطفة كل ما ينبض به قلبك ويهتز له فؤادك.

---

(١) انظر إلى الانتقال في هذه الأبيات التي اخترناها:

قل لبان بني فشاد فغالى ... لم يجز مصر في الزمان بناءُ
أجفل الجن عن عزائم فرعو ... ن ودانت لبأسها الآناءُ
زعموا أنها دعائم شيدت ... بيد البغي ملؤها ظلماءُ
إن يكن غير ما أتوه فخار ... فأنا منك يا فخار براءُ
لا رعاك التاريخ يا يوم قمبـ ... ـيز ولا طنطنت بك الأنباءُ
جيء بالمالك العزيز ذليلاً ... لم تزلزل فؤاده البأساءُ
بنت فرعون في السلاسل تمشي ... أزعج الدهر عريها والحفاءُ
والأعادي شواخص وأبوها ... بيد الخطب صخرة صماءُ
فأرادوا لينظروا دمع فرعو ... ن وفرعون دمعه العنقاءُ

خلع القدم على هذه الآثار معنى البقاء والثبات، لذلك كان ما يفيض من الوحي إلى روح شاعر الشرق ثابتاً باقياً لا تزعزعه الحوادث ولا تعصف به الغِيَر، فأما ما سوى ذلك من شؤون هذه العصور الحديثة فشوقي فيه هو كلمة الأمة وفي هذه العصور الحديثة تغير قدر الناس للحوادث إصغاراً وإكباراً بمبلغ رجائهم فيها أو خشيتهم آثارها. وقد تعجب إذ ترى قصيدتين من أبدع قصائد شوقي وأحراها بالخلود متجاورتين في هذا الجزء الأوّل من الديوان: إحداها في وداع لورد كرومر، ومطلعها:

أيامكم أم عهد إسماعيلا أم أنت فرعون يسوس النِّيلا

والثانية في ارتقاء السلطان حسين كامل على أريكة مصر، ومطلعها:

ألملك فيكم آل إسماعيلا لا زال بيتكُمُ يُظِلّ النِّيلا

فترى الشاعر ينظر في كل من القصيدتين إلى الحوادث والأشخاص بغير ما ينظر إليها في الأخرى، ثم تجد مثل هذا في غير هاتين القصيدتين، وليس لذلك من علّة إلّا الاضطراب الذي أصاب العالم قبل الحرب وبعدها، والذي ما يزال عظيم الأثر على تفكير المفكّرين وكتابة الكتّاب وشعر الشعراء..

على أنّ هذا التأثر بالحوادث في بعض الشؤون التي لا يستقرّ للناس فيها عادة رأيٌ قبل أن يصدر التاريخ عليها حكماً خالياً من الغرض لا يؤثر بشيء في روعة القصائد التي كان فيها، وهو بعد لا يشغل من هذه القصائد إلّا حيزاً ضيقاً. فإنّ شوقي لا يزيد في القصائد التي تقال لمناسبة حادث من الحوادث على أن يشير لهذا الحادث بأبيات خلال القصيدة وفي آخرها. فأما أكثر أبيات القصيدة فحِكَمٌ غوالٍ، أو وصف رائع، أو ما سوى ذلك مما يلذّ عقل شوقي أو خياله أن يفكر فيه أو يلهو به. وهذه الحِكَم لم يتغير تقدير شوقي لها، فهو يرى أنّ الأمم لا تقوم على دعامة غير دعامة الأخلاق وهو يرى ذلك برغم ما قد يبدو في بعض الأمم القوية من تدهور في الأخلاق، فالعلم عنده حسن وله فائدته، والغنى حسن

كذلك، وسائر أدوات الحضارة تصلح الأمم، لكنها جميعاً لا فائدة من رقيّها وغزارتها إذا انحطت أخلاق الأمة. فأما إن قويت هذه الأخلاق فقليل من ذلك كله كاف ليرتفع بالأمة إلى ذروة المجد والسؤدد.

وليس معنى هذا أنّ شوقي يحقّر من شأن ما سوى الأخلاق، فله عن العلم والفنّ والعمل والترحال وغيرها آيات بيّنات، لكنما معناه أنّ الأخلاق عنده في المحل الأوّل، وهو لا يمل من أن يكرّر الدعوة إلى الخلق الصالح على أنه قوام حياة الأمم في كل قصيدة يقولها عن مصر أو عن غير مصر، وكثير من أبياته في هذا المعنى قد أصبح مثلاً يتداوله كل كاتب، وكل أستاذ، وكل تلميذ، ويردّده الجميع على أنه الحكمة لا يأتيها باطل من بين يديها ولا من خلفها، أو لا ترى قوله:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيَتْ فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

قد بلغ من تواتره على الألسن أن أصبح الكثيرون لا يعرفون إن كان لشوقي أو لشعراء العصور الزاهرة في أيام العرب إلّا لأنهم يريدون أن يكون فخر هذا البيت وغيره من مثله لهم بنسبته لشاعر مصر والشَّرق في عصرهم.

٤ ـ إلى جانب مقام العاطفة الوطنية التي هي قوّة متسلطة على نفس شوقي، تقوم عاطفة أخرى لا تقل عنها قوّة وربما كانت أشدّ أخذاً بهذه النفس وإثارة لشاعريتها، تلك هي العاطفة الإسلامية. فشوقي شاعر الإسلام والمسلمين، كما أنه شاعر مصر وشاعر الشَّرق وعاطفة المسلم تتجه حتى العصور الأخيرة إلى جهتين، ثم إلى قومين. فهي تتجه صوب مكة، مسقط رأس النبيّ ﷺ ومقام إبراهيم كعبة المسلمين وقبلة أنظارهم. ومكة في بلاد العرب، والنبيّ عربي، والقرآن عربي. وهي تتجه ـ أو كانت تتجه ـ صوب الآستانة، مقرّ الخلافة الإسلامية، ومقام الخليفة من آل عثمان. والآستانة عاصمة الترك، وخليفة المسلمين كان تركياً. فكل مسلم تعنيه وحدة المسلمين كان يتجه ببصره ـ إلى حين ألغيت الخلافة ـ نحو مكة

ونحو الاستانة: يستمدّ من الأولى المدد الروحي، ومن الثانية مدد السيف والمدفع.

إلى جانب ما يرجوه المسلم من أهل بلاد الشرق العربي في مكة من مدد روحي تحرّك نفسه إلى هذه الأنحاء عاطفة أخرى هي العاطفة العربية، هي عاطفة هذه اللغة التي تربط اليوم أكثر من سبعين مليوناً، أكثرهم مسلمون، وكلهم خاضع لما يخضع له غيره من بطش القوة وسلطان التحكم. واللغة في حياة الأمم ليس شأنها هيناً، فأمة لا لغة لها لا حياة لها. ورقي اللغة في أمة آية صادقة من آيات رقيّها، وما دام العرب مصدر اللغة، وعلى رجل منهم هبط الوحي، وبينهم قام صاحب الشريعة فلهم عند المسلمين كافة وعند الذين يتكلمون العربية خاصة حرمة تدفعهم إلى التغنّي بآثارهم والإشادة بقديم مجدهم وتمنّي خير الأماني لهم.

لذلك كان العرب ومكة والوحي والقرآن والإسلام والرسول كلها معان لها من الأثر في نفس شوقي ما ليس لسواها من آثار الماضي. ولذلك لم يكن شوقي يشيد بذكر المسلمين وبخلافتهم لغاية سياسية صرفة، بل إنه ليؤمن بهذه المعاني إيماناً يتجلّى في الكثير من قصائده على صورة تتركنا في حيرة كيف يبلغ الإيمان من نفس هذا المحب للحياة كل هذا المبلغ؟ فلا تجد لحيرتنا جلاء إلّا من الحديث: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً».

وبحسبك أن تقرأ الهمزية النبوية ونهج البردة وقصيدته في ذكرى المولد التي مطلعها:

سلوا قلبي غداة سلا وثابا لعلّ على الجمال له عتابا

لترى في غير إبهام أنه إنما أملت هذه القصائد قوّة غلبت طبع الشاعر، هي قوّة الإيمان.

لكنك قد يدهشك مع تجلّي الإيمان في هذه القصائد وغيرها أن يكون

شوقي أكثر تحدّثاً عن الترك وعن الخليفة منه عن العرب وعن الرسول. فهذا الجزء الأوّل من ديوانه يشتمل ثلاث قصائد عن العرب ومكة والرسالة، ويشتمل ثماني عشرة قصيدة عن الخلافة وعن الترك. وأنت تلمس في هذه القصائد الثماني عشرة جميعاً حساً أدق من العاطفة، وفيضاً أغزر من الشعر، وقوّة تكاد تعتقد معها أن شوقي إذ يتحدّث عن الترك إنما يملي ما يكنه فؤاده وإنما يندفع بقوّة كمينة هي قوّة دم الجنس، أو أن اتصاله بالبيت المالك في مصر كان قوي الأثر في نفسه إلى حدّ جعله يفيض من ذكر الترك بما ينبض به قلب سلالة محمد علي.

وليس عليك إلّا أن تقرأ أياً من قصائده التركية، لتقنع بما نقول: إقرأ قصيدته العظيمة العامرة عن الحرب العثمانية اليونانية التي مطلعها:

بسيفك يعلو الحق والحق أغلبُ ويُنصر دين اللّه أيان تضربُ

أو قصيدته في رثاء أدرنة أو تحيته للترك أيام حرب اليونان. إقرأ أياً من هذه القصائد التي قيلت قبل الحرب الكبرى، أو إقرأ غيرها مما قيل بعد الحرب على أثر انتصار الأتراك على اليونان، كقصيدته التي مطلعها:

أللّه أكبر كم في الفتح من عجبِ يا خالد الترك جدّد خالد العربِ

وإنك لمؤمن حقاً بأنّ هذه القصائد التركية هي أقوى قصائده عن الحوادث وأصدقها حساً وعاطفة.

ولعلّ مرجع ذلك أن قد اجتمعت في الأتراك عوامل كثيرة كان لشوقي اتصال بها، فكانت لذلك تهزّه أكثر مما تهزّ سواه. فالترك ـ فوق أنهم كانوا مقرّ الخلافة وقبلة المسلمين الزمنية وأصحاب السيادة على مصر سيادة يشلها الاحتلال الإنجليزي ـ يجري من دمهم في عروق الشاعر الكبير، ومنهم أصحاب عرش مصر الذين ببابهم وُلِدَ شوقي وفي حماهم شبّ ونشأ.

وقد بلغ من حب شوقي للترك أن كان يعتبرهم مجموعة فضائل لا تشوبها نقيصة.

٥ ـ على أنّ شوقي وإن كان شاعر مصر وشاعر العرب وشاعر المسلمين وكان فيه الازدواج بين حب الحياة ومتاعها والإيمان ونعيمه، له ذاتيته التي لا تخفى. فهو شاعر الحكمة العامة وهو شاعر اللغة العربية السليمة وإنك لتعجب أكثر الأحيان حين ترى عنوان قصيدة من قصائده ثم لا تجد في القصيدة غير أبيات معدودة تدخل في موضوع العنوان، بينا سائرها حكمة أو غزل أو وصف أو ما شاء لشوقي هواه، وما أحسب شاعراً بالغ في ذلك ما بالغ شوقي ولست أضرب لك مثلاً لذلك مما في هذا الجزء الأوّل من الديوان إلّا بقصائد ثلاث: لجان التموين، والانقلاب العثماني، وبين الحجاب والسفور. هذا وإنك واجد في غير هذه القصائد الثلاث ما يظهر لك منه ما ألقينا به إليك، فشيطان شوقي أشدّ حرصاً على متاعه بالشعر للشعر منه بموضوع خاص. أما القصائد التي يملك موضوعها أبياتها جميعاً فهي القصائد التي ملك موضوعها شوقي فأنساه نفسه بما كان له في هذا الموضوع من لذة ومتاع وما أفاضه على شاعريته من وحي وإلهام.

وحكمة شوقي وما يصدر عنه من وصف وغزل وما يميز شعره جميعاً يبدو كأنه شرقيّ عربيّ لا يتأثر بالحياة الغربية إلّا بمقدار، وهذا طبيعي ما دام شوقي شاعر العرب والمسلمين، وما دام يجد في الحضارة الشرقية القديمة ما يغنيه عن استعارة لبوس المدنية الغربية إلّا بالمقدار الذي تحتاج إليه أمم الشَّرق في حياتها الحاضرة لسيرها في سبيل المنافسة العامة. ولقد ترى شوقي يغلو في شرقيّته وعربيته أحياناً. ولقد تراه يتعمد ذلك في لفظه ومعناه وسبب ذلك هو ما يراه من ضرورة مقاومة النزعة القائمة بنفوس كثيرة تصبو إلى نسيان ما خلف السلف من تراث والأخذ بكل ما يلمع به الحاضر من وراء الغرب.

وقد يكون غلوّ شوقي أكثر وضوحاً في جانب اللغة منه في جانب المعاني. فهو بمعانيه وصوره وخيالاته يحيط مما في الغرب بكل ما

يسيغه الطبع الشرقي وترضاه الحضارة الشرقية، أما لغته فتعتمد إلى بعث القديم من الألفاظ التي نسيها الناس وصاروا لا يحبونها لأنهم لا يعرفونها. ولعلّ سر ذلك عند شوقي أن البعث وسيلة من وسائل التجديد، بل لقد يكون البعث آكد وسائل التجديد نتيجة ما وجد من أرباب اللغة مَنْ يفيضون على الألفاظ القديمة روحاً تكفل حياتها، والبعث له إلى جانب ذلك من المزايا أنه يصل ما بين مدنية دارسة ومدنية وليدة، يجب أن تتصل بها اتصال كل خلف بسلفه.

ومن ذا ترى من أرباب اللغة قديراً قدرة شوقي على أن يبعث في الألفاظ القديمة روحاً تكفل حياتها في الحاضر وتفيض عليها من ثوب الشعر ما يجعلها تتسع لِما لم تكن تتسع له من قبل من المعاني والأخيلة والصور. إن اليونانية ما تزال موضع دراسة العلماء واللغويين لأن هومير كتب بها إلياذته، واللّاتينية ما تزال حياتها كمينة وإن تدثّرت بحجب الماضي أن كتب بها فرجيل شعره. واللغة العربية هي حتى اليوم لغة التفاهم بين سبعين مليوناً من أهل هذا الشَّرق العربي، وهي حيّة وستبقى أبداً حيّة، ولكن كمال حياتها يحتاج إلى أن يبعث اللَّه لها أمثال شوقي ليزيدوا تلك الحياة قوّة وروعة وجمالاً.

وما أنا بحاجة إلى أن أدلّ على هذه القوّة، وتلك الروعة، وذلك الجمال، فكل أديب أو متأدب يعرف منها ما أعرف. وها هي ذي مجلوّة في هذا الديوان بكل ما لشوقي على اللغة والأدب والشعر من سلطان.

كِبارُ الحوادِثِ في وادِي النّيل(*)

[من الخفيف]

هـمَّـتِ الـفُـلْـك واحـتـواهـا الـمـاءُ
وحَـدَاهـا بـمَـنْ تُـقِـلُّ الـرَّجـاءُ(١)
ضـربَ الـبـحـرُ ذو الـعُـبـاب حَـوَالـيْـ
ـهـا سـمـاءً قـد أكـبَـرَتْـهـا الـسـمـاءُ(٢)
ورأى الـمـارقـون مـن شَـرَك الأر
ض شِـبَـاكـاً تـمـدُّهـا الـدأْمـاءُ(٣)
وجـبـالاً مـوائـجـاً فـي جـبـالٍ
تـتـدجَّـى كـأنَّـهـا الـظـلـمـاءُ(٤)
ودويًّـا كـمـا تـأهَّـبـتِ الـخـيـ
ـلُ وهـاجـت حُـمـاتَـهـا الـهـيْـجـاءُ(٥)
لُـجّـةٌ عـنـد لـجّـةٍ عـنـد أخـرى
كـهـضَـاب مـاجـت بـهـا الـبـيْـداءُ(٦)

(*) «ألقاها في المؤتمر الشرقي الدولي في مدينة جنيف سنة ١٨٩٤م حيث كان الشاعر ممثلاً للحكومة المصرية».

(١) الفُلك: السفينة، حَدَا: من الحُداء للإبل، ساقها ورفع صوته بالغناء لها.

(٢) العُباب: ارتفاع السيل، وعُباب البحر: موجه.

(٣) المارقون: الهاربون والخارجون، من مَرَقَ السَّهم من الرَّميَّة أي نفذ فيها وخرج منها. الدّأْماء: البحر، لدوام مائه، من دام أي ثبت وٱمتد وٱستمر.

(٤) تتدجّى: من تدجّى الليل أي أظلم.

(٥) الهيجاء: الحرب.

(٦) اللُّجة: معظم الماء. البيداء: الفلاة.

وسَـفِـيـنٌ طـوراً تـلـوح وحـيـنـاً
يـتـوَلّـى أشـبـاحَـهـنَّ الـخـفـاءُ[١]
نـازلاتٌ فِـي سَـيـرهـا صـاعـداتٌ
كـالـهـوادي يـهـزّهـنّ الـحُـداءُ[٢]
ربِّ إنْ شـئـتَ فـالـفـضـاءُ مـضـيـقٌ
وإذا شـئـت فـالـمـضـيـقُ فـضـاءُ[٣]
فـاْجـعـلِ الـبـحـرَ عـصْـمـة واْبـعـث الـرحـ
ـمـة فـيـهـا الـريـاحُ والأنـواءُ[٤]
أنـت أُنـسٌ لـنـا إذا بَـعـدَ الأنْـ
ـسُ وأنـت الـحـيـاة والإحـيـاءُ
يـتـولـى الـبـحـار مـهـمـا اْدلـهـمَّـت
مـنـك فـي كـلّ جـانـب لألاءُ[٥]
وإذا مـا عَـلَـتْ فـذاك قـيـام
وإذا مـا رَغَـتْ فـذاك دعـاءُ[٦]
فـإذا راعَـهـا جـلالُـك خـرّت
هـيـبـةً فـهـي والـبـسـاط سـواءُ[٧]
والـعـريـضُ الـطـويـلُ مـنـهـا كـتـابٌ
لـك فـيـه تـحـيـةٌ وثـنـاءُ

(١) السفين: مفردها سفينة.
(٢) الهوادي: يقال: هوادي الإبل أي طلائعها ومُتَقدِّماتها. الحُداء: الغناء في أثر الإبل لتحفيزها على السير.
(٣) المضيق: جمعها مضايق، قطعة ضيقة من البحر بين أرضين.
(٤) الأنواء: مفردها نوء، المطر.
(٥) إدلهمَّت: أظلمت أو اشتدَّ سوادها. لألاء: نور وإشراق.
(٦) رغا: صوّت وضجّ.
(٧) خَرَّت: أي سقطت من علوّ إلى أسفل خِشيةً وخضوعاً.

يـا زمـانَ الـبـحـار لـو لاك لـم تُـفْـ
ـجَـعْ بـنُـعْـمـى زمـانـهـا الـوَجْـنـاءُ[١]
فـقـديـمـاً عـن وَخْـدِهـا ضـاق وجـه الـ
ـأرض وآنـقـاد بـالـشِّـراعِ الْـمـاءُ[٢]
وآنـتـهـت إمـرةُ الـبـحـارِ إلـى الـشَّـر
قِ وقـام الـوجـودُ فـيـمـا يـشـاءُ
وبـنـيـنـا فـلـم نُـخَـلّ لِـبـانٍ
وعـلَـوْنـا فـلـم يَـجُـزْنـا عـلاءُ
ومـلـكـنـا فـالـمـالـكـون عـبـيـد
والـبـرايـا بـأسـرهـم أُسَـراءُ
قـلْ لـبـانٍ بـنـى فـشـاد فـغـالـى
لـم يـجـزْ مـصـرَ فـي الـزمـان بـنـاءُ
لـيس في الـمـمْـكِـنـات أن تـنـقـل الأجـبـ
ـال شُـمًّـا وأن تُـنـال الـسـمـاءُ[٣]
أجْـفـل الـجـنّ عـن عـزائـم فـرعـو
نَ ودانـت لـبـأسـهـا الآنـاءُ[٤]
شـاد مـا لـم يَـشِـدْ زمـان ولا أنـ
ـشـأ عـصـرٌ ولا بـنـى بـنَّـاءُ
هـيـكـل تُـنْـثـر الـديـانـاتُ فـيـه
فـهـي والـنـاسُ والـقـرونُ هَـبـاءُ
وقـبـورٌ تُـحَـطُّ فـيـهـا الـلَّـيـالـي
ويُـوارَى الإصـبـاحُ والإمـسـاءُ

(١) الوجناء: الناقة الشديدة.
(٢) وَخْدها: سيرها السريع، من وَخَدَ البعير أي أسرع ووسّع الخطو.
(٣) الأجبال: جمع جبل. الشُّم: جمع أشمّ، كل ما علا وارتفع.
(٤) أجفل: نفر وشرد.

تشفقُ الشّمسُ والكواكب منها
والجديدانِ والبِلى والفناءُ[١]
فاْعْذرِ الحاسدين فيها إذا لا
موا فصعبٌ على الحسود الثّناءُ
زعموا أنها دعائمُ شِيْدَتْ
بيد البغي ملؤُها ظلماءُ
دُمِّر النّاسُ والرعيّة في تشـ
ـييدها والخلائقُ الأسرَاءُ
أين كان القضاء والعدل والحكـ
ـمة والرأي والنُّهَى والذّكاءُ
وبنو الشّمس من أعزَّة مصرٍ
والعلوم التي بها يُستضاءُ
فاْدَّعَوْا ما ادّعى أصاغرُ آثيـ
ـنَا ودعواهُمُ خناً واْفتراءُ[٢]
ورأوا للذين سادوا وشادوا
سُبّة أن تُسخَّر الأعداءُ
إن يكن غيرَ ما أتوه فَخَارٌ
فأنا منك يا فخار براءُ
ليت شعري والدّهرُ حربُ بنيه
وأياديه عندهم أفياءُ[٣]
ما الذي داخل اللّياليَ منّا
في صبانا ولليالي دهاءُ[٤]

(١) الجديدان: الليل والنهار، لأنهما لا يَبْلَيان أبداً. (٢) الخَنَا: الفُحش في الكلام.
(٣) أفياء: مفردها فيء، الغنيمة. والمعنى أن الدهر لا يُؤخذ إلّا غِلاباً وأن نِعَمهُ هي بمثابة غنيمة حرب.
(٤) لِلياليِ دَهاء: أي تعمل عمل الدّهاة.

فعلا الدّهر فوق عليا فرعو
نَ وهمّت بملكه الأرزاءُ[١]
أعلنت أمرَها الذئابُ وكانوا
في ثياب الرُّعاة من قبل جاؤُوا[٢]
وأتى كلُّ شامتٍ من عِدَى المل
ـك إليهم وانضمَّت الأجزاءُ
ومضى المالكون إلَّا بقايا
لهُمُ في ثَرى الصعيد التجاءُ
فعلى دولة البُناة سلامٌ
وعلى ما بنى البناة العفاءُ
وإذا مصر شاة خير لراعي السوء تُؤذَى في نسلها وتُساءُ
قد أذلّ الرّجالَ فهي عبيد
ونفوسَ الرِّجال فهي إماءُ
فإذا شاء فالرقاب فداه
ويسيرٌ إذا أراد الدماءُ
ولقومٍ نوالُه ورضاهُ
ولأقوام القِلى والجفاءُ[٣]
ففريقٌ ممتَّعون بمصرٍ
وفريق في أرضهم غرباءُ
إن ملكت النُّفوس فابغِ رضاها
فلها ثورةٌ وفيها مَضَاءُ[٤]
يسكن الوحش للوثوب من الأسرِ فكيف الخلائق العقلاءُ

(١) الأرزاء: المصائب.
(٢) إشارة إلى ملوك الرّعاة أو هيكسوس الذين تسلّطوا على مصر نتيجة تنازع طبقة الأشراف على الملك.
(٣) القِلى: البغض.
(٤) مضاء: يقال: مضاء السيف، أي نفاذه.

يـحـسِـب الـظـالـمـون أَنْ سـيـسـودو
نَ وأنْ لـــنْ يُـــؤيَّـــد الـــضُّـــعـــفـــاءُ
والـلَّـيـالـي جـوائـرٌ مـثـلـمـا جـا
روا ولـلـدَّهـر مـثـلَـهُـم أهـواءُ

❊ ❊ ❊

لـبِـثـتْ مـصـر فـي الـظـلام إلـى أنْ
قـيـل: مـات الـصّـبـاح والأضـواءُ
لـم يـكـن ذاك مـن عـمًـى، كـلُّ عـيـنٍ
حـجـب الـلّـيـلُ ضـوءَهـا عـمـيـاءُ
مـا نـراهـا دعـا الـوفـاءُ بـنـيـهـا
وأتـاهُـمْ مـن الـقـبـور الـنّـداءُ
لـيـزيـحـوا عـنـهـا الـعـدى فـأزاحـوا
وأُزيـحـت عـن جـفْـنِـهـا الأقـذاءُ
وأُعـيـد الـمـجـد الـقـديـمُ وقـامـتْ
فـي مـعـالـي آبـائـهـا الأبـنـاءُ
وأتـى الـدّهـرُ تـائـبـاً بـعـظـيـم
مـن عـظـيـم آبـاؤه عـظـمـاءُ
مَـنْ كـرمـسـيـس فـي الـمـلـوك حـديـثـاً
ولـرمـسـيـسٍ الـمـلـوكُ فـداءُ[1]
بـايـعـتـه الـقـلـوبُ فـي صـلـب سِـيـتـي
يـومَ أَنْ شـاقـهـا إلـيـه الـرَّجـاءُ[2]

(١) رَمْسِيس: هو رَعَمْسيس أو رَمْسِيس الثاني، من أعظم فراعنة مصر، دام حكمه من سنة (١٢٩٢ ـ ١٢٢٥ق.م)، ولِيَ العرش صغيراً وكان ميّالاً إلى البناء، فشيّد الهياكل والقصور في النوبة والأقصر والكرنك، كما حارب الحثّيّين في سوريا وهزمهم في قادش.

(٢) سِيتي: هو سِيتي الأول، ملك من ملوك السلالة ١٩ المصرية ووالد رَمْسِيس الثاني.

وٱستعدّ العبادُ للمولد الأكـ
ـبر وٱزَّيَّنت لَهُ الغبراءُ
جَلَّ سيزوستريس عهداً وجَلّتْ
في صباهُ الآياتُ والآلاءُ
فسمعنا عن الصبيِّ الذي يعـ
ـفو وطبعُ الصِّبا الغشوم الإباءُ
ويرى النّاسَ والملوكَ سواءً
وهل الناس والملوك سواءُ؟!
وأرانا التاريخُ فرعونَ يمشي
لم يَحُل دون بِشْرِه كِبرياءُ
يولد السّيدُ المتوَّجُ غضًّا
طهَّرتْه في مَهْدِها النُّعْماءُ[١]
لم يغيِّره يومَ ميلاده بؤ
سٌ ولا نالَه وليداً شقاءُ
فإذا ما الممَلّقون تولَّوْ
ه تولّى طباعَه الخُيَلاءُ[٢]
وسرى في فؤاده زخرفُ القو
ل تراه مستعذَباً وهو داءُ
فإذا أبيضُ الهديل غرابٌ
وإذا أبْلَجُ الصّباح مَساءُ[٣]

❊ ❊ ❊

جَلَّ رمسيس فطرةً وتعالى
شيعةً أَنْ يقوده السُّفهاءُ

---

(١) الغضّ: النّضير. (٢) الخيلاء: الكِبر.
(٣) الهديل: ذكر الحمام أو فرخ الحمام. أبلج: من بلج الصباح أي أشرق.

وسما للعُلا فنال مكاناً
لم ينلْه الأمثال والنُّظراءُ
وجيوشٌ ينهضْنَ بالأرض ملكاً
ولواءٌ من تحته الأحياءُ
ووجود يُساس، والقول فيه
ما يقول القضاةُ والحكماءُ
وبناءٌ إلى بناءٍ يودُّ الخلْـ
ـدُ لو نال عمرَه والبقاءُ
وعلومٌ تُحيي البلادَ، وبنْتَا
هُورُ فخرُ البلاد والشعراءُ[1]
إيهِ سيزوستريس ماذا ينال الْـ
ـوصفُ يوماً أو يبلغ الإطراءُ
كبُرَتْ ذاتُك العليَّة أَنْ تُحـ
ـصي ثَنَاها الألقابُ والأسماءُ
لك آمُونُ والهلال إذا يكـ
ـبرُ والشّمس والضُّحى آباءُ[2]
ولك الرِّيف والصعيد وتاجَا
مصر والعرش عالياً والرّداءُ
ولك المنشآتُ في كلّ بحرٍ
ولك البرُّ أرضُه والسَّماءُ
ليْتَ لم يبلِكَ الزّمانُ ولم يَبْـ
ـلَ لِمُلْك البلاد فيك رجاءُ

(١) بنتاهور: شاعر مصري قديم.
(٢) آمون: إله الشمس عند المصريين القدماء الذين كانوا يعتقدون أن الملوك نسل الآلهة.

هــكــذا الــدّهــرُ حــالــةٌ ثــمّ ضــدٌّ
مــا لــحــالٍ مــع الــزّمــان بــقــاءُ

❊ ❊ ❊

لا رَعَــاك الــتــاريــخ يــا يــوم قــمــبــيــ
ـزَ ولا طَــنْــطَــنــت بــك الأنــبــاءُ[١]
دارت الــدائــراتُ فــيــكَ ونــالــت
هــذه الأمّــةَ الــيَــدُ الــعَــسْــراءُ
فــبــمــصــرٍ مــمــا جــنــيــت لــمــصــرٍ
أي داءٍ مــــا إنْ إلــــيــــه دواءُ[٢]
نــكــدٌ خــالــدٌ وبــؤسٌ مــقــيــمٌ
وشــقــاء يــجُــدّ مــنــهُ شــقــاءُ
يَــوم مَــنْــفِــيــسَ والــبــلادُ لــكــســرى
والــمــلــوكُ الــمــطــاعــةُ الأعــداءُ[٣]
يــأمــر الــسّــيــفُ فــي الــرقــاب ويــنــهــى
ولــمــصــرٍ عــلــى الــقَــذى إغــضــاءُ
جِــيءَ بــالــمــالــك الــعــزيــز ذلــيــلاً
لــم تُــزلــزِلْ فــؤادَه الــبــأْســاءُ
يــبــصــر الآلَ إذ يُــرَاحُ بــهــم فــي
مــوقــف الــذُّل عَــنْــوَةً ويُــجــاءُ[٤]

---

(١) قمبيز: هو ملك الفرس (٥٢٩ـ ٥٢١ق.م)، وابن قورش وخلفه، كان ملكاً قاسياً فتح البلاد المصرية وأسس فيها السلالة الـ٢٢، ويوم قمبيز هو اليوم الذي انتصرت فيه جيوشه على جيوش المصريين وأسرت ملكهم. طنطن: صوّت.

(٢) ما: نافية، وإنْ: زائدة، بمعنى ليس.

(٣) منفيس: هي العاصمة في ذلك التاريخ. كسرى: لقب لكل ملك من ملوك الفرس، والمقصود به هنا قمبيز.

(٤) الآل: السَّراب.

بـنـتُ فـرعـونَ فـي الـسـلاسـل تـمـشـي
أزعـج الـدّهـرَ عُـرْيُـهـا والـحـفـاءُ[١]
فـكـأنْ لـم يـنـهـض بـهَـوْدجـهـا الـدّهـ
ـر ولا سـار خـلـفَـهـا الأمـراءُ[٢]
وأبـوهـا الـعـظـيـم يـنـظـر لـمّـا
رُدِّيَـتْ مـثـلـمـا تـردَّى الإمـاءُ[٣]
أعطيتْ جرَّة وقيل إليك النَّهرَ قومي كما تقوم النساءُ
فمشتْ تُظهر الإباء وتحمي الدّمع أَنْ تسترقَّه الضَّرَّاءُ[٤]
والأعـادي شـواخـصٌ وأبـوهـا
بـيـد الـخـطـب صـخْـرة صَـمَّـاءُ[٥]
فـأرادوا لـيـنـظـروا دمـع فـرعـو
نَ، وفـرعـونُ دمـعُـه الـعَـنْـقـاءُ[٦]
فـأروْه الـصـديـقَ فـي ثـوب فـقـرٍ
يـسـأل الـجـمـع والـسـؤالُ بـلاءُ
فـبـكـى رحـمـة ومـا كـان مَـن يـبـ
ـكـي ولـكـنَّـمـا أراد الـوفـاءُ
هـكـذا الـمـلـكُ والـمـلـوك وإن جا
ر زمـان ورَوَّعَـتْ بَـلْـواءُ

❊ ❊ ❊

لا تَـسَـلْـنـي مـا دولـة الـفـرس! سـاءت
دولـةُ الـفـرس فـي الـبـلاد وسـاؤُوا[٧]

---

(١) الحفاء: أصلها الحفا: المشي بلا خف ولا نعل.
(٢) الهودج: محمل له قبة كانت النساء تركب فيه.
(٣) رُدِّيت: أُلبِست. تردَّى: أصلها تتردى أي تلبس الرداء. الإماء: مفردها أَمة، الجارية.
(٤) استرقّ الشيء: مَلكه. الضَّرَّاء: ضد السَّرَّاء، الشِّدة.
(٥) شواخص: نواظر. (٦) العنقاء: طائر وهمي، يكنى به عن الأمر الصعب المنال.
(٧) يعود ضمير الجمع في «ساؤوا» إلى الفرس.

أمــةٌ هــمُّــهــا الــخــرائــب تُــبْــلــيــ
ـهــا وحَــقُّ الــخــرائــبِ الإعــلاءُ[١]
ســلــبــتْ مــصــرَ عــزّهــا، وكــســتْــهــا
ذِلَّــةً مــا لــهــا الــزّمــانَ انــقــضــاءُ
وٱرتــوى ســيــفــهــا فــعــاجــلــهــا الــلَّــ
ـهُ بــســيــف مــا إنْ لــه إرواءُ[٢]
طِــلْــبــةٌ لــلــعــبــاد كــانــت لإســكــنــ
ـدر فــي نَــيْــلــهــا الــيــدُ الــبــيــضــاءُ[٣]

❊ ❊ ❊

شــاد إســكــنــدرٌ لــمــصــر بــنــاء
لــم تَــشــدْه الــمــلــوك والأمــراءُ
بــلــداً يَــرْحــل الأنــام إلــيــه
ويــحــجُّ الــطــلابُ والــحــكــمــاءُ
عــاش عــمــراً فــي الــبــحــر ثــغــرَ الــمــعــالــي
والــمــنــارَ الــذي بــه الاهــتــداءُ
مــطــمــئــنــاً مــن الــكــتــائــب والــكــتْــ
ـب بــمــا يــنــتــهــي إلــيــه الــعَــلاءُ
يــبــعــث الــضــوءَ لــلــبــلاد فــتــســري
فــي ســنــاه الــفــهــوم والــفــهــمــاءُ
والــجــواري فــي الــبــحــر يُــظــهــرن عــزّ الــ
ـمــلــك والــبــحــرُ صَــوْلــةٌ وثــراءُ[٤]

---

(١) خرائب: مفردها خربة، وهي هنا كناية عن بقايا الآثار.
(٢) ما: نافية، وإنْ: زائدة.
(٣) الإسكندر: هو الإسكندر المقدوني (٣٥٦ـ ٣٢٤ق.م) الذي فتح إمبراطورية الفرس ومنها مصر وأسس فيها مدينة الإسكندرية.
(٤) الجواري: السفن.

والـرعـايـا فـي نـعـمـة، ولـبَـطْـلَـيـ
ـمُـوس فـي الأرض دولـة عَـلْـيـاءُ[١]
فـقـضـى الـلَّـه أَنْ تـضـيِّـع هـذا الـ
ـمـلـك أَنْـثـى صـعـب عـلـيـهـا الـوفـاءُ[٢]
تَـخِـذَتْـهـا روما إلـى الـشّـرِّ تـمـهـيـ
ـداً، وتـمـهـيـدُه بـأنـثـى بـلاءُ
فـتـنـاهَـى الـفـسـاد فـي هـذه الأر
ض وجـاز الأبـالـسَ الإغـواءُ
ضـيَّـعـتْ قـيـصـرَ الـبـريّـة أَنْـثـى
يـا لَـرَبِّـي مـمـا تـجـرّ الـنّـسـاءُ[٣]
فـتـنـت مـنـه كـهـفَ روما الـمـرجَّـى
والـحُـسَـامَ الـذي بـه الاتـقـاءُ[٤]
قـاهـرَ الـخـصـم والـجَـحـافِـلِ مـهـمـا
جـدّ هـولُ الـوَغَـى وجـدّ الـلِّـقـاءُ
فـأتـاهـا مَـنْ لـيـس تـمـلـكـه أَنْـ
ـشـى ولا تـسـتـرقُّـه هَـيْـفـاءُ[٥]
بـطـلُ الـدولـتـيـن حـامـي حِـمَـى رُو
مـا الـذي لا تـقـوده الأهـواءُ[٦]؟
أخـذ الـمـلـكَ وهـي فـي قـبـضـة الأفـ
ـعـى عـن الـمـلـك والـهـوى عـمـيـاءُ[٧]

---

(١) بطليموس: حاكم مصر (٣٢٣ـ ٣٠٥ق.م) ومؤسس دولة البطالسة.
(٢) أنثى: المقصود، كليوباترة الملكة الشهيرة التي حكمت مصر.
(٣) قيصر: المقصود هنا أنطونيوس. (٤) الكهف: الملجأ. الحسام: السيف.
(٥) مَنْ ليس تملكه أنثى: المقصود هنا القيصر إكتافيوس.
(٦) الدولتان: دولة الغرب ودولة الشَّرق.
(٧) وهي: أي كليوباترة.

سلبتها الحياةَ فاْعجبْ لرَقطا
ءَ أراحت منها الورى رقطاءُ[١]
لم تُصب بالخداع نجحاً ولكن
خدعوها بقولهم حسناءُ
قتلت نفسها وظنت فداءً
صَغُرت نفسُها وقلَّ الفداءُ
سَلْ كِلوبَترةَ المكايد هلَّا
صدّها عن ولاء روما الدهاءُ؟
فبروما تأيَّدت، وبروما
هي تشقى وهكذا الأعداءُ
ولروما المُلْك الذي طالما وا
فاه في السر نصحُها والولاءُ
وتولت مصراً يمينٌ على المصـ
ـريِّ من دون ذا الورى عَسْراءُ
تُسمعُ الأرضُ قيصراً حين تدعو
وعقيمٌ من أهل مصر الدعاءُ[٢]
ويُنيل الورى الحقوقَ فإن نا
دته مصرٌ فأُذْنه صمَّاءُ
فاْصبري مصرُ للبلاء، وأنَّى
لكِ؟ والصبر للبلاء بلاءُ
ذا الذي كنت تَلْتَجينَ إليه
ليس منه إلى سواه التجاءُ

❊ ❊ ❊

(١) الورى: الناس. الرّقطاء: الحيّة التي يُخالط بياضها نقط سوداء، أو العكس.
(٢) عقيم: لا خير فيه.

ربِّ شُـقـت الـعـبـاد أزمـانَ لا كـتْـ
ـبٌ بـهـا يُـهـتـدى ولا أَنْـبـيـاءُ[١]
ذهـبـوا فـي الـهـوى مـذاهـبَ شـتّـى
جـمـعـتـهـا الـحـقـيـقـةُ الـزهـراءُ
فـإذا لـقّـبـوا قـويًّـا إلٰـهـاً
فـلـه بـالـقُـوى إلـيـك انـتـهـاءُ
وإذا آثـروا جـمـيـلاً بـتـنـزيـ
ـهٍ فـإنّ الـجـمـال مـنـك حِـبَـاءُ[٢]
وإذا أَنْـشـؤوا الـتـمـاثـيـل غُـرًّا
فـإلـيـك الـرمـوزُ والإيـمـاءُ[٣]
وإذا قـدّروا الـكـواكـب أربـا
بـاً، فـمـنـك الـسَّـنـا ومـنـك الـسَّـنـاءُ[٤]
وإذا ألّـهـوا الـنـبـاتَ فـمـن آ
ثـار نُـعـمـاك حـسـنـهُ والـنَّـمـاءُ
وإذا يـمّـمـوا الـجـبـال سـجـوداً
فـالـمـراد الـجـلالـة الـشـمَّـاءُ[٥]
وإذا تُـعـبـد الـبـحـارُ مـع الأسـ
ـمـاك والـعـاصـفـاتُ والأنـواءُ
وسـبـاعُ الـسـمـاء والأرض والأر
حـامُ والأمّـهـات والآبـاءُ
لـعـلاك الـمـذكَّـرات عـبـيـدٌ
خُـضَّـعٌ والـمـؤنَّـثـات إمـاءُ[٦]

(١) شاق: من شاقه الحب إليه، أي هاجه.
(٢) التنزيه: التقديس والتعظيم. الحِباء: الهبة والعطاء.
(٣) الرموز: مفردها رمز، والرمز والإيماء: الإشارة.
(٤) السّنا: النور. السّناء: الرّفعة. (٥) الشَّمَّاء: الرفيعة.
(٦) المذكّرات: ما كان مذكراً من الآلهة. الإماء: مفردها أمَة، الجارية.

جـمـع الـخُـلْـقَ والـفـضـيـلـةَ سِـرٌّ
شـفَّ عـنـه الـحـجـابُ فـهـو ضـيـاءُ

❊ ❊ ❊

سـجـدت مـصـر فـي الـزّمـان لإيـزيـ
ـس الـنَّـدى مَـنْ لـهـا الـيـد الـبـيـضـاءُ[١]
إن تَـلِ الـبَـرَّ فـالـبـلاد نُـضَـارٌ
أو تَـلِ الـبـحـرَ فـالـرّيـاح رُخـاءُ[٢]
أو تـلِ الـنّـفـس فـهـي فـي كـلّ عـضـو
أو تَـلِ الأفـق فـهـي فـيـه ذُكـاءُ[٣]
قـيـل: إيـزيـس ربـةَ الـكـون لـولا
أن تَـوحَّـدْتِ لـم تـكُ الأشـيـاءُ
وٱتّـخـذْتِ الأنـوار حُـجْـبـاً فـلـم تُـبـ
ـصـرْكِ أرضٌ ولا رأتـك سـمـاءُ
أنـت مـا أظـهـر الـوجـود ومـا أخـ
ـفـى وأنـت الإظـهـار والإخـفـاءُ
لـك آبـيـسُ والـمُـحَـبَّـبُ أوزيـ
ـريـس وابـنـاه كـلّـهـم أولـيـاءُ[٤]
مُـثّـلـت لـلـعـيـون ذاتُـك والـتـمـ
ـثـيـلُ يـدنِـي مَـنْ لا لـه إدنـاءُ
وٱدّعـاك الـيـونـان مـن بـعـد مـصـرٍ
وتـلاه فـي حُـبّـك الـقـدمـاءُ

(١) إيزيس: إلّهة من آلهة المصريين القدماء.
(٢) النُّضار: الذهب. رُخاء: لينة.
(٣) ذُكاء: من أسماء الشمس.
(٤) آبيس: اسم الثور، معبود المصريين القدماء. أوزيريس: الإله الحارس للموتى عند المصريين القدماء.

فـإذا قـيـل مـا مـفـاخـر مـصـرٍ
قـيـل: مـنـهـا إيـزيـسـهـا الـغـرّاءُ

❊ ❊ ❊

ربّ هـذي عـقـولـنـا فـي صِـبـاهـا
نـالـهـا الـخـوف واسـتـبـاهـا الـرّجـاءُ
فـعـشِـقـنـاك قـبـل أَنْ تـأتـيَ الـرُّسْـ
ـل وقـامـت بـحـبّـك الأعـضـاءُ
ووصـلـنـا الـسُّـرى فـلـولا ظـلام الـ
ـجـهـل لـم يَـخْـطُـنـا إلـيـك اهـتـداءُ[1]
واتّـخـذنـا الأسـمـاء شـتّـى فـلـمّـا
جـاء مـوسـى أنـتـهـت لـك الأسـمـاءُ
حـجَّـنـا فـي الـزّمـان سـحـراً بـسـحـر
وأطـمـأنـت إلـى الـعـصـا الـسـعـداءُ[2]
ويـريـد الإلـه أَنْ يُـكْـرَمَ الـعـقـ
ـلُ وألَّا تُـحـقَّـر الآراءُ
ظـنّ فـرعـونُ أَنَّ مـوسـى لـه وا
فٍ وعـنـد الـكـرام يُـرجـى الـوفـاءُ
لـم يـكـن فـي حـسـابـه يـوم رَبَّـى
أنْ سـيـأتـي ضـدّ الـجـزاءِ الـجـزاءُ
فـرأى الـلَّـه أَنْ يَـعُـقَّ ولـلَّـ
ـهِ تَـفـي لا لـغـيـره الأنـبـيـاءُ
مـصـر مـوسـى عـنـد انـتـمـاء ومـوسـى
مِـصـرُ إن كـان نـسـبـةٌ وانـتـمـاءُ

(١) السّرى: السير ليلاً. لم يخْطنا: لم يجاوزنا.
(٢) حجّ: غلب بالحُجّة.

فـبـه فـخـرهـا الـمـؤيَّـد مـهـمـا
هُـزَّ بـالـسـيـد الـكـلـيـم الـلـواءُ[١]
إن تكن قد جفتْه في ساعة الشَّك فحظ الكبير منها الجفاءُ
خـلَّـة لـلـبـلاد يـشـقـى بـهـا الـنـا
س وتـشـقـى الـدّيـار والأبـنـاءُ
فـكـبـيـر ألَّا يُـصـان كـبـيـرٌ
وعـظـيـم أَنْ يُـنـبـذ الـعـظـمـاءُ

❊ ❊ ❊

وُلـد الـرفـقُ يـوم مـولـد عـيـسـى
والـمـروءاتُ والـهـدى والـحـيـاءُ
وٱزدهـى الـكـون بـالـولـيـد وضـاءت
بـسَـنـاه مـن الـثـرى الأرجـاءُ
وسـرتْ آيـة الـمـسـيـح كـمـا يـسـ
ـري مـن الـفـجـر فـي الـوجـود الـضـيـاءُ
تـمـلأ الأرضَ والـعـوالـمَ نـوراً
فـالـثـرى مـائـج بـهـا وضّـاءُ
لا وعـيـدٌ، لا صـولـة، لا انـتـقـام
لا حـسـام، لا غـزوة، لا دمـاءُ
مـلـكٌ جـاور الـتـرابَ فـلـمّـا
مـلَّ نـابـت عـن الـتـراب الـسـمـاءُ[٢]
وأطـاعـتـه فـي الإلٰـه شـيـوخ
خُـشَّـع خُـضَّـع لـه ضـعـفـاءُ

(١) هُزّ: يقال: هز الكوكب، أي انقضّ، والمعنى، مهما تعرّض للشدة والخذلان.
(٢) ناب: قام مقام الآخر في الأمر، ونابت عن التراب السماء: إشارة إلى رفعه إلى السماء.

أذعــن الــنّــاس والــمــلــوك إلــى مــا
رســمــوا والــعــقــول والــعــقــلاءُ
فــلــهــم وقــفــة عــلــى كــل أرض
وعــلــى كــل شــاطــئ إرســاءُ
دخــلــوا ثــيــبــةً فــأحــســن لــقــيــا
هــم رجــال بــثــيــبــةٍ حــكــمــاءُ[١]
فــهــمــوا الــســرَّ حــيــن ذاقــوا وســهــلٌ
أن يــنــال الــحــقــائــقَ الــفُــهــمــاءُ[٢]
فــإذا الــهــيــكــل الــمــقــدّس ديــرٌ
وإذا الــديــر رونــق وبــهــاءُ
وإذا ثــيــبــةٌ لــعــيــســى ومــنــفــيــ
ـسُ ونــيــلُ الــثــراء والــبــطــحــاءُ[٣]
إنّــمــا الأرضُ والــفــضــاءُ لــربــي
ومــلــوك الــحــقــيــقــة الأنــبــيــاءُ
لــهُــمُ الــحــبُّ خــالــصــاً مــن رعــايــا
هــم وكــلّ الــهــوى لــهــم والــوَلاءُ
إنّــمــا يــنــكــر الــديــانــاتِ قــومٌ
هــم بــمــا يــنــكــرونــه أشــقــيــاءُ
هَــرِمَــت دولــة الــقــيــاصــر والــدّو
لاتُ كــالــنّــاس داؤهــنّ الــفــنــاءُ[٤]
لــيــس تُــغــنــي عــنــهــا الــبــلادُ ولا مــا
لُ الأقــالــيــم إن أتــاهــا الــنــداءُ[٥]

---

(١) ثيبة: اسم مدينة مصرية قديمة. (٢) السّر: أي سرّ عبادة اللّه.
(٣) البطحاء: جمعها بطاح، مسيل واسع من الماء فيه رمل ودُقاق الحصى.
(٤) هَرِمَ: كَبِرَ. دولة القياصر: المراد، الدولة الرومانية.
(٥) النداء: المعنى، نداء الغناء.

نـــال رومـــا مـــا نـــال مـــن قـــبـــل آثـيـــ
ـنـا وسِـيـمـتْـه ثـيـبـةُ الـعَـصْـمـاءُ[١]
سـنّـةُ الـلَّـه فـي الـمـمـالـك مـن قـبـــ
ـلُ ومـن بَـعْـدُ، مـا لِـنُـعـمـى بـقـاءُ

❊ ❊ ❊

أظـلـم الـشَّـرق بـعـد قـيـصـرَ والـغـر
بُ وعـــمّ الـــبـــريّـــة الإدجـــاءُ[٢]
فـــالـــورى فـــي ضـــلالـــه مـــتـــمـــادٍ
يـفـتـكُ الـجـهـلُ فـيـه والـجـهـلاءُ
عـرَّف الـلَّـهَ ضِـلَّـةً، فـهـو شـخـص
أو شِـــهـــاب أو صـــخـــرة صـــمّـــاءُ[٣]
وتـولّـى عـلـى الـنُّـفـوس هـوى الأو
ثـان حـتّـى ٱنـتـهـت لـه الأهـواءُ
فـرأى الـلَّـه أَنْ تُـطَـهَّـر بـالـسـيـــ
ـف وأنْ تـغـسِـل الـخـطـايـا الـدّمـاءُ
وكـذاك الـنُّـفـوسُ وهـي مِـراض
بـعـضُ أعـضـائـهـا لـبـعـضٍ فـداءُ
لـم يُـعـادِ الـلَّـهُ الـعـبـيـدَ ولـكـن
شَـقِـيَـت بـالـغـبـاوةِ الأغـبـيـاءُ
وإذا جـلَّـت الـذُّنـوب وهـالـت
فـمـن الـعـدل أَنْ يَـهُـولَ الـجـزاءُ
أشـرق الـنُّـور فـي الـعـوالـم لـمّـا
بـشّـرتـهـا بـأحـمـدَ الأنـبـاءُ

(١) سامه الأمر: كلّفه إياه. (٢) الإدجاء: الظلام.
(٣) ضِلّة: أي ضلالاً. شهاب: شُعلة مُضيئة، وغالباً ما يطلق على الكوكب.

باليتيم الأُمِّيِّ والبَشَر المو
حَى إليه العلومُ والأسماءُ
قوّةُ اللَّه إنْ تولّت ضعيفاً
تعبَتْ في مِرَاسه الأقوياءُ[١]
أشرفُ المرسَلين، آيتُه النط
ـق مُبيناً، وقومُه الفصحاءُ
لم يَفُهْ بالنوابغ الغُرِّ حتّى
سبق الخلقَ نحوه البلغاءُ
وأتتْه العقول منقادة اللُّبِّ ولبَّى الأعوانُ والنّصراءُ[٢]
جاء للنّاس، والسرائرُ فوضى
لم يؤلِّف شتاتَهن لواءُ[٣]
وحِمى اللَّه مستباحٌ وشرعُ اللَّهِ والحقُّ والصوابُ وراءُ
فلجبريل جَيْئةٌ ورَواح
وهبوط إلى الثّرى وارتقاءُ
يُحسَب الأفْقُ في جناحيه نورٌ
سُلِبتْه النُّجومُ والجوزاءُ
تلك آي الفرقان أرسلها اللَّـ
ـهُ ضياءً يَهدي به مَنْ يشاءُ[٤]
نَسخت سُنّةَ النبيّين والرُّسـ
ـل كما يَنسَخُ الضياءَ الضياءُ
وحماها غُرٌّ كرامٌ أشدّا
ءُ على الخصم بينهم رُحَماءُ

(١) المِراس: القوة والشدة، والمعنى هنا، المأخذ والمعالجة.
(٢) اللّب: خالص كلّ شيء، أو ما ذكا من العقل.
(٣) الشّتات: التفرّق. (٤) الآي: جمع آية.

أمــةٌ يــنــتــهــي الــبــيــان إلــيــهــا
وتــؤول الــعــلــومُ والــعــلــمــاءُ[١]
جــازت الــنــجــمَ واطــمــأنــتْ بــأُفْــق
مــطــمــئــنٍ بــه الــسَّــنــا والــســنــاءُ
كــلــمــا حــثَّــتِ الــركــاب لأرض
جــاور الــرشــدُ أهــلــهــا والــذكــاءُ[٢]
وعــلا الــحــق بــيــنــهــم وســمــا الــفــضــ
ـل ونــالــت حــقــوقَــهــا الــضــعــفــاءُ
تــحــمــلُ الــنــجــمَ والــوســيــلــةَ والــمــيـ
ـزانَ مــن ديــنــهــا إلــى مَــنْ تــشــاءُ
وتُــنــيــلُ الــوجــودَ مــنــه نــظــامــاً
هــو طــبُّ الــوجــود وهــو الــدواءُ
يــرجــع الــنّــاسُ والــعــصــورُ إلــى مــا
سَــنَّ والــجــاحــدون والأعــداءُ
فيه ما تشتهي العزائم إنْ همَّ ذووها ويشتهي الأذكياءُ
فــلِــمَــنْ حــاول الــنــعــيــمَ نــعــيــمٌ
ولِــمَــنْ آثــر الــشــقــاءَ شــقــاءُ
أيَرى الــعُــجْــمُ مــن بــنــي الــظــلِّ والــمــا
ءِ عــجــيــبــاً أَنْ تُــنــجِــب الــبــيــداءُ[٣]
وتُــثــيــرُ الــخــيــام آســادَ هــيــجــا
ءَ تــراهــا آســادَهــا الــهــيــجــاءُ
مــا أَنَــافــت عــلــى الــســواعــد حــتّــى الــ
ـأرضُ طــرًّا فــي أســرهــا والــفــضــاءُ

(١) تؤول: تعود وترجع.
(٢) حثّ الرّكاب: حضّها على السير. والمعنى، كلما انتقلت إلى أرض.
(٣) أنجب الرجل: ولد ولداً نجيباً.

تشهد الصّينُ والبحار وبغدا
د ومصرٌ والغربُ والحمراءُ[١]
مَنْ كعمرو البلاد والضادُ ممّا
شاد فيها والملّةُ الغرّاءُ
شاد للمسلمين ركناً جُسَاماً
ضافِيَ الظلّ دأْبُه الإيواءُ[٢]
طالما قامت الخلافة فيه
فأطمأنت وقامت الخلفاءُ
وأنتهى الدين بالرجاء إليه
وبنو الدين إذ هُم ضعفاءُ
مَنْ يَصُنْه يَصُنْ بقية عزٍّ
غَيَّضَ التَّركُ صفوَه والثَّواءُ[٣]
فأبك عَمراً إنْ كنت منصف عمرٍو
إنَّ عمراً لَنَيِّرٌ وضّاءُ
جاد للمسلمين بالنِّيل، والنِّيـ
ـل لمَنْ يقتنيه أفريقاءُ
فهي تعلو شأناً إذا حُرِّر النِّيـ
ـل وفي رِقِّهِ لها إزراءُ[٤]

❊ ❊ ❊

وأذكر الغرَّ آل أيوب وأمدح
فمن المدح للرِّجال جزاءُ[٥]

(١) الحمراء: اسم قصر غرناطة الشهير بالفن الأندلسي.
(٢) الجُسام: بمعنى الجسيم أي العظيم.
(٣) غَيّض: أنقص من قيمته. الثَّواء: الإقامة.
(٤) إزراء: من فعل أزرى، أي عاب.
(٥) آل أيوب: إشارة إلى الدولة الأيوبية التي حكمت مصر.

هـم حـمـاةُ الإسـلام والـنـفـرُ الـبِـيْـ
ـضُ الـمـلـوكُ الأعـزّةُ الـصُّـلَـحـاءُ[١]
كـلّ يـوم بـالـصـالـحـيـة حـصـنٌ
وبِـبَـلـبَـيـسَ قـلـعـة شـمَّـاءُ[٢]
وبـمـصـرٍ لـلـعـلـم دار ولِـلـضـيـ
ـفـان نـار عـظـيـمـة حـمـراءُ
ولأعـداء آل أيـوب قـتـلٌ
ولأسـراهـمُ قِـرًى وثـواءُ[٣]
يـعـرفُ الـديـنُ مَـنْ صـلاحٌ ويـدري
مَـنْ هـو الـمـسـجـدان والإسـراءُ[٤]
إنّـه حـصـنُـه الـذي كـان حـصـنـاً
وحِـمَـاه الـذي بـه الاحـتـمـاءُ
يـوم سـار الـصّـلـيـبُ والـحـامـلـوه
ومـشـى الـغـربُ قـومُـه والـنـسـاءُ
بـنـفـوس تـجـول فـيـهـا الأمـانـي
وقـلـوبٍ تـثـور فـيـهـا الـدِّمـاءُ
يـضـمـرون الـدَّمـار لـلـحـق والـنّـا
س وديـن الـذيـن بـالـحـق جـاؤُوا
ويـهـدُّون بـالـتـلاوةِ والـصُّـلـ
ـبـان مـا شـاد بـالـقـنـا الـبـنَّـاءُ
فـتـلـقَّـتـهُـمُ عـزائـمُ صـدق
نُـصّ لـلـدِّيـن بـيـنـهـنّ خِـبـاءُ[٥]

(١) البِيْض: مفردها أبيض: السّيف، وهي كناية عن القوة والبطش.
(٢) بلبيس: بلدة في شمال القاهرة تحضّرت فيها قبائل العرب.
(٣) القِرى: الضِّيافة. الثَّواء: الإقامة. (٤) صلاح: هو صلاح الدين الأيوبيّ.
(٥) نُصّ: رُفع. الخِباء: ما يصنع من وبر أو شَعر للسكن.

مَـزَّقـت جـمـعَـهـم عـلـى كـلّ أرض
مـثـلـمـا مـزَّق الـظـلامَ الـضـيـاءُ
وسـبـت أمـرد الـمـلـوك فـردّتـ
ـهُ ومـا فـيـه لـلـرعـايـا رجـاءُ[١]
ولـو أنّ الـمـلـيـك هِـيـبَ أذاه
لـم يـخـلّـصـه مـن أذاهـا الـفـداءُ
هـكـذا الـمـسـلـمـون والـعـرب الـخـا
لـون لا مـا يـقـولـه الأعـداءُ
فـبـهـم فـي الـزّمـان نـلـنـا الـلّـيـالـي
وبـهـم فـي الـورى لـنـا أَنْـبـاءُ[٢]
لـيـس لـلـذلّ حـيـلـةٌ فـي نـفـوس
يـسـتـوي الـمـوتُ عـنـدهـا والـبـقـاءُ

❊ ❊ ❊

وٱذكـر الـتّـركَ إنـهـم لـم يُـطـاعـوا
فـيـرَى الـنّـاس أحـسـنـوا أم أسـاؤُوا
حـكـمـت دولـة الـجـراكـس عـنـهـم
وهـي فـي الـدّهـر دولـة عَـسْـراءُ[٣]
وٱستبدّت بالأمر منهم فباشا التّرك في مصر آلة صمّاءُ
يـأخـذ الـمـاءَ مـن مـواعـيـدَ مـا كـا
نـوا لـهـا مـنـجـزيـن فـهـي هـبـاءُ
ويـسـومـونـه الـرّضـا بـأمـور
لـيـس يَـرْضَـى أقـلـهـنّ الـرّضـاءُ[٤]

(١) سبى: أَسَرَ. وأمرد الملوك: ملك فرنسا لويس التاسع، الذي أُسِر ثم فدى نفسه وأهله وعساكره بالمال.
(٢) الورى: الناس.
(٣) الجراكس: المماليك. عسراء: شديدة، ظالمة.
(٤) سامه الأمر: كلّفه إياه.

فـيُـدَاري لـيـعـصِـمَ الـغـدَ مـنـهـم
والـــمـــداراة حـــكـــمـــةٌ ودهـــاءُ
وأتـى الـنَّـسْـرُ يـنـهـب الأرض نَـهْـبـاً
حـولـه قـومُـه الـنـسـورُ ظِـمَـاءُ[١]
يـشـتـهـي الـنِّـيـلَ أَنْ يَـشـيْـدَ عـلـيـه
دولـةً عـرضُـهـا الـثَّـرى والـسـمـاءُ
حَـلـمـتْ رومـةٌ بـهـا فـي الـلّـيـالـي
ورآهـــا الـــقـــيـــاصـــرُ الأقـــويـــاءُ
فـأتـت مـصـرَ رُسْـلُـهـم تـتـوالـى
وتـرامـت سـودانَـهـا الـعـلـمـاءُ[٢]
ولـو اسْـتـشـهـد الـفـرنـسـيـسُ روما
لأتَـــتْـــهـــم مـــن رومـــةَ الأنـــبـــاءُ
عـلـمَـتْ كـل دولـة قـد تـولّـت
أنـــنـــا سُـــمُّـــهـــا وأنّـــا الـــوبـــاءُ
قـاهـرُ الـعـصـر والـمـمـالـك نـابـلـ
ـيـونُ ولّـتْ قـوّادُه الـكُـبـراءُ
جـاء طـيـشـاً، وراح طـيـشـاً ومـن قـبـ
ـلُ أطـاشـت أُنَـاسَـهـا الـعـلـيـاءُ
سـكـتـت عـنـه، يـوم عـيَّـرهـا، الأهـ
ـرام، لـكـن سـكـوتُـهـا اسـتـهـزاءُ
فـهـي تـوحـي إلـيـه أَنْ تـلـك (واتـر
لـو) فـأيـن الـجـيـوش أيـن الـلّـواءُ[٣]

(١) النسر: المقصود به نابليون بونابرت.
(٢) ترامى: ترامى الناس أي رمى بعضهم بعضاً.
(٣) واتِرْلُو: مقاطعة في بلجيكا دارت فيها معركة بين نابليون من جهة والإنكليز وحلفائهم من جهة أخرى حيث هُزم نابليون وتم نفيه عام ١٨١٥م إلى جزيرة (سانت هيلانة).

الهمزيَّة النَّبويَّة

[من الكامل]

وُلـد الـهـدى فـالـكـائـنـات ضـيـاءُ
وفـمُ الـزّمـان تـبـسُّـم وثـنـاءُ
ألـرُّوح والـمـلأ الـمـلائـكُ حَـوْلـهُ
لـلـدِّيـن والـدُّنـيـا بـه بُـشَـراءُ[١]
والـعـرش يـزهـو والـحـظـيـرة تـزدهـي
والـمـنـتـهـى والـسِّـدرةُ الـعـصـمـاءُ[٢]
وحـديـقـةُ الـفـرقـان ضـاحـكـةُ الـرّبـى
بـالـتَّـرجُـمـانِ شَـذيَّـةٌ غـنّـاءُ[٣]
والـوحـي يـقـطـر سَـلـسَـلاً مـن سَـلـسـل
والـلّـوح والـقـلـم الـبـديـعُ رُواءُ[٤]
نُـظِـمَـتْ أسـامـي الـرُّسْـلِ فـهـي صـحـيـفـةٌ
فـي الـلّـوح واسـمُ مـحـمّـد طُـغـرَاءُ[٥]
إسـمُ الـجـلالـة فـي بـديـع حـروفِـهِ
أَلِـفٌ هـنـالـك واسـم طـه الـبـاءُ

❊ ❊ ❊

يـا خـيـر مَـنْ جـاء الـوجـود تـحـيَّـةً
مـن مُـرْسَـلـيـن إلـى الـهـدى بـك جـاؤُوا

(١) الروح: لقب جبريل. الملأ: أشراف القوم. الملائك: الملائكة. بشراء: جمع بشير.
(٢) يزهو: يشرق. السّدرة: أي سدرة المنتهى، وهي شجرة عن يمين العرش.
(٣) الرّبى: مفردها ربوة وهي ما ارتفع من الأرض.
(٤) الرُّواء: النضرة وحسن المنظر.
(٥) الطُّغراء: أصلها طُغرى وهي التي تكتب بالقلم العريض.

بيتُ النبيّين الذي لا يلتقي
إلّا الحنائفُ فيه والحُنفاءُ[١]
خيرُ الأبوّةِ حازَهم لكَ آدم
دونَ الأنام وأحرزَتْ حَوّاءُ
هم أدركوا عِزَّ النبوّةِ وانتهت
فيها إليكَ العزَّةُ القعساءُ[٢]
خُلِقت لبيتكَ وهو مَخلوقٌ لها
إنّ العظائِم كفؤها العظماءُ
بكَ بَشّرَ اللَّهُ السّماء فزُيِّنَت
وتضَوَّعت مسْكاً بك الغبراءُ[٣]
وبدا محيّاك الذي قَسماتُه
حَقٌّ وغرّتُه هدًى وحياءُ[٤]
وعليه من نورِ النبوّةِ رونقٌ
ومن الخليل وهَدْيِهِ سيماءُ[٥]
أثنى المسيحُ عليه خلفَ سمائه
وتهلَّلت واهتَزتِ (العذراءُ)[٦]
يومٌ يتِيهُ على الزّمان صَباحه
ومَساؤه بمحمّدٍ وضّاءُ
ألحقُّ عالي الركنِ فيه مُظَفَّرٌ
في المُلكِ لا يعلو عليه لواءُ

---

(١) الحنائف: مفردها حنيفة، والحنفاء: جمع حنيف، أي كل من كان صحيح الميل للإسلام وعلى دين إبراهيم عليه السلام.
(٢) القعساء: المنيعة. (٣) تضوّع: انتشر. الغبراء: الأرض.
(٤) القسمة: هي من الوجه ما بين الوجنتين والأنف، وجمعها قسمات.
(٥) الخليل: النَّبي إبراهيم عليه السلام. السيماء: العلامة والهيئة.
(٦) العذراء: السيدة مريم.

ذعِـرَت عـروشُ الـظـالـمـيـن فـزُلـزِلـت
وعـلَـت عـلـى تـيـجـانِـهـم أصْـداءُ
والـنّـار خـاويـة الـجـوانـب حـولَـهُـمْ
خَـمَـدَتْ ذوائِـبُـهـا وغـاض الـمـاءُ[١]
والآي تَـتْـرَى والْـخَـوَارقُ جَـمَّـة
جـبـريـلُ رَوَّاحٌ بـهـا غَـدّاءُ[٢]
نِـعْـمَ الـيـتـيـمُ بَـدَت مَـخـايـلُ فـضـلِـهِ
والـيُـتـمُ رزق بـعـضُـهُ وذكـاءُ[٣]
فـي الـمـهـد يُـستَـسْـقـى الـحـيـا بـرجـائـه
وبـقـصْـدِهِ تُـسـتـدفـع الـبـأسـاءُ[٤]
بِـسِـوَى الأمـانـة فـي الـصّـبـا والـصـدق لـم
يـعـرفْـهُ أهـل الـصّـدق والأمـنـاءُ
يـا مَـنْ لـه الأخـلاق مـا تـهـوى الـعـلا
مـنـهـا ومـا يَـتَـعَـشَّـقُ الـكُـبـراءُ
لـو لـم تُـقِـمْ دينـاً، لـقـامـت وحـدَهـا
ديـنـاً تُـضِـيءُ بـنُـورِهِ الآنـاءُ
زانـتـك فـي الـخـلـقِ الـعـظـيـم شـمـائـلٌ
يُـغـرَى بـهـنّ ويُـولـعُ الـكُـرمـاءُ
أمـا الـجـمـال فـأنـت شـمـسُ سـمـائـه
ومـلاحـة (الـصـدّيـق) مـنـك إيـاءُ[٥]

---

(١) خمدت: سكنت. الذوائب: مفردها ذؤابة، وهي أعلى كل شيء والمعنى هنا ألسنة اللّهب.
(٢) الآي: مفردها آية. تترى: تتوالى وتتتابع. روّاح: أي يروح. غدّاء: أي يغدو.
(٣) المخايل: مفردها المَخِيلَة، أي المَظنّة.
(٤) استسقى: من الإستسقاء أي طلب السقي. الحيا: المطر.
(٥) إياء: مفردها إيَا: أي الحسن أو النور.

والحسنُ من كرم الوجوهِ وخيرُه
ما أُوتي القُوّادُ والزّعماءُ
فإذا سَخَوْتَ بلغت بالجود المدى
وفعلت ما لا تفعلُ الأنواءُ[١]
وإذا عَفَوْتَ فقادراً ومقدّراً
لا يستهين بِعفوِك الجُهلاءُ
وإذا رحِمْتَ فأنت أُمٌّ أو أبٌ
هذان في الدُّنيا هما الرُّحَماءُ
وإذا غَضِبْتَ فإنما هي غضبةٌ
في الحق لا ضِغنٌ ولا بغضاءُ[٢]
وإذا رضيتَ فذاك في مرضاته
ورِضَى الكثير تَحلُّمٌ ورِياءُ[٣]
وإذا خَطبْتَ فللمنابر هِزَّةٌ
تَعْرو النَّدِيّ وللقلوب بكاءُ[٤]
وإذا قضيتَ فلا ارتيابَ كأنّما
جاء الخصومَ من السّماء قضاءُ
وإذا حَمَيْتَ الماء لم يُوْرَدْ ولو
أنّ القياصِرَ والملوكَ ظِماءُ[٥]
وإذا أجَرتَ فأنت بيت اللَّه لم
يدخل عليه المستجيرَ عداءُ
وإذا ملكت النفسَ قمْتَ ببرّها
ولو أنّ ما ملكت يَداك الشاءُ

(١) الجود: الكرم. الأنواء: مفردها نوء، المطر.
(٢) الضغن: الحقد.
(٣) التَّحلُّم: تكلُّف الحلم.
(٤) النّديّ: النّادي، المجلس.
(٥) ظِماء: عِطاش.

وإذا بـنـيـتَ فـخـيـرُ زوْج عِـشـرة
وإذا أُبْـتَـنَـيْـتَ فـدونـكَ الآبـاءُ[١]
وإذا صـحـبـت رأى الـوفـاءَ مـجـسـماً
فـي بُـرْدك الأصـحـابُ والـخـلـطـاءُ
وإذا أخـذتَ الـعـهـدَ أو أعـطَـيْـتَـهُ
فـجـمـيـعُ عَـهْـدِكَ ذمّـةٌ ووفـاءُ
وإذا مَـشَـيْـتَ إلـى الـعـدى فـغـضَـنْـفَـرٌ
وإذا جـريْـتَ فـإنـكَ الـنّـكـبـاءُ[٢]
وتَـمُـدُّ حِـلْـمَـكَ لـلـسـفـيـهِ مُـداريـاً
حـتّـى يـضـيـقَ بِـعـرضِـكَ الـسُّـفـهـاءُ
فـي كـل نـفْـسٍ مـن سُـطَـاكَ مـهـابـةٌ
ولـكـل نـفـس فـي نـداكَ رجـاءُ[٣]
والـرأي لـم يُـنْـضَ الـمُـهَـنّـدُ دونـه
كـالـسّـيـفِ لـم تُـضـرب بـه الآراءُ[٤]

❊ ❊ ❊

يـا أيّـهـا الأُمِّـيُّ حـسْـبُـك رتـبـةً
فـي الـعـلـم أَنْ دانَـتْ بـكَ الـعـلـمـاءُ[٥]
ألـذكـرُ آيـة ربّـكَ الـكـبـرى الـتـي
فـيـهـا لـبـاغـي الـمـعـجـزاتِ غَـنَـاءُ[٦]
صَـدْرُ الـبـيـانِ لَـهُ إذا الـتـقـت الـلّـغـى
وتـقـدّم الـبـلـغـاءُ والـفـصـحـاءُ[٧]

(١) بَنيت: من بنى أي زف الرجل إلى زوجته. ابتنيت: من ابتنى أي صار له بنون.
(٢) غضنفر: أسد. النكباء: الريح انحرفت عن مهابّ الرياح.
(٣) السُّطا: مفردها سطوة.
(٤) نضا السيف من غمده: سلّه. المُهنَّد: السيف.
(٥) دان به: اتخذه ديناً.
(٦) الباغي: الطالب، الغَنَاء: ما يُغتنى به.
(٧) اللّغى: مفردها لغة.

نُسِخَتْ به التوراةُ وهي وضيئة
وتخلَّف الإنجيلُ وهو ذُكاءُ[١]
لمّا تمشَّى في الحجاز حكيمُه
قضّت عكاظُ به وقام حِراءُ[٢]
أزرى بمنطِقِ أهلِهِ وبيانهم
وحيٌ يقصِّرُ دونه البلغاءُ[٣]
حسدوا فقالوا: شاعرٌ أو ساحرٌ
ومن الحسود يكون الاستهزاءُ
قد نال بالهادي الكريم وبالهدى
ما لم تَنَلْ من سؤددٍ سيناءُ
أمسى كأنك من جلالك أمةٌ
وكأنه من إنسِه بَيداءُ
يُوحى إليك الفوْزُ في ظلماته
متتابعاً تُجْلَى به الظلماءُ
دينٌ يشيّدُ آيةً فِي آيةٍ
لبنائه السُّوراتُ والأضواءُ
ألحقُّ فيه هو الأساسُ وكيف لا
واللَّهُ جلَّ جلاله البنَّاءُ
أما حديثُكَ في العقول فمشْرَعٌ
والعلمُ والحِكَمُ الغوالي الماءُ[٤]
هو صِبْغةُ الفرقان نفحةُ قُدْسِهِ
والسين من سُوراته والراءُ[٥]

---

(١) ذُكاء: من أسماء الشمس.
(٢) حِراء: جبل شمالي شرقي مكة فيه غار كان يتعبد فيه النبي ﷺ.
(٣) أزرى به: عابه. (٤) مشرع: مورد الشاربة.
(٥) صبغة الفرقان: أي من نوع الفرقان.

جَرتِ الفصاحةُ من ينابيع النُّهى
من دوْحِهِ وتفجَّر الإنشاءُ[١]
في بحرِهِ للسابحين به على
أدبِ الحياةِ وعلمِها إرساءُ
أتتِ الدُّهُورُ على سُلافته ولم
تَفْنَ السُّلافُ ولا سَلا الندماءُ[٢]

❊ ❊ ❊

بك يا ابن عبد اللَّه قامت سمحةٌ
بالحقِّ من مِلَلِ الهدى غرّاءُ[٣]
بُنيت على التوحيد وهي حقيقةٌ
نادى بها سُقْراطُ والقدماءُ
وجد الزعافَ من السُّموم لأجلها
كالشُّهْدِ ثم تتابَعَ الشُّهَداءُ
ومشى على وجه الزّمان بنورها
كهَّانُ وادي النيل والعُرَفاءُ[٤]
إيزيسُ ذاتُ الملك حين توحّدتْ
أخَذتْ قِوامَ أمورها الأشياءُ[٥]
لمّا دعوت النّاسَ لبّى عاقل
وأصَمَّ مِنْك الجاهليين نداءُ
أبَوا الخروجَ إليك من أوهامهم
والنّاسُ في أوهامهم سُجناءُ

(١) الدوح: مفردها دوحة، الشجرة العظيمة المتّسعة.
(٢) السلافة والسلاف: أول الخمر وأفضله.
(٣) السَّمحة: مؤنث السَّمح، يقال: شريعة سمحة أي فيها يسر وسهولة.
(٤) العرفاء: مفردها عرّاف: المنجم.
(٥) إيزيس: من آلهة المصريين القدماء.

ومِـــن الـــعُـــقـــول جـــداولٌ وجـــلامِـــدٌ
ومـــن الـــنُّـــفـــوس حـــرائـــرٌ وإمـــاءُ[١]
داءُ الـجـمـاعـةِ مـن أرسـطـالـيـس لـم
يـــوصَـــف لـــه حـــتـــى أتـــيْـــتَ دواءُ
فـرسَـمْـتَ بـعـدَك لـلـعِـبَـادِ حـكـومـةً
لا ســـوقـــةٌ فـــيـــهـــا ولا أمـــراءُ
ألـلَّـه فـوقَ الـخـلـق فـيـهـا وحـدَهُ
والـنـاسُ تـحـت لـوائـهـا أكـفـاءُ
والـدِّيـنُ يُـسْـرٌ والـخـلافـةُ بَـيـعـةٌ
والأمـرُ شُـورَى والـحـقـوقُ قـضـاءُ
ألإشـتـراكـيّـون أَنْـتَ إمـامُـهـم
لـولا دَعـاوى الـقـوم والـغُـلـوَاءُ[٢]
داويْـتَ مُـتَّـئِـداً وداوَوْا طَـفْـرةً
وأخـفُّ مـن بـعـض الـدواءِ الـدّاءُ[٣]
ألـحـربُ فـي حـقٍّ لـديْـكَ شـريـعـةٌ
ومـن الـسُّـمـوم الـنـاقـعـاتِ دواءُ[٤]
والـبـرُّ عِـنـدكَ ذِمّـةٌ وفـريـضـةٌ
لا مِـنَّـةٌ مـمـنـونـةٌ وجَـبَـاءُ[٥]
جـاءتْ فـوحّـدَتِ الـزكـاة سـبـيـلـه
حـتّـى الـتـقـى الـكُـرَمـاءُ والـبـخـلاءُ
أنـصـفـتَ أهـلَ الـفـقـر مـن أهـل الـغـنـى
فـالـكـلُّ فـي حـقِّ الـحـيـاة سـواءُ

(١) الجداول: مفردها جدول، النهر الصغير. الجلامد: مفردها جلمود، الصخر. الإماء، مفردها أمَة: الجارية.
(٢) الغلواء: الغلو. (٣) متئداً: متأنياً. طفرة: قفزة، وثبة. (٤) الناقعات: القاتلات.
(٥) البِّر: الإحسان والمعروف. الذمة: العهد. المنّة: العطيّة. الممنونة: المتبوعة بالمنِّ. جَبَاء: بمعنى الشيء المجّاني.

فلو أنّ إنساناً تخيَّرَ ملةً
ما اختار إلّا دينكَ الفقراءُ

* * *

يا أيّها المُسْرَى به شرفاً إلى
ما لا تنالُ الشّمسُ والجوْزاءُ[١]
يتساءلون وأنتَ أطهَرُ هيكل
بالروح أم بالهيْكل الإسراءُ[٢]
بهما سَموْتَ مُطهَّرَيْن كلاهما
نورٌ وريحانيةٌ وبهاءُ
فضل عليكَ لذي الجلالِ ومِنةٌ
واللَّهُ يفعلُ ما يرى ويشاءُ
تغشى الغُيُوبَ من العوالم كلّما
طُويت سماء قُلِّدَتْك سماءُ[٣]
في كلّ مِنطقةٍ حواشي نورها
نونٌ وأنت النقطةُ الزهراءُ
أنت الجمال بها وأنت المجتلى
والكفُّ والمِرْآةُ والحسناءُ
ألَّهُ هَيَّأ من حظيرةِ قُدسِهِ
نُزُلاً لذاتك لم يَجُزْهُ عَلاءُ
ألعرشُ تحتكَ سُدّةً وقوائماً
ومناكبُ الرُّوحِ الأمينِ وِطَاءُ[٤]
والرُّسل دون العرشِ لم يؤذَنْ لهمْ
حاشا لغيرك موعد ولقاءُ

* * *

(١) المُسْرى به: من الإسراء أي السير ليلاً. (٢) الهيكل: الجسم والصورة.
(٣) تغشى: تأتي. (٤) الوطاء: ضد الغطاء أي ما يُفترش.

ألـخـيـلُ تـأبـى غـيـرَ أحـمـد حـاميـاً
وبـــهـــا إذا ذُكِـــر اســـمـــه خـــيـــلاءُ
شـيـخُ الـفـوارسِ يـعـلـمـون مـكـانَـه
إنْ هـيَّـجَـتْ آسـادَهـا الـهـيـجـاءُ
وإذا تـصـدّى لـلـظُّـبَـى فـمُـهـنّـدٌ
أو لـلـرّمـاح فـصـعْـدة سـمـراءُ[1]
وإذا رَمـى عـن قـوسِـهِ فـيـمـيـنُـهُ
قـدَرٌ ومـا تَـرْمـي الـيـمـيـنُ قـضـاءُ
مِـنْ كـلِّ داعـي الـحـقّ هـمـةُ سـيـفـه
فـلِـسـيـفـه فـي الـرّاسـيـات مَـضـاءُ[2]
سـاقِـي الـجـريـح ومُـطـعـمُ الأسـرى ومَـنْ
أمِـنَـت سـنـابـكَ خـيـلـه الأشـلاءُ
إنّ الـشـجـاعَـةَ فـي الـرِّجـال غـلاظـةٌ
مـا لـم تـزنـهـا رأفـةٌ وسـخـاءُ
والـحـربُ مـن شـرف الـشّـعـوب فـإنْ بـغـوا
فـالـمـجـدُ مـمـا يـدّعـون بَـرَاءُ
والـحـربُ يَـبـعـثُـهـا الـقـويّ تـجـبُّـراً
ويـنـوءُ تـحـت بـلائِـهـا الـضـعـفـاءُ
كَـمْ مـن غَـزاةٍ لـلـرّسـول كـريـمـةٍ
فـيـهـا رضًـى لـلـحـقِّ أو إعـلاءُ
كـانـت لـجـنـد الـلَّـه فـيـهـا شِـدّةٌ
فـي إثـرِهـا لـلـعـالـمـيـن رَخـاءُ
ضَـرَبُـوا الـضـلالـةَ ضـربـةً ذهـبـت بـهـا
فـعَـلـى الـجـهـالـة والـضـلال عـفـاءُ

(١) الظبى: مفردها ظبة: حدّ السيف. المهنّد: السيف. الصعدة: القناة المستوية.
(٢) مضاء: مضى السيف مضاء أي قطع.

دَعـمـوا عـلـى الـحـرب الـسـلامَ وطـالـمـا
حـقـنـت دِمـاءً فـي الـزّمـان دِمـاءُ

❊ ❊ ❊

ألـحـقُّ عِـرضُ الـلَّـهِ كـلّ أبـيَّـةٍ
بـيـن الـنّـفـوس حـمًـى لـه ووِقـاءُ
هـل كـان حـول مـحـمّـد مـن قـومـه
إلّا صـبـيٌّ واحـد ونـسـاءُ
فـدعـى فـلَـبَّـى فـي الـقـبـائـل عُـصـبـةٌ
مُـسـتَـضـعـفـونَ قـلائـلٌ أَنْـضـاءُ(١)
رَدُّوا بـبـأس الـعـزم عـنـه مـن الأذى
مـا لا تَـرُدُّ الـصّـخـرةُ الـصَّـمـاءُ
والـحـقُّ والإيـمـانُ إن صُـبَّـا عـلـى
بـرد فـفـيـه كـتـيـبـةٌ خـرسـاءُ(٢)
نَـسـفـوا بـنـاءَ الـشـرْك فـهـو خـرائـبٌ
وٱسـتـأصـلـوا الأصـنـام فـهـي هَـبـاءُ(٣)
يـمـشـونَ تُـغـضـي الأرضُ مـنـهـم هـيـبـةً
وبـهـم حـيـال نـعـيـمـهـا إغـضـاءُ
حـتّـى إذا فُـتِـحـتْ لـهـم أطـرافُـهـا
لـم يُـطـغِـهِـم تَـرَفٌ ولا نـعـمـاءُ

❊ ❊ ❊

يـا مَـنْ لَـهُ عِـزُّ الـشـفـاعـةِ وحـدهُ
وهُـو الـمـنَـزّهُ مـا لـه شُـفـعـاءُ
عـرشُ الـقـيـامَـة أَنْـتَ تـحـت لـوائـه
والـحَـوْضُ أَنْـت حـيـالـهُ الـسَّـقـاءُ

(١) الأنضاء: مفردها نضو، الهزيل.
(٢) الكتيبة: الفرقة من الجيش.
(٣) الهباء: الغبار.

تـروي وتـسـقـي الـصّـالـحـيـن ثـوابـهـم
والـــصـــالـــحـــات ذخـــائـــر وجـــزاءُ
أَلِـمِـثْـلِ هـذا ذُقـتَ فـي الـدّنـيـا الـطّـوى
وأنـشَـقَّ مِـنْ خـلَـقٍ عـلـيـكَ رداءُ
لـي فـي مـديـحـك يـا رسُـولُ عـرائـسٌ
تُـيِّـمـن فـيـك وشـاقـهُـنّ جَـلاءُ[1]
هُـنّ الـحـسـانُ فـإنْ قـبـلـت تـكـرمـاً
فـمُـهُـورُهُـنّ شَـفـاعَـةٌ حَـسـنـاءُ
أنـت الـذي نَـظَـمَ الـبـريَّـة ديـنُـهُ
مـاذا يَـقـولُ ويـنـظـم الـشُّـعـراءُ
ألـمُـصـلِـحـون أصـابـعٌ جُـمِـعـت يَـداً
هـي أَنْـت بَـل أَنْـت الـيَـدُ الـبـيـضـاءُ
مـا جـئـتُ بـابـكَ مـادحـاً بـل داعـيـاً
ومـن الـمـديـح تـضَـرُّعٌ ودعـاءُ
أدعُـوك عـن قـومـي الـضِّـعـافِ لأزمـةٍ
فـي مـثـلـهـا يُـلـقـى عـلـيـك رجـاءُ
أدرى رسُـولُ الـلَّـهِ أَنّ نـفـوسَـهـم
ركـبـت هَـواهـا والـقـلـوب هـواءُ
مُـتـفـكِّـكـون فـمـا تـضـمُّ نـفـوسُـهـم
ثـقـةً، ولا جَـمـع الـقـلـوب صـفـاءُ
رقـدُوا وغـرَّهُـمُ نـعـيـمٌ بـاطـلٌ
ونـعـيـمُ قـومٍ فـي الـقُـيـودِ بـلاءُ

❊ ❊ ❊

ظَـلـمُـوا شـريـعـتـك الـتـي نـلـنـا بـهـا
مـا لـم يـنـل فـي رومـة الـفـقـهـاءُ

(١) شاق: من شاقه الحب أي هاجه.

مشتِ الحضارةُ في سَناها واْهتدى
في الدِّين والدُّنيا بها السُّعداءُ
صلّى عليك اللَّه ما صحِب الدُّجى
حادٍ وحنّت بالفلا وجناءُ[1]
واْستقبل الرضوان في غُرفاتهم
بجنان عدن آلُكَ السُّمحَاءُ
خيرُ الوسائل مَنْ يقعْ منهُمْ على
سَببٍ إليك فحسبيَ (الزهراءُ)

(١) الدجى: الليل، الظلام. الوجناء: الناقة الشديدة.

صدى الحرب(*)

[من الطويل]

بِسَيْفك يعلو الحقُّ والحقُّ أغلَبُ
ويُنصرُ دينُ اللَّهِ أيَّانَ تضربُ
وما السيفُ إلّا آيةُ الملكِ في الورى
ولا الأمر إلّا للذي يتغلَّبُ
فأدّب به القوم الطُّغاةَ فإنه
لنِعْمَ المربّي للطغاةِ المؤدّبُ
وداوِ به الدُّولاتِ من كلّ دائها
فنعم الحسامُ الطبُّ والمُتَطَبّبُ(١)
تنامُ خطوب المُلكِ إن بات ساهراً
وإنْ هو نام استيقظت تتألَّبُ
أمِنَّا اللّيالي أنْ نُرَاع بحادثٍ
وأرمينيا ثكلى وحوران أشيبُ(٢)
ومملكةُ اليونانِ محلولةُ العُرَى
رجاؤك يعطيها وخوفُك يَسلبُ
هدَدْت أميرَ المؤمنين كيانها
بأسْطعَ مثلَ الصّبح لا يتكذَّبُ(٣)

(*) «هذه القصيدة هي وصف للمعارك العثمانية اليونانية».

(١) الدُّولات: مفردها الدُّولة أي ما يُتداول وتطلق على المال والغلبة. المتطبب: الذي يتعاطى الطب، أو يعمل في مهنة الطب.

(٢) ثكلى: مصابة ببنيها بسبب تأديب السيف لهم. أشيب: من علا رأسه الشيب من التأنيب والخوف.

(٣) أمير المؤمنين: هو السلطان عبد الحميد. الكيان: الوجود. أسطع مثل الصبح: كناية عن السيف.

وما زال فجراً سيف عثمان صادقاً
يساريه من عالي ذكائكَ كوكبُ[١]
إذا ما صَدعْتَ الحادثات بحدِّه
تكشَّفَ داجِي الخطبِ وٱنجاب غيهبُ[٢]
وهاب العدى فيه خلافَتك التي
لهم مأربٌ فيها وللَّهِ مأربُ

أبوّة أميرِ المؤمنين

سما بكَ يا (عبدَ الحميدِ) أبوّةٌ
ثلاثون، حُضَّارُ الجلالة غُيَّبُ[٣]
قياصرُ أحياناً خلائفُ تارةً
خواقينُ طوراً، والفَخَار المقلَّبُ[٤]
نجومُ سعودِ الملك أقمارُ زَهْوِهِ
لو ٱنّ النُّجومَ الزّهْرَ يَجْمعُها أبُ
تواصَوْا به عصراً فعصراً فزادَه
مُعمّمُهم من هيبةٍ والمُعصَّبُ[٥]
همُ الشّمسُ لم تبرَحْ سماواتِ عزِّها
وفينا ضُحاها والشُّعاعُ المحبَّبُ

الجلوسُ الأسعد

نهضتَ بعرشٍ ينهضُ الدّهرُ دونَه
خشوعاً وتخشاه اللّيالي وتَرْهَبُ

(١) معنى البيت، أن لكل فجر كوكباً، وفجر هذا السيف ذكاؤك الوقّاد.
(٢) الداجي: المظلم. الخطب: المصيبة أو الأمر العظيم. الغيهب: الظلام.
(٣) أبوة: من أبا أبوّة، صار أباً، المقصود هنا آباء. حضّار: جمع حاضر. غُيّب: جمع غائب.
(٤) المراد أن التّرك هم خلفاء المسلمين، وقياصر فيما اقتدى سلطانهم إلى الغرب والشَّرق، وخواقين في ملوكهم.
(٥) المعمّم: صاحب العمامة. المعصّب: صاحب التاج. وكلاهما من مظاهر السلطان.

مـكـيـنٌ عـلـى مـتْـن الـوجـود مـؤيـدٌ
بـشـمـسِ استـواءٍ مـالـهـا الـدّهـرَ مـغـربُ[١]
تَـرَفَّـقْـتْ لـه الأسـواء حـتّـى ٱرتـقـيـتَـه
فـقـمـتَ بـهـا فـي بـعـضِ مـا تـتـنـكّـبُ[٢]
فـكـنـت كـعـيـنٍ ذاتِ جَـرْيٍ كـمـيـنـةٍ
تـفـيـضُ عـلـى مـرِّ الـزمـانِ وتَـعْـذُبُ
مـوكَّـلـةٍ بـالأرض تـنـسـابُ فـي الـثّـرى
فـيـحـيـا، وتـجـري فـي الـبـلاد فـتُـخْـصِـبُ
فـأحـيـيـتَ مـيـتـاً دارسَ الـرسـم غـابـراً
كـأنّـك فـيـمـا جـئـت عـيـسـى الـمـقـرَّبُ[٣]
وشـدتَ مـنـاراً لـلـخـلافـةِ فـي الـورى
تُـشـرِّقُ فـيـهـم شـمـسُـه وتُـغـرِّبُ
سـهِـرتَ ونـام الـمـسـلـمـون بـغـبـطـةٍ
ومـا يـزعـجُ الـنـوامَ والـسـاهـرُ الأبُ
فـنـبَّـهَـنـا الـفـتـحُ الـذي مـا بـفـجـرِه
ولا بـك يـا فـجـرَ الـسـلام مـكـذِّبُ

حلمٌ عظيمٌ وبطشٌ أعْظَم

حسامك من سقراط في الخطب أخطبُ
وعـودُك مـن عُـود الـمـنـابـر أصـلـبُ[٤]
وعـزمُـك مـن (هـومـيـرَ) أمـضَـى بـديـهـةً
وأجـلـى بـيـانـاً فـي الـقـلـوب وأعـذبُ[٥]

(١) مكين: قوي أو عظيم. المتن: الظهر.
(٢) الأسواء: مفردها سوء، أي كل ما يسوء. تتنكّب: تتكبّد، وتتحمل من مشقة.
(٣) دارس: من درس أي بلي. الرسم: ما تبقّى من آثار.
(٤) سقراط: فيلسوف يوناني شهير.
(٥) هومير: يعرف بـ «هوميروس»، عاش في القرن ٩ قبل الميلاد، وهو من أشهر شعراء اليونان القدامى.

وإنْ يـذكـروا (إسـكـنـدراً) وفـتـوحَـه
فـعـهـدُك بـالـفـتـح الـمـحـجَّـل أقـربُ[١]
ومُـلـكُـك أرقـى بـالـدلـيـل حـكـومـةً
وأنـفـذ سـهـمـاً فـي الأمـور وأصـوَبُ
ظـهـرتَ أمـيـر الـمـؤمـنـيـن عـلـى الِعـدى
ظـهـوراً يـسـوء الـحـاسـديـن ويُـتْـعِـبُ
سـلِ الـعـصـر والأيّـام والـنّـاس هـل نَـبـا
لـرأيـك فـيـهـم أو لـسـيـفـك مـضـرِبُ[٢]
هُـمُ مـلـؤوا الـدّنـيـا جَـهـامـاً وراءه
جـهـامٌ مـن الأعـوان أهـذَى وأكـذبُ[٣]
فـلـمّـا ٱسـتـلـلـت الـسـيـف أخـلـب بـرقُـهـم
ومـا كـنـت يـا بـرق الـمـنـيـةِ تـخـلـبُ[٤]
أخـذتَـهُـمُ لا مـالـكـيـن لـحـوضِـهِـم
مـن الـذّوْدِ إلّا مـا أطـالـوا وأسـهَـبُـوا
ولـم يـتـكـلـفْ قـومُـك الأسْـدُ أهـبـةً
ولـكـنّ خُـلـقـاً فـي الـسـبـاع الـتـأهُّـبُ
كـذا الـنّـاسُ بـالأخـلاق يـبـقـى صـلاحـهـم
ويـذهـبُ عـنـهـم أمْـرُهـم حـيـن تـذهـبُ
ومِـن شـرفِ الأوطـان ألّا يـفـوتـهـا
حـسـامٌ مُـعِـزٌّ أو يَـراعٌ مـهـذَّبُ

مُعْجزاتُ الجنودِ على الحُدود

مـلـكـتَ سـبـيـلَـيْـهـم ففـي الـشَّـرق مـضـرِبٌ
لـجـيـشـك مـمـدودٌ وفـي الـغـرب مـضـربُ[٥]

(١) المحجّل: المشهور أو المُشرق. (٢) نبا: يقال: نبا السيف أي فلّ.
(٣) الجهام: السحاب لا قطر فيه. أهذى: من هذأ الكلام أي أكثر من الخطإ فيه.
(٤) أخلب برقهم: البرق الخلّب أي الخادع والمعنى كذبوا وخادعوا.
(٥) مضرب: مكان الإقامة والمقصود هنا مكان إقامة الجيش.

ثمانون ألفاً أُسدُ غابٍ ضراغم
لها مِخْلَبٌ فيهم وللموتِ مخلبُ
إذا حَلَمت فالشرُّ وسْنانُ حالمٌ
وإنْ غضبَتْ فالشّرُّ يقظانُ مُغْضبُ
فيالق أفشَى في البلاد من الضُّحى
وأبعدُ من شمس النّهار وأقربُ[١]
وتُصبِحُ تلقَاهم وتُمسي تصدُّهم
وتَظهرُ في جِدِّ القتال وتلعبُ
تلوحُ لهم في كلَّ أفقٍ وتعتلي
وتطلعُ فيهم من مكانٍ وتغرُبُ
وتُقدِم إقدامَ الليوثِ وتنثني
وتُدبِرُ علماً بالوغى وتُعقِّبُ[٢]
وتملكُ أطرافَ الشِّعاب وتلتقي
وتأخذُ عفواً كلَّ عالٍ وتغصِبُ[٣]
وتغشى أبِيَّات المعاقلِ والذُّرى
فشيِّبُهُنّ البكرُ والبكر ثيّبُ[٤]
يقودُ سرايَاها ويحمي لواءها
سديد المرائي في الحروب مجرِّبُ[٥]
يجيءُ بها حيناً ويرجعُ مرةً
كما تَدفعُ اللجَّ البحارُ وتجذبُ[٦]

---

(١) فيالق: مفردها فيلق أي الجيش الضخم. (٢) أدبر: فرّ. تعقب: كرّ.
(٣) الشّعاب: مفردها شِعب، وهو ما انفرج بين جبلين.
(٤) الأبيّات: مفردها أبيّة، التي لا ترضى الذّل. المعاقل: مفرد معقل وهو الملاذ. الذُّرى: مفردها ذروة، المكان العالي. الثّيّب: ضد البكر.
(٥) السرايا: مفردها سرية، الفرقة من الجيش. سديد المرائي: ثاقب النظر.
(٦) اللّج: معظم الماء.

ويـرمـي بـهـا كـالـبـحـر مـن كـلِّ جـانـبٍ
فـكـلُّ خـمـيـسٍ لـجـةٌ تـتـضـرَّبُ (١)
ويُـنـفـذُهـا مـن كـلِّ شِـعـب فـتـلـتـقـي
كـمـا يـتـلاقـى الـعـارض الـمـتـشـعـبُ (٢)
ويـجـعـلُ مـيـقـاتـاً لـهـا تـنـبَـري لـه
كـمـا دار يـلـقـى عـقـربَ الـسـيـر عـقـربُ (٣)
فـظـلـت عـيـون الـحـرب حـيـرى لـمـا تـرى
نـواظـر مـا تـأتـي الـلـيـوثُ وتُـغـرِبُ (٤)
تـبـالـغُ بـالـرامـي وتـزهـو بـمـا رمـى
وتُـعـجَـبُ بـالـقـوّاد والـجـنـدُ أعـجـبُ (٥)
وتُـثـنـي عـلـى مُـزجـي الـجـيـوش (بـيـلـدزٍ)
ومُـلْـهِـمُـهـا فـيـمـا تـنـالُ وتـكـسِـبُ (٦)
ومـا الـمـلـكُ إلّا الـجـيـش شـأنـاً ومـظـهـراً
ولا الـجـيـشُ إلّا ربُّـه حـيـن يُـنـسَـبُ

زينَبُ بني عثمان

تـحـذّرنـي مـن قـومِـهـا الـتّـركِ زيـنـبُ
وتُـعـجِـمُ فـي وصـفِ الـلّـيـوثِ وتُـعـرِبُ
وتُـكـثـرُ ذكـرَ الـبـاسـلـيـن وتـنـثـنـي
بـعـزٍّ عـلـى عـزّ الـجـمـال وتُـعـجـبُ
وتـسـحـبُ ذيـلَ الـكـبـريـاءِ وهـكـذا
يـتـيـه ويـخـتـالُ الـقـويُّ الـمـغـلَّـبُ

(١) الخميس: الجيش، كناية عن تقسيمه إلى ميمنة، وميسرة، ومقدمة، ومؤخرة، ووسط.
(٢) ينفذها: يقودها. الشِّعب: ما انفرج بين جبلين. العارض المتشعب: الغيم المتناثر.
(٣) انبرى له: واجهه واعترضه. (٤) أغرب: أتى بالأمر الغريب.
(٥) تزهو: تشعر بالفخر والاعتزاز. (٦) مزجي: من أزجى الجيش أي قاده.

وزينبُ إنْ تاهت وإنْ هيَ فاخرت
فما قومها إلّا العشير المحببُ[١]
يؤلِّف إيلافُ الحوادثِ بيننا
ويجمعُنا في اللَّهِ دينٌ ومذهبُ
نما الوُدُّ حتّى مهَّد السبْل للهوى
فما في سبيل الوصلِ ما يُتصعَّبُ
ودانَى الهوى ما شاء بيني وبينها
فلم يبق إلّا الأرضُ والأرض تَقرُبُ[٢]

الحالة في بحر الرّوم

ركبتُ إليها البحرَ وهو مَصيدةٌ
تُمدّ بها سفْنُ الحديد وتُنصَبُ[٣]
تروح المنايا الزّرقُ فيه وتغتدي
وما هي إلّا الموجُ يأتي ويذهبُ
وتبدو عليه الفُلْكُ شتّى كأنّها
بؤوزٌ تراعيها على البعد أعقُبُ[٤]
حواملُ أعلامِ القياصرِ حُضَّرٌ
عليها سلاطين البريَّةِ غُيّبُ
تجاري خُطاها الحادثات وتقتفي
وتطفو حواليها الخطوبُ وترسبُ[٥]
ويوشِكُ يجري الماء من تحتها دماً
إذا جَمعت أثقالها تترقّبُ

(١) العشير: الصديق أو القريب، والمقصود هنا القبيلة.
(٢) دانى: قارب. (٣) مَصيدة: ما يصاد به.
(٤) بؤوز: مفردها باز وهو من الطيور الجارحة. أعقب: مفردها عقاب وهو أيضاً من الجوارح.
(٥) تقتفي: من اقتفى الأثر، أي تبعه. الخطوب: مفردها خطب أي المصيبة أو الأمر العظيم.

فـقـلـت: أأشـراطُ الـقـيـامـةِ مـا أرى
أم الـحـرب أدنـى مـن وريـدٍ وأقـربُ[١]
أمـانـاً أمـانـاً لـجّـةَ الـروم لـلـورى
لـو أنّ أمـانـاً عـنـد دأمـاءَ يُـطـلـبُ[٢]
كـأنـي بـأحـداثِ الـزمـان مـلـمـةً
وقـد فـاض مـنـهـا حـوضُـكِ الـمـتـضـرِّبُ
فـأُزعِـجَ مـغـبـوطٌ وروِّعَ آمـنٌ
وغـالَ سـلامَ الـعـالـمـيـن الـتـعـصُّـبُ
فـقـالـت: أطـلـتَ الـهـم، لـلـخـلـق مـلـجأ
أبـرُّ بـهـم مـن كـل بَـرٍّ وأحـدبُ[٣]
سـلام الـبـرايـا فـي كـلاءةِ فـرقـدٍ
(بـيـلـدزَ) لا يـغـفـو ولا يـتـغـيَّـبُ[٤]
وإنّ أمـيـرَ الـمـؤمـنـيـن لـوابـلٌ
مـن الـغـوثِ مُـنـهَـلٌّ عـلـى الـخـلـقِ صـيّـبُ[٥]
رأى الـفـتـنـة الـكـبـرى فـوالـى انـهـمـالـه
فـبـادت وكـانـت جـمـرةً تـتـلـهَّـبُ[٦]

مَنْعَة السواحِل العثْمانية

فـمـا زلـتُ بـالأهـوالِ حـتـى اقـتـحـمْـتُـهـا
وقـد تُـركِـبُ الـحـاجـاتُ مـا لـيـس يُـركـبُ[٧]

(١) أشراط القيامة: علامات القيامة.
(٢) لجّة: بحر، ولجّة الروم: بحر الروم. الدأماء: البحر.
(٣) أحدب: من الحدب وهو الحنوّ والتعطّف.
(٤) كلاءة: حراسة أو رعاية.
(٥) الوابل: المطر المنهمر بشدة. الغوث: النجدة. الصيّب: السحاب الذي يحمل المطر.
(٦) الانهمال: تساقط المطر وتتابعه.
(٧) اقتحم: هجم، واقتحم الأهوال أي هجم ورمى بنفسه فيها.

أخوضُ اللّيالي من عُباب ومن دُجى
إلى أُفُقٍ فيه الخليفة كوكبُ[١]
إلى مُلكِ عثمانَ الذي دونَ حوضه
بناءُ العوالي المشمخِرُّ المُطنَّبُ[٢]
فلاح يناغي النجمَ صرحٌ مثقَّب
على الماء قد حاذاه صرْحٌ مُثقَّبُ
بروجٌ أعارتها المَنونُ عيونَها
لها في الجواري نظرةٌ لا تخيَّبُ
رواسي ابتداع في رواسي طبيعةٍ
تكادُ ذُراها في السحاب تغيَّبُ[٣]
فقمت أجيلُ الطرْفَ حيران قائلاً:
أهذى ثغورُ التّركِ أم أَنَا أحسبُ؟
فمثل بِناء التّركِ لم يَبْنِ مشرقٌ
ومثل بناء التّرك لم يَبْنِ مغربُ
تَظَلُّ مهُولاتُ البوارج دونَهُ
حوائرَ ما يدرين ماذا تُخرِّبُ
إذا طاش بين الماء والصخرِ سهمُها
أتاها حديدٌ ما يطيشُ وأُسْرُبُ[٤]
يسدِّدُه عزريلُ في زِيِّ قاذفٍ
وأيدي المنايا والقضاء المُدرَّبُ
قذائف تخشى مهجةُ الشمس كلما
علت مصعِداتٍ أَنّها لا تصوَّبُ[٥]

(١) العباب: الموج المرتفع. الدجى: الظلمة.
(٢) العوالي: الرماح. المشمخر: المرتفع. المطنب: المشدود بالأطناب أي الحبال الطويلة.
(٣) الذّرى: مفردها ذروة وهي أعلى كل شيء.
(٤) الأسرب: الرصاص.
(٥) المراد أن هذه القذائف المتمادية في الارتفاع يُخشى أن تخطئ فتصيب مهجة الشمس.

إذا صُبَّ حاميها على السُّفُن ٱنثنت
وغانمُها الناجي فكيف المُخيَّبُ
سلِ الرُّوم هلْ فيهنّ لِلفُلْك حِيلةٌ
وهل عاصِمٌ منهنّ إلّا التَّنكُّبُ[١]
تَذبذَبَ أسْطُولاهُمُ فدَعَتهُما
إلى الرُّشدِ نارٌ ثم لا تَتذَبذبُ
فلا الشَّرْق في أسطولِهِ مُتَّقى الحِمى
ولا الغرْبُ في أسطُوله مُتهيَّبُ

زينب المتطوّعَة في موقعة

وما راعَنِي إلّا لِوَاءٌ مخضَّبٌ
هنالِك يَحميه بَنان مخضَّبُ[٢]
فقلتُ: من الحامِي، أليْثٌ غضنفرٌ
مِن التُّرْك ضارٍ أم غزالٌ مُربَّبُ[٣]؟
أم الملك الغازي المجاهدُ قَدْ بَدا
أم النَّجمُ في الآراد أم أَنْتِ زَينبُ؟
رفعتِ بناتِ التُّركِ قالت: وهَل بنا
بناتِ الضَّواري أَنْ نصول تعجُّبُ؟
إذا ما الديار ٱستصرخت بَدرت لها
كرائِمُ منّا بِالْقنا تتنقَّبُ
تُقرِّبُ رباتُ البُعُول بعولها
فإن لم يكُنْ بعْل فنفساً تُقرَّبُ[٤]

---

(١) يعود الضمير في: «فيهنّ» و«منهنّ» للقذائف. الفُلْك: السفينة. التنكّب: من تنكب أي تجنب الأمر.
(٢) اللواء المخضب: كناية عن العلم العثماني الأحمر. يحميه بنان مخضّب: معناه أن أنثى تحمل هذا العلم وتحميه مخضّبة البنان.
(٣) مربّب: من ربّب الولد، أي ربّاه حتى يكبر.
(٤) البعول: مفردها بعل، الزوج.

ولاحتْ بآفاقِ العدُوِّ سَريَّةٌ
فوارسُ تبْدُو تَارةً وتَحَجَّبُ
نَواهِضُ فِي حَزْنٍ كما تنْهضُ القطا
رواكِضُ في سَهل كما ٱنساب ثعْلبُ[١]
قلِيلون من بُعدٍ كثيرون إن دَنَوْا
لهم سَكن آناً وآناً تَهبُّبُ
فقالت: شهِدْتَ الحرب أو أَنْت موشك
فصفنا فأنت الباسل المتأدّبُ
ونادت فلبّى الخيلُ من كل جانبٍ
ولبّى عليها القسْور المترقِّبُ[٢]
خِفافاً إلى الداعي سِراعاً كأنما
من الحرب داع للصلاة مثوِّبُ
مُنيفين من حول اللواءِ كأنّهم
له معقِلٌ فوق المعاقل أغلبُ
وما هي إلّا دعوة وإجابةٌ
أَنِ ٱلْتحمت والحرب بَكرٌ وتغلبُ[٣]
فأبصرتُ ما لم تبصرا من مشاهدٍ
ولا شهدَت يوماً معدُّ ويعربُ[٤]

مَضيق ملُونا

جبال (ملونا) لا تَخوري وتَجزعي
إذا مال رأسٌ أو تضعضع منكبُ

(١) الحَزْن: ما ارتفع وغلظ من الأرض.
(٢) القَسْور: من أسماء الأسد، ويعني هنا الفارس التركي.
(٣) بكر وتغلب: قبيلتان عربيتان ٱشتدت العداوة والحروب بينهما، وهنا استعارة لضراوة الحرب.
(٤) معدّ ويعرب: من أسماء القبائل العربية.

فـمـا كـنـت إلّا الـسّـيـف والـنّـار مـركـبـاً
وما كان يستعصي على التّرك مركَبُ
عـلَـوْا فـوق عـلـيـاءِ الـعـدوِّ ودونـه
مضيق كحلق الليث أو هو أصعبُ
فـكـان صـراط الـحـشـر مـا ثـمَّ ريـبـةٌ
وكـانـوا فـريـق الـلَّـه مـا ثـمَّ مُـذْنِـبُ
يـمـرّون مـرَّ الـبـرق تـحـت دُجُـنَّـةٍ
دخـانـاً بـه أشـبـاحـهـم تـتـجـلْـبـبُ(١)
حـثـيـثـيـن مـن فـوق الـجـبـال وتـحـتـهـا
كـمـا أنـهـارَ طـوْدٌ أو كـمـا أنـهـال مِـذنَـبُ(٢)
تـمـدُّهُـمُ قُـذَّافُـهـم ورُمـاتُـهُـم
بـنـارٍ كـنـيـران الـبـراكـيـن تَـدأَبُ
تُـذرِّي بـهـا شُـمَّ الـذُّرى حـيـن تـعـتـلـي
ويَسفحُ منها السفْح إذ تتصبّبُ(٣)
تُـسـمَّـر فـي رأْسِ الـقِـلاع كـراتُـهـا
ويسكن أعجاز الحصونِ المُذنَّبُ(٤)
فـلـمّـا دَجـى داجـي الـعَـوان وأطـبـقـت
تـبـلّـج والـنّـصـرَ الـهـلالُ الـمـحـجّـبُ(٥)

(١) دُجُنّة: ظلمة. تتجلبب: تلبس. والمعنى، أنهم يمرون تحت دُجُنّة كالدخان وكأنهم أشباح تتجلبب بهم هذه الدُّجنّة.
(٢) المِذْنب: مسيل المياه.
(٣) تذرّي: تُطاير. الذّرى: مفردها ذروة، أي أعلى كل شيء. الشمّ: مفردها شمّاء، أي عالية بأنفة وشمم. يسفح: ينصبّ. السفح: عُرض الجبل وأصله. تتصبب: تنحدر وتتساقط.
(٤) المذنب: القذيفة الكبيرة الملتهبة ذات الذنب.
(٥) العوان: الحرب الضروس.

ورُدّت عـلـى أعـقـابـهـا الـرومُ بـعـدَ مـا
تـنـاثـر مـنـهـا الـجـيـش أو كـاد يـذهـبُ
جـنـاحـيـن فـي شِـبْـه الـشـبَـاكـيْـن مـن قَـنـا
وقـلـبـاً عـلـى حـرِّ الـوغـى يـتـقـلـبُ
عـلـى قُـلَـل الأجـبـالِ حـيْـرَى جـمـوعُـهـم
شـواخـصُ مـا إنْ تـهـتـدي أيـن تَـذهـبُ[1]
إذا صـعـدتْ فـالـسـيـفُ أبـيـضُ خـاطِـفٌ
وإنْ نـزلـتْ فـالـنـار حـمـراءُ تَـلْـهـبُ
تـطـوَّعَ أسـراً مـنـهُـمُ ذلـك الـذي
تـطـوّع حـربـاً والـزّمـانُ تـقـلُّـبُ
وتَـمّ لـنـا الـنّـصـر الـمـبِـيـن عـلـى الـعِـدى
وفـتْـحُ الـمـعـالـي والـنـهـارُ الـمـذهَّـبُ
فـجـئـتُ فـتـاةَ الـتُّـركِ أجـزي دِفـاعَـهـا
عـن الـمُـلـكِ والأوطـان مـا الـحـقُّ يـوجِـبُ
فـقـبَّـلـتُ كـفًّـا كـان بـالـسـيـف ضـاربـاً
وقـبَّـلـتُ سـيـفـاً كـان بـالـكـفِّ يـضـربُ
وقـلـتُ: أفـي الـدنـيـا لـقـومِـك غـالِـبٌ
وفـي مـثـل هـذا الـحِـجْـر رُبُّـوا وهُـذِّبُـوا
رويـداً بـنـي عـثـمـان فـي طـلـب الـعـلا
وهـيـهـاتَ لـم يُـسـتـبـقَ شـيءٌ فـيُـطـلـبُ
أفـي كـلِّ آنٍ تـغـرِسـون ونـجـتـنـي
وفـي كـل يـوم تـفـتـحـون ونـكـتُـبُ
ومـا زلْـتُـمُ يـسـقـيـكـمُ الـنّـصـرُ خـمـرهُ
وتـسـقـونـه، والـكـلُّ نـشـوانُ مُـصْـأبُ[2]

(١) قُلل الأجبال: أعاليها.
(٢) مُصْأب: هو الذي يشرب حتى الإرتواء.

إلـى أَنْ أحـلَّ الـسـكْـرَ مَـنْ لا يُـحـلّـهُ
ومَـدّ بـسـاطَ الـشـرب مَـنْ لـيـس يـشـرَبُ

الحاج عبدُ الأزَل باشا

وأشـمـطُ سَـوَّاس الـفـوارس أشْـيـبُ
يـسـيـرُ بـه فـي الـشَّـعـب أشـمـطُ أشـيـبُ[١]
رَفـيـقـا ذهـابٍ فـي الـحـروب وجَـيـئـةٍ
قـد اصـطـحـبـا والـحـرُّ لـلـحـرِّ يـصـحَـبُ
إذا شـهـداهـا جـدّدا هِـزَّة الـصّـبـا
كـمـا يـتـصـابَـى ذو ثـمـانـيـنَ يَـطـرَبُ
فـيـهـتـزُّ هـذا كـالـحُـسَـام ويـنـثـنـي
ويـنـفـر هـذا كـالـغـزال ويـلـعـبُ
تـوالـى رصـاص الـمـطـلـقـيـن عـلـيـهـمـا
يُـخـضِّـل مـن شَـيْـبـيـهـمـا ويُـخـضِّـبُ
فـقـيـل: أَنِـلْ أقـدامَـك الأرض إنـهـا
أبـرُّ جـوادا إنْ فـعـلـت وأنـجـبُ
فـقـال: أيـرضـى واهـب الـنّـصـر أنّـنـا
نـمـوت كـمـوتِ الـغـانـيـاتِ ونـعـطَـبُ
ذرونـي وشـأنـي والـوَغـى لا مـبـالـيـاً
إلـى الـمـوتِ أمـشـي أم إلـى الـمـوت أركـبُ
أيـحـمـلـنـي عُـمـراً ويـحـمـي شـبـيـبـتـي
وأخـذُلـه فـي وهـنـه وأُخـيِّـبُ[٢]

(١) الأشمط: هو الذي خالط بياض رأسه سواد، والمقصود بالأول الفارس، وبالثاني الحصان.

(٢) الوهن: الضعف. والمعنى المقصود في هذا البيت هو تبادل الوفاء وحسن الجزاء في حالتَيْ: القوة والضعف.

إذا نحن متنا فادفنونا ببقعة
يَظلُّ بذكرانا ثراها يُطيَّبُ
ولا تعجبوا أَنْ تبسلَ الخيلُ إنها
لها مثلُ ما للناس في الموت مشربُ[١]
فماتا أمام اللَّه موتَ بَسالةٍ
كأنهما فيه مثالٌ مُنصَّبُ[٢]
وما شهداءُ الحربِ إلّا عمادُها
وإنْ شيَّدَ الأحياءُ فيها وطنَّبُوا[٣]
مِدادُ سجلِّ النّصر فيها دماؤهم
وبالتبرِ من غالي ثراهُمْ يُترَّبُ[٤]
فهل من (ملونا) موقفٌ ومسامعٌ
ومن جبليها منبرٌ لي فأخطبُ
فأسألُ حصنيها العجيبين في الورى
ومَدخلَها الأعصَى الذي هو أعجبُ
وأستشهِدُ الأطوادَ شمّاءَ والذّرى
بواذخ تُلوى بالنجوم وتُجذبُ[٥]
هل البأس إلّا بأسُهم وثباتُهم
أو العزمُ إلّا عزمُهم والتلبُّبُ[٦]
أو الدينُ إلّا ما رأت مِنْ جهادهم
أو المُلكُ إلّا ما أعزوا وهيَّبُوا[٧]

(١) تبسل: من البسالة، أي تشجع. (٢) منصّب: مرفوع، من نصّب الشيء، أي رفعه.
(٣) طنّب: شد بالأطناب أي الحبال.
(٤) السّجل: الكتاب. يترّب: يضع التراب على الكتابة حتى تجف.
(٥) الشمّاء: الشاهقة والمرتفعة. البواذخ: الطِّوال. ألوى بالشيء: أشار به.
(٦) التلبب: من تلبب للمعركة أي أستعد وتجهّز لها.
(٧) هيّبَه: جعله مُهاباً.

وأيُّ فـضـاءٍ فـي الـوَغـى لـم يـضـيِّـقـوا
وأيُّ مَـضـيـقٍ فـي الـورى لـم يُـرجِّـبـوا
وهـل قـبـلـهـم مَـنْ عـانـقَ الـنّـارَ راغـبـاً
ولـو أَنّـه عـبَّـادُهـا الـمـتـرهِّـبُ
وهـل نـال مـا نـالـوا مـن الـفـخـر حـاضـرٌ
وهـل حُـبِـيَ الـخـالـون منـه الـذي حُـبُـوا[1]
سـلامـاً (مـلـونـا) واحـتـفـاظـاً وعـصـمـةً
لِـمَـنْ بـات فـي عـالـي الـرّضـى يـتـقـلَّـبُ
وضِـنِّـي بـعـظـم فـي ثـراك مـعَـظَّـم
يُـقـرّبُـهُ الـرحـمـنُ فـيـمـا يـقـرّبُ

هَزيمَةُ طرناو

و(طـرنـاوُ) إذ طـار الـذُّهـول بـجـيـشـهـا
وبـالـشـعـب فـوضـى فـي الـمـذاهـب يـذهـبُ
عـشـيَّـة ضـاقـت أرضُـهـا وسـمـاؤهـا
وضـاق فـضـاءٌ بـيـن ذاك مُـرحَّـبُ
خـلَـتْ من بِنَى الجيش الحصون وأقفرَتْ
مـسـاكـنُ أهـلـيـهـا وعـمَّ الـتـخـرُّبُ[2]
ونـادى مـنـادٍ لـلـهـزيـمـة فـي الـمَـلا
وأنّ مـنـادي الـتّـرك يـدنـو ويـقْـربُ
فـأعـرضَ عـن قـوّادِهِ الـجـنـدُ شـارداً
وعَـلَّـمـه قـوّادُه كـيـف يـهـربُ
وطـار الأهـالـي نـافـريـن إلـى الـفـلا
مـئـيـنَ وآلافـاً تَـهـيـمُ وتَـسـرُبُ[3]

(١) حبا: أعطى. (٢) بِنى: مفردها بِنْية وهي عبارة عن البنيان والقلاع.
(٣) مئين: بمعنى مئات. تسرب: من سرب في الأرض أي سار ومضى.

نجوا بالنُّفوسِ الذاهلات وما نجوا
بغير يدٍ صفرٍ وأخرى تُقلَّبُ
وطالت يدٌ للجمع في الجمع بالخَنا
وبالسلبِ لم يمدد بها فيه أجنَبُ[١]
يسير على أشلاءِ والدهِ الفتَى
ويَنسى هناك المرضَعَ الأمُّ والأبُ[٢]
وتمضي السرايا واطِئاتٍ بخيلها
أرامِلَ تبكي أو ثواكِلَ تندبُ
فمن راجلٍ تَهوي السُّنونُ برجلهِ
ومن فارسٍ تمشي النساء ويركبُ[٣]
وماضٍ بمال قد مضى عنه مالُه
ومُزجٍ أثاثاً بين عينيه يُنهَبُ[٤]
يكادون من ذُعرٍ تفرُّ ديارهم
وتنجو الرواسي لو حواهنَّ مَشْعبُ[٥]
يكاد الثرى من تحتهم يلج الثرى
ويقضُم بعض الأرض بعضاً ويقضِبُ[٦]
تكاد خُطاهم تسبق البرق سرعة
وتذهب بالأبصار أيّان تذهبُ

(١) الأجنب: بمعنى الأجنبي والمقصود هنا التّركي. ومعنى البيت، أن التعدي الذي حصل في هذه المعركة بين البعض على البعض الآخر بالفحش والسلب والنهب تعالى عليه التّرك ولم ينحطوا إليه.
(٢) أشلاء: مفردها شلو أي بقايا أعضاء الإنسان بعد التمزق والبلى.
(٣) الراجل: هو الذي يمشي على رجليه. تهوي السنون برجله: كناية عن الشيخوخة أو الهرم.
(٤) مُزج: من أزجى، أي قاد وسار بالشيء. الأثاث: متاع المنزل.
(٥) الذعر: الفزع. الرواسي: الجبال. المشعب: جمعها مشاعب، الطريق.
(٦) يلج: يدخل. يقضم: يكسر. يقضب: يقطع.

تكاد على أبصارهم تقطع المدى
وتنفذ مرماها البعيد وتحجُبُ[١]
تكاد تَمسُّ الأرض مسًّا نعالهم
ولو وجدوا سُبْلاً إلى الجوّ نكَّبُوا[٢]
هزيمة من لا هازمٌ يستحثُّه
ولا طاردٌ يدعو لذاك ويوجبُ
قعدنا فلم يعدمْ فتى الروم فيلقاً
من الرُّعب يغزوه وآخرُ يسْلِبُ
ظفِرنا به وجهاً فظن تعقُّباً
وماذا يزيد الظافرين التعقُّبُ
فولّى وما ولّى نظامُ جنودِهِ
ويا شُؤْم جيشٍ للفرار يُرتِّبُ
يسوق ويَحْدو للنجاةِ كتائباً
له موكبٌ منها، وللعار موكبُ
منظَّمةٌ من حوله بَيْد أنّها
تودُّ لو انشقَّ الثرى فتغيَّبُ
مؤزَّرةٌ بالرُّعب ملدوغةٌ به
ففي كلِّ ثوبٍ عقربٌ منه تلسبُ[٣]
ترى الخيل من كلِّ الجهاتِ تَخيلاً
فيأخذ منها وهْمُها والتَّهيُّبُ
فمِن خلفِها طوراً وحيناً أمامها
وآونةً من كلِّ أوب تأَلَّبُ[٤]

(١) المَدَى: المُنْتَهَى. تنفذ: تبلغ الحد وتتجاوز.
(٢) نكّبوا: من نكّب عن الطريق أي عدلوا وتنحوا.
(٣) مؤزَّرة: من أزّر بالشيء أي أحاط به، والمعنى، محاطة ومحميّة. تلسب: تلدغ أو تلسع.
(٤) تألَّب: تجمّع، والأوب: الجهة أو الناحية.

فـوارسُ فـي طـولِ الـجـبـالِ وعَـرْضـهـا
إذا غـاب مـنـهـم مِـقْـنَـبٌ لاح مِـقْـنَـبُ[١]
فـمـهـمـا تَـهِـمْ يَـسـنـحْ لـهـا ذو مُـهـنَّـدٍ
ويَـخـرجْ لـهـا مـن بـاطـن الأرضِ مِـحْـربُ[٢]
وتَـنـزلْ عـلـيـهـا مـن سـمـاء خـيـالِـهـا
صـواعـقُ فـيـهـنّ الـردى الـمُـتَـصَـبِّـبُ
رؤًى إنْ تـكـن حـقًّـا يـكُـنْ مـن ورائِـهـا
مـلائـكـةُ الـلَّـه الـذي لـيـس يُـغـلـبُ[٣]

التّلاقِي عَلى سهْل فرسالا

و(فـرسـالُ) إذ بـاتـوا وبِـتـنـا أعـادِيـاً
عـلـى الـسـهـل لُـدًّا يَـرقـبُـون ونـرقـبُ[٤]
وقـام فـتـانـا الـلَّـيـلَ يـحـمـي لـواءَه
وقـامَ فـتـاهُـم لـيـلَـه يـتـلـعَّـبُ
تـوسَّـدَ هـذا قـائِـم الـسـيـف يَـتَّـقـي
وهـذا عـلـى أحـلامِـه يـتـحـسَّـبُ[٥]
وهـل يـسـتـوي الـقِـرْنـان: هـذا مُـنَـعَّـمٌ
غـريـرٌ، وهـذا ذو تـجـاريـب قُـلَّـبُ[٦]
حَـمْـيـنـا كِـلانـا أرض (فِـرسـالَ) والـسَّـمـا
فـكـلُّ سـبـيـلٍ بـيـن ذلـك مُـعْـطِـبُ[٧]

---

(١) المِقنب: جمعها مقانب، الجماعة من الخيل تجتمع للإغارة.
(٢) المِحرب: الشديد البأس في الحرب.
(٣) الرؤى: مفردها رؤيا، وهي ما يراه النائم في المنام.
(٤) اللّد: مفردها الألد، وهو الخصم العنيد.
(٥) تحسَّب: توسَّد.
(٦) القِرنان: النظيران المتحاربان. غرير: عديم التجربة. القُلّب: العارف بتقلّب الأمور.
(٧) معطب: مهلك.

ورُحنا يَهبُّ الشرُّ فينا وفيهمُ
وتشْمَلُ أرواحُ القتال وتجنبُ[١]
كأنّا أسودٌ رابضاتٌ، كأنهم
قطيعٌ بأقصى السهلِ حيرانُ مُذْئِبُ[٢]
كأنّ خيام الجيش في السهل أيْنُقٌ
نواشِزُ فوضى في دجى الليل شُزَّبُ[٣]
كأنّ السرايا ساكناتٍ موائجاً
قطائعُ تُعطَى الأمنَ طوراً وتُسلبُ[٤]
كأنّ القَنا دونَ الخيام نوازلاً
جداولُ يجريها الظلامُ ويَسكُبُ[٥]
كأنّ الدُّجى بحرٌ إلى النجم صاعدٌ
كأنّ السَّرايا موجُه المتضرّبُ
كأنَّ المنايا في ضميرِ ظلامِهِ
هموٌ بها فاضَ الضميرُ المُحجَّبُ
كأنّ صهيل الخيل ناعٍ مبشِّرٌ
تراهنّ فيهاً ضحَّكاً وهي نُحَّبُ[٦]
كأنّ وجوه الخيل غرًّا وسيمةً
درايُّ ليلٍ طُلَّعٌ فيه ثُقَّبُ[٧]

---

(١) تشمل: تتجه نحو الشمال. تجنب: تتجه نحو الجنوب.
(٢) القطيع: هو المجموعة ويطلق عادة على مجموعة الماعز والغنم وما شابه ذلك. مُذئب: يقال قطيع مذئب، أي خائف من الذئب.
(٣) أَيْنُق: مفردها ناقة. نواشز: بارزات. شُزّب: متفرّقات.
(٤) القطائع: مفردها قطيعة، وهي في هذه الحال ما قطع من الجيش.
(٥) القنا: الرماح.
(٦) نُحَّبُ: من نحب أو انتحب، أي باكيات.
(٧) ثُقَّبُ: من ثقب النجم أو أضاء، أي مضيئات، والصِّفة تعود إلى الدراري أي النجوم الثواقب.

كـأنّ أُنُـوف الـخـيـل حـرّى مـن الـوغـى
مـجـامـرُ فـي الـظـلـمـاء تَـهْـدا وتـلْـهـبُ[١]
كـأنّ صـدور الـخـيـل غُـدْرٌ عـلـى الـدجـى
كـأنّ بـقـايـا الـنَّـضْـحِ فـيـهـنَّ طُـحـلـبُ[٢]
كـأنّ سَـنَـى الأبـواق فـي الـلّـيـل بـرقـهُ
كـأنّ صـداهـا الـرعـد لـلـبـرق يَـصـحـبُ
كـأنّ نـداء الـجـيـش مـن كـل جـانـبٍ
دويُّ ريـاح فـي الـدُّجـى تـتـذأبُ[٣]
كـأنّ عـيـون الـجـيـش فـي كـلّ مـذهـبٍ
مـن الـسـهـل جـنٌّ جُـوَّلٌ فـيـه جُـوَّبُ[٤]
كـأنّ الـوغـى نـارٌ، كـأنّ جـنـودنـا
مـجـوسٌ إذا مـا يَـمَّـمـوا الـنّـار قـرّبُـوا[٥]
كـأنّ الـوغـى نـارٌ، كـأنّ الـردى قِـرىً
كـأنّ وراء الـنـار (حـاتـم) يـأدبُ[٦]
كـأنّ الـوغـى نـارٌ، كـأنّ بـنِـي الـوغـى
فـراشٌ لـه فـي مـلـمـسِ الـنـار مـأربُ
وثَـبْـنـا يـضـيـق الـسـهـل عـن وثـبـاتـنـا
وتـقـدُمُـنـا نـارٌ إلـى الـروم أوثـبُ
مـشـت فـي سـراياهـم فـحـلَّـت نـظـامـهـا
فـلـمّـا مـشـيْـنـا أدبـرت لا تُـعـقّـبُ

(١) مجامر: مفردها مجمرة، وهي ما يوضع فيه الجمر.
(٢) غدر: مفردها غدير، وهو النهر الصغير. النَّضْح: رشاش الماء. الطحلب: جمعها طحالب: الخضرة التي تعلو وجه الماء الآسن المزمن.
(٣) تتذأب: أي تتغير في اتجاهاتها.
(٤) عيون الجيش: طلائعه التي تراقب تحركات العدو.
(٥) قرّبوا: قدموا القربان.
(٦) القِرى: ما يُقدّم للضيف، حاتم: هو حاتم الطائي المشهور بالكرم.

غصْب دوموقو

رأى السهلُ منهم ما رأى الوعرُ قبله
فيا قوم حتى السهل في الحرب يصعبُ
وحصنٌ تسامى من (دموقو) كأنّه
معشَّشُ نسرٍ، أو بهذا يُلَقّبُ
أشمُّ على طودٍ أشمَّ كلاهما
مَنونُ المُفاجي والجِمام المرجِّبُ
تكاد تُقادُ الغادياتُ لربه
فيُزجي وتنزمُّ الرياح فيركبُ[١]
حمَتْه ليوثٌ من حديدٍ تركَّزتْ
على عَجل، واستجمعتْ تترقَّبُ
تثور وتستأني، وتنأى وتَدَّني
وتغدو بما تُغذي وترمي وتَنْشبُ[٢]
تأبَّى فظنَّ العالمونَ استحالةً
وأعيا على أوهامهم فتريَّبُوا[٣]
فما في القوى أنَّ السمٰواتِ تُرْتَقَى
بجيشٍ وأنَّ النجم يُغشَى فيُغضَبُ[٤]
سموتُم إليه والقنابلُ دونَه
وشُهْبُ المنايا والرَّصاص المُصوَّبُ
فكنتم يواقيتَ الحروب كرامةً
على النار أو أَنْتم أشدُّ وأصلَبُ[٥]

(١) الغاديات: مفردها غادية، وهي السحابة التي تتجمع غدوة. يزجي: يقود. تنزمّ: تُزم بزمام، أي تُشَد وتُربط.
(٢) تستأني: تنتظر. تدَّني: تقترب. (٣) تأبّى: تمنّع. تريّبوا: تحذَّروا.
(٤) يُغشى النجم: يُظلم. يُغضَب: يصاب بالغُضاب أي القذى في العين.
(٥) يواقيت: مفردها ياقوتة، والياقوت حجر كريم صلب شفاف تختلف ألوانه، ويقال: إنه يتحمل الدرجة العالية من الحرارة ولا يحترق.

صعدتم وما غيرُ القنا ثَمَّ مَصعدٌ
ولا سُلَّم إلّا الحديدُ المذرَّبُ[١]
كما ٱزدحمتْ بيزانُ جوٍّ بمورِدٍ
أو ٱرتفعتْ تلقَى الفريسة أعقُبُ[٢]
فما زلتُمُ حتّى نزلتم بُروجَه
ولم تُحتضَرْ شمس النهارِ فتغرُبُ
هنالك غالى في الأماديح مُشرقٌ
وبالغ فيكم آلَ عثمان مُغرِبُ
وزِيْدَ حِمى الإسلام عزًّا ومَنْعةً
ورُدَّ جماح العصر، فالعصر هُيَّبُ
رفعنا إلى النجم الرؤوسَ بنصركم
وكنّا بحكم الحادثاتِ نُصوِّبُ
ومَنْ كان منسوباً إلى دولةِ القنا
فليس إلى شيء سوى العزِّ يُنسَبُ

أحْلامُ اليُونان

فيا قوم، أين الجيشُ فيما زعمتُمُ
وأين الجواري والدِّفاعُ المركَّبُ؟[٣]
وأين أميرُ البأسِ والعزم والحِجى
وأين رجاءٌ في الأمير مُخيَّبُ؟
وأين تُخومٌ تستبيحون دَوسَها
وأين عصاباتٌ لكم تتوثّبُ[٤]

(١) الحديد المذرّب: الحديد المنقوع في السّمّ ثم شُحذ، والمقصود السيف المسموم.
(٢) البيزان: مفردها باز. الأعقب: مفردها عقاب. وهما من الطيور الجارحة.
(٣) الجواري: السفن.
(٤) التخوم: الحدود.

وأين الذي قالت لنا الصّحْفُ عنكم
وأسند أهلوها إليكم فأطنبُوا؟
وما قد روى بَرقٌ من القولِ كاذبٌ
وآخرُ من فعل المحبِّين أكذبُ
وما شِدْتمُ من دولةٍ عرضُها الثرى
يدين لها الجنسانِ تُرْكٌ وصقلَبُ[١]
لها عَلَمٌ فوق الهلال وسُدةٌ
تُنَصُّ على هامِ النجومِ وتُنصبُ[٢]
أهذا هو الذَّودُ الذي تدَّعونه
ونصر (كريدٍ) والولا والتحبُّبُ؟
أهذا الذي للمُلكِ والعِرضِ عندكم
وللجار إنْ أعيا على الجار مَطلبُ؟
أهذا سلاحُ الفتحِ والنّصر والعلا
أهذا مطايا مَنْ إلى المجد يركبُ؟
أهذا الذي للذكر خلَّف معشرٌ
على ذكرهم يأتي الزمانُ ويذهبُ؟
أسأتم وكان السوءُ منكم إليكمُ
إلى خير جارٍ عنده الخيرُ يُطلبُ
إلى ذي انتقام لا ينام غريمُه
ولو أنّه شخص المنامِ المحجَّبُ
شقيتم بها من حيلةٍ مستحيلةٍ
وأين من المُحتال عنقاءُ مغرِبُ[٣]

---

(١) الصقلب: يطلق عليهم أيضاً الصقالبة وهم الشعوب السّلافيّة الذين يسكنون أوروبا الشَّرقية والوسطى ومنهم الرّوس والبولونيون في الشمال واليوغوسلافيون كالصّرب والبلغار وغيرهم في الجنوب.
(٢) تُنَصُّ: تُرفع.
(٣) عنقاء مغرب: طائر وهمي.

فلولا سيوفُ التّركِ جرّبَ غيرُكم
ولكن من الأشياء ما لا يجرّبُ

عفو القادِر

فعفواً أميرَ المؤمنين لأمّةٍ
دعت قادراً ما زال في العفوِ يرغبُ
ضربت على آمالِها ومآلِها
وأنت على استقلالها اليوم تضرِبُ
إذا خان عبدُ السوءِ مولاه مُعتَقاً
فما يفعلُ المولى الكريمُ المهذَّبُ؟
ولا تَضْرِبَنْ بالرأي مُنحلَّ ملكِهِم
فما زلتَ مُذْ هَبُّوا بسيفين تَضرِبُ
لقد فنِيَت أرزاقُهم ورجالُهم
وليس بفانٍ طيشهم والتقلّبُ
فإنْ يجدوا للنفسِ بالعوْدِ راحةً
فقد يشتهي الموتَ المريضُ المعذَّبُ
وإنْ همَّ بالعفو الكريم رجاؤهم
فمن كَرَمِ الأخلاقِ أَنْ لا يُخيَّبُوا
فما زلتَ جارَ البِرِّ والسيِّدَ الذي
إلى فضله من عدله الجارُ يهربُ
يُلاقي بعيدُ الأهلِ عندك أهلَهُ
ويمرحُ في أوطانِهِ المتغرّبُ

التماسُ القبول

أمولاي غنَّتكَ السيوفُ فأطربت
فهل لِيراعي أَنْ يُغنِّي فيُطربُ؟

فعندي كما عند الظُّبى لك نغمةٌ
ومختلِفُ الأنغام للأنس أجلبُ[١]
أعرّبُ ما تُنشي عُلاك وإنّه
لفي لُطفه ما لا ينال المُعرّبُ
مدحتك والدُّنيا لسانٌ وأهلُها
جميعاً لسانٌ يملیان وأكتبُ
أناولُ من شعر الخلافةِ ربَّها
وأكسو القوافي ما يدوم فيقشبُ[٢]
وهل أَنْت إلّا الشمسُ في كل أُمّةٍ
فكلُّ لسانٍ في مديحِك طيِّبُ
فإنْ لم يَلِقْ شعري لبابك مِدحةً
فمُرْ ينفتِحْ بابٌ من العذرِ أرحَبُ
وإني لطيرُ النّيل لا طيرَ غيرُه
وما النّيلُ إلّا مِن رياضِك يُحسَبُ
إذا قلتُ شعراً فالقوافي حواضرٌ
وبغدادُ بغدادٌ ويثربُ يثربُ
ولم أعدم الظلَّ الخصيبَ وإنما
أُجاذبُكَ الظلَّ الذي هو أخصبُ
فلا زلت كهفَ الدين والهاديَ الذي
إلى اللَّهِ بالزلفى له نتقرّبُ

(١) الظُّبى: مفردها ظَبَة، أي حد السيف.
(٢) يقشب: يتجدد.

انتصار الأتراك في الحرب والسياسة

[من البسيط]

أللَّه أكبر كَمْ في الفتح من عَجَبِ
يا خالدَ التّركِ جدِّد خالدَ العَرَبِ[١]
صلحٌ عزيزٌ على حرب مُظفرةٍ
فالسيفُ في غمْدِهِ والحقُّ في النُّصُبِ[٢]
يا حُسنَ أمْنِيَّةٍ في السيفِ ما كذَبَت
وطيبَ أُمْنِيَّةٍ في الرأي لم تَخِبِ
خُطاك في الحق كانت كلَّها كرماً
وأنتَ أكرمُ في حَقْنِ الدَّمِ السَّرِبِ[٣]
حَذوْت حرب (الصلاحيِّين) في زَمَنٍ
فيه القتالُ بلا شرْع ولا أدبِ
لَمْ يأتِ سيفُك فحشاءً ولا هتكتْ
قناك من حُرمَةِ الرُّهبان والصُّلُبِ
سُئِلْت سِلماً على نصر فجُدتَ بها
ولو سُئِلتَ بغير النَّصر لم تُجِبِ[٤]
مَشيئةٌ قَبِلَتْها الخيلُ عاتبةً
وأذعن السيفُ مطويًّا على غَضَبِ

(١) خالد التّرك: المقصود به الغازي مصطفى باشا كمال. خالد العرب: هو خالد بن الوليد القائد العربي الذي انتصر على الروم في اليرموك.
(٢) النُّصُب: مفردها نصاب وهو الأصل والمرجع في كل شيء.
(٣) الدّم السّرب: الدّم المسفوح.
(٤) سُئلتَ سلماً على نصر فجدتَ بها: إشارة إلى حالة الصلح والسلام.

أتيتَ ما يشبه التقوى وإنْ خُلِقتْ
سيوفُ قومِك لا ترتاحُ للقُرُبِ[١]
ولا أزيدُك بالإسلام معرفةً
كلُّ المروءةِ في الإسلام والحَسَبِ
مَنَحْتَهُم هُدْنة من سيفك ٱلتُمِسَت
فهَبْ لهم هُدْنةً من رأيك الضَّربِ[٢]
أتاهُمُ منك في (لوزانَ) داهيةٌ
جاءت به الحربُ من حَيَّاتها الرُّقُبِ[٣]
أصَمُّ يسمعُ سرَّ الكائدين له
ولا يضيق بجهْر المُحْنَق الصَّخبِ
لم تَفترِق شهواتُ القوم في أرَب
إلّا قضى وطراً من ذلك الأرَبِ
تدرّعَت للقاء السّلم (أَنْقرةٌ)
ومهَّدَ السيفُ في (لوزانَ) للخطبِ
فقل لِبانٍ بقولٍ ركنَ مَمْلكة
على الكتائب يُبنَى المُلكُ لا الكُتُبِ
لا تَلتمِس غَلباً للحقِّ في أُمَمٍ
ألحقُّ عندهُمُ معْنًى من الغلَبِ
لا خيرَ في مِنبَرٍ حتّى يكون له
عُودٌ من السُّمر أو عود من القُضُبِ[٤]

(١) القُرُب: مفردها قِراب، أي غمد السيف.
(٢) الضَّرِب: النافذ، ورأيك الضّرب، أي رأيك النافذ.
(٣) الرُّقُب: مفردها رقيب أي الحيّة الخبيثة. والمقصود بمعنى البيت، أن ممثل الأتراك في «لوزان» السيد عصمت باشا هو داهية كالحيّة الخبيثة.
(٤) السُّمر: مفردها الأسمر، الرمح. القُضُب: مفردها القضيب، السيف القاطع.

وما السلاح لقوم كلُّ عُدّتِهم
حتى يكونوا من الأخلاق في أُهُبِ[١]
لو كان في الناب دون الخُلقِ منبهةٌ
تساوتِ الأُسْدُ والذُّؤبانُ في الرُّتَبِ
لم يُغنِ عن قادة اليونان ما حشَدوا
من السلاح وما ساقوا من العُصَبِ
وتَركُهُمْ آسيا الصغرى مدجَّجة
كثُكنة النحل أو كالقُنفذ الخَشِبِ[٢]
للتُّرك ساعاتُ صبرٍ يومَ نكبتِهم
كُتِبْن في صُحُف الأخلاق بالذّهبِ
مغارمٌ وضحايا ما صَرخْنَ ولا
كُدِّرنَ بالمنّ أو أُفسدْنَ بالكَذِبِ
بالفعلِ والأثر المحمود تعرفها
ولستَ تعرفها باسمٍ ولا لَقَبِ
جُمعنَ في اثنين من دينٍ ومن وطن
جمعَ الذبائح في اسم اللَّه والقُرَبِ[٣]
فيها حياةٌ لشعب لم يمُت خُلقاً
ومطمح لقبيلٍ ناهضٍ أربِ
لم يطعم الغمض جفنُ المسلمين لها
حتى انجلى ليلها عن صُبحهِ الشَّنبِ[٤]

(١) أُهُب: مفردها إهاب، أي جلد. والمعنى، أن أخلاق القوم تلبسهم كما يلبس الإهاب الجسد.
(٢) الخَشِب: من حالة التخشّب أي الانكماش. والقنفذ الخَشِب هو الذي تكون شعراته كالنصال متضامنة وقوية.
(٣) القرب: مفردها قربة وهو ما يُتقرب به إلى اللَّه من عمل البر.
(٤) الشَّنب: المشرق والوضَّاء.

كـنّ الـرجـاء وكـنّ الـيـأس ثـم مـحـا
نـورُ الـيـقـيـن ظـلامَ الـشَّـك والـرِّيـبِ
تـلـمَّـس الـتُّـرك أسـبـابـاً فـمـا وجـدوا
كـالـسـيـف مـن سُـلَّـم لـلـعـزّ أو سَـبـبِ
خـاضـوا الـعَـوان رجـاءً أَنْ تُـبـلِّـغـهـم
عِـبْـرَ الـنـجـاةِ فـكـانـت صـخـرة الـعَـطـبِ[1]
سـفـيـنـةُ الـلَّـهِ لـم تُـقـهَـر عـلـى دُسُـرٍ
في العاصفات ولم تُغلَبْ على خُشُبِ[2]
قـد أمَّـن الـلَّـه مـجـراهـا وأبـدلـهـا
بـحـسـن عـاقـبـةٍ مـن سـوء مـنـقـلَـبِ
وٱخـتـار رُبَّـانـهـا مـن أهـلـهـا فـنـجـت
مـن كـيْـدِ حـامٍ ومـن تـضـلـيـل مـنـتـدَبِ
مـا كـان مـاء (سَـقـاريَّـا) سـوى سـقـرٍ
طـغـت فـأغـرقـت الإغـريـق في الـلّـهـبِ[3]
لـمّـا ٱنـبـرَتْ نـارهـا تـبـغـيـهـمُ حـطـبـاً
كـانـت قـيـادتُـهـم حـمَّـالـة الـحَـطَـبِ
سـعـت بـهـم نـحـوكَ الآجـالُ يـومـئـذٍ
يـا ضُـلَّ سـاعٍ بـداعـي الـحَـيـن مـنـجـذِبِ
مـدُّوا الـجُـسـور فـحـلَّ الـلَّـه مـا عـقـدوا
إلّا مـسـالـك فـرعـونـيـة الـسَّـرَبِ
كـرْبٌ تـغـشَّـاهـمُ مـن رأْي سـاسـتـهـم
وأشـأمُ الـرأي مـا ألـقـاكَ فـي الـكُـرَبِ

(١) العوان: الحرب. عِبر النجاة: شاطئ الأمان.
(٢) الدُّسر: مفردها دسار وهو ما تُشَدّ به ألواح السفن.
(٣) سَقَر: جهنم. الإغريق: اليونان.

هم حسَّنوا للسواد البُله مملكةً
من لِبْدة اللّيث أو من غيلة الأشبِ[١]
وأنشؤوا نزهةً للجيش قاتلةً
ومَنْ تنزَّه في الأجام لم يَؤُبِ
ضلّ الأميرُ كما ضلَّ الوزير بهم
كِلا السَّرابيْن أظماهم ولم يَصُبِ[٢]
تجاذباهم كما شاءا بمختلفٍ
من الأمانيِّ والأحلام مختلِبِ
وكيف تلقى نجاحاً أمةٌ ذهبتْ
حزبين ضِدّين عند الحادث الحزبِ[٣]
زحفتَ زحْفَ أَتِيٍّ غير ذي شفقٍ
على الوهاد ولا رفق على الهَضَبِ[٤]
قذفْتَهم بالرِّياح الهُوج مُسرجَةً
يَحمِلنَ أُسْدَ الشَّرى في البَيْضِ واليَلَبِ[٥]
هَبَّت عليهم فذابوا عن معاقلهم
والثلج في قُلَل الأجبال لم يذُبِ
لمّا صدَعتَ جناحيْهم وقلبهمُ
طاروا بأجنحة شتّى من الرُّعُبِ
جدّ الفرارُ فألقى كلّ مُعْتَقِلٍ
قناتَه وتخلّى كلّ مُحْتَقِبِ[٦]

(١) لبدة الليث: شعر وبرة الليث، والليث هو الأسد. الغيلة: الأشجار العظيمة الملتفة، وغالباً ما يكون فيها عرين الأسد. الأَشَب: كثرة الشجر الذي لا يمكن أن يجاز فيه.
(٢) لم يصُبِ: من صاب المطر أي انصبّ ونزل، ومعنى لم يصُب أي لم ينصَبّ وينزل.
(٣) الحَزِب: الشديد، من حَزَبَ أي اشتدّ. (٤) الأتيّ: السيل العارم.
(٥) الشّرى: مأسدة عظيمة رهيبة الجانب. البَيْض: الخُوذ. اليلب: الدروع. والبيت يتحدث عن الفرسان الشجعان الذين شبّههم الشاعر بأُسْدِ الشّرى.
(٦) المحتقب: الحامل لأمتعته وحقائبه خلفه.

يا حسن ما انسحبوا في منطِقٍ عجب
تُدعى الهزيمةُ فيه حسن مُنسَحبِ
لم يدْرِ قائدهم لمّا أحطتَ به
هبطتَ من صَعدٍ أم جئت من صَبَبِ[١]
أخذتَه وهو في تدبير خُطَّتِهِ
فلم تتِمَّ وكانت خُطّة الهربِ
تلك الفراسِخ من سهل ومن جبل
قرَّبْتَ ما كان منها غير مقترِبِ
خيل الرسول من الفولاذ معدنُها
وسائر الخيل من لحمٍ ومن عَصَبِ
أفي ليالٍ تجوبُ الراسيات بها
وتقطع الأرض من قُطْبٍ إلى قُطُبِ؟
سلِ الظلام بها: أيَّ المعاقل لم
تطفِرْ، وأيَّ حصونِ الروم لم تثِبِ؟[٢]
آلَت لئن لم تَرِدْ (إزمِيرَ) لا نزلتْ
ماء سواها ولا حَلَّت على عُشُبِ
والصبر فيها وفي فُرسانها خُلُقٌ
توارثوه أباً في الروْع بعد أبِ
كما وُلدْتُم على أعرافِها وُلِدَت
في ساحة الحرب لا في باحة الرَّحَبِ[٣]
حتّى طلعتَ على (إزميرَ) في فَلَكٍ
من نابه الذكر لم يُسمَكْ على الشُّهُبِ[٤]

(١) الصبب: ما انحدر من الأرض أو الطريق.
(٢) لم تطْفر: من طفر أي وثب من ارتفاع.
(٣) الأعراف: مفردها عُرف، وهو الشعر النابت في محدَّب رقبة الفرس.
(٤) لم يُسْمَك: لم يُرفَعْ.

فـي مـوكـبٍ وقـف الـتـاريـخ يَـعـرضُـه
فـلـم يُـكـذِّب ولـم يَـذمـمْ ولـم يُـرِبِ
يـومٌ (كـبـدرٍ) فـخـيـلُ الـحـق راقـصـةٌ
عـلى الـصّـعـيـد وخـيـل الـلَّـه فـي الـسُّـحُـبِ
غُـرٌّ تـظـلِّـلُـهـا غـرّاءُ وارفـة
بـدريّـةُ الـعـود والـديـبـاج والـعـذَبِ[١]
نـشـوى مـن الـظـفَـر الـعـالـي مُـرَنَّـحَـةٌ
مـن سـكـرة الـنّـصـر لا مـن سـكـرة الـنّـصَـبِ
تُـذكِّـر الأرض مـا لـم تَـنـس مـن زبَـدٍ
كالمسك من جنبات (السّكب) منسكبِ[٢]
حـتّـى تـعـالـى أذانُ الـفـتـح فـاْتَّـأدت
مشي الـمـجلِّي إذا استولى على القصبِ

❊ ❊ ❊

تـحـيـةً أيـهـا الـغـازي وتـهـنـئـةً
بـآيـة الـفـتـح تـبـقـي آيـة الـحِـقـبِ
وقـيِّـمـاً مـن ثـنـاءٍ لا كـفـاءَ لـه
إلّا الـتـعـجـبُ مـن أصـحـابـك الـنُّـجُـبِ
ألـصـابـريـن إذا حـلَّ الـبَـلاءُ بـهـم
كـالـلّـيـث عـضّ عـلـى نـابَـيْـه فـي الـثُّـوَبِ
والـجـاعـلـيـن سـيـوفَ الـهـنـد ألـسُـنَـهـم
والـكـاتـبـيـن بـأطـراف الـقـنـا الـسُّـلُـبِ[٣]

(١) الغُرُّ: مفردها الأَغرّ، والأغر من الخيل ما كان بجبهته غرَّة أي بياض. غرّاء وارفة: وصف للراية. العَذَب: مفردها عَذَبة، وهي الأطراف من كل شيء والمراد هنا أطراف الراية.
(٢) السكب: اسم فرس من خيل الرسول ﷺ.
(٣) السُّلُب: مفردها سلب أي الطويل.

لا الصَّعبُ عندهُمُ بالصّعب مركَبُه
ولا المُحال بمستعصٍ على الطَّلبِ
ولا المصائب إذ يُرمى الرجالُ بها
بقاتلاتٍ إذا الأخلاقُ لم تُصَبِ
قُوّاد معركةٍ، ورَّادُ مهلَكةٍ
أوتادُ مملكة، آساد مُحتَرِبِ
بَلوتهم فتحدَّثْ كم شددتَ بهم
من مُضمحل وكم عمّرت من خَرِبِ
وكم ثَلمْتَ بهم من معقل أشبٍ
وكم هزمتَ بهم مِن جحفلٍ لَجِبِ
وكم بنيت بهم مجداً فما نَبسوا
في الهدم ما ليس في البنيان مِن صَخبِ
مِن فَلِّ جيشٍ ومن أَنْقاض مملكة
ومن بقية قومٍ جئتَ بالعجبِ[1]
أخرجت للناس من ذل ومن فشل
شعباً وراء العوالي غير منشعِبِ
لمّا أتيت (ببدرٍ) من مطالعها
تلفّتَ البيتُ في الأستار والحُجُبِ
وهَشَّت الروضةُ الفيحاء ضاحكةً
إلى (المنوّرة) المسكيّة التُرُبِ
ومسَّت الدار أزكى طيبها وأتت
بابَ الرّسول فمسّت أشرف العتَبِ
وأرّج الفتحُ أرجاءَ الحجاز وكم
قضى اللّياليَ لم يَنعم ولم يطبِ

(١) الفَلّ: الانكسار.

وازَّيَّنت أمّهاتُ الشَّرق واستبقت
مهارجُ الفتحِ في الموشِيّة القشبِ
هزت دِمَشق بني أيوب فانتبهوا
يهنؤون بني حمدان في حلبِ
ومسلمو الهند والهندوس في جذل
ومسلمو مصر والأقباطُ في طربِ
ممالكٌ ضمّها الإسلامُ في رَحِم
وشيجةٍ وحواها الشّرقُ في نسبِ[1]
من كل ضاحيةٍ ترمي بمكتحلٍ
إلى مكانكَ أو تُومي بمختضبِ
تقول: لولا الفتى التركيُّ حلَّ بنا
يومٌ كيوم يهودٍ كان عن كَثَبِ

(١) الرَّحِم الوشيجة: المتصلة القرابة.

بعْدَ المنْفى(*)

[من الوافر]

أنادي الرَّسم لو مَلَكَ الجوابَا
وأجزيهِ بدمعيَ لو أثابَا(١)
وقَلَّ لحقه العبراتُ تجري
وإن كانت سوادَ القلب ذابَا
سبقنَ مُقبِّلاتِ الترب عنّي
وأدّينَ التحيةَ والخطابَا
نثرتُ الدّمع في الدِّمن البوالي
كنظمي في كواعبها الشبابَا(٢)
وقفتُ بها كما شاءت وشاؤوا
وقوفاً علَّمَ الصبرَ الذَّهابَا
لها حقٌّ وللأحباب حقٌّ
رشفتُ وِصَالهم فيها حَبابَا(٣)
ومَنْ شكرَ المناجِم محسِناتٍ
إذا التبرُ أنجلى شكر الترابَا

(*) «هذه القصيدة من أوائل شعر شوقي بعد عودته من منفاه في الأندلس، وحيث كانت مسألة التموين هي الشغل الشاغل للبلاد في تلك الفترة فقد ألقيت هذه القصيدة في اجتماعات لجان التموين (بالأوبرا الملكية عام ١٩٢٠م)».

(١) الرّسم: ما بقي من آثار الدار.

(٢) الدّمن البوالي: الآثار الخربة. الكواعب: الناهدات الثُّدِيْ.

(٣) رشف: يقال رشف الماء أي مصّه بشفتيه. الحَبَاب: الفقاقيع التي تعلو الماء، أو الخمر على سبيل التشبيه.

وبـــيـــن جـــوانـــحـــي وافٍ ألـــوفٌ
إذا لـــمـــح الـــديـــار مـــضـــى وثـــابَـــا
رأى مَـيْـل الـزمـان بـهـا فـكـانـت
عـــلـــى الأيـــام صـــحـــبـــتُـــه عـــتـــابَـــا
وداعـــــاً أرض أَنْـــــدلـــــسٍ وهـــــذا
ثـــنـــائـــي إنْ رضـــيـــت بـــه ثـــوابَـــا
ومـــا أثـــنـــيـــت إلّا بـــعـــد عـــلـــم
وكـــم مـــن جـــاهـــلٍ أثـــنـــى فـــعـــابَـــا
تَـخِـذْتُـكِ مـوئـلاً فـحـلـلـتُ أَنْـدى
ذرىً مـــن وائـــلٍ وأعـــزَّ غـــابَـــا[١]
مُـــغـــرِّبُ آدم مـــن دار عـــدنٍ
قـضـاهـا فـي حـمـاك لـيَ اغـتـرابَـا[٢]
شـكـرتُ الـفُـلـكَ يـوم حـويْـتِ رَحْـلـي
فـيـا لـمُـفـارقٍ شـكـر الـغُـرابَـا
فـأنـتِ أرحـتِـنـي مـن كـل أَنْـفٍ
كـأنـف الـمـيْـتِ فـي الـنَّـزع انـتـصـابَـا
ومـنـظـرِ كـلِّ خـوّانٍ يـرانـي
بـوجـهٍ كـالـبـغـيِّ رمـى الـنِّـقـابَـا
ولـيـس بـعـامـرٍ بـنـيـانُ قـوم
إذا أخـلاقُـهـم كـأنـت خَـرابَـا

❊ ❊ ❊

أحـقٌّ كـنـتِ لـلـزَّهـراء سـاحـاً
وكـنـتِ لـسـاكـن (الـزاهـي) رحـابَـا؟

---

(١) مَوْئِلاً: ملاذاً. ذرى: مفردها ذروة وهي أعلى كل شيء. وائل: اسم جبل.
(٢) معنى البيت، أن اللّه سبحانه الذي أخرج آدم من دار عدن إلى الأرض وجعلها منفاه، قد قضى على الشاعر أن يكون منفاه في حمى جنة على الأرض من بلاد الأندلس الذي يتحدث عنها ويكرمها في شعره.

ولـــم تـــك (جـــور) أبـــهـــى مـــنـــكِ وَرداً
ولـــم تـــكُ (بـــابـــلٌ) أشـــهـــى شـــرابَـــا؟
وأنّ الـــمـــجـــدَ فـــي الـــدُّنـــيـــا رحـــيـــقٌ
إذا طـــال الـــزمـــانُ عـــلـــيـــه طـــابَـــا؟
أولـــئـــك أمـــةٌ ضـــربـــوا الـــمـــعـــالـــي
بـــمـــشـــرقـــهـــا ومـــغـــربـــهـــا قِـــبـــابَـــا
جـــرى كـــدراً لـــهـــم صـــفـــوُ الـــلّـــيـــالـــي
وغـــايـــةُ كـــلّ صـــفـــوٍ أَنْ يُـــشـــابَـــا
مـــشـــيِّـــبـــةُ الـــقـــرون أُديـــلَ مـــنـــهـــا
ألـــم تـــر قـــرنـــهـــا فـــي الـــجـــو شـــابَـــا[١]
مـــعـــلَّـــقـــةٌ تَـــنـــظُّـــرُ صـــولـــجـــانـــاً
يـــخـــرُّ عـــن الـــســـمـــاء بـــهـــا لِـــعـــابَـــا
تُـــعَـــدُّ بـــهـــا عـــلـــى الأمـــمِ الـــلّـــيـــالـــي
ومـــا تـــدريَ الـــســـنـــيـــنَ ولا الـــحـــســـابَـــا

❊ ❊ ❊

ويـــا وطـــنـــي لـــقـــيـــتُـــكَ بـــعـــد يـــأْسٍ
كـــأنـــي قـــد لـــقـــيـــت بـــك الـــشَّـــبـــابَـــا
وكـــلُّ مـــســـافـــرٍ ســـيـــؤوب يـــومـــاً
إذا رُزِقَ الـــســـلامـــة والإيـــابَـــا
ولـــو أَنّـــي دُعـــيـــتُ لـــكـــنـــتَ دِيـــنـــي
عـــلـــيـــه أُقـــابـــل الـــحـــتـــمَ الـــمُـــجـــابَـــا[٢]
أديـــر إلـــيـــك قـــبـــل الـــبـــيـــت وجـــهـــي
إذا فـــهـــتُ الـــشـــهـــادةَ والـــمـــتـــابَـــا

(١) أُديل: من أدال الشيء، أي جعله متداولاً، وللتوضيح فحين نقول: إنّ اللّه داول الأيام بين الناس ذلك يعني صرّفها بينهم فجعلها لهؤلاء تارة ولغيرهم أخرى. والشاعر يعني «بمشيّبة القرون» في مطلع البيت، الشمس.
(٢) دُعيت: نُوديت، والمقصود هنا (دعيت إلى الموت). الحتم المجاب: هو الموت.

وقد سَبَقتْ ركائبيَ القوافي
مقلَّدَةً أزمّتها طِرابَا
تجوبُ الدّهرَ نحوك والفيافي
وتقتحمُ اللّياليَ لا العُبابَا
وتُهديك الثناءَ الحرّ تاجاً
على تاجيكَ مؤتلفاً عُجابَا

* * *

هدانا ضوءُ ثغرِكَ من ثلاثٍ
كما تَهدي المنوَّرةُ الرِّكابَا
وقد غشّى المنارُ البحر نوراً
كنار (الطّور) جَلَّلت الشِّعابَا[1]
وقيل: الثغرُ فأّتّأدتْ، فأرْسَتْ
فكانت من ثراكَ الطُّهرِ قابَا
فصفحاً للزمان لصبحِ يومٍ
به أضحى الزمانُ إليَّ ثابَا
وحيّا اللَّهُ فتياناً سِماحاً
كسوا عطْفيَّ من فخرٍ ثيابَا
ملائكةٌ إذا حفُّوكَ يوماً
أحبَّك كلُّ مَنْ تلقَى وهابَا
وإنْ حَمَلَتْكَ أيديهم بحوراً
بلغتَ على أكفِّهمُ السّحابَا
تلقَّونني بكلِّ أغرَّ زاهٍ
كأنّ على أسِرَّتِهِ شهابَا

(١) جلّل: غطّى.

تــرى الإيــمــان مــؤتــلــفــاً عــلــيــه
ونــورَ الــعــلــم والــكــرم الــلُّــبــابَــا[١]
وتــلــمــحُ مــن وضــاءةِ صــفــحــتَــيْــه
مُــحَــيَّــا مــصــرَ رائــعــةً كــعَــابَــا[٢]
ومــا أدبــي لِــمَــا أســدوْه أهــلٌ
ولــكــن مَــنْ أحــبَّ الــشــيءَ حــابَــى
شــبــاب الــنِّــيــل : إنّ لــكــم لــصــوْتــاً
مــلــبًّــى حــيــن يُــرفــعُ مــســتــجــابَــا
فــهُــزُّوا الــعــرشَ بــالــدعــوات حــتــى
يــخــفِّــفَ عــن كــنــانــتــهِ الــعــذابَــا
أمــن حــرب الــبَــســوسِ إلــى غَــلاءٍ
يــكــاد يُــعــيــدُهــا ســبــعــاً صِــعــابَــا؟
وهــل فــي الــقــوم يــوســف يــتَّــقــيــهــا
ويُــحــســنُ حِــسْــبــةً ويــرى صــوابَــا؟[٣]
عــبــادك ربِّ قــد جــاعــوا بــمــصــرٍ
أنــيــلاً سُــقْــتَ فــيــهــم أم سَــرابَــا
حــنــانــك وٱهــدِ لــلــحــســنــى تِــجــاراً
بــهــا مــلــكــوا الــمــرافِــق والــرِّقــابَــا
ورقِّــقْ لــلــفــقــيــر بــهــا قــلــوبــاً
مــحــجَّــرةً وأكــبــاداً صِــلابَــا
أمَــنْ أكــلَ الــيــتــيــم لــه عــقــابٌ
ومَــنْ أكــل الــفــقــيــرَ فــلا عــقــابَــا؟

---

(١) اللّباب: المختار الخالص من كل شيء.
(٢) الوضاءة: النظافة.
(٣) الحسبة: الاحتساب، ويُحسن حسبة: أي يحسن التقدير.

أُصيب من التِّجار بكل ضارٍ
أشدَّ من الزمان عليه نابَا
يكاد إذا غَذَاه أو كساه
ينازعه الحشاشة والإهابَا[١]
وتسمعُ رحمةً في كل نادٍ
ولست تحسُّ للبرِّ انتدابَا
أكلٌّ في كتاب اللَّه إلّا
زكاةَ المالِ ليست فيه بابَا
إذا ما الطاعمون شكَوْا وضجُّوا
فدعهُم وٱسمع الغرثى السِّغابَا[٢]
فما يبكون من ثُكْلٍ ولكن
كما تصفُ المُعَدِّدةُ المصابَا
ولم أر مثلَ سوق الخيرِ كسباً
ولا كتجارة السوء اكتسابَا
ولا كأولئك البؤساء شاءً
إذا جوَّعتها ٱنتشرت ذئابَا
ولولا البِرُّ لم يُبعثْ رسولٌ
ولم يَحملْ إلى قومٍ كتابَا

(١) الحُشاشة: بقية الروح في المريض أو الجريح. الإهاب: الجلد.
(٢) الغرثى: مفردها غرثان أي الجائع. السّغاب: مفردها ساغب وهو الجائع كذلك.

ذِكْرَى المَوْلِد

[من الوافر]

سلوا قلبي غداةَ سلا وثابَا
لعلَّ على الجمالِ له عِتابَا
ويُسألُ في الحوادثِ ذو صواب
فهل ترك الجمالُ له صوابَا؟
وكنتُ إذا سألتُ القلبَ يوماً
تولَّى الدمعُ عن قلبي الجوابَا
ولي بين الضلوع دمٌ ولحمٌ
هما الواهي الذي ثَكِلَ الشبابَا[١]
تسرَّب في الدّموع فقلتُ: ولَّى
وصفَّق في الضلوعِ فقلت: ثابَا[٢]
ولو خُلِقتْ قلوبٌ من حديد
لَمَا حمَلتْ كما حمَل العذابَا
وأحبابٍ سُقيتُ بهم سُلافاً
وكان الوصلُ من قِصرٍ حَبابَا[٣]
ونادَمْنا الشبابَ على بساطٍ
من اللّذات مختلفٍ شرابَا

(١) الواهي: الواهن أو الضعيف. ثكل: فقد الولد، وهنا استعارها الشاعر لفقد الشباب. أما المقصود بعبارة: «ولي بين الضلوع دمٌ ولحمٌ» فهو كناية عن القلب.
(٢) ثاب: رجع أو عاد.
(٣) السّلاف: هو أفضل الخمر. الحَباب: الفقاقيع التي تعلو الماء، أو الخمر على سبيل التشبيه.

وكــلُّ بــســاطِ عــيــشٍ ســوف يُــطــوى
وإنْ طــال الــزمــانُ بــه وطــابَــا
كــأنَّ الــقــلــبَ بــعــدهُــمُ غــريــبٌ
إذا عــادتــه ذكــرى الأهــل ذابَــا
ولا يُــنــبــيــك عــن خُــلُــقِ الــلّــيــالــي
كــمَــنْ فــقــد الأحــبّــة والــصِّــحــابَــا
أخــا الــدُّنــيــا، أرى دنــيــاكَ أفــعــى
تُــبــدّل كــلَّ آونــةٍ إهــابَــا
وأنّ الــرُّقــط أيــقــظ هــاجــعــاتٍ
وأتــرع فــي ظــلالِ الــسِّــلــم نــابَــا[1]
ومــن عــجــبٍ تُــشــيّــب عــاشــقِــيــهــا
وتُــفــنــيــهــم ومــا بَــرحــت كَــعَــابَــا[2]
فــمَــنْ يــغــتــرُّ بــالــدنــيــا فــإنّــي
لــبــسْــتُ بــهــا فــأبــلــيــتُ الــثــيــابَــا
لــهــا ضَــحِــكُ الــقِــيــان إلــى غــبــيّ
ولــي ضَــحِــكُ الــلّــبــيــب إذا تــغــابَــى[3]
جــنــيــتُ بــروضِــهــا ورداً وشــوكــاً
وذقــت بــكــأسِــهــا شُــهْــداً وصــابَــا
فــلــم أرَ غــيــر حــكــم الــلَّــهِ حــكــماً
ولــم أرَ دون بــاب الــلَّــه بــابَــا
ولا عــظَّــمْــتُ فــي الأشــيــاء إلّا
صــحــيــحَ الــعــلــم، والأدبَ الــلُّــبــابَــا[4]

(١) الرُّقط: مفردها رقطاء وهي الأفعى السوداء المرقَّطة بالبياض. أترع: أسرع إلى الأذى.
(٢) الكَعاب: الشّابة الناهدة.
(٣) القيان: مفردها قَيْنة وهي الأَمَة المغنّية.
(٤) اللّباب: الخالص من كل شيء.

ولا كـــــرّمـــــتُ إلّا وجـــــهَ حـــــرٍّ
يـقـلّـد قـومـه الـمـئِـنَ الـرَّغـابَـا[١]
ولـــم أرَ مـــثـــل جـــمـــعِ الـــمـــالِ داءً
ولا مـثـلَ الـبـخـيـلِ بـه مُـصـابَـا
فـلا تـقـتـلـك شـهـوتُـه، وزنـهـا
كـمـا تـزنُ الـطـعـامَ أو الـشـرابَـا
وخـــذ لـــبـــنـــيـــك والأيـــام ذخـــراً
وأعـط الـلَّـهَ حِـصـتَـه احـتـسـابَـا[٢]
فـلـو طـالـعـت أحـداث الـلّـيـالـي
وجـدت الـفـقـرَ أقـربَـهـا انـتِـيـابَـا[٣]
وأنّ الـــبـــرّ خـــيـــرٌ فـــي حـــيـــاةٍ
وأبـقـى بـعـد صـاحِـبـه ثـوابَـا
وأنّ الـشـرَّ يـصـدعُ فـاعـلـيـه
ولـــم أرَ خـــيِّـــراً بـــالـــشّـــر آبَـــا
فـرفـقـاً بـالـبـنـيـنَ إذا الـلّـيـالـي
عـلـى الأعـقـاب أوقـعـتِ الـعِـقـابَـا
ولـم يـتـقـلـدوا شـكـرَ الـيـتـامـى
ولا ٱدّرعـوا الـدعـاء الـمـسـتـجـابَـا[٤]
عـجـبـتُ لـمـعـشـرٍ صـلّـوا وصـامـوا
ظـواهـرَ خـشـيـةٍ وتُـقًـى كِـذابَـا[٥]

---

(١) المَئِن: من مَأَنَ القوم، أي احتمل مؤونتهم أو قوتهم. الرَّغاب: غالباً ما تطلق على الأرض، فيقال الرَّغاب من الأرض: أي التي تشرب كثيراً من ماء المطر، فلا تسيل إلّا من مطر كثير. ومعنى البيت أن الشاعر لا يكرّم إلّا وجه حر يقلّد قومه مؤونتهم ويجْزيهم بالخيرات كالرَّغاب من الأرض.
(٢) احتساباً: أي احتسب أمره عند اللّه بما قدّمه.
(٣) انتياباً: تتابعاً أو مرة بعد مرة. (٤) ادّرعوا: توقّوا، من ادّرع أي لبس الدّرع.
(٥) الكِذاب: الكذب.

وتُلفيهم حيالَ المالِ صُمًّا
إذا داعِي الزَّكاةِ بهم أهابَا[١]
لقد كتموا نصيبَ اللَّه منهُ
كأنّ اللَّه لم يُحصِ النِّصابَا
ومَنْ يَعدِلْ بحبِّ اللَّهِ شيئاً
كحبِّ المال، ضلَّ هوًى وخابَا
أراد اللَّهُ بالفقراء برًّا
وبالأيتام حبًّا وارتبابَا[٢]
فرُبَّ صغير قومٍ علَّموه
سَمَا وحَمى المُسَوَّمةَ العِرابَا[٣]
وكان لقومه نفعاً وفخراً
ولو تركوه كان أذًى وعابَا[٤]
فعلِّم ما ٱستطعت، لعلّ جيلاً
سيأتي يُحدثُ العَجَبَ العُجابَا
ولا تُرهِقْ شباب الحيّ يأساً
فإنَّ اليأس يخترمُ الشبابَا[٥]
يريد الخالقُ الرزق اشتراكاً
وإنْ يكُ خص أقواماً وحابَى[٦]
فما حَرم المجدّ جَنَى يديه
ولا نسيَ الشقيَّ ولا المُصابَا[٧]

(١) أهاب: حثّ ودعا.
(٢) ارتباباً: من ربّى الصغير حتى يدرك.
(٣) المسوَّمة: الخيل السائمة في المرعى. العِراب: الكرائم من الخيل.
(٤) العَاب: العَيب.
(٥) أرهق: أثقل. اخترم الشباب: استأصله وأهلكه.
(٦) حابى: اختصّ الشيء ومال إليه.
(٧) الجَنَى: ما نجني من العمل، كما نجني الثمر من الشجر.

ولــولا الــبــخــلُ لــم يــهــلــك فــريــقٌ
عــلــى الأقــدار تــلــقــاهُــم غِــضــابَــا
تــعــبــتُ بــأهــلــه لــومــاً، وقــبــلــي
دُعــاةُ الــبــر قــد سـئـمـوا الــخِــطــابَــا
ولــو أنّــي خــطــبــت عــلــى جــمــاد
فــجــرْتُ بــه الــيــنــابــيــع الــعِــذابَــا
ألــم تــرَ لــلــهــواءِ جــرى فــأفــضــى
إلــى الأكــواخ والْخــتــرق الــقِــبــابَــا[١]
وأنّ الــشــمــس فــي الآفــاق تَــغــشَــى
حِمى كسرى كما تغشى اليبابَا[٢]
وأنّ الــمــاءَ تَــروي الأُسْــدُ مــنــهُ
ويَشفِي من تَلَعْلُعِهَا الكلابَا[٣]
وسَــوّى الــلَّــه بــيــنــكــمُ الــمــنــايــا
ووسَّــدكُــم مــع الــرسْــلِ الــتــرابَــا[٤]
وأرســلَ عــائــلاً مــنــكــم يــتــيــمــاً
دنــا مــن ذي الــجــلال فــكــان قــابَــا[٥]
نــبــيُّ الــبــرِّ، بَــيّــنــه ســبــيــلاً
وســنّ خــلالــه وهَــدى الــشِّــعــابَــا[٦]
تــفــرق بــعــدَ عــيــســى الــنــاسُ فــيــه
فــلــمّــا جــاءَ كــان لــهــم مَــتــابَــا[٧]

---

(١) أفضى: بلغ. (٢) اليباب: القفر أو الخراب.
(٣) تلعلع الكلب: دلع لسانه من العطش. (٤) سوّى: جعل الأمر سواء.
(٥) عائلاً: محتاجاً وفقيراً. قاباً: قريباً، من قاب القوس أو الرجل قوْباً أي قرب.
(٦) الشّعاب: مفردها شِعب أي انفراج ما بين جبلين والمعنى هنا الطُّرق.
(٧) يعود الضمير في كلمة «فيه» إلى «البرّ» في البيت السابق. المتاب: الرجوع عن المعصية.

وشافِي النفس من نَزغاتِ شرٍّ
كشافٍ من طبائعها الذئابَا[١]
وكان بيانه للهدْيِ سُبْلاً
وكانت خيلُه للحق غابَا
وعَلَّمنا بناءَ المجد حتّى
أخذنا إمرةَ الأرضِ اغتصابَا
وما نيلُ المطالب بالتَّمنِّي
ولكن تؤخذُ الدّنيا غِلابَا[٢]
وما ٱستعصى على قوم منالٌ
إذا الإقدام كان لهم رِكابَا

❊ ❊ ❊

تجلّى مولد الهادي وعمّت
بشائرُه البواديَ والقِصَابَا[٣]
وأسدَتْ للبريّة بنتُ (وهبٍ)
يداً بيضاء طوّقتِ الرقابَا[٤]
لقد وضعته وهّاجاً منيراً
كما تلِدُ السماواتُ الشِّهابَا[٥]
فقام على سماء البيتِ نوراً
يضيءُ جبالَ مكة والنِّقابَا[٦]
وضاعت يَثرِبُ الفيحاء مسكاً
وفاحَ القاعُ أرجاءً وطابَا[٧]

---

(١) النّزغات: الوساوس.
(٢) غلاباً: قهراً.
(٣) القِصاب: مفردها قصبة، أي المدينة.
(٤) بنت وهب: هي السيدة آمنة أم الرسول الكريم ﷺ.
(٥) الشِّهاب: الكوكب.
(٦) النِّقاب: مفردها نَقْب، أي الطريق في الجبل.
(٧) ضاعت يثربُ مِسكاً: انتشرت رائحة المسك فيها.

أبـــا الـــزهـــراءِ قـــد جـــاوزتُ قـــدري
بـــمـــدحـــك بَـــيْـــدَ أَنَّ لـــيَ انـــتـــســـابَـــا
فـــمـــا عـــرفَ الـــبـــلاغـــة ذو بـــيـــان
إذا لـــم يـــتـــخـــذْك لـــه كـــتـــابَـــا
مـــدحـــتُ الـــمـــالـــكـــيـــن فـــزدتُ قـــدراً
فـــحـــيـــن مـــدحـــتُـــك اقـــتـــدتُ الـــســـحـــابَـــا
ســـألـــت الـــلَّـــه فـــي أبـــنـــاء ديـــنـــي
فـــإن تَـــكُـــنِ الـــوســـيـــلـــة لـــي أجـــابَـــا
ومـــا لـــلـــمـــســـلـــمـــيـــن ســـواك حـــصـــنٌ
إذا مـــا الـــضـــرُّ مـــسَّـــهُـــم ونـــابَـــا
كـــأنّ الـــنـــحـــسَ حـــيـــن جـــرى عـــلـــيـــهـــم
أطـــار بـــكـــل مـــمـــلـــكـــةٍ غُـــرابَـــا
ولـــو حـــفـــظـــوا ســـبـــيـــلـــك كـــان نـــوراً
وكـــان مـــن الـــنـــحـــوس لـــهـــم حـــجـــابَـــا
بـــنـــيْـــتَ لـــهـــم مـــن الأخـــلاق ركـــنـــاً
فـــخـــانـــوا الـــركـــن فـــأنـــهـــدم اضـــطـــرابَـــا
وكـــان جَـــنـــابُـــهـــم فـــيـــهـــا مـــهـــيـــباً
ولَـــلأخـــلاقُ أجـــدرُ أَنْ تَـــهـــابَـــا
فـــلـــولاهـــا لـــســـاوى الـــلّـــيـــث ذئـــبـــاً
وســـاوى الـــصّـــارمُ الـــمـــاضـــي قِـــرابَـــا[1]
فـــإنْ قُـــرِنـــت مـــكـــارمُـــهـــا بـــعـــلـــم
تـــذلّـــلـــتِ الـــعـــلا بـــهـــمـــا صِـــعـــابَـــا
وفـــي هـــذا الـــزمـــان مَـــســـيـــحُ عـــلـــم
يـــردُّ عـــلـــى بـــنـــي الأمـــم الـــشـــبـــابَـــا

(١) الصارم الماضي: السيف القاطع. القِراب: الغمد.

مَشْروع ملنر(*)

[من السريع]

إِثْـنِ عِـنـانَ الـقـلـبِ وٱسـلـم بـه
مـن رَبْـرب الـرَّمـل ومـن سِـربِـهِ(١)
ومِـن تـثـنّـي الـغـيـدِ عـن بـانـهِ
مـرتَـجَّـة الأردافِ عـن كُـثْـبِـهِ(٢)
ظِـبـاؤه الـمـنـكـسِـراتُ الـظُّـبَـى
يَـغـلِـبْـن ذا الـلّـب عـلـى لـبّـهِ(٣)
بـيـضٌ رِقـاقُ الـحـسـن فـي لـمـحـةٍ
مـن نـاعـم الـدرِّ ومـن رَطْـبِـهِ
ذوابـل الـنـرجـس فـي أصـلِـهِ
يَـوانـع الـورد عـلـى قُـضْـبِـهِ

(*) «في سنة ١٩١٩م ثارت البلاد في طلب استقلالها وسافر الوفد المصري لعرض قضية البلاد على مؤتمر السلام العام في «فرساي» وتلقى هناك من لورد «ملنر» وزير المستعمرات الإنكليزية إذ ذاك ليتفق معه على مركز البلاد وتحديد علاقة إنكلترا بها. فتمخضت المحادثات بينهما عن مشروع قدمه لورد ملنر واتفق مع الوفد على عرضه على البلاد لأخذ رأيها فيه مع التزام الحيدة: فانتدب الوفد أربعة من أعضائه للقيام بهذه المهمة. وقد كانت الأفكار يومئذ متجهة إلى أن المشروع يصلح أساسا للمفاوضة ببعض تعديلات».

(١) الرَّبرب: القطيع من بقر الوحش. السِّرب: الجماعة من الطير أو الحيوان.

(٢) الغيد: مفردها غيداء وهي المرأة اللينة الأعطاف. البان: نوع من الشجر معروف بطوله. الكُثب: مفردها كثيب وهو التل من الرمل، يشبّه به الأرداف.

(٣) الظّباء: مفردها ظَبْيَة أي الغزال. الظُّبى: مفردها ظَبَة، أي حد السيف. ويشبّه الشاعر هنا الرّموش المنكسرات لعيون الظّباء بالظُّبى.

زِنَّ عـلـى الأرض سـمـاءَ الـدُّجـى
وزِدْن فـي الـحـسـن عـلـى شُـهْـبِـهِ
يـمـشـيـن أسـرابـاً عـلـى هِـيـنـةٍ
مـشـي الـقـطـا الآمـن فـي سِـربِـهِ(١)
مـن كـلِّ وسْـنـان بـغـيـر الـكـرى
تـنـتـبـهُ الآجـالُ مـن هُـدْبِـهِ
جَـفْـنٌ تـلـقَّـى مَـلَـكـا بـابـلٍ
غـرائـبَ الـسـحـرِ عـلـى غَـرْبِـهِ(٢)
يـا ظَـبْـيَـةَ الـرَّمـل وُقـيـتِ الـهـوى
وإنْ سـعـتْ عـيـنـاكِ فـي جَـلـبِـهِ
ولا ذرَفْـتِ الـدّمـع يـومـاً وإنْ
أسـرفْـتِ فـي الـدمـع وفـي سـكـبِـهِ
هـذي الـشـواكـي الـنُّـجـلُ صـدن امـرأً
مُـلْـقـى الـصِّـبـا أعـزلَ مـن غـرْبِـهِ(٣)
صَـيَّـادَ آرام رمـاه الـهـوى
بِـشـادنٍ لا بُـرْءَ مـن حُـبِّـهِ(٤)
شـاب وفـي أضـلـعـهِ صـاحـبٌ
خِـلْـوٌ مـن الـشـيـب ومـن خَـطْـبِـهِ(٥)
واهٍ بـجـنـبـي، خـافـقٌ، كـلـمـا
قـلـتُ تـنـاهَـى، لَـجَّ فـي وثْـبِـهِ

(١) هِينة: سكينة. القطا: نوع من الطيور.
(٢) مَلَكَا بابل: هما هاروت وماروت الملكان اللذان أنزل عليهما السّحر. غَربه: أي غرب الجفن، والغرب: السيف، وبالتالي فيكون الجفن غمداً لهذا السيف وهي صورة جميلة للتشبيه بين السيف وغمده والجفن ورمشه.
(٣) الشواكي النُّجل: كناية عن العيون. من غَربِهِ: من غَرب الشباب أي نشاطه وحدّته.
(٤) آرام: مفردها رئم وهو الظبي. الشّادن: ولد الظبية.
(٥) صاحب: المقصود به القلب.

لا تـــنـــثـــنـــي الآرامُ عـــن قـــاعِـــهِ
ولا بـــنـــاتُ الـــشَّـــوْقِ عـــن شِـــعـــبِـــهِ(١)
حـــمَّـــلـــتُـــه فـــي الـــحـــبِّ مـــا لـــم يـــكـــن
لـــيـــحـــمـــلَ الـــحـــبُّ عـــلـــى قـــلـــبِـــهِ
مـــا خَـــفَّ إلّا لـــلـــهـــوى والـــعـــلا
أو لـــجـــلال الـــوفـــدِ فـــي رَكـــبِـــهِ
أربـــعـــةٌ تـــجـــمـــعـــهـــم هـــمـــةٌ
يـــنـــقُـــلـــهـــا الـــجـــيـــل إلـــى عَـــقـــبِـــهِ(٢)
قِـــطـــارهـــم كـــالـــقَـــطـــر هـــزّ الـــثـــرى
وزاده خِـــصـــبـــاً عـــلـــى خِـــصـــبِـــهِ(٣)
لـــولا اســـتـــلامُ الـــخـــلـــقِ أرْســـانـــه
شـــبَّ فـــنـــال الـــشـــمـــسَ مـــن عُـــجـــبِـــهِ(٤)
كـــلّـــهُـــمُ أغـــيـــرُ مـــن وائـــلٍ
عـــلـــى حِـــمـــاه وعـــلـــى شـــعـــبِـــهِ(٥)
لـــو قـــدَرُوا جـــاؤُوكُـــمُ بـــالـــثـــرى
مـــن قُـــطْـــبِـــهِ مُـــلـــكـــاً إلـــى قُـــطْـــبِـــهِ
ومـــا اعـــتـــراضُ الـــحـــظِّ دون الـــمُـــنـــى
مـــن هـــفـــوةِ الـــمـــحـــســـن أو ذنـــبِـــهِ
لـــيـــس بـــالـــفـــاضـــلِ فـــي نـــفـــسِـــهِ
مَـــنْ يُـــنـــكـــر الـــفَـــضْـــلَ عـــلـــى ربِّـــهِ

---

(١) القاع: الأرض السهلة. الشِّعب: الناحية أو الطريق. و«الهاء» في قاعه وشِعبه تعود إلى القلب أي الصاحب في الأبيات السابقة.

(٢) أربعة: يقصد عدد الأعضاء المندوبين لعرض المشروع الذي يتحدث عنه. العَقب: أي الأولاد المتعاقبة من الرجل.

(٣) القطر: المطر.

(٤) أرسان: مفردها رسن وهو الزِّمام.

(٥) وائل: اسم قبيلة عربية معروفة في الحفاظ على الحِمى.

مـا بـالُ قـومـي ٱخـتـلـفـوا بـيـنـهـم
فـي مِـدحـةِ الـمـشـروعِ أو ثَـلْـبِـهِ[١]
كـأنـهـم أسـرى، أحـاديـثُـهـم
فـي لـيِّـن الـقـيـد وفـي صُـلـبِـهِ
يـا قـومِ هـذا زمـنٌ قـد رمَـى
بـالـقـيْـد وٱسـتـكـبـر عـن سَـحـبِـهِ[٢]
لـو أنّ قـيـداً جـاءَه مـن عَـلٍّ
خـشـيـتُ أَنْ يـأبـى عـلـى ربِـهِ
وهـذه الـضـجـة مـن نـاسـهِ
جـنـازة الـرقِّ إلـى تُـربِـهِ
مَـنْ يـخـلـع الـنِّـيـرَ يَـعـشْ بُـرهـةً
فـي أثـر الـنِّـيـر وفـي نـدبِـهِ[٣]
يـا نَـشـأَ الـحـيِّ، شـبـاب الـحِـمَـى
سُـلالـة الـمـشـرق مـن نُـجْـبِـهِ[٤]
بَـنِـي الألـى أصـبـحَ إحـسـانُـهـم
دارت رحَـى الـفـنّ عـلـى قـطـبِـهِ
مـوسـى وعـيـسـى نـشـأا بـيـنـهـم
فـي سـعَـة الـفِـكـرِ وفـي رُحْـبِـهِ
وعـالَـجـا أوّلَ مـا عـالـجـا
مـن عـلـلِ الـعـالَـم أو طـبِّـهِ[٥]
مـا نَـسـيَـتْ مـصـر لـكـم بـرَّهـا
فـي حـازِبِ الأمـر وفـي صـعـبِـهِ[٦]

(١) الثلب: العيب والنقص. (٢) السّحب: الجرّ على الأرض.
(٣) النِّير: الخشبة المعترضة في عنق الثورين أثناء الحراثة، وهي كناية عن الاستعباد والرق. الندب: مفردها ندبة، وهي أثر الجرح الباقي على الجلد.
(٤) النُجب: الكرام. (٥) الطّب: علاج الجسم والنفس.
(٦) حازب الأمر: شديده.

مــزّقــتــمُ الــوهــم وألّــفــتُــمُ
أهــلَّــةَ الــلَّــه عــلــى صُــلــبِــهِ
حــتــى بــنــيــتــمْ هــرمــاً رابــعــاً
مــن فِــئــةٍ الــحــقِّ ومــن حــزبِــهِ
يــومٌ لــكــم يَــبــقــى (كــبــدر) عــلــى
أنــصــار سـعـد وعــلــى صــحــبِــهِ(١)
قــد صــارت الــحــال إلــى جــدّهــا
وآنــتــبــه الــغــافــلُ مــن لــعــبِــهِ
ألــلَّــيْــثُ والــعــالــمُ مــن شــرقــه
فــي هــيــبــة الــلّــيــثِ إلــى غــربــهِ(٢)
قــضــى بــأنْ نَــبــنــي عــلــى نــابــه
مُــلــكَ بَــنــيــنــا وعــلــى خِــلــبِــهِ(٣)
ونــبــلُــغَ الــمــجــد عــلــى عــيــنــه
ونَــدْخُــلَ الــعــصــر إلــى جَــنــبِــهِ
ونــصــلَ الــنــازل فــي سِــلــمــه
ونــقــطــعَ الــداخــل فــي حــربِــهِ
ونَــصْــرفَ الــنِّــيــل إلــى رأيــه
يَــقــسِــمُــه بــالــعــدل فــي شِــربِــهِ(٤)
يُــبــيــحُ أو يَــحــمــي عــلــى قُــدْرةٍ
حــقَّ الــقُــرى والــنــاسِ فــي عــذبِــهِ
أمــرٌ عــلــيــكــم أو لــكــم فــي غــدٍ
مــا ســاء أو مــا سَــرَّ مــن غــبِّــهِ(٥)

---

(١) بدر: اسم أكبر المعارك التي انتصر فيها الإسلام على أعدائه في بداية انتشاره.
(٢) الليث: من أسماء الأسد، ويقصد الأسد البريطاني. والشاعر قام باستعراض نقاط المشروع الهامّة، ابتداء من هذا البيت.
(٣) الخِلب: الظّفر.
(٤) الشِّرب: الحظ والنصيب من الماء.
(٥) الغِبّ: العاقبة.

لا تـسـتَـقِـلُّـوه فـمـا دهـرُكـم
(بـحـاتـم) الـجـود ولا (كـعـبِـهِ)[١]
نـسـمـعُ بـالـحـقِّ ولـم نـطَّـلـعْ
عـلـى قَـنَـا الـحـق ولا قُـضْـبِـهِ[٢]
يـنـال بـالـلّـيـن الـفـتـى بـعـض مـا
يـعـجـز بـالـشـدّة عـن غـصـبِـهِ
فـإنْ أَنِـسـتـم فـلـيـكـن أُنـسُـكـم
فـي الـصّـبـر لـلـدّهـر وفـي عَـتـبِـهِ
وفـي احـتـشـام الأُسْـدِ دون الـقـذَى
إذا هـي اضـطُـرّت إلـى شُـربِـهِ[٣]
وقـد أسـقـط الـطّـفـرَةَ فـي مـلـكـه
مَـنْ لـيـس بـالـعـاجـز عـن قـلـبِـهِ[٤]
يـا رُبَّ قـيـدٍ لا تـحـبُّـونـه
زمـانُـكـم لـم يـتـقـيَّـدْ بِـهِ
ومـطـلـبٍ فـي الـظـن مـسـتـبـعـدٍ
كـالـصـبـحِ لـلـنـاظـرِ فـي قـربِـهِ
والـيـأسُ يـجـمُـلُ مـن مـؤمـنٍ
مـا دام هـذا الـغـيـبُ فـي حُـجـبِـهِ

(١) حاتم: هو حاتم طي. كعب: هو كعب بن مامة الإيادي. وكلاهما من أجواد العرب.
(٢) القنا: الرماح. القضب: السيوف.
(٣) الاحتشام: الانقباض والإحجام. القذى: ما يقع في الماء أو العَيْن من قش وخلافه.
(٤) الطَّفرة: الوثبة أو القفزة. وأسقط الطَّفرة أي تركها. وقلب المُلْك: تغيير نظامه.

مَشْروع ٢٨ فبراير

[من البسيط]

أُعـدّت الـراحـةُ الـكـبـرى لـمَـنْ تـعـبَـا
وفـاز بـالـحـقِّ مَـنْ لـم يـأْلُـهُ طـلـبَـا[١]
ومـا قـضـت مـصـرُ مـن كـلِّ لُـبـانَـتـهـا
حـتـى نـجـرّ ذيـول الـغـبـطـة الـقُـشُـبَـا[٢]
فـي الأمـرِ مـا فـيـه مـن جـدٍّ فـلا تـقـفـوا
مـن واقـع جـزعـاً أو طـائـرٍ طَـربَـا[٣]
لا تُـثـبـتُ الـعـيـن شـيـئـاً أو تُـحـقـقـه
إذا تـحـيـرَ فـيـهـا الـدمـعُ واضـطـربَـا[٤]
والـصـبـحُ يُـظـلِـم فـي عـيـنـيـك نـاصـعُـهُ
إذا سـدلـتَ عـلـيـه الـشـكَّ والـرِّيـبَـا[٥]
إذا طـلـبـتَ عـظـيـمـاً فـاصـبـرنَّ لـه
أو فـاحـشـدنَّ رمـاح الـخَـطِّ والـقُـضُـبَـا[٦]

---

(١) لم يأل: لم يقصر. قال تعالى: ﴿**لا يألونكم خبالا**﴾. وهذا البيت من الحكم الغالية التي لا تتاح لغير أمير الشعراء، فكم وراء جهاد الحياة من راحة وكم وراء الضعف من قوة.

(٢) اللّبانة: الحاجة. القُشُب: مفردها قشيب أي الجديد. وفي هذا البيت استفزاز وتحدٍّ للهمم لأن طريق المجد طويل.

(٣) الجدّ: الاجتهاد. وفي هذا البيت من المعاني التربوية للنهوض بالأمة الشيء الكثير، فلا يجوز اليأس والجزع من الواقع فيستحكم بالأمة ولا يجوز أيضاً التمادي في الخيال والركود وراء الشعور بالنشوة فيطير بالأمة ويرديها.

(٤) تثبت العين: تصحح. وفي هذا البيت تصوير للتردد والذعر والهلع والشك الذي يصيب الإنسان، فلا يستبين طريق الصواب.

(٥) الرِّيب: الظنون.

(٦) الخَطّ: موضع باليمامة اشتهر بصناعة الرماح، فحملت الرماح لفظه، فيقال: رماح خَطّيّة.

ولا تـــعِـــدّ صـــغـــيـــراتِ الأمـــورِ لـــه
إنّ الـصّـغـائـرَ لـيـسـت لـلـعُـلا أُهُـبَـا[١]
ولـن تَـرَى صـحـبـةً تُـرضـي عـواقـبُـهـا
كـالـحـقِّ والـصـبرِ فـي أمـر إذا ٱصـطَـحَـبَـا[٢]
إنّ الـرجـالَ إذا مـا أُلـجِـئـوا لـجـؤوا
إلـى الـتـعـاون فـيـمـا جَـلَّ أو حَـزَبَـا[٣]

❊ ❊ ❊

لا ريـــب أَنّ خُـــطـــى الآمـــالِ واســـعـــةٌ
وأنّ لـيـل سـراهـا صُـبْـحُـهُ ٱقـتَـربَـا[٤]
وأنّ فـي راحَـتـيْ مـصـرٍ وصـاحـبـهـا
عـهـداً وعـقـداً بـحـقٍّ كـان مُـغـتـصـبَـا[٥]
قـد فـتَّـحَ الـلَّـه أبـوابـاً لـعـلَّ لـنـا
وراءهـا فُـسَـحَ الآمـالِ والـرحَـبَـا[٦]
لـولا يـدُ الـلَّـهِ لـم نـدفـعْ مـنـاكـبَـهـا
ولـم نـعـالـجْ عـلـى مـصـراعِـهـا الأربَـا[٧]
لا تَـعـدمُ الـهِـمَّـةُ الـكـبـرى جـوائِـزَهـا
سِـيَّـان مَـنْ غَـلَـب الأيـام أو غُـلـبَـا[٨]
وكـلُّ سـعـي سَـيـجـزي الـلَّـهُ سَـاعـيـهُ
هـيـهـاتَ يـذهـب سعْـيُ الـمـحـسـنـيـن هـبَـا[٩]

---

(١) أُهُب: مفردها إهاب: الجلد.
(٢) يتحدث عن فضيلة التواصي بالصبر في إحقاق الحق.
(٣) حزب: من حزبه الأمر أي أصابه. (٤) السُّرى: مفردها سَرية وهي السير ليلاً.
(٥) الراحة: بطن الكف. والمقصود من البيت أنه أصبح لمصر في يد مليكها عقدٌ وثيقٌ.
(٦) فسح: مفردها فسحة. الرحب: مفردها رحبة.
(٧) يد اللَّه: قدرة اللَّه. المناكب: الأكتاف. عالج الأمر: تعامل معه بمشقة. المصراع من الباب: الشطر. الأرب: الحاجة.
(٨) يشير البيت إلى أن صاحب الهمّة الكبيرة يدرك الأمل ولو بعد حين.
(٩) المراد أن العرف لا يذهب بين اللَّه والناس.

لـم يُـبـرمِ الأمـرُ حـتـى يَـسـتـبـيـنَ لـكـم
أسـاء عـاقـبـةً أمْ سَـرَّ مُـنـقَـلـبَـا[١]

نِـلـتُـم جـلـيـلاً ولا تُـعـطـونَ خـردلـةً
إلّا الـذي دفـع الـدسـتـورُ أو جَـلـبَـا[٢]

تَـمـهّـدتْ عَـقـبـاتٌ غـيـرُ هـيّـنـةٍ
تـلـقَـى ركـابُ الـسُّـرى مـن مـثـلـهـا نَـصَـبَـا[٣]

وأقـبـلـتْ عَـقـبـاتٌ لا يُـذلـلـهـا
فـي مـوقـفِ الـفـصـلِ إلّا الـشَّـعـبُ مُـنـتـخِـبَـا

لـه غـداً رأْيُـهُ فـيـهـا وحِـكـمـتُـهُ
إذا تـمـهَّـلَ فـوق الـشـوْكِ أو وثـبَـا[٤]

كـم صَـعَّـبَ الـيـومُ مـن سـهـلٍ هـممـتَ بـه
وسـهّـلَ الـغـدُ فـي الأشـيـاءِ مـا صَـعُـبَـا[٥]

ضُـمُّـوا الـجـهـودَ وخَـلُّـوهـا مُـنـكّـرةً
لا تَـمـلـؤُوا الـشـدق مـن تـعـريـفـهـا عـجـبَـا

أفـي الـوَغَـى ورحَـى الـهـيـجـاءِ دائـرةٌ
تـحـصـونَ مَـنْ مـات أو تُـحـصـون مـا سُـلِـبَـا[٦]

خَـلُّـوا الأكـالـيـل لـلـتـاريـخ إنّ لـه
يـداً تُـؤلِّـفُـهـا دُرّاً ومَـخْـشَـلـبَـا[٧]

---

(١) المعنى، أنه على الأمة أن تقيس أمرها بالمقياس الصحيح حتى تتجاوز المخاطر.
(٢) المعنى، في الرجوع إلى الدستور الذي يرفع ما شاء ويجلب ما نفع.
(٣) الرِّكاب: المطيّ. النَّصَب: العناء أو المشقّة.
(٤) يشير الشاعر إلى أن الوحدة والاجتماع على الرأي الصائب يزلّل الصعاب في قيادة الأمة.
(٥) إشارة إلى تبدل الأحوال والتعلق بالأمل.
(٦) إشارة للتركيز على الأمور الجليلة في المعركة القومية، دون كبرياء وصلف والتعثر بالأمور الصغيرة.
(٧) التاريخ وحده يقيّم الأعمال بالنتائج ويفرزها إن كانت درراً أو مخشلباً أي زجاجاً.

أمــرُ الــرجــال إلــيــه لا إلــى نَــفــرِ
مــن بــيــنــكــم سَــبــق الأنــبــاءَ والــكُــتــبَــا
أملى عـلـيـه الـهـوى والـحـقـدُ فـانـدفـعـتْ
يــداهُ تَــرْتَــجِــلان الــمــاءَ والــلَّــهَــبَــا[1]
إذا رأيــت الــهــوى فــي أمــة حَــكــمــاً
فـاحـكـم هـنـالـك أنّ الـعـقـل قـد ذهـبَـا
قالوا: الحمايةُ زالت، قلتُ: لا عجبٌ
بــلْ كـان بـاطـلُـهـا فـيـكـم هـو الـعـجـبَـا
رأسُ الـحـمـايـةِ مـقـطـوعٌ فـلا عَـدِمَـت
كــنــانــةُ الــلَّــه حَــزْمــاً يــقــطــعُ الــذنــبَــا
لـو تـسـألـونَ (أَلِـنْـبـي) يـوم جـنْـدَلـهـا
بـأي سـيـفٍ عـلـى يـافـوخِـهـا ضـربَـا[2]
أبِـالـذي جـرّ يـومَ الـسّـلـم مُـتَّـشِـحـاً
أم بـالـذي هَـزَّ يـوم الـحـرب مُـخْـتـضِـبَـا
أم بـالـتـكـاتُـفِ حـول الـحـقّ فـي بـلـد
مـن أربـعـيـنَ يـنـادِي الـويـل والـحَـرَبَـا[3]
يـا فـاتـحَ الـقـدس خـلِّ الـسـيـفَ نـاحـيـةً
لـيـس الـصّـلـيـبُ حـديـداً كـان بـل خَـشـبَـا
إذا نــظــرتَ إلــى أيــن ٱنــتــهــتْ يــدُه
وكـيـف جـاوز فـي سـلـطـانـه الـقُـطُـبَـا
عــلــمــت أَنّ وراءَ الــضــعــف مــقــدرةً
وأنّ لـلـحـقِّ لا لـلـقـوّةِ الـغـلـبَـا

(١) ينحي الشاعر باللائمة على الذين يضعون أنفسهم موضع التاريخ للحكم على الأمور.
(٢) جندل: أردى، اليافوخ: مقدم الرأس.
(٣) حَرَب: اشتد غضبه، فهو حَرِب، والحَرَبُ هنا أي الهلاك والويل.

اللَّهُ والعِلْم(*)

[من الطويل]

لِـمَـنْ ذلـك الـمُـلْـكُ الـذي عـزّ جـانـبُـهْ
لـقـد وعـظ الأمـلاك والـنـاسَ صَـاحـبُـهْ(١)
أمـلـكُـك يـا (إدورُدُ) والـمـلـك الـذي
يَـغـار عـلـيـه والـذي هـو واهـبُـهْ(٢)
أراد بـه أمـراً فـجـلّـت صـدوره
فـأتْـبـعـه لـطـفـاً فـجـلّـت عـواقـبُـهْ(٣)
رمـى واسْـتـردّ الـسـهـمَ والـخـلـقُ غـافـلٌ
فـهـل يـتّـقـيـه خـلـقـه أو يُـراقـبُـهْ؟(٤)
أيـبـطُـلُ عـيـدُ الـدهـرِ مـن أجـل دمَّـلٍ
وتـخـبـو مـجـالـيـه وتُـطـوَى مـواكـبُـهْ؟(٥)
ويـرجـع بـالـقـلـب الـكـسـيـرِ وفـودُه
وفـيـهـم مـصـابـيـحُ الـورى وكـواكـبُـهْ؟
وتـسـمـو يـدُ الـدّهـر ارتـجـالاً بـبـأسـهـا
إلـى طُـنُـبِ الأقـواس والـنّـصـرُ ضـاربُـهْ(٦)

(*) «نظمت هذه القصيدة بمناسبة تتويج الملك إدوارد السابع وتأجيل إقامة الحفلة لإصابة الملك بدمّل وذلك سنة ١٩٠٢م».

(١) عزّ جانبه: قَوي. وعظ الأملاك والناس: نصحهم وذكّرهم.

(٢) الملك الذي يغار عليه والذي هو واهبه، هو اللَّه تعالى.

(٣) جلّت صدوره: عظمت، وصدور الأمر: أوائله. عواقبه: أواخره.

(٤) استرد السّهم: ردّه وأرجعه إليه. غافل: غائب عن البال.

(٥) يبطل: يتعطل. تخبو: تطفأ. المجالي: المواضع المنجلية المكشوفة. المواكب: القوم السائرون في الركب للزينة.

(٦) تسمو: تعلو. ارتجل الأمر: ابتدأه بدون استعداد. البأس: الشدة. الطنب: الحبل.

ويستغفر الشعبُ الفخورُ لربِّه
ويجمعُ من ذيل المخيلةِ ساحبُهْ؟(١)
ويُحجبُ ربُّ العيد ساعة عيدِه
وتَنقص من أطرافهنّ مآربُهْ؟(٢)
ألا هكذا الدُّنيا وذلك ودُّها
فهلَّا تأنَّى في الأمانيّ خاطبُهْ؟(٣)
أعدّ لها (إدوردُ) أعياد تاجه
وما في حساب اللَّه ما هو حاسبُهْ
مشت في الثرى أَنْباؤها فتساءلت
مشارقهُ عن أمرها ومغاربُهْ(٤)
وكاثَرَ في البرّ الحصى مَنْ يجوبه
وكاثَرَ موجُ البحر في البحر راكبُهْ(٥)
إلى موكبٍ لم تُخرج الأرض مثله
ولن يتهادى فوقها ما يقاربُهْ(٦)
إذا سار فيه سارت الناس خلفه
وشدّت مغاويرَ الملوك ركائبُهْ(٧)

---

(١) المخيلة: الكبر.
(٢) يحجب: يمنع. المآرب: مفردها مأربة، أي الحاجة.
(٣) الود: المودة والمحبة. تأنّى في الأمر: ترفّق. الأمانيّ: ما يتمناه المرء. الخاطب: الداعي إلى نفسه.
(٤) الثرى: التراب أو الأرض. الأنباء: الأخبار. المشارق والمغارب: أي: مشارق الأرض ومغاربها.
(٥) كاثره: غالبه بالكثرة. البر: اليابسة. الحصى: مفردها حصاة. جاب البلاد: قطعها. والمعنى أن المقبلين على الاحتفال بعيد التاج الملكي هم يكاثرون حصى البر وأمواج البحر.
(٦) يتهادى: يتمايل. يقاربه: يدانيه.
(٧) شد الشيء: أوثقه. المغاوير: مفردها مغوار، أي الشجاع الكثير الهجوم على الأعداء. الركائب: كل ما يُركب.

تُحيطُ به كالنّمل في البرّ خيله
وتملأ آفاقَ البحار مراكبُهْ
نظام المجالي والمواكب حَلّهُ
زمانٌ وشيكٌ ريبُه ونوائبُهْ(١)
فبينا سبيلُ القومِ أمنٌ إلى المنى
إذا هوَ خوْفٌ في الظنون مذاهبُهْ(٢)
إذا جاءت الأعيادُ في كلّ مسمَع
تجوبُ الثرى شرقاً وغرباً جوائبُهْ(٣)
رجاءٌ فلم يلبث، فخوفٌ فلم يدُم
سَلِ الدهر أيُّ الحادثين عجائبُهْ؟(٤)
فيا ليت شعري أَين كانت جنودُه؟
وكيف تراخت في الفداء قواضبُهْ؟(٥)
ورُدّت على أعقابهنَّ سفينُه
وما ردّها في البحر يوماً محاربُهْ(٦)
وكيف أفاتته الحوادث طِلبةً؟
وما عوّدَتْه أَنْ تفوت رغائبُهْ(٧)
لكَ الملكُ يا من خَصَّ بالعز ذاتَه
ومَنْ فوق آرابِ الملوكِ مآربُهْ(٨)

(١) نظام الشيء: الطريقة التي يستقيم بها. وشيك: قريب. الرّيب: المكروه من الحوادث. النوائب: مفردها نائبة وهي ما يصيب الإنسان من مكروه أي مصيبة.
(٢) فَبَيْنا: أي فَبَيْنَمَا. السبيل: الطريق. أَمْن: مأمونة. الظنون: مفردها ظن وهو ضدّ اليقين. المذاهب: المسالك والطرق.
(٣) المسمع: الأذن. تجوب: تقطع. الجوائب: مفردها جواب.
(٤) الرجاء: الأمل. لم يلبث: لم يمكث.
(٥) فيا ليت شعري: ليتني أعرف. تراخت: أبطأت. القواضب: القواطع.
(٦) رُدّت: أُرجعت. أعقاب: مفردها عقب: مؤخرة القدم. السفين: مفردها سفينة.
(٧) أفاتته: أذهبته. الطلبة: الشيء المطلوب. الرغائب: الأمور المرغوبة.
(٨) خصه بالشيء: حصره فيه دون سواه. الآراب: الحاجات.

فـــلا عـــرشَ إلّا أَنْـــت وارث عـــزّه
ولا تـاجَ إلّا أَنْـت بـالـحـق كـاسـبُـهْ[١]
وآمـنـتُ بـالـعـلـم الـذي أَنْـت نـورُه
ومـنـك آيـاديـه، ومـنـك مـنـاقـبُـهْ[٢]
تُـؤامـنُ مـن خـوفٍ بـه كـلَّ غـالـبٍ
عـلـى أمـره فـي الأرض، والـداءُ غـالـبُـهْ[٣]
سلوا صاحب المُلكين هل مَلكَ القُوى
وأُسْـدُ الـشَّـرى تـعـنـو لـه وتـحـاربُـهْ[٤]
وهـل رفـع الـداءَ الـعـضـالَ وزيـرُه؟
وهل حجب الباب الممنَّع حاجبُهْ[٥]؟
وهـل قـدّمـت إلّا دعـاءً شـعـوبُـه؟
وسـاعـفَ إلّا بـالـصـلاة أقـاربُـهْ؟[٦]
هـنـالـك كـان الـعـلـم يُـبـلِـي بـلاءه
وكـان سـلاح الـنـفـس تُـغـنـي تـجـاربُـهْ[٧]

❊ ❊ ❊

كـريـمُ الـظُّـبـى لا يـقـرب الـشـرَّ حـدُّه
وفـي غـيـره شـرُّ الـورى ومـعـاطـبُـهْ[٨]

---

(١) العرش: سرير الملك. التاج: ما يوضع على رأس الملك أو السلطان وأصله أعجمي. كاسبه: نائله.
(٢) أياديه: أي النّعم. المناقب مفردها منقبة: أي الفعل الطيّب.
(٣) تؤامن: تعطي الأمان.
(٤) القوى: مفردها قوة، أي البأس. تعنو: تخضع.
(٥) الداء العضال: الشديد الذي يعيي الطب. الباب الممنع: الحصين.
(٦) ساعف: ساعد.
(٧) يبلي بلاءه: يجتهد اجتهاده. التجارب: مفردها تجربة أي خبرة.
(٨) كريم الظّبى: أي الظّبى الكريمة، من إضافة الصفة للموصوف. والظّبى: مفردها ظَبَة أي حد السيف.

إذا مـر نـحـو الـمـرءِ كـان حـيـاتَـه
كـأصـبَـع عـيـسـى نـحـو ميـتٍ يـخـاطـبُـهْ
وأيـسـرُ مـن جُـرحِ الـصـدودِ فـعـالُـه
وأسـهـلُ مـن سـيـفِ الـلِّـحـاظ مـضـاربُـهْ[١]
عـجـيـبٌ يُـرجَّـى مـشـرطـاً أو يـهـابـه
مَـنِ الـغـرب راجـيـه، مَـنِ الـشَّـرق هـائـبُـهْ[٢]
فـلـو تُـفـتـدى بـالـبـيـضِ والـسُّـمـر فـديـةٌ
لألـقـت قـنـاهـا فـي الـبـلاد كـتـائـبُـهْ[٣]
ولـو أَنّ فـوق الـعـلـم تـاجـاً لـتـوّجـوا
طـبـيـبـاً لـه بـالأمـس كـان يـصـاحـبُـهْ[٤]
فـآمـنـت بـالـلَّـه الـذي عـزّ شـأنـه
وآمـنـتُ بـالـعـلـم الـذي عـزّ طـالـبُـهْ[٥]

(١) الصدود: الإعراض. الفعال: مفردها فعل. اللّحاظ: مفردها اللّحظ وهو باطن العين. مضارب: مفردها مضرب.
(٢) المشرط: مبضع الطبيب أو الجراح. ومعنى البيت، أنه لأمر عجيب أن هذا الملك الذي يرجوه الغرب ويخافه الشَّرق يتعلق رجاؤه أو خوفه بمشرط الجراح الذي يفتح له دمّلهُ.
(٣) تُفتدى: تُستنقذ بالفدية. البيض والسّمر: السيوف والرماح. القنا: الرماح. الكتائب: قطاعات الجيش.
(٤) توّجوه: ألبسوه التاج.
(٥) عزّ شأنه: قَوِي. طالب العلم: محصّله.

ذكرى كارنارفون

[من الكامل]

في الموت ما أعيا وفي أسبابِهِ
كل امرئ رهنٌ بطيِّ كتابِهِ(١)
أسدّ لعمرك، مَنْ يموتُ بظُفره
عند اللقاءِ كمَنْ يموت بنابِهِ(٢)
إنْ نام عنك فكلُّ طبٍّ نافعٌ
أولم ينمْ، فالطبُّ من أذنابِهِ
داءُ النفوس وكلُّ داءٍ قبلَه
همٌّ نَسِينَ مجيئه بذَهابِهِ(٣)
ألنفس حربُ الموتِ إلّا أنّها
أتتِ الحياةَ وشُغلها من بابِهِ(٤)
تسَع الحياة على طويل بلائها
وتضيقُ عنه على قصيرِ عذابِهِ(٥)
هو منزلُ الساري وراحةُ رائح
كثرَ النهارُ عليه في إتعابِهِ(٦)

(١) ما أعيا: ما أعجز. رهن بطيّ كتابه: باق على قيد الحياة كبقاء الرهن حتى ينتهي الأجل.
(٢) لعمرك: نوع من القسم.
(٣) الداء: المرض. نسين: الضمير «ن» عائد للنفوس.
(٤) حرب الموت: أي حرب للموت الذي تدافعه. أتت: جاءت والضمير في «شغلها» يعود للحياة، والضمير في «بابه» يعود للموت.
(٥) بلاء الحياة: ما في الحياة من الهم والألم. والمعنى أن النفس تَسَعُ الحياة على همومها وتضيق عند الموت.
(٦) هو: تعود للموت. الساري: الذي يسير ليلاً. الرائح: الذاهب. الإتعاب: الإرهاق.

وشـفـاءُ هـذي الـروحِ مـن آلامـهـا
ودواءُ هـذا الـجـسـم مـن أوصـابِـهِ[١]

مَـنْ سـرَّه ألّا يـمـوتَ فـبـالـعـلا
خـلُـدَ الـرجـالُ وبـالـفـعـالِ الـنَّـابِـهِ[٢]

مـا مـات مَـنْ حـاز الـثـرى آثـارَه
وٱسـتـولـتِ الـدُّنـيـا عـلـى آدابِـهِ[٣]

قُـل لـلـمـدلِّ بـمـالِـه وبـجـاهـه
وبـمـا يُـجِـلُّ الـنـاسُ مـن أَنْـسـابِـهِ[٤]

هـذا الأديـمُ يـصـدُّ عـن حُـضَّـارِهِ
ويـنـامُ مـلءَ الـجـفـن عـن غُـيَّـابِـهِ[٥]

إلّا فـتـىً يـمـشـي عـلـيـه مـجـدِّداً
ديـبـاجـتـيْـه مـعـمِّـراً بـخـرابِـهِ[٦]

صـادت بـقـارعـةِ الـصـعـيـدِ بـعـوضـةٌ
فـي الـجـو صـائـدَ بـازِه وعُـقـابِـهِ[٧]

وأصـاب خُـرطـومُ الـذبـابـة صـفـحـةً
خُـلـقـتْ لـسـيـفِ الـهـنـدِ أو لـذُبـابِـهِ[٨]

---

(١) هذا البيت متصل بما قبله، الأوصاب: الأوجاع.
(٢) العلا: المنزلة الرفيعة. الفِعال النّابه: الفعل الرفيع الشأن.
(٣) حاز: ضم. الثرى: التراب أو الأرض. الآثار: مفردها أثر، أي ما بقي من الشيء. الآداب: الفضائل.
(٤) المُدِلّ بماله: الذي يتيه به على الآخرين. الجاه: القدر والعزّ. يُجلّ: يُعظّم.
(٥) الأديم: الجلد. حضّار: مفردها حاضر. جفن العين: غشاؤها. الغيّاب: مفردها غائب.
(٦) الديباجتان: الخدّان. ومعنى البيت، أي إلّا فتى يمشي على الأرض فيجدد مظهره البارز للعيان، كما يعمّر ما خرب منه.
(٧) القارعة: النازلة من نوازل الدهر. الصعيد: بلاد مصر العليا. الباز والعقاب: من جوارح الطير. والمعنى، أن تلك البعوضة صادت مَنْ كان يصيد بُزاته وعقبانه.
(٨) الخرطوم: الأنف. والمعنى، أن خرطوم هذه الذبابة أي البعوضة التي تحدث عنها في البيت السابق قد أصابت وجه من خُلق لمقارعته بالسيف. ذباب السّيف: طرفه الذي يضرب به.

طـارت بـخـافـيـة الـقـضـاءِ ورأرأت
بـكـريـمـتـيْـه ولامـسـتْ بـلُـعـابِـهِ[١]
لا تـسـمـعـنّ لـعـصـبـةِ الأرواحِ مـا
قـالـوا بـبـاطـلِ عـلـمـهـم وكِـذابِـهِ[٢]
ألـرُّوحُ لـلـرحـمـنِ جـلَّ جـلالُـه
هـي مـن ضـنـائِـن عـلـمـه وغِـيـابِـهِ[٣]
غُـلِـبـوا عـلـى أعـصـابـهـم فـتـوهَّـمـوا
أوهـامَ مـغـلـوبٍ عـلـى أعـصـابِـهِ

❊ ❊ ❊

مـا آبَ جـبَّـارُ الـقـرون وإنـمـا
يـومُ الـحـسـابِ يـكـون يـوم إيـابِـهِ[٤]
فـذروه فـي بـلـد الـعـجـائـب مـغـمَـداً
لا تـشـهَـروه كـأمـس فـوق رِقـابِـهِ[٥]
ألـمـسـتـبـدُّ يـطـاقُ فـي نـاووسـه
لا تـحـت تـاجـيـه وفـوق وِثـابِـهِ[٦]
والـفـرد يـؤمَـنُ شـرُّه فـي قـبـره
كـالـسـيـفِ نـام الـشـرُّ خـلـف قِـرابِـهِ[٧]

---

(١) الخافية: الريشات القليلة من مقدم الجناح. القضاء: الصنع والتقدير. رأرأ: حدّق. الكريمتان: العينان. اللّعاب: ما يسيل من الفم.
(٢) العصبة: الجماعة. الكِذاب: الكذب.
(٣) ضنائن علمه: ما يختص به دون سواه من علم. وغيابه: ما غاب عن المرء من أمر.
(٤) آب: رجع. جبار القرون: المقصود به توت عنخ آمون. يوم الحساب: اليوم الآخر.
(٥) فذروه: فاتركوه. بلد العجائب: أي مصر وبالتحديد الأقصر. مُغمداً: مدفوناً كما السيف في غمده. لا تشهروه: من شهر السيف أي سلّه.
(٦) المستبد بالشيء: المنفرد به. يطاق: يُقدر عليه. الناووس: المقبرة. الوِثاب: السرير الذي لا يبرح الملك عليه.
(٧) قِراب السيف: غمده.

هل كان (توتَنْخٌ) تقمَّص رُوحُه
قُمُصَ البعوض ومستخسَّ إهابِهِ[١]
أو كان يَجزيك الردَى عن صُحبةٍ
وهو القديم وفاؤه لصحابِهِ[٢]
تاللَّه لو أهدَى لك الهرميْنِ من
ذهب، لكان أقلَّ ما تُجزَى بِهِ
أنت البشيرُ به، وقيِّمُ قصره
ومقدَّمُ النبلاءِ من حجَّابِهِ[٣]
أعلمْتَ أقوامَ الزمانِ مكانَه
وحشَدْتَهم في ساحِه ورِحابِهِ[٤]
لولا بَناتُك في طلاسِمِ تُربه
ما زاد في شرفٍ على أترابِهِ[٥]

* * *

أخْنَى الحِمامُ على ابن هِمةِ نفسِه
في المجد، والباني على أحسابِهِ[٦]
ألجائبُ الصخر العتيدَ بحاجرٍ
دبَّ الزمانُ وشبَّ في أسرابِهِ[٧]

---

(١) تقمص: لبس. القمص: مفردها قميص. المُسْتخسّ: الخسيس. الإهاب: الجلد.
(٢) يجزيك: يثيبك. الردى: الموت والهلاك. الوفاء: نقيض الغدر. الصحاب: مفردها صاحب.
(٣) البشير: المُبشّر بالخير. قيّم القصر: المسؤول عنه وسائس أمره. النبلاء: النجباء. الحجَّاب: مفردها حاجب.
(٤) أقوام: مفردها قوم، أي الناس. حشدتهم: جمعتهم. الساح: مفردها ساحة. الرحاب: مفردها رحبة وهي الساحة أيضاً.
(٥) البنان: أطراف الأصابع. الأتراب: مفردها ترب: الرفيق من نفس العمر.
(٦) أخنى عليه: أهلكه. الحِمام: الموت. الأحساب: مفردها حَسَب وهو مفاخر الآباء والجدود.
(٧) العتيد: الحاضر المهيأ. دبّ: مشى وحَدَب. شبّ: أدرك شبيبته. الأسراب: البيوت تحت الأرض، أو الجحور للحيوانات.

لــو زَايَــلَ الــمــوتــى مــحــاجــرَهــم بــه
وتــلــفَّــتــوا لــتــحــيّــروا كــضِــبــابِــهِ(١)
لــم يــألُــه صــبــراً ولــم يَــنِ هــمــةً
حــتــى ٱنــثــنــى بــكــنــوزِه ورغــابِــهِ(٢)
أفــضــى إلــى خــتــم الــزمــان فــفــضَّــه
وحــبــا إلــى الــتــاريــخ فــي مــحــرابِــهِ(٣)
وطــوَى الــقــرونَ الــقَــهْــقَــرَى حــتــى أتــى
فــرعــون بــيــن طــعــامــه وشــرابِــهِ(٤)
ألــمــنــدل الــفــيَّــاحُ عــودُ ســريــره
والــلــؤلــؤ الــلَّــمــاحُ وشْــيُ ثــيــابِــهِ(٥)
وكــأنّ راحَ الــقــاطــفــيــن فــرغْــنَ مــن
أثــمــاره صُــبــحــاً ومــن أرطــابِــهِ(٦)
جــدث حــوى مــا ضــاق (غــمــدان) بــه
مــن هــالــة الــمُــلــك الــجــسيــم وغــابِــهِ(٧)

---

(١) زايل: فارق. المحاجر: القبور. الضِّباب: مفردها ضبّ وهو حيوان من الزّحافات.
(٢) لم يألُه صبراً: لم يقصّر في حمله على الصبر. لم يَنِ همة: لم تضعف همّته. انثنى: رجع. الكنوز: ما يكنز ويدّخر. الرّغاب: المرغوب به.
(٣) أفضى إلى ختم الزمان: وصل إليه. فضَّه: كسره. حبا: دنا وٱقترب. المحراب: صدر المجلس، وفي المسجد محراب الصلاة.
(٤) طوى: قطع. القرون: مفردها قرن، وهو مدة زمنية تقارب مئة عام. القَهْقَرَى: الرجوع. والمعنى، أنه طوى القرون حتى رجع بها القهقرى.
(٥) المندل: عود طيب الرائحة. الفيّاح: الفيّاض بطيبه. اللّماح: الشديد اللمعان. وشي الثوب: نقشهُ وزخرفهُ. الهاء في «ثيابه» تعود إلى فرعون.
(٦) الراح: الكف. القاطفين: مفردها قاطف، أي الذي يجني الثمر. الأثمار: مفردها ثمر. الأرطاب: مفردها رُطب وهو ما نضج من البلح. والمعنى، أن الأثمار والأرطاب هي كناية عن الآثار والتحف التي عُثر عليها في قبر فرعون بجدّتها ونضارتها.
(٧) الجدث: القبر. غمدان: قصر قديم كان مشهوراً، ويرجحون أنه لجد بلقيس ملكة اليمن. الهالة: دارة القمر. الغاب: الرماح أو الجمع من الناس.

بـنـيـانُ عـمـرانٍ وصـرحُ حـضـارةٍ
فـي الـقـبـر يـلـتـقـيـان فـي أطـنـابِـهِ(١)
فـتـرى الـزمـان هـنـاك قـبـل مـشـيـبـه
مـثـلَ الـزمـان الـيـوم بـعـد شـبـابِـهِ
وتـحـسُّ ثَـمَّ الـعـلـمَ عـنـد عُـبـابـه
تـحـت الـثـرى والـفـنّ عـنـد عُـجَـابِـهِ(٢)

* * *

يـا صـاحـبَ الأخـرى بـلـغـت مـحـلـةً
هـي مـن أخـي الـدُّنـيـا مُـنـاخُ ركـابِـهِ(٣)
نـزلٌ أفـاق بـجـانـبـيـه مـن الـهـوى
مَـنْ لا يُـفـيـقُ وجـدّ مـن تَـلـعـابِـهِ(٤)
نـام الـعـدوّ لـديـه عـن أحـقـاده
وسـلا الـصـديـق بـه هـوى أحـبـابِـهِ(٥)
ألـراحـةُ الـكـبـرى مِـلاكُ أديـمـه
والـسَّـلْـوة الـطُّـولـى قِـوامُ تـرابِـهِ(٦)

* * *

(وادي الـمـلـوك) بـكـت عـلـيـك عـيـونُـه
بـمـرَقـرَقٍ كـالـمـزنِ فـي تـسـكـابِـهِ(٧)

---

(١) العمران: اسم لِمَا يعمر به المكان. الصرح: القصر وكل بناء مرتفع ضخم. الحضارة: الإقامة في الحضر. الأطناب: مفردها طنب، الحبل الذي يُشَدّ به السرادق.
(٢) تحس العلم: تشعر به. العُباب: ارتفاع السيل. العُجاب: ما جاوز حد العجب.
(٣) المحلّة: المكان أو المنزل. المُناخ: مبرك الإبل، واستعملها الشاعر مجازاً للإقامة. الركاب: الإبل. الأُخرى: الآخرة.
(٤) النزل: ما يُعدّ للضيف أن ينزل عليه. أفاق: استيقظ. الهوى: نزوات النفس. التلعاب: اللّعب.
(٥) الأحقاد: الضغائن. سلا الشيء: نسيه. الهوى: العشق.
(٦) ملاك الشيء: قوامه. السّلوة: السّلو. الطولى: العظيمة الطول. القوام: ما يقوم به.
(٧) المرقرق: الدمع دار في باطن العين. المزن: السحاب الممطر. التسكاب: الانسكاب.

ألقى بياضَ الغَيم عن أعطافه
حزناً وأقبل في سواد سحابِهِ[١]
يأس على حِرباءِ شمس نهاره
ونزيل قيعته وجار سرابِهِ[٢]
ويودّ لو أُلبستَ من بَرْدِيِّه
بُردين ثم دُفنتَ بين شعابِهِ[٣]
نوّهتَ في الدُّنيا به ورفعته
فوق الأديم بطاحِه وهضابِهِ[٤]
أخرجت من قبرٍ كتاب حضارة
ألفَنُّ والإعجازُ من أبوابِهِ[٥]
فصَّلته فالبرقُ في إيجازه
يبني البريد عليه في إطنابِهِ[٦]
طلعا على (لوزانَ) والدّنيا بها
وعلى المحيطِ وما وراءَ عُبابِهِ[٧]

---

(١) الغيم: السحاب. الأعطاف: الجوانب.
(٢) الحرباء: حيوان اشتهر بتغيير لونه، ويضرب مثلاً للتقلب. القيعة: بمعنى القاع. السراب: الآل، وهو ما يُرى في الحر الشديد كالماء.
(٣) البردي: نبات تصنع منه الحصر وخلافه. بُردين: مثنى برد وهو ثوب مخطط. الشّعاب: الطرق المنفرجة بين جبلين.
(٤) نوّهت به: رفعت ذكره. الأديم: وجه الأرض. البِطاح: المسيل الواسع في دُقاق الحصى. الهضاب: التلال المرتفعة.
(٥) الفن: صناعة العلوم الفنية. الإعجاز: الأداء بقدرة خارقة.
(٦) فصّلته: بيّنته. البرق: الوميض. البريد: المسافة التي يقطعها الرسول لتسليم الرسائل. الإيجاز: الاختصار. الإطناب: الإطالة.
(٧) طلعا: أي البريد والبرق. لوزان: مدينة في سويسرا حيث تم الصلح بين تركيا واليونان سنة ١٩٢٢م بحضور مجلس الدول التي رعت الصلح. المحيط: البحر الذي يحيط باليابسة. وما وراء عبابه: يقصد المحيطات في الشَّرق والغرب أو العالم حيث علم بخبر تلك الآثار.

جئت الشعوب المحسنين بشافع
من مثل مُتقنِ فنّهم ولبابِهِ[١]
فرفعت ركناً للقضية لم يكن
(سَحبانُ) يَرفعه بسحر خِطابِهِ[٢]

(١) الشافع: مَنْ يسعى لك عند الغير لتحقيق مطلبك. المتقن: المحكم. اللّباب: الخالص المختار من كل شيء.
(٢) الركن: الركيزة. سَحبان: هو سَحبان وائل، كان خطيباً فصيحاً، فيقال: أخطب من سَحبان وائل.

أيّها العُمّال

[من الرّمل]

أيـهـا الـعُـمّـالُ أفـنـوا الـ ـعـمـرَ كـدًّا واكـتـسـابَـا
وٱعـمـروا الأرض فـلـولا سـعـيـكـم أمـسـت يـبـابَـا[1]
إنّ لـي نـصـحـاً إلـيـكـم إنْ أذنـتـم وعـتـابَـا
فـي زمـان غَـبِـيَ الـنـا صـحُ فـيـه أو تـغـابَـى
أيـن أَنْـتـم مـن جـدودٍ خَـلـدوا هـذا الـتـرابَـا؟
قـلّـد وه الأثـر الـمـعـ ـجـز والـفـن الـعُـجـابَـا
وكـسـوْه أبـد الـدهـ ـر مـن الـفـخـرِ ثـيـابَـا
أتـقـنـوا الـصـنـعـة حـتّـى أخـذوا الـخـلـد اغـتـصـابَـا
إنّ لـلـمُـتـقـنِ عـنـد الـلّـه والـنّـاسِ ثـوابَـا
أتـقِـنـوا يُـحـبِـبْـكـمُ الـلّـ ـه ويـرفـعْـكُـمْ جـنـابَـا
أرضـيـتـم أَنْ تـرَى مـصـ ـر مـن الـفـنّ خـرابَـا؟
بـعـد مـا كـانـت سـمـاءً لـلـصـنـاعـاتِ وغـابَـا

❊ ❊ ❊

أيّـهـا الـجـمـعُ لـقـد صـر تَ مـن الـمـجـلـس قـابَـا[2]
فـكـنِ الـحـرّ اخـتـيـاراً وكـنِ الـحـرّ انـتـخـابَـا
إنّ لـلـقـوم لَـعـيْـنـاً لـيـس تـألـوكَ ارتـقـابَـا
فـتـوقَّـع أَنْ يـقـولـوا: مَـنْ عـن الـعـمـالِ نـابَـا؟
لـيـس بـالأمـر جـديـراً كـلُّ مَـنْ ألـقـى خـطـابَـا
أو سـخـا بـالـمـال أو قـدّم جـاهـاً وانـتـسـابَـا
أو رأى أُمِّـيَّـةً فـآخـ ـتـلـب الـجـهـل اخـتـلابَـا

(١) الأرض اليباب: الخراب.
(٢) المجلس: يريد دار الندوة النيابية.

فتخير كلَّ مَنْ شَبّ على الصدق وشابَا
وٱذكرِ الأنصارَ بالأمـ ـس ولا تنسَ الصِّحابَا

❊ ❊ ❊

أيّها الغادون كالنحـ ـلِ ارتياداً وطِلابَا
في بكور الطير للرز قِ مجيئاً وذهابَا
أطلبوا الحقَّ برفقٍ وٱجعلوا الواجب دابَا[1]
وٱستقيموا يفتح اللَّـ ـه لكم باباً فبابَا
أهجروا الخمر تُطيعوا اللَّـ ـه أو ترضوا الكتابَا
إنها رجسٌ فطوبَى لامرئٍ كفَّ وتابَا
تُرعِشُ الأيدي ومَنْ يرـ ـعشْ من الصنَّاعِ خابَا
إنما العاقلُ مَنْ يجـ ـعلُ للدّهر حسابَا
فٱذكروا يومَ مشيبٍ فيه تَبكون الشّبابَا
إنّ للسنِّ لهمَّا حين تعلو وعذابَا
فٱجعلوا من مالِكم للشيب والضعف نِصابَا
وٱذكروا في الصحة الدا ءَ إذا ما السُّقمُ نابَا
وٱجمعوا المال ليومٍ فيه تلقون اعتصابَا
قد دعاكم ذنبَ الهيـ ـئةِ داعٍ فأصابَا
هي طاووس وهلْ أحـ ـسنُ إلّا الذنابَى؟

(١) دابا: أي «دأباً» وقد خففت لضرورة القافية.

نَـــجَـــاة(*)

[من الطويل]

هـنـيـئـاً أمـيـرَ الـمـؤمـنـيـن فـإنـمـا
نـجـاتـك لـلـديـن الـحـنـيـف نـجـاةُ(١)
هـنـيـئـاً لـطٰـه والـكـتـاب وأمـة
بـقـاؤكَ إبـقـاءً لـهـا وحـيـاةُ(٢)
أخـذتَ عـلـى الأقـدار عـهـداً ومـوثـقـاً
فـلـسـتَ الـذي تَـرقـى إلـيـه أذاةُ(٣)
ومَـنْ يـكُ فـي بُـرْدِ الـنـبـيّ وثـوبـه
تـجُـزْه إلـى أعـدائـه الـرَّمـيَـاتُ(٤)
يـكـاد يـسـيـرُ الـبـيـتُ شـكـراً لـربـه
إلـيـكَ ويـسـعـى هـاتـفـاً عـرفـاتُ(٥)
وتـسـتـوهـبُ الـصـفـحَ الـمـسـاجـدُ خُـشَّـعـاً
وتـبـسـط راح الـتـوبـة الـجُـمـعـاتُ(٦)

(*) «ألقيت على جلالة الخليفة قذيفة في سبتمبر ١٩٠٥م، ثم شاء اللّه أن يكتب له النجاة من شرها، فكتب الشاعر يهنؤه».

(١) هنيئاً: سائغاً لا مشقة فيه.

(٢) طه: من أسماء الرسول ﷺ. الكتاب: القرآن الكريم. الأمّة: المسلمون جميعاً.

(٣) الأقدار: مفردها قدر وهو ما يقدّره اللّه من قضائه. العهد: الضمان. المؤثق: العهد. ترقى إلى الشيء: تصعد إليه. الأذاة: الأمر المكروه.

(٤) البُرد: الثوب المخطط. تجزه: تتعداه. الرميّات: مفردها رميّة.

(٥) البيت: الكعبة. عرفات: جبل على مقربة من مكة، والوقوف به ركن من أركان الحجّ.

(٦) تستوهب الصفح: تطلب هبته، والصفح هو الإعراض عن الذّنب. خشّعاً: من الخشوع ومفردها خاشع. الراح: مفردها راحة وهي الكف.

وتستغفرُ الأرضُ الخصيبُ وما جنت
ولكن سقاها قاتلون جناةُ[١]
وتُثني من الجرحى عليك جراحُهم
وتأتي من القَتْلى لكَ الدعواتُ[٢]
ضحكْتَ من الأهوال ثم بكيتهم
بدمع جرت في إثره الرَحماتُ[٣]
تُثابُ بغاليه وتُجزَى بطُهره
إلى البعث أشلاءٌ لهم ورفاتُ[٤]
وما كنت تُحييهم فكِلْهم لربهم
فما مات قومٌ في سبيلك ماتُوا[٥]
رمتهم بسهم الغدر عند صلاتهم
عصابةُ شر للصلاة عداةُ[٦]
تبرّأ عيسى منهمُ وصِحَابُه
أأتباعُ عيسى ذي الحنان جُفَاةُ؟[٧]
يُعادون ديناً لا يُعادون دولةً
لقد كذبَتْ دعوى لهم وشكاةُ[٨]

(١) تستغفر: تطلب المغفرة. الأرض الخصيب: الكثيرة الخيرات.
(٢) تُثني: تمدح. الجرحى: مفردها جريح. الجراح: مفردها جرح. القتلى: مفردها قتيل.
(٣) الأهوال: المخاوف. الرحمات: مفردها الرحمة.
(٤) تُثاب: تُجازى. البعث: أي بعث الموتى يوم الدين. الرفات: كل ما يبلى. الأشلاء: الأعضاء بعد البلى والتفرّق.
(٥) كِلْهُم لربّهم: فوّضْ أمرهم إليه.
(٦) الغدر: الخيانة. عصابة: جماعة من الناس. عداة مفردها عدو. والمقصود بالعداة الذين دبروا حادث القنبلة.
(٧) تبرّأ: تخلص. عيسى: المقصود عيسى ابن مريم عليه السلام. الصِّحاب: مفردها صاحب. أتباع: مناصرون. الحنان: الرحمة والعطف. الجُفاة: الغلاظ.
(٨) الشكاة: الشكوى أو التظلّم.

ولا خيرَ في الدنيا ولا في حقوقها
إذا قيل: طُلَّابُ الحقوقِ بغاةُ[١]
بأي فؤادٍ تَلتقي الهولَ ثابتاً
وما لقلوب العالمين ثباتُ؟[٢]
إذا زُلزلتْ من حولك الأرضُ رادها
وقارك حتّى تسكنَ الجنباتُ[٣]
وإنْ خرجت نارٌ فكانت جهنماً
تُغذَّى بأجسادِ الورَى وتُقاتُ[٤]
وتَرتجُّ منها لجةٌ ومدينةٌ
وتَصلى نواحٍ حرَّها وجهاتُ[٥]
تمشيتَ في بُرْدِ الخليل فخضتها
سلاماً وبرداً حولك الغمراتُ[٦]
وسرتَ وملءُ الأرض حولك أدرع
ودرعك قلبٌ خاشعٌ وصلاةُ[٧]
ضحوكاً وأصنافُ المنايا عوابسٌ
وقوراً وأنواعُ الحتوفِ طُغَاةُ[٨]

---

(١) البُغاة: الظالمون.
(٢) الفؤاد: القلب. تلتقي الهول: تستقبله. الهول: المخيف المفاجيء. الثبات: الاستقرار.
(٣) زلزلت الأرض: أرجفت. رادها: تفقدها. الوقار: الهيبة، والرزانة. الجنبات: النواحي.
(٤) تُغذى: من الغذاء، تُطعم. الورى: الناس. تُقات: من القُوْت، أي الأكل لسد الرمق والجوع. وهنا يقصد النار التي سيكون قُوْتها أجساد الناس.
(٥) ترتج: تضطرب. اللّجة: معظم الماء. تَصْلَى حرها: تحس حرارتها.
(٦) تمشيت: سِرْت. البُرد: الثوب. الخليل: هو نبي اللّه إبراهيم عليه السلام. الغمرات: المكاره العظيمة.
(٧) أدرع: مفردها درع، وهو ما يحمي من سلاح العدو أثناء الحرب.
(٨) الضحوك: الكثير الضّحك. المنايا: مفردها منيّة، أي الموت. الوقور: الحليم الرزين. الحتوف: مفردها حتف، أي الموت أيضاً. الطُّغاة: الظالمون.

يحوطك إنْ خان الحماةَ انتباهُهم
ملائكُ من عند الإلٰه حماةُ[١]
تشير بوجهٍ أحمديٍّ منوّرٍ
عيونُ البرايا فيه مُنحسراتُ[٢]
يُحيِّي الرَّعايا والقضاءُ مُهلِّلٌ
يُحييه والأقدارُ معتذِراتُ[٣]
نجاتك نعْمى للإلٰه سنِيةٌ
لها فيك شكرٌ واجب وزكاةُ[٤]
فصيِّر أميرَ المؤمنين ثناءها
مآثر تحيي الأرضَ وهي مواتُ[٥]
إذا لم يَفتنا من وجودك فائت
فليس لآمالِ النفوس فواتُ[٦]
بَلوْناكَ يقظان الصوارم والقنا
إذا ضَيَّعَ الصِّيْدَ الملوكَ سُباتُ[٧]
سَهِرتَ ولذَّ النومُ وهو مَنيَّة
رَعايا تولَّاها الهوى ورُعاةُ[٨]

(١) يحوطك: يحفظك. الحماة: الموكلون الحماية. الملائك: الملائكة.
(٢) وجه أحمدي: نسبة تشريف وتبعية إلى وجه الرسول الكريم ﷺ. منحسرات: حسيرات، أي كالعين الحسيرة الكليلة.
(٣) يحيّي الرعايا: يسلّم على الناس. القضاء: التقدير هنا. مهلّل: من التهليل بـ: لا إله إلّا اللّه. الأقدار: مفردها قدر.
(٤) النعمى: ما أنعم به عليك. سنيّة: رفيعة.
(٥) صيّرْ: فعل أمر من صار، أي إجعلْ. مآثر: مكارم. الأرض الموات: التي لا ينتفع بها.
(٦) فاته الشيء: لم يدركه. الآمال: مفردها أمل، الرجاء.
(٧) بلوناك: اختبرناك. اليقظان: المتنبه. الصوارم: السيوف القاطعة. القنا: الرماح. الصِّيد: مفردها أصيد وهنا بمعنى الملك. السبات: الراحة.
(٨) سهرت: أرقت. الرعايا: القوم أو الناس. الرعاة: مفردها راع، أي الوالي.

فلولاك مُلكُ المسلمين مضيَّع
ولولاك شملُ المسلمين شتاتُ[١]

لقد ذهبَتْ راياتُهم غير راية
لها النّصرُ وسمٌ والفتوح شِياتُ[٢]

تَظلُّ على الأيام غرَّاءَ حرة
محجَّلةٌ في ظلها الغزَواتُ[٣]

حنيفيَّة قد عزَّها، وأعزَّها
ثلاثون مَلْكاً فاتِحون غُزَاةُ[٤]

حماها وأسماها على الدّهر منهمُ
ملوك على أملاكه سرواتُ[٥]

عمائمُ في محل السنين هواطلٌ
مصابيحُ في ليل الشكوكِ هداةُ[٦]

تهادت سلاماً في ذَراك مطيفةً
لها رغباتُ الخلقِ والرَّهباتُ[٧]

---

(١) مضيّع: مفقود. الشتات: المتفرق.
(٢) الراية: العلم. الوسم: الأثر أو النقش. الشيات: العلامات.
(٣) غرّاء: بيضاء زاهية. محجّلة: من التحجيل، أو البياض. الغزوات: مفردها غزوة، وهي السير لقتال العدو.
(٤) الحنيفيّة: الثابتة على الإسلام. عزّها: أعطاها العزّ والمنعة. أعزّها: أجلّها. المَلْك: المَلِك. الغزاة: الفاتحون، أو السائرون لقتال العدو.
(٥) حماها: حرسها. أسماها: أعلا من شأنها. سروات: سادات.
(٦) عمائم: مفردها عمامة. المِحْل: القحط والجدب. هواطل: ممطرات. مصابيح: مفردها مصباح وهو السراج. هداة: مرشدون على الطريق.
(٧) تهادت: تمايلت. الذّرى: مفردها ذروة، وهي أعلى كل شيء. مطيّفة: من طاف أي حام حول. الرَّغبات: ما يُرغب به ويُحرص عليه، مفردها رغبة. الرَّهبات: ما يُرهب ويُخاف منه، ومفردها رهبة.

تـمـوت سـبـاعُ الـجـوّ غَـرْثـى حِـيـالـهـا
وتـحـيـا نـفـوسُ الـخـلـق والـمُـهـجـاتُ[١]
سـنَـنْـتَ اعـتـدالَ الـدّهـر فـي أمـر أهـلـه
فـبـات رَضـيًّـا فـي ذَراكَ وبـاتُـوا[٢]
فـأنـتَ غـمـامٌ والـزمـانُ خـمـيـلـةٌ
وأنـت سـنـانٌ والـزمـان قـنَـاةُ[٣]
وأنـت مـلاك الـسـلـم إنْ مـادَ ركـنُـه
وأشـفـقَ قُـوّام عـلـيـه ثـقـاتُ[٤]
أكـان لـهـذا الأمـرِ غـيـرك صـالـحٌ
وقـد هَـوَّنَـتْـهُ عـنـدَك الـسـنـواتُ[٥]
ومـن يَـسُـسِ الـدُّنـيـا ثـلاثـيـن حـجـةً
تُـعِـنـه عـلـيـهـا حـكـمـةٌ وأنـاةُ[٦]
مـلـكـتَ أمـيـرَ الـمـؤمـنـيـنَ ابـن هـانـئ
بـفـضـل لـه الألـبـابُ مـمـتـلـكـاتُ
ومـا زلـتُ حـسـانَ الـمـقـام ولـم تـزل
تَـلِـيـنـي وتـسـري مـنـكَ لـي الـنَّـفَـحَـاتُ[٧]

---

(١) السباع: الحيوانات المفترسة، وسباع الجوّ: الطيور الجوارح. غرثى: مفردها غرثان، أي الجائع. المهجات: مفردها مهجة، والمقصود هنا القلوب بما فيها من أحاسيس وعواطف.
(٢) سننت: أبنت السّنة أو الطريق. الاعتدال: الاستقامة. رضيّاً: راضِياً. الذَّرى: الملجأ والملاذ.
(٣) الغمام: السحاب. الخميلة: الشجر الكثيف الملتف. السنان: النصل. القناة: الرمح.
(٤) ملاك السلم: أي قوامه الذي يملك به. ماد: تحرّك. قوّام: مفردها قائم. ثقات: مفردها ثقة أي موثوق فيه.
(٥) هوَّنته: سهّلته. السنوات: مفردها سَنة.
(٦) يَسُس: من ساس الشيء، أي دبّر أمره. تُعِنْهُ: تساعده. الحكمة: العلم ورجاحة الرأي. الأناة: الحلم والصبر على الأمور.
(٧) ما زلت حسان المقام: إشارة إلى (حسّان بن ثابت) شاعر الرسول ﷺ. تليني: تتبعني. تسري: تتعاقب وتتسلسل. النفحات: العطايا.

زَهدتُ الذي في راحتيك وشاقني
جوائزُ عند اللَّه مبتغياتُ[١]
ومَنْ كان مثلي أحمد الوقت لم تُجزْ
عليه ولو من مثلك الصدقاتُ[٢]
ولي دُرَرُ الأخلاق في المدح والهوى
وللمُتنبي درةٌ وحصاةُ[٣]
نَجَتْ أمّةٌ لمّا نجوتَ ودُورِكت
بلادٌ وطالت للسرير حياةُ[٤]
وصين جلالُ الملك وامتدّ عزُّه
ودام عليه الحسنُ والحسناتُ[٥]
وأُمِّنَ في شرق البلاد وغربها
يتامى على أقواتهم وعفاةُ[٦]
سلامي عن هذا المقام مقصِّر
عليك سلام اللَّه والبركاتُ[٧]

(١) زهدت الذي في راحتيك: رغبت عنه. شاقني جوائز: أتهيج شوقاً إلى ما عند اللَّه من جوائز، فهي المبتغى والمطلوب.
(٢) لم تجز: أي لم تكن جائزة. الصدقات: العطايا، وهنا بمعنى الثواب.
(٣) معنى البيت أنّ لي من الأخلاق في مدحك وهواك ما يجعل شعري كالدرر، بسبب الحب الصادق نحوك. أما المتنبي الشاعر المشهور فكان في شعره الدّر والحصى بسبب عواطفه غير المستقرة نحو ممدوحيه.
(٤) نجت: خلصت. دُوْركت: المجهول من فعل درك أي لحق. السرير: أي سرير الملك.
(٥) صِين: حُفظ. جلال الملك: رفعة شأنه. العزّ: القوة والمنعة.
(٦) أُمِّن: أُعطي الأمان. يتامى: مفردها يتيم. أقوات: مفردها قوت وهو ما يسد رمق الحي من الطعام. العفاة: مفردها عافٍ، أي طالب المعروف.
(٧) مقصّر: من قصّر عن الأمر، أي لم يقدر عليه.

إلى عَرَفات

[من الطويل]

إلـى عـرفـاتِ الـلَّـهِ يـا خـيـر زائـر
عـلـيـك سـلامُ الـلَّـهِ فـي عـرفـاتِ[١]
ويـوم تُـولِّـي وجـهـةَ الـبـيـت نـاضـراً
وسـيـمَ مـجـال الـبـشـر والـقـسـمـاتِ[٢]
عـلـى كـل أُفْـقٍ بـالـحـجـاز مـلائـكٌ
تَـزُفّ تـحـايـا الـلَّـه والـبـركـاتِ[٣]
إذا حُـدِيـتْ عـيـسُ الـمـلـوك فـإنـهـم
لـعـيـسـك فـي الـبـيـداءِ خـيـرُ حُـدَاةِ[٤]
لـدى الـبـاب جـبـريـلُ الأمـيـن بـراحـه
رسـائـلُ رحـمـانـيّـةُ الـنـفَـحـاتِ[٥]
وفـي الـكـعـبـة الـغـرّاء ركـنٌ مـرحِّـبٌ
بـكـعـبـةِ قُـصَّـادٍ وركـن عُـفـاةِ[٦]
ومـا سـكـب الـمـيـزابُ مـاءً وإنـمـا
أفـاض عـلـيـك الأجـرَ والـرَّحَـمَـاتِ[٧]

---

(١) عرفات: اسم موضع وقوف الحجيج، على مقربة من مكة.
(٢) تُولِّي: تستقبل. ناضراً: من النضرة أي الحسن. القسمات: مفردها قسمة، وهي الوجه.
(٣) الأفق: الجهة أو الناحية. ملائك: مفردها مَلَك. التحايا: مفردها تحية.
(٤) حُدِيت: من الحُداء وهو سوق الإبل والغناء لها. العيس: الإبل. البيداء: الفلاة. الحُداة: مفردها حادٍ وهو من يسوق الإبل.
(٥) جبريل: هو أمين الوحي عليه السلام. الراح: مفردها راحة وهي الكف.
(٦) مرحِّب: من رحّب به، أي أهَّل وسلّم. قُصّاد: مفردها قاصد. عُفاة: مفردها عافٍ، وهو طالب المعروف.
(٧) سكب الماء: صبّه. الميزاب: مصب ماء المطر. أفاض: أفرغ.

و(زمزمُ) تجري بين عينيك أعيناً
من الكوثرِ المعسول مُنفجراتِ[١]
ويرمون إبليس الرجيم فيصطلي
وشانيك نيراناً من الجمَراتِ[٢]
يحيّيك (طه) في مضاجع طُهره
ويعلم ما عالجت من عقَباتِ[٣]
ويُثني عليك الراشدون بصالح
ورُبَّ ثناءٍ من لسان رُفاتِ[٤]
لك الدينُ يا ربّ الحجيج جمعتهم
لبيتٍ طهور الساح والعَرصاتِ[٥]
أرى الناس أصنافاً ومن كل بقعةٍ
إليك أنتهوْا من غربةٍ وشتاتِ[٦]
تساووْا فلا الأنسابُ فيها تفاوتٌ
لديك ولا الأقدارُ مختلفاتِ
عَنَتْ لك في الترب المقدّسِ جبهةٌ
يَدينُ لها العاتي من الجبهاتِ[٧]

(١) زمزم: بئر ماء عند الكعبة. الكوثر: نهر من أنهار الجنة، أو الماء الكثير. المعسول: الحلو الطعم.
(٢) إبليس: الشيطان. الرجيم: المطرود والمرجوم بالحجارة. الشانئ: المبغض. الجَمرات: الحَصيات.
(٣) يحيّيك: من التحية، حيَّاك اللَّه. طه: اسم الرسول ﷺ. مضاجع طهره: حيث يرقد في المسجد النبوي الشريف، جثمانه الطاهر. العقبات: الصّعاب.
(٤) يُثني: يذكر بالخير والثناء. الراشدون: الخلفاء الأربعة بعد الرسول الكريم ﷺ. الرفات: ما يبلى من جسم الإنسان بعد الوفاة.
(٥) الحجيج: الحجّاج. الساح: مفردها ساحة، وهي باحة الدار. العرصات: الساحات.
(٦) الأصناف: الأنواع. الغربة: الاغتراب بسبب السفر وخلافه. الشتات: التفرق.
(٧) عنَت: خضعت. الترب: التراب. يدين لها: يطيعها. العاتي من الجبهات: أي التي تجاوزت الحد في العتوّ والجبروت.

مـنـوِّرةٌ كـالـبـدر شـمّـاء كـالـسُّـهـا
وتُـخـفـض فـي حـق وعـنـد صـلاةِ[١]
ويـا ربّ لـو سـخَّـرت نـاقـةَ (صـالـح)
لـعـبـدك مـا كـانـت مـن الـسَّـلِـسـاتِ[٢]
ويـا ربّ هـل سـيـارةٌ أو مـطـارةٌ
فـيـدنـو بـعـيـدُ الـبـيـدِ والـفـلَـواتِ[٣]
ويـا ربّ هـل تُـغـنـي عـن الـعـبـد حَـجَّـةٌ
وفـي الـعـمـر مـا فـيـه مـن الـهـفـواتِ[٤]
وتـشـهـدُ مـا آذيـتُ نـفـسـاً ولـم أضـر
ولـم أبـغِ فـي جَـهـري ولا خـطـراتِـي[٥]
ولا غـلـبـتـنـي شِـقـوةٌ أو سـعـادةٌ
عـلـى حـكـمـةٍ آتـيـتَـنـي وأَنـاةِ[٦]
ولا جـال إلّا الـخـيـرُ بـيـن سـرائـري
لـدى سُـدّةٍ خـيـريَّـةِ الـرَّغـبـاتِ[٧]
ولا بـتّ إلّا كـابـن (مـريـمَ) مـشـفِـقـاً
عـلـى حُـسَّـدي مـسـتـغـفـراً لـعِـداتـي[٨]

(١) منوّرة: صفة لكلمة «جبهة» في البيت السابق. شمَّاء: عالية. السُّها: كوكب.
(٢) سخّرت: ذلّلت. السلسات: مفردها سلسة، أي منقادة.
(٣) سيارة: مركبة السير. مطارة: طائرة. البيد والفلوات: مفردها بيداء وفلاة، أي الأرض الواسعة.
(٤) معنى البيت: هل تنفع حجّة في مُهِمّ أمر العبد عند اللّه، بالرغم من الزلّات والهفوات؟
(٥) يقول الشاعر: تشهد يا ربّ أنني ما آذيت نفساً، أي لم أعرضها للأذى. لم أضر: لم أعمل ما يضر. لم أبغِ: لم أرتكب عمل البغي. الجهر: العلانية. الخطرات: مفردها خطرة، وهي ما يدور في ذهن الإنسان.
(٦) الشقوة: ما يُشقي، ضد السعادة. الحكمة: الحلم وسداد الرأي. الأناة: الحلم.
(٧) جال: طاف. السرائر: مفردها سريرة، وهي ما يسِرّه الإنسان من أمره. السّدة: الباب، أو ما حول الدار من الرواق.
(٨) ابن مريم: هو عيسى عليه السلام. مشفقاً على حسَّدي: حانياً على إصلاح حسّادي. مستغفراً لعداتي: طالباً المغفرة لأعدائي.

ولا حُـمّـلـتْ نـفـسٌ هـوًى لـبـلادهـا
كـنـفـسـيَ فـي فِـعـلـي وفـي نـفَـثـاتِـي[١]
وإنـي ولا مَـنٌّ عـلـيـك بـطـاعـة
أُجِـلُّ وأُغـلـي فـي الـفـروض زكـاتِـي[٢]
أبـالـغُ فـيـهـا وهـي عـدلٌ ورحـمـة
ويـتـركُـهـا الـنـسَّـاك فـي الـخـلـواتِ[٣]
وأنـت ولـيُّ الـعـفـوِ فـامْـحُ بـنـاصـع
مـن الـصـفـح مـا سـوَّدتُ مـن صـفـحـاتِـي[٤]
ومَـنْ تـضـحـكِ الـدُّنـيـا إلـيـه فـيـغـتـرِرْ
يـمـتْ كـقـتـيـل الـغـيـد بـالـبَـسَـمـاتِ[٥]

❊ ❊ ❊

وركـبٍ كـإقـبـالِ الـزمـانِ مـحـجَّـلٍ
كـريـم الـحـواشـي كـابـرِ الـخـطـواتِ[٦]
يـسـيـرُ بـأرضٍ أخـرجَـتْ خـيـر أمـةٍ
وتـحـت سـمـاءِ الـوحـي والـسّـوراتِ[٧]

(١) الهوى: الحب. النفثات: مفردها نفثة، وغالباً ما تطلق على الشعر مجازاً، كأن يقال: ما أحسن نفثات هذا الشاعر، أي ما أحسن شعره.
(٢) المنّ: الامتنان بتعداد الأعمال. أُجلّ زكاتي: أُعظمها. أُغليها: أجعلها غالية. الفروض: ما فرضه اللّه من عبادات.
(٣) أبالغ فيها: أجتهد فيها ولا أقصّر. النسَّاك: الزهّاد. الخلوات: مفردها خلوة، وهي الإنفراد مع النفس لتأدية العبادات.
(٤) وليّ العفو: أي متولّيه وصاحبه. العفو: إسقاط العقوبة، وعدم الانتقام. إمْحُ: فعل الأمر من محا. الناصع: الخالص الصافي. الصفح: العفو، أو الإعراض عن الانتقام.
(٥) يغترر: أي يغتر وينخدع. الغيد: مفردها غيداء، وهي الحسناء الطويلة العنق اللّينة الأعطاف. البسمات: مفردها بسمة، وهي الضحكة الخافتة بدون صوت.
(٦) المحجّل من الخيل: ما في قوائمه بياض، ومجازاً المضيء المشرق. الحواشي: الجوانب. الكابر: الرفيع الشأن.
(٧) يسير بأرض: أي أرض الحجاز. خير أُمّة: العرب خاصة والمسلمون عامة. الوحي: =

يُـفـيـض عـلـيـهـا الـيـمـنَ فـي غـدواتـه
ويُـضْـفِـي عـلـيـهـا الأمـن فـي الـرَّوحـاتِ[١]

❊ ❊ ❊

إذا زرتَ يـا مـولايَ قـبـرَ مـحـمـدٍ
وقـبَّـلـتَ مـثـوَى الأعـظُـمِ الـعـطـراتِ[٢]
وفـاضـت مـن الـدّمـعِ الـعـيـونُ مـهـابـةً
لأحـمـدَ بـيـن الـسـتـر والـحُـجـراتِ[٣]
وأشـرق نـورٌ تـحـت كـلّ ثـنـيَّـةٍ
وضـاع أريـجٌ تـحـت كـلّ حَـصـاةِ[٤]
لـمُـظـهِـر ديـن الـلَّـه فـوق تـنـوفـةٍ
وبـانـي صـروحِ الـمـجـدِ فـوق فـلاةِ[٥]
فـقُـلْ لـرسـولِ الـلَّـه: يـا خـيـر مـرسَـلٍ
أبـثُّـك مـا تـدري مـن الـحـسـراتِ[٦]
شـعـوبُـك فـي شـرقِ الـبـلادِ وغـربِـهـا
كـأصـحـابِ كـهـفٍ فـي عـمـيـق سُـبـاتِ[٧]

= المقصود هنا ما يُلقى من عند اللَّه للأنبياء. السورات: مفردها السورة من القرآن الكريم.

(١) يفيض: يسيل. اليمن: الخير. الغدوات: مفردها غدوة، وهي المرة الواحدة من الغدوّ. يضفي عليها الأمن: يسبغه عليها. الرّوحات: مفردها روحة وهي المرة الواحدة من الرّواح.

(٢) إذا زرت يا مولاي: المقصود هو الخديوي. المثوى: المقام. الأعْظُم: مفردها العَظْم. العطرات: المتطيبات بالعطر.

(٣) فاضت: سالت. المهابة: الخوف. أحمد: من أسماء الرسول ﷺ. الستر: ما يستر به. الحجرات: مفردها حجرة وهي الغرفة الصغيرة.

(٤) الثنية: الطريق. ضاع: من الضوع أي فاح. الأريج: الرائحة الطيبة.

(٥) مُظهر دين اللَّه: معلنه. التنوفة: الفلاة. الصّروح: مفردها صرح وهو البناء الشامخ.

(٦) أبثك: أُطلِعك. ما تدري: ما تعلم. الحسرات: مفردها حسرة وهي اللّهفة على الماضي.

(٧) شعوبك: مفردها شَعب أي الناس. الكهْف: الملجأ المحفور في الجبل. العميق: الغائر. السّبات: النوم.

بـأيـمـانـهـم نـورانِ: ذِكْـرٌ وسُـنَّـةٌ
فـمـا بـالـهـم فـي حـالِـكِ الـظّـلـمـاتِ؟(١)
وذلـك مـاضـي مـجـدهـم وفـخـارهـم
فـمـا ضـرَّهـم لـو يـعـمـلـون لآتِـي؟(٢)
وهـذا زمـانٌ أرضُـه وسـمـاؤه
مـجـالٌ لـمـقـدام كـبـيـرِ حـيـاةِ(٣)
مـشـى فـيـه قـومٌ فـي الـسّـمـاءِ وأنـشـؤوا
بـوارجَ فـي الأبـراجِ مـمـتـنِـعـاتِ(٤)
فـقُـلْ: ربِّ وفِّـقْ لـلـعـظـائـم أمـتـي
وزيِّـنْ لـهـا الأفـعـالَ والـعـزمـاتِ(٥)

(١) أيمانهم: أي جوارحهم. الذّكر: القرآن الكريم. السّنة: الشريعة، وتطلق أيضاً على الأحاديث النبوية الشريفة. البال: الحال. الحالك: الشديد السواد. الظلمات: مفردها ظلمة وهي ضد النور.
(٢) المجد: الرفعة. الفخار: التباهي والكبرياء.
(٣) المجال: المدى. المقدام: الكثير الإقدام على العدو، أو على عظائم الأمور.
(٤) مشى فيه: أي مشى في هذا الزمان. أنشؤوا: أحدثوا. بوارج: سفن كبيرة. الأبراج: أي أبواب السماء، أو منازل القمر. ممتنِعات: محفوظات. والمعنى بشكل عام: إنّ هؤلاء القوم قد بلغوا من العزة في هذا الزمان، أنْ مشوا في مجال جو السماء يطيرون ويُنشؤون الطيارات التي تصل عَنان السماء.
(٥) وفّقْ للعظائم أمتي: أي ألهِمْها إياها. وزيّن لها الأفعال: اجعلها زينة عندها وغير مشينة. العزمات: مفردها عزمة، أي الثبات والصبر فيما يتم العزم عليه.

مصْرُ تجدّد مجدَها بنسائِها المتجدّدات(*)

[من الكامل]

قُم حيِّ هذي النيّراتِ ... حيِّ الحسانَ الخيِّراتِ
وٱخفضْ جبينَك هَيبةً ... للخُرَّد المتخفّراتِ(١)
زيْن المقاصِر والحِجا ... لِ وزيْن محرابِ الصَّلاةِ(٢)
هذا مقامُ الأمَّهاتِ ... تِ، فهل قدرت الأمَّهاتِ؟
لا تلغُ فيه ولا تقلْ ... غير الفواصلِ محكماتِ(٣)
وإذا خطبتَ فلا تكن ... خطْباً على مِصرَ الفتاةِ
أذكرْ لها اليابانَ لا ... أُممَ الهوى المتهتِّكاتِ
ماذا لقيتَ من الحضا ... رة يا أُخيَّ التّرّهاتِ(٤)
لم تَلقَ غيرَ الرق من ... عُسرٍ على الشرقيِّ عاتِ
خُذْ بالكتاب وبالحديـ ... ـثِ وسيرةِ السلف الثِّقاتِ(٥)
وٱرجع إلى سنن الخليـ ... ـفةِ وٱتَّبِعْ نُظُمَ الحياةِ
هذا رسولُ اللَّه لم ... ينقصْ حقوقَ المؤمناتِ
ألعلمُ كان شريعة ... لنسائه المتفقِّهاتِ(٦)
رِضْنَ التجارة والسيا ... سة والشؤونَ الأخرياتِ(٧)

(*) «ألقيت هذه القصيدة في جمع حافل من السيدات المصريات بمسرح حديقة الأزبكية».
(١) الخُرَّد: العذارى. المتخفرات: المستحييات.
(٢) الزَّيْن: ضد الشين. المقاصر: مفردها مقصورة، الدار الواسعة. الحجال: مفردها الحَجَلة، وهو ستر يُضرب للعروس في جوف البيت، أو بيت يُزيّن للعروس.
(٣) لا تلغُ: لا تقل باطلاً. الفواصل: مفردها فاصلة، وهي من النثر والسجع كالقافية في الشعر.
(٤) التُّرهات: مفردها ترّهة، أي الباطل. (٥) الثِّقات: مفردها ثقة، أي الموثوق به.
(٦) المتفقّهات: المتعلمات للفقه.
(٧) رِضْنَ: جعَلْنَه مطيعاً ميسّراً.

ولقد علَتْ ببناته لُججَ العلوم الزاخراتِ
كانت (سُكَيْنَةُ) تملأ الدنيا وتهزأُ بالرواةِ[١]
روت الحديثَ وفسّرت آيَ الكتاب البيّناتِ
وحضارةُ الإسلام تنـ ـطقُ عن مكان المسلماتِ
بغدادُ دار العالما تِ ومنزلُ المتأدباتِ[٢]
ودِمشقُ تحت أمية أمّ الجواري النابغاتِ[٣]
وريـاضُ أَنْدلسٍ نمَيْـ ـنَ الهاتفاتِ الشاعراتِ[٤]

❊ ❊ ❊

أدْعُ الرجالَ لينظروا كيف اتحادُ الغانياتِ
والنفعَ كيف أخَذْنَ في أسبابه متعاوناتِ
لمّا رأينَ ندى الرِّجا لِ تفاخُراً أو حبَّ ذاتِ[٥]
ورأين عندهمُ الصنا ئعَ والفنونَ مضيَّعاتِ
والبرّ عند الأغنيا ءِ من الشؤون المهمَلاتِ
أقبلنَ يَبنين المنا ئِرَ للنجاح موفَّقاتِ

❊ ❊ ❊

للصالحات عقائل الـ ـوادي هوًى في الصالحاتِ[٦]
ألَّه أَنْبتهنَّ في طاعاته خيرَ النّباتِ
فأتينَ أطيبَ ما أتى زَهَرُ المناقِبِ والصّفاتِ[٧]
لم يكفِ أَنْ أحسنَّ حتّى زِدْنَ حضَّ المحسناتِ[٨]

---

(١) سُكَيْنَة: هي بنت الإمام الحسين بن علي وحفيدة الرسول ﷺ.
(٢) بغداد: عاصمة العباسيين في العراق. المتأدبات: المتعلمات الأدب.
(٣) دمشق: عاصمة الأمويين في الشام. الجواري: مفردها جارية وهي الفتاة.
(٤) الأندلس: بلاد في غرب أوروبا كانت مقر مُلْك إسلامي كبير، وهي اليوم مملكة إسبانيا. نَمينَ: رفعن بالانتساب إلى القوم أو العشيرة.
(٥) الندى: الكرم.
(٦) الصالحات: ذوات الصلاح من النساء. العقائل: الكرائم.
(٧) المناقب: المفاخر. (٨) الحضّ: من حضّه على الأمر، أي حمله عليه.

يـمـشـيـنَ فـي سـوقِ الـثـوا ... بِ مـسـاوِمـاتٍ رابـحـاتِ
يَـلـبَـسْـنَ ذُلَّ الـسـائـلا ... تِ ومـا ذكَـرْنَ الـبـائـسـاتِ[١]
فـوجـوهُـهـنَّ ومـاؤهـا ... سِتْرٌ عـلـى الـمـتـجـمِّـلاتِ[٢]
مـصـرٌ تُـجـدّد مـجـدَهـا ... بـنـسـائـهـا الـمـتـجـدِّداتِ
ألـنـافـراتِ مـن الـجُـمـو ... دِ كـأنـه شَـبَـحُ الـمَـمـاتِ[٣]
هـل بـيـنـهـنَّ جـوامـداً ... فـرْقٌ وبـيـن الـمُـومِـيَـاتِ[٤]
لـمّـا حـضَـنَّ لـنـا الـقـضـيّـة كـنّ خـيـر الـحـاضِـنـاتِ[٥]
غـذَّيـنَـهـا فـي مـهـدِهـا ... بـلِـبـانِـهِـنَّ الـطـاهـراتِ
وسـبَـقْـنَ فـيـهـا الـمُـعْـلَـمـيـ ... ـنَ إلى الـكـريـهـة مُـعْـلَـماتِ[٦]
يَـنـفُـشْـنَ فـي الـفِـتـيـان مـن ... رُوح الـشـجـاعـة والـثَّـبـاتِ[٧]
يَـهْـويـنَ تـقـبـيـلَ الـمُـهَـنَّـد أو مُـعـانـقـةَ الـقـنـاةِ[٨]
ويَـريْـنَ حـتّـى فـي الـكـرَى ... قُـبَـلَ الـرِّجـال مـحـرَّمـاتِ

(١) البائسات: الشديدات الحاجة.
(٢) المتجمِّلات: اللواتي لم يظهرن ذل البؤس.
(٣) الجمود: الركود وعدم التغيير.
(٤) المومياتُ: الأجسام المحنطة.
(٥) القضيّة: هي قضية استقلال وادي النيل.
(٦) المُعلَمون: الفرسان المميَّزون.
(٧) ينفشنَ: يُلقينَ.
(٨) المهند: السيف. القناة: الرمح.

خِلافَةُ الإسْلام(*)

[من الكامل]

عــادت أغــانــي الــعُــرس رجــعَ نــواحِ
ونُــعــيــتِ بــيــن مــعــالــم الأفــراحِ(١)
كُــفّــنــتِ فــي لــيــلِ الــزفــاف بــثــوبــه
ودُفــنــتِ عــنــد تــبــلُّــج الإصــبــاحِ(٢)
شُــيّــعــتِ مــن هــلــع بــعــبــرةِ ضــاحــكٍ
فــي كــلّ نــاحــيــةٍ وســكــرةِ صــاحِ(٣)
ضــجّــت عــلــيــكِ مــآذنٌ ومــنــابــرٌ
وبــكــتْ عــلــيــك مــمــالــكٌ ونــواحِ
ألــهــنــدُ والــهــةٌ ومــصــرُ حــزيــنــة
تــبــكــي عــلــيــك بــمــدمــعٍ سَــحَّــاحِ(٤)
والــشــامُ تــســألُ والــعــراق وفــارسٌ
أمــحَــا مــن الأرض الــخــلافــة مــاحِ؟
وأتــت لــكِ الــجُــمــعُ الــجــلائــل مــأتــماً
فَــقَــعَــدْنَ فــيــه مــقــاعــد الأنــواحِ(٥)

(*) «ما كاد العالم الإسلامي يفرح بانتصار الأتراك على أعدائهم في ميدان الحرب والسياسة، ذلك النصر الحاسم الذي كان حديث الدنيا والذي تمّ على يد مصطفى باشا كمال في سنة ١٩٢٣م، حتى أعلن هذا إلغاء الخلافة ونفي الخليفة من بلاد الأتراك، فنظم الشاعر هذه القصيدة يرثي فيها الخلافة وينبّه ممالك الإسلام إلى إسداء النصح للغازي لعله يبني ما هدم وينصف مَنْ ظلم».

(١) الأغاني: مفردها أغنية، وهي ما يترنّم به. الرَّجع: الصدى. المعالم: مفردها معلم، وهو موضع الشيء الموجود فيه.

(٢) تبلّج الإصباح: إشراقه. (٣) الهلع: الخوف الشديد. العَبرة: الدمعة.

(٤) الوالهة: الحزينة. السَّحَّاح: المتتابع السيلان.

(٥) الجُمع: مفردها جمعة، أي صلاة الجمعة. الأنواح: الباكيات.

يـــا لـــلـــرّجـــال لـــحـــرّةٍ مَـــوْؤُودةٍ
قُـتـلـت بـغـيـر جـريـرة وجُـنـاحِ[١]

إنّ الـذيـن أسَـتْ جِـراحَـكِ حـربُـهـم
قـتـلـتْـكِ سِـلـمُـهـمـو بـغـيـر جِـراحِ[٢]

هـتـكـوا بـأيـديـهـم مُـلاءة فـخـرِهـم
مَـوْشِـيَّـةً بـمـواهـب الـفـتّـاحِ[٣]

نـزعـوا عـن الأعـنـاقِ خـيـر قِـلادةٍ
ونَـضـوا عـن الأعـطـاف خـيـر وِشـاحِ[٤]

حـسـبٌ أتـى طـولُ الـلّـيـالـي دونَـه
قـد طـاح بـيـن عـشـيـةٍ وصـبـاحِ[٥]

وعَـلاقَـةٌ فُـصِـمَـت عُـرى أسـبـابِـهـا
كـانـت أبـرَّ عـلائـق الأرواحِ

جَـمَـعـت عـلـى الـبـرِّ الـحُـضـورَ وربـمـا
جـمَـعـتْ عـلـيـه سـرائـرَ الـنُّـزّاحِ[٦]

نـظـمـت صـفـوفَ الـمـسـلـمـيـن وخَـطـوَهـم
فـي كـلِّ غـدوةِ جُـمـعـةٍ ورواحِ

بـكـت الـصـلاة، وتـلـك فـتـنـةُ عـابـثٍ
بـالـشـرع عـربـيـد الـقـضـاء وَقـاحِ[٧]

---

(١) المَوْؤُودة: التي تُدفن في التراب وهي حيّة. الجُناح: الإثم.
(٢) أَسَتْ جراحك: داوتها. السلم: السلام والصلح.
(٣) هتكوا: من هتك الستر، خرقه وجذبه. مَوْشية: من الوشي، أي منقوشة. الفتّاح: من أسماء اللّه تعالى.
(٤) نضوا: خلعوا. الأعطاف: مفردها عطف، وهو الجانب من كل شيء. الوشاح: ما يشبه القلادة، ينسج من جلد وغيره.
(٥) طاح به: سقط أو ذهب به.
(٦) البرّ: صلة المعروف. النُّزاح: مفردها نازح، المبعدون.
(٧) العربيد: الشرير أو سيئ الخلق. الوَقاح: القليل الحياء.

أفتى خُزعْبَلةً وقال ضلالةً
وأتى بكفرٍ في البلادِ بواحِ[١]
إنّ الذين جرى عليهم فِقهُهُ
خُلقوا لِفقهِ كتيبةٍ وسلاحِ
إنْ حدّثوا نطقوا بخُرس كتائبٍ
أو خوطبوا سمِعوا بصمّ رماحِ
أستغفرُ الأخلاقَ لستُ بجاحدٍ
مَنْ كنتُ أدفعُ دونَه وأُلاحِي[٢]
ما لي أُطوّقُهُ الملامَ وطالما
قلّدتُه المأثورَ من أمداحِي؟
هو ركنُ مملكةٍ وحائط دُولةٍ
وقريعُ شهباءٍ وكبشُ نطاحِ[٣]
أأقولُ مَنْ أحيا الجماعةَ مُلحِدٌ
وأقول مَنْ ردّ الحقوقَ إباحِي؟
ألحقُّ أولى من وليِّكَ حرمةً
وأحقُّ منك بنصرة وكِفاحِ
فامدح على الحقِّ الرجال ولُمْهُمو
أو خلّ عنك مواقفَ النُّصاحِ
ومن الرجال إذا أنبريتَ لهدمهم
هرمٌ غليظ مناكب الصُّفاحِ[٤]
فإذا قذفت الحقَّ في أجلاده
ترك الصراعَ مُضْعضَعَ الألواحِ[٥]

(١) الخزعبلة: المزاح والفُكاهة. البواح: يقال أتى بالكفر بواحاً، أي علناً وجهراً.
(٢) أدفع دونه: أرد عنه. ألاحي: من الملاحاة، أي الملاعنة.
(٣) القريع: الغالب في المقارعة أي المضاربة. الشهباء: الفرقة الكثيرة السلاح.
(٤) المناكب: الأكتاف، وهنا بمعنى الجوانب والنواحي. الصُّفاح: الحجارة العريضة والرقيقة.
(٥) الأجلاد: يقال: أجلاد الإنسان، أي جسمه وأعضاؤه.

أدُّوا إلى الغازي النّصيحة يَنتصحْ
إنّ الجوادَ يثوبُ بعد جَماحِ[١]
إنّ الغرور سقى الرئيسَ براحِه
كيف احتيالُك في صريع الراحِ؟[٢]
نقلَ الشرائع والعقائد والقرى
والناسَ نقلَ كتائب في السَّاحِ[٣]
تركتْه كالشَّبح المؤلَّهِ أمَّةٌ
لم تَسلُ بعدُ عبادةَ الأشباحِ
هُم أطلقوا يدهُ كقيصرَ فيهمو
حتى تناول كلَّ غيرِ مباحِ
غرّته طاعاتُ الجموح ودولةٌ
وَجد السَّوادُ لها هوى المُرتاحِ
وإذا أخذتَ المجدَ من أميةٍ
لم تُعطَ غير سرابِه اللَّمّاحِ[٤]
مَنْ قائِلٌ للمسلمين مقالةً
لم يوحها غيرَ النّصيحة واحِ؟
عهدُ الخلافة فيَّ أوّل ذائدٍ
عن حوضها بيراعهِ نَضَّاحِ[٥]
حبٌّ لذاتِ اللَّهِ كان، ولم يزل
وهوًى لذاتِ الحقِّ والإصلاحِ
إنّي أَنَا المصباحُ لستُ بضائع
حتى أكونَ فراشة المصباحِ[٦]

(١) الغازي: أي مصطفى كمال. (٢) الرئيس: المقصود أيضاً مصطفى كمال.
(٣) السَّاح: مفردها ساحة والمقصود ساحة الحرب.
(٤) اللّماح: اللّماع.
(٥) الذائد: المدافع. النَّضاح: الحامي والمدافع أيضاً.
(٦) فراشة: حشرة طائرة تتهافت على السراج حتى تحترق.

غـــزوات (أدهـــمَ) كُـــلِّـــلـــت بـــذوابِـــل
وفـتـــوحُ (أَنْـــورَ) فُـصِّـــلـــت بِـصِـفـــاحِ[١]
ولّـــت ســـيـــوفُـــهـــمـــا وبـــان قـنـــاهُـــمـــا
وشـــبـــا يَـــراعـــي غـــيـــرُ ذات بَـــراحِ[٢]
لا تَـــبـــذلـــوا بُـــردَ الـــنّـــبـــيّ لِـــعـــاجـــز
عُـــزلٍ يـــدافـــعُ دونَـــه بـــالـــراحِ[٣]
بـالأمـس أوهـى الـمـسـلـمـيـن جـراحـةً
والـيـــوم مـــدّ لَـــهُـــمْ يـــدَ الـــجـــرّاحِ[٤]
فـلـتَـسْـمَـعُـنّ بـكـل أرض داعـيـاً
يـدعـو إلـى (الـكـذّابِ) أو (لـسَـجَـاحِ)[٥]
ولـتـشـهـدُنَّ بـكـل أرض فِـتـنـةً
فـيـهـا يـبـاعُ الـديـنُ بـيـعَ سَـمـاحِ
يُـفـتَـى عـلـى ذهـبِ الـمُـعـزِّ وسـيـفـه
وهـوى الـنـفـوسِ وحـقـدِهـا الـمـلـحـاحِ[٦]

(١) الذوابل: صفة للرماح. الصّفاح: السيوف. أدهم وأنور: هما قائدان تركيان كبيران... والمراد بالرماح والسيوف هنا الأقلام.
(٢) القنا: الرماح. الشَّبا: مفردها شباة، وهي حد كل شيء. البراح: الزوال.
(٣) العاجز العُزْل: المقصود هو حسين بن علي شريف الحجاز. الراح: مفردها راحة، بطن الكف.
(٤) أوهى المسلمين جراحة: يقصد أيضاً حسين بن علي. وهو إشارة إلى موالاته أعداء المسلمين في الحرب الكبرى.
(٥) يريد أنّ تنحّي الأتراك عن الخلافة الإسلامية أطمع فيها من لا يصلح لها، وسمح لدعاة هؤلاء الطامعين الظهور في كل مكان.
الكذّاب: المقصود به مسيلمة الكذّاب. سَجَاح: امرأة كانت تدّعي النبوة.
(٦) المراد بذهبه وسيفه: المال الذي بُذل لمن أطاعوه، والعقاب الذي أصاب من خالفوه.

تَكْريم(*)

[من الكامل]

بأبي وروحي الناعماتِ الغِيدَا
ألباسماتِ عن اليتيمِ نضِيدَا(١)
ألرانياتِ بكلِّ أحورَ فاترٍ
يذرُ الخَلِيَّ من القلوب عَمِيدَا(٢)
ألراوياتِ من السُّلاف محاجراً
ألناهلاتِ سوالفاً وخدودَا(٣)
ألملاعباتِ على النسيم غدائراً
ألراتعاتِ مع النسيم قُدودَا(٤)
أقْبَلْنَ في ذهب الأصيلِ ووَشْيِهِ
مِلْءَ الغلائلِ لؤلؤاً وفريدَا(٥)

(*) «في وزارة سعد زغلول باشا سنة ١٩٢٤م أُطلق سجناء كانت المحاكم العسكرية الإنكليزية قد أدانتهم في مؤامرة شاع يومئذ أنها مبالغ فيها.
وقد احتفل شباب البلاد بنجاة إخوانهم، فرجوا صاحب الديوان أن يشاركهم في هذا الاحتفال فنظم هذه القصيدة مشيراً فيها إلى أهم ما كان يشغل بال الناس في ذلك العهد من الحوادث».

(١) بأبي وروحي: أي أفتدي بهما. الغيد: مفردها غيداء، الحسناء الطويلة العنق، اللينة الأعطاف. اليتيم: ما لا نظير له. النضيد: المتّسق.

(٢) الرانيات: الناظرات بطرف ساكن. الأحور: من الحَوَر، وهو شدّة سواد العين في شدّة بياضها، العميد: المتيّم.

(٣) السّلاف: الخالص من الخمر، وهو هنا كناية عن سحر العيون. الناهل: الريان. السوالف: صفحات الأعناق.

(٤) الغدائر: مفردها غديرة وهي الذؤابة من الشعر. القدود: مفردها قدّ، أي القامة.

(٥) الوشي: النقش والنمنمة. الغلائل: الأثواب الرقيقة. الفريد: الدر المنظوم.

يَـحْـدِجْـنَ بـالـحَـدَقِ الـحـواسـدِ دُمْـيَـةً
كـظِـبـاءِ (وَجْـرةَ) مُـقْـلَـتَـيْـنِ وجـيـدَا[١]
حَـوَتِ الـجـمـالَ فـلـو ذهـبـتَ تـزيـدهـا
فـي الـوهـم حُـسـنـاً مـا اسـتـطـعـت مـزيـدَا
لـو مـرَّ بـالـولـدان طـيـفُ جـمـالـهـا
فـي الـخُـلـدِ خـرّوا رُكَّـعـاً وسُـجـودَا
أشـهـى مـن الـعـودِ الـمـرنِّـم مـنـطِـقـاً
وألـذُّ مـن أوتـارِه تـغـريـدَا
لـو كـنـتَ (سـعـداً) مُـطْـلِـقَ الـسـجـنـاء لـم
تُـطْـلِـق لـسـاحِـرِ طـرْفِـهـا مـصـفـودَا[٢]
مـا قَـصَّـرَ الـرؤسـاء عـنـه سـعـى لـه
(سـعـدٌ) فـكـان مُـوفَّـقـاً ورشـيـدَا
يـا مـصـرُ أشـبـالُ الـعَـريـنِ تَـرَعْـرَعَـتْ
ومـشـتْ إلـيـك مِـن الـسـجـون أسـودَا
قـاضـي الـسـيـاسـةِ نـالـهـمْ بـعـقـابِـهِ
خـشـن الـحـكـومـة فـي الـشـبـاب عـتـيـدَا[٣]
أتـتِ الـحـوادثُ دون عـقـدِ قـضـائِـه
فـأنـهـار بـيِّـنـةً ودُكَّ شـهـيـدَا[٤]
تـقـضـي الـسـيـاسـةُ غـيـر مـالـكـةٍ لِـمـا
حـكـمـتْ بـه نـقـضـاً ولا تـوكـيـدَا

(١) حدجه بنظره: حدد النظر إليه. الحدق: مفردها حدقة، وهي سواد العين الأعظم. الدّمية: الصورة المزينة أو الصّنم المجسّم، والمقصود هنا الحسناء. وجرة: مكان بين مكة والبصرة تسكنه الظّباء. والمعنى أن هذه الدّمية البارعة الجمال محسودة حتى من الظّباء الحسان لما لها من الحسن الفاتن، وهذا نوع من الغزل الرقيق.
(٢) المصفود: المغلول. ويتحدث في البيت عن إطلاق السجناء وتهنئتهم.
(٣) خشن الحكومة: أي قاسياً. العتيد: القوي الجسيم، أو الحاضر المُهيّأ.
(٤) الشهيد: بمعنى الشاهد. وانهيار البينة ودكّ الشهود دليل البطلان والتزوير.

قالوا: أتنْظمُ للشبابِ تحيةً
تبْقى على جيدِ الزمان قصيدَا؟
قلتُ: الشبابُ أتَمُّ عِقدِ مآثرٍ
من أَنْ أزيدهمو الثناءَ عقودَا
قبِلَتْ جُهودَهُمُ البلادُ وقبَّلتْ
تاجاً على هاماتهمْ معقودَا[1]
خرجوا فما مدّوا حناجِرَهم ولا
مَنُّوا على أوطانهم مجهودَا
خفيَ الأساسُ عن العيون تواضعاً
من بعد ما رُفِعَ البناءُ مَشيدَا
ما كان أفطنَهم لكل خديعةٍ
ولكلِّ شرٍّ بالبلاد أُريدَا
لمّا بنى اللَّهُ القضية منهمُ
قامت على الحقِّ المبين عَمُودَا[2]
جادوا بأيام الشبابِ وأوشكوا
يتجاوزون إلى الحياةِ الجودَا
طلبوا الجلاء على الجهادِ مَثُوبةً
لم يطلبوا أجْر الجهاد زهيدَا[3]
واللَّهِ: ما دون الجلاءِ ويومِه
يومٌ تُسميهِ الكِنانةُ عيدَا
وجَدَ السجينُ يداً تُحطِّمُ قيدهُ
مَنْ ذا يُحطمُ للبلاد قيودَا؟

(١) الهامات: الرؤوس.
(٢) القضية: أي السياسة المصرية.
(٣) الجلاء: يريد جلاء الجنود الإنكليز عن البلاد.

ربِحتْ من (التّصريح) أَنّ قيودها
قد صِرنَ من ذهبٍ وكُنّ حديدَا[١]
أوَ ما تَروْنَ على المنابعِ عُدّةً
لا تنجلي، وعلَى الضّفاف عديدَا[٢]
يا فِتْيَة النّيل السعيدِ خذوا المدى
وٱستأنِفوا نَفسَ الجهادِ مديدَا
وتنكَّبوا العدوان وٱجتنبوا الأذى
وقفوا بمصرَ الموقِفَ المحمودَا[٣]
ألأرض أليقُ مَنزِلاً بجماعةٍ
يبغون أسبابَ السماء قعودَا
أنتم غداً أهلُ الأمور وإنما
كنّا عليكم في الأمور وُفودَا
فٱبنوا على أُسس الزمان ورُوحِه
رُكنَ الحضارة باذخاً وشديدَا
ألهدمُ أجْمَلُ من بناية مُصْلح
يَبْني على الأُسسِ العتاقِ جديدَا
وجْهُ الكنانةِ ليس يُغضِبُ ربَّكم
أنْ تجعلوه كوجهه معبودَا
ولُّوا إليه في الدُّروس وُجُوهَكم
وإذا فرغتُمْ، فٱعبدوه هُجودَا[٤]
إنّ الذي قسم البلادَ حباكُمُ
بلداً كأوطان النجومِ مَجيدَا[٥]

(١) التصريح: المراد به تصريح ٢٨ شباط ١٩٢٢م.
(٢) المنابع: المراد منها منابع النّيل. (٣) تنكّبوا العدوان: تجنّبوه.
(٤) الهُجود: السهر في الليل للصلاة والتعبّد.
(٥) حباه: أعطاه. أوطان النجوم: كناية عن السماء.

قد كان ـ والدنيا لحودٌ كلّها ـ
للعبقريةِ والفنونِ مُهودَا
مجدُ الأمور زوالُه في زلَّةٍ
لا تَرْجُ لاسمكَ بالأمور خلودَا
ألفردُ بالشُّورى وباسم نَدِيّها
لفظَ الخليفةَ في الظلام شريدَا[١]
خلعتهُ دون المسلمينَ عصابةٌ
لم يجعلوا للمسلمينَ وجودَا
يقضون ذلك عن سوادٍ غافلٍ
خُلِق السّوادُ مُضلّلاً ومَسودَا[٢]
جعلوا مشيئتهُ الغبيَّة سُلَّماً
نحوَ الأمور لمَنْ أراد صعودَا
إنّي نظرتُ إلى الشعوب فلم أجدْ
كالجهل داءً للشعوب مُبيدَا
ألجهلُ لا يلِدُ الحياة مواتُهُ
إلّا كما تَلِدُ الرّمامُ الدودَا[٣]
لم يخلُ من صُور الحياة وإنما
أخطاهُ عُنصرُها فمات وليدَا[٤]
وإذا سبى الفردُ المُسلَّطُ مجلِساً
ألْفيتَ أحرار الرجال عبيدَا

(١) النّديّ: المجلس أو النادي. لَفَظ: طرح ورمى.
(٢) سواد الناس: عامة الناس.
(٣) مواتُ الجهل: الخراب والدمار. الرّمام: العظام البالية.
والمعنى أن الجاهل ميت وهو بطبعه لا يأتي بعظيم شأن، وإنما هو كالجيفة لا يتأتى منها إلّا الدود.
(٤) إشارة إلى الدود في البيت السابق.

ورأيْــتَ فــي صــدر الــنَّــديِّ مُــنَــوِّمــاً
فــي عــصــبــةٍ يــتــحــرّكــون رقــودَا
ألــحــق ســهــمٌ لا تــرِشْــهُ بــبــاطــلٍ
مــا كــانَ سَــهْــمُ الــمُــبْــطِــلــيــن سـديـدَا[1]
وألْــعــبْ بــغــيــر ســلاحــه فــلــربَّــمــا
قــتــلَ الــرجــالَ ســلاحُــهُ مــردودَا

(١) راش السهم: ألصق عليه الريش حتى يصبح أكثر نفاذاً.

عَلى سفحِ الأهْرام(*)

[من الكامل]

قِفْ ناجِ أهرامَ الجلالِ ونادِ
هل من بُناتِكَ مجلسٌ أو نادِ(١)
نَشكو ونَفزعُ فيه بين عيونهم
إنّ الأبوّةَ مفزَعُ الأولادِ(٢)
ونبثُّهم عبثَ الهوى بتُراثهم
من كلِّ ملقٍ للهوى بقيادِ(٣)
ونُبينُ كيف تفرّقَ الإخوانُ في
وقتِ البلاء تفرّق الأضدادِ(٤)
إنّ المغالِطَ في الحقيقةِ نفسَه
باغٍ على النفسِ الضعيفةِ عادِ(٥)

* * *

قل للأعاجيب الثلاثِ مقالةً
من هاتفٍ بمكانهنَّ وشادِ(٦)

(*) «أمين الريحاني: أديب من أدباء سوريا وفد إلى مصر فأقام له بعض الأدباء حفلاً على سفح الأهرام شاطرهم إياه صاحب الديوان. (الريحاني من مواليد بلدة الفريكة في لبنان ١٨٧٦م ـ ١٩٤٠م)».

(١) ناج: فعل أمر من ناجى، والمناجاة هي المسارَّة. الجلال: القدر العظيم. البناة: مفردها بانٍ. المجلس: موضع الجلوس. النادي: النديّ أو المجلس حيث يجتمع القوم.

(٢) نشكو: نعلن الشكوى. نفزع: نخاف ونستغيث. الأبوة: كون الرجل أباً.

(٣) نبثهم: نكاشفهم. العبث: اللهو. الهوى: نزوة النفس. القياد: ما يقاد به.

(٤) أبان: أظهر الشيء. البلاء: الهم يبلي الجسد.

(٥) المغالط نفسه: الموقع نفسه في الغلط. باغ: ظالم. عادٍ: ظالم أيضاً.

(٦) الأعاجيب الثلاث: المقصود الأهرام الثلاثة. هاتف: من هتف به أي مدحه. شادٍ: مغنٍ.

لـلَّـهِ أَنْـتِ فـمـا رأيـتُ عـلـى الـصَّـفـا
هــذا الــجــلالَ ولا عــلــى الأوتــادِ[١]
لــكِ كــالــمــعــابــدِ روعــةٌ قــدســيــةٌ
وعــلــيــكِ روحــانــيّــةُ الــعُــبّــادِ[٢]
أُسّــسـتِ مــن أحــلامِــهــم بــقــواعــدٍ
ورُفــعــتِ مــن أخــلاقــهــم بِــعــمــادِ[٣]

❊ ❊ ❊

تــلــك الــرمــالُ بــجــانــبــيــكِ بــقــيــة
مــن نــعــمــةٍ وســمــاحــةٍ ورَمــادِ[٤]
إنْ نــحــنُ أكــرمــنــا الــنــزيــلَ حِــيــالــهــا
فــالــضــيــفُ عــنــدكِ مــوضِــعُ الإرفــادِ[٥]
هــذا (الأمــيــن) بــحــائــطــيــكِ مــطــوّفــاً
مــتــقــدّمَ الــحُــجّــاج والــوُفّــادِ[٦]
إنْ يــعــدُه مــنــكِ الــخــلــودُ فــشــعــرُه
بــاقٍ، ولــيــس بــيــانُــه لــنــفــادِ[٧]
إيــهٍ (أمــيــنُ): لــمــسـتَ كــل مــحــجَّــبٍ
فــي الــحــسـنِ مــن أثــرِ الــعــقــولِ وبــادِي[٨]

(١) الصَّفا: مفردها صفاة، وهي الحجر الصّلد الذي لا ينبت عليه شيء. الأوتاد: الجبال.
(٢) الروعة: المسحة من الجمال. العبَّاد: مفردها عابد.
(٣) الأحلام: العقول. العماد: ما يسند به. والكلام في هذا البيت وما قبله يعود إلى الأهرام الثلاثة.
(٤) السماحة: الكرم والعطاء. الرماد: ما يبقى من المواد المحترقة، ويعبر عنه مجازاً بكثرة إيقاد النار لإطعام الضيوف.
(٥) النزيل: الضيف. حيالها: تجاهها. الإرفاد: الإعطاء.
(٦) مطوّفاً: من طاف أي دار حول المكان. الحجّاج: القصّاد. الوفّاد: القادمون، من وفد أي قدم.
(٧) إن يَعْدُه: إن يجاوزْه. الخلود: البقاء، والمعنى خلود الذكر. النفاد: الانقطاع.
(٨) إيهٍ: اسم فعل، معناه للاستزادة من حديث أو فعل. المحجّب: المخفي. البادي: الظاهر للعين.

قــم قــبِّــلِ الأحــجــار والأيــدي الــتــي
أخــذت لــهــا عــهــداً مــن الآبــادِ[١]
وخــذ الــنــبــوغَ عــن الــكــنــانــة إنــهــا
مــهــدُ الــشــمــوس ومــســقــطُ الآرادِ[٢]
أمُّ الــقِــرى إن لــم تــكــن أمَّ الــقُــرى
ومــثــابــةُ الأعــيــان والأفــرادِ[٣]
مــا زال يــغــشــى الــشّــرقَ مــن لــمــحــاتــهــا
فــي كــل مُــظــلــمــةٍ شُــعــاعٌ هــادِي[٤]
رفــعــوا لــكَ الــريــحــان كــأسـمــكَ طــيــبــاً
إنّ الــعَــمــار تــحــيــةُ الأمــجــادِ[٥]
وتــخــيــروا لــلــمِــهــرجــان مــكــانَــه
وجــعــلــتُ مــوضــعَ الاحــتــفــاءِ فــؤادِي[٦]
سَــلَــفَ الــزمــانُ عــلــى الــمــودّة بــيــنــنــا
ســنــواتُ صــحــوٍ بــل ســنــاتُ رقــادِ[٧]
وإذا جــمــعــتَ الــطــيــبــاتِ رددتَــهــا
لــعــتــيــقِ خــمــرٍ أو قــديــم ودادِ[٨]

(١) الآباد: مفردها أبد وهو الدهر.
(٢) النبوغ: التفوّق والعبقرية. الكنانة: أي مصر. الآراد: مفردها رأد، وهو وقت ارتفاع الشمس في الجزء الأول من النهار، والمقصود به رأد الضحى.
(٣) القِرى: ما يُقرى به الضيف، أي يُطْعَم. القُرى: مفردها قرية، البلدة. المثابة: العودة بعد التفرق. الأعيان: كبار القوم. الأفراد: الناس.
(٤) يغشى الشَّرق: يغطّيه. اللّمحات: النظرات الخاطفة. الشعاع: المنتشر من الضوء.
(٥) الريحان: نبات طيب الرائحة. الأمجاد: مفردها ماجد، وهو الشريف.
(٦) المهرجان: الاحتفال. الاحتفاء: الإكرام في الضيافة.
(٧) سَلَفَ: ولّى ومضى. سِنات: مفردها سِنة وهي النعاس. الرقاد: النوم.
(٨) رددتها: أرجعتها. العتيق: القديم.

يـا نـجـمَ سـوريَّـا ولـسـت بـأوّلٍ
مـاذا نـمـتْ مـن نـيِّـرٍ وقَّـادِ[١]
إطـلـعْ عـلـى يَـمَـنٍ بـيُـمـنـك فـي غـدٍ
وتـجـلَّ بـعـد غـدٍ عـلـى بـغـدادِ
وأجِـلْ خـيـالـك فـي طـلـولِ مـمـالـكٍ
مـمـا تـجـوبُ وفـي رسـومِ بـلادِ[٢]
وسـلِ الـقـبـورَ ولا أقـول سـلِ الـقـرى
هـل مـن ربـيْـعـةَ حـاضـرٌ أو بـادِي؟[٣]
سـتـرى الـدّيـار مـن اخـتـلافِ أمـورهـا
نـطـق الـبـعـيـرُ بِـهـا وعَـيَّ الـحـادِي[٤]

❊ ❊ ❊

قـضَّـيْـتَ أيـام الـشـبـاب بـعَـالـم
لـبـسَ الـسـنـيـن قـشـيـبـة الأبـرادِ[٥]
ولـدَ الـبـدائـعَ والـروائـعَ كـلَّـهـا
وعـدَتـه أَنْ يـلـدَ الـبـيـانَ عـوادِي
لـم يـخـتـرع شـيـطـانَ حـسـانٍ ولـم
تُـخـرج مـصـانـعُـه لـسـانَ زيـادِ[٦]
ألـلَّـه كـرّم بـالـبـيـان عـصـابـة
فـي الـعـالـمـيـنَ عـزيـزةَ الـمـيـلادِ

(١) ولست بأول: لعدم الإطلاق، حيث سبقه أوائل آخرون.
(٢) الطلول: ما بقي من آثار الدار. الرسوم: مفردها رسم وهو الأثر.
(٣) ربيعة: قبيلة عربية. الحاضر: من عاش في الحضر. البادي: من عاش في البادية.
(٤) عَيَّ الحادي: لم يستطع الإفصاح.
(٥) قضّيتَ: أمضيتَ، (الشاعر يخاطب الريحاني). بعالمٍ: أي في أمريكا. قشيب: جديد.
(٦) لم يخترع... إلخ: يريد القول إنه عالم لم يرتق إلى ابتداع البلاغة التي كرّم اللّه بها العرب. حسان: شاعر الرسول. زياد: هو زياد بن أبي سفيان.

(هـومـيـر) أحـدثَ مـن قـرون بـعـده
شـعـراً وإن لـم تـخـلُ مـن آحـادِ[١]
والـشـعـرُ فـي حـيـث الـنـفـوسُ تـلـذّه
لا فـي الـجـديـدِ ولا الـقـديـم الـعـادِي
حـق الـعـشـيـرة فـي نـبـوغِـكَ أوّلٌ
فـانـظـر لـعـلّـك بـالـعـشـيـرة بـادِي[٢]
لـم يَـكـفِـهـم شـطـرُ الـنـبـوغِ فـزدهُـمُ
إنْ كـنـت بـالـشـطـريـن غـيـرَ جـوادِ
أو دَعْ لـسـانَـك والـلّـغـات فـربـمـا
غـنّـى الأصـيـلُ بـمـنـطِـقِ الأجـدادِ
إنّ الـذي مـلأ الـلّـغـات مـحـاسـنـاً
جـعـلَ الـجـمـالَ وسـرَّه فـي الـضّـادِ[٣]

(١) هومير: أوهوميروس، شاعر يوناني قديم له مآثر كبيرة في شعر البطولات والملاحم، وهو مؤلف «الإلياذة».
(٢) حق العشيرة إلخ: في هذا البيت يخاطب الشاعر الضيف أمين الريحاني بلين ويُلفته إلى أن يحسن لغة الضاد حتى تتساوى الأفكار واللغة بالقوة والمتانة وهذا هو النبوغ.
(٣) الضَّاد: هي اللّغة العربية وقد سميت بذلك لأنها اللّغة الوحيدة التي تشتمل على حرف «الضَّاد»، وبسبب صعوبة النطق بها في اللّغات الأخرى.

المطَرية تتكَلّم(*)

[من السريع]

يـا نـاشـرَ الـعـلـم بـهـذي الـبـلادْ
وُفِّـقْـتَ: نـشـرُ الـعـلـم مـثـلُ الـجـهـادْ
بـانـي صـروحِ الـمـجـدِ أَنْـتَ الـذي
تـبـنـي بـيـوتَ الـعـلـم فـي كـلّ نـادْ
بـالـعـلـم ساد الـنـاسُ فـي عـصـرهـم
وٱخـتـرقـوا الـسَّـبـعَ الـطِّـبـاق الـشِّـدادْ(١)
أيـطـلـبُ الـمـجـدَ ويـبـغـي الـعـلا
قـومٌ لـسـوقِ الـعـلـم فـيـهـم كـسـادْ؟
نَـقـادُ أعـمـالـك مُـغـلٍ لـهـا
إذا غـلا الـدرُّ غـلا الانـتـقـادْ(٢)
مـا أصـعـبَ الـفـعـلَ لـمَـنْ رامـه
وأسـهـلَ الـقـولَ عـلـى مَـنْ أرادْ
سـمـعـاً لـشـكـوايَ فـإنْ لـم تـجـد
مـنـك قـبـولاً فـالـشـكـاوى تُـعـادْ(٣)
عـدلاً عـلـى مـا كـان مـن فـضـلِـكـم
فـالـفـضـلُ إنْ وُزِّع بـالـعـدلِ زادْ(٤)

(*) . . . «أحس صاحب الديوان أيام كان يسكن «المطرية»، بحاجة هذا البلد إلى مدرسة تهذب أبناءه، فناشد وزير المعارف يومئذٍ (سعد زغلول باشا) على لسان «المطرية» أن يقوم بإنشاء هذا الأثر الجليل».

(١) ساد الناس: شرفوا وجلّوا. السَّبع الطِّباق: السَّماوات السَّبع.

(٢) نقاد: مبالغة من النقد. مُغْلٍ لها: من أغلى الشيء، جعله غالياً.

(٣) سمعاً لشكواي: أي إسمع شكواي.

(٤) عدلاً: أي أطلب العدل زائداً على ما حصل من فضلكم.

أسمعُ أحياناً وحيناً أرى
مدرسةً في كلّ حيٍّ تُشادْ
قدّمتَ قبلي مدناً أو قُرى
كنتُ أَنَا السّيفَ وكنّ النِّجادْ[١]
أنا الذي كنتُ سريراً لمَنْ
ساد (كإِدْوَرْد) زماناً وشادْ[٢]
قد وحّد الخالقَ في هيكلٍ
من قبلِ سقراطَ ومن قبلِ عادْ[٣]
وهذَّب الهندُ دياناتهم
بكل خافٍ من رموزي وبادْ[٤]
ومن تلاميذيَ موسى الذي
أُوحِيَ من بعدُ إليه فهادْ[٥]
وأُرضعَ الحكمةَ عيسى الهدى
أيَّامَ تُرْبِي مهدهُ والوسادْ[٦]
مدرستي كانت حياضَ النُّهى
قرارةَ العرفان دارَ الرشادْ[٧]

(١) النِّجاد: حمائل السيف.
(٢) السرير: المقصود، سرير الملك. ساد: أصبح سيد قومه. إدورد: ملك الإنكليز قبل الملك جورج القائم على العرش في تلك الفترة. شاد: رفع البناء.
(٣) الهيكل: بيت يُقرّب فيه القربان. سقراط: فيلسوف يوناني. عاد: قوم عاد الذين أُرسل إليهم نبي اللّه هود.
(٤) هذّب الشيء: خلّصه من العيوب. الخافي: الباطن والمستتر. البادي: الظاهر والجلي.
(٥) موسى: هو النبي موسى عليه السلام. أُوحي إليه: تلقّى الوحي من اللّه. هاد: رجع إلى الحق.
(٦) الحكمة: الحلم والرّأي السديد. عيسى: هو عيسى ابن مريم عليه السلام. الترب: التراب. المهد: الموضع الذي يُهيأ للصغير. الوساد: كل ما يُتوسد عليه.
(٧) مدرستي: أي مدرسة المطرية القديمة وإحدى أهم المدارس عند المصريين القدماء، وكانت تستقطب الطلاب من خارج البلاد كاليونان وغيره.

مشايخُ اليونان يأتونها
يُلقون في العلم إليها القِيادْ
كنّا نُسمّيهم بصِبيانه
وصِبيتي بالشيبِ أهلِ السَّدادْ[١]

* * *

ذلك أمسى ما به ريبةٌ
ويومَيَ (القبةُ) ذاتُ العِمادْ[٢]
أصبحتُ كالفردوسِ في ظلِّها
من مصرَ (للخنكا) لِظلِّي امتدادْ
لولا جُلَى زيتونيَ النضر ما
أقسمَ بالزيتونِ ربُّ العبادْ[٣]
ألواحةُ الزهراء ذاتُ الغنى
تُربِي التي ما مثلُها في البلادْ[٤]
تُريك بالصبح وجُنح الدُّجى
بدورَ حسنٍ وشموسَ اتقادْ

* * *

بَنيَّ يا سعدُ كزغبِ القَطا
لا نقَّصَ اللَّهُ لهم من عداد[٥]
إنْ فاتكَ النسلُ فأكرِمْ بهم
ورُبَّ نَسلٍ بالنَّدى يستفادْ

---

(١) وصِبْيَتي بالشيب: أي وتُسمِّي صِبْيتي بالشيب.
(٢) القبّة: من ضواحي القاهرة وفيها قصر كبير بناه الخديوي عباس حلمي. العماد: الأبنية الرفيعة.
(٣) الزيتون: شجر مثمر معروف في المنطقة، وتسمّى فيه أيضاً إحدى ضواحي القاهرة القريبة من القبّة.
(٤) الواحة الزهراء: هي واحة عين شمس. والواحة أيضاً هي وادٍ منخفض في الصحراء.
(٥) الزّغْب: مفردها أزغب، وهو ما له ريش صغير. القطا: طائر في حجم الحمامة.

أخشى عليهم من أذًى رائحٍ
يجمعهم في الفجرِ والعصرِ غادْ[١]
صَفيرُه يسلبني راحتي
ويمنعُ الجفنَ لذيذَ الرّقادْ[٢]
يعقوبُ من ذئبٍ بكى مُشفِقاً
فكيفَ أَنْيابُ الحديد الحِدادْ[٣]
فانظرْ رعاكَ اللَّهُ في حاجهم
فنظرةٌ منكَ تُنيلُ المرادْ[٤]
قد بسطوا الكفَّ على أَنّهم
في كرم الراح كصوْب العِهادْ[٥]
إن صُلب القسطُ فما منهمُ
إلّا جوادٌ عن أبيه الجوادْ

(١) رائح، غاد: كناية عن القطار الذي ينقل أبناء المدارس في القاهرة.
(٢) صفيره: أي صفير القطار.
(٣) يعقوب: هو النبي يعقوب عليه السلام، والد يوسف الذي بكى على ولده حين أخبره أولاده أن الذئب أكل يوسف عليه السلام.
(٤) الحاج: أي الحاجات.
(٥) كصوب العهاد: كنزول المطر.

الإنْقِلاب العُثْمَانيّ
وسقوط السّلطان عبد الحميد

[من الكامل]

سلْ (يلدِزاً) ذاتَ القصورِ ... هل جاءها نبأ البدورِ؟(١)
لو تستطيعُ إجابة ... لبكتك بالدمع الغزيرِ
أخنى عليها ما أَنَا ... خَ على الخورَنْقِ والسديرِ(٢)
ودها الجزيرةَ بعد إسـ ... ـماعيل والملك الكبيرِ(٣)
ذهب الجميعُ فلا القصو ... رُ تُرى ولا أهل القصورِ
فَلكٌ يدورُ سعودُه ... ونحوسُه بيدِ المديرِ
أينَ الأوانس في ذُرا ... ها من ملائكةٍ وحورِ(٤)
أَلمترعاتُ من النعيـ ... ـم الراويات من السرورِ(٥)
أَلعاثراتُ من الدلا ... لِ الناهضاتُ من الغرورِ
أَلآمراتُ على الولا ... ةِ الناهيات على الصدورِ(٦)
أَلناعمات الطيبَا ... تُ العَرف أمثالُ الزهورِ(٧)

(١) يلدز: اسم قصر عظيم في الآستانة سكنه السلطان عبد الحميد أيام ملكه. وسل. . . . إلخ: المقصود به السلطان عبد الحميد.
(٢) أخنى عليه الدهر: أتى عليه وأهلكه. الخورنق والسدير: قصران في الحيرة بالعراق أيام المناذرة.
(٣) دهاه الأمر: أصابَهُ. الجزيرة: هي جزيرة الروضة في النّيل شرقي القاهرة وكان فيها قصر كبير للخديوي إسماعيل.
(٤) الأوانس: مفردها آنسة، وهي الفتاة الطيبة النفس. الحور: مفردها حورية، وهي المرأة البيضاء الناعمة أو مفردها حوراء، وهي التي اشتدّ بياض عينها وسوادها.
(٥) المترعات: الممتلئات، من أترع الإناء أي ملأه.
(٦) الولاة: مفردها والي. الصدور: مفردها صدر، ويقال له الصدر الأعظم وهو الوزير الأكبر في الدولة التركية.
(٧) العرف: الرائحة الزكية.

ألـــذاهـــلاتُ عـــن الـــزمـــا نِ بـنـشـوة الـعـيـشِ الـنـضـيـرِ
ألـمـشـرفـاتُ ومـا أنـتـقـلـ ـنَ عـلـى الـمـمـالـكِ والـبـحـورِ
مـن كـل بـلـقـيـسٍ عـلـى كـرسـيٍّ عـزتـهـا الـوثـيـرِ (١)
أمـضـى نـفـوذاً مـن زبـيـ ـدةَ فـي الإمـارةِ والأمـيـرِ (٢)
بـيـن الـرفـارفِ والـمـشـا رفِ والـزخـارف والـحـريـرِ (٣)
والـروض فـي حـجـم الـدُّنـى والـبـحـرِ فـي حـجـم الـغـديـرِ
والـدرِّ مـؤتـلـقِ الـسَّـنـا والـمـسـكِ فـيَّـاح الـعـبـيـرِ
فـي مـسـكـنٍ فـوق الـسِّـمـا كِ وفـوق غـاراتِ الـمـغـيـرِ (٤)
بـيـن الـمـعـاقـلِ والـقَـنـا والـخـيـلِ والـجـمِّ الـغـفـيـرِ
سـمّـوه (يـلـدزَ) والأفـو لُ نـهـايـةُ الـنـجـم الـمُـغـيـرِ
دارت عـلـيـهـنّ الـدوا ئرُ فـي الـمـخـادعِ والـخـدورِ (٥)
أمـسـيْـنَ فـي رِق الـعـبـيـ ـلِ وبـتْـنَ فـي أسـرِ الـعـشـيـرِ (٦)
مـا يـنـتـهـيـنَ مـن الـصـلا ةِ ضـراعـةً ومـن الـنـذورِ
يـطـلُـبـنَ نُـصـرةَ ربِّـهـ ـنّ وربُّـهـنّ بـلا نـصـيـرِ (٧)
صـبـغ الـسـواد حـبـيـرَهـ ـنّ وكـان مـن يَـقـقِ الـحُـبـورِ (٨)
أنـا إنْ عـجـزتُ فـإنّ فـي بُـرديَّ أشـعـرَ مـن (جَـريـرِ)

(١) بلقيس: ملكة سبأ من أرض اليمن، وقصتها معروفة في كتب التاريخ الديني مع النبي سليمان عليه السلام. الوثير: الناعم.
(٢) زبيدة: زوجة الخليفة هارون الرشيد.
(٣) الرفارف: مفردها رفرف، وهو الفراش. المشارف: مفردها مشرف وهو المكان يُشرف منه. مشارف الأرض: أعاليها.
(٤) السّماك: كوكب.
(٥) الدوائر: مفردها دائرة وهي المصيبة. المخادع: مفردها مِخدع وهو مكان حريز في البيت.
(٦) العبيل: الرجل الضخم.
(٧) ربهنّ: سيدهنّ، وهو السلطان عبد الحميد.
(٨) الحبير: الجديد الناعم. اليقق: الشديد البياض.

خطْبُ الإمام على النظيـ ـم يعزُّ شرحاً والنشيرِ
عظةُ الملوك وعبرةُ الـ ـأيام في الزمنِ الأخيرِ
شيخ الملوكِ وإن تضعـ ـضع في الفؤادِ وفي الضميرِ
نستغفرُ المولى له واللَّه يعفو عن كثيرِ
ونراه عند مُصابه أولى ببابكٍ أو عَذيرِ
ونصونُه ونُجلُّه بين الشماتَةِ والنَّكيرِ
عبدَ الحميد حسابُ مثـ ـلك في يدِ الملكِ الغفورِ
سُدتَ الثلاثينَ الطوا لَ ولسْنَ بالحُكم القصيرِ[١]
تنهى وتأمر ما بدا لك في الكبير وفي الصغيرِ
لا تستشيروا في الحِمى عددُ الكواكب من مُشيرِ
كم سبّحوا لك في الرَّوا حِ وألَّهوكَ لدى البُكورِ
ورأيتَهم لك سُجَّداً كسجود موسى في الحضورِ[٢]
خفضوا الرؤوسَ ووتَّرُوا بالذل أقواسَ الظهورِ[٣]
ماذا دهاك من الأمو ر وكنتَ داهيةَ الأمورِ؟
ما كنت إنْ حدثتْ وجلَّـ ـتْ بالجَزوع ولا العَثورِ
أين الرويّةُ والأنا ةُ وحكمة الشيخ الخبيرِ؟
إنّ القضاءَ إذا رمى دكَّ القواعدَ من (ثَبيرِ)[٤]
دخلوا السريرَ عليكَ يحـ ـتكمون في رَبّ السريرِ[٥]
أعْظِمْ بهم من آسريـ ـنَ وبالخليفةِ من أسيرِ!
أسدٌ هصورٌ أَنْشبَ الـ ـأظفارَ في أسدٍ هَصورِ[٦]

---

(١) سُدْتَ الثلاثين الطوال: المقصود مدة حكم السلطان وهي ثلاثون سنة.
(٢) كسجود موسى في الحضور: أي حين تجلّى له اللّه فكلّمه.
(٣) وتَّروا بالذل أقواس الظهور: أي أن الذل قد قوّس ظهورهم كما يفعل الوتر بالقوس حين يُشد عليه.
(٤) ثبير: اسم جبل معروف في الحجاز.
(٥) يحتكمون في رب السرير: يتصرّفون وفْق هواهم.
(٦) أنشب أظفاره في الشيء: أنفذها وأعلقها فيه.

قالوا: اعتزِلْ ـ قلتَ: اعتزلـ ـتُ ـ الحكمُ للَّه القديرِ
صبروا لدولتكَ السنيـ ـنَ وما صبرتَ سوى شهورِ
أوذيتَ من دُستورهم وحنَنتَ للحكم العسيرِ
وغضبتَ كالمنصورِ أو هارون في خالي العصورِ[١]
ضَنوا بِضَائِعِ حقِّهم وضننتَ بالدُّنيا الغَرورِ
هلَّا ٱحتفظتَ بِه احتفا ظَ مرجِّبٍ فرحِ قريرِ
هو حليةُ المَلِك الرشيـ ـدِ وعصمةُ المَلكِ الغريرِ
وبه يبارَك في الممـ ـلكِ والملوكِ على الدهورِ

❊ ❊ ❊

يا أيها الجيش الذي لا بالدعيّ ولا الفَخورِ
يَخفى فإنْ رِيعَ الحمى لفتَ البريَّةَ بالظهورِ[٢]
كاللّيث يسرفُ في الفِعا لِ وليس يُسرف في الزئيرِ[٣]
ألخاطبُ العلياءِ بالـ ـأرواحِ غاليةِ المهورِ
عند المُهيمن ما جرى في الحقِّ من دمِكَ الطَّهورِ
يتلو الزمانُ صحيفةً غَرَّا مذهَّبةَ السُّطورِ
في مدح (أَنور) الجري ءِ وفي (نَيَازِيْك) الجَسُورِ
يا (شوكت) الإسلام بل يا فاتحَ البلد العسيرِ[٤]
وابنَ الأكارم من بني (عمر) الكريم على (البشيرِ)[٥]

(١) المنصور: هو أبو جعفر المنصور. هارون: هو هارون الرشيد. وكلاهما من الخلفاء العباسيين.
(٢) رِيع الحمى: من راع أي أفزع.
(٣) الزئير: صوت الأسد.
(٤) أنور ويني زي (في البيت السابق) وشوكت: كانوا من كبار القادة في الجيش التركي وكانوا على رأس الحركة التي طالبت السلطان عبد الحميد بإعادة العمل بالدستور وجعله أساس الحكم في البلاد التركية.
(٥) عمر: هو الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب، ويُعزى أن شوكت باشا كان من سلالته. البشير: من أسماء الرسول الكريم ﷺ.

ألقابضين على الصليـ ـل كجدهم وعلى الصريرِ[١]
هل كان جدُّك في ردا ئك يوم زحفك والكرورِ
فقنصت صيّادَ الأسو دِ وصدتَ قنّاصَ النسورِ
وأخذت (يلدزَ) عَنوة وملكت عنقاءَ الثغورِ[٢]

❊ ❊ ❊

ألمؤمنون بمصر يُهـ ـدون السلامَ إلى الأميرِ
ويُبايعونك يا محمّدُ في الضمائر والصدورِ[٣]
قد أمَّلوا لهلالهم حظَّ الأهلةِ في المسيرِ
فأْبلغْ به أوْجَ الكما ل بقوةِ اللَّهِ النّصيرِ
أنت الكبيرُ يقلِّدو نك سيفَ عثمان الكبيرِ
شيخُ الغُزاةِ الفاتحيـ ـنَ حسامُه شيخ الذكورِ[٤]
يمضي ويغمد بالهدى فكأنه سيف النذيرِ[٥]
بشرى الإمام محمدٍ بخلافة اللَّه القديرِ
بشرى الخلافة بالإما م العادِلِ النَّزِهِ الجديرِ
ألباعثِ الدستور في الـ ـإسلام من حُفر القبورِ
أوْدَى (معاوية) به وبعثْته قبل النشورِ[٦]
فعلى الخلافة منكما نورٌ تلألأ فوق نورِ[٧]

---

(١) الصليل: صوت مقارعة السيوف. الصرير: صوت القلم عند الكتابة به.
(٢) أخذ الشيء عنوة: أي أخذه قسراً. العنقاء: طير خرافي، يضرب به المثل في استحالة حصول الشيء.
(٣) محمد: هو السلطان محمد رشاد الخامس بعد السلطان عبد الحميد.
(٤) الذكور: مفردها ذكر وهو من أسماء السيف.
(٥) النذير: من أسماء الرسول الكريم ﷺ.
(٦) أوْدَى به: أهلكه وأضاعه. معاوية: هو معاوية بن أبي سفيان. ومعنى البيت وما قبله، أن الخلفاء الراشدين حكموا بالشورى بين المسلمين، وعندما أخذ معاوية الحكم ٱستبد برأيه. فالشاعر يدعو السلطان محمد رشاد الخامس للعودة إلى الشورى وتنفيذ حكم الدستور.
(٧) منكما: أي من الخليفة ومن الدستور.

انتحارُ الطّلَبَة(*)

[من الرّمل]

ناشئٌ في الورد من أيامِهِ ... حسبُهُ اللَّهُ أبالوردِ عثَرْ(١)
سدّد السّهمَ إلى صدرِ الصِّبَا ... ورماه في حواشِيه الغُرَرْ(٢)
بيدٍ لا تعرفُ الشرَّ ولا ... صلُحت إلّا لتلهُو بالأُكَرْ(٣)
بسطت للسمّ والحبل وما ... بُسِطت للكأس يوماً والوتَرْ
غفرَ اللَّهُ له، ما ضرَّه ... لو قضى من لذَّةِ العيش الوطَرْ
لم يُمتَّع من صِبا أيامِهِ ... وليالِيه أصيلٌ وسَحَرْ(٤)
يَتمنّى الشيخُ منه ساعةً ... بحجابِ السمعِ أو نورِ البصَرْ(٥)
ليسَ في الجنةِ ما يشبهه ... خفةً في الظلِّ أو طيبَ قِصَرْ
فصِبا الخلد كثير دائم ... وصِبا الدُّنيا عزيزٌ محتَضَرْ
كل يوم خبر عن حَدثٍ ... سئِم العيشَ ومن يَسأم يذَرْ(٦)
عاف بالدُّنيا بناءً بعد ما ... خَطب الدُّنيا وأهدَى ومَهَرْ(٧)
حلَّ يومَ العُرسِ منها نفسَه ... رحِمَ اللَّهُ العرُوس المخْتضَرْ(٨)

(*) «رأى الشاعر ذلك الأمر المفزع الوبيء الذي يفزع إليه صغار الطلبة في مصر بعد سقوطهم في الامتحانات، فنظم لهم هذه القصيدة يقطع عليهم فيها سبيل اليأس ويبسط لهم سبيل الرجاء».

(١) حسبه اللَّه: كفاه اللَّه.

(٢) الصِّبا: أول البلوغ والميل إلى الجهالة. الحواشي: الجوانب.

(٣) الأُكر: مفردها كرة.

(٤) الأصيل: وقت ما بين العصر والمغرب. السَّحَر: فترة ما قبل الصبح.

(٥) منه: أي من الصِّبا.

(٦) الحدث: جمعها أحداث، أي صغار السن. يذر: يترك.

(٧) عاف: كره وملّ. بناء: من فعل بنى، وبنى بأهله أي زُفّت إليه. خطب: من خطبة الزواج. أهدى: قدّم الهدية. مَهَر: أعطى المهر.

(٨) المختضَر: الميت في صباه، وأصلها من ٱختضر الكلأ، أي قطعه وهو أخضر.

ضاقَ بالعيشةِ ذَرعاً فهوَى ... عن شَفا اليأسِ وبئسَ المُنحدَرْ[١]
راحلاً في مثلِ أعمارِ المُنى ... ذاهباً في مثلِ آجالِ الزَّهَرْ
هارباً من ساحةِ العيش وما ... شارفَ الغَمرةَ منها والغُدُرْ[٢]
لا أرى الأيامَ إلّا معركاً ... وأرى الصنديدَ فيهِ مَنْ صَبَرْ[٣]
رُبَّ واهي الجأشِ فيه قصَفٌ ... مات بالجبنِ وأودَى بالحذَرْ[٤]

❊ ❊ ❊

لامه الناسُ وما أظلمَهم ... وقليلٌ مَنْ تَغاضَى أو عذَرْ
ولقد أبلاكَ عذراً حسناً ... مرتدي الأكفان ملقًى في الحُفَرْ
قال ناسٌ: صرعةٌ من قدرٍ ... وقديماً ظَلم الناسُ القَدَرْ
ويقول الطبُّ: بل من جِنّة ... ورأيتُ العقلَ في الناسِ نَدَرْ[٥]
ويقولون: جفاءٌ راعَه ... من أبٍ أغلظَ قلباً من حَجَرْ[٦]
وامتحانٌ صَعَّبتهُ وطأةٌ ... شدّها في العلم أستاذ نَكِرْ[٧]
لا أرى إلّا نِظاماً فاسداً ... فكَّكَ العلم وأودى بالأُسَرْ؟
مِن ضَحاياهُ، وما أكثرها! ... ذلكَ الكارِهُ في غَضِّ العُمُرْ[٨]
ما رأى في العيش شيئاً سرَّه ... وأخفُّ العيشِ ما ساء وسَرّ
نزل العيش فلم ينزِل سوى ... شُعبة الهمّ وبيداءِ الفِكَرْ[٩]
ونهارٍ ليس فيهِ غِبطةٌ ... وليالٍ ليس فيهنّ سَمَرْ[١٠]
ودروسٍ لم يُذلِّل قطفَها ... عالمٌ إنْ نطقَ الدرسَ سحَرْ[١١]

---

(١) ضاق بالعيشة ذرعاً: ضعفت طاقته وكره العيش. الشفا: حدّ كل شيء.
(٢) شارف: قارب. غمرة الشيء: شدّته. الغُدُر: مفردها غدير وهو النهر الصغير.
(٣) الصنديد: القوي الشجاع.
(٤) الواهي: المتداعي. الجأش: القلب أو النفس. القَصَف: الضعف. أودى: هلك.
(٥) الجِنّة: الجنون. (٦) الجفاء: الغلظة في العشرة.
(٧) النَّكِر: صاحب الدهاء والفطنة. (٨) غض العمر: أي العمر النَّضر.
(٩) شعبة الهمّ: أي حالة الهمّ.
(١٠) الغبطة: السرور والفرح. السّمر: الحديث في الليل.
(١١) يذلل: يُهَوِّن ويسهل الأمور. قطف الشيء: أخذه ونزعه.

ولقد تُنهِكه نهكَ الضّنَى ضرّةٌ منظرها سُقمٌ وضُرّ[١]
ويلاقي نصباً مما ٱنطوَى في بني العَلّاتِ من ضِغنٍ وشَرّ[٢]
إخوةٌ ما جَمعتْهم رحِمٌ بعضُهم يمشُون للبعضِ الخَمَرْ[٣]
لم يرفرِفْ مَلكُ الحبِّ على أبوَيهم أو يُباركْ في الثمَرْ
خلقَ اللَّهُ من الحبِّ الورَى وبنَى المُلكَ عليه وعمَرْ

❊ ❊ ❊

نشأ الخيرِ، رويداً، قتلكُم في الصِّبا النفسَ ضلالٌ وخُسُرْ[٤]
لو عصيتُمْ كاذبَ اليأسِ، فما في صِباها ينحرُ النفسَ الضجَرْ[٥]
تُضْمِرُ اليأسَ من الدنيا وما عندها عن حادثِ الدُّنيا خبَرْ
فِيْمَ تجنون على آبائِكم ألمَ الثُّكلِ شديداً في الكِبَرْ؟
وتعقُّون بلاداً لم تَزَل بين إشفاقٍ عليكم وحذَرْ؟
فمصابُ المُلك في شُبَّانه كمصابِ الأرضِ في الزرع النَّضِرْ
ليسَ يدري أحدٌ منكم بما كان يُعطَى لو تَأنّى وٱنتظرْ
رُبَّ طفلٍ برَّح البؤسُ به مُطِرَ الخيرَ فتيًّا ومَطَرْ[٦]
وصبيٍّ أَزْرَتِ الدُّنيا به شبَّ بين العزِّ فيها والخطَرْ[٧]
ورفيع لم يُسَوِّدْهُ أبٌ مَنْ أبو الشمس ومَنْ جدُّ القَمَرْ؟
فلكٌ جارٍ ودُنيا لم يدُم عندها السعدُ، ولا النحسُ ٱستَمرّ
روِّحوا القلب بلذّات الصِّبَا فكفى الشَّيْبُ مجالاً للكَدَرْ[٨]

---

(١) تنهكه: تتعبه. الضنى: الضعف والمرض. ضرة المرأة: امرأة زوجها.
(٢) بنو العَلّات: أبناء من رجل واحد وأمهات شتى. الضغن: الكراهية.
(٣) بعضهم يمشون للبعض الخَمر: يخادعونهم.
(٤) نشأ الخير: أي، يا نشأ الخير، والمقصود السلالة والنسل. رويداً: مهلاً. الخُسُر: ضد الربح، الخسارة.
(٥) لو عصيتم كاذب اليأس: المعنى هو الحضّ على عصيان كاذب اليأس.
(٦) برّح به: أتعبه وآذاه. مُطِر الخير: أي أصابه الخير.
(٧) أزرت به: احتقرته.
(٨) روّحوا القلب: من الترويح عن النفس أي إنعاش القلب.

عالجوا الحكمةَ واْستشفوا بها ... واْنشدُوا ما ضلَّ منها في السِّيَرْ[١]
واْقرؤوا آدابَ مَنْ قبلكُمُ ... ربما عَلَّمَ حيًّا مَنْ غَبَرْ[٢]
واْغنموا ما سخَّرَ اللَّهُ لكم ... من جَمَالٍ في المعاني والصُّوَرْ[٣]
واْطلبوا العلمَ لذاتِ العلمِ لا ... لشَهاداتٍ وآرابٍ أُخَرْ[٤]
كم غُلامٍ خاملٍ في درسه ... صارَ بحرَ العلم أستاذَ العُصُرْ
ومُجدٍّ فيه أمسى خامِلاً ... ليس في مَنْ غابَ أو في مَنْ حَضَرْ

❊ ❊ ❊

قاتلُ النفس ولو كانت له ... أسخَطَ اللَّهَ ولم يُرضِ البَشَرْ
ساحة العيشِ إلى اللَّه الذي ... جعلَ الوِردَ بإذن والصَّدَرْ[٥]
لا تموتُ النفس إلّا باسمه ... قامَ بالموتِ عليها وقهَرْ
إنما يسمحُ بالروح الفَتَى ... ساعة الروع إذا الجمع اْشتجرْ[٦]
فهناك الأجرُ والفخرُ معاً ... مَنْ يعش يُحْمَدْ ومَنْ ماتَ أُجِرْ

(١) الحكمة: الرأي السديد. السِّيَر: مفردها سيرة وهي طريقة السير والسلوك بين الناس.
(٢) مَنْ غبر: مَنْ فات ومضى.
(٣) غَنَم: فاز وربح.
(٤) آراب: مفردها أرب، وهو الهدف أو الغاية.
(٥) الوِرْد: الوصول إلى الماء. الصَّدر: الرجوع عنه.
(٦) الروع: الفزع أو اشتداد القتال.

عَبَثُ المَشِيب

[من الكامل]

ظلمَ الرجالُ نساءَهم وتعسّفوا
هل للنساء بمصرَ من أَنْصارِ؟(١)
يا معشرَ الكتّاب: أين بلاؤُكم
أين البيانُ وصائبُ الأفكارِ؟(٢)
أيهمُّكم عَبَثٌ وليس يهمّكم
بنيانُ أخلاقٍ بغير جدارِ؟(٣)
عندي على ضيم الحرائر بينكم
نَبَأٌ يثيرُ ضمائرَ الأحرارِ(٤)
مما رأيتُ وما علمتُ مسافراً
والعلم بعضُ فوائدِ الأسفارِ
فيه مجالٌ للكلام ومذهبٌ
لبراعِ (باحثة) و(ست الدارِ)(٥)
كثُرت على دارِ السعادة زمرة
من مصرَ أهلُ مزارع ويسارِ(٦)
يتزوّجون على نساءٍ تحتهم
لا صاحبات بغيً ولا بِشرارِ(٧)

---

(١) تعسفوا: ظلموا.
(٢) البلاء: الاختبار في الشدّة.
(٣) العبث: اللهو. الجدار: الحائط.
(٤) الحرائر: مفردها حرة وهي السيدة عزيزة النفس. الضمائر: مفردها ضمير، ويطلق على قلب الإنسان وباطنه.
(٥) باحثة: هي السيدة (ملك ناصف) اتخذت لنفسها لقب «باحثة البادية» تذيّل به مقالاتها في الصحف عن شؤون المرأة والمجتمع. ست الدار: لقب كانت تذيّل به مقالاتها في الصحف أيضاً.
(٦) دار السعادة: المقصود بها، الآستانة. الزمرة: الجماعة الصغيرة أو المتفرقة. اليسار: الغنى.
(٧) البغى: الزنى.

شاطرنهم نِعمَ الصِّبا وسقينَهم
دهراً بكأس للسرُور عُقارِ[١]
ألوالدتُ بنيهمُ وبناتهم
ألحائطاتُ العرضَ كالأسوارِ[٢]
ألصابراتُ لضرَّة ومَضَرَّة
ألمحييات الليلَ بالأذكارِ
من كل ذي سبعين يكتُم شَيْبَه
والشَّيْبُ في فوديه ضوءُ نهارِ[٣]
يأبى له في الشَّيْب غير سفاهة
قلبٌ صغيرُ الهمِّ والأوطارِ[٤]
ما حلّه عطفٌ ولا رفقٌ ولا
برٌّ بأهلٍ أو هوًى لديارِ
كم ناهدٍ في اللّاعبات صغيرةٍ
ألهته عن حفَدٍ بمصرَ صِغارِ[٥]
مهما غدا أو راح في جولاته
دفعته خاطبةٌ إلى سمسارِ[٦]
شُغل المشايخ بالمتاب، وشغله
بتبدل الأزواج والأصهارِ[٧]

(١) شاطره: قاسَمَه أو ناصَفه الشيء. العُقار: الخمر.
(٢) الوالدات: أي اللاتي يلدن الأولاد والبنات. الحائطات: المربيات أو الحافظات. العِرْض: ما يفتخر الإنسان به من حسب أو شرف. الأسوار: مفردها سور وهو الحائط أو المانع لزوم الحماية.
(٣) الفودان: مثنّى فَوْد، وهو جانب الرأس، وقيل: ناحية الرأس.
(٤) الهم: الحزن والغم. الأوطار: مفردها وطر، أي الحاجة.
(٥) الناهد: الفتاة ارتفع ثديها. الحفَد: مفردها حفيد وحافد وهو ولد الولد.
(٦) الخاطبة: الوسيطة في تزويج وخطبة الرجال والنساء.
(٧) المشايخ: مَنْ هم بعمر الشيخوخة. المتاب: التوبة.

فـي كـل عـام هـمُّـه فـي طَـفـلـة
كـالـشـمـس إنْ خُـطِـبـتْ فـلـلأقـمـارِ[١]
يـرشـو عـلـيـهـا الـوالـديـن ثـلاثـةٌ
لـم أدر أيُّـهُـمُ الـغـلـيـظُ الـضـارِي؟
ألـمـال حـلَّـلَ كـل غـيـر مـحـلـل
حـتـى زواج الـشِّـيْـبِ بـالأبـكـارِ
سـحـرَ الـقـلـوبَ: فـرب أمٍّ قـلـبـهـا
مـن سـحـره حـجـرٌ مـن الأحـجـارِ
دفـعَـتْ بُـنَـيَّـتَـهـا لأشـأم مـضـجَـع
ورمَـتْ بـهـا فـي غـربـة وإسـارِ[٢]
وتـعـلَّـلـتْ بـالـشـرع قـلـت: كـذبـتِـه
مـا كـان شـرعُ الـلَّـه بـالـجـزارِ[٣]
مـا زُوّجـتْ تـلـك الـفـتـاة وإنـمـا
بـيـعَ الـصِّـبـا والـحـسـنُ بـالـديـنـارِ
بـعـض الـزواج مـذمَّـمٌ، مـا بـالـزنـى
والـرّق إنْ قِـيـسـا بـه مـن عـارِ
فـتـشـتُ لـم أرَ فـي الـزواج كـفـاءة
كـكـفـاءة الأزواج فـي الأعـمـارِ

❊ ❊ ❊

أسـفـي عـلـى تـلـك الـمـحـاسـن كـلـمـا
نُـقـلـت مـن الـبـالـي إلـى الـدَّوّارِ
إنّ الـحـجـابَ عـلـى (فـروقٍ) جـنـةٌ
وحـجـاب مـصـرَ وريـفـهـا مـن نـارِ

(١) الطَّفلة: الفتاة الناعمة اللينة.
(٢) أشأم مضجع: أي أكثر المضاجع شؤماً. الإسار: الأسر.
(٣) تعلل بالشيء: أبدى الحِجَّة وتمسّك بها. كذبته: بمعنى كذبت عليه.

وعـلـى وجـوهٍ كـالأهـلَّـة رُوِّعـت
بـعـد الـسـفـور بـبـرقـع وخـمـارِ[١]
وعـلـى الـذوائـب وهـي مـسـكٌ خـولـطـت
عـنـد الـعـنـاق بـمـثـل ذوب الـقـارِ[٢]
وعـلـى الـشـفـاه الـمُـحـيـيـات أمـاتـهـا
ريـحُ الـشـيـوخِ تـهـبُّ فـي الأسـحـارِ
وعـلـى الـمـجـالـس فـوق كـل خَـمِـيـلـةٍ
بـيـن الـجـبـالِ وشـاطـئٍ مِـحـبـارِ[٣]
تـدنـو الـزوارقُ مـنـه تُـنـزِلُ جـؤذَراً
بـقـلادة أو شـادِنـاً بـسـوارِ[٤]
يـرفُـلـنَ فـي أُزُرِ الـحـريـر تـنـوّعـت
ألـوانُـه كـالـزَّهـر فـي آذارِ[٥]
ألـطـاهـراتُ الـلـحـظِ أمـثـال الـمـهـى
ألـنـاطـقـاتُ الـجـرْسِ كـالأوتـارِ[٦]
ألـدهـرُ فـرّقَ شـمـلـهـنّ فـمُـرْ بـه
يـا ربِّ تَـجـمَـعُـهُ يـدُ الـمـقـدارِ

(١) وعلى وجوهٍ: معطوفة على ما قبلها، أي وأسفي على وجوهٍ. الأهلّة: مفردها هلال أي البدر في أول لياليه. الخِمار: الغطاء أو النقاب.
(٢) الذوائب: مفردها ذؤابة وهي الناصية. القار: الزّفت.
(٣) الخميلة: الشجر الكثيف، أو موضع الشجر. المحبار: الأرض السريعة النبات.
(٤) الجؤذر: ولد البقرة الوحشية. الشادن: ولد الظبية.
(٥) يرفل في الثوب: يتَبَخْتر فيه عجباً وزهواً. الأزر: مفردها إزار، وهو كل ما يستر الجسم. آذار: الشهر الثالث من السنة الميلادية، وهو دليل قدوم فصل الربيع، وتنوع الألوان والأزهار.
(٦) المهى: مفردها مهاة، وهي البقرة الوحشية. الجِرْس: الصوت.

أبو الهول(*)

[من المتقارب]

أبـا الـهَـوْلِ، طـالَ عـلـيـكَ الـعُـصُـرْ
وبُـلِّـغْـتَ فـي الأرْض أقـصـى الـعُـمُـرْ(١)
فـيـا لِـدَةَ الـدَّهـرِ، لا الـدَّهـرُ شَـبَّ
ولا أَنْـت جـاوزت حـدّ الـصِّـغَـرْ(٢)
إلامَ ركـوبُـكَ مـتـنَ الـرمـالِ
لِـطَـيِّ الأصـيـل وجَـوْب الـسَّـحَـرْ(٣)
تُـسـافـر مـنـتـقـلاً فـي الـقـرونِ
فـأيَّـان تُـلـقـي غُـبـار الـسّـفَـرْ؟
أبـيـنـكَ عَـهْـدٌ وبـيـن الـجـبَـالِ
تـزولان فـي الـمـوعـد الـمـنـتـظـرْ؟(٤)

* * *

أبـا الـهـول! مـاذا وراءَ الـبـقـاءِ
إذا مـا تـطـاول، غـيـرُ الـضـجَـرْ؟(٥)

(*) «رفع الستار في مسرح حديقة الأزبكية يوم افتتاحه عن تمثال أبي الهول، يناجيه رجل بهذه القصيدة».

(١) العُصُر: لغة في العَصْر، أي الدهر. والمعنى في طول الدهر على أبي الهول أنه عمَّر أعماراً طوالاً.

(٢) فيا لدة الدهر: أي فيا أخا الدهر وقرينه.

(٣) إلام ركوبك: أي إلى متى ركوبك. والشاعر يصف أبا الهول، في صورة جميلة وكأنه يركب متن الرمال يطوي الأيام ويسافر في القرون والأدهار. جوب: بمعنى طي.

(٤) في الموعد المنتظر: أي يوم يزول كل شيء على وجه الأرض. أي يوم تقوم الساعة.

(٥) ماذا وراء البقاء: يتساءل الشاعر ويرد أن ليس وراءه إلّا الضجر والسأم. وهو يؤكد قول زهير بن أبي سلمى:

«سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبا لك يسأمِ»

عــجْــبــت لِــلُــقــمــانَ فــي حِــرصِــه
عــلــى لُــبَــدٍ والــنُّــســورِ الأُخَــرْ[١]
وشــكــوى لــبــيــد لــطــولِ الــحــيــاةِ
ولــو لــم تــطُــلْ لــتَــشَــكَّــى الــقِــصَــرْ[٢]
ولــو وُجِــدت فــيــك يــا ابْــنَ الــصَّــفــاةِ
لَــحِــقــتَ بِــصــانِــعــكَ الــمــقــتــدِرْ[٣]
فــإنّ الــحــيــاةَ تــفُــلُّ الــحــديــدَ
إذا لــبِــسَــتْــهُ وتــبْــلــي الــحــجَــرْ[٤]

❊ ❊ ❊

أبــا الــهــول مــا أَنْــتَ فــي الــمُــعــضِــلاتِ؟
لــقــد ضــلَّــت الــسُّــبْــلَ فــيــك الــفِــكَــرْ؟[٥]
تــحــيّــرتِ الــبــدوُ مــاذا تــكــونُ
وضــلَّــتْ بــوادي الــظُّــنــونِ الــحــضَــرْ[٦]
فــكــنــتَ لــهــم صــورةَ الــعُــنــفُــوانِ
وكــنــت مِــثــالَ الــحِــجَــى والــبــصَــرْ[٧]

---

(١) لقمان: هو لقمان بن عادياء، وتزعم العرب أنه من قوم عاد، وهو الذي وفد إلى الحرم ليستسقي لها، وقصته مرتبطة بقصة الأنسر السبعة التي كان يمتلكها وكلما أهلك نسر خلف بعده نسر، إلى أن بقي لديه نسرٌ واحد سمّاه «لُبَداً» وكان أطول عمراً حيث ضرب فيه المثل فقالوا: «طال الأبد على لُبَد». ولُبد بلسانهم معناه الدهر.

(٢) وشكوى لبيد: المقصود وعجبت أيضاً من شكوى لبيد لطول الحياة، ولبيد هو لبيد بن ربيعة الشاعر المخضرم الذي يقول:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

(٣) ولو وجدت: أي ولو وجدت الحياة فيك، الصّفاة: الحجر الصلد الذي لا ينبت عليه شيء. لحقت بصانعك المقتدر: أي لأدركك الموت.

(٤) الحياة: أي القوة وقد تكررت في وجوه مختلفة من القصيدة.

(٥) ما أنت في المعضلات: تعني أية معضلة أنت.

(٦) تحيّرت: أي حار الناس على اختلاف مذاهبهم في أمرك.

(٧) المعنى، أن جسمك الذي هو على صورة أسد، يجسّد القوة والعنفوان، ورأسك مع وجهك الذي هو على صورة وجه إنسان يبرز معاني الفطنة والتبصر بالأمور.

وسِـرّك فـي خُـجْـبـه كـلّـمـا
أطـلَّـتْ عـلـيـه الـظـنـونُ آسـتـتـرْ[١]

ومـا راعـهـم غـيـرُ رأسِ الـرِّجـالِ
عـلـى هـيـكـلٍ مـن ذوات الـظُّـفُـرْ

ولـو صُـوِّروا مـن نـواحـي الـطِّـبَـاعِ
تـوالَـوْا عـلـيـك سِـبـاعَ الـصُّـوَرْ[٢]

فـيـا رُبَّ وجـهٍ كـصـافـي الـنـمـيـرِ
تـشـابـهَ حـامِـلُـه والـنَّـمِـرْ[٣]

❊ ❊ ❊

أبـا الـهـول وَيْـحـكَ لا يُـسْـتَـقـلُّ
مـع الـدّهـر شـيءٌ ولا يُـحـتـقَـرْ[٤]

تـهـزَّأْتَ دهـراً بـديـك الـصّـبَـاحِ
فـنـقّـرَ عـيـنـيـك فـيـمـا نـقَـرْ[٥]

أسـال الـبـيـاضَ وسَـلَّ الـسَّـوَادَ
وأَوْغـلَ مِـنـقـارُه فـي الـحـفَـرْ

فـعُـدْتَ كـأنّـك ذو الـمَـحْـبِـسَـيْـنِ
قـطـيـعَ الـقـيـام سـلـيـبَ الـبـصَـرْ[٦]

---

(١) يقول الشاعر مخاطباً أبا الهول: ما زال سرّك خفياً والناس من أمرك في حيرة.

(٢) ولو صُوِّروا: أي من جهة شيمهم وطبائعهم لتوالوا عليك كأنهم وحوش، إذ ما كان ينبغي أن يروع الناس منك في هيئتك تلك.

(٣) النمير: الماء العذب الصافي. النمر: الحيوان الضاري المعروف بشراسته.

(٤) لا يُستقلّ: لا يُعدّ قليلاً.

(٥) ديك الصباح: أي الزمن أو الدهر. والمعنى البارع في البيت، أن سبب عبث الدهر بأبي الهول وتشويهه إنما هو هزء أبي الهول وسخريته من الزمن أو الدهر المتمثل بديك الصباح الذي نقّر عينيه وشوّه وجهه.

(٦) ذو المَحْبِسَين: المحبس هو الموضع الذي يُحبس فيه. وذو المحبسين أو رهين المحبسين هو لقب رافق الشاعر الضرير أبا العلاء المعري، أي رهين عماه وبيته. وكذلك فقد عدّ الشاعر أبا الهول بعد أن نقّر ديك الصباح عينيه كأنه من عماه وسكونه في محبسين.

كـــأنّ الـــرمـــال عـــلـــى جـــانِـــبَـــيْـــكَ
وبـــيـــن يـــديـــك ذنـــوبُ الـــبـــشَـــرْ
كـــأنّـــك فـــيـــهـــا لـــواء الـــفـــضـــاءِ
عـــلـــى الأرض أو دَيـــدبـــانُ الـــقَـــدَرْ(١)
كـــأنّـــكَ صـــاحـــبُ رمـــلٍ يَـــرى
خَـبـايـا الـغـيـوبِ خِـلالَ الـسَّـطَـرْ(٢)

❊ ❊ ❊

أبـــا الـــهـــول أَنْـــت نـــديـــمُ الـــزمـــانِ
نـــجِـــيُّ الأوان ســـمـــيـــر الـــعُـــصُـــرْ(٣)
بَـــســـطـــتَ ذراعـــيـــك مـــن آدم
وولَّـــيـــتَ وجـــهـــك شَـــطـــر الـــزُّمَـــرْ(٤)
تـــطـــلُّ عـــلـــى عـــالَـــم يَـــسْـــتَـــهِـــلُّ
وتُـــوفـــي عـــلـــى عـــالَـــم يُـــحـــتـــضَـــرْ(٥)
فـــعـــيـــنٌ إلـــى مَـــنْ بـــدا لـــلـــوجـــودِ
وأخـــرى مـــشـــيِّـــعـــةٌ مَـــنْ غَـــبَـــرْ(٦)
فـحـدِّث فـقـد يُـهـتـدَى بـالـحـديـثِ
وخـبِّـر فـقـد يـؤتَـسَـى بـالـخَـبَـرْ(٧)
ألـــم تَـــبْـــلُ فـــرعـــونَ فـــي عـــزِّه
إلـى الـشـمـس مُـعـتـزِيـاً والـقـمَـرْ(٨)

(١) ديدبان: كلمة فارسية معرّبة ومعناها الرقيب أو العين الخاصة بالحراسة.
(٢) السَّطَر: أي السَّطر وهو ما يطلق على الصف من الكتابة وغيرها.
(٣) نَجِيّ الأوان: محدّث الزمان أو الذي يُسَارّ الزمان.
(٤) من آدم: أي من القديم الغائر في القدم. الزّمر: الجماعة.
(٥) يستهلّ: يقدم على الدنيا. يُحتضر: يموت.
(٦) وأخرى مشيّعة من غَبَر: أي مودعة من مضى..
(٧) قوله: فحدّث... إلخ هو مدخل لِمَا بعده..
(٨) تَبْلُ: من بلاه، أي جرّبه واختبره. فرعون: لقب كل ملك من ملوك مصر القدامى، الذين يعبّرون عن العز والمنعة وذلك بمناطحة الشمس والقمر.

ظـلـيـلَ الـحـضـارة فـي الأوّلـيـنَ
رفـيـع الـبـنـاء، جـلـيـلَ الأثَـرْ[١]
يـؤسِّـسُ فـي الأرض لـلـغـابـريـنَ
ويـغـرِسُ لـلآخـريـن الـثَّـمَـرْ[٢]
وراعـك مـا راعَ مـن خـيْـلِ قَـمْـبـيـ
ـزَ تَـرْمـي سَـنـابـكُـهـا بـالـشَّـرَرْ[٣]
جـوارفُ بـالـنـار تـغـزو الـبـلادَ
وآونـةً بـالـقَـنـا الـمـشْـتـجِـرْ
وأبـصـرْتَ (إسـكـنـدراً) فـي الـمَـلا
قَـشـيـبَ الـعـلا فـي الـشَّـبـاب الـنَّـضِـرْ[٤]
تَـبـلَّـجَ فـي مِـصـر إكـلـيـلُـه
فـلـم يَـعْـدُ فـي الـمـلْـك عُـمْـرَ الـزَّهَـرْ[٥]
وشـاهـدتَ (قـيـصـرَ) كـيـف اسْـتـبـدّ
وكـيـف أذلَّ بـمـصـرَ الـقَـصَـرْ[٦]

---

(١) ظليل الحضارة: أي ذو ظل دائم بحيث أن حضارة فرعون هي من الكمال بحيث تُظل الناس في ذَراها وكنفها.

(٢) للغابرين: الغابر، من الأضداد في المعاني فيكون بمعنى الآتي ويكون بمعنى الماضي. وفي الحالتين، إن فرعون يخلّد ذكر الماضين بإقامة الآثار لهم، ويغرس للآتين ما يجنون ثمره من العلم والمعرفة.

(٣) قمبيز: هو ابن قورش الأكبر مؤسس دولة الفرس. ومعلوم أن الفرس من الدول القديمة التي غزت مصر وحكمتها حيناً من الزمن، خاصة حين غزاها ملكهم قمبيز بجيش جرار وأخذ أحد ملوك الأسرة الحاكمة «أبسمتيك» أسيراً وذلك سنة ٥٢٥ق.م.

(٤) إسكندر: هو الإسكندرِ المقدوني الذي هزم الفرس وفتح كثيراً من البلاد قبل وصوله إلى مصر التي ٱستقبلته بالترحاب لِما سمعته عنه من العدل والحكمة ولِما لاقته من الفرس من الذل والهوان. لقد احترم الإسكندر ديانة المصريين، وأسس مدينة جديدة أطلق عليها اسم الإسكندرية.

(٥) إكليله: تاجه. فلم يعدُ في الملك عُمْر الزَّهَر: إشارة إلى عمر الإسكندر القصير الذي تُوفي عن ٣٢ سنة.

(٦) قيصر: هو لقب ملوك الرومان، والإشارة إليه في القصيدة هو لتأكيد عظمة=

وكـــيـــف تـــجـــبَّـــرَ أعـــوانُـــه
وســاقــوا الــخــلائــقَ ســوْقَ الــحُــمُــرْ
وكـيـف ٱبـتُـلـوا بـقـلـيـل الـعـديـدِ
مــن الــفــاتــحــيــن كــريــمِ الــنَّــفَــرْ
رمَــى تــاجَ (قــيــصــر) رَمْــيَ الــزُّجــاجِ
وفَــلَّ الــجــمــوعَ وثَــلَّ الــسُّــرَرْ[١]
فــدع كــلَّ طــاغــيــةٍ لــلــزمــانِ
فــإنّ الــزمــانَ يُــقــيــم الــصَّــعَــرْ[٢]
رأيــتَ الــديــانــاتِ فــي نَــظْــمِــهــا
وحــيــن وَهَــى ســلــكُــهــا وٱنــتــثــرْ[٣]
تُــشــاد الــبــيــوتُ لــهــا كــالــبــروجِ
إذا أخــذَ الــطَّــرْفُ فــيــهــا ٱنــحــسَــرْ[٤]
تَــلاقَــى أســاســاً وشُــمَّ الــجــبَــالِ
كــمــا تــتــلاقــى أصــولُ الــشَّــجَــرْ[٥]
و(إيــزيــسُ) خَــلْــف مــقــاصــيــرهــا
تَــخــطَّــى الــمــلــوكُ إلــيــهــا الــسُّــتُــرْ[٦]
تــضــيءُ عــلــى صــفــحــات الــســمــاءِ
وتُــشْــرِقُ فــي الأرض مــنــهــا الــحُــجَــرْ[٧]

= الإمبراطورية الرومانية وخاصة في فترة استيلائها على مصر سنة ٣٠ق.م. وكذلك استبدادها وإذلالها للناس وسلب خيرات البلاد التي تستولي عليها، إلى أن جاء الفتح الإسلامي على يد عمرو بن العاص سنة ٦٤١م. وذلك «بقليل العديد من الفاتحين كريم النَفر». . .

(١) رمى: تعود إلى هذا النفر القليل من أصحاب عمرو بن العاص. فلّ الجموع: هزمها. ثلّ السُرر: كسّر العروش.

(٢) الصَّعر: ميل في العنق دليل التكبر والتعالي.

(٣) في نظمها وحين وَهَى سلكها: أي في حالتي القوة والضعف.

(٤) انحسر: كلّ. (٥) تلاقى: تتلاقى.

(٦) إيزيس: هي من معبودات المصريين القدماء. وهي عندهم رمز القمر.

(٧) قوله: تضيء على صفحات السماء، أي أن إيزيس هي بمعنى قمر السماء الحقيقي. =

و(آبيسُ) في نيرهِ العالَمونَ
وبعضُ العقائد نِيرٌ عَسِرْ[١]
تُساس به معضلات الأمورِ
ويُرجَى النعيمُ وتُخشى سَقَرْ
ولا يَشعُرُ القوم إلّا به
ولو أخذتْه المُدى ما شعرْ
يَقِلُّ أبو المسكِ عَبداً له
وإنْ صاغَ أحمدُ فيه الدُّرَرْ[٢]
وآنستَ موسى وتابوتَه
ونورَ العصا والوصايا الغُرَرْ[٣]
وعيسى يَلُمُّ رداءَ الحياءِ
ومريمُ تَجمع ذيل الخَفَرْ[٤]
وعمرٌو يسوقُ بمصرَ الصِّحابَ
ويُزْجِي الكتابَ ويحدو السُّورْ[٥]

= وقوله: وتشرق في الأرض منها الحجر، أي أن إيزيس هي بمعنى المعبود في الأرض. الحجر: مفردها حجرة، أي غرفة.

(١) آبيس: هو العجل آبيس الذي يمثل الخصب والتوليد. في نيره: النّير هو الخشبة المعترضة على عنق الثورين المقرونين للحراثة، والنّير هو علامة الخضوع ورمز العبودية.

(٢) أبو المسك: هو كافور الإخشيدي. أحمد: هو أبو الطيب المتنبي.

(٣) موسى: هو النبي موسى عليه السلام. التابوت: هو الصندوق الذي وُضع فيه الطفل موسى وقُذف به في النّيل. عصا موسى، والوصايا الغرر: هي آيات معروفة في القصص القرآني.

(٤) وعيسى يلم رداء الحياء: يقول مخاطباً أبا الهول: شاهدت عيسى المثال النقي للحياء وكذلك السيدة العذراء.

(٥) وعمرو يسوق... إلخ: إشارة إلى عمرو بن العاص الذي قاد الفتح الإسلامي إلى مصر.

فكيف رأيتَ الهُدى والضلالَ
ودنيا الملوكِ وأُخرى عُمَرْ؟(١)
ونَبْذ المُقَوقسِ عهدَ الفُجورِ
وأخذَ المقوقس عهدَ الفَجَرْ(٢)
وتَبديله ظلمات الضَّلالِ
بصبح الهداية لمّا سَفَرْ(٣)
وتأليفَه القِبطَ والمسلمينَ
كما أُلّفتْ بالولاء الأسَرْ(٤)
أبا الهول، لو لم تكن آيةً
لكان وفاؤُك إحدى العِبَرْ(٥)
أطلتَ على الهرمين الوقوفَ
كثاكلةٍ لا تَريمُ الحُفَرْ(٦)
تُرَجِّي لبانيهما عودةً
وكيف يعودُ الرميم النَّخِرْ؟(٧)
تجوس بعينٍ خلالَ الديارِ
وتَرمي بأخرى فضاء النَّهَرْ(٨)

(١) يريد الشاعر استنطاق أبي الهول ليخبره عن الفرق بين هدي المسلمين وتقوى عمر في الخلق وبين ضلال الملوك والقياصرة والأكاسرة عبر حقب التاريخ التي كان شاهداً عليها!
(٢) المقوقس: هو بَطْريق الطائفة الملكانية بالإسكندرية. عهد الفجور: عهد الانحراف والمعاصي. عهد الفَجَر: عهد النور والصلاح.
(٣) لمّا سفر: سفر الصبح وأسفر، أي أضاء.
(٤) إشارة إلى ما قام به المقوقس من تأليف بين القبط والمسلمين. الأسر: مفردها أسرة، وهي هنا بمعنى العشيرة وذوي القربى.
(٥) إحدى العبر: إحدى الآيات.
(٦) أطلت على الهرمين الوقوف: إشارة إلى وفاء أبي الهول وكأنه كالثاكلة التي فقدت ولدها لا تبرح عن قبره ولا تزايله.
(٧) لبانيهما: أي لباني الهرمين.
(٨) تجوس: تطوف. النَّهَر: النَّهْر، أي نهر النّيل.

تـــرومُ (بـــمِـــنـــفِـــيـــسَ) بـــيـــضَ الـــظُّـــبَـــى
وسُـــمـــرَ الـــقَـــنـــا والـــخـــمـــيـــس الـــدُّثَـــرْ[١]
ومَـــهـــدَ الـــعـــلـــوم الـــخـــطـــيـــرَ الـــجـــلالِ
وعـــهـــدَ الـــفـــنـــون الـــجـــلـــيـــلَ الـــخَـــطـــرْ
فـــلا تـــســـتـــبـــيـــن ســـوى قـــريـــةٍ
أجَـــدّ مـــحـــاســـنَـــهـــا مـــا انـــدثـــرْ[٢]
تـــكـــاد لإغـــراقِـــهـــا فـــي الـــجـــمـــودِ
إذا الأرض دارت بـــهـــا لـــم تَـــدُرْ
فـــهـــل مَـــنْ يـــبـــلّـــغ عـــنّـــا الأصـــولَ
بـــأنّ الـــفـــروعَ اقـــتـــدت بـــالـــسِّـــيَـــرْ؟[٣]
وأنّـــا خَـــطـــبـــنـــا جِـــســـان الـــعـــلا
وســـقـــنـــا لـــهـــا الـــغـــالـــيَ الـــمـــدّخَـــرْ
وأنّـــا ركِـــبـــنـــا غـــمـــار الأمـــورِ
وأنّـــا نـــزَلـــنـــا إلـــى الـــمـــؤتـــمَـــرْ[٤]
بـــكـــل مُـــبـــيـــنٍ شـــديـــد الـــلّـــدادِ
وكـــلِّ أريـــبٍ بـــعـــيـــدِ الـــنّـــظَـــرْ[٥]

(١) تروم: تطلب. منفيس: هي منف ومركزها اليوم في البدرشين بمصر. الخميس الدُّثَر: الجيش الكثير، أما الصورة الشعرية بشكل عام فهي ما شهده في منفيس من عهد القوة والعظمة وعهد العلوم.

(٢) يشير إلى ما أصبحت عليه منفيس، وكأنها قرية قد اندثرت، وعفت عليها الدِّمن، وكأن أطلالها الدارسة ورسومها البالية أجدّت محاسنها، أو أن أجدّ ما في هذه القرية هو هذه الآثار.

(٣) الأصول: أي الآباء والأجداد. الفروع: أي الجيل الجديد. اقتدت بالسّير: حذت حذو الأصول في سيرتها.

(٤) غمار الأمور: الشدائد. المؤتمر: هو مؤتمر الصلح الذي عقد بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

(٥) الشديد اللّداد: الشديد الخصومة. الأريب: البعيد النظر أو الثاقب الرأي.

تُـطـالـب بـالـحـق فـي أُمـةٍ
جـرى دمُـهـا دونـه وانـتـشـرْ[١]
ولـم تَـفْـتَـخِـرْ بـأسـاطـيـلـهـا
ولـكـن بـدسـتـورهـا تـفـتـخِـرْ[٢]
فـلـم يـبـقَ غـيـرُك مَـنْ لـم يَـخَـفْ
ولـم يـبـقَ غـيـرُك مَـنْ لـم يَـطِـرْ
تـحـرّكْ أبـا الـهَـول، هـذَا الـزمـانُ
تـحـرّكَ مـا فـيـه، حـتّـى الـحَـجَـرْ

❊ ❊ ❊

فلمّا أتمها أجابه آخر كان يختفي وراء التمثال وينطق بلسانه:

نَـجِـيَّ أبـي الـهـول آن الأوانُ
ودان الـزمـانُ ولانَ الـقَـدَرْ
خـبـأتُ لـقـومِـك مـا يـسـتـقُـونَ
ولا يَـخـبـأ الـعـذبَ مـثـلُ الـحـجـرْ
فـعـنـدي الـمـلـوكُ بـأعـيـانِـهـا
وعـنـدَ الـتـوابـيـتِ مـنـهـا الأثَـرْ
مـحـا ظـلـمـةَ الـيـأس صُـبـحُ الـرجـاءِ
وهـذا هـو الـفـلَـقُ الـمـنـتـظَـرْ

❊ ❊ ❊

ثم أنشق صدر أبي الهول عن فتى وفتاة مثلا أمامه وأنشدا هذا النشيد:

[من المتدارك]

ألـيـوم نَـسـود بـواديـنَـا
ونُـعـيـد مـحـاسـنَ مـاضـيـنَـا

---

(١) تطالب بالحق: المقصود تطالب الفروع. دونه: أي دون هذا الحق.

(٢) ولم تفتخر... إلخ: أي أنها لم تعتزّ بقوتها العسكرية وإنما بحقها الطبيعي الذي هو كيانها.

ويشيدُ العز بأيدينَا
وطنٌ نَفديه ويَفديَنَا
وطنٌ بالحق نُؤيِّدُهُ
وبعينِ اللَّه نشيِّدُهُ
ونحسِّنُه ونزيِّنُهُ
بمآثرنا ومساعينَا
سرُّ التاريخ وعُنْصرُهُ
وسريرُ الدهرِ ومِنبرُهُ
وجِنانُ الخُلْد وكوثرُهُ
وكفى الآباء رياحينَا
نتخذُ الشمس له تاجَا
وضُحاها عرشاً وهَّاجَا[1]
وسماء السُّؤدُدِ أبراجَا
وكذلك كان أوالينَا
ألعصرُ يراكم والأُمَمُ
والكرنك يلحظُ والهرمُ
أَبَنِي الأوطانِ أَلَا هِمَمُ
كبناء الأوّلِ يبنينَا
سعياً أبداً سعياً سعيَا
لأثيل المجد وللعَلْيَا
ولنجعلْ مصرَ هي الدُّنْيَا
ولنجعلْ مصرَ هي الدِّيْنَا

(١) ملاحظة: القصيدة على وزن بحر المتدارك، أما الشطر الأول من هذا البيت: «نتخذ الشمس له تاجا» فهو على وزن بحر السريع، لذا اقتضى التنبيه لهذا الخلل. ولكي نصحح هذا الخلل يمكن أن نقول مثلاً «نختار الشمس له تاجا» وذلك باستبدال كلمة «نتَّخذ» بكلمة «نختار». دون أن نغيّر في المعنى كثيراً.

مَمْلَكَةُ النّحْل

[من الرّجز]

مـمـلـكـةٌ مـدَبَّـرهْ بـامـرأةٍ مـؤمّـرَهْ
تـحـمـلُ فـي الـعـمَّـال والـصـنَّـاع عـبءَ الـسـيـطـرَهْ
فـاعـجـب لـعـمَّـالٍ يُـولُّـون عـلـيـهـم قـيـصـرَهْ
تـحـكـمـهـم راهـبـةٌ ذكَّـارةٌ مُـغـبَّـرهْ(١)
عـاقـدةٌ زُنَّـارهـا عـن ساقـهـا مـشـمّـرَهْ
تـلـثّـمـت بـالأرجـوا نِ وارتـدتـه مـئـزرَهْ
وارتـفـعـت كـأنـهـا شـرارةٌ مُـطـيَّـرَهْ
ووقـعـت لـم تـخـتـلـج كـأنـهـا مُـسـمَّـرَهْ(٢)

❊ ❊ ❊

مـخـلـوقـةٌ ضـعـيـفـةٌ مـن خُـلـقٍ مُـصـوّرَهْ
يـا مـا أقـلّ مـلـكَـهـا ومـا أجـلّ خـطـرَهْ
قـفْ سـائـل الـنـحـلَ بـه بـأيِّ عـقـلٍ دبّـرَهْ؟
يُـجـبـكَ بـالأخـلاقِ وهـ ـيَ كـالـعـقـولِ جـوهـرَهْ
تُـغـنـي قـوى الأخـلاق مـا تُـغـنـي الـقـوى الـمـفـكِّـرَهْ
ويـرفـعُ الـلَّـهُ بـهـا مَـنْ شـاء حـتّـى الـحـشـرَهْ

❊ ❊ ❊

أليـس فـي مـمـلـكـةِ الـنَّـحـلِ لـقـومٍ تَـبـصـرَهْ
مُـلـكٌ بـنـاه أهـلُـهُ بـهـمَّـةٍ ومـجـدَرَهْ(٣)
لـو الـتـمـسـتَ فـيـه بَـطّـالَ الـيـديـن لـم تَـرَهْ
تُـقـتَـلُ أو تُـنـفـى الـكُـسـا لَـى فـيـه غـيـرَ مُـنـذَرَهْ

(١) مُغبِّرة: مُهلِّلة، من غبَّر أي هلّل أو ردد صوتاً في قراءة.
(٢) تختلج: تضطرب.
(٣) مَجْدَرة: أي عن جدارة واستحقاق.

تحكم فيه قيصرَهْ في قومها موقَّرَهْ
من الرجالِ وقيو دِ حُكمِهم محرّرَهْ
لا تورثُ القومَ ولو كانوا البنينَ البررَهْ
ألملكُ للإناثِ في الدّستور لا للذكرَهْ(١)
نيِّرةٌ تنزلُ عن هالتها لنيِّرَهْ
فهل تُرى تَخشى الطَّما عَ في الرجال والشرَهْ(٢)
فطالما تلاعبوا بالهَمج المصيَّرَهْ
وعبروا غفلتَها إلى الظهور قنطرَهْ
وفي الرجال كرمُ الضعفِ ولؤمُ المقدُرَهْ
وفتنةُ الرأي وما وراءَها من أثرَهْ
أنثى ولكن في جنا حَيْها لَبَاةٌ مُخْدِرَهْ(٣)
زائدةٌ عن حوضِها طاردةٌ مَنْ كدّرَهْ
تقلّدت إبرتَها وادّرعت بالحبَرَهْ
كأنّها تُركيَّة قد رابطت بأنقَرَهْ
كأنّها (جانداركُ) في كتيبةٍ مُعسكِرَهْ
تَلقى المُغيرَ بالجنو دِ الخُشُن المنمَّرَهْ
ألسابغين شِكةً ألبالغين جَسَرَهْ(٤)
قد نَثرتهم جُعبةٌ ونفضتهم مِئبرَهْ(٥)
مَن يَبْنِ مُلكاً أو يذُدْ فبالقنا المجرّرَهْ
إنّ الأمورَ همةٌ ليس الأمورُ ثرثرَهْ
ما المُلْكُ إلّا في ذرى الـ ـألويةِ المُنشَّرَهْ
عريتهُ مذ كان لا يحميه إلّا قَسْوَرَهْ(٦)

(١) الذّكرة: الذكور، مفردها ذكر.
(٢) الطَّماع: الطمع والأنانية.
(٣) لَبَاة: لبؤة، أنثى الأسد.
(٤) الشِّكة: السلاح. الجسرة: الجسارة.
(٥) المئبرة: بيت الإبرة.
(٦) القسورة: من أسماء الأسد.

رَبُّ النيوبِ الزُّرْقِ والـ ـمخالبِ المذكَّرَهْ

❊ ❊ ❊

مالكةٌ عاملةٌ مُصلحةٌ مُعمَّرَهْ
ألمالُ في أتباعها لا تَستبينُ أثرَهْ
لا يعرفون بينهم أصلاً له من ثمرَهْ
لو عرَفوه عرفوا من البلاء أكثرَهْ
واتّخذوا نقابة لأمرهم مسيَّرَهْ
سبحان مَنْ نَزَّه عنـ ـهُ ملكهم وطهَّرَهْ
وساسه بِحُرّةٍ عاملةٍ مسخّرَهْ
صاعدةٍ في معملٍ من معملٍ مُنحدِرَهْ
واردةٍ دسكرةً صادرةٍ عن دسكرَهْ(١)
باكرةٍ تستنهضُ الـ ـعصائب المبكّرَهْ(٢)
ألسامعين الطائعيـ ـنَ المحسنين المهَرَهْ
من كلّ مَنْ خطَّ البنا ءَ أو أقام أسْطُرَهْ
أو شدّ أصلَ عقدِهِ أو سدّه أو قَوَّرَهْ(٣)
أو طاف بالماءِ على جدرانه المجدّرَهْ(٤)

❊ ❊ ❊

وتذهبُ النحلُ خِفا فاً وتجيء مُوقرَهْ
حوالبَ الشمعِ من الـ ـخمائلِ المنوّرَهْ
جوالبَ الماذيِّ من زهرِ الرياضِ الشَّيِّرَهْ(٥)
مشدودةٌ جيوبُها على الجَنَى مُزرَّرَهْ

(١) الدسكرة: القرية الكبيرة، جمعها دساكر.
(٢) العصائب: الجماعات.
(٣) قوّر الشيء: قطعه من وسطه، وعمل خرقاً مستديراً.
(٤) المجدّرة: المبنيّة.
(٥) الماذيّ: العسل. الشّيّرة: الجميلة.

وكـــلُّ أَنْـــفٍ قـــانـــيءٍ فـيـه مـن الـشُّـهـدِ بُـرَهْ[١]
حـــتـــى إذا جـــاءَت بـــه جـاسـت خـلالَ الأدورَهْ[٢]
وغـيَّـبـتـه كـالـسُّـلا فِ فـي الـدِّنـانِ الـمـحـضَـرَهْ[٣]
فـهـل رأيـتَ الـنـحـلَ عـن أمـانـةٍ مُـقـصِّـرَهْ؟
مـا ٱقـتـرضَـتْ مـن بَـقـلـةٍ أو ٱسـتـعـارت زَهَـرَهْ
أدّت إلـى الـنـاس بـه سُـكّـرة بـسـكّـرَهْ

(١) البُرَة: الحلقة في الأنف.
(٢) الأدورة: الديار، والمراد هنا الخلايا.
(٣) السّلاف: خالص الخمر وأفضله.

فِي سَبيلِ الهِلالِ الأَحْمر

[من الكامل]

جبريلُ هلّلْ في السماء وكبِّرِ
وٱكتبْ ثوابَ المحسنينَ وسطّرِ
سلْ للفقيرِ على تكرُّمِهِ الغنى
وٱطلب مزيداً في الرخاءِ لمُوسرِ
وٱدعُ الذي جَعَلَ الهلالَ شِعارَه
يفتحْ على أُمَمِ الهلالِ وينصرِ
وتولَّ في الهيجاءِ جندَ محمَّدٍ
وٱقعدْ بهم في ذلك المستمطَرِ
يا مِهرجانَ البرِّ أَنْت تحيةٌ
للّه من ملإٍ كريم خيِّرِ
هم زيَّنوك بكلِّ أزهرَ في الدُّجى
واللَّهُ زانك بالقبول الأنورِ
حسُنَتْ وجوهك في العيون وأشرقت
من كلِّ أبلجَ في الأكارمِ أزهرِ
كثُرتْ عليك أكفُّهمْ في صوْبها
فكأنها قِطَعُ الغمامِ المُمطرِ
لو يعلمونَ السوقَ ما حسناتُها
بِيعَ الحَصى في السوقِ بَيعَ الجوهرِ
جبريلُ يَعرضُ والملائكُ باعةٌ
أينَ المساوِمُ في الثوابِ المشترِي؟
ومجاهدين هناكَ عند مُعسكرٍ
ومن المهابةِ بين أَلْفِ معسكرِ

مُـوفـيـن لـلأوطـانِ بـيـن حـيـاضِـهـا
لا يـسـمـحـون بـهـا وبـيـن الـكـوثـرِ[١]
عـرَبٌ عـلـى ديـنِ الأبـوّة فـي الـوغـى
لا يـطـعـنـون الـقِـرْن مـا لـم يُـنْـذَرِ[٢]
أَلِـفـوا مـصـاحـبـةَ الـسـيـوفِ وعُـوِّدوا
أخـذَ الـمـعـاقـلِ بـالـقـنـا الـمـتـشـجِّـرِ[٣]
يـمـشـون مـن تـحـتِ الـقـذائـفِ نـحـوَهـا
لا يـسـألـونَ عـن الـسَّـعـيـرِ الـمـمـطِـرِ
فـي أعـيُـنِ الـبـاري وفـوق يـمـيـنـه
جـرحـى نـجِـلُّـهُـمُ كـجـرحـى خـيـبـرِ[٤]
مـن كـلِّ مـيـمـونِ الـضِّـمـادِ كـأنـمـا
دمُ أهـل بـدرٍ فـيـه أو دَمُ حـيـدرِ[٥]
جـذلانُ، هَـيِّـنـةٌ عـلـيـه جِـراحـهُ
وجِـراحـهُ فـي قـلـبِ كـلِّ غـضـنـفـرِ
ضُـمـدتْ بـأهـدابِ الـجـفـونِ وطـالـمـا
ضُـمـدتْ بـأعـراف الـجـيـاد الـضـمَّـرِ[٦]
عُـوّادُه يـتـمـسَّـحـون بـرُدْنـه
كـالـوفـد مَـسَّـحَ بـالـحـطـيـم الأطـهـرِ[٧]
وتـكـادُ مـن نـور الإلـه جِـيـالَـه
تَـبْـيَـضُّ أثـنـاءُ (الـهـلالِ الأحـمـرِ)

(١) أي يفضلون حياض نيلها على الكوثر. (٢) القِرْن: العديل والنظير.
(٣) القنا: الرماح. المتشجّر: المتشابك. (٤) الباري: الذي يبري السّهام ويقوّمها.
(٥) الضِّماد: خرقة يُشدّ بها الجرح. الحيدر: من أسماء الأسد، وهو أيضاً لقب من ألقاب الإمام علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه.
(٦) الضُّمّر: مفردها ضامر وهو من الخيل القليل اللحم. الأعراف: مفردها عرف، وهو شعر عنق الحصان.
(٧) الرّدن: طرف الكمّ الواسع.

الأَزْهَـــر (*)

[من الكامل]

قُـمْ فـي فَـمِ الـدُّنـيـا وحَـيِّ الأزْهَـرَا
وٱنـشُـرْ عـلـى سَـمْـعِ الـزمـانِ الـجـوهَـرَا
وٱجـعـلْ مـكـانَ الـدرِّ إنْ فـصّـلـتَـه
فـي مـدْحِـهِ خَـرزَ الـسـمـاء الـنـيِّـرَا
وٱذكـرْه بـعـد الـمـسـجِـديـن مُـعـظِّـماً
لـمـسـاجـدِ الـلَّـه الـثـلاثـةِ مُـكْـبـرَا[1]
وٱخـشـعْ مَـلِـيًّـا، وٱقـضِ حـقَّ أئـمَّـةٍ
طـلـعـوا بـه زُهْـراً ومـاجـوا أبْـحُـرَا
كـانـوا أجـلّ مـن الـمُـلـوكِ جـلالـةً
وأعـزَّ سـلـطـانـاً وأفـخـمَ مَـظْـهـرَا
زمـنُ الـمـخـاوفِ كـان فـيـه جـنـابُـهـم
حَـرَمَ الأمـان وكـان ظِـلُّـهـمُ الـذَّرَى[2]
مـن كـلِّ بـحـرٍ فـي الـشّـريـعـةِ زاخـرٍ
ويُـريـكـهُ الْـخُـلُـقُ الـعـظـيـمُ غَـضَـنْـفَـرَا
لا تَـحْـذُ حـذْوَ عِـصـابـةٍ مـفـتـونـةٍ
يـجـدونَ كـلَّ قـديـم شـيءٍ مُـنْـكـرَا
ولـو ٱسـتـطـاعـوا فـي الـمـجـامـعِ أَنْـكـروا
مَـنْ مـات مـن آبـائِـهِـم أو عُـمِّـرَا

(*) «نظمت هذه القصيدة بمناسبة إصلاح الأزهر الشريف، والبدء فيه في سنة ١٩٢٤م».
(١) المسجدان: أي المسجد الحرام والمسجد الأقصى.
(٢) الذَّرى: الملجأ أو كل ما يُستظل به.

مـن كـلِّ مـاضٍ فـي الـقـدِيـم وهَـدْمِـهِ
وإذا تـقـدّم لـلـبـنـايـة قـصَّـرَا
وأتـى الـحـضـارةَ بـالـصـنـاعـةِ رَثَّـةً
والـعـلـم نَـزْراً والـبـيـانِ مُـثـرْثـرَا[١]

❊ ❊ ❊

يـا مَـعْـهـداً أفـتـى الـقـرونَ جِـدارُه
وطـوَى الـلّـيـالـيَ رُكْـنُـهُ والأعْـصُـرَا
ومـشَـى عـلـى يَـبَـسِ الـمـشـارقِ نـورُه
وأضـاء أبـيـضَ لـجِّـهـا والأحْـمَـرَا
وأتـى الـزمـانُ عـلـيـهِ يَـحـمِـي سُـنَّـةً
ويـذُودُ عـن نـسْـكٍ ويَـمـنَـعُ مَـشْـعَـرَا[٢]
فـي الـفـاطـمـيِّـيـن أنْـتَـمَـى يَـنـبـوعُـهُ
عـذْبَ الأصـول كـجَـدّهـم مـتـفـجِّـرَا[٣]
عَـيْـنٌ مـن الـفُـرقـان فـاض نـمـيـرُهـا
وحـيـاً مـن الـفُـصْـحـى جَـرَى وتَـحـدّرَا[٤]
مـا ضـرّنـي أنْ لـيـس أُفـقُـكَ مَـطْـلـعـي
وعـلـى كـواكِـبـهِ تـعـلـمـتُ الـسُّـرَى
لا والـذي وكَـلَ الـبـيـانَ إلـيـكَ لـم
أكُ دونَ غـايـاتِ الـبـيـانِ مُـقـصِّـرَا
لـمَّـا جـرى الإصـلاح قُـمـتُ مُـهـنِّـئـاً
بـاسـم الـحـنـيـفـةِ بـالـمـزيـدِ مُـبَـشِّـرَا[٥]

---

(١) النزر: القليل. المثرثر: المختلط، وثرثر الكلام، أي كثّره في تردّد وتخليط.
(٢) النسك: الزهد والعبادة. المَشْعر: موضع من مناسك الحجّ.
(٣) جَدّ الفاطميين: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وكان ذائع الصِّيت في التبحر في العلوم.
(٤) الفرقان: القرآن الكريم. الحيا: المطر. الفصحى: اللّغة العربية.
(٥) الحنيفة: الشريعة.

نَـبـأ سَـرَى فـكـسَـا الـمـنـارةَ حَـبْـرَةً
وزهـا الـمُـصـلَّـى وٱسـتـخـفّ الـمِـنـبَـرَا[١]
وسَـمـا بـأرْوِقـةِ الـهُـدَى فـأحَـلَّـهـا
فـرْعَ الـثُّـرَيّـا وهـي فـي أصْـل الـثَّـرَى
ومـشـى إلـى الـحـلـقَـاتِ فـٱنـفـرجَـتْ لـه
حـلـقـاً كـهـالاتِ الـسّـمـاءِ مُـنـوّرَا
حـتـى ظـنّـنـا الـشـافِـعـيّ ومـالِـكـاً
وأبـا حـنـيـفـةَ وابـن حَـنْـبَـلَ حُـضّـرَا
إنّ الـذي جـعـل الـعـتـيـقَ مـثـابـةً
جـعـل الـكـنـانِـيَّ الـمـبـارك كَـوثـرَا[٢]
ألـعِـلـمُ فـيـه مَـنَـاهِـلاً ومَـجَـانِـيـاً
يـأتـي لـه الـنُّـزَّاعُ يـبـغـون الـقِـرَى[٣]

❊ ❊ ❊

يـا فِـتـيـةَ الـمـعـمـورِ سـار حـديـثُـكُـمْ
نَـدًّا بـأفـواهِ الـرِّكـابِ وعَـنْـبـرَا[٤]
ألـمـعـهـدُ الـقُـدْسِـيُّ كـان نَـدِيُّـه
قُـطْـبـاً لـدائـرة الـبـلاد ومِـحْـوَرَا
وُلِـدَتْ قـضـيـتُـهـا عـلـى مِـحـرابِـهِ
وحَـبَـتْ بـه طـفـلاً وشَـبَّـتْ مُـعْـصِـرَا[٥]
وتـقـدّمَـتْ تُـزْجِـي الـصـفُـوفَ كـأنـهـا
(جـانْـدَارْكُ) فـي يـدهـا الـلـواءُ مُـظـفّـرَا

---

(١) المنارة: المئذنة. الحَبْرَة: الفرح.
(٢) العتيق: من أسماء المسجد الحرام. المثابة: مجتمع الناس.
(٣) المناهل: مفردها منهل، وهو المورد، أو موضع الشرب. المَجَانِي: مفردها مَجْنَى، وهو موضع ما يُجنى منه الثَّمَر. وكلاهما استعارة لغزارة العلم. النزّاع: القصّاد والزوّار. القِرى: ما يُقدّم للضيف.
(٤) المعمور: المراد به الأزهر. (٥) طفلاً: بمعنى طفلة. المعصر: الفتاة المدركة.

هُـزُّوا الـقُـرَى مـن كـهـفِـهـا ورقـيـمـهـا
أنـتـم لـعـمْـرُ الـلَّـهِ أعـصـابُ الـقُـرَى
ألـغـافِـلُ الأُمِّـيُّ يـنـطِـقُ عـنـكُـمُ
كـالـبَـبَّـغَـاء مـردِّداً ومـكـرِّرَا
يُـمـسِـي ويُـصـبـحُ فـي أوامِـرِ ديـنِـهِ
وأمـورِ دُنـيـاه بـكـم مُـسـتـبـصـرَا
لـو قُـلـتُـمُ ٱخـتَـرْ لـلـنـيـابـة جـاهـلاً
أو لـلـخـطَـابَـةِ (بـاقـلاً) لـتـخـيّـرَا[1]
ذُكـرَ الـرِّجـالُ لـه فـألَّـهَ عـصـبـةً
مـنـهـم، وفـسَّـق آخـريـنَ، وكـفَّـرَا[2]
آبـاؤكـمْ قـرؤوا عـلـيـه ورتَّـلـوا
بـالأمـس تـاريـخ الـرجـالِ مُـزَوّرَا
حـتـى تـلـفّـت عـن مـحـاجـر رومـةٍ
فـرأى (عِـرابـي) فـي الـمـواكـب (قـيـصـرَا)
ودعـا لـمـخـلـوقٍ وألّـهَ زائـلاً
وٱرتـدّ فـي ظُـلَـمِ الـعُـصـور الـقَـهْـقَـرَى
وتَـفـيَّـؤوا الـدُّسـتـورَ تـحـت ظِـلالِـهِ
كـنَـفـاً أهَـشَّ مـن الـريـاض وأنـضـرَا
لا تـجـعـلـوه هـوًى وخُـلْـقـاً بـيـنـكـم
ومَـجَـرّ دُنـيـا لـلـنـفـوسِ ومـتـجـرَا
ألـيـومَ صَـرَّحـتِ الأمـورُ فـأظـهـرَت
مـا كـانَ مـن خُـدَع الـسـيـاسـة مُـضـمـرَا
قـد كـان وجـهُ الـرأي أنْ نـبـقـى يـداً
ونـرى وراء جـنـودهـا إنـكـلـتـرَا

(١) باقل: هو باقل الرّبعي، ضُرب به المثل في العيّ والبلاهة.
(٢) فسّقه: رماه بالفسق. كفّره: نسبه للكفر.

فـإذا أتـتـنـا بـالـصـفـوف كـثـيـرةً
جـئـنـا بـصـفٍ واحـدٍ لـن يُـكْـسـرَا
غـضِـبـت فـغـضّ الـطّـرْف كـلُّ مـكـابـرٍ
يـلـقـاكَ بـالـخـدِّ الـلَّـطِـيـم مُـصَـعَّـرَا
لـم تـلـقَ إصـلاحـاً تـهـابُ ولـم تـجِـد
مـن كـتـلـةٍ مـا كـان أعـيـا مِـلـنـرَا[١]
حـظٌّ رجَـوْنـا الـخـيـر مـن إقـبـالـه
عـاث الـمُـفـرِّقُ فـيـه حـتـى أدبـرَا
دارُ الـنـيـابـةِ هُـيّـئـت درجـاتـهـا
فـلـيـرْقَ فـي الـدرَج الـذوائـب والـذُّرَى[٢]
ألـصـارخـون إذا أُسـيءَ إلـى الـحِـمَـى
والـزائـرون إذا أُغـيـرَ عـلـى الـشَّـرَى
لا الـجـاهـلـون الـعـاجـزون ولا الأُلـى
يـمـشـون فـي ذَهَـب الـقـيـود تَـبَـخْـتُـرَا

(١) الكتلة: مجموع الأمة. مِلْنر: هو اللورد مِلْنر أحد الوزراء الإنكليز الذي قدم مصر مع جماعة من قومه سنة ١٩٢٠م لينقصوا رغائبها وطموحاتها، فقاطعتهم الأمة، وأحالتهم على الوفد المصري للتفاوض.
(٢) الذوائب والذّرى: المراد عِلْية القوم.

وَداعُ فرُوق

[من الوافر]

تجلّد للرحيل فما اْستطاعَا
وداعَاً جنَّةَ الدُّنيا وَداعَا[١]

عسى الأيامُ تجمعُني فإني
أرى العيشَ افتراقاً واجتماعَا

ألا ليتَ البلاد لها قلوبٌ
كما للناسِ تنفطرُ التِياعَا[٢]

وليتَ لدى (فروقٍ) بعضَ بَثِّي
وما فعلَ الفراقُ غداةَ راعَا[٣]

أما واللَّهِ لو علِمت مكاني
لأنْطَقتِ المآذن والقِلاعَا

حوت رِقّ القواضب والعوالي
فلمّا ضِفتُها حَوَتِ اليراعَا[٤]

سألتُ القلبَ عن تلك اللّيالي
أكنّ ليالياً أم كُنّ ساعَا[٥]

فقال القلبُ: بل مرّت عِجالاً
كدقاتي لذكراها سِراعَا

---

(١) تجلّد: أظهر الجَلَد، والجَلَد: قوة الصبر والتحمّل.
(٢) تنفطر: تنشق. الالتياع: حالة الهمّ والشوق.
(٣) فروق: الآستانة. البث: التعبير عن الحزن. راع: من الروع، أفزع.
(٤) القواضب: مفردها قاضب، وهو السيف القاطع. العوالي: رؤوس الرماح، والمراد هنا الرماح.
(٥) الساع: مفردها ساعة، وهي من وحدات قياس الوقت.

أدارَ (محمدٍ) وتراثَ (عيسى)
لقد رَضِياكِ بينهما مشاعَا[١]
فهل نَبذَ التعصّبَ فيكِ قومٌ
يمدُّ الجهلُ بينهمُ النِّزَاعَا
أرى الرحمنَ حصَّنَ مسجديه
بأطولِ حائطٍ منكِ امتناعَا
فكنتِ لبيته المحجوجِ ركناً
وكنتِ لبيتهِ الأقصى سِطاعَا[٢]
هواؤكِ والعيونُ مفجَّرات
كفى بهما من الدُّنيا متاعَا[٣]
وشمسُكِ كلما طلعتْ بأفقٍ
تخطَّرتِ الحياة به شُعَاعَا
وغيدُكِ هنَّ فوق الأرض حورٌ
أوانسُ لا نقابَ ولا قِناعَا
حوالَيْ لُجةٍ من لا زَوردٍ
تعَالى اللَّهُ خَلقاً وابتداعَا
يروح لُجَيْنُها الجاري ويغدو
على الفِردوسِ آكاماً وقاعَا[٤]

(١) المشاع: المشترك غير المقسوم.
(٢) السِّطاع: عمود الخِباء أو البيت.
(٣) العيون: المقصود عيون الماء.
(٤) اللّجين: الفضة، وقد شبه الماء بالفضة. الآكام: التلال. القاع: أرض سهلة منفرجة.

رَحّالةُ الشَّرْق(*)

[من البسيط]

أقـدِمْ فـلـيـس عـلـى الإقـدام مُـمـتـنِـعُ
وٱصنع به الـمـجدَ فـهـو الـبـارِعُ الـصَّـنَـعُ(١)
لـلـنـاس فـي كـل يـومٍ مـن عـجـائـبـه
مـا لـم يـكـن لامـرئٍ فـي خـاطـرٍ يـقـعُ
هـل كـان فـي الـوهـم أنّ الـطـيـر يـخـلُـفـهـا
عـلـى الـسـمـاءِ لـطـيـفُ الـصُـنْـع مـخـتـرَعُ؟
وأنّ أدراجَـهـا فـي الـجـوّ يـسـلـكـهـا
جـنٌّ جـنـودُ سـلـيـمـان لـهـا تـبـعُ؟
أعـيـا الـعُـقـابَ مـداهـم فـي الـسـمـاء ومـا
رامـوا مـن الـقـبّـة الـكـبـرى ومـا فـرعُـوا(٢)
قـل لـلـشـبـاب بـمـصـرٍ: عـصـركـم بـطـلٌ
بـكـل غـايـةِ إقـدامٍ لـه ولـعُ
أسّ الـمـمـالـك فـيـه هـمـةٌ وحِـجًـى
لا الـتُّـرهـاتُ لـهـا أُسٌّ ولا الـخِـدعُ
يُـعـطـي الـشـعـوبَ عـلـى مـقـدار مـا نـبـغـوا
ولـيـس يـبـخـسَـهـم شـيـئـاً إذا بـرعُـوا

(*) «بعد رحلة طويلة شاقة في صحراء ليبيا استطاع الرحالة المصري الكبير أحمد حسنين أن يسدي إلى العلم يداً بيضاء، وأن يكشف للناس عن مجاهل هذه البيداء، فلمّا عاد قابلته البلاد بالحفاوة والترحاب، وٱحتفل به القوم احتفالاً فخماً ألقيت فيه هذه القصيدة».

(١) الصَّنَعُ: الماهر والحاذق.

(٢) فَرَع: صعد.

مـاذا تُـعـدُّون بـعـد الـبـرلـمـان لـه
إذا خـيـارُكُـمُ بـالـدُّولـة ٱضـطـلـعُـوا؟[١]
ألـبَـرُّ لـيـس لـكـم فـي طـولـه لُـجُـمٌ
والـبـحـر لـيـس لـكـم فـي عـرضـه شُـرُعُ[٢]
هـل تـنـهـضـون عـسـاكـم تـلـحـقـون بـه
فـلـيـس يـلـحـق أهـلَ الـسـيـر مـضّـطـجِـعُ
لا يُـعـجـبـنَّـكُـمُ سـاعٍ بـتـفـرقـةٍ
إنّ الـمِـقـصَّ خـفـيـفٌ حـيـن يـقـتـطِـعُ
قـد أشـهـدوكـم مـن الـمـاضـي ومـا نـبـشـت
مـنـه الـضـغـائـن مـا لـم تـشـهـد الـضّـبُـعُ
مـا لـلـشـبـاب ولـلـمـاضـي تَـمُـرُّ بـهـم
فـيـه عـلـى الـجـيَـف الأحـزابُ والـشّـيَـعُ
إنّ الـشـبـاب غـدٌ، فـلـيـهْـدِهـم لـغَـدٍ
ولـلـمـسـالـك فـيـه الـنـاصـحُ الـوَرِعُ
لا يَـمْـنـعـنّـكُـمُ بـرُّ الأبـوّةِ أنْ
يـكـون صُـنـعـكُـمُ غـيـر الـذي صـنـعُـوا
لا يُـعـجِـبَـنّـكُـمُ الـجـاهُ الـذي بـلـغـوا
مـن الـولايـة، والـمـالُ الـذي جـمـعُـوا
مـا الـجـاهُ والـمـالُ فـي الـدُّنـيـا وإنْ حَـسُـنـا
إلّا عـوارِيُّ حـظّ ثـم تُـرتَـجَـعُ[٣]
عـلـيـكُـمُ بـخـيـال الـمـجـد فـأْتـلِـفُـوا
حِـيـالَـهُ وعـلـى تِـمـثـالـه ٱجـتـمِـعُـوا

(١) اضطلعوا بالأمر: نهضوا به.
(٢) الشُّرُع: مفردها شراع، والمقصود هنا السفن. واللُّجُم والشُّرُع، يراد بهما قوة البر وقوة البحر.
(٣) العواري: مفردها عارية، وهي ما تعطيه غيرك على شرط أن يعيده لك.

وأجْمِلوا الصبرَ في جدٍّ وفي عملِ
فالصبر ينفعُ ما لا ينفعُ الجزَعُ
وإن نبَغتُمْ ففي علم وفي أدب
وفي صناعات عصرٍ ناسُه صُنُعُ
وكلُّ بنيان قومٍ لا يقوم على
دعائم العصرِ من رُكنيْهِ منصَدِعُ
شريف مكة حُرٌّ في ممالِكه
فهل تُرى القوم بالحرّية ٱنتفعُوا؟

❊ ❊ ❊

كم في الحياة من الصحراءِ من شَبَهٍ
كلتاهما في مفاجاةِ الفتَى شَرَعُ[1]
وراء كل سبيل فيهما قَدَرٌ
لا تعلمُ النفسُ ما يأتي وما يَدَعُ
فلست تدري وإنْ كنت الحريص متى
تَهُبُّ ريحاهما أو يَطلعُ السّبُعُ
ولستَ تأمنُ عند الصحو فاجئةً
من العواصف فيها الخوفُ والهلَعُ
ولست تدري وإنْ قدَّرتَ مجتهِداً
متى تَحُطُّ رِحالاً أو متى تضعُ
ولست تَمْلِكُ من أمر الدليل سوى
أنّ الدليلَ وإنْ أرداك مُتَّبَعُ
وما الحياةُ إذا أظْمَتْ وإنْ خَدَعَتْ
إلّا سرابٌ على صحراء يلتمِعُ

❊ ❊ ❊

(١) شرَعَ: أي سواء.

أكبرتُ من (حَسَنيْنِ) هِمَّةً طمَحتْ
تَرومُ ما لا يَرومُ الفِتيةُ القُنُعُ
وما البطولة إلّا النفْس تدفعُها
فيما يبلِّغُها حمداً فتندفِعُ
ولا يُبالي لها أهلٌ إذا وصلوا
طاحوا على جنبَات الحمدِ أم رجعُوا
رَحَّالةَ الشرق، إنّ البيدَ قد علمتْ
بأنّك الليثُ لم يُخلَقْ له الفزَعُ
ماذا لقيتَ مِنَ الدوِّ السحيق ومِن
قَفْرٍ يَضيقُ على الساري ويتّسِعُ؟(١)
وهل مررتَ بأقوامٍ كفِطرتِهم
من عهد آدمَ لا خُبْثٌ ولا طبَعُ؟(٢)
ومن عجيبٍ لغير اللَّهِ ما سجدوا
على الفَلا ولغير اللَّه ما رَكعُوا
كيف ٱهتدى لهمُ الإسلامُ وٱنتقلتْ
إليهمُ الصلواتُ الخمسُ والجُمَعُ
جَزَتْكَ مصرُ ثناءً أَنْت موضِعُه
فلا تَذُبْ من حياءٍ حين تستمِعُ
ولو جَزَتْكَ الصحاري جئتَنا مَلِكاً
من الملوك عليك الريشُ والوَدَعُ(٣)

(١) الدَّو: الفلاة.
(٢) الطَّبَع: العيب.
(٣) الريش والودع: دليل على العظمة خاصة في بلاد أفريقيا.

بَـــرَاءَة(*)

[من الكامل]

أَلـــنـــاسُ لـــلـــدُّنـــيـــا تَـــبَـــعْ
ولـــمَـــنْ تُـــحـــالِـــفُـــه شِـــيَـــعْ
لا تـــهـــجَـــعـــنَّ إلـــى الـــزمـــا
نِ فـــقـــد يـــنـــبِّـــهُ مَـــنْ هـــجَـــعْ(١)
وٱربـــأ بـــحـــلـــمـــكَ فـــي الـــنـــوا
زِلِ أَنْ يُـــلِـــمَّ بـــه الـــجَـــزَعْ
لا تـــخـــلُ مـــن أمـــلٍ إذا
ذهـــب الـــزمـــانُ فـــكـــم رجَـــعْ
وٱنـــفـــع بـــوُســـعِـــك كـــلَّـــه
إنّ الـــمـــوفَّـــق مَـــنْ نـــفَـــعْ
مـــصـــرٌ بَـــنَـــتْ لـــقـــضـــائـــهـــا
ركـــنـــاً عـــلـــى الـــنـــجـــمِ ٱرتـــفَـــعْ
فـــيـــه ٱحـــتـــمَـــى اســـتـــقـــلالـــهـــا
وبـــه تـــحـــصَّـــن وٱمـــتـــنَـــعْ
فـــلـــيَـــهْـــنِـــهـــا ولـــيَـــهْـــنِـــنـــا
أنّ الـــقـــضـــاءَ بـــه ٱضـــطـــلـــعْ(٢)
أَلـــلَّـــهُ صـــانَ رجـــالَـــه
مـــمـــا يُـــدنِّـــسُ أو يَـــضَـــعْ

(*) «حُرم الأستاذ مرقص فهمي حيناً من الوقت من الاشتغال بالمحاماة، ثم برّأه القضاء من تلك التهمة التي عُزيت إليه فٱحتفل بعودته إلى المحاماة احتفالاً أُلقيت فيه هذه القصيدة».

(١) الهجوع: النوم.

(٢) اضطلع بالأمر: نهض به وقوي.

ســـــاروا بـــــســـــيـــــرة مُـــــنـــــذِرٍ
وأبـــي حـــنـــيـــفـــةَ فـــي الـــورَعْ
وكـــــأنّ أيـــــام الـــــقـــــضـــــا
ءِ جـــمـــيـــعـــهـــا بـــهـــمُ الـــجُـــمَـــعْ
قـــل لـــلـــمُـــبـــرَّإ مـــرقـــصٍ
أنـــت الـــنـــقـــيُّ مـــن الـــطّـــبَـــعْ[1]
هـــذا الـــقـــضـــاءُ رمـــاك بـــالـــ
ـيـــمـــنـــى وبـــالـــيـــســـرى نـــزَعْ
هـــذا قـــضـــاء الـــلَّـــهِ مُـــمْـــ
ـتـــثَـــلُ الـــحـــكـــومـــةِ مـــتّـــبَـــعْ
عُـــدْ لـــلـــمـــحـــامـــاة الـــشـــريـــ
ـفـــةِ عـــوْدَ مـــشـــتـــاقٍ وَلِـــعْ
وٱلـــبـــسْ رداءكَ طـــاهـــراً
كـــردءِ مـــرقـــص فـــي الـــبِـــيـــعْ[2]
وٱدفـــعْ عـــن الـــمـــظـــلـــوم والـــ
ـمـــحـــروم أبـــلـــغَ مَـــنْ دفَـــعْ
وٱغـــفِـــرْ لـــحـــاســـدِ نـــعـــمـــةٍ
بـــالأمـــسِ نـــالـــك أو وقَـــعْ[3]
مـــا فـــي الـــحـــيـــاةِ لأنْ تـــعـــا
تِـــبَ أو تـــحـــاسِـــبَ مـــتَّـــسَـــعْ

(١) الطَّبع: العيب.
(٢) البِيَع: مفردها بيعة، وهي متعبد النصارى.
(٣) وقع: بمعنى سبّ وعاب.

الصَّحَافة(*)

[من المتقارب]

لكلِّ زمانٍ مضى آيةٌ
وآيةُ هذا الزمانِ الصُّحُفْ
لسانُ البلادِ ونبضُ العباد
وكهفُ الحقوق وحرب الجنَفْ(١)
تسيرُ مسيرَ الضُّحى في البلاد
إذا العلمُ مزّق فيها السَّدَفْ(٢)
وتمشي تُعلِّمُ في أمةٍ
كثيرةٍ مَنْ لا يخُطُّ الألِفْ!
فيا فتيةَ الصحْف صبراً إذا
نبا الرزقُ فيها بكم واختلفْ
فإنّ السعادةَ غيرُ الظهور
وغير الثّراء، وغير التّرفْ
ولكنها في نواحي الضمير
إذا هو بالمؤم لم يُكتنَفْ
خذوا القصدَ واقتنِعوا بالكفاف
وخلّوا الفُضولَ يَغُلْهَا السَّرَفْ(٣)
وروموا النبوغ فمَنْ ناله
تلقّى من الحظّ أسنى التُّحَفْ

(*) «ألَّف أصحاب الصحف العربية نقابة تجمعهم، وقد أُلقيت هذه القصيدة في الاحتفال بتأسيسها».

(١) الكهف: الملجأ. الجَنَف: الحيف. (٢) السَّدَف: الظلمة.

(٣) الفضول: ما فضل من المال زيادة عن الحاجة. غالها السّرف: أتى عليهما.

ومـــا الـــرزق مـــجـــتـــنـــبٌ حـــرفـــةً
إذا الـــحـــظّ لـــم يـــهـــجـــرِ الـــمـــحـــتَـــرِفْ
إذا آخـــتِ الـــجـــوهـــريَّ الـــحـــظـــوظ
كـــفـــلـــنَ الـــيـــتـــيـــمَ لـــه فـــي الـــصَّـــدَفْ(١)
وإنْ أعـــرضـــت عـــنـــه لـــم يـــحـــلُ فـــي
عـــيـــونِ الـــخـــرائـــد غـــيـــرُ الـــخَـــزَفْ(٢)

❊ ❊ ❊

رعـــى الـــلَّـــه لـــيـــلـــتـــكـــم، إنـــهـــا
تـــلـــت عـــنـــده لـــيـــلـــةَ الـــمـــنـــتـــصَـــفْ(٣)
لـــقـــد طـــلـــع الـــبـــدر مـــن جُـــنـــحـــهـــا
وأومـــا إلـــى صُـــبـــحِـــهـــا أَنْ يـــقِـــفْ
جـــلـــوتـــم حـــواشِـــيَـــهَـــا بـــالـــفـــنـــون
فـــمـــن كـــلِّ فـــنٍّ جـــمـــيـــل طَـــرَفْ
فـــإنْ تـــســـألـــوا مـــا مـــكـــان الـــفـــنـــون
فـــكـــم شـــرفٍ فـــوق هـــذا الـــشّـــرَفْ(٤)
أريـــكـــة (مـــولـــيـــيـــرَ) فـــيـــمـــا مـــضـــى
وعـــرشُ (شِـــكـــســـبـــيـــرَ) فـــيـــمـــا سَـــلَـــفْ
وعـــودُ (ابـــن ســـاعـــدةٍ) فـــي عـــكـــاظ
إذا ســـال خـــاطـــره بـــالـــطُّـــرَفْ(٥)
فـــلا يـــرقِـــيَـــنْ فـــيـــه إلّا فـــتـــى
إلـــى درجـــاتِ الـــنـــبـــوغِ ٱنـــصـــرَفْ

---

(١) اليتيم: المقصود به اللؤلؤ المنقطع النظير. (٢) الخرائد: العذارى.
(٣) المنتصف: المقصود ليلة المنتصف من شعبان.
(٤) الشرف (الأولى): الرفعة والمجد. والشرف (الثانية): المكان المرتفع، والمقصود هنا المسرح.
(٥) عود (ابن ساعدة): أي منير (قس بن ساعدة)، وهو من أخطب خطباء الجاهلية.

تُـعـلـم حـكـمـتُـه الـحـاضـريـن
وتُـسـمـعُ فـي الـغـابـريـنَ الـنُّـطَـفْ[١]

❊ ❊ ❊

حـمـدنـا بـلاءكُـمُ فـي الـنـضـال
وأمـس حـمـدنـا بـلاء الـسّـلَـفْ
ومَـنْ نَـسِـيَ الـفـضـل لـلـسـابـقـيـن
فـمـا عـرف الـفـضـل فـيـمـا عَـرَفْ
ألـيـس إلـيـهـم صـلاح الـبـنـاء
إذا مـا الأسـاسُ سـمـا بـالـغُـرفْ؟
فـهـل تـأذنـون لـذي خَـلـةٍ
يَـفـضُّ الـريـاحـيـنَ فـوق الـجـيَـفْ؟
فـأيـن (الـلـواءُ) وربُّ (الـلـواء)
إمـام الـشـبـاب مـثـالُ الـشّـرَفْ؟[٢]
وأيـن الـذي بـيـنـكـم شـبـلـه
عـلـى غـايـة الـحـقِّ نـعـم الـخَـلَـفْ؟
ولا بـد لـلـغـرس مـن نـقـلـةٍ
إلـى مَـنْ تـعـهـد أو مَـنْ قـطَـفْ
فـلا تـجـحـدنَّ يـد الـغـارسـيـن
وهـذا الـجَـنَـى فـي يـديـك اْعـتـرَفْ
أولـئـك مـروا كـدود الـحـريـر
شـجـاهـا الـنَّـفَـاعُ وفـيـه الـتّـلَـفْ[٣]

---

(١) الغابرين: الماضين والآتين (تحتمل معنى الضدّ)، والمراد هنا في الغابرين أي في الآتين. النطف: مفردها نطفة، وهي أصل النسل.
(٢) رَبّ اللواء: المرحوم مصطفى باشا كامل صاحب جريدة اللواء.
(٣) النَّفَاع: النفع.

عيدُ الفِداء(*)

[من الكامل]

أمّا العتابُ فبالأحبَّةِ أخلَقُ ... والحبُّ يصلُحُ بالعتاب ويصدُقُ
يا مَنْ أُحبُّ، ومَنْ أُجِلُّ، وحسْبُه ... في الغيدِ منزلةً يُجَلُّ ويُعشَقُ
ألبعد أدناني إليك فهل تُرى ... تقسو وتنفرُ، أم تلينُ وترفُقُ؟
في جاهِ حسنك ذلَّتي وضراعتي ... فاْعطِف فذاك بجاهِ حُسنكَ أليَقُ!
خَلُقَ الشباب ولا أزالُ أصونُه ... وأنا الوفيُّ مودّتي لا تخلُقُ(١)
صاحَبْتُه عشرينَ غير ذميمةٍ ... حالي به حالٍ وعيشيَ مُونَقُ(٢)
قلبي اْذّكرتَ اليومَ غيرَ موفقٍ ... أيامَ أنْت مع الشبابِ موفَّقُ
فخفقتَ من ذكرى الشبابِ وعهده ... لهفي عليك! لكلِّ ذكرى تخفُقُ
كم ذبتَ من حُرَقِ الجَوَى، واليومَ من ... أسفٍ عليه وحسرةٍ تتحرّقُ
كنت الشباكَ، وكان صيداً للصِّبَا ... ما تستَرِقُّ من الظّباءِ وتُعتِقُ
خدَعتْ حبائلُك المِلاحَ هنيهةً ... واليومَ كل حُبالة لا تَعلَقُ
هل دون أيامِ الشبيبة للفتى ... صفوٌ يُحيطُ به وأُنسٌ يُحدِقُ؟

(*) كان لهذه القصيدة يوم نشرت ضجة هائلة، ولعلها استمدت معظمها من تلك الأبيات التي تنطق فيها ذكرى الشباب، والتي قلما وفّق إلى مثلها شاعر. ولقد نظمت هذه القصيدة معارضة لأخرى من رويِّها للمرحوم إسماعيل صبري باشا».

(١) خلق الشيء: بلى.

(٢) حالٍ: حلو.

نَكْبةُ بيروت(*)

[من الكامل]

يـا ربِّ أمـرُك فـي الـمـمـالـكِ نـافـذٌ
والـحـكـمُ حـكـمُـكَ فـي الـدمِ الـمـسـفـوكِ
إنْ شـئـت أَهْـرِقـهُ وإنْ شـئـت آحـمِـه
هـو لـم يـكـن لـسـواك بـالـمـمـلـوكِ
وآحـكـم بـعـدلِـك إنّ عـدلَـك لـم يـكـن
بـالـمـمـتَـرَى فـيـه ولا الـمـشـكـوكِ
أَلِأَجْـل آجـال دنـتْ وتـهـيـأت
قـدَّرتَ ضـربَ الـشـاطـئِ الـمـتـروكِ؟
مـا كـان يَـحـمـيـهِ ولا يُـحـمَـى بـه
فُـلْـكـان أَنْـعـم مـن بـواخـر (كـوكِ)(١)
هـذي بـجـانـبـهـا الـكـسـيـرِ غـريـقـةٌ
تـهـوي، وتـلـك بُـركـنـهـا الـمـدكـوكِ

* * *

بـيـروتُ، مـات الأسْـدُ حـتـفَ أُنـوفِـهـم
لـم يـشـهَـروا سـيـفـاً ولـم يـحـمـوكِ
سـبـعـون لـيـثـاً أُحـرِقـوا أو أُغـرقـوا
يـا لـيـتـهـم قُـتِـلـوا عـلـى (طـبـروكِ)
كـلٌّ يـصـيـدُ الـلـيـثَ وهـو مـقـيَّـدٌ
ويـعـزُّ صـيـدُ الـضـيـغـمِ الـمـفـكـوكِ

(*) «قيلت على أثر ضرب الأسطول الإيطالي مدينة بيروت».

(١) المعنى، أنه لا تستطيع حمايته هاتان السفينتان الصغيرتان اللّتان أُعدتا للترفيه والرياضة وليس للقتال والحرب.

يا مضرِبَ الخِيَمِ المنيفةِ للقِرى
ما أَنْصف العُجمُ الأُلى ضربوكِ[١]
ما كنتِ يوماً للقنابِل موضعاً
ولو أنها من عسجدٍ مسْبُوكِ
بيروتُ يا راحَ النزيلِ وأُنسَه
يمضي الزمانُ عليَّ لا أسلوكِ
ألحسنُ لفظٌ في المدائنِ كلِّها
ووجدته لفظاً ومعنى فيكِ
نادمتُ يوماً في ظلالِكِ فتيةً
وسَمُوا الملائكَ في جلالِ ملوكِ[٢]
يُنسونَ (حساناً) عصابة (جلَّقِ)
حتى يكادَ بجلَّقٍ يَفديكِ[٣]
تاللَّه ما أحدثتِ شرًّا أو أذًى
حتى تُراعي أو يُراعَ بنوكِ
أنت التي يحمِي ويمنعُ عِرضَها
سيف الشريف وخنجرُ الصُّعلوكِ
إنْ يجهلوكِ فإنّ أمّك سوريا
والأبْلَقَ الفَرْدَ الأشمَّ أبوكِ[٤]

(١) القِرى: ما يقدّم للضيف. (٢) وسموا: غلبوا.
(٣) حسان: هو حسان بن ثابت، شاعر الرسول الكريم ﷺ. عصابة جلّق: هم ملوك الغساسنة. جلّق: اسم لمدينة دمشق. وكان الشاعر حسان بن ثابت كثيراً ما يمدح الغساسنة وينال عطاءهم. ومما يناسب هذا المقام قوله:

للَّه در عصابة نادمتهم ... يوماً بجلّق في الزمان الأولِ
أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضلِ
يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيل السلسلِ
بيض الوجود كريمة أحسابهم ... شم الأنوف من الطراز الأولِ
يغشون حتى ما تهرّ كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبلِ

(٤) الأبلق: المقصود جبل لبنان.

والسابقين إلى المفاخر والعُلا
بَلْهَ المكارم والندى أهلوكِ
سالت دماءٌ فيكِ حول مساجدٍ
وكنائسٍ ومدارسٍ وبُنوكِ
كنا نؤمِّلُ أَنْ يُمَدَّ بقاؤها
حتى تبِلَّ صدَى القنا المشبوكِ
لك في رُبَى النِّيلِ المبارَك جيرةٌ
لو يقدِرون بدمعهم غسلوكِ

تَكْلِيلُ أَنْقَرَة وعَزْلُ الآستَانَة

[من الكامل]

قُـمْ نـادِ (أَنْـقـرةً) وقُـلْ يَـهْـنـيـكِ
مُـلْـكٌ بـنـيْـتِ عـلـى سـيـوف بَـنِـيـكِ
أعـطـيـتِـه ذوْدَ الـلَّـبـاةِ عـن الـشَّـرى
فـأخـذْتِـه حُـرًّا بـغـيـر شـريـكِ[١]
وأقـمـتِ بـالـدَّم جـانـبـيْـه ولـم تـزلْ
تُـبـنـى الـمـمـالـكُ بـالـدم الـمـسْـفـوكِ
فـعـقـدت تـاجَـكِ مـن ظُـبًـى مـسـلـولـةٍ
وحـلـلـتِ عـرشـك مـن قـنـاً مـشـبـوكِ[٢]
تـاجٌ تـرى فـيـه إذا قَـلَّـبْـتَـه
جُـهـدَ الـشـريـف وهـمَّـة الـصُّـعـلـوكِ[٣]
وتـرى الـضـحـايـا مـن مـعـاقـد غـارِه
وعـلـى جـوانـب تِـبْـرِهِ الـمـسـبـوكِ[٤]
وتـراه فـي صـخَـبِ الـحـوادث صـامـتـاً
كـالـصـخـر فـي عـصْـفِ الـريـاح الـنُّـوكِ[٥]
خـرزاتُـه دَمُ أُمَّـةٍ مـهـضـومـةٍ
وجـهـودُ شَـعـب مـجـهَـدٍ مـنـهـوكِ

---

(١) الذود: الدفاع. اللباة: اللبؤة، أنثى الأسد. الشّرى: مأسدة بالقرب من الفرات.
(٢) الظُّبى: السيوف. القنا: الرماح. (٣) الجهد: المشقة أو الطاقة.
(٤) المعاقد: مواضع الإنعقاد. الغار: شجر ضخم تُصنع منه الأكاليل وتُوضع على رؤوس الأبطال المنتصرين في الحروب. التبر: الذهب، المسبوك: المذوّب المفرغ في قوالب.
(٥) الصخب: الصوت العالي. عصف الرياح: اشتدادها. النوك: مفردها نوكاء أي حمقاء.

بالواجب ٱلتمَس الحقوق وخاب مَنْ
طلبَ الحقوق بواجب متروكِ
لا الفردُ مَسَّ جبينَكِ العالي ولا
أعوانُه بأكفِّهِم لَمَسوكِ[١]
لمَّا نفرْتِ إلى القتال جماعةً
أصلَوْكِ نارَ تلصُّصٍ وفُتُوكِ[٢]
هدروا دماءَ الأُسْدِ في آجامها
والأسْدُ شارعةٌ القَنا تحميكِ[٣]
يا بنت (طوروس) الممرّدِ، طأطأتْ
شُمُّ الجبال رؤوسَها لأبيكِ[٤]
أُمْعنتُما في العزِّ وٱستعصَمْتُما
هو في السحاب وأنت في أهليكِ[٥]
نَحتَ الشعوبُ من الجبال ديارَهم
والقوم من أخلاقهم نحتوكِ
فلو ٱنّ أخلاق الرجال تصورتْ
لرأيتِ صخرتَها أساساً فيكِ
إنَّ الذين بنَوْكِ أشبهُ نيَّةً
بشباب (خيْبَر) أو كهول (تَبُوكِ)[٦]

---

(١) لا الفرد: أي الفرد المستبد بالحكم، والخطاب موجّه لأنقرة. ويريد بالفرد، السلطان محمد وحيد الدين. أعوانه: وزراؤه.

(٢) نفرتِ إلى القتال: ذهبت مسرعة. أصلوك: أحرقوك. التلصّص: التخلق بأخلاق اللّصوص. فتوك: المصدر من فتك به، أي بطش.

(٣) الآجام: مفردها أجمة، وهي الشجر الكثيف الملتف. وفي البيت إشارة إلى فتوى شرعية كانت حكومة الآستانة قد أذاعتها في أول أمر الفاتحين في الأناضول تحلل بها قتالهم.

(٤) طوروس: اسم جبل في آسيا الصغرى. الممرَّد: المملّس.

(٥) أمْعَنتما: بالغتما. واستعصمتما: تمنّعتما.

(٦) خيبر: اسم حصن لليهود على طريق المدينة المنورة غزاه الرسول الكريم ﷺ. =

حَلَفوا على الميثاق لاطَعموا الكرى
حتى تذوقي النّصرَ، هل نصروكِ؟(١)
زَعموا (الفرنسيَّ) المُحَجَّلَ صورةً
في حلبةِ الفرسان من حاميكِ(٢)
(ألنسرُ) سَلَّ السيفَ يَبْني نفسه
وفتاكِ سَلَّ حُسامَه يَبنيكِ(٣)
والنسرُ مملوكٌ لسلطان الهوى
ووجدتُ نسرَكِ ليس بالمملوكِ
يا دولةَ الخُلُقِ التي تاهت على
ركن السّماك بركنها المسْموكِ(٤)
بيني وبينكِ مِلَّةٌ وكتابُها
والشَّرقُ يَنميني كما يَنميكِ
قد ظنَّني اللّاحي نطقتُ عن الهوى
وركِبتُ متنَ الجهلِ إذْ أُطريكِ(٥)
لم يُنقِذِ الإسلامَ أو يَرفعْ له
رأساً سوى النَّفر الأُلى رفعوكِ
رَدوا الخيال حقيقة، وتطلعوا
كالحق حصحص من وراء شكوكِ(٦)

= تبوك: مدينة في طريق الحجّ من دمشق إلى المدينة المنوّرة، اشتهرت بالغزوة العظيمة التي قام بها الرسول الكريم ﷺ.

(١) الميثاق: العهد الذي أخذه على أنفسهم القائمون بدعوة القتال حتى يتم للأمة.

(٢) الفرنسيّ: المقصود نابليون بونابرت.

(٣) النسر: لقب نابليون. فتاك: المقصود به مصطفى كمال.

(٤) السِّماك: كوكب. المسموك: المرفوع.

(٥) اللّاحي: اللّائم. المتن: الظهر.

(٦) حصحص الحق: ظهر بعد كتمان.

لـم أكـذب الـتـاريـخ حـيـن جـعـلـتُـهـم
رُهـبـان نُـسْـكِ لا عُـجـولَ نَـسـيـكِ[١]
لـم تَـرْضـنـي ذَنَـبـاً لـنـجـمـك هِـمَّـتـي
إنّ الـبـيـان بـنـجـمـه يُـنـبـيـكِ[٢]
قـلـمـي وإنْ جـهِـل الـغـبـيُّ مـكـانـه
أبـقـى عـلـى الأحـقـاب مـن مـاضـيـكِ[٣]
ظـفـرتْ بـيـونـان الـقـديـمـةِ حـكـمـتـي
وغـزا الـحـديـثـة ظـافِـراً غـازيـكِ

❊ ❊ ❊

مـنِّـى لـعَـهـدِك يـا (فـروقُ) تـحـيـةٌ
كـعـيـونِ مـائـك أو رُبـى واديـكِ[٤]
أو كـالـنـسـيـم غَـدا عـلـيـك وراح مـن
فُـوفِ الـريـاض ووشْـيـهـا الـمـحـبـوكِ[٥]
أو كـالأصـيـل جـرى عـلـيـك عـقـيـقـهُ
أو سـالَ مـن عِـقـيـانـه شـاطـيـكِ[٦]
تـلـك الـخـمـائـلُ والـعـيـونُ، اْخـتـارهـا
لـك مـن رُبَـى جـنـاتِـه بـاريـكِ[٧]
قـد أفـرَغَـتْ فـيـك الـطـبـيـعـةُ سـحـرهـا
مَـنْ ذا الـذي مـن سـحـرهـا يَـرْقـيـكِ

(١) النسيك: الذهب أو الفضة. (٢) يُنبيك: يُخبرك.
(٣) الأحقاب: مفردها حُقُب، وهي السنوات الطوال أو الدهر.
(٤) فروق: هي الآستانة.
(٥) فوف الرياض: زهر الرياض، وقد تم استعارة الصورة من فوف الثياب وهي نوع من برود اليمن. الوشي: النقش. المحبوك: الحسن الصنع.
(٦) الأصيل: فترة ما بين العصر والمغرب. العقيق: الخرز الأحمر، والمقصود اللون الأحمر. العقيان: الذهب الخالص.
(٧) الخمائل: مفردها خميلة، وهي الشجر الكثيف الملتف.

خلعَتْ عليك جمالها وتأمّلتْ
فإذا جمالك فوق ما تكسوكِ
تاللَّه ما فتنَ العيونَ ولذَّها
كقلائد الخُلجان في هاديكِ
عن جيدكِ الحالي تلفتَتِ الرُّبى
وٱستضحكتْ حُورُ الجنان بفيكِ
إن أَنْسَ لا أَنْسَ الشبيبة والهوى
وسوالفَ اللّذاتِ في ناديكِ[1]
وليالياً لم تدرِ أين عِشاؤها
من فجرها لولا صياحُ الديكِ
وصَبُوحَنا من (بَنْدِلارَ) و (شِرْشِر)
وغَبوقنا (بتَرَابِيا) و (بُيوكِ)[2]
لو أَنّ سلطانَ الجمال مخلَّدٌ
لمليحةٍ لعذلتُ مَنْ عذلوكِ
خلعوكِ من سلطانِهم فسَليهمُ
أَمِنَ القلوب ومُلكِها خلَعوكِ؟
لا يَحْزُنَنَّكِ من حُماتِك خطةٌ
كانت هي المُثلى وإنْ ساؤوكِ
أيُقالُ فتيانُ الحمى بكِ قصَّروا
أم ضيَّعوا الحرماتِ، أم خانوكِ؟
وهُمُ الخفافُ إليكِ كالأنصار إذْ
قلَّ النّصير وعزَّ مَنْ يفديكِ

(١) إن أنسَ لا أنسَ: معناها، إن نسيت شيئاً فلن أنسى الشبيبة والهوى إلخ . . .
(٢) الصبوح: الشراب عند الصباح. الغبوق: الشراب عند العشيّ. (بندلار) و(شرشر) و(ترابيا) و(بيوك): أسماء أمكنة في الآستانة.

والـمـشـتَـروكِ بـمـالِـهـم ودمـائـهـم
حـيـن الـشـيـوخُ بـجُـبَّـةٍ بـاعـوكِ
هـدروا دمـاء الـذائـديـن عـن الـحـمـى
بـلـسـان مـفـتـي الـنـارِ لا مـفـتـيـكِ[١]
شـربـوا عـلـى سـرٍّ الـعـدو وغـرَّدوا
كـالـيـوم خـلـف جِـدارك الـمـدكـوكِ[٢]
لـو كـنـتِ (مـكّـة) عـنـدهـم لـرأيـتـهـم
(كـمـحـمّـدٍ) و (رفـيـقِـه) هـجـروكِ[٣]

❊ ❊ ❊

يـا راكـب الـطـامـي يـجـوبُ لـجـاجـه
مـن كـل نَـيِّـرةٍ وذاتِ حُـلـوكِ[٤]
إنْ جـئـتَ (مـرمـرةً) تـحـثُّ الـفُـلْـكَ فـي
بَـهِـجٍ كـآفـاق الـنـعـيـم ضـحـوكِ[٥]
وأتـيـتَ (قـرن الـتـبـر) ثَـمَّ تـحـفُّـهُ
تُـحَـفُ الـضُّـحـى مـن جـوهـرٍ وسـلـوكِ[٦]
فـاْطـلـع عـلـى (دار الـسـعـادة) واْبـتـهـلْ
فـي بـابـهـا الـعـالـي وأَدِّ ألـوكِـي[٧]

---

(١) الذائدين عن الحمى: المدافعين عنه. مفتي النار: المقصود شيخ الإسلام الذي أفتى بقتالهم.
(٢) شربوا: أي الشيوخ الذين أفتوا.
(٣) عندهم: المقصود، فتيان الحمى الذين اْشتروك بمالهم ودمائهم.
(٤) الطامي: البحر. اللّجاج: مفردها لجّة، وهي معظم الماء. من كل نيِّرة: أي من كل لجّة نيِّرة بيضاء، ويكني بها البحر الأبيض المتوسط. وذات حلوك: أي من كل لجّة سوداء ذات حلوك، ويكني بها البحر الأسود.
(٥) مرمرة: هو بحر مرمرة، مدخله من مضيق الدردنيل، ويصله بالبحر الأسود مضيق البسفور.
(٦) قرن التبر: هو القرن الذهبي وهو جزء من البسفور.
(٧) دار السعادة: هي الآستانة. الألوك: الرسالة.

قُـلْ لـلـخـلافـةِ قـول بـاكٍ شـمـسـهـا
بـالأمـس لـمّـا آذنـتْ بـدُلـوكِ[١]
يـا جـذوة الـتـوحـيـدِ هـل لـك مـطـفـئٌ
والـلَّـهُ جـلَّ جـلالـه مُـذكـيـكِ[٢]
خـلـتِ الـقـرون وأنـتِ حـربُ مـمـالـكٍ
لـم يُـغـفِ ضـدُّك أو يَـنَـمْ شـانـيـكِ[٣]
يَـرمـيـك بـالأمـم الـزمـانُ وتـارة
بـالـفـرد وٱسـتـبـداده يـرمـيـكِ
عـودي إلـى مـا كـنـتِ فـي فـجـر الـهـدى
عُـمـرٌ يـسـوسُـك والـعـتـيـق يـلـيـكِ[٤]
إنّ الـذيـن تـوارثـوك عـلـى الـهـوى
بـعـد (ابـن هـنـدٍ) طـالـمـا كـذبـوكِ[٥]
لـم يـلـبـسـوا بُـردَ الـنّـبـي وإنـمـا
لـبِـسـوا طـقـوس الـروم إذ لـبِـسـوكِ
إنّـي أُعـيـذُك أَنْ تُـرَيْ جـبـارةً
كـالـبـابـويـة فـي يَـدَيْ (رُدريـكِ)
أو أَنْ تَـزُفَّ لـكِ الـوراثـة فـاسـقـاً
(كـيـزيـد) أو (كـالـحـاكـم) الـمـأفـوكِ[٦]

---

(١) الدلوك: الغروب.
(٢) مذكيك: موقدك.
(٣) لم يُغفِ: لم يُنم. الشانئ: المبغض والحاقد.
(٤) إشارة إلى الرغبة في ترك الملك المحصور في أسرة واحدة، والرُّجُوع إلى اعتباره حقاً يتولاه من تبايعه الأمة، كما كان في عهد الخلفاء الراشدين.
(٥) ابن هند: هو معاوية بن أبي سفيان أول الخلفاء من بني أمية.
(٦) يزيد: هو يزيد بن الوليد، من ملوك بني أمية، وكان من أصحاب الفسوق. الحاكم: هو الحاكم بأمر اللَّه الفاطمي في مصر، وكان فاسقاً مختبلاً.

فُـضِّـي نـيـوبَ الـفـرد ثـم خـذي بـه
فـي أيّ ثـوبـيـهِ بـه جـاؤُوكِ[١]
لا فـرق بـيـن مـسـلَّـطٍ مـتـتـوّج
ومـسـلَّـطٍ فـي غـيـر ثـوب مـلـيـكِ
إنـي أرى الـشـورى الـتـي اْعـتـصـمـوا بـهـا
هـي حـبـلُ ربـك أو زِمـام نـبـيـكِ

(١) فُضِّي نيوب الفرد: انثريها. ونيوب: مفردها ناب.

عيدُ الدّهْر وليلةُ القدْر(*)

[من الكامل]

ألـمـلـكُ بـيـن يـديـكَ فـي إقـبـالِـهِ
عـوَّذتُ مُـلـكَـك بـالـنّـبـيِّ وآلِـهِ(١)
حـرٌّ، وأنـت الـحـرُّ فـي تـاريـخِـه
سـمـحٌ، وأنـت الـسـمـحُ فـي أقـيـالِـهِ(٢)
فِـيـضـا عـلـى الأوطـانِ مـن حُـريـةٍ
فـكِـلاكـمـا الـمُـفْـتَـكُّ مـن أغـلالِـهِ(٣)
سـعِـدَت بـعـهـدكـمـا الـمـبـارك أمـةٌ
رقَّـت لـحـالِـكَ حـقـبـةً ولـحـالِـهِ(٤)
يَـفـديـكَ نـصـرانـيُّـه بـصـلـيـبـه
والـمُـنْـتـمـي (لـمـحـمـدٍ) بـهـلالِـهِ
وفـتـى الـدروزِ عـلـى الـحـزون بـشـيـخـه
والـمـوسَـوي عـلـى الـسـهـولِ بـمـالِـهِ(٥)
صـدَقـوا الـخـلـيـفـةَ طـاعـةً ومـحـبـةً
وتـمـسـكـوا بـالـطُـهـرِ مـن أذيـالِـهِ

(*) «قيلت في احتفال بالمولد النبوي الشريف».

(١) الملك بين يديك، الخطاب موجه إلى الخليفة محمد رشاد الخامس.

(٢) حرّ: أي الملك، ويريد الشاعر القول أنه غير مقيد بسلطة الفرد المستبد. وأنت الحر في تاريخه: يشير إلى أن الخليفة محمد رشاد هو أول خليفة دستوري. السمح: ذو السماحة. الأقيال: مفردها قِيْل وهو الملك.

(٣) كلاكما: أي أنت والملك. المُفْتَكُّ: المطلق. الأغلال مفردها غُل، وهو طوق من حديد.

(٤) الحقبة: المدة من الزمن.

(٥) الحزون: مفردها حَزن، وهو ما غلظ من الأرض.

يـجـدون دولـتـك الـتـي سـعِـدوا بـهـا
مـن رحـمـةِ الـمـولـى ومـن أفـضـالِـهِ
جـدّدت عـهـد (الـراشـديـن) بـسـيـرةٍ
نـسـجَ (الـرشـادُ) لـهـا عـلـى مِـنـوالِـهِ
بُنِيت على الشورى كصالح حكمهم
وعـلـى حـيـادِ الـرأي واسـتـقـلالِـهِ
حـقٌّ أعـزَّ بـك الـمـهـيـمـنُ نـصـرَه
والـحـقُّ مـنـصـورٌ عـلـى خُـذَّالِـهِ(١)
شـرُّ الـحـكـومـةِ أَنْ يُـسـاسَ بـواحـدٍ
فـي الـمـلـكِ أقـوامٌ عِـدادُ رمـالِـهِ
مـلـكٌ تـشـاطِـرُه مـيـامـنَ حـالِـه
وتـرى بـإذن الـلَّـه حُـسـنَ مـآلِـهِ(٢)
أخـذتْ حـكـومـتُـك الأمـانَ لـظَـبـيـه
فـي مُـقـفـرات الـبـيـدِ مـن رِئـبـالِـهِ
مـكَّـنـتَ لـلـدسـتـور فـيـه وحُـزتَـه
تـاجـاً لـوجـهـك فـوقَ تـاج جـلالِـهِ
فـكـأنـك (الـفـاروقُ) فـي كـرسـيّـه
نَـعـمـت شـعـوبُ الأرضِ تـحـت ظـلالِـهِ
أو أَنْـت مـثـلُ (أبـي تـرابٍ) يُـتّـقـى
ويـهـابـه الأمـلاكُ فـي أسـمـالِـهِ
عـهـدُ الـنّـبـيِّ هـو الـسـمـاحـةُ والـرضـى
(بـمـحـمّـدٍ) أولـى وسَـمـحِ خـلالِـهِ
بـالـحـق يـحـمـلـه (الإمـامُ) وبـالـهـدى
فـي حـاضـر الـدسـتـورِ واسـتـقـبـالِـهِ

(١) الخذّال: مفردها خاذل، وهو الذي يخذلك أي لا ينصرك.
(٢) الميامن: مفردها ميمنة، وهي اليمن والبركة.

يـا ٱبـنَ الـخـواقـيـن الـثـلاثـيـنَ الأُلـى
قـد جـمّـلـوا الإسـلام فـوق جَـمـالِـهِ
ألـمـبـلـغِـيـن الـديـن ذروةَ سـعـدِه
ألـرافـعـيـن الـمـلـكَ أوْجَ كـمـالِـهِ
ألـمـوطِـئـيـن مـن الـمـمـالـك خـيـلَـهـم
مـا لـم يَـفـز (إسـكـنـدرٌ) بـوصـالِـهِ
فـي عـدلِ (فَـاتِـحِـهِـمْ) و (قـانـونـيِّـهـم)
مـا يـحـتـذي الـخـلـفـاءُ حـذوَ مـثـالِـهِ
أمـا الـخـلافـةُ فـهـي حـائـطُ بـيـتـكـم
حـتـى يُـبـيـن الـحـشـرُ عـن أهـوالِـهِ
أُخِـذَتْ بـحـدّ الـمـشـرفـيّ وحـازهـا
لـكـمُ الـقـنـا بـقِـصـاره وطِـوالِـهِ
لا تـسـمـعـوا لـلـمـرجِـفـيـن وجـهـلِـهـم
فـمـصـيـبـةُ الإسـلام مـن جُـهَّـالِـهِ
طـمـعُ الـقـريـبِ أو الـبـعـيـد بِـنـيْـلـهـا
طـمـعُ الـفـتـى مـن دهـرِه بـمـحـالِـهِ
مـا الـذئـبُ مُـجـتـرِئـاً عـلـى لـيـثِ الـشَّـرى
فـي الـغـاب مـعـتـديـاً عـلـى أشـبـالِـهِ[1]
بـأضـلَّ عـقـلاً وهـي فـي أيـمـانـكـم
مـمـن يُـحـاول أخـذهـا بـشـمـالِـهِ

❊ ❊ ❊

رضـي الـمُـهـيـمـن والـمـسـيـح وأحـمـدٌ
عـن جـيـشِـك الـفـادي وعـن أبـطـالِـهِ
ألـهـازئـيـن مـن الـثـرى بـسـهـولـه
ألـدائـسـيـن عـلـى رؤوس جِـبـالِـهِ

(١) الأشبال: مفردها شبل، وهو ولد الأسد.

ألـقـاتـلـيـن عـدوّهـم فـي حـصـنـه
بـالـرأي والـتـدبـيـرِ قـبـل قـتـالِـهِ
ألآخـذيـن الـحـصـنَ عـزَّ سـبـيـلُـه
مـثـلَ الـسُّـهَـا أو فـي امـتـنـاعِ مَـنـالِـهِ[١]
ألـمـعـرضـيـن ولـو بـسـاحـة (يـلـدزٍ)
فـي الـحـربِ عـن عـرضِ الـعـدوّ ومـالِـهِ
ألـقـارئـيـن عـلـى (عـلـيّ) عـلـمـهـا
وعـلـى الـغـزاةِ الـمـتـقـيـن رجـالِـهِ[٢]
ألـمُـلْـكُ زُلـزلَ فـي (فـروقٍ) سـاعـةً
كـانـوا لـه الأوتـادَ فـي زلـزالِـهِ
لـولا انـتـظـامُ قـلـوبـهـم كـكـفـوفـهـم
لـنـثـرتُ دمـعـي الـيـومَ فـي أطـلالِـهِ[٣]
والـمـرءُ لـيـس بـصـادقٍ فـي قـولِـه
حـتـى يـؤيِّـدَ قـولَـه بِـفـعـالِـهِ
والـشـعـبُ إنْ رام الـحـيـاةَ كـبـيـرةً
خـاض الـغـمـار دمـاً إلـى آمـالِـهِ[٤]
شـكـرُ الـمـمـالـك لـلـسَّـخـيِّ بـروحـه
لا لـلـسَّـخـيّ بـقِـيْـلِـه أو قـالِـهِ
إيـهِ (فـروقُ)، الـحـسـنُ نـجـوى هـائـم
يـسـمـو إلـيـكِ بِـجـدِّه وبـخـالِـهِ[٥]

---

(١) السُّها: كوكب.
(٢) عليّ: هو علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه.
(٣) الأطلال: ما بقي من آثار الدار.
(٤) الغُمار: جموع الناس.
(٥) إيه: اسم فعل للاستزادة من الحديث. النجوى: المسارّة بالحديث. الهائم: المحب التائه. يسمو إليك بجدّه وبِخالِه: أي أنه من أصل تركي من ناحية أبويه.

أخرجتِ للعربِ الفصاحِ بيانَه
قبساً يُضيء الشرقَ مثلَ كمالِهِ[١]
لم تُكثر (الحمراءُ) من نظرائِه
نسلاً ولا (بغدادُ) من أمثالِهِ[٢]
جعل الإلهُ خيالَهُ (قيس) الهوى
وجُعِلت (ليلى) فِتنةً لخيالِهِ[٣]
في كل عامٍ أَنْتِ نزهةُ روحِه
ونعيمُ مهجتِه وراحةُ بالِهِ
يَغشاكِ قد حنَّتْ إليكِ مطيُّه
ويؤوبُ والأشواقُ ملءُ رِحالِهِ
أفراحُه لمّا رآكِ طليقةً
أفراحُ يوسف يوم حلِّ عِقالِهِ[٤]
وسرورُه بكِ من قيودك حرّةً
كسرورِ (قيسٍ) بانفلاتِ غزالِهِ[٥]
ألَّله صاغَكِ جنتين لخلقه
محفوفتَيْن بأنعُمٍ لعِيالِهِ
لو أَنّ لَلَّه اتخاذَ خميلةٍ
ما اختار غيرَك روضةً لجلالِهِ[٦]

(١) أخرجتِ للعرب الفصاح بيانَه: الخطاب موجه إلى (فروق) والضمير في «بيانه» يعود إلى «هائم» في البيت السابق.
(٢) الحمراء: هي مدينة غرناطة بالأندلس. بغداد: عاصمة العراق.
(٣) قيس: هو قيس بن الملوّح، وقيل هو قيس بن معاذ المُلقّب بالمجنون. ليلى: هي محبوبة قيس التي جُنّ بها. وهنا يشبّه الشاعر حب قيس لليلى كحب الشاعر نفسه للآستانة.
(٤) يقول: إنه فرح كفرح يوسف عليه السلام يوم خروجه من السجن.
(٥) كسرور قيس بانفلات غزاله: يشير إلى ما قيل من أن المجنون رأى ظبية في شباك صيادَيْن فسألهما أن يطلقاها ويضع مكانها شاة من غنمه، ففعلا.
(٦) الخميلة: الشجر الملتف. الروضة: الحديقة.

فكأنما الصِّفتان في حسنْيهِما
ديباجَتا خدٍّ يتيهُ بخالِهِ[١]
وكأنما (البُوسفورُ) حوضُ (محمدٍ)
وسط الجنان وهنّ في إجلالِهِ[٢]
وكأنّ شاهقةَ القصور حيالَه
حُجُراتُ (طه) في الجِنان وآلِهِ[٣]
وكأنّ عيدَك عيدُها لمّا مشى
فيها البشيرُ ببِشره وجمالِهِ[٤]
تِيهي بعيدك في الممالك واسلمي
في السلم للآلاف من أمثالِهِ
واستقبلي عهدَ الرشادِ مجمَّلاً
بمحاسن الدُّستور في استهلالِهِ
دار السعادة أَنْت، ذلك بابها
شُلَّت يدٌ مُدّتْ إلى إقْفَالِهِ

(١) الديباجتان: مثنى ديباجة، أي الوجه، أو الخد أيضاً. الخال: شامة في الخد.
(٢) حوض محمد: المقصود الحوض المورود يوم القيامة. محمد: هو الرسول الكريم ﷺ.
(٣) حِياله: قبالته. الحجرات: مفردها حجرة، وهي الغرفة. طه: اسم من أسماء الرسول الكريم ﷺ.
(٤) البشير: من أسماء الرسول الكريم ﷺ.

وَدَاعُ اللّورد كرُومر

[من الكامل]

أيــامــكــم أم عــهــدُ إسـمــاعــيــلَا؟
أم أَنْــت فــرعــونٌ يــسـوسُ الــنِّــيــلَا؟(١)
أم حــاكــمٌ فــي أرض مــصــرَ بــأمــره
لا ســائــلاً أبــداً ولا مــســؤولَا؟
يــا مــالــكــاً رِقَّ الــرّقــاب بــبــأسـه
هــلّا اتّــخــذتَ إلــى الــقــلــوب ســبــيــلَا(٢)
لــمّــا رحــلــتَ عــن الــبــلادِ تــشــهــدَتْ
فــكــأنــكَ الــداءُ الــعــيــاءُ رحــيــلَا
أوســعــتَــنــا يــومَ الــوَداع إهــانــةً
أدبٌ لــعــمــرك لا يُــصــيــبُ مــثــيــلَا
هــلّا بــدا لــك أَنْ تــجــامــلَ بــعــد مــا
صــاغ الــرئــيــسُ لــك الــثَّــنــا إكــلــيــلَا(٣)
أنْــظُــرْ إلــى أدب الــرئــيــسِ ولــطــفــه
تــجــد الــرئــيــسَ مــهــذَّبــاً ونــبــيــلَا

❊ ❊ ❊

(١) إسماعيل: هو الخديوي إسماعيل باشا. فرعون: لقب كل ملك من ملوك مصر الأقدمين.

(٢) رقّ الرّقاب: استعباد الرقاب. البأس: القوة.

(٣) الرئيس: هو مصطفى باشا فهمي، رئيس الوزراء أيام اللورد كرومر وهو الذي أقام له في دار الأوبرا حفل توديع يوم خروجه من مصر. إلّا أن اللورد كرومر خطب في المناسبة وأهان الأمة وأهان الخديوي في وجه الأمير حسين كامل دون مراعاة للأدب واللّياقة.

فـي مـلـعـبٍ لِـلْـمُـضْـحِـكَـات مـشـيَّـدِ
مـثَّـلـتَ فـيـه الـمُـبـكـيـاتِ فـصـولَا[١]
شـهـد (الـحـسـيـنُ) عـلـيـه لـعـنَ أصـولـه
وتـصـدّرَ (الأعـمـى) بـه تَـطـفـيـلَا[٢]
جُـبـنٌ أقـلَّ وحـطَّ مـن قـدريـهـمـا
والـمـرءُ إنْ يـجـبُـنْ يَـعِـشْ مـرذولَا
لـمّـا ذكـرت بـه الـبـلادَ وأهـلـهـا
مـثّـلـتَ دورَ مـمـاتـهـا تـمـثـيـلَا[٣]
أنـذرتَـنـا رقّـا يـدومُ وذِلّـة
تـبـقـى وحـالاً لا تـرى تـحـويـلَا
أحـسِـبـتَ أنّ الـلّـه دونـكَ قـدرةً
لا يـمـلـكُ الـتـغـيـيـرَ والـتـبـديـلَا؟
ألـلّـهُ يـحـكـمُ فـي الـمـلـوكِ ولـم تـكـن
دولٌ تـنـازعـه الـقُـوى لـتَـدولَا[٤]
فـرعـونُ قـبـلـك كـان أعـظـم سـطـوةً
وأعـزَّ بـيـن الـعـالـمـيـن قـبـيـلَا[٥]
ألـيـوم أخـلـفَـتِ الـوعـودَ حـكـومـةٌ
كـنّـا نَـظُـنُّ عـهـودَهـا الإنـجـيـلَا
دخـلـتْ عـلـى حـكـم الـوداد وشـرعـه
مـصـراً فـكـانـتْ كـالـسُّـلالِ دُخـولَا[٦]

(١) في ملعبٍ: المقصود ملعب دار الأوبرا.
(٢) الحسين: هو السلطان حسين كامل. الأعمى: هو الشيخ عبد الكريم سلمان الذي ضعف بصره وكاد يكفّ.
(٣) لمّا ذكرت به: أي بذلك الملعب (ملعب دار الأوبرا).
(٤) لتدول: يقال: دالت الأيام، أي دارت. (٥) القبيل: الجماعة أو العشيرة.
(٦) السُّلال: داء السّل.

هـدَمـتْ مـعـالـمـهـا وهـدّتْ رُكْـنَـهـا
وأضـاعـتِ اسـتـقـلالـهـا الـمـأمـولَا[١]
قـالـوا: جـلـبـتَ لـنـا الـرَّفـاهـة والـغـنـى
جـحـدوا الإلٰـهَ وصـنـعَـه والـنِّـيـلَا[٢]
كـم مِـنَّـةٍ مـوهـومـةٍ أتـبـعـتَـهـا
مـنًّا عـلـى الـفَـطـنِ الـخـبـيـر ثـقـيـلَا[٣]
فـي كـل تـقـريـر تـقـولُ: خـلـفـتُـكـم
أفـهـل تـرى تـقـريـرَك الـتـنـزيـلَا؟[٤]
هـل مـن نَـداك عـلـى الـمـدارس أَنّـهـا
تَـذرُ الـعـلـوم وتـأخـذ (الـفُـوتـبـولَا)[٥]
أم مـن صـيـانـتِـك الـقـضـاء بـمـصـر أَنْ
تـأتـي بـقـاضـي (دنـشـوايَ) وكـيـلَا؟[٦]
أم هـل يَـعُـدّ لـك الإضـاعـة مـنّـةً
جـيـشٌ كـجـيـش الـهـنـد بـات ذلـيـلَا
أنـظـرْ إلـى فِـتـيـانِـه مـا شـأنُـهـم
أوَلـيـس شـأنـاً فـي الـجـيـوش ضـئـيـلَا؟
حـرّمـتـهـم أَنْ يـبـلُـغـوا رُتـبَ الـعُـلَا
ورفـعـت قـومَـك فـوقـهـم تـفـضـيـلَا

---

(١) المعالم: مفردها معلم وهو موضع الشيء.
(٢) قالوا جلبتَ لنا: الخطاب موجّه إلى اللورد كرومر.
(٣) المنّ: هو ترديد الكلام بعمل الإحسان وهو أمر مذموم.
(٤) إشارة إلى تقارير اللورد كرومر عن مصر والسودان وادّعائه الإصلاح، وهو غير صحيح حسب الواقع.
(٥) النّدى: الكرم. تَذَر: تترك. الفوتبول: كلمة معربة تعني كرة القدم.
(٦) قاضي دنشواي: هو أحمد فتحي زغلول باشا القاضي الذي حكم على أهل دنشواي بالإعدام والسجن تعسفاً، وكان يحظى برضا اللورد كرومر.

فـإذا تـطـلّـعـتِ الـجـيـوشُ وأمَّـلـتْ
مـسـتـقـبـلاً لـم يـمـلِـكـوا الـتـأمـيـلَا
مـن بـعـد مـا زفّـوا (لإدوردَ) الـعُـلَا
فـتـحـاً عـريـضـاً فـي الـبـلادِ طـويـلَا[١]

❊ ❊ ❊

لـو كـنـتُ مـن حـمـر الـثـيـابِ عـبـدتُـكـم
مـن دونِ عـيـسـى مـحـسـنـاً ومُـنـيـلَا[٢]
أو كـنـتُ بـعـضَ الإنـكـلـيـز قـبـلـتُـكـم
مـلِـكـاً أَقـطِّـعُ كـفَّـه تـقـبـيـلَا
أو كـنـتُ عـضـواً فـي (الـكـلـوب) مـلأتُـه
أسـفـاً لـفُـرقـتـكـم بُـكـاً وعـويـلَا[٣]
أو كـنـتُ قـسـيـسـاً يَـهـيـمُ مـبـشـراً
رتّـلـتُ آيـةَ مـدحِـكـم تـرتـيـلَا[٤]
أو كـنـتُ صـرَّافـاً (بـلـنـدن) دائـنـاً
أعـطـيـتُـكـم عـن طـيـبـةٍ تـحـويـلَا
أو كـنـتُ (تـيـمـسـكـم) مـلأتُ صـحـائـفـي
مـدحـاً يُـردَّد فـي الـورى مـوصـولَا[٥]
أو كـنـتُ فـي مـصـرٍ نـزيـلاً جـاهـداً
سـبَّـحـت بـاسـمـك بُـكـرة وأصـيـلَا

---

(١) إشارة إلى فتح السودان بتضحيات الجيش المصري، دون مجهود يذكر للجيش الإنكليزي. إدوارد: هو ملك الإنكليز.

(٢) حمر الثياب: هم الإنكليز، والمعنى: لو كنت إنكليزياً لعبدتك دون المسيح لِمَا أسديت للإنكليز من خدمات جُلّى. والخطاب موجّه إلى اللورد كرومر.

(٣) (الكلوب): دار ندوة في القاهرة يشارك في نفقاته كبار الموسرين المصريين والإنكليز.

(٤) إشارة إلى تأييد كرومر للتبشير المسيحي في مصر.

(٥) أو كنت (تيمسكم) أي جريدة التيمس اللندنية.

أو كنتُ (سِريونا) حلفتُ بأنكم
أنتم حبوتُم بالقناةِ الجيلَا[١]
ما كان من عقباتِها وصعابِها
ذلّلتموه بعزمكم تذليلَا
عهدُ الفرنج، وأنت تعلمُ عهدَهم
لا يبخسون المحسنين فتيلَا
فٱرحل بحفظِ اللَّه جلّ صنيعُه
مستعفياً إنْ شئت أو معزولَا
وٱحمل بساقك ربطةً في لندن
وٱخلف هناك (غِراي) أو (كمبيلَا)[٢]
أو شاطر الملك العظيم بلاده
وسُسِ الممالك عرضَها والطولَا
إنّا تمنّينا على اللَّه المُنى
واللَّهُ كان بنيلهنّ كفيلَا
مَنْ سبَّ دين محمّدٍ فمحمدٌ
متمكنٌ عند الإلٰه رسولَا[٣]

(١) أو كنت (سريونا): إشارة إلى السيد دي سريون مدير شركة قناة السويس.
(٢) وٱحمل بساقك ربطة: إشارة إلى «نيشان» عند الإنكليز يسمّى «نيشان» ربطة العنق، وقد أنعم به عليه يوم عزله (عزل كرومر). غراي وكمبيل: وزيران إنكليزيان.
(٣) مَنْ سبّ دين محمد: إشارة إلى طعن كرومر للدين الإسلامي في سنة ١٩٠٦م وزَعْمه أنه لا يصلح لهذا العصر.

بَيْنَ الحِجَابِ والسّفور

[من الكامل]

صـدّاحُ يـا مَـلِـكَ الـكـنـا ... رِ ويـا أمـيـرَ الـبُـلـبـلِ[١]
قـد فـزتُ مـنـك (بـمـعـبـدٍ) ... ورُزقـتُ قـربَ (الـمـوصـلِي)[٢]
وأتـيـحَ لـي (داودُ) مِـز ... مـاراً وحـسـنَ تـرتّـلِ[٣]
فـوق الأسـرةِ والـمـنـا ... بـر قـط لـم تـتـرجَّـلِ[٤]
تـهـتـز كـالـديـنـار فـي ... مُـرتـجٍّ لـحـظِ الأحـولِ[٥]
وإذا خـطـرتَ عـلـى الـمـلَا ... عـبِ لـم تَـدَعْ لـمُـمَـثّـلِ[٦]
ولـك ابـتـداءات (الـفـرز ... دق) فـي مـقـاطـع (جـرولِ)[٧]
ولـقـد تـخـذتَ مـن الـضُّـحـى ... صُـفـرَ الـغَـلائـل والـحُـلِـي[٨]
ورويـتَ فـي بِـيـضِ الـقـلَا ... نِـس عـن عـذارى الـهـيـكـلِ[٩]

❊ ❊ ❊

(١) الصدّاح: الذي يصيح بصوت رفيع. الكنار: طائر حسن الصوت. البلبل: طائر حسن الصوت، طليق اللسان.
(٢) مَعبد: مغنٍّ مشهور في حقبة الدولة الأموية. الموصلي: مغنّ مثقف، وهو إسحاق الموصلي، ويطلق لقب الموصلي أيضاً على ابنه إبراهيم. عاصرا الدولة العباسية.
(٣) داود: هو النبي داود عليه السلام. مزاميره: أناشيده.
(٤) الترجّل: وضعية نزول المرء عن ركوبته.
(٥) الأحول: مَنْ في عينه حول، والحَوَل هو أن تميل إحدى الحدقتين إلى الأنف والأخرى إلى الصُّدْغ.
(٦) لم تَدَعْ: لم تترك.
(٧) الفرزدق: شاعر عاصر الدولة الأموية. جرول: اسم الشاعر الحطيئة وهو قد أدرك الجاهلية والإسلام. الابتداءات: أوائل القصائد. المقاطع: أواخر القصائد.
(٨) الغلائل: مفردها غلالة وهي ما يلبس تحت الثوب. وصفر الغلائل: كناية عن اللون الأصفر الذي يشبه لون طائره.
(٩) القلانس: نوع من لباس الرأس. العذارى: مفردها عذراء وهي البكر، الهيكل: موضع=

يـا لـيـت شـعـريَ يـا أسـيـ ـرُ، شـجٍ فـؤادك أم خَـلِـي؟[١]
وحـلـيـفُ سـهـدٍ أم تـنـا مُ الـلـيـلَ حـتـى يَـنـجـلِـي؟[٢]
بـالـرغـم مـنّـي مـا تُـعـا لِـجُ فـي الـنـحـاس الـمـقـفَـلِ[٣]
حِـرصـي عـلـيـك هـوًى، ومَـنْ يـحـرِزْ ثـمـيـنـاً يـبْـخَـلِ
والـشـحُّ تُـحـدثُـه الـضـرو رةُ فـي الـجـوادِ الـمُـجـزِلِ[٤]
أنـا إنْ جـعـلـتُـكَ فـي نُـضـا رٍ بـالـحـريـرِ مُـجـلّـلِ[٥]
ولـفـفـتُـه فـي سَـوسَـنٍ وحـفـفـتُـه بِـقَـرَنْـفُـلِ[٦]
وحـرقـتُ أزكـى الـعـود حـو لَـيـه وأغـلـى الـصَّـنـدلِ
وحـمـلـتُـه فـوقَ الـعـيـو نِ وفـوق رأس الـجـدولِ[٧]
ودعـوتُ كـلّ أغـرَّ فـي مُـلْـكِ الـطـيـورِ مـحـجَّـلِ
فـأتـتـك بـيـن مُـطـارح ومـحـبّـذٍ ومـدلّـلِ[٨]
وأمـرتُ بِـابْـنـي فـالـتـقـا كَ بـوجـهـه الـمـتـهـلِّـلِ[٩]
بـيـمـيـنـه فـالـوذَجٌ لـم يُـهـدَ (لـلـمـتـوَكِّـلِ)[١٠]
وزُجـاجـةٌ مـن فـضـةٍ مـمـلـوءةٌ مـن سَـلـسـلِ[١١]

= تقديم القربان في الكنيسة. والصورة الشعرية هي أن طائره أبيض الرأس كأنه يلبس قلنسوة بيضاء كالعذارى الراهبات في خدمة الهيكل.

(١) الشجي: المشغول. الخلي: الخالي من الهم.
(٢) الحليف: الملتزم بالشيء لا يفارقه. السهد: الأرق. ينجلي الليل: يمضي ويطلع النهار.
(٣) تعالج: تزاول. النحاس: كناية عن القفص.
(٤) الجواد: الكريم. المجزل: المعطاء.
(٥) النّضار: الذهب. المجلّل: المغطّى.
(٦) السوسن: زهرة طيبة الرائحة.
(٧) العيون: أي عيون الماء. الجدول: النهر الصغير.
(٨) المدلّل: المرفّه.
(٩) المتهلل: المتبسم، الوضّاء.
(١٠) الفالوذج: نوع من الحلوى، يصنع من دقيق وعسل وماء. المتوكل: أحد الخلفاء العباسيين.
(١١) السلسل: الخمر.

ما كنتَ يا صدّاحُ عندكَ بالكريم المُفضِلِ
شُهَدُ الحياةِ مشوبةً بالرقّ مثلُ الحنظلِ[١]
والقيدُ لو كان الجما نَ منظَّماً لم يُحمَلِ[٢]
يا طيرُ لولا أَنْ يقو لوا: جُنّ قلتُ: تعقَّلِ
إسمع فرُبَّ مفصِّل لك لم يفدك كمجمِلِ
صبراً لِمَا تشقى به أو ما بدا لك فافعلِ
أنتَ ابنُ رأيي للطبيـ ـعة فيك غيرِ مبدَّلِ
أبداً مَرُوعٌ بالإسا ر مهدَّدٌ بالمقتلِ[٣]
إنْ طرتَ عن كنفي وقعـ ـتَ على النسورِ الجهَّلِ[٤]

❊ ❊ ❊

يا طيرُ والأمثالُ تُضْـ ـرَبُ للّبيبِ الأمثلِ[٥]
دنياك من عاداتِها ألَّا تكونَ لأعزلِ[٦]
أو للغبيّ وإنْ تعلَّـ ـل بالزمان المقبلِ
جُعِلت لِحُرّ يُبتلَى في ذي الحياةِ ويَبتلِي
يَرمي ويُرمَى في جها دِ العيشِ غيرَ مغفَّلِ
مستجمع كالليثِ إنْ يُجهَلْ عليه يَجهلِ[٧]
أسَمِعْتَ بالحكَمَيْن في الـ ـإسلام يوم (الجَندلِ)[٨]
في الفتنة الكبرى ولو لا حكمةٌ لم تُشعَلِ[٩]
رضيَ الصحابةُ يوم ذٰ لك بالكتاب المُنزلِ[١٠]

---

(١) الشُّهَد: غرف العسل. (٢) الجمان: اللؤلؤ.
(٣) الإسار: الأسر. (٤) الكنف: الناحية.
(٥) الأمثل: الأفضل. (٦) الأعزل: من لا سلاح عنده.
(٧) المستجمع: المستعد لمواجهة الموقف بكل إمكانيته. يجهل عليه: يتسافه عليه.
(٨) الحكمان في الإسلام: هما، أبو موسى الأشعري وقد ٱرتضاه الإمام علي بن أبي طالب حكماً، وعمرو بن العاص وقد ٱختاره معاوية بن أبي سفيان حكماً، الجندل: اسم موضع.
(٩) لولا حكمة: أي لولا حكمة أرادها اللّٰه تعالى لم تشعل تلك الفتنة.
(١٠) رضي الصحابة... إلخ: إشارة إلى رفع المصاحف على أطراف الأسنَّة من قبل=

وهُـمُ الـمـصـابـيـحُ الـرّوا ةُ عـن الـنـبـيّ الـمـرسَـلِ
قـالـوا: الـكـتـابُ وقـام كـلُّ مـفـسِّـر ومـؤوِّلِ
حـتـى إذا وسـعـت (مـعـا ويـةً) وضـاق بـهـا (عـلِـي)[١]
رجـعـوا لـظـلـم كـالـطـبَـا ئـع فـي الـنُّـفـوس مـؤصَّـلِ
نـزلـوا عـلـى حـكـم الـقـو يّ وعـنـد رأي الأحـيَـلِ[٢]
صـدَّاحُ حـقٌّ مـا أقـو لُ حـفِـلـت أم لـم تـحـفـلِ
جـاورتَ أَنْـدى روضـةٍ وحـلـلـتَ أكـرم مـنـزلِ
بـيـن الـحـفـاوةِ مـن (حُـسـيـ ـنٍ) والـرعـايـةِ مـن (عـلِـي)
وحـنـانِ (آمـنـةٍ) كـأمِّـكَ فـي صـبـاكَ الأوّلِ[٣]
صـحْ بـالـصـبـاح وبـشـر الـ ـأبـنـاء بـالـمـسـتـقـبـلِ
واْسـأل لـمـصـرَ عـنـايـةً تـأتـي وتـهـبـط مـن عَـلِ
قُـل ربَّـنـا اْفـتـح رحـمـةً والـخـيـر مـنـك فـأرسـلِ
أدرك كـنـانـتَـك الـكـريـ ـمـةَ ربَّـنـا وتـقـبّـلِ

= أصحاب معاوية عندما تأكدوا من الهزيمة، فاْستجاب الإمام علي أن ينزلوا وإياهم على كتاب اللّه، وأمر أصحابه بالكفّ عن الحرب.

(١) حتى إذا وسعت معاوية: أي حتى إذا وسعت ولاية الأمر معاوية، بسبب أن الحيلة التي قطعها عمرو بن العاص، جازت على أبي موسى الأشعري، رجعوا لظلمٍ... إلخ.

(٢) الأحْيَل: الأكثر حيلة.

(٣) حسين وعلي وآمنة: أبناؤه.

العِلْم والتّعليم وواجب المعلّم(*)

[من الكامل]

قُمْ لِلمعلِّمِ وفِّهِ التّبجيلَا
كَادَ المعلِّمُ أَنْ يكونَ رسولَا
أعلمتَ أشرفَ أو أجلَّ من الذي
يبني ويُنشئ أَنْفساً وعقولَا؟
سبحانك اللّهمَّ، خيرَ معلمٍ
علّمتَ بالقلمِ القرونَ الأولَى
أخرجتَ هذا العقلَ من ظلماتِه
وهديتَه النورَ المبينَ سبيلَا
وطبعتَه بيدِ المعلِّمِ تارةً
صَدِئَ الحديدِ، وتارةً مصقولَا(١)
أرسلتَ بالتوراةِ موسى مرشِداً
وابنَ البتولِ فعلَّم الإنجيلَا(٢)
وفجَرتَ يَنبوع البيانِ محمداً
فسقى الحديثَ وناولَ التّنزيلَا(٣)
علَّمتَ يونانَاً ومصرَ فزالتا
عن كلِّ شمسٍ ما تُريد أُفولَا

(*) «ألقيت هذه القصيدة في حفل نادي مدرسة المعلمين العليا».
(١) طبع السيف: صاغه. صدئ الحديد: غير مصقول.
(٢) البتول: لقب السيدة مريم العذراء عليها السلام.
(٣) التنزيل: القرآن الكريم.

والـيـومَ أصـبـحـتـا بـحـالِ طُـفـولـةٍ
فـي الـعـلـم تـلـتـمـسـانِـه تـطـفـيـلَا[١]
مـن مَـشْـرقِ الأرض الـشُّـمـوسُ تـظـاهـرتْ
مـا بـالُ مـغـرِبـهـا عـلـيـه أُديـلَا[٢]
يـا أرضُ مُـذْ فـقـدَ الـمـعـلـمُ نـفـسَـه
بـيـن الـشُّـمـوسِ وبـيـن شـرقِـك حـيـلَا
ذهـب الـذيـن حَـمـوْا حـقـيـقـةَ عـلـمِـهـم
وٱسـتـعـذبـوا فـيـهـا الـعـذابَ وبـيـلَا
فـي عـالـم صـحِـبَ الـحـيـاةَ مـقـيَّـداً
بـالـفـردِ، مـخـزومـاً بـه، مـغـلـولَا[٣]
صـرعـتـه دنـيـا الـمـسـتـبـدّ كـمـا هـوتْ
مـن ضـربـةِ الـشـمـسِ الـرؤوسُ ذهـولَا
سُـقـراطُ أعـطـى الـكـأسَ وهـي مـنـيّـةٌ
شـفَـتَـيْ مـحِـبٍّ يـشـتـهـي الـتّـقـبـيـلَا
عـرضـوا الـحـيـاة عـلـيـه وهـي غـبـاوةٌ
فـأبـى وآثـر أنْ يـمـوت نـبـيـلَا[٤]
إنّ الـشـجـاعـة فـي الـقـلـوبِ كـثـيـرةٌ
ووجـدتُ شـجـعـانَ الـعـقـولِ قـلـيـلَا

❊ ❊ ❊

إنّ الـذي خـلـق الـحـقـيـقـةَ عـلـقـمـاً
لـم يُـخـلِ مـن أهـلِ الـحـقـيـقـة جـيـلَا
ولـربـمـا قَـتَـلَ الـغـرامُ رجـالـهـا
قُـتِـل الـغـرامُ، كـم ٱسـتـبـاحَ قـتـيـلَا

(١) التطفيل: التطفل. (٢) أُديل: أي فاقه وٱنتزع منه الدولة.
(٣) مخزوم به: مسخّر له. يقال: خزم أنف فلان، أي أَذَلَّهُ وسَخَّرَهُ.
(٤) النبل: هنا بمعنى الذكاء.

أو كـلُّ مَـنْ حـامـى عـن الـحـق ٱقـتـنـى
عـنـد الـسّـواد ضـغـائـنـاً وذُحـولَا[١]
لـو كـنـتُ أعـتـقـدُ الـصـلـيـبَ وخَـطْـبـه
لأقـمـتُ مـن صَـلْـبِ الـمـسـيـحِ دلـيـلَا
أمـعـلّـمِـي الـوادي وسـاسـةَ نـشـئـه
والـطـابـعـيـنَ شـبـابـه الـمـأمـولَا
والـحـامـلـيـنَ إذا دُعـوا لـيُـعـلِّـمـوا
عـبءَ الأمـانـةِ فـادحـاً مـسـؤولَا
كـانـت لـنـا قـدمٌ إلـيـه خـفـيـفـةٌ
ورمَـتْ (بـدنـلـوبٍ) فـكـان الـفـيـلَا[٢]
حـتـى رأيـنـا مـصـرَ تـخـطـو إصـبَـعـاً
فـي الـعـلـم، إنْ مـشـتِ الـمـمـالـك ميـلَا
تـلـك الـكـفـورُ وحَـشْـوُهـا أُمّـيـةٌ
مـن عـهـد (خـوفـو) لـم تـر الـقِـنـديـلَا
تـجـدُ الـذيـن بـنـى الـمِـسـلَّـة، جـدُّهـم
لا يُـحـسـنـون لإبـرةٍ تـشـكـيـلَا
ويُـدَلـلـون إذا أُريـدَ قِـيـادُهـم
كـالـبُـهْـمِ تـأنـسُ إذ تـرى الـتّـدلـيـلَا
يـتـلـو الـرِّجـالُ عـلـيـهـمُ شـهـواتِـهـم
فـالـنـاجـحـون ألـذُّهـم تـرتـيـلَا
ألـجـهـلُ لا تـحـيـا عـلـيـه جـمـاعـةٌ
كـيـف الـحـيـاةُ عـلـى يَـدَيْ عِـزريـلَا؟

---

(١) الذحول: مفردها ذحل وهو الثأر.

(٢) الفِيْل: المقصود داء الفيل، وهو مرض يحدث منه غِلَظٌ كثيف في القدم والساق تتخلّله عجر صغيرة ناتئة. دنلوب: مستشار إنكليزي مُنيت به نظارة المعارف المصرية فأساء إلى العلم والتعليم.

واللَّـهِ لـولا ألسُـنٌ وقـرائـحٌ
دارت عـلـى فِـطَـنِ الـشـبـاب شـمـولَا[١]
وتـعـهـدتْ مـن أربـعـيـن نـفـوسَـهـم
تـغـزو الـقـنـوطَ وتـغـرِسُ الـتّـأمـيـلَا
عـرفـتْ مـواضـعَ جـدبـهـم فـتـتـابـعـتْ
كـالـعـيـنِ فـيـضـاً والـغـمـامِ مـسـيـلَا
تُسدي الجميل إلى البلاد وتستحي
مـن أَنْ تُـكـافـأ بـالـثَّـنـاء جـمـيـلَا
مـا كـان (دنـلـوبٌ) ولا تـعـلـيـمُـه
عـنـد الـشـدائـد يُـغـنـيـانِ فـتـيـلَا

❊ ❊ ❊

رَبُّـوا عـلـى الإنـصـاف فـتـيـان الـحِـمَـى
تـجـدوهـمُ كـهـفَ الـحـقـوق كـهـولَا
فـهـو الـذي يـبـنـي الـطـبـاع قـويـمـةً
وهـو الـذي يـبـنـي الـنـفـوس عُـدولَا
ويـقـيـمُ مـنـطـقَ كـلِّ أعـوجِ مـنـطـقٍ
ويُـريـه رأيـاً فـي الأمـور أصـيـلَا
وإذا الـمـعـلـمُ لـم يـكـن عـدلاً مـشـى
روحُ الـعـدالـةِ فـي الـشـبـابِ ضـئـيـلَا
وإذا الـمـعـلـمُ سـاء لـحـظَ بـصـيـرةٍ
جـاءت عـلـى يـده الـبـصـائـرُ حُـولَا[٢]
وإذا أتـى الإرشـادُ مـن سـبـب الـهـوى
ومـن الـغـرورِ فـسـمِّـه الـتّـضـلـيـلَا

(١) الفطن: مفردها فطنة وهي الذكاء. الشَّمول: الخمر.
(٢) الحُوْل: مفردها حولاء، وهي مَنْ في عينها حَوَل، أي أن تميل إحدى الحدقتين إلى الأنف والأخرى إلى الصُّدْغ.

وإذا أصيب القومُ في أخلاقهم
فأقِمْ عليهم مأتماً وعويلَا
إني لأعذُركم وأحسبُ عبئَكم
من بين أعباءِ الرجال ثقيلَا
وجد المساعدَ غيركم وحُرِمْتمُ
في مصرَ عون الأمهاتِ جليلَا
وإذا النساءُ نشأن في أُمِّية
رضَع الرجالُ جهالةً وخمولَا
ليس اليتيمُ من انتهى أبواهُ من
همِّ الحياةِ، وخلَّفاه ذليلَا
فأصاب بالدُّنيا الحكيمةِ منهما
وبحسن تربيةِ الزمان بديلَا!
إنّ اليتيمَ هو الذي تلقى له
أُمًّا تخلّت، أو أباً مشغولَا[1]

❊ ❊ ❊

مصرٌ إذا ما راجعتْ أيامَها
لم تلقَ للسَّبت العظيم مثيلَا[2]
ألبرلمانُ غداً يُمدُّ رواقه
ظلاً على الوادي السعيدِ ظليلَا
نرجو إذا التّعليمُ حرّكَ شجوَه
ألّا يكون على البلاد بخيلَا
قلْ للشباب: اليومَ بُورِكَ غرسُكم
دنتِ القطوفُ وذُلِّلت تذليلَا

(١) أماً تخلّت: أي تخلّت عن تربيته الصالحة. أو أباً مشغولاً: أي انشغل عن العناية به وتهذيبه.
(٢) السبت العظيم: هو يوم السبت الواقع فيه ١٥ مارس ١٩٢٤م الذي افتُتِح فيه (البرلمان) الأول. وكان هذا اليوم قريباً من يوم الاحتفال.

حـيُّـوا مـن الـشـهـداءِ كـلَّ مـغـيَّـبٍ
وضـعـوا عـلـى أحـجـارِهِ إكـلـيـلَا
لـيـكـون حـظ الـحـيّ مـن شُـكـرانـكـم
جـمَّـا وحـظُّ الـمـيْـتِ مـنـه جـزيـلَا
لا يـلـمـسُ الـدسـتـورُ فـيـكـم روحَـه
حـتـى يـرى جـنـديَّـه الـمـجـهـولَا[1]
نـاشـدتُـكـم تـلـك الـدمـاءَ زكـيـةً
لا تـبـعـثـوا لـلـبـرلـمـان جـهـولَا
فـلـيـسـألـنَّ عـن الأرائـكِ سـائـلٌ
أحـمـلـنَ فـضـلاً أم حـمـلـنَ فُـضـولَا
إنْ أَنْـتَ أطـلَـعـتَ الـمـمـثِّـلَ نـاقـصـاً
لـم تـلـقَ عـنـد كـمـالـه الـتّـمـثـيـلَا
فـادْعـوا لـهـا أهـلَ الأمـانـة وادْجـعـلـوا
لأولـي الـبـصـائِـرِ مـنـهـمُ الـتّـفـضـيـلَا
إنّ الـمـقـصِّـرَ قـد يـحـولُ ولـن تـرى
لـجـهـالـةِ الـطـبـعِ الـغـبـيّ مـحـيـلَا
فـلـرُبَّ قـولٍ فـي الـرجـالِ سـمـعـتُـمُ
ثـم ادْنـقـضـى فـكـأنـه مـا قـيـلَا
ولَـكَـمْ نـصـرتـم بـالـكـرامـة والـهـوى
مَـنْ كـان عـنـدَكـمُ هـو الـمـخـذولَا
كـرم وصـفـحٌ فـي الـشـبـابِ وطـالـمـا
كـرُمَ الـشـبـابُ شـمـائـلاً ومـيـولَا
قـومـوا ادْجـمـعـوا شُـعَـب الأبـوّةِ وادْرفـعـوا
صـوت الـشـبـاب مـحـبَّـبـاً مـقـبـولَا

(١) يقصد بالجندي المجهول، كل مَنْ يعمل بتفانٍ وتضحية بعيداً عن الأضواء دون انتظار الجزاء.

مـــا أبـــعـــدَ الـــغـــايـــاتِ إلّا أَنّـــنـــي
أجـد الـثـبـاتَ لـكـم بـهـنَّ كـفـيـلَا
فَـكِـلُـوا إلـى الـلَّـهِ الـنـجـاحَ وثـابـروا
فـــالـــلَّـــهُ خـــيـــرٌ كـــافـــلاً ووكـــيـــلَا

بنك مِصر(*)

[من البسيط]

قِفْ بالممالكِ وانظرْ دولةَ المالِ
وانذكرْ رجالاً أدالوها بإجمالِ
وانقلْ ركابَ القوافي في جوانبها
لا في جوانب رسمِ المنزلِ البالِي
ما هيكلُ الهرَم الجيزِيّ من ذهبٍ
في العين أزين من بنيانها الحالِي
علا بها الحرصُ أركاناً وأخرجها
على مثالٍ من الدُّنيا ومِنوالِ
فيها الشقاءُ لقوم والنعيم لهم
وبؤسُ ساعٍ ونُعمَى قاعدٍ سالِي
والمالُ مُذْ كان تمثالٌ يُطافُ به
والناسُ مُذْ خُلِقوا عُبَّادُ تمثالِ
إذا جفا الدورَ فانْعَ النازلين بها
أو الممالك فاندبها كأطلالِ
يا طالباً لمعالي الملك مجتهداً
خذْها من العلم أو خُذْها من المالِ
بالعلم والمال يبني الناسُ مُلكهُمُ
لم يُبْنَ ملكٌ على جهلٍ وإقلالِ
سراةَ مصر عهدناكم إذا بُسطتْ
يدُ الدعاءِ سراعاً غيرَ بُخَّالِ

(*) «قيلت هذه القصيدة في الاحتفال بإنشاء بنك مصر بدار الأوبرا الملكية».

تـبـيّـنَ الـصـدقُ مـن بـيـنِ الأمـور لـكـم
فـأمـضـوا إلـى الـمـاء لا تُـلـوُوا عـلـى الآلِ[1]
لا يـذهـب الـدهـرُ بـيـن الـتّـرهـاتِ بـكـم
وبـيـن زهـرٍ مـن الأحـلام قـتّـالِ
هـاتـوا الـرجـالَ وهـاتـوا الـمـال وٱحـتـشـدوا
رأْيـاً لـرأْيٍ ومـثـقـالاً لـمـثـقـالِ
هـذا هـو الـحـجـرُ الـدرِّيُّ بـيـنـكُـمُ
فـأبـنـوا بِـنـاءَ قـريـشٍ بـيـتَـهـا الـعـالِـي
دارٌ إذا نـزلـتْ فـيـهـا ودائـعـكُـم
أودعـتـمُ الـحَـبَّ أرضـاً ذاتَ إغـلالِ
آمـالُ مـصـرَ إلـيـهـا طـالـمـا طـمـحـتْ
هـل تـبـخـلـونَ عـلـى مـصـرٍ بـآمـالِ؟
فـأبـنـوا عـلـى بـركـاتِ الـلّـه وٱغـتـنـمـوا
مـا هـيـأ الـلّـهُ مـن حـظٍّ وإقـبـالِ

(١) الآل: السّراب.

مرْحَباً بالهِلال(*)

[من الكامل]

ألـعـامُ أقـبـلَ قُـمْ نُـحَـيِّ هـلالَا
كـالـتَّـاج فـي هـام الـوجـود جـلالَا
طُـغـرَى كـتـابِ الـكـائـنـات لـقـارئٍ
يـزِنُ الـكـلامَ ويَـقـدُرُ الأقـوالَا
مـلـكَ الـسـمـاءَ فـكـان فـي كُـرسـيِّـهِ
بـيـن الـمـلائـكِ والـمـلـوك مِـثـالَا
تـتـنـافـسُ الآمـالُ فـيـه كـأنـه
ثـغـرُ الـعـنـايـةِ ضـاحَـكَ الآمـالَا
والـشـمـسُ تُـزلِـفُ عـيـدَهـا وتـزُفّـه
بـشـرَى بـمـطـلـعِـه الـسـعـيـدِ وفـالَا(١)
عـيـدُ الـمـسـيـح وعـيـدُ أحـمـدَ أقـبـلَا
يـتـبـاريـان وضـاءةً وجـمـالَا
مـيـلادُ إحـسـانٍ وهـجـرةُ سُـؤدُدٍ
قـد غـيَّـرا وجـه الـبـسـيـطـةِ حـالَا

* * *

قـمْ لـلـهـلالِ قـيـامَ مـحـتـفِـلٍ بـه
أثـنَـى وبـالـغ فـي الـثـنـاءِ وغـالَـى
نـورُ الـسـبـيـل، هَـدَى لـكـلِّ فـضـيـلـةٍ
يَـهـدي الـحـكـيـمُ لـهـا، وسـنّ خِـلالَا

(*) «قيلت هذه القصيدة بمناسبة رأس السنة الهجرية عام ١٣٢٩هـ».
(١) تُزلف: تُقدّم وتُقرّب.

مـا بـيـنَ مـولِـدِهِ وبـيـنَ بـلـوغـه
مـلأَ الـحـيـاة مـآثـراً وفِـعـالَا
مـتـواضـعٌ والـلَّـهُ شـرّف قـدرَه
بـالـشـمـسِ نِـدًّا والـكـواكـب آلَا[1]
مـتـودِّدٌ عـنـد الـكـمـال تـخـالُـه
فـي راحـتـيـك، وعَـزَّ ذاك مَـنـالَا
وافٍ لـجـارةِ بـيـتِـهِ يـرعـى لـهـا
عـهـدَ الـسـمـوألِ عُـروة وحِـبـالَا[2]
عَـوْنُ الـسُّـراة عـلـى تـصـاريـفِ الـنـوى
أمِـنـوا عـلـيـه وحْـشَـةً وضـلالَا[3]
ويُـصـانُ مـن سـرِّ الـصـبـابـةِ عـنـدَه
مـا بـاتَ عـنـد الأكـثـريـن مُـذالَا[4]
ويُـشَـكُّ فـيـه فـلا يُـكـلِّـف نـفـسَـه
غـيـرَ الـتّـرفّـع والـوقـار نِـضـالَا
سـاءت ظـنـونُ الـنـاس حـتـى أحـدثـوا
لـلـشـك فـي الـنـور الـمـبـيـن مـجـالَا
والـظـن يـأخـذ فـي ضـمـيـرك مـأخـذاً
حـتـى يُـريـك الـمـسـتـقـيـم مـحـالَا
ومـن الـعـجـائـبِ عـنـد قـمـةِ مـجـدِه
رام الـمـزيـدَ، فـجـدّ فـيـه، فـنـالَا
يـطـوي إلـى الأوْجِ الـسـمـاواتِ الـعُـلَا
ويـشـدُّ فـي طـلـبِ الـكـمـالِ رِحـالَا

---

(١) النّد: المثيل أو النظير. الآل: الأهل.
(٢) جارة بيته: كناية عن كوكب الزهرة، وبيته هو الهالة التي تحيط به.
(٣) السراة: السائرون ليلاً.
(٤) السّر المُذال: السّر الذي لا يكتم.

ويَـفُـلُّ مـن هُـوجِ الـريـاحِ عـزائـمـاً
ويَـدُكُّ مـن مـوْجِ الـبـحـار جـبـالَا
ويُـضـيءُ أثـنـاء الـخـمـائـلِ والـرُّبَـى
حـتـى تـرى أسـحـارَهـا آصـالَا
ويَـجـولُ فـي زُهـرِ الـريـاض كـأنـه
صَـيْـبُ الـربـيـعِ مـشـى بـهـنّ وجـالَا[1]

❊ ❊ ❊

أُمـمَ الـهـلال، مـقـالـةً مـن صـادقٍ
والـصـدقُ أليـقُ بـالـرجـال مـقـالَا
مـتـلـطّـفٍ فـي الـنّـصـحِ غـيـرِ مـجـادِلٍ
والـنّـصـحُ أضـيـعُ مـا يـكـون جِـدالَا
مـن عـادة الإسـلام يـرفـعُ عـامـلاً
ويـسـوّدُ الـمِـقـدامَ والـفـعَّـالَا
ظـلَـمَـتْـه ألـسـنـةٌ تـؤاخـذُه بـكـم
وظـلَـمْـتـمـوه مـفـرّطـيـن كـسـالَـى
هـذا هـلالُـكُـمُ تـكـفّـلَ بـالـهُـدَى
هـل تـعـلـمـون مـع الـهـلال ضـلالَا؟
سَـرتِ الـحـضـارةُ حـقـبـةً فـي ضـوئـه
ومـشـى الـزمـانُ بـنـورِهِ مـخـتـالَا
وبـنـى لـه الـعـربُ الأجـاودُ دُولـة
كـالـشـمـس عـرشـاً والـنـجـوم رجـالَا
رفـعـوا لـه فـوق الـسّـمـاكِ دعـائـمـاً
مـن عـلـمـهـم ومـن الـبـيـان طِـوالَا[2]

(١) الصّيْب: المطر.
(٢) السّماك: كوكب.

أللَّـهُ جـلَّ ثـنـاؤه بـلـسـانـهـم
خـلـق الـبـيـان وعـلَّـم الأمـثـالَا
وتـخـيَّـرَ الأخـلاق أحـسـنَـهـا لـهـم
ومـكـارِمُ الأخـلاق مـنـه تـعـالَـى
كـالـرّسْـلِ عـزمـاً والـمـلائِـك رحـمـة
والأسْـدِ بـأسـاً والـغـيـوثِ نـوالَا
عَـدلـوا فـكـانـوا الـغـيـثَ وقـعـاً كـلـمـا
ذهـبـوا يـمـيـنـاً فـي الـورى وشـمـالَا
والـعـدلُ فـي الـدُّولاتِ أُسٌّ ثـابـتٌ
يُـفـنِـي الـزمـانَ ويُـنـفِـدُ الأجـيـالَا
أيـام كـان الـنـاس فـي جَـهـلاتـهـم
مـثـل الـبـهـائـم أُرسـلـتْ إرسـالَا
مـن جـهـلِـهـم بـالـديـن والـدُّنـيـا مـعـاً
عـبـدوا الأصـمَّ وألَّـهـوا الـتِّـمـثـالَا
ضـلّـوا عـقـولاً بـعـد عـرفـانِ الـهـدى
والـعـقـلُ إنْ هـو ضـلَّ كـان عِـقـالَا[1]
حـتـى إذا ٱنـقـسـمـوا تـقـوَّضَ مُـلْـكُـهُـم
والـمُـلْـكُ إنْ بَـطَـل الـتّـعـاونُ زالَا
لـو أَنّ أبـطـالَ الـحـروبِ تـفـرّقـوا
غـلـب الـجـبـان عـلـى الـقَـنـا الأبـطـالَا

(١) العِقال: القيد. وأصل العقال، حبل يُشَدّ به البعير.

يا شبابَ الدّيار(*)

[من الخفيف]

غـالِ فـي قـيـمـةِ ابـن بُـطـرسَ غـالِـي
عَـلِـمَ الـلّـهُ لـيـس فـي الـحـقِّ غـالِـي(١)
نـحـتـفـي بـالأديـب، والـحـقُّ يـقـضـي
وجـــلالُ الأخـــلاق والأعـــمـــالِ
أدبُ الأكـــثـــريـــن قـــولٌ، وهـــذا
أدبٌ فـــي الـــنـــفـــوسِ والأفـــعـــالِ
يُـظـهـرُ الـمـدح رونَـق الـرجـلِ الـمـا
جِـد، كـالـسـيـفِ يـزدهـي بـالـصِّـقـالِ(٢)
رُبَّ مـدح أذاع فـي الـنـاس فـضـلاً
وأتـــاهـــم بـــقـــدوةٍ ومـــثـــالِ
وثـنـاءٍ عـلـى فـتـىً عـمَّ قـومـاً
قـيـمـةُ الـعـقـدِ حُـسـنُ بـعـضِ الـلآلِـي
إنـمـا يـقـدُرُ الـكـرامَ كـريـمٌ
ويُـقـيـمُ الـرجـالُ وزنَ الـرجـالِ(٣)

(*) «قيلت هذه القصيدة في تكريم واصف غالي باشا سنة ١٩٠٦م (واصف غالي بك يومئذ). ولعلّها كانت أول دعوة إلى اتحاد عنصرَيْ هذه الأمة الكريمَيْن، ولعلّ صاحب الديوان كان يتكشف له الغيب فيرى خيال هذا الاتحاد ويدعو إليه والناس عنه عمون، وحديث المؤتمرين ما زال يومئذ ملء الأفواه والأسماع. ولقد شاء اللّه أن يستجيب دعاءه، وأن يربط بين الأخوين برباط مقدّس كان لصاحب الديوان فضل الخيط الأول في نسيجه».

(١) غالى في الأمر: بالغ فيه. غالي: اسم عائلة أو لقب والد المكرّم.

(٢) الصِّقال: من صقل السيف أي جلاه.

(٣) يَقْدُرُ: يُعظّم.

وإذا عــظَّــمَ الــبــلادَ بَــنــوهــا
أنــزلــتــهــم مــنــازِلَ الإجــلالِ
تــوجَّــتْ هــامــهــم كــمــا تــوَّجــوهــا
بــكــريــم مــن الــثــنــاءِ وغــالــي
إنــمــا (واصــف) بــنــاءٌ مــن الأخــ
ـلاق فــي دولــةِ الــمــشــارِق عــالِــي
ونــجــيــبٌ مــهــذَّبٌ مــن نــجــيــب
هــذَّبَــتْــهُ تــجــاربُ الأحــوالِ
واهــبُ الــمــالِ والــشــبــاب لِــمَــا يَــنـ
ـفَــعُ، لا لــلــهــوَى ولا لــلــضَّــلالِ
ومــذيــقُ الــعــقــولِ فــي الــغــرب مــمــا
عَــصَــرَ الــعُــرْبُ فــي الــسنــيــنَ الــخــوالِــي
في كتابٍ حوى المحاسن في الشِّعرِ وأوعى جوائزَ الأمثالِ[1]
مــن صــفــات كــأنــهــا الــعــيــن صــدقــاً
فــي أداء الــوجــوه والأشــكــالِ
ونــسيــب تــحــاذِرُ الــغــيــدُ مــنــه
شــرَكَ الــحــسـنِ أو شِــبــاكَ الــدَّلالِ
ونــظــامٍ كــأنــه فَــلــكُ الــلّــيـ
ـلِ إذا لاحَ وهــو بــالــزّهــر حــالِــي
وبــيــانٍ كــمــا تــجــلَّــى عــلــى الــرُّسْـ
ـلِ تــجــلَّــى عــلــى رُعــاةِ الــضَّــالِ[2]
مــا عــلِــمــنــا لــغــيــرهــم مــن لــسـان
زال أهــلــوه وهــو فــي إقــبــالِ

(١) يُشير إلى كتاب ألّفه واصف باشا وكان موضع تكريمه.
(٢) الضَّال: نوع من الشجر أكثر منابته الشواطئ الشمالية لأفريقيا. والمقصود بـ: رعاة الضَّال، رعاة الحيوان الذي يأكل الضّال، أي رعاة الإبل.

بـــلِـــيـــتْ هـــاشِـــمٌ، وبـــادتْ نـــزارٌ
والـلـســانُ الـمـبـيـنُ لـيـس بـبـالِـي
كـــلّـــمـــا هـــمَّ مـــجـــدُه بـــزوالٍ
قـــام فـــحـــلٌ فـــحـــالَ دونَ الـــزَّوالِ

❊ ❊ ❊

يـا بـنـي مـصـرَ، لـم أقـلْ أمّـة الـــ
ـقـبـطِ فـهـذا تـشـبُّـثٌ بـمـحـالِ
واحـتـيـالٌ عـلـى خـيـال مـن الـمـجـــ
ـد، ودعـوى مـن الـعِـراض الـطِّـوالِ
إنـمـا نـحـنُ مـسـلـمـيـنَ وقـبـطـاً
أمَّـــةٌ وُحِّـــدَتْ عـــلـــى الأجـــيـــالِ
سـبـق الـنّـيـلُ بـالأبـوّةِ فـيـنـا
فـهـو أصـل وآدمُ الـجـدُّ تـالِـي
نحن من طينةِ الكريم على اللَّه ومن مائِهِ القَراح الزُّلالِ[1]
مَـرَّ مـا مـرَّ مـن قـرونٍ عـلـيـنـا
رُسَّـفـاً فـي الـقـيـودِ والأغـلالِ
وٱنـقـضـى الـدهـرُ بـيـن زَغْـرَدَةِ الـعُـر
سِ وحَـثْـوِ الـتّـرابِ والإعـوالِ
مـا تـحـلّـى بـكـم يـسـوعُ ولا كُـنَّـا لِـطْـهَ ودينـهِ بـجـمـالِ
وتُـضـاعُ الـبـلاد بـالـنـوم عـنـهـا
وتُـضـاعُ الأمـورُ بـالإهـمـالِ
يـا شـبـابَ الـدّيـار، مـصـرُ إلـيـكـم
ولـواءُ الـعـريـنِ لـلأشـبـالِ
كـلَّـمـا رُوِّعـتْ بـشـبـهـةِ بـأسٍ
جـعـلـتـكـم مـعـاقِـلَ الآمـالِ

(١) الماء القراح: الماء الصافي.

هَـيِّـؤوهـا لِـمَـا يـلـيـقُ بـمـنـفٍ
وكـريـمِ الآثـار والأطـلالِ
وٱنـهـضـوا نـهـضـة الـشـعـوبَ لِـدُنـيـا
وحـيـاةٍ كـبـيـرةِ الأشـغـالِ
وإلـى الـلَّـهِ مَـنْ مَـشَـى بـصـلـيـبٍ
فـي يـديـهِ، ومَـنْ مـشـى بـهـلالِ

نَهْجُ البُرْدَة

[من البسيط]

ريـمٌ عـلـى الـقـاعِ بـيـن الـبـانِ والـعـلَـم
أَحَـلَّ سـفْـكَ دمـي فـي الأَشـهـرِ الـحُـرُمِ(١)

رمـى الـقـضـاءُ بـعـيـنَـيْ جُـؤذَرٍ أسـداً
يـا سـاكـنَ الـقـاعِ أدركْ سـاكـن الأجـمِ(٢)

لـمّـا رَنَـا حـدّثـتـنـي الـنـفـسُ قَـائـلـةً
يـا ويـح جنبِكَ بـالسّـهـم الـمُـصـيـبِ رُمِـي(٣)

جـحـدتُـهـا وكـتـمـتُ الـسّـهـمَ فـي كـبـدي
جُـرْحُ الأحـبّـة عـنـدي غـيـر ذي ألـمِ(٤)

رزقـتَ أسـمـح مـا فـي الـنـاس مـن خُـلُـقٍ
إذا رُزقـتَ الـتّـمـاسَ الـعـذْرِ فـي الـشِّـيَـمِ(٥)

يـا لائـمـي فـي هـواهُ والـهـوى قـدَرٌ
لـو شـفَّـك الـوجـد لـم تـعـذِلْ ولـم تـلُـمِ(٦)

لـقـد أَنَـلـتـك أُذْنـاً غـيـر واعـيـةٍ
وربَّ مـنـتـصـتٍ والـقـلـبُ فـي صَـمَـمِ(٧)

---

(١) الرِّيم: الظبي. القاع: الأرض السهلة المنبسطة. البان: نوع من الشجر. العلم: الجبل. الأشهر الحرم: وهي ذو القعدة، ذو الحجة، المحرم، ورجب. وكان العرب لا يستحلّون القتال في هذه الأشهر.

(٢) الجؤذر: ولد البقرة الوحشية. الأجم: الشجر الكثيف الملتف، وهو هنا عرين الأسد.

(٣) رَنَا: نظر مع سكون الطّرْف. يا ويح: عبارة تقال عند الوقوع في الشدة. وهو يستنجد له بالرأفة مما وقع فيه.

(٤) جحدتها: أنكرتها.

(٥) الشّيم: مفردها شيمة، أي الخلق والطبيعة.

(٦) شفَّه الوجدُ: أنحل جسمه.

(٧) منتصِت: ساكت سكوت استماع.

يـا نـاعـس الـطَّـرْفِ لا ذُقـتَ الـهـوى أبـداً
أسهرت مضْنَاكَ في حفظ الهوى، فنمِ[١]
أفـديـك ألـفـاً ولا آلُـو الـخـيـالَ فـدًى
أغـراك بـالـبـخـل مَـنْ أغـراهُ بـالـكـرمِ[٢]
سـرَى فـصـادف جُـرْحـاً دامـيـاً فـأسَـا
ورُبَّ فـضـلٍ عـلـى الـعـشّـاقِ لـلـحُـلُـمِ[٣]
مـن الـمـوائـس بـانـاً بـالـرُّبَـى وقَـنـاً
ألـلاعـبـاتُ بِـرُوحـي الـسـافِـحـاتُ دمِـي[٤]
ألـسـافِـراتُ كـأمـثـالِ الـبُـدور ضُـحًـى
يُغِرْن شمس الضُّحى بالحَلْي والعِصَمِ[٥]
ألـقـاتـلاتُ بـأجـفـانٍ بـهـا سَـقَـمٌ
ولـلـمـنـيَّـةِ أسـبـابٌ مـن الـسَّـقَـمِ
ألـعـاثِـراتُ بـألـبـابِ الـرجـال ومـا
أُقِـلـنَ مـن عـثـراتِ الـدَّلِّ فـي الـرَّسَـمِ[٦]
ألـمـضـرمـاتُ خُـدوداً أسـفـرتْ وجَـلـتْ
عـن فِـتـنـة تُـسْـلِـمُ الأكـبـادَ لـلـضَّـرَمِ[٧]

---

(١) الناعس: الوسنان. الطَّرْف: العين. المُضْنَى: الذي أثقله المرض، ومُضْنَاك: الذي أضنيته بما لحقه من الوجد عليك.
(٢) آلو: أمنع وأقصّر. أغراه بالشيء: زيّنه له.
(٣) سرى: سار في الليل. أسا الجرح: داواه.
(٤) الموائس: مفردها مائسة وهي المتبخترة. البان: نوع من الشجر، وغالباً ما يشبه فيه الحسناء للدونة أغصانها. القنا: الرماح. سفح الدم: سفكه.
(٥) السافرات: الكاشفات عن وجوههن. الحلي: ما تتزين به المرأة من الأحجار الكريمة. العصم: القلائد.
(٦) العثرة: الزلة والسقطة. أقاله من عثرته: أنهضه منها. الدَّل: الدّلال. الرّسم: حسن المشي.
(٧) الضَّرم: الاشتعال.

ألحاملاتُ لواءَ الحسن مختلفاً
أشكالُه وهو فردٌ غيرُ مُنقسِمِ[١]
من كلِّ بيضاءَ أو سمراءَ زُيِّنتا
للعين، والحُسنُ في الآرامِ كالعُصُمِ[٢]
يُرَعْنَ للبصرِ السامي، ومن عجبٍ
إذا أشَرْنَ أسَرْنَ الليثَ بالعنَمِ[٣]
وضعتُ خَدِّي وقسَّمْتُ الفؤاد رُبًى
يَرتَعْنَ في كُنُسٍ منه وفي أكَمِ[٤]
يا بنتَ ذي اللِّبَدِ المحميِّ جانِبُه
ألقاكِ في الغاب أم ألقاكِ في الأُطُمِ[٥]
ما كنتُ أعلم حتى عنَّ مسكنُه
أنَّ المُنَى والمنايا مضرِبُ الخِيَمِ[٦]
مَنْ أَنْبتَ الغصن من صمصامةٍ ذكرٍ؟
وأخرج الرِّيمَ من ضِرغامةٍ قرِمِ؟[٧]

(١) اللّواء: العَلَم. حَمَل لواء الحُسْن: كناية عن كمال الحُسْن فيه.
(٢) العُصُم: مفردها أعصم، وهو الذي فيه عُصمة، والعصمة: بياض اليدين.
(٣) يُرَعْنَ: يُخَفْنَ. العنم: شجرة ثمرتها حمراء تشبه البنان المخضبة.
(٤) وضعت خدي: كناية الخضوع. الكُنُس: مفردها كِناس، وهي مأوى الظباء في الشجر. الأكم: مفردها أكمة وهي التلّة العالية.
(٥) اللِّبَد: مفردها لبدة وهي الشعر المتهدّل بين كتفَيْ الأسد. الغاب: مفردها غابة، وهي الشجر الكثيف. الأطم: كل بناء محصّن، ومن معانيها أيضاً القصر أو الحصن.
(٦) عَنَّ: بان. المنايا: مفردها منيّة، أي الموت. مضرِب الخيم: الموضع الذي تقام فيه، أي المنزل.
(٧) الصمصامة: السيف. الضرغامة: الأسد. القرم: شديد الشهوة إلى اللحم. والصورة الشعرية أنه كيف يكون لمثل هذا الرجل الشبيه بالسيف في صلابته مثل هذه المعشوقة التي هي في رقّة الغصن ولُدونته.

بيني وبينكِ من سُمْرِ القنَا حُجُبٌ
ومثلُها عِفَّةٌ عُذْرِيَّةُ العِصَمِ(١)
لم أغْشَ مغناكِ إلّا في غضونِ كَرًى
مَغناكِ أبْعدُ للمشتاقِ من إرَمِ(٢)
يا نفسُ دنياكِ تُخْفي كلَّ مُبكيةٍ
وإنْ بدا لكِ منها حُسنُ مبتسَمِ(٣)
فُضِّي بتقواكِ فاها كلما ضَحِكتْ
كما يُفضُّ أذى الرَّقشاء بالثَّرَمِ(٤)
مخطوبةٌ منذُ كان الناسُ خاطبةٌ
من أوّلِ الدهر لم تُرْمِلْ ولم تَئِمِ(٥)
يَفْنَى الزمانُ ويبقى من إساءَتِها
جُرْحٌ بآدم يَبكي منه في الأدمِ(٦)
لا تحفلي بجناها أو جنايتها
ألموتُ بالزهر مثلُ الموتِ بالفحَمِ(٧)
كم نائمٍ لا يراها وهي ساهرةٌ
لولا الأمانيُّ والأحلام لم ينَمِ(٨)

(١) العفّة العُذْرية: ما نسب لقبيلة بني عذرة من العفاف في العشق. العِصَم: مفردها عصمة، وهي المنع والحفظ.
(٢) غشي المكان: أقبل عليه ووافاه. المغْنَى: المنزل الذي غني به أهله. الكرى: النوم. إرم: هي إرم ذات العماد التي ورد ذكرها في القرآن الكريم.
(٣) المبتسم: الابتسام، أو الثغر.
(٤) الرقشاء: الحيّة المنقطة باللونين الأبيض والأسود. أذى الرقشاء: سمّها. الثَّرَم: كسر السن.
(٥) أرملت المرأة: إذا مات عنها زوجها. آمت المرأة من زوجها: أصبحت أيِّماً، والأيّم هي التي لا زوج لها.
(٦) الأدم: الجلد.
(٧) الجَنَى: ما يُجنَى ويقطف من الثمار أو غيره.
(٨) كم نائمٍ: المراد بالنائم من غفل عن الدنيا ومصائبها.

طَـوْراً تـمـدُّك فـي نُـعْـمَـى وعـافـيـةٍ
وتـارةً فـي قـرَار الـبـؤسِ والـوَصـمِ[١]
كـم ضـلَّـلـتـكَ ومَـنْ تَـحـجـبْ بـصـيـرتَـه
إنْ يـلْـقَ صـابـاً يَـرِدْ أو عـلـقـمـاً يَـسُـمِ[٢]
يـا ويـلـتـاهُ لـنـفـسـي راعَـهـا ودَهـا
مـسـودَّةُ الـصُّـحْـفِ فـي مُـبـيَـضَّـةِ الـلِّـمَـمِ[٣]
ركـضْـتُـهـا فـي مَـرِيـعِ الـمـعـصِـيـاتِ ومـا
أخـذَتُ مـن حِـمْـيـةِ الـطـاعـات لـلـتُّـخَـمِ[٤]
هـامـت عـلـى أثـرَ الـلّـذاتِ تـطـلُـبـهـا
والـنـفـسُ إن يَـدْعُـهـا داعـي الـصِّـبـا تَـهـمِ[٥]
صـلاحُ أمـرِك لـلأخـلاقِ مـرجِـعُـه
فـقـوِّمِ الـنـفـسَ بـالأخـلاقِ تـسـتـقِـمِ
والـنـفـسُ مـن خـيـرِهـا فـي خـيـر عـافـيـةٍ
والـنـفـس مـن شـرِّهـا فـي مَـرْتـعٍ وَخِـمِ[٦]
تَـطْـغَـى إذا مُـكِّـنـتْ مـن لـذةٍ وهـوًى
طَـغْـيَ الـجِـيـادِ إذا عـضَّـت عـلـى الـشُّـكُـمِ[٧]

---

(١) الوَصَم: الألم.
(٢) الصاب: شجر مر. العلقم: الحنظل. يَسُم (مجزومة وهي جواب الشرط): من فعل سام، أي رعى.
(٣) راعها: أخافها. دَهَا: أي دَهَاهَا. مسودّة الصحف: كناية عن العمل السيىء. مبيضّة اللّمم: الشيب. اللّمم: مفردها لمة، وهي الشعر الذي يجاور الأذن.
(٤) ركضتها في مريع المعصيات: أي استحثثتها على العدو. والصورة الشعرية هي في إطلاق النفس في طريق غوايتها. أخذت من حِمْية الطاعات للتُّخَم: أي الطاعات التي تشبه الحمية. التُّخَم: مفردها تخمة، وهي فساد الطعام في المعدة.
(٥) هامت: شردت. داعي الصِّبا: اللهو والمرح.
(٦) المرتع: موضع الرتوع. والرتوع: أن تأكل الماشية ما شاءت في خصب وسعة. الوخم: الرديء.
(٧) الشُّكم: مفردها شكيمة وهي الحديدة المعترضة في لجام الفرس.

إنْ جَـلَّ ذَنـبـي عـن الـغـفـران لـي أمـلٌ
في اللَّـهِ يـجـعـلُـنـي في خـيْـرِ مـعـتـصـمِ[١]
أُلـقـي رجـائـي إذا عـزَّ الـمُـجـيـرُ عـلـى
مـفـرِّجِ الـكـرْبِ فـي الـداريْـنِ والـغُـمَـمِ[٢]
إذا خـفـضـتُ جَـنـاحَ الـذُّلِّ أسـألُـهُ
عِـزَّ الـشـفـاعـةِ لـم أَسـألْ سـوى أَمَـمِ[٣]
وإنْ تـقـدّم ذو تـقـوى بـصـالـحـةٍ
قـدّمـتُ بـيـن يـديـه عَـبْـرَةَ الـنّـدَمِ[٤]
لـزِمْـتُ بـابَ أمـيـر الأنـبـيـاءِ ومَـنْ
يُـمْـسِـكْ بـمـفـتـاحِ بـاب الـلَّـه يـغـتـنِـمِ[٥]
فـكـلُّ فـضـل وإحـسـانٍ وعـارفـةٍ
مـا بـيـن مـسـتـلـم مـنـه ومُـلْـتَـزمِ[٦]
عـلـقْـتُ مـن مـدحـهِ حـبـلاً أعَـزُّ بـه
فـي يـوم لا عِـزَّ بـالأنـسـابِ والـلُّـحَـمِ[٧]
يُـزرِي قـريـضـي (زُهَـيْـراً) حـيـن أمـدحُـه
ولا يـقـاسُ إلـى جـودي لـدَى (هـرِمِ)[٨]

---

(١) عصمة اللَّه للعبد: حفظه مما يهلكه. المعتصم: بمعنى الاعتصام.
(٢) المجير: المنقذ. مفرّج الكرب: هو الرسول الكريم ﷺ. الغمم: مفردها غمّة، وهي الهمّ والحزن.
(٣) خفض جناح الذل: كناية عن الإنكسار. الأَمَم: اليسير.
(٤) العَبْرة: الدمعة.
(٥) أمير الأنبياء: هو النبي محمد ﷺ. ولزوم بابه: كناية عن اللجوء إلى كرمه.
(٦) العارفة: المعروف.
(٧) اللُّحم: مفردها لُحمة، وهي التواصل والقربى.
(٨) يُزْري: يُعيب. القريض: الشعر. زهير: هو زهير بن أبي سُلمى الشاعر المعروف في العصر الجاهلي. هرِم: هو هرِم بن سنان. ولقد ارتبط اسم كل منهما بالآخر، فقد مدح زهيرٌ هَرِماً فأحسن، ووصل هرِمٌ زهيراً فأجزل.

مـحـمـدٌ صـفـوةُ الـبـاري ورحـمـتُـه
وبُـغـيَـةُ الـلَّـه مـن خـلْـقٍ ومـن نَـسَـمِ (١)
وصـاحـبُ الـحـوضِ يـومَ الـرُّسْـلُ سـائـلـةٌ
مـتَـى الـورودُ وجـبـريـل الأمـيـنُ ظَـمِـي (٢)
سـنـاؤهُ وسـنـاهُ الـشـمـس طـالـعـةٌ
فـالـجِـرْمُ فـي فـلَـكٍ والـضـوْءُ فـي عَـلَـمِ (٣)
قـد أخـطـأ الـنـجـمَ مـا نـالـتْ أُبُـوَّتُـه
مـن سـؤدُدٍ بـاذخٍ فـي مـظـهَـرٍ سـنِـمِ (٤)
نُـمُـوا إلـيـه فـزادوا فـي الـورَى شـرَفـاً
ورُبَّ أصـلٍ لـفـرْع فـي الـفـخـارِ نُـمِـي (٥)
حَـوَاهُ فـي سُـبُـحـاتِ الـطُّـهْـرِ قـبـلـهـمُ
نـوران قـامـا مـقـامَ الـصُّـلْـبِ والـرَّحِـمِ (٦)
لـمّـا رآهُ (بَـحـيـرا) قـال: نـعـرِفُـه
بِـمـا حـفِـظـنـا مـن الأسـمـاءِ والـسِّـيَـمِ (٧)
سـائـلْ حِـراءَ ورُوح الـقـدْسِ هـل عَـلـمـا
مـصـونَ سِـرٍّ عـن الإدراكِ مُـنْـكَـتِـمِ (٨)
كـم جـيـئـةٍ وذهـابٍ شُـرِّفـتْ بـهـمـا
بَـطـحـاءُ مـكّـةَ فـي الإصـبـاحِ والـغَـسَـمِ (٩)

---

(١) النسم: مفردها نسمة وهي الفرد من الناس أو النفس.
(٢) وجبريل الأمين ظمي: يعني أن حاله تقتضي ذلك إشفاقاً على حالهم، لما يرهقها من شدة الظمإ.
(٣) سناؤه: رفعته وشرفه. سناه: نوره. العَلَم: بمعنى العالم.
(٤) الأبوة: من صار أباً. السؤدد: المجد. الباذخ: العالي. السنم: المرتفع.
(٥) نُمُوا: نُسِبُوا.
(٦) السُّبُحات: مواضع السجود.
(٧) بَحيرا: هو الراهب النصراني المشهور. السِّيم: مفردها سيمة، أي علامة.
(٨) حِراء: جبل بمكة حيث كان يتعبد النبي ﷺ. روح القدس: هو جبريل عليه السلام.
(٩) البطحاء: المسيل من الماء فيه دُقاق الحصى. الغسم: ظلمة الليل.

ووحشةٍ لابنِ عبد اللَّهِ بينهما
أشهَى من الأنسِ بالأحباب والحشَمِ(١)
يُسامِرُ الوحيَ فيها قبلَ مَهبِطِه
ومَنْ يبشِّرْ بسيمى الخير يَتَّسِمِ(٢)
لمّا دعا الصَّحْبُ يستسقونَ من ظمإٍ
فاضتْ يداه من التّسنيمِ بالسَّنَمِ(٣)
وظلَّلتهُ فصارت تستظلُّ به
غمامةٌ جذَبَتْها خِيرةُ الدِّيَمِ(٤)
مَحبَّةٌ لرسولِ اللَّهِ أُشرِبَها
قعائدُ الدَّيْر والرُّهبانُ في القِممِ(٥)
إنّ الشمائلَ إنْ رَقّتْ يكاد بها
يُغرَى الجَمادُ ويُغرَى كلُّ ذي نَسَمِ
ونُوديَ ٱقرأْ تعالى اللَّهُ قائلُها
لم تتصِلْ قبلَ مَنْ قِيلتْ له بِفَمِ
هناك أَذَّنَ للرّحمنِ فٱمتلأتْ
أسماعُ مكّة من قُدْسِيّةِ النّغَمِ(٦)
فلا تسلْ عن قريشٍ كيف حيْرَتُها
وكيفَ نُفْرتُها في السهلِ والعَلَمِ(٧)

---

(١) الوحشة: الانقطاع عن الناس. ابن عبد اللَّه: هو النبي الكريم ﷺ. الحشم: الخدم الخصوصيون.
(٢) مهبطه: بمعنى هبوطه.
(٣) التسنيم: ماء في الجنة. السّنم: أي الماء المملوء.
(٤) الديم: مفردها ديمة، وهي المطر.
(٥) القعائد: المتنسكون. القمم: مفردها قمة، وهي أعلى الجبل.
(٦) أذّن للرحمن: دعا إلى اللَّه. قدسية النّغم: أي المطهرة المنزهة عن الغناء والتطريب.
(٧) فلا تسل: هي عبارة تقال عند وضوح الأمر. العَلَم: الجبل.

تساءلوا عن عظيمٍ قد ألَمَّ بهم
رمَى المَشايخ والولدان باللَّمَمِ[١]
يا جاهلِين على الهادي ودعوتِه
هل تجهلون مكان الصادِقِ العَلَمِ؟[٢]
لقَّبْتموهُ أمينَ القومِ في صِغرٍ
وما الأمين على قولٍ بمُتّهَمِ
فاق البُدور وفاق الأنبياءَ فكمْ
بالخُلْقِ والخَلق من حسْنٍ ومن عِظَمِ
جاءَ النَّبيُّون بالآياتِ فانصرمتْ
وجئتَنا بحكيم غيرِ مُنصَرِمِ[٣]
آياته كلما طال المدَى جُددٌ
يَزِينُهنّ جلالُ العِتْقِ والقِدمِ[٤]
يكاد في لفظةٍ منه مشرَّفةٍ
يوصِيك بالحقِّ والتقوى وبالرَّحمِ
يا أفصح الناطِقين الضَّادَ قاطبةً
حديثُك الشَّهدُ عند الذائقِ الفهِمِ
حَلَّيتَ من عَطلٍ جِيد البيانِ به
في كلِّ منتثرٍ في حسنِ منتظِمِ[٥]
بكلِّ قول كريم أنْت قائلُه
تُحْيي القلوب وتُحْيي ميِّتَ الهِمَمِ

---

(١) ألَمَّ: نزل ووقع. اللَّمَم: الجنون. والمعنى، أنهم أقبلوا يتساءلون عن الأمر العظيم الذي نزل بهم، فاستعظموه حتى جُنّ منه كبيرهم وصغيرهم.
(٢) العَلَم: الظاهر المشتهر. والجاهلون على الهادي تعني المتعنتين.
(٣) انصرمت: انقطعت. منصرم: منقطع. الحكيم: القرآن.
(٤) جدد: مفردها جديد.
(٥) العَطَل: كون المرأة بدون حليّ.

سَـرَتْ بـشـائِـرُ بـالـهـادي ومـولِـده
في الشَّرق والغرب مَسْرَى النور في الظُّلمِ
تـخـطـفـتْ مُـهَـجَ الـطّـاغـيـن مـن عـربٍ
وطـيَّـرتْ أَنْـفُـسَ الـبـاغـيـن مـن عَـجَـمِ[١]
رِيْـعَـتْ لـهـا شُـرفُ الإيـوان فـآنـصـدعـت
مـن صـدمـة الـحـق لا مـن صـدمـة الـقُـدُمِ[٢]
أتـيـتَ والـنـاس فـوْضَـى لا تـمُـرُّ بـهـم
إلّا عـلـى صـنـم قـد هـام فـي صَـنَـمِ
والأرضُ مـمـلـوءةٌ جَـوراً مـسـخـرةٌ
لـكـلِّ طـاغـيـةٍ فـي الـخـلـق مـحـتـكـمِ
مـسـيـطـرُ الـفُـرْس يـبـغـي فـي رعـيَّـتِـهِ
وقـيـصـرُ الـروم مـن كِـبْـرٍ أصـمُّ عَـمِ
يُـعـذِّبـان عـبـاد الـلَّـه فـي شُـبـهٍ
ويَـذبَـحـان كـمـا ضـحَّـيـتَ بـالـغـنَـمِ
والـخـلْـق يـفـتِـك أقـواهـم بـأضـعـفِـهـم
كـالـلـيـثِ بـالـبَـهْـم أو كـالـحـوتِ بـالـبَـلَـمِ[٣]
أسـرَى بـك الـلَّـه لـيـلاً إذ مـلائـكـهُ
والـرسْـلُ في المسجد الأقصى على قدَمِ[٤]
لـمّـا خـطـرْتَ بـه آلـتـفّـوا بـسـيِّـدِهـم
كـالـشُّـهْـبِ بـالـبـدر أو كـالـجُـنْـدِ بـالـعَـلـمِ

---

(١) مهج: مفردها مهجة وهي دم القلب.
(٢) رِيعت: خيفت. شُرف: مفردها شُرفة، وهي ما يُطَلّ منه من داخل القصور إلى خارجها. الإيوان: قصر السلطان. والمعنى أن هذه الشُّرف قد آرتجت وهوت ليلة مولد الرسول ﷺ من صدمة الحق لا من دَكِّ المعاول والقُدُم.
(٣) البَهْم: مفردها بَهْمة، وهي ولد الغنم والماعز. البلم: صغار السمك.
(٤) المسجد الأقصى: ثالث الحرمين في بيت المقدس. على قدم: أي في حال استنفار واحتشاد.

صلّى وراءك منهم كلُّ ذي خطرٍ
ومَنْ يفُزْ بحبيبِ اللَّه يأتمِمِ (١)

جُبْتَ السماوات أو ما فوقهنّ بهم
على مُنوّرةٍ درِّيَّةٍ اللُّجُمِ (٢)

رَكوبةٍ لك من عزٍّ ومن شرفٍ
لا في الجيادِ ولا في الأينُق الرُّسُمِ (٣)

مشيئةُ الخالق الباري وصنعتُه
وقدرة اللَّه فوق الشكِّ والتُّهَمِ

حتّى بلغتَ سماءً لا يُطارُ لها
على جناحٍ ولا يُسعى على قَدمِ

وقيل: كل نبيٍّ عند رُتبتِه
ويا محمدُ هذا العرشُ فاستلمِ

خطَطتَ للدين والدُّنيا علومَهما
يا قارئ اللَّوح بل يا لامِس القَلمِ (٤)

أحطْت بينهما بالسرِّ وانكشفتْ
لك الخزائنُ من عِلم ومن حِكمِ (٥)

وضاعف القربُ ما قُلِّدْت من مِنَنٍ
بلا عِدادٍ وما طُوِّقتَ من نِعمِ (٦)

---

(١) كلُّ ذي خطر: كلُّ ذي منزلة عظيمة. يأتمم: أي يأتم.

(٢) بهم: أي بملابسة بعضهم فيها. منوّرة درية اللّجم: أي: البراق.

(٣) المعنى، هذه الركوبة هي من أجل عزك وشرفك، وليست كالجياد والنوق مهما عُرفت بالشدة والقوة في السير.

(٤) المعنى، تعليم الناس وبث العلوم فيهم، وقراءة اللّوح ولمس القلم كناية عن إطلاع اللَّه له عن شيء من الغيب.

(٥) المعنى، في هذا البيت مستوحى من قول ابن عباس رضي اللَّه عنه: «علّمني ربي ليلة الإسراء علوماً شتّى، فعلم أَخذ عليّ كتمانه، وعلم خيّرني فيه، وعلم أمرني بتبليغه».

(٦) المعنى، أن قربه من اللَّه سبحانه قد أربى على كل ما وليه ﷺ من النِّعم التي لا حصر لها ولا عدّ.

سلْ عصبةَ الشِّرْكِ حول الغارِ سائمة
لولا مطاردةُ المختار لم تُسمِ[١]
هل أبصروا الأثرَ الوضّاء أم سمِعوا
همْسَ التّسابيحِ والقرآن من أَمَمِ؟[٢]
وهل تمثَّلَ نسجُ العنكبوتِ لهم
كالغابِ والحائماتُ الزُّغْبُ كالرَّخَمِ؟[٣]
فأدبروا ووجوه الأرض تلعنُهم
كباطلٍ من جلالِ الحق منهزِمِ[٤]
لولا يدُ اللَّهِ بالجاريْنِ ما سلِما
وعينُه حول ركنِ الدين لم يقمِ[٥]
توارَيا بجناح اللَّهِ واْستترا
ومَنْ يَضُمُّ جناحُ اللَّه لا يُضمِ[٦]
يا أحمدَ الخيْر ليْ جاهٌ بتسميَتي
وكيف لا يتسامى بالرسولِ سَمِي[٧]

(١) عصبة الشرك: أي أهل الشرك من الكفار الذين لحقوا به أثناء هجرته. الغار: بمعنى مغارة يلاذ إليها، ويقع في جَبَل أسفل مكة. سائمة: راعية.
(٢) من أمم: أي من قرب.
(٣) الغاب: مفردها غابة، وهي الشجر الكثير الملتف. الحائمات الزغب: الحمام. الرّخم: مفردها رخمة وهي طائر من الجوارح.
(٤) المعنى، تصوير إدبار الكفار على أعقابهم خائبين بدفع الباطل، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**﴾. واللاعنون هم أهل الإيمان يلعنون أهل الباطل والكفر.
(٥) الجاران: هما الرسول الكريم ﷺ وأبو بكر الصديق رضي اللَّه عنه. يد اللَّه: أي نعمته. وعينه: أي عنايته.
(٦) جناح اللَّه: لطف اللَّه وستره. ومن يَضُمُّ: أي ومن يَضُمُّه.
(٧) من أسماء الرسول الكريم ﷺ أحمد، وقد سُمّي الشاعر باسم «أحمد» تيمناً بالرسول الكريم ﷺ. يتسامى: يتعالى.

ألـمـادحـون وأربـابُ الـهـوى تَـبَـعٌ
لـصـاحـبِ الـبـردةِ الـفـيـحـاءِ ذي الـقَـدَمِ[١]

مـديـحُـه فـيـك حُـبٌّ خـالِـصٌ وهـوى
وصـادقُ الـحـبِّ يُـمـلِـي صـادقَ الـكَـلِـمِ[٢]

ألـلَّـهُ يـشـهـدُ أَنّـي لا أعـارضُـه
مَـنْ ذا يـعـارضُ صـوْبَ الـعـارض الـعـرِمِ[٣]

وإنـمـا أَنَـا بـعـض الـغـابـطـيـن ومَـنْ
يـغـبِـطْ ولـيَّـك لا يُـذمَـمْ ولا يُـلَـمِ[٤]

هـذا مـقـامٌ مـن الـرحـمـنِ مـقـتـبَـسٌ
تَـرْمـي مَـهَـابَـتُـهُ (سَـحـبـانَ) بـالـبَـكَـمِ[٥]

ألـبـدرُ دونـكَ فـي حـسـنٍ وفـي شـرفٍ
والـبـحـر دونـك فـي خـيْـرٍ وفـي كـرَمِ

شُـمُّ الـجـبـال إذا طـاولـتَـهـا انـخـفـضـت
والأنـجُـمُ الـزُّهْـرُ مـا واسـمـتَـهـا تـسـمِ[٦]

والـلـيـثُ دونـك بـأْسـاً عـنـد وثـبـتِـه
إذا مـشـيْـت إلـى شـاكـي الـسـلاح كَـمِـي[٧]

---

(١) تَبَعٌ: أي تابعون ومقتدون به. صاحب البردة: المقصود به الإمام البوصيري. ذو القدم: أي صاحب المنزلة الرفيعة.

(٢) مديحه حب: أي منبعه الحب أو أصله الحب.

(٣) الصّوْب: انصباب المطر. العارض: السحاب المعترض في الجو. العرم: الشديد القوي.

(٤) الغابط: الذي يتمنى لنفسه ما للغير. يُذْمم: أي يُذَمّ.

(٥) البَكَم: الخَرَس. سَحبان: هو سَحبان وائل الذي يُضرب المثل بفصاحته.

(٦) المعنى، أن الجبال الشّم تنخفض أمام قَدْر وشَرَف رسول اللّه ﷺ، وأن الأنجم الزّهْر تندحر وتُغلب أمام نور وجه الرسول الكريم ﷺ.

(٧) الكميّ: الفارس أو لابس السلاح.

تَـهـفـو إلـيـك وإنْ أَذمـيـت حَـبَّـتَـهـا
فـي الـحـربِ أفـئـدةُ الأبـطـالِ والـبُـهَـمِ[١]
مـحـبـةُ الـلَّـهِ ألـقـاهـا وهـيْـبـتُـه
عـلـى ابـنِ آمـنـةٍ فـي كـلِّ مـصـطـدَمِ[٢]
كـأنّ وجـهـك تـحـت الـنَّـقْـع بـدرُ دُجًـى
يُـضـيءُ مـلـتـثِـمـاً أو غـيـرَ مـلـتـثِـمِ[٣]
بـدرٌ تـطـلَّـع فـي بـدرٍ فـغُـرّتُـه
كـغـرّةِ الـنّـصـر تـجـلـو داجـيَ الـظُّـلَـمِ[٤]
ذُكـرْتَ بـالـيُـتـم فـي الـقـرآن تـكـرمـةً
وقـيـمـةُ الـلـؤلـؤِ الـمـكـنـون فـي الـيُـتُـمِ[٥]
ألـلَّـهُ قـسَّـمَ بـيـن الـنـاسِ رِزقَـهُـمُ
وأنـت خُـيِّـرْتَ فـي الأرزاقِ والـقِـسَـمِ[٦]
إنْ قـلـت فـي الأمْـرِ لا، أو قـلـت فـيـه نَـعَـمْ
فـخِـيـرَةُ الـلَّـهِ فـي لا مِـنـكَ أو نَـعَـمِ
أخـوكَ عـيـسـى دعَـا مـيْـتـاً فـقـام لـهُ
وأنـت أحْـيـيْـتَ أجـيـالاً مِـنَ الـرِّمـمِ

(١) تهفو الأفئدة: تميل القلوب وتنجذب نحو رسول اللَّه ﷺ. حبّة القلب: سويداؤه. البُهَم: مفردها بُهْمة أي الرجل الشجاع.
(٢) مُصطدم: أي ميدان المعركة، أو موضع الاصطدام.
(٣) النقع: الغبار الكثيف، أو غبار الحرب.
(٤) البدر: القمر المنير. في بدرٍ: أي في معركة (بدر) الشهيرة التي أعز اللَّه بها المسلمين ودحر المشركين، وبدر هي موضع بين مكة المكرمة والمدينة المنورة.
(٥) اليُتم: هو فقدان الأب. وقيمة اللؤلؤ المكنون في اليُتم: أي قيمته في عدم وجود نظير له.
(٦) ومعنى البيت يشير إلى تقسيم الأرزاق بين الناس، وكيف أن رسول اللَّه ﷺ قد خُيِّر في الأرزاق والقِسم فقال في رواية عن الترمذي: «عرض عليّ ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً».

والـجـهْـلُ مَـوْتٌ فـإنْ أُوتِـيـت مُـعْـجِـزةً
فآبعثْ من الجهلِ أو فآبعثْ من الرَّجَمِ[١]

قـالـوا غَـزَوْتَ، ورُسْـلُ الـلَّـهِ مـا بُـعـثـوا
لـقـتْـل نـفـسٍ ولا جـاؤُوا لِـسَـفـكِ دمِ

جـهـلٌ وتـضـلـيـلُ أحـلام وسَـفـسـطَـةٌ
فـتـحـتَ بـالـسـيـفِ بـعـدَ الـفـتـحِ بـالـقَـلَـمِ

لـمَّـا أتـى لـكَ عـفـواً كـلُّ ذي حَـسَـبٍ
تـكـفَّـلَ الـسـيـفُ بـالـجـهّـالِ والـعَـمَـمِ[٢]

والـشَّـرُّ إنْ تَـلْـقَـهُ بـالـخـيـرِ ضِـقـتَ بـه
ذَرْعـاً وإنْ تَـلْـقَـهُ بـالـشـرِّ يَـنْـحَـسِـمِ

سَـلِ الـمـسـيـحـيَّـةَ الـغـرَّاءَ كـم شَـرِبـتْ
بـالـصّـاب مـن شَـهَـوَات الـظـالـم الـغَـلِـمِ[٣]

طَـرِيـدة الـشِّـرْكِ يـؤذيـهـا ويُـوسـعُـهـا
فـي كـلِّ حـيـنٍ قـتـالاً سـاطـعَ الـحـدَمِ[٤]

لـولا حُـمـاةٌ لـهـا هَـبُّـوا لـنُـصْـرَتـهـا
بـالـسـيـفِ مـا آنـتـفـعـت بـالـرِّفـق والـرُّحُـمِ[٥]

لـولا مـكـانٌ لـعـيـسـى عـنـدَ مُـرْسِـلِـهِ
وحُـرْمَـةٌ وجَـبـتْ لـلـرُّوح فـي الـقِـدَمِ[٦]

---

(١) الجهل موت: تشبيه بليغ في سياق التناغم مع البيت السابق. أُوتيت: خطاب للمجهول أو لغير معين. الرَّجم: القبر.

(٢) العَمَم: اسم جمع للعامة. (٣) الغَلِم: الذي ينزع للشهوة، أو الهائج للشهوة.

(٤) الحَدَم: أي شدة الاحتدام أو الاشتعال.

(٥) الرُّحُم: الرقة والتعاطف. ومعنى البيت، أن الرسالة السماوية حين تنشر السلام والمحبة بين الناس يجب حمايتها أيضاً بالقوة في وجه الطغاة والجبابرة الذين يتربصون بها وليس الاكتفاء فقط بالموعظة والتسامح.

(٦) معنى البيت، أي المكانة الرفيعة الثابتة منذ كانت المشيئة الإلٰهية وحيث وجبت في حرمة الروح منذ القدم.

لـسُـمِّـرَ الـبـدَنُ الـطُّـهْـرُ الـشـريـفُ عـلـى
لـوْحَـيْـنِ لـمْ يَـخْـشَ مُـؤذيـهِ ولـم يَـجِـمِ (١)
جَـلَّ الـمـسـيـحُ وذاقَ الـصَّـلـبَ شـانِـئُـهُ
إنّ الـعـقـابَ بـقـدْرِ الـذنـبِ والـجُـرُمِ (٢)
أخُـو الـنّـبـيّ ورُوحُ الـلَّـهِ فـي نُـزُلٍ
فـوقَ الـسـمـاءِ ودون الـعـرش مُـحـتـرَمِ (٣)
عـلَّـمْـتَـهُـم كـلَّ شـيءٍ يَـجـهـلـون بـه
حـتـى الـقـتـالَ ومـا فـيـه مـن الـذّمَـمِ (٤)
دعـوتـهـم لِـجـهـادٍ فـيـه سُـؤْدُدُهُـمْ
والـحـربُ أسُّ نـظـامِ الـكـونِ والأُمَـمِ
لـولاهُ لـم نَـر لـلـدُّولاتِ فـي زمـنٍ
مـا طـالَ مـن عَـمَـدٍ أو قـرّ مـن دَعَـمِ (٥)
تـلـك الـشـواهِـدُ تـتـرى كـلَّ آونـةٍ
في الأعصُرِ الغُرِّ لا في الأعصُر الدُّهُمِ (٦)
بـالأمـس مـالـت عُـرُوشٌ واعْـتـلـتْ سُـرُرٌ
لـولا الـقـذائـفُ لـم تُـثـلـمْ ولـم تُـصَـمِ (٧)

---

(١) لَسُمِّرَ البدن إلخ . . . جواب الشرط في البيت السابق. الطُّهر: الطاهر من المعاصي. اللوحان: الصليب الذي أُعد لصلبه عليه السلام. لم يَجِم: لم يَخَفْ.

(٢) جلّ المسيح: تنزّه عن الباطل والكذب الذي رماه به اليهود من أنهم صلبوه وقتلوه ﴿**وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم**﴾. شانئه: مبغضه. الجُرُم: الجُرْم أو التهمة.

(٣) أخو النبي: أي في الرسالة. روح اللَّه: أي روح منه، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿**إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول اللَّه وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه**﴾. نُزُل: ما هُيئ للضيف أنْ ينزل عليه.

(٤) الذمم: مفردها ذمة، وهي العهد والأمان.

(٥) عَمَدٌ: مفردها عمود. قَرّ: ثبت. دَعَمٌ: مفردها دعامة، وهي بمثابة عماد البيت.

(٦) الأعصر الغرّ: أي البيضاء التي يسود فيها العلم والعدل. الأعصر الدُّهم: أي السوداء المظلمة التي يسود فيها الجهل والظلم.

(٧) اعتلت سُرُرٌ: أي عَلَتْ عُروشٌ.

أشياعُ عيسى أعَدُّوا كلَّ قاصِمةٍ
ولم نُعِدَّ سِوىٰ حالاتِ مُنْقصِمِ[١]
مهما دُعِيتَ إلى الهيْجاءِ قُمْتَ لها
ترمِي بأُسْدٍ ويرْمِي اللَّهُ بالرُّجُمِ[٢]
على لِوَائِكَ منهمْ كلُّ مُنْتقِمٍ
لِلَّهِ مُسْتقتلٍ في اللَّهِ مُعْتزِمِ[٣]
مُسَبِّحٍ لِلقاءِ اللَّهِ مُضْطرِمٍ
شوْقاً على سابحٍ كالبَرْقِ مُضْطَرِمِ[٤]
لو صادف الدّهر يَبغِي نُقلةً فرمى
بعزْمِهِ في رِحالِ الدَّهْرِ لم يرمِ[٥]
بيضٌ مَفاليلُ من فعلِ الحُروب بِهم
من أسْيُفِ اللَّهِ لا الهِنْدِيَّة الخُذُمِ[٦]
كم في التُّرابِ إذا فتّشْت عن رجُلٍ
مَنْ ماتَ بالعهْدِ أو مَنْ مات بالقسَمِ[٧]
لولا مواهبُ في بعض الأنام لَمَا
تفاوت الناس في الأقدار والقِيمِ[٨]

---

(١) قاصمة: كاسرة. منقصِم: منكسر.
(٢) الهيجاء: الحرب. الرُّجُم: النجوم التي يُرمى بها.
(٣) على لوائك: أي مُجتمِع تحت لوائك.
(٤) الاضطرام: توقّد النار. سابح: كناية عن الحصان. والصورة الشعرية أنه شبّه حميَّتهم في الحرب وجولانهم فيها باضطرام النار.
(٥) يبغي: يريد، وشبّه العزم بالسهم، وشبّه الدهر بالرحال. لم يرم: لم يتحول أو ينتقل.
(٦) بيض مفاليل: من الفلّ أي الثلم في السيف. الهندية: نسبة إلى الهند التي كانت مشهورة بصنع السيوف. الخزم: مفردها خزم وهو السيف الصارم.
(٧) من مات بالعهد: أي احتفاظاً بما عاهدوا اللَّه ورسوله عليه من النصرة.
(٨) إشارة إلى أن ما ناله أصحاب الرسول ﷺ من الفوز بالسعادة ورفعة الدرجة عند اللَّه، إنما بما قدّموا من البلاء في نصرة الدين وتعرضهم للقتل والأذى ولولا ذلك لما كان لهم فضل على سائر الناس.

شـريـعـةٌ لـك فـجَّـرْتَ الـعـقـول بـهـا
عـن زاخِـرٍ بـصـنـوفِ الـعـلـم مـلـتـطِـمِ
يـلـوحُ حـول سَـنـا الـتّـوحـيـدِ جـوهـرُهـا
كـالـحـلْـي لـلـسـيـفِ أو كـالـوشـي لـلـعَـلـمِ(١)
غـرّاءُ حـامـت عـلـيـهـا أَنْـفُـسٌ ونُـهًـى
ومَـنْ يَـجـدْ سَـلـسَـلاً مـن حـكـمـةٍ يَـحُـمِ(٢)
نـورُ الـسـبـيـل يُـسـاسُ الـعـالَـمُـون بـهـا
تـكـفّـلـتْ بـشـبـابِ الـدّهـرِ والـهـرَمِ(٣)
يـجـري الـزمـان وأحـكـامُ الـزمـانِ عـلـى
حُـكـم لـهـا نـافِـذٍ فـي الـخـلـقِ مـرتَـسِـمِ
لـمّـا اعـتـلـتْ دولـة الإسـلام وآتـسـعـت
مـشـت مـمـالِـكُـهُ فـي نـورِهـا الـتَّـمـمِ(٤)
وعـلَّـمـتْ أمّـةً بـالـفـقـر نـازلـةً
رَعْـيَ الـقـيـاصـر بـعـد الـشَّـاء والـنَّـعـمِ
كـم شـيَّـد الـمـصـلِـحـون الـعـامـلـون بـهـا
فـي الـشَّـرق والـغـرب مُـلـكـاً بـاذِخَ الـعِـظَـمِ
لـلـعِـلـم والـعـدلِ والـتـمـديـن مـا عـزمـوا
مـن الأمـور ومـا شـدُّوا مـن الـحُـزُمِ(٥)
سـرعـان مـا فـتـحـوا الـدنـيـا لـمِـلَّـتِـهـم
وأنـهَـلـوا الـنـاس مـن سَـلـسـالِـهـا الـشَّـبِـمِ(٦)

(١) الوشي: النقش.
(٢) حامت: طافت حولها. النُّهى: العقول. السلسل: الماء العذب.
(٣) نور السبيل: أي يُهتدى بها للفلاح في الدنيا والفوز في الآخرة. شباب الدهر والهرم: كناية عن إقباله وإدباره. وتكفّلها بشباب الدهر... إلخ: أي بما يعلي أهلها ويصلح من شأنهم.
(٤) التمم: التام.
(٥) الحُزُم: مفردها حزام، أي الرباط الذي يشدّ به.
(٦) سرعان: اسم فعل، أي ما أسرعه. أنهل: إذا شرب من أول الورود. السلسال: الماء العذب. الشبم: البارد.

ساروا عليها هُداة الناس فهي بهم
إلى الفلاح طريقٌ واضحُ العِظمِ[١]
لا يَهدِمُ الدهرُ ركناً شاد عدلهُمُ
وحائطُ البغْي إنْ تلمسْهُ ينهدِمِ
نالوا السعادة في الدَّارَيْن وٱجتمعوا
على عميم من الرِّضوان مقتَسَمِ
دعْ عنك روما وآثِينا وما حوَتا
كلُّ الىواقيت في بغدادَ والتُّوَمِ[٢]
وخلّ كسرى وإيواناً يُدلُّ به
هوىٰ على أثرِ النِّيران والأيَمِ[٣]
وٱترك رَعمسيس إنّ المُلك مَظهره
في نهضة العدل لا في نهضة الهرَمِ[٤]
دار الشرائع روما كلما ذكرتْ
دار السلام لها ألقت يَد السَّلَمِ[٥]

(١) ساروا عليها: أخذوا بأحكامها. هداة الناس: أي في كونهم هادين للناس. فهي: تعود إلى عبارة «الملة» في البيت السابق.

(٢) روما: هي المدينة المعروفة حالياً وهي عاصمة إيطاليا، وكانت في السابق قاعدة للإمبراطورية الرومانية. أثينا: عاصمة اليونان في الوقت الحالي، وكانت قاعدة المملكة اليونانية في سالف الزمان. بغداد: عاصمة العراق حالياً، وهي قاعدة الخلافة الإسلامية في الدولة العباسية. التّوم: مفردها تومة وهي حبة الفضة.

(٣) كسرى: لقب لكل ملك من ملوك الفرس. الإيوان: القصر. على أثر النيران والأيم: أي بسبب الفتوحات الإسلامية. والأيم: الدخان.

(٤) رعمسيس: اسم بعض الفراعنة ومنهم ملوك مصر القدماء.
الهرم: استعمل الشاعر صيغة المفرد لضرورة الشعر والقافية، والمقصود الأهرام وأشهرها أهرام الجيزة الثلاثة. وأورد ذكر رعمسيس لأنه ينتسب إلى مثل هذا العمل الكبير من خلال جميع الفراعنة، وإن لم يكن هو الذي بنى الهرم بعينه.

(٥) دار السلام: بغداد. السَّلَم: التسليم.

ما ضارعتْها بَياناً عند ملتأَمِ
ولا حَكتها قضاءً عنْد مختصَمِ[١]
ولا احتوت في طِرازٍ من قياصِرها
على رشيدٍ ومأمونٍ ومعتصِمِ[٢]
من الذين إذا سارتْ كتائبهُم
تصرفوا بحُدود الأرض والتُّخُمِ[٣]
ويجلسونَ إلى عِلْمٍ ومعرفةٍ
فلا يُدانون في عقلٍ ولا فَهَمِ
يُطأْطئُ العلماءُ الهام إنْ نبَسوا
من هيبةِ العِلْم لا من هيْبة الحُكُمِ
ويُمطِرون فما بالأرض من مَحلِ
ولا بمَنْ بات فوق الأَرض من عُدُمِ[٤]
خلائفُ اللَّه جلُّوا عن موازنةٍ
فلا تقيسَنَّ أملاك الورى بهمِ[٥]

(١) ملتأم: مجتمع. مختصم: بمعنى اختصام. أما المعاني التي أراد الشاعر الإضاءة عليها فهي في المقارنة بين روما ودار السلام، فكما اشتهرت روما بقضائها وقوانينها فقد اشتهرت أيضاً بشعرائها وخطبائها الذين كان لهم التأثير العظيم في الناس خاصة أوقات الأحداث الكبيرة. ومع ذلك فما دانوا في قضائهم شأو بغداد التي كان يُقضى فيها بدين اللَّه، وهو أجلّ من أن يقاس به غيره، ولا هم بلغوا في فصاحتهم شأن فصحاء الدولة العباسية الذين هزّوا النفوس وألهبوا المشاعر.

(٢) الطراز: النمط. يقال: «هذا على طِراز ذاك»، أي على نمطه. ولا احتوت على رشيد... إلخ: أي على أمثالهم في الفضل والعدل. رشيد: هو هارون الرشيد. مأمون: هو عبد اللَّه المأمون بن هارون الرشيد. ومعتصم: هو محمد المعتصم بن هارون الرشيد، وَلِيَ الخلافة يوم وفاة أخيه المأمون.

(٣) الكتائب: مفردها كتيبة، وهي فرقة من الجيش. التُّخُم: مفردها تخوم وهي الحدود بين الأراضي.

(٤) المحل: الجدب. العدم: فقدان المال.

(٥) خلائف اللَّه: أي الخلفاء المتقدمون والخلفاء المتأخرون، وذكر الفاروق ووصل عمر بن عبد العزيز به يعود لشدة فضله وورعه واقتدائه بحكمه.

مَـنْ فـي الـبـريَّـة كـالـفـاروق مـعـدلـةً
وكـٱبـن عـبـد الـعـزيـز الـخـاشِـع الـحـشـمِ[١]
وكـالإمـام إذا مـا فَـضَّ مـزدحَـمـاً
بـمَـدْمـع فـي مـآقـي الـقـوم مـزدحـمِ[٢]
ألـزاخـرُ الـعـذْبُ فـي عـلْـم وفـي أدبٍ
والـنـاصـرُ الـنَّـدْبُ في حـربٍ وفي سَلَـمِ[٣]
أو كـٱبـن عـفّـان والـقـرآن فـي يـدِه
يـحـنـو عـلـيـه كـمـا تـحـنـو عـلـى الـفُـطُـمِ[٤]
ويـجـمـعُ الآي تـرتـيـبـاً ويـنـظـمُـهـا
عِـقْـداً بـجـيـد الـلّـيـالـي غـيـر مـنـفـصِـمِ
جُـرحـان فـي كـبـد الإسـلام مـا الـتَـأَمَـا
جُـرْحُ الـشـهـيـد وجـرحٌ بـالـكـتـاب دُمِـي[٥]
ومـا بـلاءُ أبـي بـكـرٍ بـمُـتّـهـم
بـعـد الـجـلائـل فـي الأفـعـال والـخِـدمِ
بـالـحـزم والـعـزْم حـاط الـديـن فـي مـحـنٍ
أضـلَّـت الـحـلـم مـن كـهـلٍ ومُـحـتَـلِـمِ[٦]

---

(١) المعدلة: العدل.

(٢) الإمام: هو الإمام علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه. مآقي العيون: أطرافها مما يلي الأنوف، وهي مجاري الدمع.

(٣) الرجل الندب: أي الخفيف في الحاجة، أو السريع النجيب.

(٤) ابن عفّان: هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي اللّه عنه. الفطم: مفردها فطيم، وهو الولد المفصول عن الرضاعة.

(٥) جرح بالكتاب دُمِي: أي جرح دمي به الكتاب. ذلك أن قتلة عثمان عندما دخلوا عليه الدار وضربوه بالسيوف وهو صائم والمصحف في حجره وهو يقرأ فيه، وقع المصحف من يده وسال عليه الدم.

(٦) إشارة إلى انتصاره على المرتدين بعد موت النبي ﷺ.

وحُـذْنَ بـالـراشـد الـفـاروق عـن رَشَـدٍ
فـي الـمـوت وهـو يـقـيـنٌ غـيـرُ مـنـبَـهـمِ (١)
يـجـادِلُ الـقـوم مـسـتَـلاً مـهـنَّـده
فـي أعـظـم الـرُّسْـل قـدراً، كـيـف لـم يـدُمِ (٢)
لا تـعـذلـوه إذا طـاف الـذُّهـولُ بـه
مـات الـحـبـيـبُ فـضَّـل الـصَّـبُّ عـن رَغَـمِ

❊ ❊ ❊

يـا ربِّ صـلِّ وسـلِّـم مـا أردتَ عـلـى
نـزيـل عـرشـك خـيـرِ الـرُّسْـل كـلِّـهـمِ
مُـحـيـي الـلّـيـالـي صـلاةً لا يـقـطِّـعُـهـا
إلّا بـدمـع مـن الإشـفـاق مـنـسـجـمِ
مـسـبِّـحـاً لـك جُـنْـح الـلّـيـل مـحـتـمـلاً
ضُـرًّا مـن الـسُّـهْـد أو ضُـرًّا مـن الـورَمِ
رضـيَّـةً نـفـسُـه لا تـشـتـكـي سـأَمـاً
ومـا مـع الـحـبِّ إنْ أخـلـصْـتَ مـن سـأَمِ
وصـلِّ ربـي عـلـى آلٍ لـه نُـخَـبٍ
جـعـلـت فـيـهـم لـواء الـبـيـت والـحـرمِ (٣)
بـيـضُ الـوجـوه ووجـهُ الـدّهـر ذو حـلـكٍ
شُـمُّ الأُنـوف وأنـف الـحـادثـات حَـمِـي (٤)

(١) يُذكّر بتلك المحن التي تنحرف بعمر رضي اللَّه عنه عن الرشد، وهو الذي يمتلك من كمال الرشد ووفور العقل ما يؤهله لكي يعرف أن الموت سيدرك رسول اللَّه ﷺ.
(٢) يشير إلى موقف عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه، كيف استل سيفه، وتوعد بقتل من يقول أن رسول اللَّه ﷺ قد مات. ولمّا حضر أبو بكر الصديق رضي اللَّه عنه، وأخبر الخبر وتأكد منه، خرج إلى الناس وقال: «ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد اللَّه فإن اللَّه حي لا يموت».
(٣) النّخب: مفردها نخبة، أي المختار.
(٤) الحَلَك: شدة الظلمة. شُمّ الأنوف: كناية عن الشرف الرفيع. أنف الحادثات حَمِي: كناية عن اشتداد الأحداث.

وأَهْـد خـيـر صـلاةٍ مـنـك أربـعـةً
في الصَّحب صُحبتهم مرعيَّةُ الحُرَمِ
ألـراكـبـيـن إذا نـادى الـنـبـيُّ بـهـم
ما هال من جلل واشتدّ من عَمَمِ[1]
ألـصـابـريـن ونـفـسُ الأرض واجـفـةٌ
ألضاحكين إلى الأخطار والقُحُمِ[2]
يـا ربِّ هـبَّـتْ شـعـوبٌ مـن مـنـيّـتـهـا
واستيقظت أُمَمٌ من رقدة العَدَمِ
سـعْـدٌ ونـحـسٌ ومُـلـكٌ أَنْـت مـالـكـه
تُـديـلُ مـن نـعـم فـيـه ومـن نِـقَـمِ
رأى قـضـاؤك فـيـنـا رأْي حـكـمـتـه
أكْـرم بـوجـهـك مـن قـاضٍ ومـنـتَـقِـمِ
فـالـطُـفْ لأجـل رسـول الـعـالـمـيـن بـنـا
ولا تـزد قـومـه خـسـفـاً ولا تَـسُـمِ
يـا رَبِّ أحـسـنـت بَـدْءَ الـمـسـلـمـيـن بـه
فـتـمِّـمِ الـفـضـل وامنحْ حُسْن مختَتَمِ[3]

(١) ما هال: ما أفزع. الجلل: الأمر الخطير. العَمَم: التّام من الأمر.
(٢) القُحُم: الأمور العسيرة.
(٣) حسن مختتم: أي حسن الختام.

خاتمة رياض(*)

[من الوافر]

كبيرَ السابقين من الكرام
برغمي أَنْ أَنالكَ بالملامِ(١)
مقامُك فوق ما زعموا ولكن
رأيتُ الحقَّ فوقك والمقامِ(٢)
لقد وجدوكَ مفتوناً فقالوا:
خرجت من الوقار والاحتشامِ(٣)
وقال البعضُ: كيدُك غير خاف
وقالوا: رميةُ من غير رامِ(٤)
وقيل: شطَطْت في الكفران حتّى
أردت المنعمين بالانتقامِ(٥)
غمرت القوم إطراءً وحمداً
وهم غمروك بالنِّعَم الجسامِ(٦)

(*) «قيلت بعد خطبة المرحوم رياض باشا في مدرسة محمد علي الصناعية في ٨ حزيران سنة ١٩٠٤م».

(١) الخطاب موجّه في هذا البيت إلى مصطفى رياض باشا، الذي تملّق اللورد كرومر ممثل الدولة الإنكليزية، أثناء إلقاء كلمته بمناسبة افتتاح مدرسة محمد علي الصناعية في الإسكندرية والتي أنشأتها جمعية العروة الوثقى سنة ١٩٠٤م.

(٢) رأيت الحق فوقك والمقام: أي وفوق المقامِ.

(٣) الوقار: الهيبة. الاحتشام: الاستحياء.

(٤) الكيد: المكر. رمية من غير رام: أي لم يقصد المكر فيما قاله.

(٥) شططت: أفرطت وبعدت عن الحقيقة.

(٦) غمرت القوم: شملتهم بالعطف والإحسان.

رأوا بالأمس أَنْفك في الثُّريّا
فكيف اليوم أصبح في الرَّغامِ[١]
أما واللَّه ما علموك إلّا
صغيراً في ولائك والخصامِ
إذا ما لم تكن للقول أهلاً
فما لك في المواقف والكلامِ؟
خطبت فكنت خطباً لا خطيباً
أضيف إلى مصائبنا العظامِ
لهجت بالاحتلال وما أتاه
وجُرحُك منه لو أحسست دامِي[٢]
وما أغناهُ عمّن قال فيه
وما أغناك عن هذا التّرامِي[٣]
أحبَّتك البلادُ طويل دهر
وذا ثمنُ الولاءِ والاحترامِ
حقرْتَ لها زماماً كنت فيه
لعُوباً بالحكومة والذّمامِ[٤]
محاسنهُ غراسُك والمساوي
لك الثمرانِ من حمدٍ وذامِ[٥]
فهلّا قلت للشبان قولاً
يليقُ بحافل الماضي الهمامِ؟

(١) الثّريا: مجموعة كواكب، والمقصود الرتبة الرفيعة العالية. الرَّغام: التراب، والمقصود الرتبة الوضيعة الدنيّة.
(٢) لهجت بالاحتلال: ثابرت بالحديث عنه. الدامي: الذي يسيل دمه.
(٣) المعنى، ما أغنى الاحتلال عنك وما أغناك عن أن تتمادى في ذلك.
(٤) حقرت: استصغرت. الزمام: امتلاك الأمر. الذمام: الذمة والحرمة.
(٥) المعنى، أن ما غرست من المحاسن والمساوىء ستقطف ثمرتهما من الحمد والذم.

يـبـثُ تـجـاربَ الأيـام فـيـهـم
ويـدعـو الـرابـضـيـن إلـى الـقِـيـامِ[١]

خـطـبـتَ عـلـى الـشـبـيـبـةِ غـيـر دارٍ
بـأنـكَ مـن مَـشـيـبـك فـي مـنـامِ

ولـولا أَنّ لـلأوطـانِ حـبًّـا
يُـصـمُّ عـن الـوِشـايـةِ كـالـغـرامِ

جـنـيـتَ عـلـى قـلـوبِ الـجـمـع يـأسـاً
كـأنّـكَ بـيـنـهـم داعـي الـحِـمـامِ[٢]

أراعَـكَ مـقـتـلٌ مـن مـصـرَ بـاقٍ
فـقـمـت تـزيـدُ سـهـمـاً فـي الـسّـهـامِ[٣]

وهـل تـركـتْ لـك الـسـبـعـونَ عـقـلاً
لـعـرفـانِ الـحـلالِ مـن الـحـرامِ؟

ألا أُنْـبـيـك عـن زمـنٍ تـولّـى
فـتـذكـرَه ودمـعـكَ فـي انـسـجـامِ؟[٤]

سـلْ (الـحـلـمـيّـةَ) الـفـيـحـاءَ عـنـه
وسـلْ داراً عـلـى (نـور الـظـلامِ)[٥]

وسـل مَـنْ كـان حـولـك عـبـد جـاهٍ
يُـريـكَ الـحـبَّ أو بـاغـي حُـطـامِ[٦]

---

(١) يبث: ينشر. التجارب: الاختبارات. الرابضون: القاعدون الذين لا يفارقون مكانهم.
(٢) المعنى، أن حديثك يدعو إلى اليأس والقنوط كأنه نذير الموت. الحِمام: الموت.
(٣) راعك: أخافك. ومعنى البيت: هل راعك أن رأيت بعض القوة تتجسد في حياة المصريين، فرميت بسهم من سهامك لتضعف من قوتهم وعزيمتهم.
(٤) أنبيك: أخبرك. الانسجام: السيلان.
(٥) الحلمية: اسم موضع، وهو حي من أحياء القاهرة. نور الظلام: اسم شارع في حي الحلمية، وفيه دار رياض باشا.
(٦) الباغي: الطالب. الحُطام: المقصود هنا حُطام الدنيا، أي ما فيها من مال كثير أو قليل يفنى ولا يبقى.

رأوا إرثـاً سـيـذهـب بـعـد حـيـنٍ
فـكـانـوا عـصـبـةً فـي الاقـتـسـامِ
ونـالـوا الـسـمـعَ مـن أُذُنٍ كـريـم
فـنـالـوا مـنـه أَنْـوَاعَ الـمـرامِ(١)
هُـمُ حـزبٌ وسـائـر مـصـر حـزبٌ
وأنـت أصـمُّ عـن داعـي الـوئـامِ(٢)
وكـيـف يـنـالُ عـونَ الـلَّـهِ قـومٌ
سـراتُـهُـمُ عـوامـلُ الانـقـسـامِ(٣)
إذا الأحـلامُ فـي قـوم تـولَّـتْ
أتـى الـكِـبـراءُ أفـعـالَ الـطَّـغـامِ(٤)
فـيـا تـلـك الـلّـيـالـي لا تَـعـودي
ويـا زمـن الـتِّـفـاقِ بـلا سـلامِ(٥)
أحـبُّـكِ مـصـرَ مـن أعـمـاقِ قـلـبـي
وحـبُّـكِ فـي صـمـيـم الـقـلـبِ نـامِـي(٦)
سـيـجـمـعُـنـي بـكِ الـتّـاريـخُ يـومـاً
إذا ظـهـر الـكـرامُ عـلـى الـلـئـامِ(٧)
لأجـلـكِ رحـتُ بـالـدُّنـيـا شـقـيًّـا
أصـدُّ الـوجـه والـدنـيـا أمـامِـي
وأنـظـرُ جـنـةً جـمـعـت ذِئـابـاً
فـيـصـرفُـنـي الإبـاء عـن الـزِّحـامِ(٨)

---

(١) رجل أذُن: أي جيّد الاستماع ويقبل ما يسمع من الآخرين.
(٢) الوئام: الوفاق. (٣) السراة: مفردها سريّ، وهو السيد الشريف.
(٤) الأحلام: العقول. الطَّغام: أرزال الناس.
(٥) بلا سلام: أي إرحل بلا عودة. (٦) في صميم القلب: أي في حشاشة القلب.
(٧) إذا ظَهَر: إذا تفوق وانتصر. (٨) الإباء: عزة النفس.

وهـــبـــتُـــكِ غـــيـــرَ هـــيّـــابٍ يـــراعـــاً
أشـــدّ عـــلـــى الـــعـــدوِّ مـــن الـــحـــســـامِ[1]
ســـيـــكـــتـــبُ عـــنـــكِ فـــوقَ ثـــرى ريـــاضٍ
وفـــي الـــتّـــاريـــخ صـــفـــحـــة الاتـــهـــامِ
أفـــي الـــســـبـــعـــيـــنَ والـــدّنـــيـــا تـــولّـــت
ولا يـــرجـــى ســـوى حـــســـنِ الـــخـــتـــامِ
تـــكـــون وأنـــت أَنـــت ريـــاض مـــصـــرٍ
(عُـــرابـــي) الـــيـــوم فـــي نـــظـــر الأنـــامِ؟

(١) اليراع: القلم. الحسام: السيف.

ضجيج الحجيج(*)

[من البسيط]

ضجَّ الحِجازُ وضجَّ البيتُ والحرمُ
وٱستصرخت ربَّها في مكة الأمَمُ(١)
قد مسّها في حماك الضرُّ فٱقض لها
خليفةَ اللَّه أَنْتَ السيدُ الحَكَمُ
لك الربوعُ التي رِيْعَ الحجيجُ بها
أللشريفِ عليها أم لكَ العَلَمُ؟(٢)
أُهِيْنَ فيها ضيوفُ اللَّه وٱضطُهِدوا
إنْ أَنْت لم تنتقم فاللَّه منتَقِمُ
أفي الضُّحى وعيونُ الجند ناظرةٌ
تُسبَى النساء ويُؤذى الأهلُ والحَشَمُ؟
ويُسفك الدّمُ في أرضٍ مقدّسةٍ
وتستباحُ بها الأعراضُ والحُرَمُ(٣)
يد الشريف على أيدي الولاة علت
ونعله دون ركن البيت تُستلمُ(٤)
(نيرون) إنْ قيسَ في باب الطُّغاة به
مبالغٌ فيه (والحَجَّاج) مُتّهَمُ(٥)

(*) «رفعت إلى السلطان عبد الحميد استصراخاً من الشريف وأعوانه في ١٤ إبريل سنة ١٩٠٤م».

(١) ضَجّ: صاح من الخوف والفزع. (٢) الربوع: الدِّيار. الحَجِيج: أي الحُجَّاج.

(٣) الحرم: مفردها حرمة، وهو ما لا يحل استباحته.

(٤) تستلم: من استلام ركن البيت الحرام إما باليدّ أو بالتقبيل.

(٥) «نَيرُوْن» و«الحَجَّاج»: من الطغاة، والمعنى، أن الأذى الذي لحق بالحجيج هو شيء عظيم لا يضاهيه بغي نَيرُوْن والحَجَّاج.

أدّبــه أدّبْ أمــيــر الــمــؤمــنــيــن فــمــا
فــي الــعــفــو عــن فــاســقٍ فــضــلٌ ولا كَــرَمُ
لا تــرجُ فــيــه وقــاراً لــلــرســول فــمــا
بــيــن الــبُــغــاة وبــيــن الــمــصــطــفــى رَحِــمُ[١]
ابــنُ الــرســولِ فــتــى، فــيــه شــمــائــلُــه
وفــيــه نــخــوتُــه والــعــهــدُ والــشَّــمــمُ[٢]
مــا كــان طــه لــرهــطِ الــفــاســقــيــن أبــاً
آل الــنــبــيّ بــأعــلام الــهــدى خُــتِــمُــوا[٣]
خــلــيــفــة الــلَّــه شــكــوى الــمــســلــمــيــن رَقَــتْ
لــسِــدّةِ الــلَّــه بــل تــرقــى لــك الــكَــلِــمُ؟[٤]
ألــحــجُّ ركــنٌ مــن الإســلام تُــكــبِــره
والــيــوم يــوشــك هــذا الــرّكــن يــنــهــدِمُ[٥]
مــن الــشــريــف ومــن أعــوانــهِ فــعــلَــتْ
نُــعــمــى الــزيــادة مــا لا تــفــعــل الــنِّــقَــمُ
عــزّ الــســبــيــل إلــى طــه وتــربــتــه
فــمَــنْ أراد ســبــيــلاً فــالــطــريــقُ دمُ[٦]
مــحــمــدٌ رُوِّعــتْ فــي الــقــبــر أعــظــمُــه
وبــات مــســتــأمــنــاً فــي قــومــه الــصّــنَــمُ[٧]

---

(١) لا تَرجُ: لا تَخَفْ. الوقار: الاحترام والعظمة. والمعنى، مستوحى من القرآن الكريم: ﴿**ما لكم لا ترجون للّه وقاراً**﴾ أي لا تخافون للّه عظمة.

(٢) الشمائل: الصفات والطباع. النَّخوة: الحماسة والمروءة. العهد: الميثاق. الشّمم: الأنفة والكبرياء.

(٣) طه: من أسماء الرسول الكريم ﷺ. الرهط: الجماعة من ثلاثة إلى عشرة وليس فيهم امرأة.

(٤) رَقَتْ: ارتفعت. الكَلِم: أي الكلام. (٥) تُكبره: تُعظّمه. يوشك: يقارب.

(٦) عَزّ السبيل: أي مَنُع وصَعُب.

(٧) الصنم: صورة أو تمثال. وهي كناية عن كل ما يُعْبَد من دون اللّه.

وخان (عونُ الرفيق) العهدَ في بلدٍ
منه العهود أتَتْ للناس والذِّمَمُ[١]

قد سال بالدم من ذبح ومن بشرٍ
واحمرّ فيه الحمى والأشهرُ الحُرُمُ[٢]

وفُزِّعت في الخدورِ الساعياتُ له
ألداعياتُ وقربُ اللَّه مغتنَمُ[٣]

آبت ثكالى أيامى بعد ما أُخِذَتْ
من حولهنّ النَّوى والأينقُ الرُّسُمُ[٤]

حُرِمْنَ أَنْوارَ خير الخلق من كَثَبٍ
فدمعُهُنّ من الحرمانِ منسجمُ[٥]

أيُّ الصغائرِ في الإسلام فاشية
تُودَى بأيسرها الدُّولات والأُمَمُ[٦]

يجيشُ صدري ولا يجري بها قلمي
ولو جرى لبكى واستضحك القلمُ[٧]

---

(١) «عون الرفيق»: اسم الشريف الذي اقترف تلك المظالم. الذمم: العهود.

(٢) الأشهر الحرم: هي أربعة: ذو القعدة، ذو الحجة، المحرم، ورجب. وقد سميت بالحرم، لاتفاق العرب على عدم القتال فيها. واحمرّ فيه الحمى... إلخ: كناية عن سفك الدماء.

(٣) فُزّعت: أُرعبت. الخدور: البيوت. الساعيات له: أي للبلد الحرام.

(٤) الثكالى: مفردها ثكلى، وهي التي فقدت ولدها. الأيامى: مفردها أيّم، وهي من لا زوج لها. النَّوى: تعني هنا الدار أو مكان الإقامة، يُقال: استقرّت نوى القوم بموضع كذا، أي أقاموا. الأينُق الرّسمُ: أي النياق الثقيلة الحمل التي تؤثر أخفافها في الأرض من شدة الوطء.

(٥) من كَثَب: من قرب. المنسجم: السائل (أي الدمع).

(٦) الصغائر: أي الذنوب الصغيرة مقارنة بالكبائر. تُودى: تُهلك. الدُّولات: مفردها دولة.

(٧) يجيش صدري: يهتاج من الغضب. استضحك: بمعنى ضحك.

أغضيتُ ضِنًّا بعرضي أَنْ أُلَمَّ به
وقد يروق العمى للحرّ والصّممُ[١]
موّه على الناسِ أو غالطهمُ عبثاً
فليس تكتمهم ما ليس ينكتِمُ[٢]
من الزيادةِ في البلوى وإنْ عظُمتْ
أنْ يعلم الشّامتون اليوم ما علمُوا
كلُّ الجراح بآلام فما لمسَتْ
يدُ العدوّ فثمَّ الجرحُ والألمُ
والموتُ أهونُ منها وهي داميةٌ
إذا أساها لسانٌ للعِدى وفمُ

❊ ❊ ❊

رَبَّ الجزيرةِ أدرِكْها فقد عبَثت
بها الذئابُ وضلَّ الراعيَ الغنَمُ[٣]
إنّ الذين تولوْا أمرَها ظَلموا
والظلمُ تصحبُه الأهوالُ والظُّلمُ[٤]
في كل يوم قتال تقشعرّ له
وفتنةٌ في ربوع اللَّهِ تضطرِمُ[٥]
أزرى الشريفُ وأحزابُ الشريف بها
وقسّموها كإرث الميت واْنقسمُوا[٦]
لا تجزهم منك حلماً واْجزهم عنتاً
في الحلم ما يسمُ الأفعالَ أو يَصمُ[٧]

(١) أغضيت: تماسكت. ضِنّاً: بُخْلاً. أُلمّ به: أُوذى به. يروق: يُعجب.
(٢) موّه على الناس: من التمويه، أي زخرفة الشيء وتزوير حقيقته.
(٣) ربّ الجزيرة: أي يا ربّ الجزيرة، والمقصود جزيرة العرب.
(٤) الأهوال: المخاوف. الظُّلم: مفردها ظلمة والمعنى المجازي: كل ما ينذر بشر.
(٥) تضطرم: تشتعل. (٦) أزرى بها: تهاون وتقاعس.
(٧) العنت: الشدة. ما يَسِمُ: ما يكون سمة أي علامة. ما يَصِمُ: ما يكون وصمة أي عيباً.

كفى الجزيرةَ ما جرّوا لها سفهاً
وما يحاولُ من أطرافِها العَجَمُ[١]
تلك الثغورُ عليها وهي زينتُها
مناهلٌ عذُبت للقوم فأزدحمُوا[٢]
في كل لجّ حواليها لهم سفُن
وفوق كل مكان يابسٍ قَدَمُ[٣]
والاهُمُ أمراءُ السوء وآتفقوا
مع العداة عليها فالعداة هُمُ
فجرّد السيف في وقتٍ يُفيد به
فإنّ للسيف يوماً ثم ينصَرِمُ[٤]

(١) العجم: المقصود هنا، كل مَنْ كانوا يحقدون على الدولة التّركية وخاصة الغرب.
(٢) مناهل: أي موارد. القوم: المقصود بهم العجم.
(٣) اللّج: معظم الماء، والمقصود البحار التي أصبحت قواعد حربية لسفن العجم.
(٤) جرّد السيف: سلّه. ينصرم: يمضي.

إِستقْبال

[من البسيط]

يـا راكـبَ الـريـح حـيِّ الـنِّـيـل والـهـرَمـا
وعـظِّـم الـسـفـحَ مـن سـيـنـاءَ والـحـرمَـا[١]
وقـــف عـــلـــى أثـــرٍ مَـــرَّ الـــزمـــانُ بـــه
فـكـان أثـبـت مـن أطـوادِهِ قِـمـمَـا[٢]
وٱخفض جناحَك في الأرض التي حملت
موسى رضيعاً وعيسى الطهرِ مُنفطِمَا
وأخـرَجـتْ حـكـمـةَ الأجـيـالِ خـالـدةً
وبـيَّـنـتْ لـلـعـبـادِ الـسـيـفَ والـقـلـمَـا[٣]
وشُـرِّفـت بـمـلـوكٍ طـالـمـا ٱتـخـذوا
مـطـيَّـهـم مـن مـلـوكِ الأرض والـخـدَمَـا[٤]
هـذا فـضـاء تُـلـمُّ الـريـحُ خـاشـعـةً
بـه ويـمـشـي عـلـيـه الـدهـرُ مُـحـتـشِـمَـا[٥]
فـمـرحـبـاً بـكـمـا مـن طـالـعـيْـن بـه
عـلـى سـوى الـطـائـرِ الـمـيـمـونِ مـا قـدِمَـا[٦]

❊ ❊ ❊

(١) السّفح: عُرض الجبل. الحرم: كل ما له حرمة ولا يُحَلّ استباحته.
(٢) الأطواد: مفردها طود، وهو الجبل. القمم: مفردها قمة، وهي أعلى الشيء.
(٣) الحكمة: سداد الرأي. الأجيال: مفردها جيل، أي أهل الزمن الواحد. الخالدة: الباقية.
(٤) المعنى، أن ملوك مصر الأقدمين الذين شرّفوا بلادهم، لطالما أخذوا في حروبهم الأسرى الذين كانوا ملوكاً على أقطارهم فجعلوهم مطايا وخدماً لهم.
(٥) المحتشم: المستحي.
(٦) على الطائر الميمون: هذا القول أصبح مثلاً سائراً بين الناس وهو بمثابة الدعاء للمسافر.

عـاد الـزمـانُ فـأعـطـى بـعـد مـا حَـرَمـا
وتـاب فـي أذُن الـمـحـزونِ فـآبـتـسـمَـا
فـيـا رعـى الـلَّـهُ وفـداً بـيـن أعـيـنـنـا
ويـرحـمُ الـلَّـهُ ذاك الـوفـدَ مـا رَحِـمَـا[١]
هـم أقـسـمـوا لَـتَـدِيْـنَـنَّ الـسـمـاء لـهـم
والـيـوم قـد صـدَقـوا فـي قـبـرِهـم قـسـمَـا[٢]
والـنـاسُ بـانـي بـنـاء أو مـتـمِّـمُـه
وثـالـثٌ يـتـلافـى مـنـه مـا أنـهـدَمَـا
تـعـاونٌ لا يـحـلُّ الـمـوتُ عـروتَـه
ولا يُـرَى بـيـد الأرزاء مُـنـفـصِـمَـا[٣]

❊ ❊ ❊

يـا صـاحِـبَـيْ (أدْرَمـيـدٍ) حـسـبـهـا شـرفـاً
أنّ الـريـاح إلـيـهـا ألـقـت الـلُّـجـمَـا[٤]
وأنّـهـا جـاوزت فـي الـقـدس مـنـطـقـةً
جـرى الـبـسـاط فـلـم يـجـتـز لـهـا حـرَمَـا[٥]
مـشـت عـلـى أفـقٍ مـرَّ الـبـراقُ بـه
فـقـبَّـلـت أثـراً لـلـخُـف مـرتَـسِـمَـا[٦]

---

(١) إشارة إلى أن الدولة قد ندبت للقيام برحلة جوية بين الآستانة والقاهرة، اثنين من طياريها، فسقطت طيارتهما في الطريق أثناء الرحلة وماتا، فندبت الدولة غيرهما فوصلا سالمين، وهذا ما يشير إليه الشاعر في حديثه عن الوفدين. .

(٢) لتدينّ: لتَخْضَعَنّ.

(٣) العروة: كل ما يوثق به. المنفصم: المنقطع.

(٤) «أدرميد»: اسم الطائرة التي تعرّضت للحادث السابق الذكر.

(٥) القدس: مدينة بيت المقدس في فلسطين. البساط: هو بساط النبي سليمان عليه السلام، الذي كان يتخذ مع الريح بساطاً يجريه حيث يشاء.

(٦) البراق: في المفهوم الديني، هي دابة ركبها النبي محمد ﷺ ليلة أُسْرِيَ به من مكة إلى بيت المقدس. الخفُّ: أي خُف الرسول الكريم ﷺ.

ومسَّحت بالمُصلّى فاكتست شرفاً
وبالمُغار المعلّى فاكتست عِظَمَا[١]
وكلما شاقها حادٍ على أُفقٍ
كانت مزاميرُ داودٍ هي النَّغَمَا[٢]
جشَّمتماها من الأهوالِ أربعةً
ألرعدَ والبرقَ والإعصارَ والظُّلَمَا[٣]
حتى حوتها سماءُ النِّيل فانحدرت
كالنّسر أعيا، فوافى الوكرَ فاعتصمَا[٤]

❊ ❊ ❊

يا آلَ عثمان أبناء العمومةِ هل
تشكون جُرحاً ولا نشكو له ألمَا[٥]
إذا حزِنتم حزِنَّا في القلوب لكم
كالأمّ تحملُ من همّ ابنها سَقَمَا
وكم نظرنا بكم نُعمَى فجسَّمها
لنا السرورُ فكانت عندنا نِعمَا[٦]
ونبذلُ المال لم نُحمَل عليه كما
يقضي الكريم حقوق الأهلِ والذِّممَا[٧]

---

(١) المصلّى: مكان الصلاة. المغار: الكهف. المعلّى: المرفوع.
(٢) شاقها: هاجها. الحادي: سائق الإبل الذي يغنّي لها. مزامير داود: الأناشيد والترانيم التي كان يرتّلها في صلاته.
(٣) جَشّم: كلّف. الأهوال: المخاوف. الإعصار: الريح المصحوب بالغبار أو بمياه البحار والتي تستدير كأنها عمود. الظُّلَم: مفردها ظلمة، والمعنى المجازي، كل ما ينذر بشر.
(٤) حوتها: أي احتوتها. انحدرت: هبطت. النسر: طائر من الجوارح. أعيا: تعب. وافى الوكر: أتى إليه. الوكر: مأوى الطائر. اعتصم به: لزمه.
(٥) العمومة: مصدر من العم، كما الخؤولة من الخال.
(٦) النُّعمى: ما أنعم به. (٧) الذمم: المواثيق والعهود.

صبراً على الدهر إنْ جلَّت مصائبُه
إنّ المصائب مما يوقظُ الأُمَمَا
إذا المقاتلُ من أخلاقِهم سلمت
فكلُّ شيء على آثارِها سَلمَا
وإنما الأممُ الأخلاق ما بقيت
فإن تولّت مضوْا في إثرِها قُدُمَا[1]
نِمْتُمْ على كل ثارٍ لا قرار له
وهل ينامُ مصيب في الشعوبِ دمَا؟
فنال من سيفكم مَنْ كان ساقيَه
كما تنالُ المُدام الباسلَ القَدَمَا[2]
قال العذولُ خرجنا في محبتِكم
من الوقارِ فيا صدقَ الذي زعمَا
فما على المرء في الأخلاق من حرج
إذا رعى صلةً في اللَّه أو رَحِمَا
ولو وهبتُم لنا عُليا سيادتكم
ما زادنا الفضل في إخلاصنا قدَمَا
نحنو عليكم ولا ننسى لنا وطناً
ولا سريراً ولا تاجاً ولا عَلَمَا
هذي كرائمُ أشياءِ الشعوبِ فإنْ
ماتت فكل وجودٍ يشبهُ العدَمَا

(١) يمضي قُدُماً: يمضي إلى أمام دون أن يعرّج على شيء.
(٢) المُدام: الخمر. الباسل: الشجاع. القَدَم: الشجاع أيضاً.

أرسطاليس وترجمانه(*)

[من الكامل]

عـلَّـمـتَ بـالـقـلـمِ الـحـكـيـمِ ... وهـديـتَ بـالـنَّـجـمِ الـكـريـمِ
وأتـيـتَ مـن مـحـرابـهِ ... بـأرسـطـاطـالـيـسَ الـعـظـيـمِ
مـلـكِ الـعـقـولِ وإنّـهـا ... لَـنِـهـايـةُ الـمـلْـكِ الـجـسـيـمِ
شـيـخ ابـن رشـدٍ وابـن سـيـ ... ـنـا وابـن بَـرْقـيـنَ الـحـكـيـمِ(١)
مَـنْ كـان فـي هَـدْي الـمـسـيـ ... ـحِ وكـان فـي رُشْـدِ الـكـلـيـمِ
وغـدا وراح مـوحِّـداً ... قِـبَـلَ الـبـنِـيّـةِ والـحـطـيـمِ(٢)
صـوت الـحـقـيـقـةِ بـيـن رعـ ... ـدِ الـجـاهـلـيـة والـهـزيـمِ(٣)
مـا بـيـنَ عـاديـةِ الـسَّـوا ... م وبـيـن طُـغـيـان الـمـسـيـمِ(٤)
يـبـنـي الـشـرائـع لـلـعـصـو ... ر بـنـاءَ جـبـارٍ رحـيـمِ
ويـفـضِّـل الأخـلاق لـلـ ... ـأجـيـال تـفـضـيـل الـيـتـيـمِ(٥)
فـي واضـحٍ لـلْـحُـبِ الـطـريـ ... ـق مـن الـمـذاهـب مـسـتـقـيـمِ(٦)
ورسـائـلٍ مـثـل الـسُّـلَا ... فِ إذا تـمـشَّـت فـي الـنـديـمِ
قـدسِـيَّـةِ الـنـفـحـات تُـسـ ... ـكِـرُ بـالـمـذاقِ وبـالـشَّـمـيـمِ

* * *

يـا (لـطـفِ) أَنْـتَ هـو الـصَّـدى ... مـن ذلـك الـصـوت الـرّخـيـمِ

(*) «ترجم الأستاذ أحمد لطفي باشا السيد، كتاب أرسطاليس في علم الأخلاق إلى اللّغة العربية، فكتب إليه صاحب الديوان هذه التهنئة».

(١) «برقين»: بلدة لطفي باشا السيد، مترجم الكتاب.

(٢) البَنِيّة: الكعبة. الحطيم: جدار حجر الكعبة، وقيل ما بين الركن وزمزم والمقام.

(٣) الهزيم: صوت الرعد.

(٤) السَّوام: المرعيَّة. المسيم: الراعي.

(٥) اليتيم: اللؤلؤ.

(٦) اللّحب: الواسع

أَرَجُ الـريـاضِ نـقـلـتَـه ونـسـخـتَـه نـسـخَ الـنـسـيـم
وسـريـتَ مـن شِـعـبِ الألَـمْـ ـبِ بـه إلـى وادي الـصَّـريـم[١]
فـتـجـارتِ الـلّـغـتـان لـلـ ـغايات في الحسَبِ الصَّميم
لـغـةٌ مـن الإغـريـق قـيِّـمـة، وأخـرى مـن تـمـيـم
وأتـيـتـنـا بـمـفـصـلٍ بـالـتـبـر عُـلـويِّ الـرقـيـم
هـو ضِـنَّـةُ الـمُـثـرِي مـن الـ ـأخـلاق أو مـالُ الـعـديـم[٢]

❊ ❊ ❊

مـشَّـاءَ هـذا الـعـصـر قـفْ حدِّث عن العُصُر القديم[٣]
مَـثِّـلْ لـنـا الـيـونـان بـيـ ـنَ الـعـلـم والـخُـلـق الـقـويـم
أخـلاقُـهـا نـور الـسـبـيـ ـل وعِـلـمُـهـا نـور الأديـم
وشـبـابُـهـا يـتـعـلـمـو ن عـلـى الـفَـراقـدِ والـنّـجـوم
لـمـسـوا الـحـقـيـقـةَ في الـفـنـو ن وأدركـوهـا فـي الـعـلـوم
حـلَّـتْ مـكـانـاً عـنـدَهـم فـوق الـمـعـلِّـم والـزعـيـم[٤]
والـجـهـلُ حـظّـك إنْ أخـذْ تَ الـعـلـمَ مـن غـيـر الـعـلـيـم
ولـربَّ تـعـلـيـم سـرى بـالـنشءِ كـالـمرضِ الـمُـنـيـم[٥]
يـتـلـبَّـس الـحُـلـمُ الـلـذيـ ـذُ عـلـيـه بـالـحُـلُـم الألـيـم
ومـدارسٍ لا تُـنـهـضُ الـ ـأخـلاقَ دارسـةِ الـرُّسـوم
يـمـشـي الـفـسـادُ بـنـبْـتـهـا مـشـيَ الـشـرارةِ بـالـهـشـيـم

❊ ❊ ❊

لـمّـا رأيـت سـوادَ قـو مـي فـي دُجـى لـيـلٍ بـهـيـم

---

(١) الألمب: جبل من جبال اليونان في الأساطير القديمة كان مقاماً للآلهة. الصّريم: واد من أودية العرب.
(٢) الضّنة: الشيء الذي يُضن به أي يبخل به.
(٣) المشَّاؤون: مفردها مشَّاء، تلاميذ أرسطاليس.
(٤) إشارة إلى قول أرسطاليس: أفلاطون حبيب إليّ ولكن الحقيقة أحبّ إليّ منه.
(٥) المرض المنيم: أي المنوّم.

يُسْقَونَ من أُمِّيَّةٍ هي غُصَّةُ الوطن الكظيم
وسَراتُهم في مُقعِد من مطلَبِ الدّنيا مُقيم
يسعَوْن للجاه العظيـ ـم وليس للحق الهضيم
وبَصُرْتُ بالدُّستور يُزْ هَق وهو في عُمْر الفطيم
لم يَنجُ من كيد العَدُ وّ له ومن عبثِ الحميم
أيقنتُ أَنَّ الجهلَ عِلَّةُ كلِّ مجتمَعٍ سقيم
وأتيتُ يا ربَّ النشيـ ـرِ بما تُحبُّ من النظيم
أجزِ اجتهادَك في جَنى الثَّمراتِ للنَّشإِ النَّهيم(١)
من روضةِ العلم الصحيـ ـح وربوَةِ الأدب السليم
ألعاشقينَ العلمَ لَا يألونَه طلبَ الغريم
ألمعرِضينَ عن الصغا ئرِ والسعاية والنميم

❊ ❊ ❊

قسماً بمذهبِك الجميـ ـلِ ووجه صُحْبَتك القسيم
وقديم عهدٍ لا ضئيـ ـلٍ في الوداد ولا ذميم
ما كنتَ يوماً للكنا نةِ بالعدُوِّ ولا الخصيم
لمّا تلاحى الناسُ لم تنزلْ إلى المرعى الوخيم(٢)
كم شاتم قابلته بترفُّعِ الأسدِ الشتيم(٣)
وشغلْت نفسَك بالخصيـ ـبِ من الجهودِ عن العقيم
فخدمْتَ بالعلم البلَا دَ ولم تزلْ أوفَى خديم(٤)
والعلمُ بنَّاءُ المآ ثِر والممالكِ من قديم
كسروا به نِيرَ الهوا نِ وحطَّموا ذُلَّ الشَّكِيم

(١) النهيم: الذي لا يشبع.
(٢) تلاحى الناس: تلاعنوا وتشاجروا.
(٣) الشتيم: العبوس.
(٤) الخديم: الخادم.

شهيد الحق(*)

[من الوافر]

إلامَ الـخُـلْـفُ بـيـنـكُـم إلامَـا ... وهـذي الـضـجـةُ الـكُـبـرى عـلامَـا؟
وفـيـمَ يـكـيـدُ بـعـضُـكُـمُ لـبـعـضٍ ... وتُـبـدون الـعـداوةَ والـخِـصـامَـا؟
وأيـن الـفـوزُ؟ لا مـصـرُ اسـتـقـرّتْ ... عـلـى حـالٍ ولا الـسـودانُ دامَـا؟
وأيـن ذهـبـتُـمُ بـالـحـق لـمّـا ... ركـبـتـم فـي قـضـيـتـهِ الـظـلامَـا؟
لقد صارتْ لكم حُكماً وغُنماً ... وكـان شِـعـارُهـا الـمـوتَ الـزُّؤامَـا
وثِـقـتـم واتّـهـمـتـمْ فـي الـلّـيـالـي ... فـلا ثـقـةً أدمـنَ ولا اتـهـامَـا
شببتم بينكم في القُطر ناراً ... عـلـى مُـحـتـلِّـهِ كـانـت سـلامَـا
إذا مـا راضَـهـا بـالـعـقـلِ قـومٌ ... أجـدّ لـهـا هـوى قـوم ضِـرامَـا
تـراميـتـمْ، فـقـال الـنـاسُ: قـومٌ ... إلـى الـخُـذلانِ أمـرُهُـمُ تـرامَـى
وكـانـت مـصـرُ أوّلَ مَـنْ أصـبـتـم ... فلم تُحصِ الجِراحَ ولا الكِلامَا(١)
إذا كـان الـرّمـاةُ رمـاةُ سـوءٍ ... أحـلّـوا غـيـر مـرمـاهـا الـسّـهـامَـا
أَبَـعْـدَ الـعـروةِ الـوثـقـى وصـفٌ ... كـأنـيـاب الـغـضـنـفَـر لـن يُـرامَـا
تـبـاغـيـتـم كـأنـكـمُ خـلايـا ... من السرطانِ لا تجدُ الضِّمامَا؟(٢)
أرى طـيّـارهـم أوفـى عـلـيـنـا ... وحـلّـق فـوق أرؤسـنـا وحـامَـا
وأنظر جيشَهم من نصف قرنٍ ... عـلـى أبـصـارنـا ضَـرَب الـخـيـامَـا

(*) «نظمها صاحب الديوان بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة المرحوم مصطفى كامل باشا وقد تناول فيها وصف ما أصاب البلاد في سنة ١٩٢٤م من انقسام وتشاحن وتناحر، وأشار إلى تصريح ٢٨ فبراير وموقف بعض الزعماء حياله. ثم انتقل من ذلك إلى ذكرى فقيد البلاد المرحوم مصطفى كامل فوفاه حقه. واستطرد من ذلك إلى البحث فيما تحتاج إليه البلاد من وسائل الإصلاح.».

(١) الكِلام: الجِراح.

(٢) الضِّمام: ما يُضَمُّ به شيء إلى شيء. السرطان: ورم خبيث.

فلا أُمَنَاؤنا نقَصُوْهُ رمحاً ولا خُوّانُنا زادوا حسامَا
ونُلقي الجوَّ صاعقةً ورعداً إذا قصرُ الدبارةِ فيه غامَا
إذا ٱنفجرت علينا الخيلُ منه ركبنا الصمتَ أو قُدْنا الكلامَا[١]
فإبنا بالتّخاذل والتلاحي وآب بما ٱبتغى منّا ورامَا[٢]

❊ ❊ ❊

ملكنا مارِن الدّنيا بوقتٍ فلم نحسن على الدُّنيا القيامَا[٣]
طلعنا وهي مقبلة أسوداً ورحنا وهي مدبرةٌ نَعَامَا
ولِينا الأمر حزباً بعد حزبٍ فلم نك مصلحين ولا كِرامَا
جعلنا الحُكم تولية وعزلاً ولم نَعْدُ الجزاءَ والانتقامَا
وسُسْنا الأمر حين خلا إلينا بأهواءِ النفوس فما ٱستقامَا
إذا التصريحُ كان براحَ كفرٍ فَلِمْ جُنَّ الرِّجالُ به غرامَا؟[٤]
وكيف يكونُ في أيدٍ حلالاً وفي أُخرى من الأيدي حرامَا؟
وما أدري غداةَ سُقِيتُموه أترياقاً سُقِيْتُم أم سِمامَا؟[٥]

❊ ❊ ❊

شهيدَ الحق قَمْ تره يتيماً بأرضٍ ضُيِّعت فيها اليتامَى
أقام على الشفاه بها غريباً ومرّ على القلوب فما أقامَا[٦]
سَقِمتَ فلم تبت نفسٌ بخير كأنّ بمهجةِ الوطن السَّقامَا
ولم أر مثل نعشِك إذ تهادى فغطَّى الأرضَ وٱنتظم الأنامَا[٧]

---

(١) ركبنا الصمت: أي سرنا فيه والتزمنا به. قدنا الكلام: استرسلنا فيه.
(٢) التلاحي: التلاوم والعتاب.
(٣) المارن: هو الأنف، والمعنى المجازي هو الذروة والعلو.
(٤) التصريح: المراد تصريح ٢٨ فبراير المشار إليه سابقاً وموقف بعض الزعماء منه. البراح: الصراح.
(٥) السِّمام: مفردها سمّ. الترياق: الدواء الذي يُدفع به السمّ.
(٦) أي لا تنطق بسيرته الأفواه ولا تتعاطف معه القلوب.
(٧) تهادى: تمايل.

تحمَّلَ هِمةً وأقلَّ ديناً ... وضَمَّ مُروءةً وحوى زِمامَا[١]
وما أَنْساكَ في العشرينَ لمّا ... طلعتَ حِيالها قمراً تمامَا
يُشار إليك في النادي وتُرمَى ... بعينَيْ مَنْ أحب ومَنْ تعامَى
إذا جئتَ المنابرَ كنت (قُسًّا) ... إذا هو في عكاظَ علا السَّنامَا[٢]
وأنت ألذُّ للحق اهتزازاً ... وألطفُ حين تنطقه ابتسامَا
وتحملُ من أديم الحق وجهاً ... صُراحاً ليس يتخذ اللّثامَا[٣]

❊ ❊ ❊

أتذكر قبل هذا الجيل جيلاً ... سهرنا عن معلِّمهم ونامَا؟[٤]
مِهارُ الحق بغَّضْنا إليهم ... شكيمَ القيصريةِ واللّجامَا[٥]
لواؤكَ كان يَسقيهم بجام ... وكان الشعرُ بين يديَّ جامَا[٦]
من الوطنيةِ ٱستبقوا رحيقاً ... فضَضْنا عن مُعتَّقِها الختامَا[٧]
غرسنا كرْمَها فزكا أصولاً ... بكلِّ قرارةٍ وزكا مُدامَا[٨]
جمعتهمُ على نبراتِ صوتٍ ... كنفخِ الصُّور حرّكت الرِّجامَا[٩]

(١) الزّمام: المقود. يقال: زمام القوم أي صاحب أمرهم ومُقدَّمهم.
(٢) قُسّ: هو قُسّ بن ساعدة الإيادي، يضرب به المثل في الفصاحة والخطابة. إذا هو في عكاظ علا السنام: إشارة إلى ما عرف عن قس بن ساعدة أنه كان يخطب الناس في عكاظ على ظهر بعير.
(٣) الأديم: ظاهر الجلد، وأديم الحق: أي ما ظهر من الحق.
(٤) سهرنا عن معلِّمهم: أي غضضنا النظر عن معلمهم حتى ينام وقمنا نحن ندافع عن هذا الجيل ونعمل على تهذيبهم وتربيتهم.
(٥) مهار: مفردها مهر أي ولد الفرس، والمعنى المجازي أي الشباب. الشكيم: الحديدة تعترض فم الفرس، والمعنى المجازي المراد بشكيم القيصرية ولجامها: أي قسوة الاحتلال.
(٦) الجام: الإناء أو الكأس. والمعنى أن جامك كان مترعاً من لوائك فسقاهم الأدب، كما كان ينضح بشعري فعلمهم البيان والسحر.
(٧) استبقوا رحيقاً: تسابقوا إليه. الرحيق: الخمر المعتَّق، أي الخمر المعتَّق الذي يزيد جودة كلما مرّ عليه الزمن. فضضنا الختام: فتحناه.
(٨) الكرم: العنب. زكا: نما وطاب. المدام: الخمر.
(٩) الرّجام: القبور.

لك الخُطَبُ التي غُصَّ الأعادي ... بِسَوْرتِها وساغَت للنَّدامَى[١]
فكانت في مرارتها زئيراً ... وكانت في حَلاوتها بُغامَا[٢]
بك الوطنيةُ اعتدلتْ وكانت ... حديثاً من (خُرَافَةَ) أو منامَا[٣]
بنيْتَ قضيةَ الأوطانِ منها ... وصيّرتَ الجلاء لها دِعامَا[٤]
هززتَ بني الزمان به صبيًّا ... ورُعتَ به بني الدُّنيا غُلامَا

(١) السَّوْرة: الحِدَّة والشِّدَة. وغُصَّ الأعادي: أي أخذ بهم الغضب. الندامى: مفردها نديم وهو عادة نديم الشراب، والمقصود هنا الأصدقاء والأنصار.
(٢) الزئير: صوت الأسد. البُغام: صوت الظبي.
(٣) حديث خرافة: أي حديث وهم وباطل، وخرافة هو اسم لشخصية وهمية قيل إنه رجل من بني عذرة خطفه الجنّ، فأخبر قومه عما رأى فكذّبوه، وأصبح حديثه مثلاً عن كل حديث باطل.
(٤) الدِّعام: العماد.

تَحيّة للتّرْك

[من البسيط]

ألـدهـرُ يـقـظـانُ والأحـداث لـم تـنـم
فـمـا رقـادُكـمُ يـا أَشـرفَ الأمـمِ؟
لـعـلّـكـم مـن مِـراسِ الـحـرب فـي نـصَـبٍ
وهـذه ضـجـعـةُ الآسـاد فـي الأجَـمِ(١)
لـقـد فـتـحـتـم فـأعـرضـتـم عـلـى شِـبَـعٍ
والـفـتـح يـعـتـرض الـدّوْلات بـالـتُّـخـمِ(٢)
هـبُّـوا بـكـم وبـنـا لـلـمـجـدِ فـي زمـنٍ
مَـنْ لـم يـكـن فـيـه ذئـبـاً كـان فـي الـغـنـمِ
هـذا الـزمـان تـنـاديـكـم حـوادثـه
يـا دولـةَ الـسـيـف كـونـي دولـةَ الـقـلـمِ
فـالـسـيـف يـهـدمُ فـجـراً مـا بـنـى سَـحَـراً
وكـلُّ بـنـيـانِ عـلـم غـيـرُ مـنـهـدمِ(٣)
قـد مـات فـي الـسِّـلـم مَـنْ لا رأْيَ يـعـصِـمُـه
وسـوَّت الـحـرب بـيـن الـبَـهْـم والـبُـهَـمِ(٤)

---

(١) مِراس الحرب: شدة وقوة الحرب. النَّصَب: التَّعب. الضجعة: الرقدة. الآساد: مفردها أسد، وهو السبع الضاري. الأجَم: مفردها أجمة، وهي الشجر الكثيف.

(٢) فتحتم: حاربتهم الأعداء حتى تغلّبتم عليهم وملكتم أمرهم. التُّخم: مفردها تخمة، وهي ثقل الطعام.

(٣) المعنى، أن دولة السيف والقهر لا تدوم، أما الدولة التي تتسلح بتعليم أبنائها فهي لا تنهدم.

(٤) السِّلم: أي السلام وهو نقيض حالة الحرب. يعصم: يحفظ. البَهم: مفردها بَهْمة، وهي ولد الغنم، والماعز. والبُهم: مفردها بُهْمة، وهو الرجل الشجاع، والمعنى أن من مساوئ الحرب أن سوّت بين الضعيف والقوي وبين الصالح والطالح حيث فقدت الموازين قيمتها.

وأصبح العلمُ ركنَ الآخِذين به
مَنْ لا يُقم ركنَه العرفانُ لم يُقِمِ
ألناس تَسحبُ فضفاضَ الغِنى مرحاً
ونحن نلبَسُ عنه ضيقةَ العُدُمِ(١)
يا فتيةَ التّرك حيَّا اللَّه طلعتَكم
وصانكم وهداكم صادق الخِدَمِ(٢)
أنتم غدُ الملكِ والإسلامِ لا برحا
منكم بخيرِ غدٍ في المجدِ مبتسمِ(٣)
تُجِلُّكم مصرُ منها في ضمائِرها
وتعلنُ الحبَّ جمًّا غيرَ متّهَمِ(٤)
فنحن إنْ بعُدت دارٌ وإنْ قربت
جاران في الضّاد أو في البيتِ والحرَمِ(٥)
ناهيك بالسببِ الشَّرقيِّ من نسبٍ
وحبَّذا سببُ الإسلام من رَحِمِ(٦)
شملُ اللّغات لدى الأقوام ملتئِمٌ
والضَّاد فينا بشملٍ غير ملتئمِ(٧)

---

(١) الفضفاض: الواسع. المرح: الخُيلاء. الضيقة: سوء الحالة. العُدم: العَوَز والفقر.
(٢) صادق الخِدَم: أي الخدمات الصادقة، والخِدم: مفردها خدمة.
(٣) أنتم غَدُ المُلْك... إلخ: أي أنتم المؤسسون لمقبل الأيام من المجد المشرق والمستقبل الباسم.
(٤) الحب الجَمّ: الحب الكثير. غير متهم: أي غير مشكوك بصدقه.
(٥) الضّاد: تطلق على اللّغة العربية.
(٦) المعنى، أن ما يجمع أهل الشَّرق يرتقي في قيمته إلى حد النسب فلذلك لا تفتشوا عن نسب آخر يجمع بيننا وبينكم سواه. حبّذا: مكونة من حبّ وذا، وتُستعمل للاستحسان والمدح.
(٧) الشمّل: من الأضداد، أي ما اجتمع من الأمر وما تفرّق.

فقرّبوا بيننا فيها وبينكمُ
فإنها أوثقُ الأسباب والذِّممِ
وكلّنا إنْ أخذنا بالفلاح يدٌ
وسعينا قدمٌ فيه إلى قدَمِ
فلا تكونَنَّ (تُرْكِيَا) الفتاةِ ولَا
تلك العجوزَ وكونوا (تُرْكِيَا) القِدَمِ
فسيفُها سيفها في كل معترِكٍ
وعدلُها طوّق الإسلام بالنِّعمِ

الأسطول العثمانيّ(*)

[من الكامل]

هــزَّ الــلــواءَ بــعــزِّك الإســلامُ
وعــنَــت لــقــائــم ســيــفِــك الأيــامُ(١)
وٱنــقــادت الــدُّنــيــا إلــيــك فــحــسـبــهــا
عُــذراً قــيــادٌ أسْــلَــسَــتْ وزِمــامُ(٢)
ومــشــى الــزمــان إلــى ســريــرِك تــائــبــاً
خــجــلاً عــلــيــه الــذُّلُّ والإرغــامُ
عــرشُ الــنــبــيِّ مــحــمــدٍ جــنــبَــاتُــه
نــورٌ ورَفْــرفُــه الــطَّــهــورُ غــمــامُ(٣)
لــمّــا جــلــســتَ ســمــا وعــزَّ كــأنــمــا
هــارونُ وابــنــاه عــلــيــهِ قِــيــامُ(٤)
ألــبــحــرُ مــحــشــودُ الــبــوارج دونَــه
والــبــرُّ تــحــت ظِــلالــه آجــامُ(٥)

(*) «كان صاحب الديوان في الآستانة وشاهد البارجتين اللَّتين اشترتهما الدولة التّركية من ألمانيا فأخذته هزة الطرب وعزّ عليه أن يرى المسلمين في أقطار الأرض قاعدين عن إعانة أسطول الدولة، فجرى لسانه بهذه القصيدة».

(١) عَنَت: خضعت. والخطاب موجه في هذا البيت وما يليه إلى السلطان محمد رشاد.

(٢) القياد: ما يقاد به. أسْلَسَتْ: أي جَعَلَتْه سلساً. الزمام: المقود. يقال: زمام القوم أي صاحب أمرهم ومقدَّمهم.

(٣) الجنبات: الجهات. الرفرف: كل ما فضل فَثُنِيَ أو كل ما تهدَّل من الشيء. الطَّهور: هو الطاهر بنفسه المطهّر لغيره.

(٤) سما: علا. هارون: هو هارون الرشيد الخليفة العباسي، وابناه: هما الأمين والمأمون.

(٥) البوارج: السفن الحربية. الآجام: الغابات الكثيفة الشجر، والمعنى هنا أنها مأوىً=

نَـعَـمَ الـرّعـيّـةُ فـي ذَراكَ ونَـضَّـرَتْ
أيـامَـهـم فـي ظـلـكَ الأحـكـامُ[١]
فـي كـلِّ نـاحـيـةٍ وكـلِّ قـبـيـلـةٍ
عـدلٌ وأمـنٌ مُـورِفٌ ووِئـامُ[٢]
حـمـل الـصـلـيـبُ إلـيـكَ مـن فـتـيـانـه
جـنـداً وقـاتـلَ دونـكَ الـحـاخـامُ[٣]
والـديـنُ لـيـس بـرافـع مُـلـكـاً إذا
لـم يَـبـدُ لـلـدُّنـيـا عـلـيـه نِـظـامُ
بـالـلَّـه قـد دان الـجـمـيـعُ، وشـأنـهـم
بـالـلَّـه ثـم بـعـرشِـك اسـتِـعـصـامُ[٤]

❊ ❊ ❊

يـا ابـنَ الـذيـن إذا الـحـروبُ تـتـابـعـت
صـلّـوا عـلـى حـدِّ الـسـيـوف وصـامُـوا[٥]
ألـمـظـهـرِيـنَ لـنـور بـدرٍ بـعـدمـا
خـيـف الـمَـحَـاقُ عـلـيـه والإظـلامُ[٦]

= للأسود. أما الضمير في «دونه» و«ظلاله»، فيعود إلى العرش في مطلع القصيدة، فهو مصون بالبوارج في البحر وأسود الآجام في البر التي تتجسّد بالجيوش المحتشدة.

(١) نَعَمَ الرّعية: أي تنعموا وترفهوا. الذَّرى: الملجأ. نضَّرت أيامهم الأحكام: جعلتها نضرة، أي حسنة.

(٢) مُورف: من ورف أي امتدّ وأظلّ.

(٣) معنى البيت، أن رعاياك من النصارى واليهود يصدُّون عن حماك بإخلاص لما يستظلون به من عدل وأمان تحت رعايتك.

(٤) معنى البيت، أن الجميع قد آمن باللّه ولذلك فهم جميعاً مستمسكون بعرشك.

(٥) المعنى، أن جميع رعاياك إذا دهم الخطر لزموا سيوفهم كما يلزم المتعبّدُ صلاتَه وصيامَهُ.

(٦) بدر: معركة بدر الشهيرة التي انتصر فيها المسلمون على المشركين، وقد سميت المعركة باسم المكان الذي وقعت فيه. المَحَاق: آخر الشهر القمري حيث يمحق نور القمر أي يضمحل ويمَّحي.

عشرون خاقاناً نموْك وعشرةٌ
غرُّ الفتوحِ خلائفٌ أعلامُ[١]
نَسبٌ إذا ذُكِر المملوكُ فإنه
لرفيعِ أَنْسابِ المملوكِ سَنَامُ[٢]
لا تحفِلنّ من الجِراحِ بقيةً
إنّ البقيةَ في غدٍ تلتامُ[٣]
جرت النحوسُ لغاية فتبدّلت
ولكلِّ شيءٍ غايةٌ وتمامُ
تعِبت بأمتِك الخطوبُ فأقصرَت
والدهرُ يُقصِر والخطوب تنامُ[٤]
لبثتْ تَنُوشُهمُ الحوادثُ حقبةً
وتصدُّها الأخلاقُ والأحلامُ[٥]
ولقد يُدَاس الذِّئبُ في فلواته
ويُهابُ بين قيوده الضِّرغامُ[٦]
زِدهم أميرَ المؤمنين من القُوى
إنّ القُوى عزٌّ لهم وقِوامُ
ألملكُ والدُّولاتُ ما يَبنِي القنا
والعلمُ، لا ما ترفعُ الأحلامُ[٧]

(١) الخاقان: هو لقب كل ملك من الأتراك. نَموْك: رفعوك. وعشرة غرُّ الفتوح: المراد بهم الخواقين الذين امتازوا بالفتوحات ولا يستحق هذا اللقب غيرهم من سلاطين بني عثمان. خلائف: مفردها خليفة.
(٢) السَّنَام: ما ارتفع من ظهر الجمل.
(٣) لا تحفَلَنْ: لا تُبالِيَنْ. من الجراح بقية: إشارة إلى حوادث كانت تثير اهتمام الدولة التّركية.
(٤) أقصرت: تقلصت وتضيّقت.
(٥) تنوشهم: تتعرض لهم. وتصدها: أي تصد الحوادث. الأحلام: العقول.
(٦) الفلوات: مفردها فلاة، وهي الأرض الواسعة المنبسطة. الضرغام: من أسماء الأسد.
(٧) القنا: الرماح. الأحلام هنا: بمعنى الآمال والأماني.

والـحـقُّ لـيـس وإنْ عـلا بـمـؤيَّـدِ
حـتـى يـحـوِّطَ جـانـبـيـه حُـسـامُ[١]
خـطَّ الـنـبـيُّ بـراحـتـيـهِ خَـنـدقـاً
ومـشـى يُـحـيـط بـه قـنـاً وسـهـامُ[٢]

❊ ❊ ❊

يـا (بـربـروسُ) عـلـى ثـراكَ تـحـيـةٌ
وعـلـى سَـمِـيِّـكَ فـي الـبـحـارِ سـلامُ[٣]
أعَـلـمـتَ مـا أهـدى إلـيـك عـصـابـةٌ
غـرُّ الـمـآثـر مـن بـنـيـك كِـرامُ؟[٤]
نـشـروا حـديـثَـك فـي الـبـريّـة بـعـدمـا
هـمَّـت بـطـيِّ حـديـثِـك الأيـامُ
خـصـوك مـن أسـطـولِـهـم بـدعـامـة
يُـبـنـى عـلـيـهـا ركـنُـه ويُـقـامُ[٥]
شـمّـاءُ فـي عـرضِ الـخِـضَـمِّ كـأنـهـا
بـرجٌ بـذات الـرجـع لـيـس يُـرامُ[٦]
كـانـت كـبـعـض الـبـارجـات فـحـفَّـهـا
لـمّـا تـحـلّـت بـاسـمِـك الإعـظـامُ
مـا مـات مـن نُـبـل الـرجـال وفـضـلـهـم
يـحـيـا لـدى الـتـاريـخ وهـو عِـظـامُ

(١) المعنى، أن الحق يجب أن تحميه القوة لكي تحفظه، وقد عبّر عنها بالحسام، أي السيف.
(٢) الخندق: حفير كبير، وقد خطَّه الرسول الكريم ﷺ حول أسوار المدينة.
(٣) إشارة إلى القائد العثماني خير الدين بربروس، الذي جعلت الحكومة التّركية اسمه على أول بارجة في الأسطول العثماني.
(٤) عصابة غُرّ المآثر: هم رجال الحكومة التّركية الذين تبنّوا موضوع البارجة بربروس.
(٥) الدعامة: العماد.
(٦) شمّاء: مرتفعة بكبرياء. الخضم: البحر. البرج: أي برج من أبراج السماء. ذات الرّجع: السماء. والرجع: المطر المتواصل.

يمضي ويُنسَى العالمون وإنما
تبقى السيوف وتخْلُد الأقلامُ[١]
وتلاك (طرغودٌ) كما قد كنتُما
جَنباً لجنبٍ والعُبابُ ضِرامُ[٢]
أرسى على باب الإمام كأنه
للفُلك من فرط الجلال إمامُ[٣]
جَمَعَتْكُما الأيام بعد تفرّقٍ
ما للقاءِ وللفراق دوامُ
سيشدُّ أزرَك والشدائد جمَّةٌ
ويُعِزُّ نصرَك والخطوبُ جِسامُ[٤]
ما السُّفْنُ في عددِ الحصى بنوافع
حتى يهزَّ لواءَها مِقدامُ
لمّا لَمَحْتُكُما سكبتُ مدامعي
فرحاً وطال تشوُّفٌ وقِيامُ[٥]
وسألتُ هل من (لؤلؤٍ) أو (طارقٍ)
في البحر تخفقُ فوقَه الأعلامُ؟[٦]

---

(١) المعنى، أنه يبقى ما تفعله السيوف من عزم وقوة ويخلد ما تسطّره الأقلام من فكر ونور.
(٢) تَلاك: جاء بعدك تالياً. (طرغود): هو قائد عثماني، جعلت الحكومة التّركية اسمه على بارجة حربية تكريماً له. العباب: ارتفاع السيل وكثرته، والمقصود هنا ماء البحر. الضرام: اتقاد النار. والمعنى العام للبيت، أن البارجة التي تحمل اسمك (أي بربروس) والبارجة الأخرى التي تحمل اسم (طرغود) تذكّران بما كنتما فيه أثناء القتال فوق عباب البحر.
(٣) أرسى: وقف. الفُلْك: السفينة. ويقصد هنا صيغة الجمع أي السفن، إذاً، فالصورة الشعرية هي أن البارجة الحربية التي تحمل اسم (طرغود) التي أرست أمام قصر الخليفة الذي هو إمام المسلمين، فتباهى من فرط جلالها، هي أيضاً كأنها إمام للسفن الأخرى.
(٤) الأزر: الظَّهر. جَمَّة: كثيرة. الخطوب: البلايا. جِسام: عِظام.
(٥) سكب: صبّ. التَّشوف: التطلّع.
(٦) (لؤلؤ): هو حسام الدين لؤلؤ قائد الأسطول البحري المصري أثناء الحروب الصليبية. =

يـا مـعـشـر الإسـلام فـي أسـطـولِـكـم
عـــزٌّ لـــكـــم ووقـــايـــةٌ وســـلامُ
جـودوا عـلـيـه بـمـالِـكـم واْقـضـوا لـه
مـــا تـــوجـــبُ الأعـــلاق والأرحـــامُ(١)
لا الـهـنـد قـد كـرُمـت ولا مـصـرٌ سـخـت
والـغـرب قـصَّـر عـن نـدىً والـشـامُ
سـيـلُ الـمـمـالـكِ جـارفٌ مـن شـدّةٍ
وقُـوًى، وأنـتـم فـي الـطـريـق نِـيـامُ(٢)
حـبُّ الـسـيـادة فـي شـمـائـلِ دينـكـم
والـــجِـــدُّ روحٌ مـــنـــه والإقـــدامُ(٣)
والـعـلـمُ مـن آيـاتـه الـكـبـرى إذا
رجـعـت إلـى آيـاتِـهِ الأقـوامُ(٤)
لـو تُـقْـرِؤون صِـغـاركـم تـاريـخَـه
عـرف الـبـنـون الـمـجـدَ كـيـف يُـرامُ
كـم واثـقٍ بـالـنـفـس نـهَّـاضٍ بـهـا
سـاد الـبـريّـةَ فـيـه وهـو عِـصـامُ(٥)

= (طارق): هو طارق بن زياد القائد الشهير الذي فتح الأندلس.
(١) الأعلاق: النفائس من الأشياء. (٢) جارف: يأخذ من أمامه كل شيء.
(٣) الجِدّ: المثابرة والاجتهاد في العمل. روح منه: أي من دينكم.
(٤) والعلم من آياته.. إلخ: أي من آيات الدين.
(٥) النَّهاض: القوَّام. وهو عصام: أي مثل عصام الذي ضرب فيه المثل في الاعتماد على النفس وليس على النسب. وعصام هذا كان حاجب النعمان بن المنذر، وقد وصل إلى هذا المنصب بالاعتماد على كفاءته.

الأندلس الجديدة

[من الكامل]

يـا أختَ أَنْـدلـسٍ عـلـيـك سـلامُ
هَـوتِ الـخـلافـةُ عـنـكِ والإسـلامُ[١]
نـزل الـهـلال عـن الـسـمـاء فـلـيـتـهـا
طُـويـت وعـمَّ الـعـالـمـيـن ظـلامُ
أزرَى بـــه وأزالـــه عـــن أوجِـــه
قـدَرٌ يـحـط الـبـدرَ وهـو تَـمـامُ[٢]
جُـرحـان تـمـضـي الأمـتـان عـلـيـهـمـا
هـذا يَـسـيـل وذاك لا يـلـتـامُ[٣]
بـكـمـا أصـيـبَ الـمـسـلـمـون وفـيـكـمـا
دُفـنَ الـيـراعُ وغُـيِّـب الـصَّـمـصـامُ[٤]
لـم يُـطـوَ مـأتـمُـهـا، وهـذا مـأتـمٌ
لـبـسـوا الـسـوادَ عـلـيـكِ فـيـه وقـامُـوا[٥]
مـا بـيـنَ مـصـرعـهـا ومـصـرعـكِ انـقـضـت
فـيـمـا نُـحِـبُّ ونـكـرهُ الأيـامُ
خَـلَـتِ الـقـرونُ كـلَـيْـلَـةٍ وتـصـرَّمـتْ
دولُ الـفـتـوحِ كـأنـهـا أحـلامُ[٦]

---

(١) إشارة إلى مدينة «أدرنة» التي كانت من أمهات المدن العثمانية وقد سقطت أمام القوات البلغارية سنة ١٩١٢م بعد أن استمات حاميتها في الدفاع عنها.

(٢) أزرى به: حقَّره ووضع من قيمته. الأوج: الذروة.

(٣) جرحان: يقصد بهما، الأول: سقوط «أدرنة» وخروجها من أيدي المسلمين، والثاني: خروج الأندلس من أيديهم. الأمَّتان: أي العرب والتّرك.

(٤) اليراع: القلم. الصمصام: السيف.

(٥) لم يُطوَ مأتمها: أي مأتم بلاد الأندلس.

(٦) خلت: مضت. تصرَّمت: انقضت.

والـدهـرُ لا يـألـو الـمـمـالـكَ مُـنـذِراً
فـإذا غـفـلـنَ فـمـا عـلـيـهِ مَـلامُ[١]

❊ ❊ ❊

مـقـدونـيـا، والـمـسـلـمـون عـشـيـرةٌ
كـيـف الـخـؤولـة فـيـك والأعـمـامُ؟[٢]
أتـريـنـهـم هـانـوا، وكـان بـعـزِّهـم
وعـلـوِّهـم يـتـخـايـلُ الإسـلامُ؟[٣]
إذْ أَنْـت نـابُ الـلـيـثِ، كـلّ كـتـيـبـة
طـلـعـتْ عـلـيـكِ فـريـسـةٌ وطـعـامُ[٤]
مـا زالـت الأيـامُ حـتـى بُـدّلـت
وتـغـيـر الـسـاقـي، وحـالَ الـجـامُ[٥]
أرأيـتِ كـيـف أُديـل مـن أُسْـدِ الـشَّـرَى
وشـهـدتِ كـيـف أُبـيـحـتِ الآجـامُ؟[٦]
زعـمـوك هـمًّـا لـلـخـلافـةِ نـاصـبـاً
وهـل الـمـمـالـك راحـةٌ ومـنـامُ؟[٧]
ويـقـول قـومٌ: كـنـتِ أشـأمَ مـوردٍ
وأراك سـائـغـةً عـلـيـكِ زِحـامُ

---

(١) لا يألو: لا يُقصِّر.
(٢) «مقدونيا»: اسم المنطقة التي تقع فيها «أدرنة». العشيرة: القبيلة. الخؤولة: نسبة إلى الخال. والعمومة نسبة إلى العم.
(٣) يتخايل: يتباهى.
(٤) إذ أنت ناب الليث: كناية عن مناعتها، وصعوبة الوصول إليها. الكتيبة: القطعة من الجيش.
(٥) حَالَ: تحوّل من حال إلى حال. الجام: الكأس.
(٦) الشَّرى: موضع تكثر فيه الأسود. الآجام: مفردها أجمة، أي الشجر الكثيف وهي هنا كناية عن عرين الأسد.
(٧) الهمّ: ما يقلق البال. ناصب: متعب.

ويــراكِ داءَ الــمُــلــك نــاسُ جــهــالــةٍ
بــالــمُــلــك مــنــهــم عــلــةٌ وسَــقــامُ
لــو آثــروا الإصــلاح كــنــتِ لــعــرشِــهــم
رُكــنــاً عــلــى هــامِ الــنــجــوم يُــقــامُ[١]
وهــمٌ يُــقــيِّــدُ بــعــضُــهــم بــعــضــاً بــه
وقــيــودُ هــذا الــعــالَــمِ الأوهــامُ
صُــورُ الــعــمــى شــتّــى، وأقــبــحُــهــا إذا
نــظــرَتْ بــغــيــر عــيــونِــهــنّ الــهــامُ
ولــقــد يُــقــام مــن الــسّــيــوفِ ولــيــس مــن
عــشــراتِ أخــلاقِ الــشــعــوبِ قِــيَــامُ

❊ ❊ ❊

ومــبــشــر بــالــصــلــحِ قــلــتُ: لــعــلــه
خــيــرٌ، عــســى أَنْ تــصــدق الأحــلامُ[٢]
تــرك الــفــريــقــان الــقــتــالَ، وهــذه
سِــلــمٌ أمــرُّ مــن الــقــتــالِ عُــقــامُ[٣]
يــنــعــى إلــيــنــا الــمــلــكَ نــاعٍ لــم يَــطــأ
أرضــاً ولا أنّــتــقــلــت بــه أقــدامُ[٤]
بــرقٌ جــوائــبُــه صــواعــقُ كــلُّــهــا
ومــن الــبــروقِ صــواعــقٌ وغــمــامُ[٥]

---

(١) آثر الشيء: اختاره. الهام: مفردها هامة، وهي رأس كل شيء.
(٢) ومبشر بالصلح: إشارة إلى تناقل الأخبار عن إمكانية الصلح بين الطرفين المتحاربين.
(٣) سِلْمٌ عقام: أي شديد الوقع، نظراً إلى ما كان من ممالأة الدول الأوروبية الكبرى لدول البلقان الصغيرة على تركيا وإرهاقها بشروط الصلح.
(٤) ينعى إلينا... إلخ: إشارة إلى الأنباء البرقية، التي تنقل شروط الصلح الظالم. الناعي الذي لم يطأ أرضاً إلخ: هو سلك البرق.
(٥) الجوائب: مفردها جائبة، وهي الأنباء الطارئة.

إنْ كـــان شـــرٌّ، زار غـــيـــرَ مـــفـــارقٍ
أو كـــان خـــيـــرٌ، فـــالـــمـــزارُ لِـــمـــامُ[١]
بـــالأمـــس (أفـــريـــقـــا) تـــولّـــتْ وٱنـــقـــضـــى
مُـــلـــكٌ عـــلـــى جـــيـــدِ الـــخِـــضـــمِّ جُـــســـامُ[٢]
نـــظـــمَ الـــهـــلالُ بـــه مـــمـــالـــكَ أربـــعـــاً
أصـــبـــحـــنَ لـــيـــس لـــعـــقْـــدهـــنّ نِـــظـــامُ[٣]
مـــن فـــتـــحِ هـــاشـــم أو أمـــيَّـــةَ لـــم يَـــضَـــع
آســـاســـهـــا تَـــتـــرٌ ولا أعـــجـــامُ[٤]
والـــيـــومَ حـــكْـــم الـــلَّـــهِ فـــي مـــقـــدُونِـــيـــا
لا نـــقـــضَ فـــيـــه لـــنـــا ولا إبـــرامُ
كـــانـــت مـــن الـــغـــربِ الـــبـــقـــيـــةَ فـــٱنـــقـــضـــت
فـــعـــلـــى بَـــنـــي عـــثـــمـــانَ فـــيـــه ســـلامُ!

❊ ❊ ❊

أخـــذَ الـــمـــدائـــنَ والـــقُـــرى بـــخـــنـــاقـــهـــا
جـــيـــشٌ مـــن الـــمـــتـــحـــالـــفـــيـــن لُـــهـــامُ[٥]
غـــطَّـــتْ بـــه الأرضُ الـــفـــضـــاءُ وجـــوهَـــهـــا
وكـــســـتْ مـــنـــاكِـــبَـــهـــا بـــه الآكـــامُ[٦]
تـــمـــشـــي الـــمـــنـــاكـــرُ بـــيـــن أيـــدي خَـــيـــلـــه
أنَّـــى مَـــشـــى، والـــبـــغـــي والإجـــرامُ[٧]

(١) اللّمام: مفردها لَمَّة، وهي المرة من «لَمَّ»، ولماماً: أي مرة بعد مرة، أو من حين إلى حين.
(٢) الجيد: العنق. الخِضَمّ: البحر. جُسام: عظيم.
(٣) ممالك أربعاً: المراد بهِنَّ، مصر وليبيا وتونس والجزائر.
(٤) المعنى، أن هذه الممالك الأربع هنّ نتيجة للفتح الإسلامي الأول على يد بني هاشم وبني أمية. آساس: مفردها أساس، وهي القاعدة.
(٥) المتحالفون: هم دول البلقان الذين تحالفوا ضد تركيا. اللُّهام: الجيش العظيم.
(٦) المناكب: النواحي أو الجهات. الآكام: التلال.
(٧) المناكر: مفردها منكر وهو كل شيء من فعل أو قول ليس فيه رضى اللّه. أنَّى مشى: أي كيف مشى.

ويحثُّه باسم الكتاب أقِسَّةٌ
نَشطوا لِمَا هو في الكتابِ حرامُ[١]
ومسيطرونَ على الممالك سُخِّرت
لهم الشعوبُ كأنها أَنْعامُ[٢]
من كل جزَّار يروم الصَّدْرَ في
نادي الملوكِ وجَدُّه غنَّامُ[٣]
سِكِّينُه، ويمينُه، وحِزامه
والصولجان، جميعها آثامُ[٤]

* * *

(عيسى) سبيلك رحمةٌ ومحبةٌ
في العالمين وعصمةٌ وسلامُ
ما كنتَ سفاكَ الدماءِ ولا امرأً
هانَ الضِّعاف عليه والأيتامُ[٥]
يا حاملَ الآلام عن هذا الورَى
كَثُرَت عليه باسمك الآلامُ[٦]
أنت الذي جعل العبادَ جميعَهم
رحِماً، وباسمك تُقْطَعُ الأرحامُ

(١) أقِسَّة: مفردها قسيس. نشطوا: أسرعوا وتحركوا.
(٢) ومسيطرون: أي ويحثُّه مسيطرون وهم الذين يشرفون على تعهد أحوال الشعوب، والمقصود بهم دول البلقان.
(٣) يروم: يريد. الصَّدْر: هنا بمعنى الصدارة والوجاهة.
(٤) الصولجان: هو عصا منعطف الرأس، يحمله عادة الملوك أو الكماة والفرسان.
(٥) سفّاك الدماء: الذي يهرق الدماء.
(٦) المقصود أن حامل الآلام وهو عيسى عليه السلام الذي صلب ليحمل عن بني البشر خطيئتهم الأولى، قد استَغلّ اسمَه أنصارُه الذين يزعمون أنهم يسيرون على طريقته ليسفكوا الدماء، وليزيدوا من آلام البشر في الحروب والقتال.

أتــت الــقــيــامــةُ فــي ولايــةِ يــوســفٍ
والــيــومَ بــاســمــك مــرتــيــن تُــقــامُ[١]

كــم هــاجَــه صــيــدُ الــمــلــوكِ وهــاجَــهــم
وتــكــافــأ الــفُــرســانُ والأعــلامُ[٢]

ألــبــغــي فــي ديــنِ الــجــمــيــع دنــيَّــةٌ
والــسِّــلــمُ عــهــدٌ والــقــتــالُ زِمــامُ

والــيــوم يــهــتــف بــالــصــلــيــبِ عــصــائــبٌ
هــــم لــــلإلــــه وروحِـــــه ظُـــــلَّامُ[٣]

خــلَــطــوا صــلــيــبَــكَ والــخــنــاجــرَ والــمُــدى
كــــلٌّ أداةٌ لــــلأذى وحِـــــمـــــامُ[٤]

أو مــا تــراهــم ذبَّــحــوا جــيــرانَــهــم
بــيــن الــبُــيــوت كــأنــهــم أغــنــامُ؟

كــم مُــرضَــعٍ فــي حِــجــر نــعــمــتِــه غــدَا
ولــه عــلــى حــدِّ الــسَّــيــوفِ فِــطــامُ[٥]

وصــبــيَّــةٍ هُــتِــكــت خــمــيــلــةُ طُــهــرهــا
وتــنــاثــرت عــن نَــوْرِهِ الأكــمــامُ[٦]

وأخــي ثــمــانــيــن اسْــتُــبــيــح وقــارُه
لــم يُــغــنِ عــنــه الــضــعــفُ والأعــوامُ

---

(١) يوسف: هو السلطان يوسف صلاح الدين الأيوبي الذي قامت في عصره قيامة الصليبيّين على المسلمين فحاربهم وانتصر عليهم.

(٢) هاجه: أثاره. الصِّيد: مفردها أصيد وهو كبير القوم أو الملك.

(٣) العصائب: الجماعات. ظلّام: مفردها ظالم.

(٤) خلطوا صليبك: أي الصليب الذي ينسب إليك، خلطوه وجمعوه مع أدوات الأذى والقتل بعكس ما تبشر به. الحِمام: الموت.

(٥) كم مُرضَع: أي طفل رضيع. الفطام: الفصل عن الرضاع.

(٦) الخميلة: الشجر الكثيف الملتف، الطّهر: العفاف. النَّور: الزهر أو الأبيض منه. الأكمام: مفردها كِمّ وهي الغلاف الذي يحيط بالزهر أو بالنَّوْر.

وجـــريـــحِ حـــربٍ ظـــامـــئٍ وأَدُوه لـــم
يـــعـــطـــفْـــهـــمُ جـــرحٌ دمٍ وأُوامُ[١]
ومـــهـــاجـــريـــن تـــنـــكّـــرتْ أوطـــانُـــهـــم
ضـلّـوا الـسـبـيـل مـن الـذهـول وهـامُـوا[٢]
ألـسـيـفُ إنْ ركـبـوا الـفِـرارَ سـبـيـلُـهـم
والـنّـطـع إنْ طـلـبـوا الـقَـرار مُـقـامُ[٣]
يـتـلـفَّـتـون مـودّعـيـن ديـارَهـم
والـلـحـظُ مـاءٌ، والـديـارُ ضِـرامُ[٤]

❊ ❊ ❊

يـا أمـةً (بـفـروقَ) فـرّق بـيـنـهـم
قـدَرٌ تـطـيـش إذا أتـى الأحـلامُ[٥]
فِـيْـمَ الـتـخـاذلُ بـيـنـكـم ووراءَكـم
أمـم تُـضـاع حـقـوقُـهـا وتُـضَـامُ؟[٦]
ألـلَّـه يـشـهـدُ لـم أكـن مـتـحـزِّبـاً
فـي الـرُّزءِ لا شِـيـعٌ ولا أحـزامُ[٧]
وإذا دعـوتُ إلـى الـوئـام فـشـاعـرٌ
أقـصـى مـنـاه مـحـبـةٌ ووِئـامُ[٨]

---

(١) وأدوه: دفنوه وهو حي. جرحٌ دمٍ: أي جرح دامٍ، يقطر منه الدم. الأوام: العطش الشديد.
(٢) هاموا: ضلّوا طريقهم والمعنى هنا، هاموا على وجوههم من الظلم.
(٣) النّطع: بساط من الجلد يُفرش تحت المحكوم عليه بالعذاب أو بقطع الرأس. القرار: المكان الذي يستقر فيه المرء.
(٤) الديار ضِرام: أي مشتعلة بالحرائق.
(٥) (فَروق): الآستانة. الأحلام: العقول.
(٦) التخاذل: التخلف عن نصرة القوم.
(٧) الرزء: البلية أو المصيبة. الشيع: أتباع وأنصار الرجل. الأحزام: الأحزاب.
(٨) الوئام: الوفاق.

مَـنْ يـضـجـر الـبـلـوى فـغـايـةُ جـهـده
رُجـعـى إلـى الأقـدار واسـتـسـلامُ[١]
لا يـأخـذنَّ عـلـى الـعـواقـبِ بـعـضُـكـم
بـعـضـاً، فـقِـدمـاً جـارت الأحـكـامُ
تَـقْـضـي عـلـى الـمـرءِ الـلّـيـالـي أوْ لـه
فـالـحـمـدُ مـن سـلـطـانـهـا والـذَّامُ[٢]
مـن عـادة الـتـاريـخ مـلءُ قـضـائِـه
عـدلٌ ومـلءُ كـنـانـتـيـه سِـهـامُ[٣]
مـا لـيـس يـدفـعـه الـمـهـنَّـدُ مـصـلَـتـاً
لا الـكـتـبُ تـدفـعُـه ولا الأقـلامُ[٤]
إنّ الأُلـى فـتـحـوا الـفـتـوح جـلائـلاً
دخـلـوا عـلـى الأُسْـدِ الـغِـيَـاضَ ونـامُـوا[٥]
هـذا جَـنَـاه عـلـيـكـمُ آبـاؤكـم
صـبـراً وصـفـحـاً، فـالـجُـنـاةُ كـرامُ[٦]
رفـعـوا عـلـى الـسّـيـفِ الـبـنـاء فـلـم يـدم
مـا لـلـبـنـاءِ عـلـى الـسّـيـوف دوامُ
أبـقـى الـمـمـالـكِ مـا الـمـعـارفُ أسُّـه
والـعـدل فـيـه حـائـطٌ ودِعَـامُ[٧]

---

(١) رُجعى إلى الأقدار: أي رجوع إليها.
(٢) الذّام: الذّم.
(٣) الكنانتان: مثنى كنانة وهي الجعبة التي توضع فيها السهام.
(٤) المهنّد: السيف. المصلت: المجرد من الغمد.
(٥) الغِياض: مفردها غيضة أي الأجمة، وهنا هي مأوى الأسد. والمعنى، أن الذين فتحوا البلاد من أسلافكم، لم يتنبهوا إلى من يتربص بهم الدوائر، فناموا وغفلوا عنهم، بالرغم من معرفة بأسهم وقوة شوكتهم التي تشبه الأسود في غياضها.
(٦) هذا جناه... إلخ: إشارة إلى ما أنتم فيه من عداوة مع شعوب تلك البلاد.
(٧) الدِّعام: العماد.

فـإذا جـرى رشـداً ويـمـنـاً أمـركـم
فـأمـشـوا بـنـورِ الـعـلـم فـهـو زِمـامُ
ودعـوا الـتـفـاخـر بـالـتُّـراث وإنْ غـلَا
فـالـمـجـد كـسـبٌ والـزمـان عِـصـامُ
إنّ الـغـرورَ إذا تـمـلّـك أمـةً
كـالـزهـر يُـخـفـي الـمـوت وهـو زؤامُ[1]
لا يـعـدلـنّ الـمـلـك فـي شـهـواتـكـم
عـرَضٌ مـن الـدّنـيـا بـدا وحـطـامُ[2]
ومـنـاصِـبٌ فـي غـيـر مـوضِـعـهـا كـمـا
حـلَّـتْ مـحـلَّ الـقـدرة الأصـنـامُ[3]
ألـمـلـك مـرتـبـةُ الـشـعـوب فـإنْ يـفـتْ
عـزُّ الـسـيـادة فـالـشـعـوب سَـوامُ
ومـن الـبـهـائـم مـشـبَـعٌ ومُـدلـلٌ
ومـن الـحـريـر شَـكِـيـمَـة ولِـجَـامُ
وقـف الـزمـانُ بـكـم كـمـوقِـف (طـارقٍ)
ألـيـأس خـلـفٌ والـرّجـاءُ أمـامُ[4]
ألـصـبـرُ والإقـدام فـيـه إذا هـمـا
قَـتـلا فـأقْـتَـلُ مـنـهـمـا الإحـجـامُ

---

(١) كالزهر يخفي الموت: بسبب تنفس الزهر وما ينفثه من ثاني أوكسيد الكربون. الزؤام: الموت السريع. والصورة الشعرية هي أن على الإنسان أن لا يغتر وينخدع بجمال الأشياء ومظهرها الخارجي، فعليه أن يتنبه إلى ما تخفيه من الأذى وحتى من الموت. وقد ذكَّرتني هذه الصورة بما قاله المتنبي:

«إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنّنّ أن الليث يبتسم»

(٢) عرض الدنيا: ما هو عارض لا دوام له. الحطام: بقايا الأشياء قَلّ أو كَثُر.

(٣) المناصب: المقامات الرفيعة. الأصنام: مفردها صنم، وهو ما يُتخذ للعبادة من دون اللّه، من تمثال أو صورة أو غير ذلك.

(٤) طارق: هو طارق بن زياد القائد الشهير الذي فتح بلاد الأندلس، وهو صاحب مقولة: البحر وراءكم والعدو أمامكم...

يُحصي الدليلُ مدى مطالبه ولَا
يُحصِي مدى المستقبلِ المِقدامُ
هذي البقيةُ، لو حرصتم، دولةٌ
صال الرشيد بها وطالَ هِشامُ[١]
قِسم الأئمةِ والخلائف قبلكم
في الأرض لم تُعدَل به الأقسامُ[٢]
سرت النبوّةُ في طهور فضائِه
ومشى عليه الوحيُ والإلهامُ
وتدفَّق النهران فيه وأزهرت
بغدادُ تحت ظلالِه والشامُ[٣]
أثرت سواحلُه، وطابت أرضُه
فالدرُّ لجّ، والنُّضارُ رَغامُ[٤]

* * *

شرفاً (أدرنةُ)! هكذا يقفُ الحمى
للغاصِبين، وتثبتُ الأقدامُ[٥]
وتُرد بالدم بقعةٌ أُخذت به
ويموتُ دون عرينِه الضِّرغامُ[٦]

---

(١) البقية: أي ما بقي من دولة التّرك بعد حرب البلقان. لو حرصتم: أي لو حرصتم عليها. الرشيد: هو الخليفة العباسي هارون الرشيد. هشام: هو هشام بن عبد الملك أحد خلفاء الأمويين.

(٢) القِسم: النصيب.

(٣) النهران: أي دجلة والفرات. بغداد: حاضرة العباسيين. الشام: حاضرة الأمويين.

(٤) أثرت: من الثراء، أي كثر فيها المال والغنى. الدّر لجٌّ: أي أن الدرّ كثير كاللّج. النُّضار: الذهب. الرَّغام: التراب، والتشبيه هنا بالرّغام أي لكثرته.

(٥) شرفاً «أدرنة»: أي شَرُفْتِ شرفاً يا «أدرنة». الحِمى: ما يُحمى من الأرض أو المرعى أو سوى ذلك.

(٦) العرين: مأوى الأسد. الضرغام: من أسماء الأسد.

والـمُـلْـكُ يـؤخـذ أو يُـرَد ولـم يـزل
يَـرِثُ الـحـسـامَ عـلـى الـبـلاد حـسـامُ[١]
عِـرضُ الـخـلافـةِ ذادَ عـنـه مـجـاهـدٌ
فـي الـلَّـه غـازٍ، فـي الـرسـول هُـمـامُ[٢]
تـسـتـعـصـم الأوطـان خـلـف ظُـبـاتـه
وتـعـزُّ حـول قـنـاتِـه الأعـلامُ[٣]
(عـثـمـان) فـي بـردَيْـه يـمـنـعُ جـيـشَـه
(وابـنُ الـولـيـد) عـلـى الـحِـمـى قـوّامُ[٤]
عـلـم الـزمـان مـكـان (شـكـري) وآنـتـهـى
شـكـرُ الـزمـان إلـيـه والإعـظـامُ[٥]

❊ ❊ ❊

صـبـراً (أدرنـةُ)! كـلُّ مـلـكٍ زائـلٌ
يـومـاً ويـبـقـى الـمـالـك الـعـلَّامُ[٦]
خـفَـتَ الأذان فـمـا عـلـيـكِ مـوحِّـدٌ
يـسـعـى، ولا الـجُـمَـع الـحِـسـان تُـقـامُ[٧]
وخـبَـتْ مـسـاجـدُ كـنّ نـوراً جـامـعـاً
تـمـشـي إلـيـه الأُسْـدُ والآرامُ[٨]

---

(١) الحسام: السّيف.
(٢) العِرض: هو ما يصونه الرجل من شرف وكرامة أو حرمة. ذاد عنه: دافع عنه.
(٣) تستعصم: تمتنع (من المنعة). الظُّبات: مفردها ظَبَة، أي حد السيف، تَعِزّ: تصبح عزيزة.
(٤) ابن الوليد: هو خالد بن الوليد القائد الشهير.
(٥) شكري: هو قائد حامية «أدرنة» أثناء فترة الحصار.
(٦) صبراً «أدرنة»: أي اصبري صبراً يا «أدرنة».
(٧) خفت: انخفض. الموحّد: الذي يعتقد بوحدانية اللّه. الجُمَع: أيام الجمعة حيث تقام صلاة الجمعة
(٨) خبت: سكنت. الأسد: كناية عن الرجال الذاهبين إلى المساجد. الآرام: كناية عن النساء اللواتي يذهبن إلى المساجد، والآرام ومفردها رئم، تعني الظباء.

يـدرُجْـنَ فـي حَـرَمِ الـصـلاةِ قـوانـتـاً
بـيـضَ الإزار كـأنـهـنّ حَـمـامُ[١]
وعـفَـت قـبـورُ الـفـاتـحـيـن وفُـضَّ عـن
حُـفَـرِ الـخـلائـفِ جـنـدلٌ ورِجـامُ[٢]
نُـبِـشـتْ عـلـى قَـعـسـاءِ عـزّتـهـا كـمـا
نُـبِـشـتْ عـلـى اسـتـعـلائـهـا الأهـرامُ[٣]
فـي ذمّـةِ الـتـاريـخ خـمـسـةُ أشـهـرٍ
طـالـت عـلـيـك فـكـلُّ يـومٍ عـامُ[٤]
ألـسـيـفُ عـارٍ، والـوبـاءُ مـسـلَّـطٌ
والـسـيـل خـوفٌ والـثـلـوجُ رُكَـامُ[٥]
والـجـوعُ فـتّـاكٌ، وفـيـك صـحـابـةٌ
لـو لـم يـجـوعـوا فـي الـجـهـادِ لـصـامُـوا
ضـنّـوا بـعـرضِـك أَنْ يُـبـاعَ ويُـشـتـرى
عـرض الـحـرائـر لـيـس فـيـه سُـوامُ[٦]
ضـاق الـحـصـارُ كـأنـمـا حـلـقـاتُـه
فـلَـكٌ، ومـقـذوفـاتـهـا أجـرامُ[٧]

---

(١) يَدْرُجْنَ: يَسِرْنَ، والضمير «ن» يعود للآرام في البيت السابق. القوانت: مفردها قانتة، أي الخاشعات في الطاعة والدعاء.
(٢) عَفَتْ: امَّحتْ وخَلَتْ. فُضَّ: نُزِع. الجَنْدل: الصخر العظيم. الرِّجام: ما يبنى على القَبْر ويُنصب من حجارة.
(٣) القَعْساء: المنيعة، وعزَّة قَعْساء: أي ثابتة ومنيعة.
(٤) خمسة أشهر: هي مدة الحصار الذي فرض على «أدرنة».
(٥) السيف عارٍ: أي مجرد من غمده، وهذا دليل الاستنفار والتأهب للقتال المستمر. الوباء مسلّط: المرض الذي يصاحب المعارك بنتيجة سقوط الضحايا في القتال الدائر. السيل خوفٌ: أي مُخِيْف. والثلوج ركام: أي متراكمة فوق بعض.
(٦) الحرائر: مفردها حرة. السُّوام: عرض السلعة وذكر ثمنها.
(٧) الفَلَك: مدار الأجرام والنجوم. الأجرام: هي الأجسام التي تدور في الفلك.

ورمى العِدَى، ورميتهم بجهنم
مما يصبُّ اللَّهُ لا الأقوامُ
بعتِ العدوَّ بكلِّ شبرٍ مهجةً
وكذا يباعُ الملكُ حين يُرامُ[١]
ما زال بينكِ في الحِصارِ وبينَه
شمُّ الحصونِ ومثلُهنّ عِظامُ[٢]
حتى حواكِ مقابراً وحويتِه
جُثَثاً فلا غبنٌ ولا استِذمامُ[٣]

(١) المهجة: الروح أو دم القلب. ومعنى البيت، أن العدو لم ينلْ منكِ إلّا بعد أن بُذلت الدماء في سبيلك بالشهادة.
(٢) شُمّ الحصون: أي الحصون المرتفعة.
(٣) حواك: استولى عليك. الاستذمام: عمل ما يقتضي الذَّم. ومعنى البيت، أن الحصون قد تشابهت مع أكوام القتلى التي أصبحت كالحصون، فلم يستولِ عليك العدو إلّا بعد أن أصبحت مقابر لرجاله وأصبح رجاله جثثاً هامدة، وهكذا فلا غبن ولا استذمام.

ضيفُ أميرِ المؤْمنين(*)

[من الخفيف]

رضيَ المسلمون والإسلامُ فرعَ عُثْمَانَ دُمْ فِدَاكَ الدوامُ(١)
كيف نحصي على عُلاكَ ثناءً لك منك الثناءُ والإكرامُ
هل كلام العباد في الشمسِ إلّا أنّها الشمس ليس فيها كلامُ؟
ومكان الإمام أعلى ولكن بأحاديثه يَتيه الأنامُ(٢)
إيه عبد الحميد جلَّ زمانٌ أنت فيه خليفةٌ وإمامُ(٣)
ما رأت مثلَ ذا الذي تَبتني الأقـ ـوامُ مجداً ولن يَرى الأقوامُ
دولة شاد ركنَها ألفُ عام ومئاتٌ تُعيدها أعوامُ(٤)
وأساسٌ من عهدِ عُثْمَانَ يُبنىً في ثمانٍ، ومثلُهنّ يُقامُ
حكمةٌ حالَ كلُّ هذا التجلّي دونها أَنْ تنالَها الأفهامُ
يسأل النّاس عندها النّاسَ هل في النّاس ذو المقلةِ التي لا تنامُ(٥)
أم من النّاس بعدُ، مَنْ قولُه وحْـ ـيٌ كريمٌ وفعلُه إلهامُ(٦)
صدق الخلقُ أَنْت هذا وهذا يا عظيماً ما جازه إعظامُ(٧)

(*) «نزل صاحب الديوان بالآستانة، فَبُلّغ أنه ضيف أمير المؤمنين ما أقام فيها».

(١) فرع عثمان: هو السلطان عبد الحميد. (٢) يتيه: يختال.

(٣) إيه: اسم فعل يعني الاستزادة من الحديث.

(٤) المعنى، أن دولة الخلافة قد تأسست على مرّ التاريخ فناهزت ألف عام ومئات من السنين، وأنت أيها السلطان تعيدها إلى مجدها في أعوام معدودة توليت فيها أمر الخلافة.

(٥) يسأل الناس عندها، أي عند هذه الحكمة التي أوردها الشاعر في البيت السابق: هل في الناس من هو مثلك يسهر على الملك فلا تنام مقلته؟

(٦) يسأل الناس أيضاً: هل سيكون لأحد منهم ذكر بعدك وأنت صاحب القول الصادق كأنه الوحي، مصاحب الفعل الصائب كأنه الإلهام؟

(٧) صدق الخلق... إلخ: أي صدقوا في كل ما نُسب إليك من السهر على الملك، والقول الصادق والفعل الصائب.

شرفٌ باذخٌ ومـلـكٌ كـبـيـرٌ ... ويـمـيـنٌ بُـسـطٌ وأَمْـرٌ جُـسـامُ[١]
(عُـمَـرٌ) أَنْـتَ بـيْـد أَنّـك ظـلّ ... لـلـبـرايـا وعـصـمـةٌ وسـلامُ[٢]
مـا تـتـوَّجـتَ بـالـخـلافـةِ حـتـى ... تُـوِّجَ الـبـائـسـون والأيـتـامُ
وسرى الخِصْبُ والنّماءُ ووافى الـ ... ـبِشْرُ والظلُّ والجَنَى والغَمامُ[٣]
وتـلـقَّـى الـهـلالَ مـنـك جـبـيـنٌ ... فـيـه حـسـنٌ وبـالـعُـفـاةِ غَـرامُ[٤]
فـسـلامٌ عـلـيـهـمُ وعـلـيـه ... يـوم حـيَّـتـهـمُ بـه الأيـامُ
وبدا الملكُ ملك عُثْمَانَ من عَلـ ... ـياكَ في الذِّروة التي لا تُرامُ[٥]
يـهـرعُ الـعـرشُ والـمـلـوكُ إلـيـه ... وبنو العصر والولاةُ الفِخامُ[٦]
هـكـذا الـدّهـر حـالـةٌ ثـم ضـدٌّ ... مـا لـحـالٍ مـع الـزمـان دوامُ
ولأنـت الـذي رَعِـيَّـتُـه الأسْـ ... ـدُ ومسرى ظلالها الآجامُ[٧]
أمّـة الـتّـركِ والـعـراقُ وأهـلـو ... ه ولـبـنـان والـرُّبـى والـخـيـامُ
عـالـمٌ لـم يـكـن لـيُـنْـظَـم لـولَا ... أنـك الـسِّـلـم وسـطـه والـوئـامُ[٨]
هذَّبته السيوفُ في الدّهر واليو ... م أتـمـت تـهـذيـبَـه الأقـلامُ[٩]
أيـقـولـون سَـكـرةٌ لـن تَـجـلَّـى ... وقـعـودٌ مـع الـهـوى وقـيـامُ؟[١٠]
لـيـذوقُـن لـلـمُـهـلْـهِـلِ صـحـواً ... تشرف الكأسُ عنده والمدامُ[١١]

(١) شرف باذخ: أي طويل. ويمين بُسْطٌ: أي مبسوطة في الجود والسخاء. أمْرٌ جُسام: أي أمْرٌ عظيم.
(٢) (عُمَرٌ) أنت: أي أنت كالخليفة الراشدي عمر بن الخطاب في عدله.
(٣) الخصب: كثرة الخير. الجنى: ما يُجنى من ثمر وغيره.
(٤) وبالعُفاة غرام: أي وفيه أيضاً غرام بالعفاة. والعفاة: مفردها عافٍ، وهو طالب الرزق.
(٥) من علياك: أي من عليائك، والعلياء: ما علا من الشيء.
(٦) يهرع: يجري إليه بسرعة. الفخام: مفردها فخم، وهو العظيم القدر.
(٧) المسرى: السريان. الآجام: الشجر الكثيف الملتف.
(٨) يُنظم: بمعنى ينتظم. السلم: نقيض الحرب. الوئام: الوفاق.
(٩) هذَّبَتْهُ: أصلحته.
(١٠) تجلَّى: بمعنى تتجلّى أي تنجلي وتنفرج أو تنكشف.
(١١) ليذوقن: هي هنا بمعنى القسم، أي واللّه ليذوقن، والضمير في الفعل يرجع إلى من «يقولون» في البيت السابق. المهلهل: هو عدي بن ربيعة، شاعر جاهلي، خال امرئ=

وضع الشَّرقُ في يديك يديه ... وأتت من حُماتِه الأقسامُ[١]
بالولاءِ الذي تُريد الأيادي ... والولاءِ الذي يُريد المقامُ[٢]
غيرَ غاوٍ أو خائن أو حسودٍ ... برئَتْ من أولئك الأحلامُ[٣]
كيف تُهدَى لِمَا تشيدُ عيونٌ ... في الثرى ملؤُها حصًى ورَغامُ[٤]
مُقَلٌ عانت الظلامَ طَويلاً ... فعماها في أَنْ يزولَ الظلامُ[٥]
قد تعيش النفوسُ في الضيم حتى ... لترى الضيمَ أنّها لا تضامُ[٦]
أيّها النافرون عودوا إلينا ... ولِجوا البابَ إنه الإسلامُ[٧]
غرضٌ أَنْتُمُ وفي الدّهر سهمٌ ... يوم لا تدفعُ السّهامَ السّهامُ[٨]
نمتمُ ثم تطلبون المعالي ... والمعالي على النِّيام حرامُ[٩]
شَرُّ عيش الرجال ما كان حُلماً ... قد تسيغ المنيةَ الأَحلامُ[١٠]

= القيس، وأخو كليب بن ربيعة، وهو بطل من أبطال حرب البسوس التي قتل فيها أخوه كليب فقال فيه أكثر أشعاره بعد أن هجر ما كان فيه من حب الشراب والقمار والنساء، طلباً للثأر من دم أخيه الذي قتله جسّاس أخو امرأته. ومن هنا الربط فيما يشير إليه الشاعر: ليذوقن للمهلهل صحواً أي ليذوقن صحواً كصحو المهلهل وحرباً كالحرب التي أثارها.

(١) الحماة: مفردها حام، وهو المانع. الأقسام: مفردها قسم، أي اليمين.

(٢) بالولاء الذي تريد الأيادي: أي الولاء الذي تستوجبه الأيادي البيضاء عليهم وهي النّعم التي كنت تسخى عليهم بها. والولاء الذي يريد المقام: أي الولاء الذي يستحقه مقامك الرفيع.

(٣) المعنى، أن الولاء لا يُقبل من هؤلاء الثلاثة (الغاوي، والخائن، والحسود)، وأن العقول قد برئت منها لأنه لا محل لها عندما يتعلق الأمر بالولاء للمقام الرفيع.

(٤) تشيد: تبني. الثرى: التراب. الرَّغام: التراب أو الرمل المختلط بالتراب.

(٥) مُقل: مفردها مقلة وهي العين.

(٦) الضّيم: القهر والعذاب.

(٧) النافرون: المتفرقون. لجوا: فعل أمر من ولج، أي ادخلوا.

(٨) الغرض: الهدف.

(٩) المعالي: مفردها معلاة، وهي الشرف والرفعة.

(١٠) الحلم: ما يراه النائم، أو ما يدغدغ خيال الإنسان من أمنيات ورغبات، وجمعها أحلام.

ويبيت الزمان أَنْدلسياً ثم يُضحِي وناسُه أعجامُ[١]

* * *

عالي الباب هزّ بابُك منّا فسعينا وفي النفوسِ مَرَامُ[٢]
وتجليتَ فاْستلمنا كما للنَّاسِ بالركن ذي الجلالِ اْستلامُ[٣]
نستميحُ الإمامَ نصراً لمصرٍ مثلما ينصرُ الحُسامَ الحُسامُ[٤]
فلمصرٍ وأنت بالحبِّ أدرَى بكَ يا حاميَ الحمى استعصامُ[٥]
يشهدُ اللَّه للنفوسِ بهذا وكفاها أَنْ يشهدَ العلّامُ
وإلى السيدِ الخليفةِ نشكو جورَ دهرٍ أحرارُه ظُلّامُ[٦]
وعدوها لنا وعوداً كباراً هل رأيت القُرى علاها الجهامُ؟[٧]
فمللنا ولم يكُ الداءُ يحمي أنْ تملَّ الأرواحُ والأجسامُ[٨]
يمنعُ القيدُ أَنْ تقوم، فهل تا جٌ؟ فبالتّاج للبلاد قِيامُ
فاْرفع الصوت إنّها هي مصرٌ واْرفع الصوتَ إنّها الأهرامُ
واْرعَ مصراً ولم تزل خيرَ راعٍ فلها بالذي أرتكَ زمامُ
إنّ جهد الوفاءِ ما أَنْت آتٍ فليقم في وفائك الخُدامُ[٩]
وليصولوا بمَنْ له الدهرُ عبدٌ وله السعدُ تابعٌ وغلامُ[١٠]

---

(١) أندلسياً: أي كأيام الأندلس حيث كان فيها للعرب والمسلمين العزة والملك.
(٢) عَالِيَ الباب: أي يا صاحب الباب العالي. هزّ بابك منّا: أي هزّنا. مرام: مطلب.
(٣) تجلّيت: ظهرت. الركن: المقصود هنا، ركن الكعبة. الاستلام: يكون الاستلام إما باليد أو القُبلة، كما استلام ركن الكعبة.
(٤) نستميح: نسأل السماح. الحسام: السيف.
(٥) الحِمى: ما يُعمل على حمايته. استعصام: استمساك.
(٦) الجور: البغي. ظلّام: مفردها ظالم.
(٧) القرى: مفردها قرية وهي البلدة الصغيرة. الجَهام: السحاب لا قطر فيه. والمعنى، أن تلك الوعود كانت خائبة، كاذبة.
(٨) ولم يكُ الداء يحمي... إلخ: أي لم يكن باستطاعة الداء أن يحمي الأرواح والأجسام من أن تملّه.
(٩) المعنى، أن غاية الوفاء هو ما أنت فاعله وليكن الجميع في خدمة هذه الغاية النبيلة.
(١٠) المعنى، فليسطوا بأمرك وبسلطانك على من ظلموا مصر حتى يدحروهم.

فاللواءُ الذي تلقوْا رفيعٌ ... والأمورُ التي تولوْا عِظامُ
مَنْ يُردْ حقَّه فللحقِّ أَنْصا ... رٌ كثيرٌ وفي الزمانِ كِرامُ
لا تروقنَّ نومةُ الحق للبَا ... غي فللحق هبّة وانتقامُ
إنّ للوحوشِ ـ والعظامُ مناها ـ ... لَمَنايا أسبابُهنَّ العظامُ[1]
رافعَ الضّادِ للسُّها هل قبولٌ ... فيباهي النجومَ هذا النظامُ
قامت الضّادُ في فمِي لك حبًّا ... فهي فيه تحيةٌ وابتسامُ[2]
إنّ في (يلدزَ) الهوى لخلالاً ... أنا صبّ بلُطفها مستهامُ[3]
قد تجلّتْ لخيرِ بدرٍ أقلّتْ ... في كمالٍ بدت له أعلامُ[4]
فألزم التَّمّ أيّها البدرُ دوماً ... وألزم البدرَ أيّهذا التَّمَامُ[5]

(١) العظام: مفردها عَظْم، وهو القَصَب الذي يغطيه اللحم. مناها: مفردها أمنية، وهي ما يتمناه المرء. منايا: مفردها مَنِيَّة، وهي الموت. والمعنى العام للبيت، أن الوحوش تجد منيَّتها في العظام التي هي مناها، وهي تطلبها للأكل والبقاء على قيد الحياة.
(٢) الضَّاد: كناية عن اللّغة العربية. السُّها: كوكب. هذا النظام: أي هذا النَّظْم، أو الشعر.
(٣) «يلدز»: قصر السلطان عبد الحميد في الآستانة.
(٤) تجلّت: ظهرت. أقلّت: حملت.
(٥) التَّمّ والتَّمام: الكمال.

ذكرى دنشواي(*)

[من الكامل]

يا (دِنشوايَ) على رُباكِ سلامُ ... ذهبتْ بِأُنسِ ربُوعِكِ الأيامُ
شهداءُ حُكمكِ في البلاد تفرّقوا ... هيهاتَ للشملِ الشتيتِ نظامُ
مرت عليهم في اللحود أهلةٌ ... ومضى عليهم في القيودِ العامُ
كيف الأراملُ فيكِ بعد رجالِها ... وبأيِّ حالٍ أصبح الأيتامُ
عشرون بيتاً أقفرتْ وٱنتابَها ... بعد البشاشةِ وحشة وظلامُ
يا ليت شعري في البروج حمائمٌ ... أم في البروجِ مَنِيَّة وحِمامُ؟(١)
(نيرونُ) لو أدركتَ عهد (كرومرٍ) ... لعرفتَ كيف تُنفّذ الأحكامُ!

* * *

نوحي حمائمَ (دنشوايَ) وروِّعي ... شعباً بوادي النِّيل ليس ينامُ
إنْ نامت الأحياءُ حالتْ بينه ... سحراً وبين فراشِه الأحلامُ
متوجع يتمثلُ اليومَ الذي ... صبحتْ لشدةِ هوله الأقدامُ
ألسوطُ يعملُ والمشانقُ أربعٌ ... متوحدات والجنودُ قيامُ
والمستشارُ إلى الفظائع ناظرٌ ... تدمى جلودٌ حولَه وعِظامُ
في كل ناحية وكلِّ محلةٍ ... جزعاً من الملإ الأسيف زِحامُ
وعلى وجوهِ الشاكلين كآبة ... وعلى وجوهِ الشاكلات رَغامُ

(*) «قيلت بعد مرور عام على حادثة هذه القضيّة في سبيل طلب العفو عن سجنائها».
(١) يا ليت شعري: أي يا ليتني أعرف. المنيّة: الموت. الحِمام: الموت أيضاً.

الهلال الأحمر (*)

[من البسيط]

يـا قـومَ عُـثْـمَـانَ والـدُّنـيـا مـداولـةٌ
تـعـاونـوا بـيـنَـكـم يـا قـومَ عُـثْـمَـانَـا (١)
كـونـوا الـجـدار الـذي يـقـوى الـجـدار بـه
فـالـلَّـه قـد جـعـل الإسـلام بـنـيـانَـا (٢)
أمسى السبيل لغير المحسنين دماً
فـشـأنـكـم وسـبـيـلاً نـورهُ بـانَـا
ألـبِـرُّ مـن شُـعَـبِ الإيـمـان أفـضـلُـهـا
لا يـقـبـل الـلَّـهُ دون الـبـرِّ إيـمـانَـا (٣)
هـل تـرحـمـون لـعـلَّ الـلَّـه يـرحـمُـكـم
بـالـبـيـد أهـلاً وبـالـصـحـراءِ جـيـرانَـا؟
فـي ذمـةِ الـلَّـهِ أو فـي ذمـةٍ نـفـرٌ
عـلـى (طـرابُـلُـسٍ) يـقـضـون شـجـعـانَـا (٤)
إنْ سـال جَـرحـاهُـمُ مـن غُـربـةٍ ووغـىً
بـاتـوا عـلـى الـجـمـرِ أرواحـاً وأبـدانَـا (٥)

(*) «كانت جماعة الهلال الأحمر المصرية قد أحييت ليلة لكيّ تجمع بها التبرعات لإعانة مقاتلي الجيش العثماني في طرابلس الغرب حين أغارت إيطاليا عليها فقال في ذلك هذه القصيدة».

(١) مداولة: مداورة، أي مرة لهؤلاء وأخرى لغيرهم، وهي مسْتوحاة من قوله تعالى: ﴿**وتلك الأيام نداولها بين الناس**﴾.

(٢) الجدار: الحائط.

(٣) البِّر: المعروف. الشُّعب: مفردها شعبة، وهي الطائفة أو الفرقة من الشيء.

(٤) يقضون: يموتون.

(٥) جرحاهم: أي جرحى المقاتلين. الوغى: الحرب.

هـذا يَـحـنُّ إلـى الـبـسـفـور مـحـتـضَـراً
وذاك يـبـكـي الـغَـضَـا والـشِّـيْـح والـبـانَـا[١]

يـــودِّعـــون عـــلـــى بـــعـــدٍ ديـــارهـــم
ويـنـشـدون بُـنـيـاتٍ وصـبـيـانَـا[٢]

أَذَنْـبُـهـمْ عـنـد هـذا الـدّهـر أَنّـهـمُ
يـحـمـون أرضـاً لـهـم دِيـسـت وأوطـانَـا؟

مـاتـوا وعِـرضُـهـمُ الـمـوفـور بـعـدهُـمُ
والـعِـرضُ لا عـزَّ فـي الـدُّنـيـا إذا هـانَـا[٣]

قَـوْمِي: وجـلَّـت وجـوه الـقـوم، مـصـرُ بـكـم
ألـقـت عـلـى كـرمـاءِ الـدّهـر نـسـيـانَـا[٤]

لا تـسـألـون عـن الأعـوان إنْ قـعـدوا
وتـنـهـضـون إلـى الـمـلـهـوفِ أعـوانَـا[٥]

أكـلـمـا هـزّكـم داعٍ لـصـالـحـةٍ
قـمـتـم كـهـولاً إلـى الـداعـي وفـتـيـانَـا؟[٦]

---

(١) المعنى، أن ما يوحّد هؤلاء المقاتلين هو هدف واحد، وإن تعددت جنسياتهم، فالتّركي يحن إلى البسفور، والعربي يتذكر ماضي أيامه بين الغضا والشّيح والبان تلك الأشجار التي يستنشقون روائحها الطيبة عن بعد فتحفزهم للرجوع إلى أهلهم وديارهم، ولكن أنّى لهم ذلك والموت يترقبهم بالمرصاد. المحتضَر: من يحضره الموت.

(٢) المعنى، يتذكرون حياتهم بين الأهل، فيسألون عن بناتهم وأولادهم.

(٣) المعنى، أنهم ماتوا في سبيل الحفاظ على عرضهم، وقد بقي عرضهم عزيزاً موفور الجانب بمن يحمل الرسالة بعدهم ويحفظ العرض.

(٤) قَوْمي: أي يا قَوْمي. والمعنى، أنّ مصر قد تباهت بكم لِما جئتم به من الخير العميم، بحيث لم يعد للكرماء في غير مصر شأن يذكر.

(٥) لا تسألون: أي لا تسألون يا قَوْمِي. تنهضون: تقومون. الملهوف: المستغيث.

(٦) أكلما: هي للتكرار. لصالحة: أي لمأثرة صالحة. الكهول: مفردها كهل وهو الرجل كبير السن.

لـو صُـوِّر الـشَّـرق إنـسـانـاً أخـا كـرم
لـكـنـتُـمُ الـروحَ والأقـوامُ جُـثـمـانَـا[١]
إذا هُـززتـم تـلاقـى الـسـيـفُ مـنـصَـلـتـاً
والـريـحُ مـرسـلـة والـغـيـث هـتَّـانَـا[٢]
إذا الـمـكـارم فـي الـدُّنـيـا أشِـيـد بـهـا
كـانـت كـتـابـاً وكـنّـا نـحـن عُـنـوانَـا[٣]
إنّ الـحـيـاة نـهـارٌ أو سـحـابـتُـه
فـعِـشْ نـهـارك مـن دنـيـاك إنـسـانَـا
أرى الـكـريـمَ بـوُجـدانٍ وعـاطـفـةٍ
ولا أرى لـبـخـيـل الـقـومِ وجـدانَـا[٤]

❊ ❊ ❊

هـذا الـهـلال الـذي تُـحـيـون لـيـلـتـه
أبـهـى الأهـلّـةِ عـنـد الـلَّـهِ ألـوانَـا[٥]
أراه مـن بـيـن أعـلام الـوغـى مَـلَـكـاً
ومـا سـواه مـن الأعـلام شـيـطـانَـا[٦]
قـانٍ فـفـيـه مـن الـجَـرحَـى مُـشـاكـلـةٌ
حـتـى إذا قـيـل مـاتـوا اخـضـرَّ رَيـحـانَـا[٧]
لـحـامـلـيـه جـلالٌ مـنـه مـقـتـبَـسٌ
كـأنـمـا رفـعـوا لـلـنّـاسِ قُـرآنَـا[٨]

---

(١) الجثمان: الجسد بلا روح.
(٢) السيف المنصلت: المجرد من الغمد. الهتّان: المنصبّ.
(٣) أُشِيد بها: أي أشيد بالمكارم، والإشادة هي الثناء بالكلام الجميل.
(٤) الوجدان: من الوجد أي العاطفة.
(٥) الهلال: كناية عن العلم التّركي ذي اللون الأحمر يتوسطه هلال بلون أبيض.
(٦) الوغى: الحرب. ملَكاً: أي كالملَك في سموّه وطهارته، والملَك هو واحد الملائكة.
(٧) المشاكلة: المشابهة.
(٨) الجلال: القدر العظيم. مُقْتبس منه: مُتَّخذ ومُستفاد منه.

كـأنّ مـا ٱحـمـرَّ مـنـه حـول غُـرَّتـهِ
دمُ الـبـريء ذكـيِّ الـشَّـيْـبِ عُـثْـمَـانَـا[١]
كـأنّ مـا ٱبـيـضَّ فـي أثـنـاءِ حُـمـرتـه
نـورُ الـشـهـيـد الـذي قـد مـات ظـمـآنَـا[٢]
كـأنّـه شـفَـقٌ تـسـمـو الـعـيـون لـه
قـد قَـلَّـدَ الأفـقَ يـاقـوتـاً ومَـرجـانَـا
كـأنّـه مـن دم الـعُـشـاق مـخـتـضـبٌ
يُـثـيـرُ حـيـث بـدا وجـداً وأشـجـانَـا[٣]
كـأنّـه مـن جـمـال رائـع وهُـدًى
خـدودُ يـوسـفَ لـمّـا عـفَّ ولـهـانَـا[٤]
كـأنّـه وردة حـمـراءُ زاهـيـة
في الـخُـلـدِ قـد فُـتِّـحـت في كـفِّ رضـوانَـا[٥]

(١) الغُرّة: البياض في جبهة الحصان، وقد شبه بها رسم الهلال لأنه أبيض اللون. عثمان: هو الخليفة الراشدي عثمان بن عفّان رضي اللّه عنه.
(٢) الأثناء: مفردها ثِنْي، وهو الطيّ في الثوب وغيره.
(٣) مختضب: ملون. الوجد: الحب. الأشجان: الأحزان.
(٤) الجمال الرائع: الجمال المثير للإعجاب. يوسف: هو الصِّديق يوسف بن يعقوب عليهما السلام. عَفَّ: كفّ عن الحرام. الولهان: الحزين حتى ذهاب عقله حزناً.
(٥) رضوان: اسم أحد الملائكة.

رومـــة(*)

صديقي المحترم:

صدرتُ(١) عن باريسَ وكأنها بابلُ ذاتُ البرج والجسر وهي في دولتها، أو طيبة(٢) في الزمن الأوّل، إلّا أنّها مدينة الشمس، وباريسُ مدينةُ النور، أو رومة(٣) مقرّ القياصِر، ومزدحمُ الأجناسِ والعناصر، وهي في رِفعة مُلكِها الفاخِر، تموجُ بالأمم كالبحر الزاخر، أو الإسكندرية(٤) ذات المسلّة ـ والمسلّة في باريس ـ وهي في ذروة سعدها، وأوج كمالها، تُغيرُ الشمسَ في سرير مجدها بجلالها وجمالها، أو بغدادُ(٥) في إبّان إقبالها، وسلطان أقيالها، وأيمنِ أمرها وأسعدِ حالها، فسبحان المنعم، أعطى مدينة المعرِضِ الأسماء كلَّها، وجلت قدرتُه، بعث المدائن في واحدة.

(*) «نظم صاحب الديوان هذه القصيدة وقدّمها بكتاب إلى صديقه المؤرخ الأستاذ إسماعيل بك رأفت».

(١) صَدَرْتُ عن باريس: انصرفت عنها. بابل: مدينة قديمة بناها بختنصر وأنقاضها واقعة على الفرات قرب الحلَّة جنوبي شرقي بغداد، وكان بها بناء عظيم ذو طبقات بعضها فوق بعض يسمّى برجاً، وأما جسر بابل فهو الذي يمتد فوق نهرها الذي يشق المدينة من الشمال إلى الجنوب، ويذكر لبابل أيضاً الجنائن المعلقة وسواها وهي من عجائب الدنيا...

(٢) طيبة: مدينة مصرية قديمة كانت مقراً لملوكها وكانت تسمّى مدينة الشمس.

(٣) رومة: عاصمة الدولة الإيطالية في الوقت الحاضر. كانت مقر ملك الرومان في الزمن الغابر. القياصر: مفردها قيصر وهو لقب لكل ملك من ملوك الروم.

(٤) الإسكندرية: هي المدينة الكبرى الثانية في الدولة المصرية، وهي مشهورة بمِسلّاتها العجيبة، أما المِسلَّة الموجودة في باريس فقد نقلها الفرنسيون إليها حين سيطروا على البلاد المصرية.

(٥) بغداد: عاصمة العراق، كانت مقر الخلافة العباسية. سلطان أقيالها: قوة ملوكها. أيمن أمرها: أي أكثر أمرها يمناً.

رحلتُ عنها في اليوم الذي أسفر صباحُه عن ليلةِ الاحتفال بتوزيع الجوائز على العارضين، وقد نالها منهم ستّون ألفاً أو يزيدون، كلهم من مشهوري الصُّناع، وكبار المخترعين، شيّعوا في ذلك جنازة القرن التاسع عشر ومشى الخلائق فيها حتى دفناه وكأنه نهار مرّ، أو ليلة تقضّت بالسّمر[١]، ثم ٱنقلبنا ننفض الأنامل من ترابه، ونذكر من محاسنه أَنّه جبلٌ واضحُ الغُررِ والتحجيل[٢]، يذكره التاريخ بالتعظيم والتبجيل، قام العلمُ فيه على أمتن بُنيان، ورُفِعت الحجبُ بين الحقائق والإنسان، ضُربت له أطولُ سماءٍ من ضروب العرفان، وٱستمدّ من القادر[٣] مبالغ الإمكان، فٱقتاد البرّ بشعرة، وزمّ البحر بإبرة[٤]، وفرق[٥] الأرض وبلغ الجبال، وأوشك أَنْ يمدّ إلى السماء بحبال، ونفذَ على النجم المدى ووجد على القطب هدى، وغاص على الحروب الماء، وركب إلى الوقائع الهواء، وكسر شِرَّة الدَّاء[٦]، وقتل قتَّاله وراض العياء، ودخل بصرُه على الجسم الأحشاء، وأنطق الآلة الصمّاء، ونقل الحديث من فضاء إلى فضاء، على انقطاع الصلةِ بين النطق والإصغاء، وحرَّك الصور وهي هباء، إذا رأيتها حسبتها جماعة الأحياء، ونال سرائرَ الحَوْباء[٧]، وخاض في الطبائع[٨] والأهواء، فٱنكشف له الغِطاء وبرح الخفاء[٩]، ونثرَ فكاد يوحَى إليه في الإنشاء، ونظم فلم يَدعْ من آية في الأرض ولا في السماء.

كل هذا أيها الأستاذ عرضَتْهُ (باريسُ) للناس في خير معرضٍ أُخرِج لهم، فواهاً[١٠] له من سوق ثم يَنْفَضّ، ويا أسفاً على بنيانه يوم ينقضّ.

---

(١) السّمر: حديث الليل.
(٢) الغرر: مفردها غرة، وهي البياض في جبهة الفرس. التحجيل: البياض في قوائم الفرس.
(٣) القادر: من أسماء اللَّه الحسنى. (٤) زمّ البحر: جمع ماءه (معنى مجازي).
(٥) فَرَقَ الأرض: فصلها. (معنى مجازي).
(٦) الدَّاء: المرض، والدَّاء العياء: الذي لا يُبرأ منه.
(٧) السرائر: مفردها سريرة، وهي السر. الحوباء: النفس.
(٨) الطبائع: السجايا. (٩) برح الخفاء: انكشف.
(١٠) واهاً: كلمة للتعجب، وتكون أيضاً للتلهّف.

برحتُها وهي تجرّ الذيلَ على المدائن الكُبَر[١]، وتزري بالحضارات ما حضر منها وما غبر[٢]، وقصدت إلى رومةَ لعلّي أردّ النفسَ إلى الخشوع، وأداوي الفؤاد من نشوة اغتراره بما رأى، فبلغتها وإذا أنَا بين أثر يكاد يتكلم، وحجرٍ كان لكرامته يُستَلم[٣] فوقفت أتأمل ذا الجدارَ وذا الجدار[٤]، وأنشد[٥] ذلك القصر وتلك الدار، إلى أن ثار الشعر، والشعر ابن أبوين: «التاريخ والطبيعة» فنظمت وكأني بها في يديك تقرأ:

أحبُّ التوفيق إليّ أيُّها الأستاذ إكرام العالم وإجلال الصديق، وأنت لي بحمد اللَّه هذان كلاهما، فهل تمنّ بقبول هدية هي إلى التاريخ أدنى منها إلى الشعر؟:

[من الخفيف]

قِفْ بروما وشاهِدِ الأمر واشْهَدْ
أنّ للملكِ مالكاً سبحانَهْ
دولةٌ في الثَّرى وأنقاضُ مُلكٍ
هدمَ الدهر في العُلا بنيانَهْ[٦]
مَزّقت تاجَه الخطوبُ وألقت
في الترابِ الذي أرى صولجانَهْ[٧]
طللٌ عند دمنةٍ عند رَسْم
ككتاب محا البِلَى عُنوانَهْ[٨]
وتماثيلُ كالحقائقِ تزدا
دُ وضوحاً على المدى وإبانَهْ[٩]

(١) الكُبَر: مفردها كبرى. (٢) تزري: تحط من شأنها. ما غَبَر: ما مضى.
(٣) استلم الحجر: لمسه باليد أو القبلة.
(٤) الجدار: الحائط. (٥) أنشد: أطلب
(٦) الثرى: التراب. الأنقاض: ما بقي من البنيان المتساقط. العُلا: الشرف والرفعة.
(٧) الصولجان: هو عصا منعطفة الرأس، غالباً ما يحمله الملوك والفرسان.
(٨) الطلل: ما بقي من آثار الدار. الدِّمنة: الخراب. الرسم: ما كان لاصقاً بالأرض من آثار الدار.
(٩) التماثيل: المنحوتات من الحجر أو المعدن. الإبانة: الإيضاح.

مَنْ رآها يقولُ: هذِي ملوكُ الدّهرِ، هذا وقارُهم والرَّزانَهْ[١]
وبقايا هياكلٍ وقصورٍ
بين أخذِ البِلى ودفعِ المتانَهْ[٢]
عبثَ الدّهرُ بالحواريّ فيها
و(بيليوسَ) لم يَهب أرجوانَهْ[٣]
وجرت هاهنا أمورٌ كبارٌ
واصلَ الدّهرُ بعدها جَرَيانَهْ
راحَ دينٌ وجاء دينٌ وولَّى
ملكُ قومٍ وحلَّ ملكٌ مكانَهْ[٤]
والذي حصَّلَ المجدّون إهرا
قُ دماءِ خليقةٍ بالصيانَهْ[٥]
ليت شعري إلامَ يقتتل النّا
سُ على ذي الدَّنِيَّة الفتانَهْ[٦]
بلدٌ كان للنصارى قتَاداً
صار ملك القُسوسِ عرشَ الديانَهْ[٧]

(١) الوقار: الهيبة. الرَّزانة: الرَّصانة.
(٢) هياكل: مفردها هيكل، وهو إما البناء المرتفع، أو بيت العبادة عند القدماء.
(٣) الحواريّ: الناصر. «يليوس»: هو يليوس قيصر أحد قياصرة الرومان. الأرجوان: صبغ أحمر، أو الحمرة من الألوان.
(٤) راح دين: ولّى، وهو دين الرومان قبل المسيحية. وجاء دين: أقبل، وهو دين المسيحية. وولّى مُلْك قوم: أي مُلْك الرومان الأقدمين. وحلّ مُلْكٌ مكانه: أي ملك الذي غلبوا الرومان بعد ذلك.
(٥) المعنى، أن أولئك الذين سعوا للحرب لِيُحلّوا ديناً بدل دين في روما، ويقيموا مُلكاً جديداً على أنقاض مُلك ذاهب إنما غالوا في إراقة دماء الناس التي تستحق أن تحفظ وتصان لخير البشرية وعمران الحضارات.
(٦) الدَّنية الفتَّانة: يعني الدنيا.
(٧) القتاد: نوع من الشجر صلب، له شوك كالإبر. والمعنى، أن وصولهم إليه كان شاقاً.

وشُعوبٌ يمحون آيةَ عيسى
ثم يُعلون في البريّةِ شانَهْ
ويُهينون صاحبَ الروحِ مَيْتاً
ويعزُّون بعدَه أكفانَهْ[١]
عالمٌ قُلَّبٌ وأحلام خَلقٍ
تتبارى غباوةً وفطانَهْ[٢]
رومةُ الزَّهْوِ في الشرائعِ، والحكـ
ـمةِ في الحُكم، والهوى والمجانَهْ[٣]
والتَّناهي فما تعدَّى عزيزاً
فيكِ عزٌّ ولا مَهينا مهانَهْ[٤]
ما لحيٍّ لم يُمس منكِ قبيلٌ
أو بلادٌ يعدّها أوطانَهْ[٥]
يصبحُ الناسُ فيكِ مولًى وعبداً
ويرى عبدُكِ الورى غِلمانَهْ[٦]

---

(١) المعنى، أنه من المُخَادَعَة والتناقض أنهم يخالفون شريعة عيسى بينما هم يدّعون تعظيمه.

(٢) القُلّب: المخادع أو المحتال.

(٣) الزهو: التيه والخُيلاء. المجانة: الهزل.

(٤) التناهي: بلوغ النهاية. فما تعدى عزيزاً... إلخ: أي لقد بلغت النهاية أو القمّة في كل أمر، فمن كان عزيزاً فقد تمكن من كل أسباب العزّ، ومن كان مهاناً فقد شرب من مهانته حتى الثمالة.

(٥) المعنى، أنك غلبت الجميع وأسقطت العصبيات، فلم يَبْقَ لأحد وطن يلجأ إليه حسب المفاهيم والأعراف التي تحدد معنى الأوطان ولم يبق سوى أهلك وعشيرتك يعتزون بهذا الامتياز.

(٦) يصبح الناس فيك... إلخ: يعني أن طبقات المجتمع لديك كانت من سادة وعبيد، حتى أصبح العبد في أرضك يمارس السيادة على كل من هو أجنبي، ويشعر بالعزّ تجاهه.

أيــن مُــلــكٌ فــي الــشّــرقِ والــغــربِ عــالٍ
تــحــسُــدُ الــشــمسُ فــي الــضُّــحى سـلـطـانَـهْ[١]
قــادرٌ يــمــســخُ الــمــمــالــكَ أعــمــا
لاً ويُــعــطــي وســيــعَــهــا أعــوانَــهْ[٢]
أيــــن مــــالٌ جَــبَــيْــتِــهِ ورعــــايــــا
كــلُّــهــم خــازنٌ وأنــتِ الــخــزانَــهْ؟[٣]
أين أشرافُكِ الذين طغوا في الدّهــرِ حتّى أذاقهم طُغيانَهْ؟[٤]
أيــنَ قــاضــيــكِ؟ مــا أنْــاخَ عــلــيــه؟
أيــنَ نــاديــكِ؟ مــا دهــا شِــيــخــانَــهْ؟[٥]
قــد رأيــنــا عــلــيــكِ آثــارَ حــزنٍ
ومــن الــدور مــا تَــرى أحــزانَــهْ
أقــصِــري واْســألــي عــن الــدهــرِ مــصــراً
هــل قــضــت مــرتــيــن مــنــه الــلُّــبــانَــهْ[٦]
إنّ مَــنْ فــرّقَ الــعــبــادَ شُــعــوبــاً
جــعــلَ الــقِــســط بــيــنــهــا مــيــزانَــهْ[٧]
هَــبْــكِ أفــنــيــتِ بــالــحــدادِ الــلّــيــالــي
لــن تَــردّي عــلــى الــوَرى رومــانَــهْ[٨]

(١) سلطانُهُ: قوَّتُهُ.
(٢) قادر: أي متمكن قوي، وهي صفة للمُلْك في البيت السابق. يمسخ الممالك أعمالاً: أي يحوّلها أعمالاً، والأعمال هي ما يكون من البلاد تحت سلطة الدولة المركزية.
(٣) جَبَيْتِهِ: جَمْعِتِهِ.
(٤) الأشراف: النبلاء، وهم الحكام الذين سادوا على مَنْ سواهم واْحتكروا مقاليد البلاد، بمقابل الفقراء الذين كانوا مسخَّرين عند الأشراف يمارسون عليهم طغيانهم.
(٥) أين ناديك: المقصود به دار الندوة الرومانية أو ما يسمّى بمجلس الشيوخ. ما دها: ما أصاب. شيخانه: مفردها شيخ، أي الرجل الذي يمثل دار الندوة أو مجلس الشيوخ.
(٦) أقصري: أي أمسكي عند هذا الحد. اللّبانة: الحاجة.
(٧) القِسط: العدل. (٨) هَبْكِ: أي افترضي.

على قَبْرِ نَابلْيُون

[من الرّمل]

قِفْ على كَنزٍ بباريسَ دفينْ
من فريد في المعاني وثمينْ
وٱفتقِدْ جوهرةً من شرفٍ
صَدَفُ الدّهر بِتِرْبَيْها ضنينْ(١)
قد توارتْ في الثرى حتى إذا
قَدُم العهد توارت في السنينْ
غُرِّبَتْ حتّى إذا ما ٱستيأستْ
دنتِ الدارُ ولكن لاتَ حينْ
لم تُذِبْ نارُ الوغى ياقوتَها
وأذابتْه تباريحُ الحنينْ(٢)
لا تلوموها؟ ألستْ حرّةً
وهوَى الأوطانِ للأحرارِ دِينْ؟
غيَّبتْ باريسُ ذخراً ومضى
تُرْبُها القيِّمُ بالحرْزِ الحصينْ(٣)
نَزَلَ الأرضَ ولكن بعدما
نزلَ التاريخ قبرَ النابغينْ
أعْظُمُ الليثِ تلقَّاها الشَّرَى
ورُفاتُ النسرِ حازتْه الوكونْ(٤)

---

(١) التّرب: النظير واللّدة، وجمعها أتراب. (٢) تباريح الحنين: توهجات الشوق.
(٣) الحرز: المكان الحصين.
(٤) الشّرى: مأسدة يضرب بها المثل بوجود السباع الضارية. الوكون: مفردها وكن وهو مأوى الطير.

وحــوَى الــغِــمــدُ بــقــايــا صــارِمٍ
لــم تــقــلّــب مــثــلَــه أيــدي الــقُــيــونْ(١)

شــيَّــدَ الــنــاسُ عــلــيــه وبــنــوْا
حــائــط الــشــكِّ عــلــى أُسِّ الــيــقــيــنْ(٢)

لــســتَ تُــحــصِــي حــولــه ألْــوِيَــةً
أُسِــرَتْ أمــسِ ورايــاتٍ سُــبِــيــنْ(٣)

نــامَ عــنــهــا وهــي فــي سُــدّتِــه
دَيْــدَبــانٌ ســاهِــرُ الــجَــفــنِ أمــيــنْ

وكــأيٍّ مــن عــدوٍّ كــاشِــح
لــك بــالأمــس وهــو الــيــوم خــديــنْ(٤)

وولــيٍّ كــان يــســقــيــك الــهــوى
عــســلاً قــد بــات يــســقــيــك الــوزيــنْ(٥)

فــإذا اسْــتــكــرمْــتَ وُدًّا فــاتَّــهــمْ
جــوهــرَ الــوُدّ وإنْ صــحَّ ظــنــيــنْ(٦)

❊ ❊ ❊

مَــرْمَــرٌ أُضْــجــعَ فــي مَــسْــنــونِــه
حَــجــرُ الأرض وضِــرغــامُ الــعــريــنْ(٧)

---

(١) الصارم: السيف القاطع. القيون: مفردها قَيْن وهو صانع الحديد. يجدر الإشارة إلى أن ما ذكره الشاعر من مفردات كالشّرى، والوكون والغمد إنما هي كنايات عن مدينة باريس.

(٢) حائط الشك: كناية عن حائط المقبرة. أس اليقين: كناية عن الموت الذي يمثله ما يضم القبر من رفات.

(٣) إشارة إلى الأعلام التي غنمها نابليون في حروبه ووضعت على قبره رمزاً لبطولاته وانتصاراته.

(٤) العدو الكاشح: الذي يبطن العداوة. الخدين: الصاحب والحبيب.

(٥) الوزين: الحنظل.

(٦) الظنين: المشكوك في أمره، أو المتهم.

(٧) المرمر المسنون: المرمر المصقول. حجر الأرض: كناية عن مركزها، والمقصود به نابليون. الضرغام: الأسد.

جـلَّـلَـتْـهُ هـيْـبَـة الـثـاوي بـه
رَوعـة الـحـكـمـةِ فـي الـشِّـعـر الـرصـيـنْ[١]
هـل دَرى الـمـرمـرُ مـاذا تـحـتـه
مـن قُـوَى نـفـسٍ ومـن خُـلـقٍ مـتـيـنْ؟
أيُّـهـا الـغـالـون فـي أجـداثـهـم
إبحثوا في الأرض: هل عيسى دفينْ؟[٢]
يـمَّـحِـي الـمـيْـتُ ويـبـلَـى رمـسُـه
ويَـغـولُ الـرَّبْـعَ مـا غـالَ الـقـطـيـنْ[٣]
حـصِّـنـوا مـا شـئـتُـمُ مـوتـاكُـمُ!
هـل وراءَ الـمـوتِ مـن حـصـنٍ حـصـيـنْ؟
لـيـس فـي قـبـر وإنْ نـال الـسُّـهـا
مـا يـزيـد الـمـيـت وزنـاً ويَـزيـنْ[٤]
فـأنـزِل الـتـاريـخ قـبـراً أو فـنـمْ
فـي الـثـرى غُـفْـلاً كـبـعـضِ الـهـامـديـنْ[٥]
وٱخـدَعِ الأحـيـاءَ مـا شـئـت فـلـن
تـجـدَ الـتـاريـخَ فـي الـمـنـخـدعـيـنْ!

❊ ❊ ❊

يـا عـصـاميًّـا حـوى الـمـجـد سـوَى
فَـضْـلـةٍ قـد قُـسِّـمـت فـي الـمُـعـرقـيـنْ[٦]
أُمُّـك الـنـفـسُ قـديـمـاً أُكـرِمَـتْ
وأبـوكَ الـفـضـلُ خـيـرُ الـمُـنـجـبـيـنْ[٧]

---

(١) الثاوي: الراقد أو المقيم. (٢) الغالون: المسرفون.
(٣) يمّحي: يزول ويفنى. الرمس: القبر أو الجدث. القطين: الساكن.
(٤) السُّها: كوكب. (٥) غفلاً: مجهولاً.
(٦) الفضلة: البقية. المُعْرق: أي ذو الأصل العريق.
(٧) أُكْرِمَتْ: أي أُكْرِمَتْ بمولدك.

نَسَبُ البدرِ أو الشمس ـ إذا
جيءَ بالآباءِ ـ مغمورٌ رهينْ
وأصولُ الخمر ما أزكى على
خبْث ما قد فعلت بالشّاربينْ
لا يقولنَّ امرؤ أصلي فما
أصلُه مِسْكٌ وأصلُ الناس طينْ
قد تتوَّجْتَ فقالت أمَمٌ:
ولدُ الثورة عقَّ الثائرينْ
وتزوجتَ فقالوا: مَا لَه
ولحورٍ من بنات الملْك عينْ؟(١)
قسماً لو قدَروا ما اْحتشموا
لا يَعِفُّ الناس إلّا عاجزينْ

* * *

أرأيتَ الخيرَ وافى أُمَّةً
لم ينالوا حظَّهم في النابغينْ
يصلُحُ الملْكُ على طائفةٍ
هم جمالُ الأرض حيناً بعد حينْ
ملؤوا الدّنيا، على قِلّتهم
وقديماً مُلئتْ بالمرسَلينْ
يحسُنُ الدهرُ بهم ما طلعوا
وبهم يزدادُ حسناً آفلينْ(٢)
قد أقاموا قدوةً صالحةً
ومضوْا أمثلةً للمحتذينْ

(١) إشارة إلى زواج نابليون من ماري لويز ابنة إمبراطور النمسا.
(٢) آفلين: غاربين، والمراد هنا أفول الموت.

إنـــمـــا الأســـوةُ ـ والـــدُّنـــيـــا أُسًـــى ـ
سـبـبُ الـعُـمـرانِ نـظـمُ الـعـالـمـيـنْ[١]
يـا صـريـعَ الـمـوتِ نـدمـانَ الـبِـلَـى
كـلُّ حـيٍّ بـالـذي ذُقـتَ رهـيـنْ[٢]
كـدتَ مـن قـتـل الـمـنـايـا خـبـرةً
تَـعـلَـمُ الآجـال أيَّـان تـحـيـنْ[٣]
يـا مُـبـيـدَ الأُسْـدِ فـي آجـامـهـا
هـل أبـادت خـيـلُـكَ الـدودَ الـمـهـيـنْ!
يـا عـزيـز الـسـجـن بـالـبـابـا إلـى
كـم تـردَّى فـي الـثـرى ذُلَّ الـسـجـيـنْ؟[٤]
رُبَّ يـوم لـكَ جَـلّـى وانـثـنـى
سـائـلَ الـغُـرَّةِ مـمـسـوحَ الـجـبـيـنْ[٥]
أحـرزَ الـغـايـةَ نـصـراً غـالـيـاً
لـفـرنـسـا وحـوى الـفـتـحَ الـثـمـيـنْ
قـيـصـرا الأنـسـابِ فـيـه نَـازَلَا
قـيـصـرَ الـنـفـسِ عـصـامَ الـمـالـكـيـنْ[٦]

---

(١) الأسوة: القدوة.
(٢) النّدمان: المُنادم على الشراب أو الرفيق والصاحب. وندمان البلى: أي إن نديمك اليوم هو البلى (أي الموت) وليس مَنْ كنت تنادم على الشراب.
(٣) إشارة إلى قول نابليون: «إن الرصاصة التي تخترق هذا الصدر لم تخلق بعد». والمعنى، أن اختبارك للمنايا في قتل الأعداء قد منحك الحس لتعرف متى تحين الآجال.
(٤) إشارة إلى ما فعل نابليون بالبابا.
(٥) جلّى: طلع وانكشف. انثنى: غاب ومضى. الغُرّة: بياض في جبين الفرس. ممسوح الجبين: وهي عادة درج عليها مروِّضو الخيل بالمسح على جبين الفرس بعد السباق.
(٦) إشارة إلى ملكي الروسيا والنمسا اللذين توارثا المُلْك بالنَّسب، وإلى نابليون الذي صنع من نفسه إمبراطوراً عظيماً فسوَّد نفسه ولم تسوّده الأنساب.

مُـجْـلِـسَ الـتـاج عـلـى مَـفْـرِقـه
بـيـديْـه لا بـأيـدي الـمُـجـلـسـيـنْ[١]
حـول (إسـتـرلـتـزَ) كـان الـمـلـتـقـى
وٱصـطـدام الـنّـسـر بـالـمـسـتـنـسِـريـنْ[٢]
وُضِـع الـشِّـطـرنْـجُ فـٱسـتـقـبـلْـتَـه
بـبـنـان عـابـثٍ بـالـلّاعـبـيـنْ
فـإذا الـمَـلْـكَـانِ هـذا خـاضـعٌ
لـك فـي الـجـمـع وهـذا مُـسـتـكـيـنْ[٣]
صِـدْتَ شـاهَ الـروسِ والـنـمـسـا مـعـاً
مَـنْ رأى شـاهَـيْـنِ صـيـداً فـي كـمـيـنْ؟

❊ ❊ ❊

يـا مُـلَـقَّـى الـنّـصـرِ فـي أحـلامِـه
أيـن مـن وادي الـكـرى (سـنـتِ هـلـيـنْ)؟[٤]
يـا مُـنـيـل الـتـاج فـي الـمـهـد ابـنَـه
مـا الـذي غـرّك بـالـغـيـبِ الـجـنـيـنْ؟[٥]
إتّـئِـدْ فـي أمّـةٍ أرْهَـقـتَـهـا
إنّـهـا كـالـنـاسِ مـن مـاءٍ وطـيـنْ
أتـعـبَ الـريـحَ مَـدَى مـا سَـلـكـتْ
مـن سُـهـولٍ وأجـازتْ مـن حُـزونْ[٦]

---

(١) إشارة إلى أن نابليون هو الذي توج نفسه لما قدّم إليه تاج الملك، ولم يتوارثه أو لم يستلمه من أحد.
(٢) (استرلتز): معركة من المعارك التي انتصر فيها نابليون.
(٣) المَلْك: هو المَلِك، والملْكان (في صيغة المثنى).
(٤) (سانت هيلين): هي الجزيرة التي نُفي إليها نابليون.
(٥) إشارة إلى قول نابليون حين بُشّر بولي عهده: «المستقبل لي».
(٦) الحزون: مفردها حَزْن، وهو ما غلظ من الأرض.

مـــن أديـــم يـــهـــرأ الـــدبَّ إلـــى
فـلـواتٍ تُـنـضِـجُ الـضـبَّ الـكـنـيـنْ[١]
لـــك فـــي كـــلِّ مُـــغـــارٍ غـــارُه
وعـلـيـهـا الـدمـعُ فـيـه والأنـيـنْ[٢]
ومـــن الـمـكـرِ تـغـنِّـيـك بـهـا
هـل يـزكّـي الـذِّبْـحَ غـيـرُ الـذابـحـيـنْ؟[٣]
سُـخِّـرَ الـنـاسُ وإنْ لـم يـشـعـروا
لـقـويٍّ أو غـنـيٍّ أو مُـبـيـنْ
والـجـمـاعـاتُ ثـنـايـا الـمـرتَـقـى
فـي الـمـعـالـي وجُـسـورُ الـعـابـريـنْ

❊ ❊ ❊

يـا خَـطِـيـبَ الـدّهـرِ هـل مـال الـبِـلَـى
بـلـسـانٍ كـان مـيـزانَ الـشُّـؤونْ؟
تُـرْجَـحُ الـسـلـمُ إذا حـرّكـتَـه
كِـفّـةً أو تُـرْجَـحُ الـحـربُ الـزَّبـونْ
خُـطَـب لا صـوتَ إلّا دونَـهـا
فـي صـداهـا الـخـيـلُ تـجـري والـسـنـيـنْ
مـن قـصـيـرِ الـلـفـظِ فـي مـكـرِ الـنُّـهـى
وطـويـلِ الـرُّمـحِ فـي كـيـد الـوَتِـيـنْ[٤]
غـيـرَ وضّـاحٍ ولا واشٍ ولَا
مُـنـكَـرِ الـقـولِ ولا لَـغْـوِ الـيـمـيـنْ

(١) الأديم: سطح الأرض. يهرأ: ينضج. الكنين: المختبئ في الجحر.
(٢) المُغَار: الإغارة على الأعداء. الغار: شجر يُتخذ من ورقة إكليلاً يوضع على رأس القائد المنتصر.
(٣) زكّى: أثنى ومدح. الذِّبح: الذَّبيحة أو ما يُذبح.
(٤) الوتين: عرق في القلب يجري منه الدم إلى سائر العروق.

سِـرْنَ أمـثـالاً فـلـو لـم يُـحـيـهِ
سـيـفُـهُ أحْـيـيـنَـه فـي الـغـابـريـنْ[١]

* * *

قـمْ إلـى الأهـرام واْخـشـعْ واْطَّـرحْ
خـيْـلـةَ الـصَّـيـد وزهـوَ الـفـاتـحـيـنْ[٢]
وتـمـهّـلْ إنـمـا تـمـشـي إلـى
حَـرَمِ الـدّهـرِ ومـحـرابِ الـقـرونْ
هـو كـالـصـخـرةِ عـنـد الـقـبـط أو
كـالـحـطـيـم الـطُّـهـر عـنـد الـمـسـلـمـيـنْ
وتـسـنَّـمْ مِـنْـبـراً مـن حَـجَـرٍ
لـم يـكـنْ قـبـلـكَ حـظّ الـخـاطـبـيـنْ
واْدْعُ أجـيـالاً تـولّـت يـسـمـعـوا
لـك واْبـعـث فـي الأوالـي حـاشـريـنْ
وأعـدْهـا كـلـمـاتٍ أربـعـاً
قـد أحـاطـت بـالـقـرون الأربـعـيـنْ[٣]
ألـهـبـت خـيـلاً وحـضَّـت فـيـلـقـاً
وأحـالـت عـسـلاً صـابَ الـمَـنـونْ
قـد عـرَضْـتَ الـدّهـرَ والـجـيـش مـعـاً
غـايـة قـصَّـر عـنـهـا الـفـاتـحـونْ
مـا عـلـمـنـا قـائـداً فـي مـوْطِـنٍ
صَـفـحَ الـدّهـرَ وصـفَّ الـدارعـيـنْ[٤]

---

(١) الغابرين: الماضين أو الآتين (من أسماء الأضداد).
(٢) الصِّيد: الملوك.
(٣) إشارة إلى الجملة المشهورة التي نطق بها وهو أمام الهرم يشجع جنوده: «أيها الجنود، إن أربعين قرناً تنظر إليكم من قمة الأهرام».
(٤) صَفَحَ الكتاب: قلّب صفحاته.

فـتـرى الأحـيـاء فـي مـعْـتَـرَكٍ
وتـرى الـمـوتـى عـلـيـهـم مُـشـرِفـيـنْ
عـظـةٌ قَـوْمِـي بـهـا أوْلـى وإنْ
بـعُـد الـعـهـدُ، فـهـل يـعـتـبـرونْ؟
هـذه الأهـرامُ تـاريـخـهـمُ
كـيـف مـن تـاريـخـهـم لا يـسـتـحـونْ!

❊ ❊ ❊

يـا كـثـيـرَ الـصَّـيـدِ لـلـصِّـيـد الـعُـلَا
قُـمْ تـأمـلْ كـيـف صـادتْـك الـمَـنـونْ
قُـمْ تَـرَ الـدّنـيـا كـمـا غـادرْتـهـا
مـنـزِلَ الـغـدرِ ومـاء الـخـادعـيـنْ
وتَـرَ الـحـق عـزيـزاً فـي الـقـنـا
هـيِّـنـاً فـي الـعُـزَّل الـمـسـتـضـعَـفـيـنْ[1]
وتَـرَ الأمـر يـداً فـوق يـدٍ
وتَـرَ الـنـاسَ ذئـابـاً وضِـئـيـنْ[2]
وتَـرَ الـعـزَّ لـسـيـفٍ نَـزِقٍ
فـي بـنـاء الـمُـلْـكِ أو رأي رزيـنْ
سـنـنٌ كـانـت، ونَـظْـمٌ لـم يـزلْ
وفـسـادٌ فـوق بـاعِ الـمـصـلـحـيـنْ

(١) القنا: الرماح.
(٢) الضئين: الغنم.

تَكْريم(*)

[من الكامل]

وطــنٌ يــرفُّ هــوًى إلــى شُــبّــانِــهِ
كــالــرَّوض رِقّــتُــه عــلــى رَيــحــانِــهِ(١)
هُــمْ نــظــمُ حِــلْــيَــتِــهِ وجــوهــر عِــقــدِهِ
والــعِــقــد قــيــمــتُــه يــتــيــمُ جُــمــانِــهِ(٢)
يــرجــو الــربــيــعَ بــهــم ويــأمــلُ دولــةً
مــن حــسِــنِــه ومــن اعــتــدالِ زمــانِــهِ(٣)
مَــنْ غــاب مــنــهــم لــم يــغــبْ عــن سَــمــعِــه
وضــمــيــرِه وفــؤادِه ولــســانِــهِ
وإذا أتــاه مــبــشِّــرٌ بــقــدومِــهــم
فــمــن الــقــمــيــص ومــن شــذى أردانِــهِ(٤)
ولــقــد يــخــص الــنــافــعــيــن بــعــطــفِــه
كــالــشــيــخ خــصَّ نــجــيــبَــه بــحــنــانِــهِ(٥)
هــيــهــاتَ يُــنــسَــى بــذلُــهــم أرواحَــهــم
فــي حــفــظِ راحــتِــه وجــلــب أمــانِــهِ

(*) «نظم الشاعر هذه القصيدة الاجتماعية في احتفال تكريمي أقيم للأساتذة: عبد الملك حمزة، وإسماعيل كامل، وعوض البحراوي في فندق شبرد».

(١) يرفُّ هوىً إلى شبانه: يتلهّف لهم. الروض: الحديقة.

(٢) نظم حليته: جمعها وضمها. اليتيم: النادر أو مَنْ لا نظير له. الجمان: اللؤلؤ.

(٣) معنى البيت، أن الشباب يمثلون فصل الربيع في حياة الإنسان أي الحيوية والجمال والاعتدال، وهو يأمل لهم دولة على هذا المنوال.

(٤) معنى البيت، أنه إذا أتى الوطن مبشر يبشر بقدومهم من بعد غياب، كانت بشارته كتأثير قميص الصِّديق يوسف على أبيه يعقوب. الشّذا: الرائحة الذكية. الأردان: الأكمام.

(٥) يخص النافعين بعطفه: يفردهم بالحنوّ عليهم. النجيب: الكريم القول والفعل.

وقـفـوا لـه دون الـزمـانِ ورَيـبِـه
ومـشـت حـداثـتـهـم عـلـى حـدثـانِـهِ(١)
فـي شـدّةٍ نُـقـلـت أَنَـاةُ كـهـولـه
فـيـهـا وحـكـمـتُـهـم إلـى فِـتـيـانِـهِ(٢)

* * *

قُـمْ يـا خـطـيـبَ الـجـمـع هـاتِ مـن الـحِـلَـى
مـا كـنـت تـنـثـره عـلـى آذانِـهِ
فـلـطـالـمـا أبـدى الـحـنـيـنَ (لـقُـسِّـه)
وٱهـتـزَّ أشـواقـاً إلـى (سَـحـبـانِـهِ)(٣)
نـادِ الـشـبـابَ فـلـم يـزلْ لـك نـاديـاً
والـمـرء ذو أثـر عـلـى أخـدانِـهِ(٤)
وٱمـدُد حُـداءك فـي الـنـجـائـبِ تـنـصـرفْ
بـهـوى أعـنّـتـهـا إلـى تـحـنـانِـهِ(٥)
ألـقِ الـنّـصـيـحـةَ غـيـرَ هـائـب وقـعِـهـا
لـيـس الـشـجـاعُ الـرأيِ مـثـلَ جـبـانِـهِ
قُـلْ لـلـشـبـاب: زمـانُـكـم مـتـحـرّكٌ
هـل تـأخـذون الـقـسـطَ مـن دورانِـهِ؟(٦)
قـمـتـم عـلـى الأحـلام تـلـتـزمـونَـهـا
كـالـعـالـم الـخـالـي عـلـى أوثـانِـهِ(٧)

(١) الحداثة: صِغَر السن. الحَدَثان: مصائب الدهر. (٢) الأناة: الصبر والتؤدة.
(٣) قُسّ: هو قُس بن ساعدة الإيادي، خطيب اشتهر ببلاغته. سَحبان: هو سَحبان وائل، عرف عنه فصاحته. والضمير فيهما يعود للوطن.
(٤) نادِ الشباب: أي مَنْ هم في عمر الشباب. الأخدان: الأصدقاء أو الخلّان.
(٥) الحُداء: هو نوع من الغناء لإثارة الإبل على السير. النجائب: النياق الكريمة. الأعنّة: مفردها عِنان، وهو سير لجام الدّابة. التحنان: الحنين.
(٦) القسط: النصيب.
(٧) الأحلام: مفردها حلم، وهو ما يراه النائم في منامه. الخالي: الماضي. الأوثان: مفردها وثن، وهو كل ما يُعبد من دون اللّه.

وتُنازعون الحيّ فضلَ ثيابه
والميت ما قد رثَّ من أكفانِهِ
ولقد صدقتم هذه الأرض الهوَى
والحرُّ يصدق في هوَى أوطانِهِ
أملٌ بذلتم كل غالٍ دونه
وفقدتُمُ ما عزَّ في وِجدانِهِ(١)
ألليث يدفعكم بشدّةِ بأسه
عنه ويطْعِمُكم بفرطِ لِبانِهِ(٢)
ويريدُ هذا الطيرَ حرًّا مطلقاً
لكن بأعينِه وفي بُستانِهِ

❊ ❊ ❊

أوفدتمُ وفداً وأوفد ربكم
معه العنايةَ فهي من أعوانِهِ
ألعصرُ حرٌّ والشعوبُ طليقةٌ
ما لم يجزْها الجهلُ في أرسانِهِ(٣)
فاضَ الزمانُ من النبوغِ فهل فتًى
غمَرَ الزمانَ بعلمه وبَيانِهِ؟
أين التجارةُ وهي مضمارُ الغنى؟
أين الصناعةُ وهي وجهُ عَنانِهِ؟(٤)
أين الجوادُ على العلوم بمالِهِ؟
أين المشاركُ مصرَ في فدَّانِهِ؟(٥)

(١) وِجدانه: الإحاطة أو الظفر به.
(٢) اللِّبَان: اللّبَن.
(٣) الأرسان: مفردها رسن، وهو الزمام.
(٤) العَنان: السحاب.
(٥) الجواد: الكريم السخيّ. الفدَّان: المقصود هنا الأرض الزراعية.

أيــن الــزراعــةُ فــي جــنــانٍ تــحــتــكــم
كــخــمــائــل الــفــردوس أو كــجِــنــانِــهِ؟(١)
أئِــذا أصــاب الــقــطــنَ كــاســدُ ســوقــه
قــمــنــا عــلــى ســاقٍ إلــى أثــمــانِــهِ؟
يــا مَــنْ لــشــعــب رزؤه فــي مــالِــه
أنــســاه ذكــر مــصــابِــه بــكــيــانِــهِ(٢)!
ألــمُــلْــكُ كــان، ولــم يــكــن قــطــنٌ، فــلــم
يُــغــلــب أبــوّتــنــا عــلــى عُــمــرانِــهِ(٣)
(ألــفــاطــمــيــةُ) شــيِّــدت مــن عــزِّه
وبــنَــى (بــنــو أيــوب) مــن ســلــطــانِــهِ(٤)
بــالــقــطــن لــم يــرفــع قــواعــدَ مُــلــكــه
فــرعــونُ، والــهــرمــانِ مــن بــنــيــانِــهِ
لــكــن بــأوّلِ زارع نــقــض الــثَّــرى
بــذكــائــه وأثــاره بــبــنــانِــهِ(٥)
وبــكــل مــحــســنِ صــنــعــةٍ فــي دهــره
تــتــعــجّــبُ الأجــيــال مــن إتــقــانِــهِ

(١) الجنان: مفردها جنة، والمقصود هنا الحدائق والبساتين. الخمائل: مفردها خميلة، وهي الشجر الملتف. الفردوس، الجنّة.
(٢) إشارة إلى المشاكل المالية والصعوبات الاقتصادية التي كادت تشغل الشعب عن قضاياه الوطنية وعلى رأسها الاستقلال.
(٣) أُبوّتنا: أي آباؤنا.
(٤) (الفاطمية): والمعنى هنا، الدولة الفاطمية التي فتحت مصر وكانت دولة عزيزة الجانب، دخلت من بلاد المغرب في القرن العاشر. (بنو أيوب): هم مؤسسو الدولة الأيوبية في مصر وسوريا في القرن الثاني عشر، ومن أبرز سلاطينهم، السلطان صلاح الدين الأيوبي منقذ بيت المقدس.
(٥) الثرى: التراب، والمقصود هنا الأرض. والمعنى أنه نقض الأرض للزرع، مستعيناً بفكره ويده.

وبـهـمّـة فـي كـلِّ نـفـس حـلّـقـت
فـي الـجـوِّ وارتـفـعـت عـلـى كَـيْـوَانِـهِ[١]
مُـلْـكٌ مـن الأخـلاقِ كـان بـنـاؤه
مـن نـحـت أوّلـكـم ومـن صـوّانِـهِ[٢]
فـأتـوا الـهـيـاكـل إنْ بـنـيـتـم وأقـبِـسـوا
مـن عـرشـهِ فـيـهـا ومـن تِـيـجـانِـهِ

(١) حلّقت: طارت وارتفعت. كَيْوَان: اسم زحل بالفارسية.
(٢) الصَّوان: نوع من الحجارة الصلبة.

إِعْـتِـداء(*)

[من المتقارب]

نجا وتماثلَ رُبَّانُها ... ودقَّ البشائرَ رُكْبانُهَا(١)
وهلَّل في الجوِّ قيدومُها ... وكبَّر في الماءِ سُكانُهَا(٢)
تحوّل عنها الأذى وانثنى ... عُبابُ الخطوبِ وطوفانُهَا
نجا نوحها من يدِ المعتدي ... وضلَّ المَقَاتِلَ عُدْوانُهَا(٣)
يدٌ للعناية لا ينقضي ... وإنْ نَفد العمرُ، شكرانُهَا
وقى الأرضَ شرَّ مقاديره ... لطيفُ السماء ورَحْمَانُهَا(٤)
ونجَّى الكنانة من فتنة ... تهدّدتِ النِّيلَ نيرانُهَا(٥)
يسيلُ على قرنِ شيطانها ... عقيقُ الدماء وعِقيانُهَا(٦)
فيا (سعدُ) جُرحُك ساء الرجالَ ... فلا جُرِحَتْ فيك أوطانُهَا
وقتْكَ العِنايةُ بالراحتَينِ ... وطوّق جيدَك إحسانُهَا(٧)

(*) «اعتزم سعد باشا زغلول السفر إلى انجلترا للمفاوضة مع حكومتها وكان على رأس الوزارة المصرية يومئذ، فترصّد له شاب وأطلق عليه النار، ولكن اللّه أنجى حياته ووقّى البلاد شرّ فتنة كادت تعصف بين الأحزاب، فنظم صاحب الديوان هذه القصيدة تهنئة له، ونصيحة لأهل النزق والطيش من الشبان، وحضّاً على الإصلاح العملي، وتذكيراً بمنزلة السودان وقناة السويس اللذين هما من مصر بمنزلة الروح من الجسد».

(١) تماثل: يقال: تماثل العليل للشفاء، أي أَبَلّ وقارب البُرء. الربان: قائد السفينة، أو الملّاح.

(٢) هلّل: دعا وقال: لا إلٰه إلا اللّه. القيدُوم: مُقدّم الشيء. السُّكان من السفينة: الدَّفة.

(٣) المَقَاتل: مفردها مقتل، وهو العضو الحساس في الجسم إذا تعرض للإصابة لا يكاد صاحبه يسلم.

(٤) المقادير: مفردها مقدور، أي الأمر المحتوم. والهاء في مقاديره تعود إلى لطيف السماء.

(٥) الكنانة: مصر.

(٦) العُقيان: الذهب، أي الدماء وحمرتها التي تشبه العقيق والعقيان.

(٧) العناية: أي العناية الإلٰهية. الراحتان: مثنّى راحة، وهي الكف. الجيد: العنق.

منايا أبى اللَّهُ إذ ساورتكَ ... فلم يَلق نابيْه ثُعبانُهَا[١]
حوتْ دَمكَ الأرضُ في أَنْفِها ... زكيًّا كأنك (عثمانُهَا)[٢]
ورقَّتْ لآثاره في القميص ... كأنّ قميصك قرآنُهَا
ورِيْعَتْ كما رِيْعَتِ الأرضُ فيك ... نواحي السماء وأعنانُهَا[٣]
ولو زُلتَ غُيِّبَ (عمرُو) الأمورِ ... وأخلى المنابرَ (سَحبانُهَا)[٤]

❊ ❊ ❊

رماك على غِرّةٍ يافعٌ ... مُثارُ السَّريرةِ غضبانُهَا[٥]
وقِدماً أحاطتْ بأهلِ الأمورِ ... مُيولُ النفوسِ وأضغانُهَا[٦]
تلمَّسَ نفسَك بين الصفوفِ ... ومن دونِ نفسِكَ إيمانُهَا[٧]
يريدُ الأمورَ كما شاءَهَا ... وتأبى الأمورُ وسُلطانُهَا
وعند الذي قهرَ القيصرين ... مصيرُ الأمورِ وأحيانُهَا[٨]
ولو لم يُسابقْ دروسَ الحياةِ ... لبصَّره الرُّشد (لقمانُهَا)[٩]
فإنّ اللّيالي عليهَا يحول ... شعورُ النفوس ووُجدانُهَا[١٠]
ويختلِفُ الدهرُ حتى يبينَ ... رُعاةُ العهود وخُوّانُهَا[١١]

---

(١) المنايا: مفردها مَنيَّة، وهي الموت. ساورتك: أمسكت أو أخذت بك.
(٢) عثمانها: المقصود الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه وقد قتل وهو يتلو القرآن الكريم وفي حجره المصحف الشريف.
(٣) رِيْعَتْ: خُوِّفَتْ. أعنان: مفردها عَنان، وهو السحاب.
(٤) (عمرو) الأمور: المراد عمرو بن العاص، وهو مصرّف الأمور بفطنته وسياسته. سَحبان: هو سَحبان وائل، خطيب عربي مشهور بفصاحته.
(٥) اليافع: من هو بعمر الشباب أو ناهز البلوغ. السَّريرة: ما يسره المرء من أمر.
(٦) الأضغان: الأحقاد. (٧) تَلَمَّس نفسك: تقصَّدك.
(٨) القيصران: ملك الروم وملك الفرس، واللَّه سبحانه هو الذي قهرهما أثناء الفتح الإسلامي. مصير الأمور: مرجع الأمور. أحيانها: الأحيان مفردها حين، وهو فترة زمنية غير محددة المدة.
(٩) لقمانها: هو لقمان بن عاد ياء المشهور بالحكمة وطول الأناة.
(١٠) المعنى، أن ما للنفوس من شعور ووُجدان يتبدّل بتبدّل ومرور الزمن.
(١١) رعاة العهود: الذين يلتزمون المحافظة عليها. خوّانها: الذين ينقضون العهود.

أرى مصرَ يلهو بحدِّ السلاح ويلعبُ بالنار ولدانُهَا[١]
وراح بغير مجال العقول يجلُّ السياسةَ غلمانُهَا
وما القتل تحيا عليه البلاد ولا همةُ القولِ عُمرانُهَا
ولا الحكم أَنْ تنقضي دولةٌ وتُقبِلَ أخرى وأعوانُهَا
ولكن على الجيش تقوى البلادُ وبالعلم تشتدُّ أركانُهَا
فأين النبوغُ، وأين العلومُ وأين الفنونُ وإتقانُهَا؟
وأين من الخُلق حظ البلادِ إذا قتل الشِّيْبَ شبَّانُهَا؟[٢]
وأين من الربح قسطُ الرجال إذا كان في الخُلقِ خسرانُهَا؟
وأين المعلِّمُ؟ ما خطبُه وأين المدارس؟ ما شانُهَا؟[٣]
لقد عبثتْ بالنياق الحُداةُ ونام عن الإبل رُعيانُهَا[٤]
إلى الخُلقِ أَنْظرُ فيما أقول وتأخذ نفسيَ أشجانُهَا

❊ ❊ ❊

ويا (سعدُ) أنت أمينُ البلاد قد امتلأت منك أيمانُهَا[٥]
ولن ترتَضِي أَنْ تُقَدَّ القناةُ ويُبْتَرَ من مصرَ سودانُهَا[٦]
وحُجّتُنا فيهما كالصباح وليس بمُعييك تبيانُهَا[٧]
فمصرُ الرياضُ وسودانُهَا عيونُ الرياضِ وخُلجانُهَا[٨]

(١) الولدان: مفردها وليد وهو الصبي.
(٢) الخُلق: هو مجموع القيم التي تُميِّز شخصية الإنسان، كالمروءة والسّجية والطبع وغيره... والمعنى، أنه إذا كان شبان الأمة يقتلون شيبها، فهذا دليل على افتقار الأمة إلى الخُلق الرفيع.
(٣) ما شانُها: أي ما شأنها وهي مخفّفة لضرورة الشعر.
(٤) الحُداة: مفردها حادٍ، وهو الذي يغني للإبل حتى يستحثها على السير.
(٥) أيمانها: مفردها يمين، وهي يد الإنسان. والمقصود أن الثقة التي مُنحت إليك من الشعب هي في محلها وعند حسن الظن فيك كما لو وضعها كل فرد في يده.
(٦) تُقدّ القناة ويبتر السودان: كناية عن خسران وضياع كل منهما.
(٧) ليس بمُعْيِيْك: ليس بمستحيل عليك، أو ليس بمعجزك.
(٨) المعنى، أن مصر هي كالرياض في نضرتها، وأن السودان هو كالعيون والخلجان التي=

وما هو ماءٌ ولكنه ... وريدُ الحياةِ وشِرْيانُهَا[١]
تُتَمِّمُ مصرَ ينابيعُه ... كما تمّمَ العينَ إنسانُهَا[٢]
وأهلوه منذ جرى عذْبُه ... عشيرةُ مصرَ وجيرانُهَا
وأما الشريكُ فعِلاتُه ... هي الشَّركاتُ وأقطانُهَا
وحربٌ مضت نحن أوزارُهَا ... وخيلٌ خلتْ نحن فُرسانُهَا[٣]
وكم مَنْ أتاك بمجموعةٍ ... من الباطل، الحقُّ عنوانُهَا
فأين من (المَنشِ) بحر الغزالِ ... وفيضُ (نيانزا) وتهتانُهَا؟[٤]
وأين التماسيحُ من لُجَّةٍ ... يموت من البردِ حيتانُهَا[٥]!
ولكن رؤوسٌ لأموالهم ... يحرِّك قرنيه شيطانُهَا
ودعوى القويِّ كدعوى السِّباع ... من الناب والظُّفْرِ برهَانُهَا

= تستقي منها مصر ماءها. وإذا فصل السودان عن مصر فكما لو أن تلك العيون والخلجان قد جفّت فأصابت الرياض بالجفاف والبوار.

(١) الوريد: عرق في العنق ويُسمّى أيضاً حبل الوريد. الشريان: العرق الذي يحمل الدم من القلب.

(٢) الينابيع: مفردها ينبوع، وهي عيون الماء. إنسان العين: الدائرة في وسط العين.

(٣) أوزارها: مفردها وِزْرٌ، أي أثقالها وأسلحتها.

(٤) (المنْش): هو بحر المنْش في شمالي غربي أوروبا ما بين إنجلترا وفرنسا. بحر الغزال: هو أحد فروع النِّيل في السودان. (نيانزا): إحدى البحيرات التي يتدفق منها النِّيل.

(٥) المعنى، أن هناك تبايناً كبيراً بين السودان وبلاد الإنجليز، إلى حدّ أن التماسيح تعيش في مياه السودان، بينما تموت الحيتان في مياه بلاد الإنجليز الباردة.

تُوت عنْخ آمون

[من الوافر]

قـفِـي يـا أختَ (يُـوشَـع) خـبِّـريـنَـا
أحـاديـثَ الـقـرونِ الـغـابـريـنَـا[١]
وقُـصِّـي مـن مَـصَـارِعِـهِـم عـلـيـنـا
ومـن دُوَلَاتـهـم مـا تـعـلـمـيـنَـا[٢]
فـمـثـلـك مَـنْ روى الأخـبـار طـرًّا
ومَـنْ نـسـبَ الـقـبـائـلَ أجـمـعـيـنَـا[٣]
نـرى لـكِ فـي الـسـمـاءِ خـضـيـبَ قـرنٍ
ولا نُـحـصـي عـلـى الأرض الـطـعـيـنَـا[٤]
مـشـيـتِ عـلـى الـشـبـاب شُـواظَ نـارٍ
ودرتِ عـلـى الـمـشـيـبِ رحـى طـحـونَـا[٥]
تُـعـيـنـيـنَ الـمـوالـد والـمـنـايـا
وتـبـنـيـن الـحـيـاة وتـهـدمـيـنَـا[٦]
فـيـا لـكِ هـرَّةً أكـلـتْ بـنـيـهـا
ومـا وَلَـدَا وتـنـتـظـر الـجـنـيـنَـا[٧]

---

(١) (يوشع): هو يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام، والمقصود بـ«أخت يوشع» هي الشمس، وقد رُوي أن يوشع عندما كان يقاتل الجبّارين يوم الجمعة وكادت الشمس أن تدبر للمغيب فخاف أن تغيب قبل الانتهاء من مقاتلتهم فيدخل يوم السبت فيحرم عليه القتال، فدعا اللّه سبحانه فردّ له الشمس حتى فرغ من قتالهم. الغابرون: الأجيال الماضية.
(٢) قُصِّي: من فعل قصّ، أي حَدِّثي. المَصَارِع: المهالك. الدُّوَلَات: الدواهي.
(٣) طرّاً: جميعاً. نَسَبَ القبائل: عَرَّف أنسابهم.
(٤) الخضيب: الملوّن بالخِضاب. القرن: حاجب الشمس. الطعين: المطعون.
(٥) الشُّواظ: اللّهب. (٦) المنايا: مفردها منيّة، وهي الموت.
(٧) الهرّة: القطة. الجنين: الولد ما دام في الرَّحِم.

أأُمَّ المـــالـــكـــيـــنَ بـــنـــي (أمـــونِ)
لِـيَـهْـنِـكِ أَنّـهـم نـزعـوا (أمـونَـا)[١]
ولـدتِ لـه (الـمـآمـيـن) الـدواهـي
ولـم تَـلِـدي لـه قـطُّ (الأمـيـنَـا)[٢]
فـكـانـوا الـشُّـهْـبَ حـيـن الأرضُ لـيـلٌ
وحـيـن الـنـاس جِـدُّ مُـضَـلَّـلـيـنَـا
مـشـت بـمـنـارهـم فـي الأرض (رومـا)
ومـن أَنْـوارهـم قـبَـسـت (أثـيـنَـا)[٣]
مـلـوكُ الـدهـر بـالـوادي أقـامُـوا
عَـلـى وادي الـمـلـوك مُـحَـجَّـبـيـنَـا[٤]
فـربَّ مـصـفّـدٍ مـنـهـم وكـانـت
تُـسـاقُ لـه الـمـلـوكُ مُـصـفَّـديـنَـا[٥]
تـقـيَّـدَ فـي الـتـراب بـغـيـر قـيْـدٍ
وحـلَّ عـلـى جـوانـبـه رهـيـنَـا
تـعـالـى الـلَّـه كـان الـسـحـر فـيـهـم
أليـسـوا لـلـحـجـارة مُـنـطِـقِـيـنَـا؟[٦]

---

(١) نزع الولد أباه: أي أشبهه، وهو يشير هنا إلى أم (أمون). إلّا أن (توت عنخ آمون) تولى المُلْك عن طريق زواجه بابنة الملك خون آتون، وليس عن طريق والده الذي اختلف المؤرخون حول شرعية زواجه.

(٢) ولدت له (المآمين). . . : إشارة إلى الأمين والمأمون ابني الخليفة هارون الرشيد، وقد شدّد على المأمون بسبب ما كان عليه من حلم وعلم ودهاء.

(٣) روما: عاصمة دولة إيطاليا. قَبَسَتْ: أخذت قَبَساً. أثينا: عاصمة دولة اليونان. وفي هذا البيت إشارة إلى تقدم الحضارة المصرية القديمة على الأمم الأخرى.

(٤) وادي الملوك: يقع إلى الشاطئ الغربي للنِّيل بالأقصر وفيها مقابر الملوك الفراعنة من الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها.

(٥) مصفَّدين: أي مقيَّدين، وهو وصف لفراعنة مصر في مقرِّهم الأخير، وهو مقام يتساوى فيه الملوك وأبناء الشعب.

(٦) مُنْطِقين: وهي مرتبطة بما قبلها: أليسوا للحجارة مُنطقين؟! والمعنى، أن هؤلاء=

غـدَوْا يـبـنُـون مـا يُـبـقِـي وراحـوا
وراء الآبـداتِ مُـخَـلَّـديـنَـا
إذا عَـمـدوا لـمـأثـرةٍ أعـدُّوا
لـهـا الإتـقـانَ والـخـلـقَ الـمـتـيـنَـا
ولـيـس الـخـلـد مـرتـبـةً تُـلـقَّـى
وتُـؤْخـذ مـن شـقـاء الـجـاهـلـيـنَـا
ولـكـن مُـنـتَـهـى هِـمَـمٍ كـبـار
إذا ذهـبـتْ مـصـادِرُهـا بـقـيـنَـا
وسـرُّ الـعـبـقـريّـة حـيـن يـسـري
فـيـنـتـظـم الـصـنـائـع والـفُـنـونَـا
وآثـارُ الـرجـال إذا تـنـاهـتْ
إلـى الـتـاريـخ خـيـر الـحـاكـمـيـنَـا
وأخـذُك مـن فـم الـدُّنـيـا ثـنـاء
وتـركـك فـي مـسـامـعـهـا طـنـيـنَـا[1]
فـغـالِـي فـي بـنـيـك الـصِّـيْـدِ غـالِـي
فـقـد حُـبَّ الـغُـلـوُّ إلـى بـنـيـنَـا[2]
شـبـابٌ قُـنَّـعٌ لا خـيـر فـيـهـم
وبُـورك فـي الـشـبـابِ الـطـامـحـيـنَـا[3]

= الفراعنة بما شيدوا من أبنية عظيمة إنما تكاد تنطق على عظمة شأنهم خاصة الهرمان القائمان في منطقة الجيزة وهما من عجائب الدنيا وأهم ما بنى البناة وهذا دليل ساطع على تقدمهم وتفوقهم في فن الهندسة والعمارة بحيث رغم توالي السنين والحوادث وتقلبات المناخ لم ينل كل ذلك من هذين الهرمين العملاقين، بل كما قالوا: «كل شيء يُخشى عليه الدهر إلا الأهرام فإن الدهر يُخشى عليه منها».

(١) الطنين: الصوت الصادر من بعض الآلات والحشرات، وهنا بمعنى الصَّدى.

(٢) الصِّيد: مفردها أصيد، وهو ذو الرفعة والكِبر.

(٣) شباب قنَّع: أي الشباب القانعون الذين لا يطلبون شيئاً أكثر مما بلغوا وحققوا من مآرب. الطامحون: أي أصحاب الطموح المتفانون في طلب النجاح والمعالي.

فـنـاجـيـهـم بـعـرشٍ كـان صِـنْـواً
لـعـرشـك فـي شـبـيـبـتِـه سـنـيـنَـا[١]
وكـان الـعـزُّ حـلـيـتَـه وكـانـتْ
قـوائـمـهُ الـكـتـائـبَ والـسـفـيـنَـا[٢]
وتـاج مـن فـرائـده (ابـنُ سـيـتـي)
ومـن خـرزاتـه (خـوفـو) و (مـيـنَـا)[٣]
عَـلا خـدًّا بـه صـعَـرٌ وأنـفـاً
تـرفَّـع فـي الـحـوادثِ أَنْ يـديـنَـا[٤]
ولـسـتُ بـقـائـل ظـلـمـوا وجـاروا
عـلـى الأجـراء أو جـلـدوا الـقـطـيـنَـا[٥]
فـإنّـا لـم نُـوَقَّ الـنَّـقـصَ حـتّـى
نُـطـالـبَ بـالـكـمـال الأوّلـيـنَـا[٦]
ومـا (الـبـسـتـيـلُ) إلّا بـنـت أمـس
وكـم أكـلَ الـحـديـدُ بـهـا صـحـيـنَـا[٧]

---

(١) الصّنو: النظير والمثيل، كالابن والأخ الشقيق. السنين: أي من كان في عمرك وسنّك.
(٢) الكتائب: مفردها كتيبة، وهي الفرقة من الجيش.
(٣) ابن سيتي: هو رَعَمْسيس أو رَمسيس الثاني، من أعظم فراعنة مصر، دام حكمه من سنة (١٢٩٢ ـ ١٢٢٥ق.م) وَلِي العرش صغيراً وكان ميّالاً إلى البناء فشيّد الهياكل والقصور في الكرنك والنوبة والأقصر، كما حارب الحثّيّين في سوريا وهزمهم في قادش. «خوفو» و«مينا»: هما من الملوك الفراعنة الذين ذهبوا شوطاً بعيداً في المدنيّة والعمران التي تجسّدت في الأهرام.
(٤) علا خداً: المراد به التّاج. الصَّعَر: هو أن ينظر الرجل إلى الناس خيلاء وكبراً.
(٥) القطين: الخدم والحاشية. والمعنى أن الشاعر لا يجاري المؤرخين الذين زعموا أن الفراعنة كانوا يظلمون الأجراء ويجلدون الخدم ويسخّرونهم في سبيل إنشاء العمارات والأهرامات وسواها.
(٦) لم نُوَقَّ النقص: أي لم نُصَن ونُحفظ منه.
(٧) البستيل: سجن كبير، يعود تاريخ تشييده إلى عهد ملك فرنسا شارل الخامس في سنة ١٤٦٩م حيث تمت أكبر عمليات التعذيب والظلم على كبار رجال العلم والفكر=

ورُبَّـــة بـــيـــعـــةٍ عَـــزَّتْ وطـــالـــتْ
بـنـاهـا الـنـاس أمـس مُـسـخّـريـنَـا[١]
مُـشَـيَّـدةً لـشـافـي الـعُـمـي (عـيـسـى)
وكـم سَـمَـلَ الـقـسـوس بـهـا عـيـونَـا[٢]

❊ ❊ ❊

(أخـا الـلّـوردات) مـثـلـك مَـنْ تـحـلَّـى
بـحـلـيـةِ آلـة الـمُـتـطـوّلـيـنَـا[٣]
لـك الأصـلُ الـذي نـبـتَـتْ عـلـيـه
فـروعُ الـمـجـد مـن (كـرنـارفـونَـا)[٤]
ومـــالُـــكَ لا يُـــعـــدّ وكـــل مـــال
سَـيَـفـنـى أو سَـيُـفْـنِـي الـمـالـكـيـنَـا[٥]
وجـدتَ مـذاق كـل تـلـيـدِ مـجـدٍ
فـكـيـف وجـدتَ مـجـد الـكـاسـبـيـنَـا؟[٦]

= والإصلاح، واسم البستيل يُذَكّر الفرنسيين دائماً بأيام الظلم والتعسف، لذا فلم يكادوا يثورون على حكومتهم حتى كان البستيل هو الهدف فأقتحموه وهدموه وأقتلعوا كل ما فيه حتى فتات أحجاره التي جعلوا منها عقوداً لنسائهم يتحلين بها بدل حبات اللآلئ وذلك تأكيداً لانتصار الشعب على الظلم والطغيان، وكان ذلك التاريخ في ١٤ يوليو سنة ١٧٨٩م حيث أقيم فيما بعد مكانه تمثال الحرية، ولا يزال الفرنسيون حتى اليوم يحتفلون بهذه الذكرى.

(١) البِيْعَة: معبد اليهود والنصارى. مسخّرين: أي عملوا بدون أجر.

(٢) سَمَلَ العيون: فقأها وقلعها.

(٣) يخاطب الشاعر اللورد كارنارفون الذي اهتدى إلى تلك الكنوز، وكانت وفاته بالقاهرة يوم الخميس في ٥ أبريل سنة ١٩٢٣م. وذلك بسبب حالة تسمم من قرصة بعوضة إضافة إلى مرض ذات الرئة. المتطوّلين: هم أصحاب الطّوْل، أي الغنى والقدرة.

(٤) لك الأصل: إشارة إلى كون اللورد كارنارفون من بيت عريق في المجد.

(٥) ومالك لا يُعَدّ... إلخ: إشارة إلى حالة الغنى والسعة التي يتمتع بها في إنجلترا.

(٦) إشارة إلى أعمال التنقيب في وادي الملوك حيث اهتدى إلى أعظم الآثار التي خلّدت اسمه ورفعت من ذكره، وذلك في شهر نوفمبر من سنة ١٩٢٢م، وكان ذلك الأثر الجليل، والكنز الثمين من أهم المكتشفات في مدافن ملوك طيبة تحت مدفن رعمسيس السادس.

نشرتَ صفائحاً فجزتكَ مصرٌ
صحائف سؤددٍ لا ينطوينَا[١]
فإنْ تكُ قد فتحتَ لها كنوزاً
فقد فتحتْ لك الفتح المبينَا[٢]
فلا (قارون) فوق الأرض إلّا
تَمنَّى لو رضيتَ به قرينَا[٣]
سبيلُ الخلد كان عليك سهلاً
وعادتُه يكدُّ السالكينَا
رأيتَ تنكراً وسمعتَ عتباً
فعذراً للغِضَابِ المحنقينَا[٤]
أبُوَّتنا وأعظُمُهُمْ تُراثٌ
نحاذرُ أنْ يؤول لآخرينَا[٥]
ونأبى أنْ يحُلَّ عليه ضَيْمٌ
ويذهبَ نهبةً للناهبينَا[٦]

(١) الصفائح: المراد هنا حجارة المقابر. الصحائف: القرطاس المكتوب من كتب ونشرات وغيرها، والمعنى أنّ ما كُتب عنك في الصحائف من أخبار تخلّد ذكرك.
(٢) إشارة إلى هذا الكنز العظيم الذي تم اكتشافه وما فيه من تحف ثمينة نادرة.
(٣) قارون: رجل في التاريخ القديم كان وزيراً لفرعون صاحب كنوز عظيمة يضرب به المثل في الغنى والثراء، ابتلعته الأرض كما جاء ذكره في القرآن الكريم.
(٤) التَّنكر: تغير أحوال الرجل من حال حسنة إلى أخرى سيئة. المحنقون: الذين ملأهم الحنق أي الغيظ.
(٥) أُبوّتنا: أي آباؤنا. التراث: بمعنى الميراث. نحاذر أن يؤول لآخرين: إشارة إلى ما توارد ونشر من أن اللورد كرنارفون قد وضع يده خفية على أغلى ما في الكنز من تحف بينها تاج الملكة وعقدها.
(٦) الضَّيْم: الظلم. والمعنى، أننا نأبى أن يقع الظلم على ذلك التراث النادر ويذهب نهباً للناهبين الغاصبين كما تناقلت الخبر وكالات الأنباء المتداولة في حينه.

سَـكَـتَّ فـحـام حـولـك كـلُّ ظـنٍّ
ولـو صَـرَّحـتَ لـم تُـثـرِ الـظـنـونَـا[١]
يـقـول الـنـاس فـي سـرٍ وجـهـرٍ
ومـا لـكَ حـيـلـةٌ فـي الـمـرجـفـيـنَـا[٢]
أمَـنْ سـرقَ الـخـلـيـفـة وهـو حـيٌّ
يَـعِـفُّ عـن الـمـلـوك مـكـفَّـنِـيـنَـا؟[٣]

❊ ❊ ❊

خـلـيـلـيَّ اهـبـطـا الـوادي ومـيـلا
إلـى غُـرف الـشّـمـوس الـغـاربـيـنَـا[٤]
وسـيـرا فـي مـحـاجـرِهـم رُويـداً
وطـوفـا بـالـمـضـاجـع خـاشـعـيـنَـا[٥]
وخُـصَّـا بـالـعَـمَـار وبـالـتَّـحـايـا
رفـاتَ الـمـجـدِ مـن (تـوتـنـخـمـيـنَـا)[٦]

(١) المعنى، أن سكوتك عن تلك الأنباء قد وضعتك في موضع الشبهات والشك.
(٢) المُرْجِفُون: هم الذين يخوضون في الأخبار السّيئة والفتن قَصْدَ إثارة الناس.
(٣) معنى البيت، أنّ مَنْ سرق الخليفة وهو حيّ، كما يقول الناس (بناء على معلومات تفيد بأن الإنجليز قد نقلوا الخليفة وحيد الدين من قصره في الآستانة بواسطة العربة المدرعة «مالايا» هرباً من الكماليين، وذهبوا به إلى مالطا في ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢١م)، والذي لم يتورّع أن يقوم بمثل هذا العمل بالملوك الأحياء وهم على عروشهم فلا عجب إذاً أن نرى رجالهم يفعلون بالأموات وبما تحتوي قبورهم من الجواهر والنفائس النادرة، ما فعل حكامهم بالأحياء.
وبالمناسبة أيضاً فقد ذكرت الأنباء في إثبات ذلك الأمر أن اللورد كرنارفون أهدى إلى ابنة ملك إنكلترا عقداً مصرياً قديماً له قيمة عظيمة، وأنها لمّا علمت بموته بسبب قرصة بعوضة خرجت من القبر نزعت ذلك العقد من عنقها مخافة من انتقام توت عنخ آمون الذي نسب إلى لعنته موت اللورد.
(٤) الشموس الغاربون: أي ملوك الفراعنة، والغُرف تعني هنا المدافن.
(٥) المحاجر: بمعنى أدوات الحماية وهي الموانع التي تُتخذ لحماية الملوك حول منازلهم.
(٦) العَمَار: هو الريحان يزيّن به المجلس، كان يستعمله الرجل لتحيّة الملك، والمقصود به هنا: التحية. التحايا: مفردها تحية. الرفات: كل ما بَلِيَ.

وقـبـراً كـاد مـن حـسـنٍ وطـيـبٍ
يـضـيءُ حـجـارةً ويـضـوعُ طـيـنَـا[١]

يُـخـال لـروعـةِ الـتـاريـخ قُـدَّت
جـنـادلُـه الـعـلا مـن (طـورسـيـنَـا)[٢]

وكـان نـزيـلـهُ بـالـمَـلْـكِ يـدعـى
فـصـار يُـلَـقّـبُ الـكـنـزَ الـثـمـيـنَـا[٣]

وقُـومـا هـاتـفَـيْـن بـه ولـكـن
كـمـا كـان الأوائـلُ يـهـتـفـونَـا[٤]

فَـثَـمَّ جـلالـةٌ قـرّت ورامـت
عـلـى مـرِّ الـقـرون الأربـعـيـنَـا[٥]

جـلالُ الـمُـلْـكِ أيـام وتـمـضـي
ولا يـمـضـي جـلالُ الـخـالـديـنَـا[٦]

وقـولا لـلـنـزيـل قـدوم سـعـد
وحـيـا الـلَّـه مـقـدمـك الـيـمـيـنَـا[٧]

سـلامٌ يـوم وارتـك الـمـنـايـا
بـواديـهـا ويـومَ ظـهـرتَ فـيـنَـا[٨]

---

(١) يضوع: ينتشر، وذلك من حسن حجارته المضيئة وطيب رائحته الزكية.
(٢) الرّوعة: المسحة من الجمال. الجنادل: مفردها جندل وهو الصخر. طور سينا: هو الجبل الذي كلّم فيه اللّه موسى عليه السلام.
(٣) النزيل: الضيف.
(٤) وقوما هاتفَيْن به: أي بالملك الذي صار نزيل القبر، كما كان الأوائل يهتفون: أي كما كانوا يهتفون أيام حياته وعزّه.
(٥) ثَمَّ: أي هناك (ظرف مكان). الجلالة: القدر الرفيع. قرّت: من المقَرّ، أي سَكَنَتْ. رامت: أقامت. القرون الأربعون: أي الفترة من عهد توت عنخ آمون إلى العصر الحالي.
(٦) المعنى، أن جلال المُلْك يذهب، ويبقى الذكر العظيم الذي يخلده الملوك العظماء.
(٧) اليمين: أي الميمون أو المبارك.
(٨) وارتك: أَخْفَتك.

خـرجـت مـن الـقـبـور خـروج عـيـسـى
عـلـيـكَ جـلالـةٌ فـي الـعـالـمـيـنَـا[١]
يـجـوب الـبـرقُ بـاسـمـك كـلَّ سـهـل
ويـخـتـرقُ الـبُـخـارُ بـه الـحـزُونَـا[٢]
وأُقـسـمُ كـنـتَ فـي (لـوزانَ) شُـغـلاً
وكـنـتَ عـجـيـبـةَ الـمـتـفـاوضـيـنَـا[٣]
أتـعـلـم أَنّـهـم صـلـفـوا وتـاهـوا
وصـدُّوا الـبـابَ عـنّـا مُـوصِـديـنَـا؟[٤]
ولـو كـنّـا نـجـر هـنـاك سـيـفـاً
وجـدنـا عـنـدهـم عـطـفـاً ولـيـنَـا[٥]
سـيـقـضـي (كـرزنٌ) بـالأمـر عـنّـا
وحـاجـات (الـكـنـانـةِ) مـا قُـضـيـنَـا[٦]

* * *

تـعـالَ الـيـومَ خـبِّـرنـا أكـانـت
نـواكَ سـنـاتِ نـومٍ أم سـنـيـنَـا؟[٧]

---

(١) خروج عيسى: أي كما يعتقد النصارى بخروج عيسى من القبر.
(٢) يجوب: يطوف. البرق: المقصود طريقة المراسلة بالتلغراف. البُخار: المقصود القطار البخاري. الحزون: مفردها حزن، وهو ما غلظ من الأرض.
(٣) لوزان: إحدى المدن السّويسرية، حيث عُقد المؤتمر الذي عُرف بمؤتمر الدول الناظرة في الخلافات بينهن، وتقرير الصلح بين التّرك واليونان، وكان ذلك مناسبة للتداول في موضوع اكتشاف قبر الملك توت عنخ آمون الذي وافق ظهوره انعقاد المؤتمر.
(٤) صلفوا: تكبروا. صدّوا الباب عنا: لم يفتحوه لنا. موصدين: مغلقين.
(٥) المعنى، أننا لو أظهرنا لهم قوة السلاح لتعاملوا معنا باللين.
(٦) (كرزن): هو وزير إنكليزي كان مندوب إنكلترا في مؤتمر لوزان. الكنانة: هي مصر.
(٧) تعال اليوم... إلخ: الخطاب موجّه لتوت عنخ آمون. نواك: بعدك. السِّنات: مفردها سِنَة، وهي النعاس.

وماذا جبتَ من ظلماتِ ليلٍ
بَعِيْدِ الصبح يُنضِي المُدلجينَا؟(١)
وهل تبقى النفوسُ إذا أقامت
هياكلُها وتبلى إنْ بلينَا؟
وما تلك القبابُ وأين كانت
وكيف أضلّ حافرُها القرونَا؟(٢)
ممرّدةَ البناء تُخالُ برجاً
ببطن الأرض محطوطاً دفينَا(٣)
تَغطّى بالأثاث فكان قصراً
وبالصُّورِ العِتاق فكان زُونَا(٤)
حملتَ العرشَ فيه فهل ترجّى
وتأملُ دولة في الغابرينَا؟(٥)
وهل تَلقَى المهيمنَ فوق عرشٍ
ويلقاه المُلا مُتَرجلينَا؟(٦)
وما بالُ الطعام يكاد يقدى
كما تَركته أيدي الصانعينَا؟(٧)

(١) يُنضي: يُتعب أو يُهزل. المُدْلجون: الذين يسيرون من أول الليل.
(٢) المعنى، أخبرنا عن تلك القباب التي تظهر من أبنية المقبرة، وكيف أخفاها الذي حَفَرَها عن عيون السنوات الطوال التي عبّر عنها بالقرون، والقرن: مائة عام.
(٣) ممردة البناء: مُملّسَة.
(٤) تَغَطَّى: أي هذا البناء تغطّى. والأثاث: متاع البيت. الصور: مفردها صورة أي يريد الرسوم التي تحاكي صور الأشياء. العتاق: مفردها عتيق، أي القديم من الخيل والجارح من الطير. الزون: الموضع تحفظ فيه التحف والأصنام.
(٥) في الغابرين: في الباقين، وقد تستعمل بمعنى الماضين، لأنها من الكلمات التي تستعمل في الأضداد، وقد ورد في القرآن الكريم: ﴿**فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين**﴾.
(٦) المهيمن: من أسماء الله الحسنى. المترجلون: الذين يمشون على أرجلهم بعد أن ينزلوا عن ركائبهم.
(٧) ما بال الطعام، ما حاله. يقدى: من قدى الطعام، أي طاب طعمه ورائحته.

ولـم تـكُ أمـس تـصـبـرُ عـنـه يـومـاً
فـكـيـف صـبـرتَ أحـقـابـاً مـئـيـنَـا[١]
لـقـد كـان الـذي حـذر الأوالـي
وخـاف بـنـو زمـانـك أَنْ يـكـونَـا[٢]
يُـحِـبُّ الـمـرءُ نـبـش أخـيـه حـيًّـا
ويـنـبـشـه ولـو فـي الـهـالـكـيـنَـا
سُـلِـلـتَ مـن الـحـفـائـر قـبـل يـوم
يَـسـلُّ مـن الـتـراب الـهـامـديـنَـا[٣]
فـإنْ تـكُ عـنـد بـعـثٍ فـيـه شـكٌّ
فـإنّ وراءه الـبـعـثَ الـيـقـيـنَـا[٤]
ولـو لـم يـعـصـمـوكَ لـكـان خـيـراً
كـفـى بـالـمـوت مـعـتَـصِـمـاً حـصـيـنَـا[٥]
يُـضَـرُّ أخـو الـحـيـاةِ ولـيـس شـيءٌ
بـضـائـره إذا صـحـبَ الـمـنـونَـا[٦]

❊ ❊ ❊

(١) الأحقاب: مفردها حُقُب، أي الدهر. المئين: مفردها مائة.
(٢) المعنى، أن ما كنتم تحذرونه وتخافون وقوعه من نبش قبوركم قد حصل بالفعل، ولم تمنعه الحماية المبالغ فيها في الوقاية منه.
(٣) سُلِلت: أُخرجت. الحفائر: مفردها حفيرة، أي القبر. واليوم الذي يَسلُّ الهامدين من التراب: هو يوم البعث.
(٤) المعنى، أنك إذا كنت تشك حين أخرجوك من قبرك بأنك بُعثت من جديد، فإنك لا محالة سترى اليوم الذي لا شك فيه، وهو يوم البعث الحقيقي، أي يوم القيامة.
(٥) يعصموك: يمنعوك من الأذى، ومعنى البيت أنك لو تُركت بدون هذه العصمة لما كان أصابك أذى، لأن الموت يمنع عنك الضُّر بما هو حصانة لك.
(٦) يُضَرّ: أي يتعرض للضر والأذِيّة.

زمـــانُ الـــفـــرد يـــا فـــرعـــونُ ولّـــى
ودالـــتْ دولـــةُ الـــمـــتـــجـــبّـــريـــنَـــا[١]
وأصـــبـــحـــتِ الـــرعـــاةُ بـــكـــل أرضٍ
عـــلـــى حـــكـــمِ الـــرعـــيّـــةِ نـــازلـــيـــنَـــا

(١) زمان الفرد: أي زمان حكم الفرد. ولّى: ذهب. دالت: انقلبت وتحوّلت من حال إلى حال. المتجبرون: المتكبرون.

تحيّة المؤتمر الجغرافيّ

[من البسيط]

هل تهبطُ النَّيِّراتُ الأرض أحيانَا
وهل تَصوّرُ أفراداً وأعيانَا؟(١)

نزلنَ أولَ دارٍ في الثرى رَفعَت
للشمس مُلكاً وللأقمارِ سلطانَا(٢)

تفنَّنتْ قبل خلق الفنِّ وانفجرت
عِلماً على العُصُرِ الخالي وعِرفانَا(٣)

أُبُوَّةٌ لو سكتنا عن مفاخرهم
تواضُعاً نطقتْ صخراً وصوّانَا(٤)

هُمْ قلَّبوا كُرَة الدُّنيا فما وجدَتْ
أقوى على صَولجانِ المُلْكِ أيْمانَا(٥)

وصيّروا الدهرَ هُزءاً يسخرون به
حتى ينال لهم بالهدم بنيانَا(٦)

---

(١) النَّيّرات: الكواكب. تَصوّر: أي تتصوّر: الأعيان: هم كبار القوم وأشرافهم. ومعنى البيت، أن هؤلاء الذين حضروا المؤتمر الجغرافي وأقبلوا من بلاد أخرى بعيدة، هم أعيان بلادهم وهم كالكواكب التي تهبط الأرض فتنيرها كما النَّيّرات.

(٢) نزلن: أي هذه النّيّرات، ومعنى البيت، أن مصر هي أول دار في الأرض قد سبقت غيرها من الأمم إلى المدنية والعلم ورسّخت أقدامها فيهما.

(٣) تفنّنت: أي أبدعت أنواع الفنون. العُصُر: الدهر. الخالي: الماضي.

(٤) أُبُوَّة: أي آباؤنا. المفاخر: المآثر. الصَّوان: نوع من الحجارة الصّلدة.

(٥) الصولجان: عصا منعطفة الرأس غالباً ما يحملها الملوك والفرسان. الأيمان: مفردها يمين، والمعنى أنها ما وجدت أيماناً أقوى على صولجان الملك من أيمانهم.

(٦) المعنى، أن الدهر لن ينال لهم ما أرادوا، لذلك فهم يسخرون به أبداً.

لـم يَـسـلُـكِ الأرضَ قـومٌ قـبـلـهـم سُـبـلاً
ولا الـزواخـرَ أثـبـاجـاً وشُـطَّـانَـا[١]
تـقـدّم الـنـاسَ مـنـهـم مـحـسـنـون مـضَـوْا
لـلـمـوتِ تـحـت لـواءِ الـعِـلـم شُـجْـعـانَـا
جـابـوا الـعُـبـاب عـلـى عـودٍ وسـاريـةٍ
وأوغـلـوا فـي الـفَـلا كـالأُسْـدِ وُحْـدانَـا[٢]
أزمـان لا الـبَـرُّ (بـالـوابـور) مـنـتَـهـبـاً
ولا (الـبُـخـار) لـبـنـت الـمـاء رُبـانَـا[٣]
هـل شَـيّـع الـنـشءُ ركـبَ الـعـلـم وٱكـتـنـفـوا
لـلـعـبـقـريـة أحـمـالاً وأظـعـانَـا؟[٤]
وسـايـروا الـمـوكـبَ الـمـرمـوقَ مـتـشـحـاً
عـزَّ الـحـضـارة أعـلامـاً ورُكـبـانَـا؟[٥]
يـسـيـرُ تـحـت لـواء الـعـلـم مـؤتـلـفـاً
ولـن تـرى كـجـنـودِ الـعـلـم إخـوانَـا

(١) المعنى، أن المصريين القدماء هم أول من سلك الأرض وطاف بها بحراً وبرّاً. السبل: مفردها سبيل، أي الطريق. الزواخر: البحار. الأثباج: مفردها ثبج، أي معظم الماء. الشطّان: مفردها شطّ، أي الشاطئ.

(٢) جابوا: طافوا. العُباب: معظم البحر، أو أكثر المسيل. العُود: الخشب، أي المركب أو السفينة. السارية: عمود ينصب في وسط السفينة. الفلا: مفردها فلاة، وهي الأرض الخالية الواسعة. الوحدان: مفردها واحد.

(٣) أزمان: أوقات. والمعنى أنهم فعلوا ذلك في أوقات لم يكن بها القِطار ينهب الأرض، ولا البخار يُجري السفن. الربان: قائد السفينة.

(٤) هل شيَّع النشءُ... إلخ: أي هل أُخرج النشء من ركب العلم، (وهم العلماء الذين حضروا المؤتمر ورجعوا إلى بلادهم). اكتنفوا أحمالاً وأظعاناً: أي أحاطوا بها. العبقرية: أصلها ينسب إلى وادي عبقر وهو موضع قيل إنه يكثر فيه الجنّ الذي يوحي إلى روّاد هذا الوادي. الأحمال والأظعان: أي ما يُحمل على الإبل من هوادج وغيرها.

(٥) المرموق: الذي يُنظر إليه طويلاً. المتشح: اللابس.

ألـعـلـم يـجـمـعُ فـي جـنـس وفـي وطـنٍ
شـتّـى الـقـبـائـلِ أجـنـاسـاً وأوطـانَـا[١]
ولـم يـزدك كـرسـم الأرضِ مـعـرفـةً
بـالأَرض داراً وبـالأحـيـاء جـيـرانَـا[٢]
عـلـمٌ أبـان عـن الـغـبـراء فـانـكـشـفـت
زَرعـاً وضـرعـاً وإقـلـيـمـاً وسُـكّـانَـا[٣]
وقـسّـم الأرض آكـامـاً وأوديـة
وفـصَّـل الـبـحـرَ أصـدافـاً ومَـرْجـانَـا[٤]
وبـيّـن الـنـاس عـاداتٍ وأمـزجـةً
ومـيّـز الـنـاسَ أجـنـاسـاً وأديـانَـا
وفـدَ الـمـمـالـكِ هـز الـنِّـيـلُ مَـنـكـبَـه
لـمّـا نـزلـتـم عـلـى واديـه ضِـيـفـانَـا[٥]
غـدا عـلـى الـثـغـرِ غـادٍ مـن مـواكـبِـكـم
فـراح مُـبْـتـسـمَ الأرجـاء جـذلانَـا[٦]
جـرت سـفـيـنـتـكـم فـيـه فـقـلَّـبَـهـا
عـلـى الـكـرامـةِ قَـيـدومـاً وسُـكّـانَـا[٧]

---

(١) شتَّى القبائل: أي القبائل المختلفة والمتفرقة.
(٢) كرسم الأرض: أي كعلم الجغرافيا.
(٣) أبان: أظهر. الغبراء: الأرض.
(٤) الآكام: التلال. الأودية: مفردها واد، وهو ما انفرج بين جبلين أو تلّين. الأصداف: مفردها صدفة، وهي غشاء اللؤلؤ وما شابه ذلك. المَرجان: مفردها مرجانة، وهي صغار اللؤلؤ.
(٥) المنكب: الكتف أو الجانب من كل شيء. والمعنى، أن النّيل قد تأهَّب لإكرام الضيوف.
(٦) غدا: أقبل. الثغر: المقصود مدينة الإسكندرية. المواكب: مفردها موكب وهو الجماعة من المشاة أو الركبان. الأرجاء: النواحي أو الجهات. الجذلان: الفرحان.
(٧) الكرامة: أي على الترحيب والإعزاز. القيدوم: الصّدر. السُّكّان: أي الدَّفة من السفينة.

يـلـقـاكُـمُ بـسـمـاء الـبـحـر ضـاحـيـةً
وتـــارةً بـــفَـــضـــاءِ الـــبَـــرِّ مُـــزدانَـــا[١]

ولـــو نـــزلـــتـــم بـــه والـــدهـــرُ مـــعـــتـــدلٌ
نـــزلـــتُـــمُ بـــعـــروسِ الـــمُـــلـــكِ عُـــمـــرانَـــا[٢]

إذ (الـــفـــنـــارُ) وراء الـــبـــحـــرِ مـــؤتـــلـــق
كـــأنـــه فـــلـــقٌ مـــن خِـــدره بـــانَـــا[٣]

أنـاف خـلـف سـمـاء الـلّـيـل مـتـقـداً
يُـخـال فـي شُـرُفَـات الـجـوِّ (كَـيْـوانَـا)[٤]

تـطـوي الـجـواري إلـيـه الـيـمَّ مـقـبـلـة
تـجـري بـوارجَ أو تـنـسـاب خُـلـجـانَـا[٥]

نـورُ الـحـضـارة لا تـبـغـي الـركـابُ لـه
لا بـالـنـهـارِ ولا بـالـلّـيـلِ بـرهـانَـا

يـا مـوكـبَ الـعـلـم قـف فـي أرض (منفَ) بـه
يـنـاجِ مـهـداً ويـذكُـرْ لـلـصِّـبـا شـانَـا[٦]

---

(١) ضاحية: أي صافية، منكشفة المعالم.

(٢) ولو نزلتم به: المراد هنا الثغر، أي مدينة الإسكندرية. الدهر معتدل: أي مُنْصف لنا، ليس في حكمه انحراف واعوجاج.

(٣) الفنار: المنارة يهتدي بها ربان السفينة. مؤتلق: لامع. الفلق: الصبح. الخدر: الستر، أو كل ما يواري من بيت أو غيره.

(٤) أناف: أشرف أو ارتفع. الشرفات: ما أشرف من بناء القصر. كَيْوان: أي كوكب زحل.

(٥) الجواري: السفن. اليمّ: البحر. البوارج: السفن الحربية. تنساب: تجري وتتدافع. الخلجان: مفردها خليج، وهو شَرْم من البحر.

(٦) أرض مَنْف: أي الأرض المصرية، ومَنْف مدينة مصرية قديمة بناها الملك «مينا» وجعلها مقراً لملكه. يُناجِ: من فعل ناجى وهي مجزومة، أي يُسارّ. المهد: الموضع يُهيّأ للطفل. والمعنى العام للبيت: قف بالعلم في أرضي لمناجاة مهدي الأول وذكر عهد صباي.

بـكـى تـمـائـمـه طـفـلاً بـهـا وبـكـى
مـلاعـبـاً مـن رُبَـى الـوادي وأحـضـانَـا[1]
أرضٌ تـرعـرَع لـم يـصـحَـبْ بـسـاحـتـهـا
إلّا نـبـيّـيـن قـد طـابـوا وكـهّـانَـا
عـيـسـى ابـنُ مـريـم فـيـهـا جـرَّ بـردتَـه
وجـرّ فـيـهـا الـعـصـا مـوسـى بـن عِـمـرانَـا
لـولا الـحـيـاءُ لـنـاجـتـكـم بـحـاجـتِـهـا
لـعـلّ مـنـكـم عـلـى الأيـام أعـوانَـا
إذا تـفـرّقـتُـمُ فـي الـغـربِ ألـسـنـةً
لـيَّـنْـتُـمُ كـلَّ قـلـبٍ لـم يـكـن لانَـا

(١) بكى: أي العلم. التمائم: مفردها تميمة، وهي التعويذة ضد العين والحسد. الملاعب: أرض أو مكان اللعب كالساحات الكبيرة وغيرها. الرُّبى: مفردها ربوة، وهي ما ارتفع من الأرض.

الصّليب الأحمر

[من الكامل]

سِرْ يا صليبَ الرفق في ساحِ الوغى
وٱنشر عليها رحمةً وحنانَا[١]
وٱدخل على الموتِ الصفوفَ مواسياً
وأعنْ على آلامه الإنسانَا
وٱلمس جراحاتِ البريّة شافياً
ما كنت إلّا للمسيحِ بنانَا[٢]
وإذا الوطيس رمى الشبابَ بناره
خُضْ (كالخليل) إليهمُ النيرانَا[٣]
وٱجعل وسيلتَك المسيحَ وأمَّه
وٱضرَع وسلْ في خلقِه الرحمانَا[٤]
ألَّله جارُك في عوانٍ لم تَهب
للَّهِ لا بِيَعاً ولا صُلبانَا[٥]
وسلمت يا حرمَ المعارك من يدٍ
هدمت لِسلم العالمين كيانَا[٦]

* * *

(١) الساح: مفردها ساحة. الوغى: الحرب.
(٢) الجراحات: مفردها جراحة. البنان: أطراف الأصابع.
(٣) الوطيس: شدة المعارك. الخليل: هو النبي إبراهيم عليه السلام، وقصته مع النار معروفة.
(٤) الوسيلة: ما يُتقرب به إلى الغير. وٱضرع: وٱخضع. الرحمن: من أسماء اللّه الحسنى.
(٥) العوان: الحرب. البِيَع: مفردها بِيْعة، وهي معبد اليهود والنصارى.
(٦) السلم: ضد الحرب. الكيان: الوجود.

يـا أهـلَ مـصـرَ رمـى الـقـضـاءُ بـلـطـفِـه
وأراد أمـــراً بـــالـــبـــلاد فـــكـــانَـــا
إنّ الـــذي أَمْـــرُ الـــمـــمـــالـــك كـــلِّـــهـــا
بـيـديـه أحـدثَ فـي (الـكـنـانـة) شـانَـا
أبـقـى عـلـيـهـا عـرشـهـا فـي بُـرهـةٍ
تـرمـي الـعـروشَ وتـنـثـرُ الـتّـيـجـانَـا[١]
وكـسـا الـبـلادَ سـكـيـنـةً مـن أهـلـهـا
ووقـى مـن الـفـتـن الـعـبـاد وصـانَـا
أو مـا تـرون الأرض خُـرّب نـصـفـهـا
وديـــارُ مـــصـــرٍ لا تـــزال جِـــنـــانَـــا[٢]
يـرعـى كـرامـتـهـا ويـمـنـعُ حـوضـهـا
جـيـشٌ يـعـاف الـبـغـي والـعُـدوانَـا[٣]
كـجـنـود (عـمـرو) أيـنـمـا ركـزوا الـقـنَـا
عـفُّـوا يـداً ومـهـنّـداً وسِـنـانَـا[٤]
إنّ الـشـجـاع هـو الـجـبـانُ عـن الأذى
وأرى الـجـريء عـلـى الـشـرورِ جـبـانَـا

❊ ❊ ❊

أمـــمَ الـــحـــضـــارة أَنْـــتـــم آبـــاؤنـــا
مـنـكـم أخـذنـا الـعـلـمَ والـعِـرْفـانَـا
رقَّـتْ لـكـم مـنّـا الـقـلـوبُ كـأنـمـا
جَـرْحَـاكُـمُ يـومَ الـوغـى جَـرْحَـانَـا

(١) البرهة: المدة من الوقت. تنثر: ترمي بشكل متفرق.
(٢) جنان: مفردها جنّة. (٣) يعاف: يرفض أو يبغض.
(٤) كجنود (عمرو): أي كجنود عمرو بن العاص فاتح مصر ووالياها. ركزوا القنا: غرزوها في الأرض. القنا: الرّماح. عفُّوا: تركوا المحرمات. المهنّد: السيف. السنان: نصل الرمح.

ومـــن الـــمـــروءة وهـــي حـــائـــطُ دِيـــنـــنـــا
أنْ نـــذكـــرَ الإصـــلاح والإحـــســـانَـــا[١]
ولـــئـــن غـــزاكـــم مـــن ذويـــنـــا مـــعـــشـــرٌ
فـــلـــربَّ إخـــوانٍ غـــزوا إخـــوانَـــا
حـــتـــى إذا الـــشـــحـــنـــاءُ نـــامـــت بـــيـــنـــهـــم
لـــم يـــعـــرفـــوا الأحـــقـــاد والأضْـــغَـــانَـــا[٢]

(١) الحائط: الجدار، والمعنى أن المروءة هي من الثوابت في عقيدتنا، أي كالحائط من الدار.
(٢) الشحناء: العداوة. الأضغان: الأحقاد.

تحيّة للتّرك(*)

[من الوافر]

بحمدِ اللَّهِ ربِّ العالمينَا
وحمدِك يا أميرَ المؤمنينَا
لَقينَا في عدوِّكَ ما لقينَا
لقينَا الفتحَ والنّصر المبينَا

❊ ❊ ❊

هُمُ شهروا أذىً وشهرت حربَا
فكنتَ أجلَّ إقداماً وضربَا
أخذتَ حدودَهم شرقاً وغربَا
وطهَّرْتَ المواقعَ والحصونَا

❊ ❊ ❊

وقبل الحربِ حربٌ منك كانَتْ
نتائجها لنَا ظهرتْ وبانَتْ
ألنتَ الحادثاتِ بها فلانَتْ
وغادرتَ القياصرَ حائرينَا

❊ ❊ ❊

جمعتَ لنَا الممالك والشعوبَا
وكانت في سياستِها ضروبَا
فلمّا هبَّ (جُورجِيهم) هبوبَا
تلفَّتَ لا يصيبُ له معينَا(١)

❊ ❊ ❊

(*) «قيلت في الحرب بين الأتراك واليونان سنة ١٣١٤هـ، وقلَّمَا نالت قصيدة أخرى في العالم العربي ما نالته هذه القصيدة أيام ظهورها من حفاوة وانتشار، وذلك لِمَا ورد فيها من وصف وتهكّم صادفا هوى في النفوس».

(١) جورجي: هو ملك اليونان آنذاك.

رأى كـيـفَ الـسـبـيـلُ إلـى كـريـدِ
وكـيـف عـواقـبُ الـطـيـشِ الـمـزيـدِ
وكـيـف تـنَـامُ يـا عـبـدَ الـحـمـيـدِ
وتـغـفـلُ عـن دمـاءِ الـعـالـمـيـنَـا

❊ ❊ ❊

ولا والـلَّـهِ والـرسْـلِ الـكـرامِ
وبـيـتِـك خـيـرِ بـيـتٍ فـي الأنَـامِ
لَـمَـا كـانـوا وسـيـفُـك ذو انـتـقـامِ
يـعـادِلُ جـمـعُـهـم مِـنَّـا جـنـيـنَـا

❊ ❊ ❊

رأيـتَ الـحـلـمَ لـمّـا زادَ غـرًّا
وجـرّأ مَـلـكـهـم حـتـى تـجـرَّا[1]
فـجـاءتـك الـدعـاوى مـنـه تَـتـرَى
وجـاءتـه جـنـودُكَ مـبـطـلـيـنَـا

❊ ❊ ❊

بـخـيْـلٍ فـي الـهـضـاب وفـي الـروابِـي
ونَـارٍ فـي الـقـلاعِ وفـي الـطـوابِـي
وسـيـفٍ لا يـلـيـنُ ولا يُـحـابِـي
إذا الآجـالُ رجَّـتْ مـنـه لـيـنَـا

❊ ❊ ❊

وجـيـشٍ مـن غُـزاةٍ عـن غُـزاةِ
هُـمُ الأبـطـالُ فـي مـاضٍ وآتِـي
ومـن كـرمٍ أذلُّـوا كـلَّ عـاتِـي
وذَلُّـوا فـي قـتـال الـمـؤمـنـيـنَـا

❊ ❊ ❊

(١) تجرّا: أي تجرّأ (مخففة).

أبـــعـــد بـــلائِـــهـــم فـــي كـــلِّ حـــربِ
وضـــربٍ فـــي الـــمـــمـــالـــكِ أيِّ ضـــربِ
تـــحـــاولُ صـــبـــيـــةٌ فـــي زِيِّ شـــعـــبِ
وتـــطـــمـــعُ أَنْ تـــدوسَ لـــهـــم عـــريـــنَـــا؟

❊ ❊ ❊

جـــنـــودٌ لـــلـــجـــراحِ الـــدهـــرَ مِـــرْهَـــمْ
يـــدبِّـــرُهـــا الـــبـــعـــيـــدُ الـــصـــيـــتِ أدهـــمْ
فـــأنـــجَـــدَ فـــي تـــســـالـــيـــةٍ وأثْـــهَـــمْ
وكـــانـــت لـــلـــعـــدى حـــصـــنـــاً حـــصـــيـــنَـــا[١]

❊ ❊ ❊

أ(روتـــــرُ) لا تـــــدسَّ الـــســـــمَّ دسَّـــــا
ومـــهـــلاً فـــي الـــتـــهـــوّس يـــا (هَـــوَسَّـــا)[٢]
ســـلِ (الـــيـــونـــانَ) هـــل ثـــبـــتـــت (لَـــرِسَّـــا)
وهـــل حـــفـــظ الـــطـــريـــق إلـــى (أثـــيـــنَـــا)؟[٣]

❊ ❊ ❊

مـــعـــــاذ الـــلَّـــــه كـــــلا ثـــــم كـــــلَّا
هُـــمُ الـــبـــحـــارةُ الـــغـــرُّ الأجِـــلَّا!
ومـــا أســـطـــولُـــهـــم فـــي الـــبـــحـــر إلّا
(شـــخـــاشـــخُ) مـــا يَـــرحـــنَ ومـــا يـــجـــيـــنَـــا[٤]!

❊ ❊ ❊

وكـــم بـــعـــثـــوا جـــيـــوشـــاً مـــن أمـــانِـــي
أتـــــت دارَ الـــســـــعـــــادة فـــــي أمـــــانِ

---

(١) تسالية: اسم موقعة من مواقع هذه الحرب. أنجد: نزل نجداً. وأتهم: نزل تهامة. والمعنى العام للبيت، أنه أتى على كل شيء فيها، أي ما ارتفع وانخفض.
(٢) (هَوَسَّا): المقصود بها هاقاس، أي الشركة البرقية المعروفة.
(٣) (لرِسَّا): موقعة من مواقع هذه الحرب.
(٤) شخاشخ: لعب معروفة للأطفال، والمراد هنا التَّهكُّم والسخرية من أسطول العدو.

ومـــا ســـارت ســـوى يَـــوْمَـــيْ زمـــانِ
فـأهـــلاً بـــالـــغُـــزاة الـــفـــاتـــحـــيـــنَـــا!

❊ ❊ ❊

وكـــم بـــاتـــوا عـــلـــى هـــرْجٍ ومَـــرْجِ
وقـالـوا: الـمـالُ مـبـذولٌ لـجـورجِـي[١]
وكـــلُّ الـــمـــال مـــن دَخْـــلٍ وخـــرْجِ
ديـــونٌ لا تـــقـــدّرهـــا ديـــونَـــا[٢]!

❊ ❊ ❊

وكـم فـتـحـوا الـثـغـورَ بـلا تـوانِـي
وبـالأسـطـولِ جـاؤوا مـن مـوانِـي
(ولـلـبـسـفـورِ) طـاروا فـي ثـوانِـي
فـأهـلاً بـالأوزِّ الـعـائـمـيـنَـا[٣]!

❊ ❊ ❊

وفـي (الأسـتـانـة) ٱنـتـصـروا ٱنـتـصـارَا
(وبـطـرسـبـرجَ) دكّـوهـا حـصـارَا
فـيـا لـلـمـسـلـمـيـنَ ولـلـنـصـارَى
وقـيـصـرَ والـمـلـوكِ الآخـريـنَـا!

❊ ❊ ❊

ويـا (غـلـيـومُ) أيـنَ لـك الـفِـرَارُ
إذا (جـورجـي) وعـسـكـرُه أغـارُوا؟
فـضـاقـت عـن سـفـيـنِـهـمُ الـبـحـارُ
وضـاق الـبـرُّ عـنـهـم واجـفـيـنَـا!

❊ ❊ ❊

---

(١) الهرج والمرج: الفتنة والاختلاط.

(٢) لا تقدّرها ديوناً: أي لا قيمة كبيرة لها لضآلتها.

(٣) فأهلاً بالأوز العائمين: كناية عن سرعة التحرك وخفة الإبحار، وهي هنا وصف لتعظيم شأنها (أي شأن الجيوش).

أمـورٌ تـضـحـكُ الـصـبـيـانُ مِـنْـهَـا
ولا تـدري لـهـا الـعـقـلاءُ كُـنْـهَـا
فـسـلْ (روتـرْ) ورُسْـلَ (هـاقـاسَ) عـنْـهَـا
فـإنّ لـديـهـمـا الـخـبـرَ الـيـقـيـنَـا

❊ ❊ ❊

ويـومَ (مَـلـون) إذ صـحـنـا وصـاحُـوا
ذكـرنـا الـلّـه مـن فـرحٍ ونـاحُـوا[١]
ودارت بـيـنـهـم بـالـراح راحُ
ودارت راحـةُ الإيـمـان فـيـنَـا[٢]

❊ ❊ ❊

عـلـى الـجـبـلـيـن قـد بـتـنـا وبـاتُـوا
وقُـتـنـاهـمُ مـنـيَّـتَـهـم وقـاتُـوا
وقـد مـتـنـا ثـبـاتـاً وٱسـتـمـاتُـوا
ومـا الـبـسـلاءُ كـالـمـسـتـبـسـلـيـنَـا

❊ ❊ ❊

خـسَـفـنـا بـالـحـصـون الأرضَ خـسـفَـا
تـزيـدُ تـأبّـيـاً فـنـزيـد قـذفَـا
بـنـارٍ تـنـسـفُ الأجـبـالَ نـسـفَـا
وتـلـقَـفُ نـارهـم والـمـطـلـقـيـنَـا

❊ ❊ ❊

مـدافـعُ مـا تـؤوبُ بـغـيـر زادِ
بـراكـيـنٌ تـصـوبُ بـلا نـفـادِ[٣]
نـصـبـنـاهـا لـهـم فـي كـلِّ وادِي
فـكـنّ الـمـوت أو أهـدى عـيـونَـا

❊ ❊ ❊

(١) (ملون): موقعة من مواقع هذه الحرب. (٢) الراح: الأكف. راح: أي خمر.
(٣) تصوب: أي تسقط حممها كالمطر.

جـعـلـنـا الأرضَ تـحـتَـهـمُ دمـاءَ
وصـيَّـرنـا الـدخـانَ لـهـم سـمـاءَ
وإذ رامـوا مـن الـنـار احـتـمـاءَ
حـمـت أسـيـافُـنـا مـنـهـم مـئـيـنَـا

❊ ❊ ❊

ورُبَّ مـجـاهـدٍ شـيـخ مـبـجَّـلْ
تـرجَّـلـتِ الـجـبـالُ ومـا تـرجَّـلْ
أراد لـيـركـبَ الـمـوت الـمـحـجَّـلْ
إلـى أجـدادِه الـمـسـتـشـهـديـنَـا

❊ ❊ ❊

وفـى لـجـوادِهِ وحَـنـا عـلـيْـهِ
وقـد شـخـصـتْ بـنـادقُـهـم إلـيْـهِ
وصـابَ رَصـاصُـهـا يُـدمـي يـديْـهِ
وأوشـكـتِ الـسـواعـدُ أَنْ تـخـونَـا

❊ ❊ ❊

تـعـوَّدَ أَنْ يُـصـيـبَ وأنْ يُـصـابَـا
فـخـوطـبَ فـي الـنـزول فـمـا أجـابَـا
وقـال وقـد قـضـى قـولاً صـوابَـا :
هـنـا فـلـيـطـلـبِ الـمـرءُ الـمَـنـونَـا

❊ ❊ ❊

وقـد زاد الـبـسـالـة مـن وقـارِ
هِـزبـرٌ مـن لـيـوثِ الـتّـرك ضـارِي
تـقـدّم نـحـو نـارٍ أيِّ نـارِ
لـيـسـبِـقَ نـحـو خـالـقِـه الـقـريـنَـا

❊ ❊ ❊

جـرى فـأذلَّ هـاتـيـك الألـوفَـا
وزحـزح عـن مـواضـعـهـا الـصـفـوفَـا

فـخـاض إلـى مـكـامِـنـهـا الـحُـتـوفَـا
ومـا هـاب الـرُّمـاة مـسـدِّديـنَـا

❊ ❊ ❊

دعـا لـلّـه فـي وجـه الأعـادِي
كـلـيـثٍ زائـرٍ فـي بـطـنِ وادِي
فـلـبّـتـه الـفـيـالـقُ والأرادِي
ودار هـلال رايـتـنَـا يـمـيـنَـا[١]

❊ ❊ ❊

فـلـمّـا أذعـنـوا أنّـا الـمـنَـايَـا
وأنّـا خـيـرُ مـن قـاد الـسـرايَـا[٢]
تـفـرّق جـمـعـهـم إلّا بـقـايَـا
عـلـى قُـلَـلِ الـجـبـالِ مـجـنـدَلـيـنَـا

❊ ❊ ❊

صـلاة الـلّـه ربـي والـسـلامُ
عـلـى قـتـلـى (بـفـرسـالـو) أقـامُـوا[٣]
هُـمُ الـشـهـداءُ حـول الـلّـه حـامُـوا
فـأدنَـاهـم وكـانـوا الـفـائـزيـنَـا

❊ ❊ ❊

أنَـالـوا الـمـلـك فـتـحـاً أيَّ فـتـحِ
وشـادوا لـلـخـلافـةِ أيَّ صـرحِ
وجـاؤوا ربَّـهـم مـنـهـم بـذبـحِ
تـقـبَّـلَـه وكـان بـه ضـنـيـنَـا[٤]

❊ ❊ ❊

---

(١) الأرادي: الجيوش.
(٢) السرايا: مفردها سرية، وهي القطعة من الجيش.
(٣) (فرسالو): موقعة من مواقع الحرب.
(٤) الذبح: أي الذبيحة أو ما يذبح.

سلاماً سفحَ (فرسالو) سلامَا
وكُنْ خيرَ المُقامِ لمَنْ أقامَا
وضنَّ بها وإنْ بليتْ عظامَا
تُطيفُ بها الملائكُ حائمينَا

❊ ❊ ❊

أأدهم هكذا تُفنَى المعالِي
وتُفنَى بالقواضِب والعوالِي[1]
لقد بيَّضتَ للملك اللّيالِي
بسيف يفضح الفجر المبينَا

❊ ❊ ❊

أخذتَ النّصرَ بالجبلين غصبَا
وكنتَ الليث تَخطاراً ووثبَا
حملتَ فماجت الحملانُ رعبَا
يظنُّهمُ الجهولُ مقاتلينَا

❊ ❊ ❊

وفي (فرسالَ) قد جئت العُجابَا
بسطتَ الجيش تقرؤه كتابَا
وقد أحصيتَه باباً فبابَا
وكانوا عن كتابك غافلينَا

❊ ❊ ❊

ثبتَّ مؤمَّلاً منك الثباتُ
توافيكَ الرسائلُ والسُّعاةُ
وحولَكَ أهل شوراك الثقاتُ
تسُوسُون الجيوش مظَفَّرينَا

❊ ❊ ❊

(١) القواضب: السيوف. العوالي: الرماح.

هـنَـاك الـصـحْـف سـارت حـاكـيـاتِ
وطُـيِّـرتِ الـبـروقُ مـحـدثـاتِ
وحـدَّثـتِ الـمـمـالـكُ آخـذاتِ
عـلـومَ الـحـربِ عـنـكـم والـفـنـونَـا

❊ ❊ ❊

بـنـي عُـثْـمَـانَ إنّـا قـد قَـدَرنَـا
فـتـوحَـكُـمُ الـكِـبـارَ وقـد شـكـرنَـا
سـألـنَـا الـلَّـه نـصـراً فـأنـتـصـرنَـا
بـكـم والـلَّـهُ خـيـرُ الـنَّـاصـريـنَـا

الدُّسْتورُ العُثْمانيّ

بُـشْـرَى الـبـريّـة قـاصـيـهـا ودانـيـهَـا
حـاط الـخـلافـةَ بـالـدسـتـور حـامـيـهَـا[١]
لـمّـا رآهـا بـلا ركـنٍ تـداركـهـا
بـعـد الـخـلـيـفـة بـالـشُّـورى ونـاديـهَـا[٢]
وبـالأبـيِّـيـن مـن قـوم أمـاتـهُـمُ
بُـعـدُ الـديـارِ وأحـيـاهـم تـدانـيـهَـا[٣]
حـنُّـوا إلـيـهـا كـمـا حـنَّـتْ لـهـم زمـنـاً
وأوشـك الـبـيـنُ يـبـلـيـهـم ويـبـلـيـهَـا[٤]
مـشـتَّـتـيـن عـلـى الـغـبـراءِ تـحـسـبُـهـم
رحَّـالـة الـبـدوِ هـامـوا فـي فـيـافـيـهَـا[٥]
لا يـقـرُبُ الـيـأسُ فـي الـبـأسـاءِ أَنْـفـسَـهـم
والـنـفـسُ إنْ قـنَـطـت فـالـيـأس مُـرديـهَـا[٦]

❊ ❊ ❊

أسـدى إلـيـنـا (أمـيـرُ الـمـؤمـنـيـن) يـداً
جـلَّـت كـمـا جـلَّ فـي الأمـلاكِ مُـسـديـهَـا[٧]

---

(١) حاط الخلافة: تعهدها بالحفظ. حاميها: هو اللّه تعالى.
(٢) الشّورى: التشاور بالأمر. (٣) الأبيون: مفردها أبيّ، وهو ذو الكبر والإباء.
(٤) البين: البعد والفراق. يبليهم: يقضي عليهم.
(٥) رحّالة البدو: أي الرّحالة من أهل البدو. هاموا: ذهبوا على وجوههم دون معرفة مقصدهم. الفيافي: الصحارى.
(٦) اليأس: فقدان الأمل.
(٧) أسدى: أي أنعم أو أحسن. أمير المؤمنين: هو السلطان عبد الحميد. اليد: النعمة. جلّت: عظمت. الأملاك: الملوك.

بيضاءَ ما شابَها للأبرياءِ دمٌ
ولا تكدّر بالآثامِ صافيها[١]
وليس مستعظماً فضل ولا كرمٌ
من صاحبِ السكة الكبرى ومنشيها[٢]
إنّ الندَى والرضَى فيه وأسرته
واللَّهُ للخير هاديه وهاديها
قوم على الحبّ والإخلاص قد ملكوا
وحسبُ نفسك إخلاصٌ يزكّيها[٣]
إذا الخلائفُ من بيتِ الهدى حمدت
أعلى الخواقين من (عُثْمَانَ) ماضيها[٤]
خلافةُ اللَّه في أحضانِ دولتهم
شابَ الزمان وما شابت نواصيها
دروعُها، تحتمي في النائباتِ بهم
من رمح طاعنها أو سهمِ راميها

❊ ❊ ❊

ألرأيُ رأي أميرِ المؤمنين إذا
حارت رِحالٌ وضلَّتْ في مرائيها[٥]
وإنما هي شُورى اللَّهِ جاء بها
كتابه الحقُّ يُعليها ويُغليها

(١) بيضاء: أي بدون إراقة دماء، ذلك بإقرار السلطان عبد الحميد نظام الشورى بعدما علم بقدوم الجيوش الزاحفة لاستخلاص حكم الشورى بالقوة.
(٢) السكة الكبرى: هي السكة الحديدية الحجازية التي أُنشئت في أيام السلطان عبد الحميد.
(٣) يزكّيها: يطهّرها.
(٤) الخلائف: مفردها خليفة. بيت الهدى: أي بيت النّبوة. الخواقين: مفردها خاقان، وهو لقب لكل ملك من ملوك التّرك. عُثْمَان: هو عُثْمَان بن أرتغرل مؤسس الدولة التّركية.
(٥) المرائي: مفردها مرأى، وهي الآراء.

حـقَـنـتَ عـنـد مـنـاداةِ الـجـيـوش بـهـا
دمَ الـبـريَّـةِ إرضـاءً لـبـاريـهَـا[١]
ولـو مـنـعـتَ أُريـقـت لـلـعـبـاد دِمـاً
وطـاحَ مـن مـهـج الأجـنـاد غـالـيـهَـا[٢]
ومَـنْ يـسُـسْ دولـةً قـد سُـسـتـهـا زمـنـاً
تـهُـنْ عـلـيـه مـن الـدُّنـيـا عـواديـهَـا[٣]
أتـى ثـلاثـون حـولاً لـم تـذُقْ سِـنـةً
ولا اْسـتـخـفَّـكَ لـلّـذَّات داعـيـهَـا
مـسـهَّـدَ الـجـفـنِ مـكـدودَ الـفـؤادِ بـمـا
يُـضـني الـقـلـوبَ، شـجـيَّ الـنـفـس عـانـيـهَـا[٤]
تـكـادُ مـن صُـحـبـة الـدُّنـيـا وخِـبْـرتِـهـا
تـسـيءُ ظـنَّـك بـالـدُّنـيـا ومـا فـيـهَـا

❊ ❊ ❊

أمـا تـرى الـمُـلـك فـي عـرسٍ وفـي فـرح
بـدولـةِ الـرأيِ والـشُّـورى وأهـلـيـهَـا
لـمَّـا اْسـتـعـدّ لـهـا الأقـوامُ جـئـتَ بـهـا
كـالـمـاءِ عـنـد غـلـيـلِ الـنـفـسِ صـاديـهَـا؟[٥]
فَـضْـلٌ لـذاتـك فـي أعـنـاقِـنـا ويـدٌ
عـنـد الـرّعـيّـةِ مـن أسـنـى أيـاديـهَـا[٦]

---

(١) حقنت دم البريّة: منعت سفك الدماء. البريّة: الناس. الباري: الخالق.
(٢) أريقت: صُبَّت. الدِّما: مفردها دم، وهي الدِّماء. طاح: هلك. المهج: مفردها مهجة، وهي الروح أو دم القلب. الأجناد: العساكر.
(٣) العوادي: المصائب.
(٤) مُسَهَّد الجفن: أي دائم الأرق، لا ينام. مكدود الفؤاد: مُتْعَب القلب. يضني القلوب: يوجعها ويثقلها. شَجِيّ النفس: مشغول بهمومها. عانيها: أي أسيرٌ لها.
(٥) الغليل: شدة العطش، وغليل النفس، أي مغلولها. الصادي: الشديد العطش.
(٦) اليد: النعمة.

خـلافـةُ الـلَّـهِ جَـرَّ الـذَّيـلَ حـاضـرُهـا
بـمـا مـنـحـتَ وهـزَّ الـعـطـفَ بـاديـهَـا[١]
طـارت قَـنـاهـا سـروراً عـن مـراكِـزهـا
وألـقـت الـغِـمـدَ إعـجـابـاً مـواضـيـهَـا[٢]
هـبَّ الـنـسـيـم عـلـى (مـقـدونـيـا) بَـرداً
مـن بـعـد مـا عـصـفـت جـمـراً سـوافـيـهَـا[٣]
تـغـلـي بـسـاكـنِـهـا ضِـغـنـاً ونـائـرةً
غَـلْـيَ الـصـدور إذا ثـارت دواعـيـهَـا[٤]
عـاثـت عـصـائـبُ فـيـهـا كـالـذئـاب عَـدَتْ
عـلـى الأقـاطـيـعِ لـمَّـا نـام راعـيـهَـا[٥]
خـلا لـهـا مـن رُسـوم الـحـكـم دارسُـهـا
وغـرَّهـا مـن طُـلـول الـمـلـك بـالـيـهَـا[٦]
فـسـامـرَ الـشـرَّ فـي الأجـيـال رائـحـهـا
وصـبَّـح الـسـهـلَ بـالـعـدوانِ غـاديـهَـا[٧]
مـظـلـومـةٌ فـي جـوار الـخـوفِ ظـالـمـةٌ
والـنـفـس مـؤذيـةٌ مَـنْ راحَ يـؤذيـهَـا

(١) الحاضر: الذي يعيش في الحَضَر. والبادي: الذي يعيش في البادية.
(٢) عن مراكزها: مفردها مركز، من ركز القناة، إذا غرزها في الأرض. الغمد: جفن السيف. المواضي: السيوف.
(٣) (مقدونيا): هي الجزء التّركي من أوروبا وتسمّى إقليم البلقان. البَرَد: حَبّ المطر. العصف: اشتداد الريح. السوافي: الرياح تذري التراب، مفردها سافية.
(٤) تغلي: أي (مقدونيا). الضغن: الحقد. النائرة: الهائجة. دواعيها: أي همومها.
(٥) عاثت: أفسدت. العصائب: مفردها عصابة، وهي الجماعة من الناس. عَدَتْ: وثبت. الأقاطيع: مفردها قطيع، وهو مجموعة الغنم.
(٦) الرسم الدارس: العافي القديم. الطلول: مفردها طلل، وهو ما بقي من آثار الدار.
(٧) سَامر الشر: من المسامرة، وهي الحديث ليلاً. صبَّح: جاءه صباحاً.

رثـــت لـــهـــا وبـــكـــت مـــن رقـــةٍ دول
كـالـبـوم يـبـكـي رُبـوعـاً عـزَّ بـاكـيـهَـا[١]
أعـلامُ مـمـلـكـة فـي الـقـرب خـافـقـةٌ
لآل (عُـثْـمَـانَ) كـادَ الـدهـرُ يـطـويـهَـا
لـمّـا مُـلـئـنـا قـنـوطـاً مـن سـلامـتـهـا
تـوثـبَـتْ أسُـدُ الآجـام تـحـمـيـهَـا[٢]
مـن كـل مـسـتـبـسـلٍ يـرمـي بـمـهـجـتِـه
فـي الـهـول إنْ هـي جـاشـت لا يـراعـيـهَـا[٣]
كـأنّـهـا وسـلامُ الـمـلـك يـطـلـبـهـا
أمـانـةٌ عـنـد ذي عـهـدٍ يـؤدّيـهَـا

❊ ❊ ❊

ألـديـنُ لـلّـه مَـنْ شـاءَ الإلـه هـدى
لـكـلِّ نـفـسٍ هـوىً فـي الـديـن داعـيـهَـا
مـا كـان مـخـتـلـف الأديـانِ داعـيـةً
إلـى اخـتـلافِ الـبـرايـا أو تـعـاديـهَـا
ألـكُـتْـبُ والـرُّسْـلُ والأديـانُ قـاطـبـةً
خـزائـنُ الـحـكـمـةِ الـكـبـرى لِـواعـيـهَـا

(١) رَثَتْ لها: أَشْفَقَتْ عليها. والمعنى العام لهذا البيت والأبيات السابقة له، تظهر مدى الحالة التي وصلت إليها (مقدونيا) إذ أن المخاطر كانت تحيط بها خاصة من الدول الأوروبية التي كانت تتربص الدولة التّركية بالمكائد والمؤامرات وكانت تجد في (مقدونيا) الخاصرة الضعيفة لمكايدها لِمَا فيها من الاختلاف العرقي والديني واللّغوي، وهذا ما انعكس على حالة الناس وإحساسهم بالخوف خاصة عند إظهار القوة في تثبيت الأمن والحزم في القضاء على القلاقل والنزاعات.

(٢) توثّبتْ أُسُد الآجام: المقصود أن رجال الجيش الذين شبَّههم الشاعر بأُسُد الآجام طلبوا من السلطان عبد الحميد إعلان الدستور، فاستجاب لهم.

(٣) المستبسل: المقاتل حتى الموت. المهجة: الروح أو دم القلب. الهول: الفزع. جاشت: اضطربت وخافت.

مـحـبـةُ الـلَّـهِ أصـلٌ فـي مـراشِـدهـا
وخـشـيـةُ الـلَّـهِ أُسٌّ فـي مـبـانـيـهَـا[١]
وكـل خـيـرٍ يُـلـقَّـى فـي أوامـرهـا
وكـل شـر يـوقَّـى فـي نـواهـيـهَـا
تـسـامُـح الـنـفـسِ مـعـنـى مـن مـروءتـهـا
بـل الـمـروءَةُ فـي أسـمـى مـعـانـيـهَـا
تـخـلَّـقِ الـصـفـحَ تَـسْـعَـدْ فـي الـحـيـاةِ بـه
فـالـنـفـسُ يُـسـعـدهـا خُـلْـقٌ ويُـشـقـيـهَـا[٢]
ألـلَّـهُ يـعـلـمُ مـا نـفـسـي بـجـاهـلـةٍ
مَـنْ أهـلُ خِـلَّـتـهـا مِـمَّـنْ يـعـاديـهَـا[٣]
لـئـن غـدوتُ إلـى الإحـسـانِ أصـرفـهـا
فـإنّ ذلـك أجـرى مـن مـعـالـيـهَـا
والـنـفـسُ إنْ كـبُـرت رقَّـت لـحـاسـدِهـا
وٱسـتـغـفـرت كـرمـاً مـنـهـا لـشـانـيـهَـا[٤]

❊ ❊ ❊

يـا شَـعْـبَ (عُـثْـمَـانَ) مـن تـركٍ ومـن عـربٍ
حـيـاكَ مَـنْ يـبْـعـث الـمـوتـى ويُـحـيـيـهَـا
صـبـرتَ لـلـحـق حـيـن الـنـفـسُ جـازعـة
والـلَّـه بـالـصـبـر عـنـد الـحـقِّ مـوصـيـهَـا

(١) المَراشِد: هي مقاصد الطرق وما استقام منها.
(٢) تَخَلّقْ الصّفح: أي اجعله خلقاً لك. الصفح: الإعراض عن الآخرين، أو الإعراض عن ذنوبهم.
(٣) الخِلَّة: الإخاء والمصادقة.
(٤) شانيها: مبغضها، وأصلها شانئها.

نـلـتَ الـذي لـم يـنـلـه بـالـقـنـا أحـدٌ
فـأهـتـف (لأنـورهـا) وأحـمـد (نـيـازيـهَـا)[١]
مـا بـيـن آمـالِـك الـلَّائـي ظـفِـرْتَ بـهـا
وبـيـن (مـصـرٍ) مـعـانٍ أَنْـت تـدريـهَـا

(١) القنا: مفردها قناة وهي الرماح. (أنورها) و(نيازيها): هما بطلا الدستور العثماني المشهورين، أنور ونيازي.

الهِلالُ والصّليبُ الأحْمران

(جبريلُ) أنتَ هدى السما ... ءِ وأنت برهانُ العِنايَهْ[١]
أبسط جَناحيكَ اللذيْ ... ـن هما الطهارةُ والهدايَهْ
وزدِ (الهلال) من الكرا ... مةِ و (الصليب) من الرعايَهْ
فهما لربك راية ... والحربُ للشيطان رايَهْ
لم يخلق الرحمن أكبـ ... ـر منهما في البر آيَهْ
ألأحمران عن الدّم الـ ... ـغالي وحرمته كنايَهْ[٢]
ألغادِيانِ لنجدةٍ ... ألرائحان إلى وقايَهْ[٣]
يتألقان على الوَغى ... رشداً تَبيَّن من غَوايَهْ[٤]
يقفان في جنب الدِّمَا ... كالعُذرِ في جنب الجنايَهْ
لو خيَّما في (كربلَا) ... لم يُمنع (السبطُ) السِّقايَهْ[٥]
أو أدركا يوم المسيـ ... ـح لعاوناه على النكايَهْ[٦]
ولناولاه الشّهد لا الـ ... ـخَلَّ الذي تصِف الروايَهْ[٧]

---

(١) جبريل: هو المَلَك جبريل المختص بالوحي.
(٢) الأحمران: أي اللذان جُعِلا أحمرين كناية عن الدم وحرمته، والمقصود بهما الهلال والصليب.
(٣) النجدة: الإغاثة. (٤) يتألقان: يلمعان.
(٥) كربلا: مدينة في العراق فيها قبر الإمام الشهيد الحسين بن علي رضي اللَّه عنهما. السبط: ولد الولد. والمقصود هنا الحسين رضي اللَّه عنه، سبط النبي ﷺ، وهو يشير إلى مقتله بعدما منعوا عنه الماء وهو في النزع الأخير. ويقول الشاعر: لو خيما في كربلا لكانا قد أغاثاه وقدَّما له الماء.
(٦) أدركا يوم المسيح: أي لو أدرك الأحمران يوم المسيح الذي يزعم النصارى أنه صلب فيه، لكانا عاوناه عند النكاية به.
(٧) ولناولاه الشهد: ذلك أن السيد المسيح عليه السلام طلب وقت الشدة ماء فأعطوه خلاً، ولو كان الأحمران أيامه لناولاه الشهد.

يـا أيُّـهـا (الـلّادي) الـتـي ... ألقَت على الجرحَى حِمايَهْ[١]
أبـلـيـتِ فـي نـزع الـسِّـهـا ... م بـلاءَ دهـرك فـي الـرّمـايَـهْ[٢]
ومـررتِ بـالأسـرى فـكـنـ ... ـتِ نـسـيـمِ واديـهـم سِـرايَـهْ[٣]
وبـنـات جـنـسـك إنْ بَـنَـيْـ ... ـنَ الـبِـرَّ أَحْـسَـنَّ الـبـنـايَـهْ
بـالأمـس لادي (لـوثـر) ... لـم تـأل جـيـرتـهـا عـنـايَـهْ[٤]
أسـدت إلـى أهـل الـجـنـو ... د يداً وغـالـت فـي الـحـفـايَـهْ[٥]
ومـحـجـبـاتٍ هـنّ أطـ ... ـهـر عـنـد نـائـبـةٍ كـفـايَـهْ[٦]
يُـسـعِـفـن رِيًّـا أو قِـرًى ... كـنـسـاء طـيٍّ فـي الـبـدايَـهْ[٧]
إنْ لـم يـكـنّ مـلائـكَ الـر ... ـحـمـن كـنّ هُـمُ حِـكـايَـهْ[٨]
لـبَّـيْـن دعـوتَـكِ الـكـريـ ... ـمةَ واْستـبـقـنَ الـبِـرّ غـايَـهْ[٩]
ألـمـحـسـنـون هُـمُ الـلّـبَـا ... بُ وسـائـر الـنـاس الـنُّـفـايَـهْ[١٠]
يـا أيُّـهـا الـبـاغـون ركّـا ... بَ الـجـهـالـة والـعَـمـايَـهْ
ألـبـاعـثـونَ الـحـربَ حُـ ... ـبًّـا لـلـتـوسُّـع فـي الـولايَـهْ
ألـمـدّعـون عـلـى الـورى ... حـقّ الـقـيـامـة والـوصـايَـهْ

(١) اللّادي: لقب لزوجات لوردات الإنكليز، والمقصودة هنا زوجة المعتمد البريطاني في مصر أثناء الحرب الكبرى، التي قامت بجمع التبرعات للصليب الأحمر وشجعت على ذلك.
(٢) أبليتِ: أظهرتِ بأسك حتى اختبره الناس.
(٣) السراية: من سَرَى، والمعنى هنا تَسَلّل خفية.
(٤) لادي لوثر: اسم سيدة إنكليزية ساهمت في العناية والمساعدة. لوثر: اسم زوج هذه السيدة. الجيرة: أي الجيران.
(٥) الحفاية: أي الحفاوة أو التلطف والمبالغة في الإكرام.
(٦) ومحجّبات: أي ورب نساء محجّبات. الكفاية: ما يمكن الاستغناء به.
(٧) الرِّيّ: هو شرب الماء حتى الارتواء. القِرى: ما يقدم للضيف. طيّ: اسم قبيلة عربية مشهورة بالكرم.
(٨) الملائك: مفردها مَلَك.
(٩) لبَّيْنَ: أجَبْنَ. استبقنَ البِرّ: سارعنَ إليه وجاوزنَه.
(١٠) اللّباب: الخالص من كل شيء. النفاية: الرديء من كل شيء.

ألـمـثـكِـلـون الـمـوتِـمـو ن الـهـادِمـون بـلا نـهـايَـهْ[١]
كـلُّ الـجِـراحِ لـهـا الـتـئـا مٌ مـن عـزاءٍ أو نِـسـايَـهْ[٢]
إلّا جـراح الـحـقِّ فـي عـصـر الـحـصـافـة والـدِّرايَـهْ[٣]
سـتـظـلُّ دامـيـة إلـى يـوم الـخـصـومـة والـشِّـكـايَـهْ

(١) المُثكِلون: مِنْ أثكلها ولدها، أي أماته. المُوتِمون: الذين يجعلون الأبناء يتامى بفقد آبائهم.
(٢) النسايَة: أي النسيان.
(٣) الحصافة: سداد الرأي.

الشَّوقِيَّات
دِيوَان أمِير الشُّعراء
أحمَد شوقي

الجُزْءُ الثَّانِي

تَحْقِيْق
محمّد نَعِيْم بَرْبَرْ

باب الوصف

آية العَصْرِ في سَماء مِصْرَ

«نُظمت عند قدوم (فدرين) و(بونيه) طائِرَيْن من باريس إلى مصر سنة ١٩١٤م»: [من الرّمل]

يا فرنسا نلتِ أسبابَ السَّماءْ ... وتملَّكتِ مقاليدَ الجِواءْ[١]

غُلِبَ النَّسرُ على دولته ... وتنحَّى لك عن عرش الهواءْ

وأتتكِ الريحُ تمشي أمَةً ... لك يا بُلْقَيْس من أوفى الإماءْ[٢]

رُوِّضتْ بعد جِماح وجرَتْ ... طوعَ سُلطانيْنِ: عِلم وذَكاءْ

لكِ خَيْلٌ بجناح أشبهتْ ... خَيْلَ جبريلَ لنصرِ الأنبياءْ

وبَريدٌ يسحبُ الذَّيْلَ على ... بُرُدٍ في البرِّ والبَحْرِ بِطَاءْ[٣]

تطلُعُ الشمْسُ فيَجْري دُونَهَا ... فوق عُنق الرِّيح أو مَتن العَمَاءْ[٤]

رِحلةُ المشرِق والمغرِب ما ... لبثتْ غيرَ صَبَاح ومَسَاءْ

بُسَلاءُ الإنسِ والجنّ فِدًى ... لِفريقٍ من بَنيكِ البُسَلاءْ

ضاقتِ الأرضُ بهم فاتخذوا ... في السمٰوات قبورَ الشهدَاءْ

فِتيةٌ يُمْسون جِيرانَ السُّهَا ... سُمَراءَ النجم في أوج العَلاءْ[٥]

حُوَّماً فوقَ جبالٍ لم تكن ... للرياح الهُوجِ يوماً بِوِطاءْ

لِسُليمان بِسَاط واحِدٌ ... ولهم أَلَفُ بِساط في الفضاءْ

يركبُون الشُّهْبَ والسُّحْبَ إلى ... رِفعَة الذكر وعَلياء الثناءْ

يا نسُوراً هَبَطوا الوادي على ... سالِف الحُبّ ومَأثور الولاءْ

---

(١) أسباب السماء: مراقيها وأبوابها.

(٢) الأَمَة: الجارية. بلقيس: اسم ملكة سبأ التي عاصرت النبي سليمان عليه السلام.

(٣) بريد: بمعنى الرسول الذي يحمل الرسائلُ والأخبار، وهنا يعني قائد الطائرة. بُرُد: مفردها بريد ويعني هنا المسافة التي يقطعها الرسول خلال رحلته. بِطاء: مفردها بطيء.

(٤) العَمَاء: السحاب الكثيف الممطر.

(٥) السُّها: كوكب.

دارُكم مصرُ، وفيها قومُكم ... مرحباً بالأقربينَ الكُرَماءْ
طِرتمُ فيها فطارَتْ فرَحاً ... بأعزِّ الضيفِ خَيْرِ النزلاءْ[١]
هل شجاكم في ثَرَى أهرامِها ... ما أرقتمْ من دُموع ودِماءْ
أين نَسرٌ قد تلقَّى قبلكم ... عِظةَ الأجيال من أعلى بِناءْ؟[٢]
لو شهدتم عصْرَه أضحى له ... عالمُ الأفلاكِ مَعْقودَ اللواءْ
جَرحَ الأهرامَ في عِزَّتها ... فمشى لِلقبر مَجْروحَ الإباءْ
أخذَتْ تاجاً بتاج ثأرَها ... وجزَتْ من صَلفٍ بالكبرياءْ[٣]
وتمنَّتْ لو حَوَتْ أعظمَه ... بين أبناء الشموس العُظماءْ

❊ ❊ ❊

جلَّ شأن اللَّه هَادي خَلقه ... بهُدى العلم ونورِ العُلماءْ
زفَّ من آياته الكبرى لنا ... طِلْبةً طال بها عَهْدُ الرَّجَاءْ
مركبٌ لو سلف الدّهرُ به ... كان إحْدَى مُعجزاتِ القدَماءْ
نصفه طيرٌ، ونصفٌ بَشرٌ! ... يا لها إحْدى أعاجِيبِ القضاءْ!
رائعٌ، مرتفعاً أو واقعاً ... أنفُسَ الشجعانِ قبلَ الجبناءْ
مُسرَجٌ في كلِّ حين مُلجَمٌ ... كامِلُ العُدّة، مَرْموق الرُّواءْ[٤]
كبسَاط الرِّيحِ في القدرةِ أو ... هُدْهُدِ السيرةِ في صِدْق البَلاءْ
أو كحُوتٍ يرتمي الموجُ به ... سابحٍ بين ظهورٍ وخَفَاءْ
راكبٍ ما شاء من أَطرافه ... لا يُرَى من مركب ذي عُدَوَاءْ[٥]
ملأ الجوَّ فعالاً، وغدا ... عجبَ الغربانِ فيه والحِداءْ
وترى السُّحْبَ به راعِدةً ... من حَديدٍ جمِّعت لا من رَواءْ[٦]

---

(١) الضيف: النزيل على غيره.
(٢) المقصود بالنسّر هو نابليون.
(٣) الصَّلَف: الإعجاب بالنفس والتكبر بما ليس فيه.
(٤) الرُّواء: حسن المنظر.
(٥) مركب ذي عُدَوَاء: أي غير مريح أو مطمئن.
(٦) الرَّواء: الماء العذب.

حمل الفولاذَ ريشاً، وجرى ... في عنانَيْن له: نارٍ وماءْ
وجَناحٍ غيرِ ذِي قادِمةٍ ... كجَناح النحل مَصْقولٍ سَوَاءْ[1]
وذُنَابى، كلُّ ريحٍ مسّها ... مسَّهُ صاعقة من كهْرباءْ
يتراءى كوكباً ذا ذَنَب ... فإذا جدّ فسَهْماً ذا مَضَاءْ
فإذا جاز الثُّريا للثرى ... جرّ كالطاوُوس ذيلَ الخُيَلاءْ
يملأ الآفاقَ صوتاً وصدًى ... كعزيف الجنّ في الأرض العَرَاءْ
أرسلتْه الأرضُ عنها خبراً ... طنَّ في آذانِ سُكان السَّماءْ

❊ ❊ ❊

يا شبابَ الغدِ وٱبنَاء الفِدى ... لكُمُ أكرِمْ وأعزِزْ بالفِداءْ
هل يمدُّ اللَّه لي العيشَ، عسى ... أنْ أراكم في الفريقِ السُّعَداءْ
وأرى تاجَكُمُ فوق السُّها ... وأرى عرشَكُمُ فوق ذُكاءْ[2]
مَنْ رآكم قال: مصر ٱسترجعتْ ... عِزَّها في عهد (خوفو) و(مِناءْ)
أُمَّةٌ للخلد ما تبني، إذا ... ما بنى الناسُ جميعاً للعَفاءْ[3]
تعصمُ الأجسامَ من عادي البِلَا ... وتقي الآثارَ من عادي الفناءْ
إنْ أسأنا لكُمُ أو لم نسئ ... نحن هَلْكى فلكم طولُ البقاءْ
إنما مصرُ إليكمْ وبكم ... وحُقوقُ البرِّ أوْلى بالقضاءْ
عَصْرُكم حرٌّ ومُستقبَلُكم ... في يمين اللَّه خيرِ الأمناءْ
لا تقولوا حطَّنا الدهرُ، فما ... هو إلّا من خَيَالِ الشُّعرَاءْ
هل علمتمْ أُمَّةً في جَهْلها ... ظهرتْ في المجد حسناءَ الرِّداءْ
باطِنُ الأُمّةِ من ظاهِرِها ... إنما السائلُ مِنْ لونِ الإناءْ
فخذُوا العلمَ على أعلامه ... وٱطلبوا الحكمة عنْدَ الحكماءْ
وٱقرؤوا تاريخكمْ وٱحتفِظوا ... بفصيحٍ جاءكمْ من فصحاءْ

(١) القادمة: هي واحدة القوادم، أي الريشات الكبيرة في مقدم الجناح.
(٢) السُّها: كوكب. ذُكاء: من أسماء الشمس.
(٣) العَفَاء: الفناء أو الهلاك.

أنـزلَ الـلَّـهُ عـلـى ألـسُـنِـهـم وَحْيَه في أعْصر الوحي الوِضاءْ[1]
وٱحكموا الدُّنيا بسُلطانٍ فما خُلِقتْ نَضْرتها للضعفاءْ
وٱطلبوا المجدَ على الأرض فإنْ هي ضاقت فٱطلبوهُ في السماءْ

(١) الوِضاء: المشرقة.

شِيكسْبِير

[من البسيط]

أعْلَى الممالك ما كرسيُّه الماءُ
وما دِعامتُه بالحق شمَّاءُ[١]
يا جيرةَ (المنشِ) حلَّاكم أُبُوَّتُكم
ما لم يُطَوِّقْ به الأبْناءَ آباءُ
مُلكٌ يطاول ملك الشمس، عزَّتُه
في الغرب باذخةٌ في الشرق قَعْسَاءُ[٢]
تأوي الحقيقةُ منه والحقوق إلى
رُكنٍ بَنَاهُ من الأخلاق بَنَّاءُ
أعلاه بالنظرِ العالي ونطَّقه
بحائط الرأي أشياخٌ أجِلّاءُ
وحَاطَهُ بالقنا فِتيانُ مملكة
في السلم زَهرُ رُبىً في الروع أرزاءُ
يستصرخون ويُرجى فضلُ نَجْدتِهم
كأنهم عربٌ في الدّهر عَرْباءُ[٣]
ودولةٌ لا يراها الظنُّ من سَعَةٍ
ولا وراءَ مداها فيه علياءُ
عصماءُ لا سببُ الرحمنِ مُطَّرَحٌ
فيها ولا رَحِمُ الإنسانِ قطعاءُ

(١) الدعامة: العماد.
(٢) القعساء: المنيعة الثابتة.
(٣) العرب العَرْباء: أي الصّرحاء أو الخُلّص.

تلك الجزائر كانت تحتَهم رُكُناً
وراءَهُنّ لباغي الصَّيدِ عَنْقاءُ[١]
وكان وُدُّهُمُ الصافي ونُصْرَتُهم
للمسلمين وراعيهم كما شاؤُوا

* * *

دستورُهم عجبُ الدُّنيا وشاعرُهم
يدٌ على خلقهِ للَّهِ بيضاءُ
ما أَنْجبتْ مثلَ (شيكسبير) حاضرَةٌ
ولا نَمتْ من كريم الطير غَنَّاءُ[٢]
نالتْ به وَحْدَه إنكلترا شرفاً
ما لم تنلْ بالنجوم الكُثْر جَوْزاءُ[٣]
لم تُكْشف النفس لولاه ولا بُليت
لها سرائر لا تُحْصَى وأهْوَاءُ[٤]
شِعرٌ من النَّسَق الأعلى يُؤَيِّدُه
من جانب اللَّه إلهامٌ وإيحاءُ
من كل بَيْتٍ كآيِ اللَّه تسكنُه
حَقيقةٌ من خيالِ الشِّعرِ غرَّاءُ[٥]
وكلِّ معنى كعيسى في مَحاسنه
جاءتْ به من بناتِ الشِّعر عَذراءُ
أو قِصةٍ ككتابِ الدّهرِ جامعةٍ
كلاهُما فيه إضحاكٌ وإبكاءُ
مهما تُمَثَّلْ ترَى الدُّنيا ممثلةً
أو تُتْلَ فهي من الإنجيل أجْزاءُ

---

(١) العنقاء: طائر وهمي. (٢) الغنَّاء: الروضة الكثيرة الخضرة.
(٣) الجوزاء: برج من أبراج السماء. (٤) بُليتْ: من البلاء أي الامتحان.
(٥) حقيقة غرَّاء: أي ناصعة.

يـا صـاحـبَ الـعُـصُـر الـخـالـي أَلا خَـبَـرٌ
عـن عـالَـم الـمـوْتِ يـرويـه الأَلِـبَّـاءُ[١]
أمّـا الـحـيـاةُ فـأَمْـرٌ قـد وصَـفـتَ لـنـا
فـهـل لِـمَـا بـعـدُ تـمـثـيـلٌ وإدنـاءُ[٢]
بـمَـنْ أمـاتـك قـلْ لـي: كـيـف جُـمـجـمـةٌ
غـبـراءُ فـي ظُـلـمـات الأرض جَـوْفـاءُ[٣]
كـانـت سـمـاءَ بـيـانٍ غـيـرَ مُـقْـلِـعـة
شُـؤْبُـوبـهـا عَـسَـلٌ صـافٍ وصَـهـبـاءُ[٤]
فـأصـبـحـت كـأصِـيـص غـيـرِ مُـفـتـقـدٍ
جـفَـتُـه ريـحـانـةٌ لـلـشِّـعـر فَـيْـحـاءُ[٥]
وكـيـف بـات لِـسـانٌ لـم يـدعْ غـرضـاً
ولـم تَـفـتْـهُ مـن الـبـاغـيـن عـوْراءُ[٦]
عـفـا فـأمـسَـى ذُنـابَـى عـقـربٍ بَـلِـيـتْ
وسُـمُّـهـا فـي عـروقِ الـظـلـم مـشَّـاءُ
ومـا الـذي صـنـعـتْ أيـدي الـبـلـى بِـيَـدٍ
لـهـا إلـى الـغـيـب بـالأقـلامِ إيـمـاءُ؟
فـي كـلِّ أُنـمـلـةٍ مـنـهـا إذا انـبَـجَـسَـتْ
بـرْقٌ ورَعْـدٌ وأرواحٌ وأنـواءُ[٧]
أمـسـتْ مـن الـدُّود مـثـل الـدُّودِ فـي جَـدَثٍ
قُـفَّـازُهـا فـيـه حَـصـبـاءٌ وَبـوغـاءُ[٨]

---

(١) الألِبَّاء: مفردها لبيب، أي العاقل. (٢) إدناء: من أدنى الشيء، أي قرّبه.
(٣) جوفاء: فارغة.
(٤) مُقلعة: ذاهبة. الشؤبوب: المطر المتدافع. الصهباء: الخمر.
(٥) الأصيص: وعاء تزرع فيه الرياحين. (٦) العوراء: القبيحة.
(٧) إنبجست: سالت بغزارة، أو انفجرت.
(٨) الحصباء: أي الحصى. البَوغاء: دقاق التراب أو الغبار.

وأيْـنَ تـحـت الـثـرى قـلـبٌ جـوَانـبُـه
كـأنـهـنّ لـوادي الـحـق أرْجـاءُ؟
تُـصْـغـي إلـى دَقِّـه أُذْن الـبـيـان كـمـا
إلـى الـنـواقـيـس لـلـرُّهـبـانِ إصـغـاءُ
لـئـن تـمـشَّـى الـبِـلـى تـحـتَ الـتـراب بـه
لا يُـؤكـل الـلـيـث إلّا وهـو أشـلاءُ[1]

❊ ❊ ❊

والـنـاسُ صِـنـفـان مـوتَـى فـي حَـيـاتِـهِـمُ
وآخـرُون بِـبـطـنِ الأرض أحْـيـاءُ
تـأبَـى الـمـواهـبُ فـالأحـيـاءُ بـيـنـهُـمُ
لا يـسـتَـوون ولا الأمـواتُ أكـفـاءُ
يـا واصـفَ الـدّم يـجـرى هٰـهـنـا وهُـنـا
قُـم ٱنـظـرِ الـدّمَ فـهـو الـيـومَ دَأْمَـاءُ[2]
لامُـوكَ فـي جَـعْـلـكَ الإنـسـانَ ذِئـبَ دمٍ
والـيـومَ تـبـدو لـهـم مـن ذاك أشـيـاءُ
وقـيـل: أكـثـرَ ذِكـرَ الـقـتـل، ثـم أتـوا
مـا لـم تَـسـعْـه خَـيـالاتٌ وأنـبـاءُ
كـانـوا الـذئـابَ وكـان الـجـهـلُ داءَ هُـمـو
والـيـومَ عـلـمُـهُـمُ الـراقـي هـو الـدَّاءُ
لـؤمُ الـحـيـاة مَـشَـى فـي الـنـاس قـاطـبـةً
كـمـا مَـشَـى آدمٌ فـيـهـم وحَـوَّاءُ
قـمْ أيِّـدِ الـحـقَّ فـي الـدُّنـيـا أليـس لـه
كـتـيـبـة مـنـكَ تـحـت الأرضِ خَـرْسـاءُ

---

(١) الأشلاء: مفردها شلو، العضو من الجسد وغيره.
(٢) الدأماء: البحر.

وأيــن صــوتٌ تَــمِــيــدُ الــراســيــاتُ لــه
كــمــا تــمــايَــدَ يــومَ الــنــار سَــيــنــاءُ[١]
وأيــن مــاضــيــةٌ فــي الــظــلــم قــاضــيــةٌ
وأيــن نــافــذةٌ فــي الــبَــغْــي نــجــلاءُ
أيــتــركُ الأرض جــانــوهــا ولــيــس بــهــا
صــحــيــفــةٌ مــنــك فــي الــجــانــيــن ســوداءُ
تــأوي إلــيــهــا الأيَــامَــى فــهــي تــعــزيَــةٌ
ويَــســتــريــحُ الــيــتــامَــى فــهْــي تــأسَــاءُ[٢]

(١) كما تمايد يوم النار سيناء: إشارة إلى النار التي ظهرت لموسى عليه السلام وهو يسير بأهله في طور سيناء.
(٢) الأيامى: مفردها أيّم، أي المرأة التي تفقد زوجها أو الرجل الذي يفقد زوجته. التأساء: التسلية أو السلوى.

أَثَرُ الْبَالِ فِي الْبَال

«في وصف ليلة راقصة أقيمت في قصر عابدين»: [من المقتضب]

حَفَّ كأسها الحَبَبُ ... فهْي فِضّة ذهَبُ[١]
أو دوائرٌ دُرَرٌ ... مائج بها لَبَبُ[٢]
أو فمُ الحبيبِ جلَا ... عن جُمانِهِ الشَّنَبُ[٣]
أو يداه باطِنُها ... عاطِلٌ ومختضِبُ
أو شَقيقُ وجنتِهِ ... حينَ لي به لعِبُ[٤]
راحةُ النفوس، وهل ... عند راحةٍ تعَبُ؟
يا نديمُ خِفَّ بها ... لا كبَا بكَ الطَّرَبُ
لا تقلْ عواقبُها ... فالعواقبُ الأدبُ
تنجلِي ولي خُلُقٌ ... ينجلي وينسكبُ
يرقُبُ الرفاقُ له ... كلما سَرَى شرِبُوا
شاعرُ العزيز وما ... بالقليل ذا اللّقبُ[٥]
ليلةٌ لسيِّدِنا ... في الزمان تُرتَقبُ
دونها الرشيدُ وما ... أخلَدتْ له الكُتُبُ
يُهرعُ النزيلُ لها ... والرعيَّةُ النُّخبُ[٦]
فالسّرايُ جَوْهَرَةٌ ... للعُقول تختلِبُ

(١) الحبب: الفقاقيع التي تعلو الماء أو الخمر.
(٢) اللّبب: موضع القلادة من الصدر، أو المَنْحَر.
(٣) جلا: تكشّف. الجمان: اللؤلؤ. الشنب: عذوبة الأسنان وحسنها.
(٤) الشقيق: واحدة شقائق النعمان، وهي أزهار حمراء تكثر في فصل الرّبيع.
(٥) شاعر العزيز: إشارة إلى ارتباطه بالقصر الملكي.
(٦) النُّخب: مفردها نخبة وهي المختار من كل شيء.

أو كَبَاقةٍ زهْرَا لِلعُيون تأتشِبُ[١]
ألجَلالُ قبَّتُه والسَّنا لهُ طُنُبُ[٢]
ثابتٌ وذِرْوتُهُ في الفضاءِ تضطرِبُ
أشرقتْ نوافِذهُ فهي مَنظرٌ عجَبُ
وٱسْتنارَ رفرَفهُ والسُّجوفُ والحُجُبُ[٣]
تعجَب العيونُ له كيف تَسكنُ الشُّهُبُ[٤]
أقبلتْ شموسُ ضحًى ما لهنَّ منتقَبُ[٥]
ألظلامُ رَايتُها وهي جَيْشهُ اللَّجِبُ[٦]
في هَوادِجٍ عَجَلاً بالجيادِ تنسَحِبُ
قامَ دُونها سَبَبٌ وٱستحثَّها سَبَبُ[٧]
فهي تارةً مَهَلٌ وهْي تارةً خَبَبُ[٨]
تَرْتمي بهنّ حِمًى لا يجوزُه رَغَبُ[٩]
بابُه لِدَاخلِهِ جنَّةٌ هي الأرَبُ
قامتِ السُّراة به والمعِيَّة النُّجُبُ[١٠]
وٱنبرَى النساءُ له عُجْمُهُنَّ والعرَبُ
ألعفافُ زِينتُها والجمالُ والحسَبُ

(١) زهرا: أي زهراء. تأتشب: من ٱتتشب الشجر، أي: إلتَفّ.
(٢) السَّنا: الضِّياء والنُّور. الطنب: الحبل يُشَدّ به السرادق وغيره.
(٣) الرفرف: الرقيق من الثياب. السجوف: الستائر.
(٤) تسكن الشُّهب: إشارة إلى المصابيح الثابتة التي تشبه الشُّهب.
(٥) المنتَقب: أي النِّقاب.
(٦) الجيش اللّجب: الجيش الكثير العدد والضجيج.
(٧) السبب: إشارة إلى السوط الذي يستحث به السائق الجياد للسرعة.
(٨) الخبب: نوع من العَدْو.
(٩) المعنى، أنها ترمي بهنّ إلى حمى الأمان والرجاء.
(١٠) السُّراة: مفردها سريّ، وهو السيد الشريف. النجب: مفردها نجيب، وهو الكريم الحسب.

أنجمٌ مَطالِعُها عابدين والرَّحَبُ[١]
سيِّدي لها فلَكٌ وهْي منه تقترِبُ
عند ركن حُجْرته بَدْره لنا كَثَبُ[٢]
يزدهي السَّريرُ به والمطارِفُ القُشُبُ[٣]
حَوْلَ عَرْشِهِ عجمٌ حوْل عرشِه عَرَبُ
رتبةُ الجُدُودِ له تستوي به الرُّتَبُ
شُرِّفتْ به وسَمَا تالِدٌ ومُكتَسَبُ[٤]
أللّيوثُ ماثِلة والظِّباءُ تنسَرِبُ
ألحريرُ ملبَسُها واللُّجَيْن والذّهبُ[٥]
والقصورُ مَسْرحُها لا الرِّمال والعُشُبُ
يستفزُّها نغم لا صدًى ولا لَجَبُ[٦]
يُستعادُ مُرقِصه تارةً ويُقتضبُ
فالقدودُ بانُ رُبًى بَيْدَ أنّها تثِبُ[٧]
يلعبُ العناقُ بها وهو مُشفِقٌ حَدِبُ[٨]
فهْيَ مَرَّةً صُعُدٌ وهْيَ مَرَّةً صَبَبُ[٩]
وهي هٰهنا وهُنا تلتقي وتصْطحِبُ
مِثلما ٱلتقتْ أسَلٌ أو تعانقت قُضُبُ[١٠]
ألرؤوسُ مائلةٌ في الصدور تحتجِبُ

(١) الرّحب: مفردها رحبة، وهي الأرض الواسعة.
(٢) الكَثَب: القرب.
(٣) المطارف: الأردية. القُشُب: الجُدُد.
(٤) التالد: القديم. المكتسب: الجديد أو الطريف.
(٥) اللّجين: الفضة.
(٦) اللّجب: الضجيج.
(٧) البان: نوع من الشجر ليّن العود، يُشَبّه به القَدّ.
(٨) حَدِب: أي حانٍ وعطوف.
(٩) الصُّعُد: مفردها صِعد، وهو المرتفع. الصَّبَب: المنحدر.
(١٠) الأسل: الرمح. القُضُب: مفردها قضيب وهو السيف.

والـــنُّـــحـــور قـــائِـــمَـــة قـــاعـــدٌ بـــهـــا الـــوَصَـــبُ[١]
والـــنّـــهـــودُ هـــامِـــدةٌ والـــخـــدود تـــلـــتـــهـــبُ
والـــخـــصـــورُ واهـــيـــةٌ بـــالـــبـــنـــان تَـــنْـــجَـــذِبُ
ســـالـــتِ الأكـــفُّ بـــهـــا فـــهـــي أغـــصُـــنٌ نُـــهـــبُ[٢]
ألـــخـــوانُ دائِـــرةٌ ألـــمـــلا لـــهـــا قُـــطـــبُ[٣]
لـــلـــوفـــودِ مـــائـــدةٌ مـــنـــه أيـــنـــمـــا ٱنـــقـــلـــبُـــوا
والـــطـــريـــق مُـــتَّـــصـــلٌ نـــحـــوَه ومُـــنـــشـــعِـــبُ
والـــطـــعـــامُ حـــاضـــرُه والـــمـــزيـــد مـــنـــتَـــهَـــبُ
بـــاردٌ ومـــن عَـــجَـــبٍ يُـــشـــتـــهـــى ويُـــطَّـــلـــبُ
ســـائـــغٌ لِـــذِي سَـــغَـــبٍ ســـائـــغٌ ولا سَـــغَـــبُ[٤]
حـــاضـــرٌ لـــدَى طَـــلـــبٍ حـــاضـــرٌ ولا طـــلـــبُ
والـــمُـــدام أكـــؤسُـــهـــا مـــا تـــغـــيـــضُ والـــعُـــلـــبُ[٥]
وهـــي بـــيـــنـــنـــا سَـــلَـــبٌ والـــنُّـــهـــى لـــهـــا سَـــلَـــبُ[٦]
شَـــرُفـــتْ مـــنـــافِـــحُـــهـــا وٱعـــتـــلـــى بـــهـــا الـــعِـــنـــبُ
حـــولـــهـــا الـــحـــوائـــمُ مـــا يـــنـــقـــضـــي لـــهـــا قَـــرَبُ[٧]
يـــغـــتـــبِـــطْـــن فـــي حَـــرَمٍ لا تـــنـــالـــه الـــرِّيـــبُ
مـــا سِـــوى الـــحـــديـــث بـــهِ يُـــبـــتَـــغـــى ويُـــجـــتـــذَبُ
هـــكـــذا الـــكـــرامُ كـــرا مٌ وإنْ هـــمُـــو طَـــرِبُـــوا
لـــيـــلـــةٌ عـــلَـــت وغـــلَـــتْ لـــيـــتَ فـــجـــرَهـــا كـــذِبُ
يـــكـــفُـــلُ الأمـــيـــرُ لـــنـــا أنْ تُـــعِـــيـــدَهـــا الـــحِـــقـــبُ[٨]

(١) الوَصَب: الإرهاق والتعب. (٢) النُّهُب: مفردها نهبة أي المنهوب.
(٣) الخِوان: الطّبق الذي يوضع عليه الطعام. القطب: سيد القوم.
(٤) السغب: الجوع. (٥) العُلب: الأقداح الكبيرة.
(٦) السَّلَب: ما يسلب.
(٧) الحوائم: من حام الرجل، أي عطش، والحوائم أي العِطاش. القَرَب: من أقرب الراعي الإبل، أي سرى بها ليلاً لوِرْدِ الغد.
(٨) الحِقب: مفردها حقبة، وهي الفترة من الزمن.

عـــاش لـــلـــنَّـــدَى مَـــلـــكٌ ... ســـيِّـــدٌ لـــنـــا وأبُ
حـــاتِـــمُ الـــمـــلـــوكِ إذا ... ضـاق بـالـنَّـدى الـنَّـشَـبُ[١]
ألـــســـرورُ أَنْـــعُـــمُـــه ... والـــهـــنـــاءُ مـــا يَـــهـــبُ
والـــنـــدَى ســـجـــيَّـــتُـــه ... والـــحـــنـــان والـــحَـــدَبُ[٢]
يـــا عـــزيـــزُ: دام لـــنـــا ... رَوْضُ عـــزِّك الأشِـــبُ[٣]
هـــذه عـــروسُ نُـــهًـــى ... فـي الـقَـبُـول تَـرتـغِـبُ[٤]
زفَّـــهـــا لـــكـــم وجِـــلاً ... شـاعـرُ الـحِـمَـى الأرِبُ
إحـتـفـى الـحـضـورُ بـهـا ... وٱكـتـفـى بِـهـا الـغَـيَـبُ[٥]
أنـــتـــمُ الـــظـــلالُ لـــنـــا ... والـــمـــنـــازلُ الـــخُـــضُـــبُ
لـــو مـــدَحْـــتـــكـــم زمـــنـــي ... لـــم أقـــمْ بـــمـــا يَـــجـــبُ

(١) النّدى: الكرم أو الجود. النّشب: المال.
(٢) الحَدَب: الحنو والعطف.
(٣) الأَشِب: الملتف والكثيف.
(٤) ترتغب: بمعنى ترغب.
(٥) الغَيَب: مفردها غائب.

مَرْقَص

«نُظمت هذه القصيدة في وصف مرقص أقيم بسراي عابدين سنة ١٩٠٤م»:

[من المتقارب]

مـــالَ وآحـــتـــجـــبْ وأدَّعـــى الـــغـــضـــبْ
لـــيْـــتَ هـــاجـــري يَـــشـــرَحُ الـــسَّـــبـــبْ
عـــتـــبُـــه رضًـــى لـــيـــتـــه عـــتـــبْ
عـــلَّ بـــيـــنـــنـــا واشـــيـــاً كـــذبْ
أو مُـــفـــنِّـــداً يَـــخـــلُـــقُ الـــرِّيَـــبْ[١]
مَـــنْ لِـــمُـــدْنـــفٍ دمـــعـــه سُـــحـــبْ؟[٢]
بـــات مـــتـــعَـــبـــاً هَـــمُّـــهُ الـــلَّـــعِـــبْ
يـــســـتـــوي خَـــلٍ عـــنـــدَه وَصَـــبْ
ذقـــتُ صـــدَّه غـــيـــرَ مـــحـــتـــسِـــبْ
ضـــقـــتُ فـــيـــه بـــالـــرُّسْـــلِ والـــكـــتـــبْ
كـــلـــمـــا مَـــشَـــى أخـــجـــل الـــقُـــضُـــبْ
بَـــيْـــن عَـــيْـــنـــه والـــمـــهـــا نـــســـبْ
مـــاءُ خـــدِّه شـــفَّ عَـــنْ لَـــهَـــبْ
ســـاقِـــيَ الـــطِّـــلَا شُـــرْبُـــهـــا وَجَـــبْ[٣]
هـــاتِـــهـــا مـــشـــت فـــوقـــهـــا الـــحِـــقـــبْ[٤]

(١) المفنّد: المكذّب. الرِّيَب: الظنون والشكوك.
(٢) المُدْنَف: الذي أثقل عليه المرض، والمراد هنا من اثقلت عليه لوعة الحب.
(٣) الطِّلا: الخمرة.
(٤) الحِقب: مفردها حقبة، وهي الفترة من الزمن. والمراد هنا الخمرة التي مرّت عليها الحِقب فأصبحت معتّقة.

بابليَّةٌ تنفُثُ الحبَبْ[١]
إنَّ كَرْمها آدمُ العِنَبْ
هُذِّبت فِي دَنِّها الأدبْ
أَسْقِها فتًى خيرَ مَنْ شرِبْ
كلما طغى راضَها الحسبْ
(عابدينُ) أمْ هالةٌ عجبْ؟[٢]
أُسُّهُ الهدَى والعُلا طُنُبْ[٣]
مُشرف الذّرى مائجُ الرَّحَبْ
قام ربُّه يرفع الحجُبْ
عند عرشه عرش (مِنْ حُتُبْ)
دون عزّه (تُبَّعُ) الغَلَبْ
ألسُّراة من وفده النُّخَبْ
حول سُدّةٍ حَقُّها الرَّغَبْ
طابَ عِندها العُجْمُ والعَرَبْ
وارتضى المَلَا من بني الصُلُبْ
مِن حِسَانِهم سِرْبُهُ انسَرَبْ
بين كَوكب يَسْحَب الذَّنَبْ
عند جُؤذَرٍ فاتن الشَّنَبْ[٤]
عند شادنٍ[٥] حاسِر اللَّبَبْ[٦]
تَذهب النّهى أينما ذهبْ
يَلفِتُ المَلَا كلما وثبْ

(١) الحبب: الفقاقيع التي تعلو الماء أو الخمر.
(٢) الهالة: دارة القمر. (٣) الطنب: الحبل الذي يشد به السُّرادق.
(٤) الشّنب: عذوبة الأسنان وحسنها.
(٥) الشّادن: ولد الظبية. (٦) اللبب: موضع القلادة من الصّدر، أو المَنحَر.

فـــــي غـــــلائـــــلٍ سُـــنـــدُس قُـــشُـــبْ[١]
دونـــــهـــــنَّ لَا يـــثـــبـــتُ الـــيَـــلَـــبْ[٢]
قـــــرّ نـــــهـــــدُه عِـــطـــفـــه ٱضـــطـــربْ
خـــصـــرُه هـــبَـــا صـــدره صَـــبَـــبْ
يُـــركـــضُ الـــنُّـــهـــى مَـــشـــيـــهُ الـــخَـــبَـــبْ[٣]
راتـــعـــاً كـــمـــا شـــاء فـــي الـــكـــتـــبْ
آنـــســـاً إلـــى شِـــبْـــهِـــهِ ٱنـــجـــذبْ
يـــســـتـــخِـــفُّـــه أيـــنـــمـــا ٱنـــقـــلـــبْ
مُـــطـــربٌ مـــن الّـــ ـلَـــحـــنِ مُـــنـــتَـــخَـــبْ
يَـــجْـــمَـــعُ الـــمـــلَا يُـــحـــضـــر الـــغـــيَـــبْ
مـــا حـــدا الـــمَـــهـــا قـــبـــلـــه طـــرِبْ

❊ ❊ ❊

يـــا ابـــن خـــيـــرِ أبْ يـــا أبـــا الـــنُّـــجُـــبْ
أنـــت (حـــاتـــمٌ) لـــلـــقِـــرَى ٱنـــتـــدبْ[٤]
فـــي خِـــوَانـــهِ كُـــلُّ مـــا يـــجـــبْ
لـــم تَـــقـــمْ عـــلـــى مِـــثـــلِـــهِ الـــقُـــبَـــبْ
أنـــهـــلَ الـــبـــرا يـــا ومـــا نـــضـــبْ
أطـــعـــم الـــورى لـــم يـــقـــل جـــدبْ
مـــا بـــهـــمْ صَـــدًى مـــا بـــهـــم سَـــغـــبْ[٥]
قـــم أبـــا (نـــوا س) ٱنـــظـــر الـــنّـــشـــبْ[٦]
مـــا الـــخـــصـــيـــبُ مـــا الْـــ ـبـــحـــر ذو الـــعُـــبُـــبْ
هـــل عـــهـــدتَـــه يُـــمـــطِـــرُ الـــذهـــبْ
ذا هـــو الـــجـــنـــا بُ الـــذي خـــصـــبْ

(١) قشب: مفردها قشيب أي جديد. (٢) اليلب: الدروع من الجلود وغيرها.
(٣) الخبب: نوع من العَدْو. (٤) القِرى: ما يُقدم للضيف.
(٥) السغب: الجوع. (٦) النشب: المال.

ظـــــلَّـــــلَ الـــــورى روضُـــــه الأشِـــــبْ[١]
خـــيـــرُ مَـــنْ دعـــا خـــيـــرُ مَـــنْ أدَبْ[٢]

❊ ❊ ❊

(ربّ مـــصـــرَ) عـــشْ وابْـــلُـــغِ الأرَبْ
لـــم تـــزل لـــيـــا لـــيـــك تُـــرتَـــقَـــبْ
مـــثـــلَ صـــفـــوِهـــا الـــدّهـــرُ مـــا وَهَـــبْ
أحـــيـــهـــا لـــنـــا عِـــدّةَ الـــشّـــهـــبْ
هـــاك مِـــدْحَـــةُ الـــشـــاعـــر الأرِبْ[٣]
زفَّـــهـــا إلـــى خـــيـــرِ مَـــنْ خَـــطَـــبْ
فـــارِســـيَّـــةٌ بـــزّتِ الـــعَـــرَبْ
لـــم يـــجـــيءْ بـــهـــا شـــاعـــرٌ ذهـــبْ
إنْ تُـــراعِـــهـــا تـــسْـــمَـــعِ الـــعَـــجَـــبْ[٤]
بَـــيْـــدَ أنّـــهـــا بـــعـــضُ مـــا وجَـــبْ

(١) الأشِب: الملتف والكثيف.
(٢) أَدَب: أقام المأدبة.
(٣) الأرِب: الماهر والحَذِق.
(٤) إنْ تراعها: إنْ تصغِ إليها وتهتم بأمرها.

تَحْلِيَةُ كِتَاب

«قيلت بمناسبة تأليف كتاب فتح مصر الحديث لحافظ بك عوض»:

(صفة الكتاب)

[من الرّمل]

أنا مَنْ بدَّل بالكُتْب الصِّحابَا
لم أجِد لي وافياً إلَّا الكِتابَا
صاحبٌ إن عِبْتَه أو لَمْ تَعِبْ
ليس بالواجد للصاحبِ عابَا
كلما أخلقْتُهُ جَدَّدَني
وكساني من حُلى الفضل ثيابَا
صُحبة لم أشكُ منها رِيْبَةً
ووِدادٌ لم يُكلّفني عِتابَا
رُبَّ ليلٍ لم نقصِّر فيه عن
سَمَر طال على الصَّمت وطابَا
كان من همِّ نهاري راحتي
وندامَايَ ونَقْلي والشَّرابَا[1]
إنْ يَجِدْني يتحدّث أو يجِدْ
مَلَلاً يَطْوِي الأحاديثَ اقتضابَا
تجد الكُتْب على النقدِ كما
تجد الإخوانَ صِدْقاً وكِذابَا
فتَخَيَّرْها كما تختاره
وادّخِر في الصَّحب والكتب اللُّبابَا[2]

(١) النَّقْل: ما يقدم على الشراب من فاكهة وفستق ولوز إلخ...
(٢) اللّباب: المختار والخالص من كل شيء.

صـالـحُ الإخـوانِ يَـبـغـيـكَ الـتُّـقَـى
ورَشـيـدُ الـكـتـب يَـبـغـيـك الـصَّـوابَـا

❊ ❊ ❊

(صفة التاريخ)

غَـالِ بـالـتـاريـخ واجـعَـلْ صُـحْـفَـهُ
مِـنْ كـتـابِ الـلَّـه فـي الإجـلالِ قـابَـا
قـلِّـب الإنـجـيـلَ وانـظـرْ فـي الـهُـدَى
تَـلْـقَ لِـلـتـاريـخ وَزْنـاً وحِـسـابَـا
رُبَّ مَـنْ سـافـر فـي أسـفـارِه
بـلـيـالـي الـدّهـرِ والأيَّـامِ آبَـا
واطـلـب الـخُـلْـدَ ورُمْـهُ مَـنـزلاً
تـجـد الـخُـلـدَ مِـنَ الـتـاريـخ بـابَـا
عـاش خـلْـقٌ ومَـضَـوْا مـا نَـقَـضـوا
رُقْـعَـة الأرضِ ولا زادوا الـتـرابَـا
أخَـذَ الـتـاريـخُ مِـمَّـا تَـركُـوا
عـمـلاً أحـسَـنَ أو قـوْلاً أصَـابَـا
ومِـن الإحـسـانِ أو مـن ضِـدِّهِ
نـجـح الـراغـب فـي الـذكـر وخـابَـا
مَـثَـلُ الـقـوْم نَـسُـوا تـاريـخَـهُـم
كـلـقـيـطٍ عَـيَّ فـي الـنـاس انـتـسـابَـا[1]
أو كـمـغـلـوبٍ عـلـى ذاكِـرةٍ
يَـشـتـكِـي مـن صِـلـةِ الـمـاضـي انـقـضـابَـا[2]

❊ ❊ ❊

(١) اللقيط: من هو غير معروف النسب.
(٢) إنقضاباً: إنقطاعاً.

(صفة الجبرتي)

يـا أبـا (الـحُـقّـاظِ) قـد بـلَّـغـتَـنـا
طِـلْـبـةً بَـلَّـغـك الـلَّـهُ الـرِّغـابَـا
لـكَ فـي الـفـتـح وفـي أحْـداثِـهِ
فَـتـحَ الـلَّـهُ حَـدِيـثـاً وخِـطـابَـا
مَـنْ يُـطـالِـعْـه ويَـسـتـأنِـس بـه
يَـجِـدِ الـجِـدّ ولا يَـعْـدَمْ دِعـابَـا
صُـحُـفٌ أَلَّـفـتَـهـا فـي شـدّةٍ
يـتَـلاشَـى دونـهـا الـفـكـرُ انـتـهـابَـا
لُـغـةُ (الـكـامـل) فـي اسـتـرسـالـه
و(ابـنِ خـلـدون) إذا صـحَّ وصـابَـا
إنّ لـلـفُـصْـحَـى زِمـامـاً ويَـداً
تَـجْـنِـب الـسـهـلَ وتـقـتـادُ الـصِّـعـابَـا[1]
لُـغـةُ الـذِّكـر لِـسـانُ الـمُـجْـتَـبَـى
كـيـف تَـعْـيـا بـالـمُـنـادِيـن جَـوابَـا
كـلُّ عَـصْـرٍ دارُهـا إنْ صـادفـت
مـنـزلاً رحـبـاً وأهـلاً وجَـنَـابَـا[2]
إئـتِ بـالـعـمـرانِ روضـاً يـانـعـاً
وادْعُـهـا تَـجْـرِ يَـنـابـيـعَ عِـذابَـا
لا تَـجِـئـهـا بـالـمـتـاع الـمُـقْـتَـنـى
سَـرَقـاً مـن كـل قـومٍ ونِـهَـابَـا
سَـلْ بـهـا أَنْـدَلُـسـاً هـل قَـصَّـرت
دون مِـضـمـارِ الـعُـلـى حـيـن أهـابَـا

(١) تجنب: تنحيه جانباً.
(٢) الجَنَاب: الفناء.

غُـرِسَـتْ فـي كـلّ تُـربٍ أعـجـم
فَـزَكَـتْ أصـلاً كـمـا طَـابَـتْ نِـصَـابَـا
ومَـشَـتْ مِـشْـيَـتَـهـا لـم تَـرتـكِـبْ
غـيـرَ رِجْـلَـيْـهـا ولـم تـحْـجُـلْ غُـرابَـا[١]

❊ ❊ ❊

إنّ عَـصْـراً قـمـتَ تـجـلـوه لـنـا
لـبِـسَ الأيـامَ دَجْـنـا وضَـبـابَـا[٢]
ألـمـمـالـيـك تَـمـشَّـى ظـلـمُـهُـم
ظُـلـمـات كـدُجـى الـلّـيـل حِـجـابَـا
كـلُّـهـم كـافـورُ أو عـبـد الـخَـنَـا
غـيـر أنّ الـمـتـنـبِّـي عـنـه خـابَـا[٣]
ولـكـلٍّ شـيـعـةٌ مـن جـنـسِـه
إنّ لـلـشَّـرّ إلـى الـشَّـر انـجـذابَـا
ظـلـمـاتٍ لا تـرى فـي جُـنْـحِـهـا
غـيـرَ هـذا الأزهـرِ الـسـمـح شِـهـابَـا[٤]
زِيـدتِ الأخـلاقُ فـيـه حـائـطـاً
فـاْحـتـمـى فـيـهـا رِواقـاً وقِـبـابَـا
وتـرى الأعْـزَالَ مـن أشـيـاخـه
صَـيَّـرُوه بـسـلاح الـحـقّ غـابَـا[٥]
قَـسَـمـاً لـولاه لـم يَـبْـقَ بـهـا
رَجـلٌ يـقـرأُ أو يَـدْرِي الـكـتـابَـا

(١) لم تحجل غراباً: لم تقلّد كما قلّد الغرابُ الطاووس.
(٢) الدَّجْن: الغيم المُطْبق المُظْلم.
(٣) كافور: هو كافور الإخشيدي حاكم مصر وممدوح المتنبي. عبد الخنا: أي كافور.
(٤) الأزهر: هو مؤسسة أو معهد الأزهر.
(٥) الأعزال: هم الذين لا سلاح لديهم.

حَـفِـظَ الـديـنَ مَـلِـيًّـا ومـضـى
يـنْـقِـذُ الـدُّنـيـا فـلـم يـمـلـكْ ذهـابَـا[١]
أُوذيـتْ هـيـبـتُـه مِـن عَـجْـزِه
وقـصـارى عـاجـزٍ أَنْ لا يُـهـابَـا
لـم تـغـادر قـلـمـاً فـي راحـة
دولـةٌ مـا عَـرفـتْ إلّا الـحِـرابَـا
أقـعـدَ الـلَّـه (الـجـبـرتـيَّ) لـهـا
قَـلَـمـاً عـن غـائـب الأقـلام نـابَـا[٢]
خَـبَـأَ (الـشّـيـخُ) لـهـا فـي رُدْنِـهِ
مِـرْقـمـاً أدهـى مـن الـصِّـلِّ انـسـيـابَـا[٣]
مـلـكٌ لـم يـغْـضِ عـن سـيِّـئـةٍ
يـا لـه مـن مـلـكٍ يـهـوى الـسِّـبـابَـا[٤]
لا يـراه الـظّـلـمُ فـي كـاهِـلـه
وهـو يـكـوي كـاهـلَ الـظّـلـم عِـقـابَـا
صُـحـفُ (الـشَّـيـخ) ويـومـيَّـاتـه
كـزمـانِ الـشّـيـخِ سُـقْـمـاً واضـطـرابَـا
مـن حـواشٍ كـجـلـيـدٍ لـم يـذُبْ
وفـصـولٍ تـشْـبِـه الـتِّـبـرَ الـمُـذَابَـا
و (الـجـبـرتـيُّ) عـلـى فِـطـنـتِـه
مـرّةً يـغـبـى وحـيـنـاً يـتَـغـابَـى[٥]

(١) لم يملك ذهاباً: أي لم يستطع فعل شيء.
(٢) الجَبَرتي: هو عبد الرحمن الجَبَرتي المؤرخ المعروف الذي ارتبط اسمه بالأزهر، (من مواليد القاهرة: ١٧٥٤م ـ ١٨٢٢م).
(٣) الشيخ: يعني به الجَبَرتي. الردن: أصل الكم، وكانت تستعمله العرب كحافظة للنقود. المرقم: القلم. الصِّلّ: الثعبان.
(٤) السِّباب: السَّب.
(٥) يتغابى: يتغافل ويتجاهل.

مُـنـصِـفٌ مـا لـم يَـرُضْ عـاطـفـةً
أو يـعـالـجْ لـهـوى الـنـفـس غِـلابَـا[١]
وإذا الـحـيُّ تَـوَلـى بـالـهـوى
سِـيـرةَ الـحـيِّ بَـغَـى فـيـهـا وحـابَـى

❊ ❊ ❊

(صفة واقعة الأهرام)

وَقْـعَـةُ الأهـرام جـلّـت مـوقِـعـاً
وتـعـالـت فـي الـمـغـازي أَنْ تُـرابَـا[٢]
عِـظَـة الـمـاضـي ومُـلْـقَـى درسـه
لـعـقـولٍ تـجـعـلُ الـمـاضـي مَـثَـابَـا[٣]
مـن بـنـاتِ الـدّهـر إلّا أَنّـهـا
تَـنـشـر الـدّهـر وتـطـويـه كَـعَـابَـا[٤]
ومـن الأيـام مـا يَـبْـقَـى وإنْ
أَمْـعَـنَ الأبـطـال فـي الـدّهـر احـتـجـابَـا
هـي مـن أيّ سـبـيـلٍ جـئـتـهـا
غـايـةٌ فـي الـمـجـدِ لا تـدنـو طِـلابَـا
أنـظـرِ الـشَّـرقَ تـجـدْهـا صـرّفـتْ
دولـةَ الـشَّـرقِ اسْـتـواءً وانْـقـلابَـا
جـلـبـتْ خـيـراً وشـرًّا وسَـقَـت
أُمَـمَـاً فـي مـهـدِهـم شـهـداً وصـابَـا[٥]

---

(١) الغِلاب: أي المغالبة والسيطرة.
(٢) المغازي: وقائع المعارك والحروب. أن تُراب: أي يُشك في أمرها، وقيمتها لعظيم أثرها.
(٣) مثاباً: أي مرجعاً.
(٤) بنات الدهر: شدائده. الكَعَاب: الشّابة لم تكبر بعد.
(٥) الصّاب: المرّ.

في (نصيبينَ) لبسْنَا حُسنَها
وعلى التَلِّ لبسناها مَعَابَا[١]
إنّ سِرباً زَحَفَ النَّسْرُ به
قَطَعَ الأرض بِطاحاً وهِضابَا[٢]
إنْ ترامتْ بلداً عِقبانه
خطفت تاجاً أو اصطادت عُقابَا[٣]
شهِدَ (الجيزيّ) منهم عُصْبةً
لبسوا الغارَ على الغارِ اعْتصابَا[٤]
كذئابِ القفرِ من طول الوغى
واختلاف النَقْع لوناً وإهابَا[٥]
قادَهم للفتح في الأرض فتًى
لو تَأَنّى حظَّه قادَ السحابَا
غَرَّتِ الناسَ به نكبتُه
جَمَعَ الجرحُ على الليثِ الذّبابَا
بَرَزتْ بالمنظَرِ الضاحي لهم
فيلقٌ كالزُّهر حُسناً والتهابَا[٦]
حُلِّيَ الفُرسانُ فيها جوهراً
وجِلالُ الخيلِ دُرًّا وذَهابَا[٧]

(١) (نصيبين): اسم الموضع حيث جرت أشهر المعارك بين إبراهيم بن محمد علي باشا والأتراك. (التّل): اسم الموضع حيث الواقعة المشهورة التي جلبت على مصر الاحتلال الإنكليزي.
(٢) (النّسر): المراد به نابليون.
(٣) العقبان: مفردها عقاب وهو طائر من الجوارح.
(٤) الجيزيّ: أي هرم الجيزة. اعتصب: تتوج.
(٥) النّقع: الغبار. الإهاب: الجلد.
(٦) الضاحي: البارز أو الواضح المعالم. الزُّهر: أي النجوم.
(٧) الجلال: مفردها جِل، وهو ما يوضع على ظهر الدابة لتصان به.

فـي سـلاح كـحُـلِـيّ الـغِـيـد مـا
لـمَـسـتْ طَـعْـنـاً ولا مَـسَّـتْ ضِـرابَـا
طـرِحَـتْ مـصـرُ فـكـانـت (مُـومِـيَـا)
بـيـن لِـصّـيْـن أراداهـا جُـذابَـا
نـالـهـا الأعـرضُ ظُـفْـراً مـنـهـمـا
مـن ذئـابِ الـحـربِ والأطـولُ نـابَـا
وبـنـو الـوادي رِجـالاتُ الـحِـمَـى
وقـفـوا مـن سـاقـةِ الـجـيـش ذُنـابَـا
مـوقـفَ الـعـاجـز مـن حـلـفِ الـوغـى
يـحْـرُسُ الأحـمـالَ أو يَـسـقـي مُـصـابَـا

الرَّبيعُ وَوَادِي النّيل

«إلى (هول كين) الكاتب الروائي الشهير»: [من الكامل]

آذارُ أقبلَ قُمْ بنا يا صاحِ
حيّ الربيعَ حديقةَ الأرواحِ
وٱجمعْ نَدَامى الظَّرْفِ تحت لوائه
وٱنشُرْ بساحتِهِ بِساطَ الرَّاحِ
صفوٌ أُتيحَ فخذْ لنفسِكَ قِسطَها
فالصفُو ليس على المدَى بمُتاحِ
وٱجلسْ بضاحكة الرياض مصفِّقاً
لتجاوُبِ الأوتارِ والأقداحِ
وٱستأنِسَنَّ من السُّقَاةِ برُفقةٍ
غُرٍّ كأمثال النجوم صِباحِ
رقَّتْ كندمان الملوك خلالُهم
وتجمَّلوا بمروءةٍ وسَماحِ
وٱجعلْ صَبوحَك في البكور سليلةً
للمُنْجِبَيْنِ: الكرْمِ والتّفاحِ[1]
مهما فضضتَ دِنانَها فٱستضحكَتْ
مُلِيءَ المكان سَنًى وطيب نُقاحِ
تَطْغى فإن ذكرتْ كريمَ أصولها
خلعتْ على النَّشوان حليةَ صاحِي
(فرعونُ) خبَّأَها ليوم فُتوحِه
وأَعدّ منها قرْبةً (لفتاحِ)[2]

(١) الصَّبوح: شراب الصباح. (٢) (فتاح): أحد آلهة المصريين القدماء.

مـا بـيـن شـادٍ، فـي الـمـجـالـس أَيـكـه
ومـحـجَّـبـات الأيـك فـي الأدواحِ[١]
غـرِدٍ عـلـى أوتـارِه يُـوحـي إلـى
غـرِدٍ عـلـى أغـصـانـه صـدّاحِ
بـيـضِ الـقـلانِـس فـي سـواد جـلابـب
حُـلِّـيـنَ بـالأطـواق والأوضـاحِ
رَتَّـلْـنَ فـي أوراقـهـنّ مـلاحِـنـاً
كـالـراهـبـاتِ صـبـحـيـةَ الإفـصـاحِ
يـخـطُـرنَ بـيـن أرائـكٍ ومـنـابـرٍ
فـي هـيـكـلٍ مـن سُـنـدس فـيَّـاحِ

❊ ❊ ❊

مَـلـكُ الـنـبـات، فـكـلُّ أرض دارُه
تـلـقـاه بـالأعـراس والأفـراحِ
مـنـشـورةٌ أعـلامـهُ مـن أحـمـر
قـانٍ وأَبـيـضَ فـي الـرّبـى لـمَّـاحِ
لـبِـست لـمـقـدمـه الـخـمـائـلُ وشْـيَـهـا
ومَـرَحـنَ فـي كـنَـفٍ لـه وجـنـاحِ
يـغـشـى الـمـنـازلَ مـن لـواحـظِ نـرجـسٍ
آنـاً وآنـاً مـن ثـغـور أقـاحِ[٢]
ورؤوس (مـنـثـور) خـفَـضْـن لـعـزِّه
تـيـجـانَـهـنَّ عـواطـرَ الأرواحِ
ألـوردُ فـي سُـرر الـغـصـونِ مُـفـتَّـحٌ
مـتـقـابـلٌ يُـثـنـي عـلـى الـفَـتَّـاحِ

(١) الأيك: الشجر الكثيف الملتف.
(٢) الأقاحي: واحدتها أقحوانة، وهي نوع من الزهر.

ضـاحِـي الـمـواكـب فـي الـريـاض مـمـيَّـزٌ
دون الـــزهـــور بـــشـــوكـــةٍ وســـلاحِ
مـرَّ الـنـسـيـمُ بـصـفـحـتـيـه مـقـبِّـلاً
مـــرَّ الـــشِّـــفَـــاه عـــلـــى خـــدود مـــلاحِ
هـتـكَ الـردى مـن حـسـنِـه وبـهـائـه
بـالـلّـيـل مـا نـسـجـت يـدُ الإصـبـاحِ
يـنـبـيـكَ مـصـرعُـه وكـلُّ زائـلٌ
أنّ الـــحـــيـــاة كـــغُـــدوةٍ ورواحِ
ويـقـائِـقُ الـنِّـسـريـن فـي أغـصـانـهـا
كـالـدُرِّ رُكِّـبَ فـي صـدور رمـاحِ[١]
والـيـاسَـمـيـنَ لـطـيـفُـه ونـقـيُّـه
كـسـريـرة الـمـتـنـزِّه الـمِـسـمـاحِ
مـتـأَلِـقٌ خَـلَـل الـغـصـون كـأنـه
فـي بُـلْـجـةِ الأفـنـانِ ضـوءُ صـبـاحِ[٢]
والـــجُـــلَّـــنـــارُ دمٌ عـــلـــى أَوراقِـــه
قـانـي الـحـروف كـخـاتـم الـسّـفّـاحِ
وكـأنّ مـخـزونَ الـبـنـفـسـجِ ثـاكـلٌ
يـلـقـى الـقـضـاءَ بـخـشـيـةٍ وصـلاحِ
وعـلـى الـخـواطـر رقـةٌ وكـآبـةٌ
كـخـواطـر الـشـعـراء فـي الأتـراحِ[٣]
والـسَّـرْو فـي الـحِـبَـرِ الـسـوابـغ كـاشـفٌ
عـن سـاقِـه كـمـلـيـحـةٍ مِـفْـراحِ[٤]

(١) يقائق: مفردها يقق، وهو الشديد البياض. النّسرين: نوع من الزهور العطرية القويّة الرائحة.
(٢) البُلجة: آخر الليل عند انكشاف الفجر.
(٣) (الخواطر): من أنواع النباتات التي يجعل ورقها في الخضاب.
(٤) الحِبَر: مفردها حبرة، وهي نوع من برود اليمن.

والـنـخـلُ مـمـشـوقُ الـقـدودِ مُـعـصَّـب
مـتـزيـنٌ بـمـنـاطـقٍ ووِشـاحِ
كـبـنـاتِ فـرعـونٍ شـهـدنَ مـواكـبـاً
تـحـت (الـمـراوح) فـي نـهـارٍ ضـاحِ
وتـرى الـفـضـاءَ كـحـائـطٍ مـن مَـرْمَـرٍ
نُـضِـدَتْ عـلـيـه بـدائـعُ الألـواحِ
ألـغَـيْـمُ فـيـه كـالـنَّـعـام: بـديـنـةٌ
بـركـتْ، وأخـرى حـلَّـقـت بـجـنـاحِ
والـشـمـسُ أبـهـى مـن عـروسٍ بُـرقـعـت
يـوم الـزِّفـاف بـعـسـجَـد وضَّـاحِ
والـمـاءُ بـالـوادي يُـخـالُ مَـسـاربـاً
مـن زئـبـقٍ أو مُـلـقـيَـاتِ صِـفـاحِ[1]
بـعـثـتْ لـه شـمـسُ الـنـهـار أشـعـة
كـانـت حُـلـى (الـنـيـلـوفـر) الـسَّـبَّـاحِ
يـزهـو عـلـى ورقِ الـغـصـون نـثـيـرُهـا
زَهْـوَ الـجـواهـر فـي بـطـون الـرّاحِ
وجـرت سـواقٍ كـالـنـوادب بـالـقـرى
رُعـن الـشـجـيَّ بـأنَّـةٍ ونـواحِ
ألـشـاكـيـاتُ ومـا عـرفـنَ صـبـابـةً
ألـبـاكـيـاتُ بـمـدمَـعٍ سـحَّـاحِ
مـن كـلِّ بـاديـةِ الـضـلـوع غـلـيـلـةٍ
والـمـاءُ فـي أحـشـائـهـا مِـلـواحِ[2]
تـبـكـي إذا ونـيـت وتـضـحـك إنْ هـفـتْ
كـالـعِـيـس بـيـن تـنـشُّـطٍ ورزَاحِ[3]

(١) صفاح: مفردها صفح، وهو عرض السيف.
(٢) الملواح: السريع العطش. (٣) رزحت: ألقت نفسها عطشاً وهزالاً.

هـي فـي الـسـلاسـل والـغـلـول وجـارُهـا
أعـــمـــى يـــنـــوء بـــنِـــيـــرِه الـــفـــدّاحِ

❊ ❊ ❊

إنِّـــي لأذكـــر بـــالـــرّبـــيـــع وحـــســـنـــهِ
عـــهـــدَ الـــشـــبـــاب وطِـــرفـــه الـــمِـــمـــراحِ[١]
هـــــل كـــــان إلَّا زهـــــرةً كـــــزهـــــورِه
عـــجـــلَ الـــفـــنـــاءُ لـــهـــا بـــغـــيـــر جُـــنـــاحِ

❊ ❊ ❊

(هـول كـيـن) مـصـرُ روايـة لا تـنـتـهـي
مـــنـــهـــا يـــدُ الـــكُـــتَّـــاب والـــشُّـــراحِ
فـيـهـا مـن الـبُـرْديِّ والـمـزمـور والـ
ـتـوراةِ والـفـرقـان والإصـحـاحِ[٢]
(ومِـنَـا) (وقـمـبـيـزٍ) إلـى (إسـكـنـدرٍ)
فـالـقـيـصـريـن فـذي الـجـلال (صـلاحِ)
تـلـك الـخـلائـقُ والـدهـورُ خـزانـةٌ
فـأبـعـث خـيـالـك يـأتِ بـالـمـفـتـاحِ
أُفـقُ الـبـلاد وأَنـت بـيـن رُبـوعـهـا
بـالـنـجـم مـزدانٌ وبـالـمـصـبـاحِ

(١) الطِّرْف: الكريم الطَّرفَيْن أي الأب والأم من الناس أو غير الناس كالخيل ونحوها.
(٢) المزمور: واحد المزامير وهي الأناشيد المنسوبة إلى داود عليه السلام.

مَسْجِدُ أَيا صُوفْيَا

[من السّريع]

كنيسةٌ صارت إلى مسجدِ ... هديَّةُ السيِّد للسيِّدِ
كانت لعيسى حرماً فانْتهتْ ... بنُصرة الرُّوح إلى أحمدِ
شيَّدَها الروم وأَقيالُهم ... على مثالِ الهرَم المُخْلدِ[١]
تنبئُ عن عزٍّ وعن صَولةٍ ... وعن هوًى للدين لم يخمُدِ
مَجامِرُ الياقوتِ في صَحْنها ... تملؤهُ من نَدِّها الموقدِ[٢]
ومثل ما قد أودِعتْ من حُلًى ... لم تَتَّخذْ داراً ولم تحشدِ
كانت بها العذراءُ من فضَّةٍ ... وكان روحُ اللَّه من عسجدِ
عيسى من الأم لدى هالةٍ ... والأمُّ من عِيسى لدَى فرْقدِ
جلَّاهُما فيها وحلَّاهما ... مصوِّرُ الروم القديرُ اليدِ
وأودعَ الجدرانَ من نقشه ... بدائع من فنِّه المفرَدِ
فمن ملاكٍ في الدُّجى رائحٍ ... عند ملاكٍ في الضحى مغتدِي
ومن نباتٍ عاش كالبَبَّغا ... وهو على الحائط غضٌّ نَدِي
فقلْ لمَنْ شادَ فهَدّ القُوَى ... قوَى الأجيرِ المتْعَب المجهَدِ
كأنه فرعون لمّا بنى ... لربه بيتاً فلم يَقْصِدِ[٣]
أَيُعبدُ اللَّهُ بسوْمِ الورَى ... ما لا يُسام العَيْرُ في المِقْوَدِ[٤]
كنيسةٌ كالفَدَن المَعتلِي ... ومسجِدٌ كالقصر من أَصْيَدِ[٥]
واللَّهُ عن هذا وذا في غنى ... لو يعقلُ الإنسان أو يهتدِي

(١) الأقيال: الملوك أو أشراف القوم.
(٢) مجامر: مفردها مجمرة، وهي اسم لِمَا يوضع فيه الجمر. النَّدّ: عود يُتَبَخَّر به.
(٣) لم يقصد: لم يعدل.
(٤) العَيْر: الحمار الوحشي. المِقْود: ما يقاد به كالحبل وغيره.
(٥) الفَدَن: البناء أو القَصْر المشيَّد.

قد جاءها الفاتحُ في عُصْبةٍ ... من الأسُود الرُكَّع السُجَّدِ
رمى بهم بنيانَها مثلما ... يصطدم الجلمَد بالجلْمَدِ[1]
فكبَّروا فيها وصلّى العدى ... وٱختلط المشهد بالمشهدِ
وما توانى الرومُ يَفْدُونَها ... والسيف في المَفْدِيِّ والمُفْتدِي
فخلتُها من قيصرٍ سعدَه ... وأُيِّدتْ بالقيصر الأسعدِ
بفاتحٍ غازٍ عفيفِ القَنا ... لا يحملُ الحقدَ ولا يعتدِي
أجار مَنْ أَلقى مقاليدَه ... منهم وأَصفى الأمنَ للمرتدِي
وناب عما كان من زُخرفٍ ... جلالةُ المعبود في المعبَدِ
فيا لثأرٍ بيننا بعده ... أقام لم يقرُبْ ولم يبعُدِ
باقٍ كثأر (القدس) من قبله ... لا ننتهي منه ولا يبتدِي
فلا يغرّنْكَ سكونُ الملَا ... فالشرُّ حول الصارم المُغْمَدِ
لن يتركَ الرومُ عباداتِهم ... أو ينزلَ التّركُ عن السُّؤددِ
هذا لهم بيتٌ على بيتهم ... ما أشبه المسجدَ بالمسجدِ
فإنْ يعادوا في مفاتيحِه ... فيا لليوم للورى أسودِ
يَشيب فيه الطفلُ في مهدِه ... ويُزْعَجُ المَيْتُ من المرقدِ
فكنْ لنا اللَّهمَّ في أمسنا ... وكنْ لنا اليوم وكنْ في غدِ
لولا ضلالٌ سابقٌ لم يقمْ ... من أجلكَ الخلقُ ولم يَقْعدِ
فكلُّ شر بينهم أو أذى ... أنت بَراءٌ منه طهر اليدِ

(١) الجلمد: الصخر.

غَابُ بُولُونْيَا[١]

[من الكامل]

يـا غـابَ (بـولـونٍ) ولِـي ذِمَـمٌ عـلـيـك ولـي عـهـودْ
زمـنٌ تـقـضَّـى لـلـهـوَى ولـنـا بـظـلـك، هـل يـعـودْ؟[٢]
حـلـمٌ أريـد رجـوعَـه ورجـوع أحـلامـي بـعـيـدْ
وهَـبِ الـزمـانَ أعـادَهـا هـل لـلـشـبـيـبـةِ مَـنْ يُـعـيـدْ؟
يـا غـابَ (بـولـونٍ) وبـي وجْـدٌ مـع الـذّكـرى يـزيـدْ
خـفَـقَـتْ لـرؤيـتـك الـضـلـو عُ وزُلْـزلَ الـقـلـبُ الـعـمـيـدْ[٣]
وأراكَ أقـسـى مـا عَـهِـدْ تُ فـمـا تـمـيـلُ ولا تـمـيـدْ
كـم يـا جـمـادُ قـسـاوةً كـم هـكـذا أبـداً جُـحـودْ؟[٤]
هـلَّا ذكـرتَ زمـانَ كـنَّـا والـزمـانُ كـمـا نـريـدْ؟
نـطـوي إلـيـك دُجَـى الـلّـيـا لـي والـدُّجَـى عـنّـا يـذودْ
فـنـقـولُ عـنـدكَ مـا نـقـو لُ، ولـيـس غـيـرُك مَـنْ يُـعـيـدْ
نَـطـفِـي هـوًى وصـبـابـةً وحـديـثُـهـا وتَـرٌ وعـودْ
نـسـري ونـسـرحُ فـي فـضـا ئـكَ والـريـاحُ بـه هُـجـودْ[٥]
والـطـيـرُ أقـعـدَهـا الـكـرى والـنـاسُ نـامـت والـوجـودْ
فـنـبـيـتُ فـي الإيـنـاس يـغـ ـبـطـنـا بـه الـنـجـمُ الـوحـيـدْ
فـي كـل رُكْـنٍ وقـفـةٌ وبـكـلِّ زاويـةٍ قُـعـودْ
نَـسـقـي ونُـسـقـى والـهـوى مـا بـيـن أعـيـنـنـا ولِـيـدْ

(١) غاب بولونيا: متنزّه معروف في باريس.
(٢) تقضّى: مضى وانقضى.
(٣) القلب العميد: أي المُتَيَّم من الشوق.
(٤) الجحود: النكران.
(٥) الهجود: النوم.

فمِن القلوب تمائمٌ ومن الجُنوبِ له مُهودْ[1]
والغصنُ يسجُدُ في الفضا ءِ وحبَّذا منه السّجودْ
والنجمُ يلحظنا بعيْـ ـنٍ ما تحولُ ولا تحيدْ
حتى إذا دَعت النَّوى فتبدَّد الشملُ النضيدْ
بِتنا ومما بيننا بحر، ودون البحر بيدْ
لِيلِي بمصرَ وليلُها بالغرب، وهو بها سعيدْ

(١) التمائم: مفردها تميمة، وهي ما يوضع على الإنسان من خرزة وغيرها للوقاية من العين.

الْمَرْأَةُ الْعُثْمَانِيَّةُ

[من الرّجز]

يا مَلِكاً تعبَّدَا ... مصلِّياً موحِّدَا
مباركاً في يومه ... والأمسِ ميموناً غدَا
مُسخَّراً لأمّةٍ ... من حقها أَنْ تسْعَدَا
قد جعلَتْه تاجَها ... وعزَّها والسؤددَا
وأعرضَتْ حيث مشى ... وأطرقَتْ حيث بدَا
تجلّه في حسنه ... كما تُجِلُّ الفرقدَا[1]
أنت شُعاعٌ من علٍ ... أنزله اللَّهُ هُدَى
كم قد أضاء منزلاً ... وكم أَنار مسجدَا
وكم كسا الأسواقَ من ... حسنٍ وزانَ البلدَا
لولا التُّقَى لقلتُ لم ... يخلُقْ سواك الولدَا
إنْ شئت كان العَيْرَ أو ... إنْ شئت كان الأسدَا[2]
وإنْ تُردْ غَيًّا غَوَى ... أو تبغِ رُشْداً رشدَا[3]
والَيْتَ أَنْت الصوت فيـ ... ـه وهو للصوت صَدَى
كالببَّغا في قفصٍ ... قيل له فقلّدَا
وكالقضيبِ اللّدنِ قد ... طاوع في الشكل اليدَا[4]
يأخذ ما عوّدتَه ... والمرءُ ما تعوّدَا
ممّا ٱنفردتَ في الورَى ... بفضله وٱنفردَا
وكلُّ ليثٍ قد رمى ... به الإمام في العدَى
أنتَ الذي جنّدتَه ... وسُقْتَه إلى الردَى
وقلتَ: كنْ للَّه، والسُّلطانِ، والتركِ، فِدَى

(١) الفرقد: نجم في السماء قريب من القطب الشمالي.
(٢) العَيْر: الحمار الوحشي. (٣) الغَيّ: الضّلال. (٤) القضيب اللّدن: الغصن الطَّريّ.

الْـــهِـــلالُ

[من المتقارب]

سِـنـون تُـعـادُ ودهـرٌ يُـعـيـدْ ... لَعَمْرُك ما في اللّيالي جديدْ
أضـــاء لآدمَ هـــذا الـــهـــلالُ ... فكيف تقولُ الهلالُ الوليدْ
نُعدُّ عليه الزمانَ القريبَ ... ويُحصي علينا الزمانَ البعيدْ
على صفحتيه حديث القُرى ... وأيامُ (عادٍ) ودنيا (ثمودْ)
و(طيبةُ) آهلةٌ بالملوكِ ... (وطيبةُ) مقْفرةٌ بالصعيدْ
يزول ببعض سناه الصَّفا ... ويفنى ببعض سناه الحديدْ[1]
ومن عجَبٍ وهو جَد اللّيالي ... يبيد اللّياليَ فيما يبيدْ

* * *

يقولون يا عامُ قد عدتَ لي ... فيا ليت شعري بماذا تعودْ؟
لقد كنتَ لي أمس ما لم أُرِد ... فهل أَنْت لي اليوم ما لا أريدْ؟
ومَنْ صابَر الدهرَ صبري له ... شكا في الثلاثين شكوى (لبيدْ)[2]
ظمِئت ومثلي بِرِيِّ أحقُّ ... كأني حسينٌ ودهري يزيدْ[3]
تغابيتُ حتى صحِبتُ الجهول ... وداريتُ حتى صحبت الحسودْ

(١) الصّفا: الصخر.

(٢) (لبيد): هو لبيد بن أبي ربيعة، من الشعراء المعمِّرين المُخَضْرَمين بين الجاهلية والإسلام.

(٣) حسين: هو الحسين بن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنهما. يزيد: هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

الشّروق والغُروبُ

«وَصْفُ منْظَر الشّروقِ والغُرُوبِ في عَالَمِ الماءِ مِنْ أعلى السّفينَةِ»: [من المتقارب]

لِمَنْ غُرّةٌ تَنجلي من بعيدْ ... بمَرْأى كما الْحُلم ضاحٍ سعيدْ؟
تَهُزُّ الوجود تباشيرُها ... كما هزَّ مِن والديه الوليدْ
ويغشى الدُّنى من حُلاها سَنًى ... أضاء لنا كلَّ حالٍ نضيدْ(١)
من الموج مُلْتَمِع مثلما ... تحلَّتْ نحورُ الدُّمى بالعقودْ(٢)
أتتنا من الماء مهتزةً ... منوّرة تَعتلي للوجودْ
وتصْعَد من غير ما سُلم ... فيا للمصوِّر هذا الصعودْ
وهذا المنيرُ القريبُ القريبُ ... وهذا المنير البعيد البعيدْ
وهذا المنير الذي لن يُرى ... وهذا المنير وكلٌّ شهيدْ
وهذا الجُسام الخفيف الخُطى ... وهذا الجُسام الذي ما يميدْ
ويا للمصوِّر آثارَها ... بكلِّ بِحارٍ وفي كل بيدْ
وتقليلها كلَّ جَمٍّ السَّنا ... وتصغيرها كلَّ عالٍ مَشِيدْ
من النّار لكنّ أطرافَها ... تَدورُ بياقوتةٍ لن تبيدْ
من النّار لكنّ أنْوارَها ... إلّهيةٌ زُيِّنت للعبيدْ
هي الشمسُ كانت كما شاءَها ... مماتُ القديم حياةُ الجديدْ
تردّ المياهَ إلى حدِّها ... وتُبلِي جبالَ الصَّفا والحديدْ(٣)
وتطلعُ بالعيش أو بالرَّدى ... على الزرعِ قائِمِهِ والحصيدْ
وتسعى لذا الناسِ مهما سعتْ ... بخيرِ الوعودِ وشرِّ الوعيدْ

(١) السّنى: الضياء. حالٍ: من حليت المرأة، أي لبست حليها. نضيد: مُنّسِق.
(٢) تحلّت: تزينت بالحِلِيّ. الدُّمى: مفردها دُمية وهي الصورة المزينة الموشّاة.
(٣) الصَّفا: الصخر.

وقد تتجلَّى إذا أقبلتْ ... بنُعْمَى الشقيِّ وبؤسى السعيدْ
وقد تَتولى إذا أدبرتْ ... وليست بمأمونةٍ أَنْ تعودْ
فما للغروب يَهيج الأسى ... وكان الشروقُ لنا أيَّ عيدْ
كذا المرءُ ساعةَ مِيلادِه ... وساعةَ يدعو الحِمامُ العنيدْ[1]
وليس بجارٍ ولا واقعٍ ... سوى الحق ممَّا قضاه المُريدْ

(١) الحِمام: الموت.

طُلُوعُ البَدْرِ

«وَصْفُ مَنْظَرِ طُلُوعِ البَدْرِ من سَفِينَة»: [من الكامل]

مَلِكَ السماءِ بَهرتَ في الأنوارِ ... فـفـداك كـلُّ مُـتـوّجٍ مـن سـارِي
لـمّا طلعتَ على المياهِ تنيرها ... سكـنَتْ وقد كـانـتْ بـغـيـر قَـرَارِ
وزهتْ لناظِرِها السماءُ وقَرّ ما ... في البحر من عُبُبٍ ومن تيَّارِ[١]
وأهـلَّ لـلّـهِ الـسُّـراةُ وأزلـفـوا ... لـك فـي الـكـمـال تـحـيـةَ الإكـبـارِ
وتـأمـلـوك فـكـل جـارحـة لـهـم ... عَـيْـنٌ تـسـامِـر نـورهـا وتُـسـارِي
والبدر منك على العوالمِ يَجْتلي ... بِـشْـرَ الـوجـوه وزَحْـمَـة الأبـصـارِ
مُتقدِّمٌ في النور محجوبٌ به ... مُـوفٍ عـلـى الآفـاق بـالأسْـفـارِ
يـا دُرَّة الـغـوّاصِ أخـرجَ ظـافـراً ... يُـمـنـاه يـجْـلـوهـا عـلـى الـنُّـظَّـارِ
متهلِّلاً في الماء أبْدَى نصفَه ... يَسْمو بها والنصفُ كاسٍ عارِ
وافى بك الأفق السماءَ فأسفرتْ ... عن قُفْلِ ماسٍ في سِوارِ نُضارِ[٢]
ونَهضتَ يَزْهُو الكونُ منك بمنظرٍ ... ضاحٍ ويحملُ منك تاجَ فَخارِ[٣]
ألـمـاءُ والآفـاقُ حـولـك فِـضَّـةٌ ... والـشُّـهْـبُ ديـنـارٌ لـدى ديـنـارِ
والفلكُ مُشرقة الجوانبِ في الدُّجى ... يَـبْـدو لـهـا ذَيـلٌ مـن الأنـوارِ[٤]
بـيـنـا تَـخَـطَّـرُ فـي لُـجـيـنٍ مـائـجٍ ... إذ تَـنْـثـنـي فـي عَـسْـجَـدٍ زَخَّـارِ
وكـأنـهـا والـمـوجُ مـنـتـظـمٌ وقـدْ ... أوفـيـتَ ثـم دنـوتَ كـالـمـحـتـارِ
غـيـداءُ لاهـيـةٌ تـخُـطُّ لأغـيـدٍ ... شـعـراً لـيـقـرأه وأنـتَ الـقـارِي
فَـلْـيَـهْـنَ بـدرُ الأرضِ أنّـك صِـنـوُهُ ... ونـظـيـره قـربـاً وبُـعـدَ مَـزَارِ

(١) العُبُب: المياه المتدفقة.
(٢) النُّضار: الذهب.
(٣) ضاح: بارز، واضح المعالم.
(٤) الفُلْك: السفينة.

وحَلاكُما ما البدر إلّا أَنْتما ... وسواكما قمرٌ من الأقمارِ
أنت الكريمُ على الوجود بوجهه ... وهي الضّنِينَةُ بالخيالِ السَّارِي
هيفاءُ أهواها وأعشقُ ذكرها ... لكنْ أُداري والمُحِبُّ يُدارِي
لي في الهوى سرٌّ أبِيتُ أصُونه ... واللَّه مُطَّلعٌ على الأسرارِ

بَلْدَةُ الْمُؤْتَمَرِ
لِنَاظِرِهَا، في بَهْجَةِ مَنَاظِرِهَا

«جنيف وضواحيها»: [من الكامل]

لا السُّهدُ يُدنيني إليه ولا الكرى
طيفٌ يزورُ بفضله مهما سرَى[1]

تَخِذ الدُّجى وسماءَه ونجومَه
سُبُلاً إلى جَفنيك لم يرْضَ الثرَى

وأتاك موفورَ النعيم تَخالُه
مَلكاً تنمُّ به السماءُ مُطهَّرَا

علم الظلامُ هبوطه فمشتْ له
أهدابُه يأخذْنه مُتحدِّرَا

وحَمى النسائم أَنْ تروح وأن تَجِي
حذراً وخوفاً أَنْ يُراعَ ويُذْعرَا

ورقدتَ تُزلِف للخيال مكانَه
بين الجفون وبين هُدبِك والكرَى

فهنئْتَه مثل السعادة شائقاً
متصوِّراً ما شئتَ أَنْ يَتصوّرَا

تَطوي له الرقباء منصورَ الهوى
وتَدُوس ألسنةَ الوشاة مُظَفَّرَا

لولا امتنانُ العين يا طيفَ الرضا
ما سامحتْ أيامَها فيما جرَى

باتت مُشرّفةً وبات سوادُها
زُوناً بتمثال الجمال منوّرَا[2]

(١) السُّهد: الأرق. الكرى: النوم. (٢) الزُّون: الصنم أو الموضع تُجمع فيه الأصنام وتُزيّن.

تُعطَى المُنى وتُنيلهنَّ خليقةً
بك أَنْ تُقدِّم في المُنى وتؤخِّرَا
وتعانِق القمرَ السنيّ عزيزةً
حتى إذا ودّعتَ عانَقتِ الثَّرَى
في ليلةٍ قدِم الوجودَ هلالُها
فدنت كواكبُها تعلمه السُّرَى
وتريه آثارَ البدورِ ليقتفي
ويَرى له الميلادُ أَنْ يتصدّرَا
ناجيتُ مَنْ أهوى وناجاني بها
بين الرياضِ وبين ماء (سويسرَا)[1]
حيث الجبالُ صِغارُها وكبارُها
من كل أبيضَ في الفضاءِ وأخضرَا
تَخِذ الغمامُ بها بيوتاً فآنجلتْ
مشبوبة الأجرام شائبة الذُّرَى[2]
والصخرُ عالٍ قام يُشبه قاعداً
وأناف مكشوفَ الجوانب مُنْذِرَا
بين الكواكب والسحابِ ترى له
أُذُناً من الحجر الأصم ومِشْفَرَا[3]
والسفحُ من أيِّ الجهاتِ أتيتَه
ألفَيْتَه دَرَجاً يموجُ مُدَوّرَا
نثرَ الفضاءُ عليه عِقْدَ نجومِه
فبَدا زَبَرْجَدُه بهنّ مجوهرَا

(١) سويسرا: بلد أوروبي مشهور.
(٢) الأَجرام: أي الأَجرام الفلكية التي تسبح في الفضاء. الذرى: مفردها ذروة، وهي أعلى كل شيء.
(٣) المِشْفر: الشفة.

وتـنـظـمـتْ بـيـضُ الـبـيـوتِ كـأنـهـا
أوكـارُ طـيـر أو خـمـيـسٌ عَـسْـكَـرَا[١]
والـنـجـمُ يـبـعـث لـلـمـيـاه ضـيـاءَه
والـكـهْـرَبـاء تـضـيء أثـنـاءَ الـثـرَى[٢]
هـام الـفِـراشُ بـهـا وحـام كـتـائِـبـاً
يـحـكـي حـوالَـيْـهـا الـغَـمـامَ مـسـيَّـرَا
خُـلِـقـت لـرحـمـتـه فـبـاتـت نـارُه
بَـرْداً ونـارُ الـعـاشـقـيـن تـسَـعَّـرَا
والـمـاءُ مـن فـوق الـديـار وتـحـتـهـا
وخِـلالـهـا يـجـري ومـن حـول الـقُـرَى
مـتـصـوِّبـاً مـتـصـعِّـداً مـتـمـهـلاً
مـتـسـرِّعـاً مـتـسـلـسِـلاً مـتـعـثِّـرَا
والأرضُ جـسـر حـيـث دُرْت ومَـعْـبـر
يـصِـلان جـسـراً فـي الـمـيـاه ومـعـبـرَا
والـفُـلْـكُ فـي ظـل الـبـيـوت مـواخِـراً
تـطـوي الـجـداولَ نـحـوهـا والأنـهُـرَا[٣]
حـتـى إذا هَـدَأَ الـمَـلا فـي لـيـلـه
جـاذبـتُ لـيـلـي ثـوبـه مُـتَـحـيِّـرَا
وخـرجـتُ مـن بـيـن الـجـسـور لـعـلّـنـي
أسـتـقـبِـل الـعَـرْفَ الـحـبـيـبَ إذا سـرَى
آوِي إلـى الـشـجـراتِ وهـي تَـهُـزُّنـي
وقـد ٱطـمـأنّ الـطـيـرُ فـيـهـا بـالـكـرَى
ويـهـزّ مـنـي الـمـاءُ فـي لـمـعـانـه
فـأمـيـلُ أَنْـظـر فـيـه أطـمَـعُ أَنْ أَرَى

(١) الخميس: الجيش. (٢) أثناء: مفردها الثَّنْي، وهو المنعطف من الوادي أو من الأرض.
(٣) الفلك: السفينة.

وهـنـالـك ٱزدهـتِ الـسـمـاءُ وكـان أَنْ
آنـسـتُ نـوراً مـا أَتَـمَّ وأبـهـرَا
فـسـريـتُ فـي لأْلائِـه وإذا بـه
بـدرٌ تـسـابِـره الـكـواكـبُ خُـطَّـرَا
حُـلـمٌ أعـارتـنـي الـعـنـايـة سـمـعَـهـا
فـيـه فـمـا ٱسـتـتـمـمـتُ حـتـى فُـسِّـرَا
فـرأيـتُ صـفـوي جَـهـرةً وأخـذتُ أُنـ
ـسـي يـقـظـةً ومـنـاي لـبَّـت حُـضَّـرَا
وأشـرتُ هـل لُـقْـيَـا فـأوحـى أَنْ غـداً
بـالـطَـود أبـيـض مـن جـبـال (سـويـسـرَا)
إنْ أشـرقـت زهـراء تـسـمـو لـلـضُّـحـى
وإذا هـوت حـمـراءَ فـي تـلـك الـذُّرَى
فـشـروقُـهـا مـنـه أَتَـمُّ مَـعـانِـيـاً
وغـروبُـهـا أجـلـى وأكـمـلُ مـنـظـرَا
تـبـدو هـنـالـك لـلـوجـود ولـيـدةً
تَـهْـنَـا بـهـا الـدُّنـيـا ويـغـتـبِـط الـثـرَى
وتُـضـيءُ أثـنـاءَ الـفـضـاء بـغُـرّةٍ
لاحَـتْ بـرأسِ الـطـود تـاجـاً أزْهَـرَا
فَـسـمَـتْ فـكـانـتْ نـصـفَ طـارٍ مـا بـدا
حـتـى أَنْـافَ فـلاح طـاراً أكـبـرَا
يـعـلـو الـعـوالـمَ مـسـتـقِـلّاً نـامـيـاً
مـسـتـعـصـيـاً بـمـكـانـه أَنْ يُـنْـقَـرَا
سـالـتْ بـه الآفـاقُ لـكـن عَـسْـجَـداً
وتَـغـطَّـتِ الأشـبـاح لـكـن جـوهـرَا[1]

(١) العسجد: الذهب أو الجوهر كالدُّر والياقوت.

واهتزَّ فالدُّنيا له مهتزةٌ
وأنار فانكشف الوجودُ منوَّرَا
حتى إذا بلغ السموَّ كمالُهُ
أذِنتْ لداعي النقص تَهوِي القهقرَى[1]
فدنتْ لناظرها ودان عِنانُها
وتبدَّل المستعظَمُ المستصغَرَا
واصفرَّ أبيضُ كل شيء حولها
واحمرَّ بُرقعها وكان الأصفَرَا
وسما إليها الطودُ يأخذها وقد
جعلتْ أعاليه شريطاً أحمرَا[2]
مَسَّتْه فاشتعلت لها جَنبَاتُه
وبدتْ ذُراه الشُمُّ تحملُ مِجْمَرَا
فكأنَّما مَدَّتْ به نيرانَها
شَرَكاً لتصطادَ النهار المدْبِرَا
حرقتْهُ واحترقت به فتولَّيا
وأتى طُلولَهما الظلامُ فعسكرَا
فشُروقها الأمل الحبيبُ لمَنْ رأى
وغُروبها الأجلُ البغيضُ لمَنْ دَرَى
خَطبانِ قاما بالفناءِ على الصَّفا
ما كان بينهما الصفاءُ ليَعمُرَا
تتغيَّرُ الأشياءُ مهما عاوَدَا
واللَّه عزَّ وجلَّ لن يتغيَّرَا
أنهارنا تحتَ (السليفِ) وفوقَه
ولدى جوانِبه وما بين الذُّرَى

(١) أذِنت: أي أَنْصتت. القهقرى: الرجوع إلى الوراء.
(٢) الطود: الجبل.

رَجْلاً ورُكبانـاً وزحلقةً علـى
عَجَلٍ هنالك كهربائيّ السُّرَى
في مركب مستأنس سالتْ به
قُضُبُ الحديدِ تَعَرُّجاً وتحدُّرَا
ينساب ما بين الصخور تمهلاً
ويَخِفُّ بين الهُوَّتَينِ تخطّرَا
وإذا أعتلى بالكهرباء لذروَةٍ
عصماء همّ معانقاً متسوِّرَا
لمّا نزلنا عنه في أم الذُّرَى
قمنا على فرع (السليف) لننظرَا
أرضٌ تموجُ بها المناظرُ جَمَّةً
وعوالمٌ نِعْمَ الكتَابُ لِمَنْ قَرَا
وقُرَى ضَرَبْنَ على المدائنِ هالةً
ومدائنٌ حَلَّين أجيادَ القُرَى
ومزارعٌ للناظرين روائعٌ
لَبِس الفضاءُ بها طِرَازاً أخضرَا
والماءُ غُدْرٌ ما أرقَّ وأغزرَا
وجداولٌ هُنَّ اللّجين وقد جرَى[1]
فحشَوْنَ أفواه السّهول سبائكاً
وملأنَ أقبال الرواسخِ جوهرَا[2]
قد صغَّر البعدُ الوجودَ لنا فيا
للَّه ما أحلى الوجود مصغَّرَا

(١) غُدْر: مفردها غدير، وهو النهر الصغير.
(٢) أقبال: مفردها قُبُل، وهو الوجه أو الجهة الأمامية. الرواسخ: الجبال.

الطَّبيعَةُ

[من الكامل]

«وقال يصف مشاهد الطبيعة في طريقه إلى الآستانة قادماً من أوروبا»:

تلك الطبيعةُ قِفْ بنا يا سارِي
حتى أُريكَ بديعَ صُنْعِ البارِي
ألأرضُ حولك والسماءُ ٱهتزَّتا
لروائعِ الآياتِ والآثارِ
من كل ناطقةٍ الجلال كأنها
أُمُّ الكتابِ على لسان القارِي[١]
دلَّت على مَلكِ الملوكِ فلم تَدعْ
لأدلَّة الفُقهاءِ والأحبارِ[٢]
مَنْ شكّ فيه فنظرة في صُنْعِه
تَمْحو أثيمَ الشكّ والإنكارِ
كُشِفَ الغطاءُ على (الطرول) وأشرقت
منه الطبيعة غير ذاتِ سِتَارِ
شبّهتُها (بُلْقَيس) فوق سريرها
في نضرةٍ ومواكبٍ وجوارِي
أو (با ٱبن داوُدٍ) وواسعِ مُلكه
ومعالمِ للعزّ فيه كبارِ[٣]
هُوجُ الرياحِ خواشعٌ في بابه
والطيرُ فيه نواكسُ المِنْقارِ[٤]

(١) أمّ الكتاب: أي فاتحته. (٢) الأحبار: مفردها حَبْر وهو العالم.
(٣) المعالم: مفردها معلم، وهو العلامة المميزة التي تدل على الأثر وغيره.
(٤) هُوج: مفردها هوجاء. والرياح الهوج هي السريعة الهبوب المدمرة.

قامت على ضاحي الجِنان كأنَّها
رِضْوان يُزجي الخلد للأبرارِ[١]
كم في الخمائل وهي بعض إمائها
من ذاتِ خلخالٍ وذات سِوارِ[٢]
وحسيرةٍ عنها الثياب وبضّةٍ
في الناعماتِ تَجُرّ فضلَ إزارِ[٣]
وضحوكِ سنٍّ تملأ الدُّنيا سنًى
وغريقةٍ في دمعها المدرارِ
ووحيدةٍ بالنجد تشكو وحشةً
وكثيرةِ الأتراب بالأغوارِ[٤]

❊ ❊ ❊

ولقد تَمرُّ على الغدير تخاله
والنَّبْتِ مرآةً زهت بإطارِ[٥]
حلو التسلسُل مَوْجُه وجريرُه
كأنامل مرّت على أوْتارِ
مَدّت سواعد مائه وتألَّقَتْ
فيها الجواهرُ من حَصىً وجِمارِ[٦]
ينساب في مخضلَّةٍ مبتلَّةٍ
منسوجةٍ من سُندُس ونضارِ[٧]

---

(١) الضاحي: البارز، الواضح المعالم. يزجي: يستحث، يدفع برفق، أو يقود.
(٢) الإماء: مفردها أَمَة، وهي الجارية.
(٣) الإزار: كل ما ستر الجسم.
(٤) النجد: ما ارتفع من الأرض. الغور: ما انخفض من الأرض، أو القعر من كل شيء.
(٥) الإطار: كل ما يحيط بالشيء ليحدده، كإطار اللوحة أو الصورة وغير ذلك.
(٦) الجِمار: الحصى.
(٧) مخضلّة: أي بليلة ونديّة. النُضار: الذهب.

زهـراءَ عَـوْن الـعـاشـقـيـن عـلـى الـهـوى
مـــخـــتـــارة الـــشـــعـــراءِ فـــي آذارِ
قـام الـجَـلـيـدُ بـهـا وسـال كـأنـه
دَمْـعُ الـصَّـبـابـةِ بـلَّ غـصْـنَ عـذارِ
وتـرى الـسَّـمـاء ضـحًـى وفـي جُـنـحِ الـدُّجـى
مُـنـشـقّـة مـن أَنْـهـر وبـحـارِ[1]
فـي كـلِّ نـاحـيـةٍ سـلـكـت ومـذهـبٍ
جـبـلانِ مـن صـخـر ومـاءٍ جـارِي
مـن كـلِّ مُـنْـهَـمِـرِ الـجـوانـب والـذُّرى
غَـمَـرَ الـحـضـيـضَ، مـجـلَّـلٍ بـوقـارِ[2]
عـقـد الـضـريـب لـه عـمـامـة فـارعٍ
جَـمّ الـمـهـابـةِ مـن شُـيـوخِ نـزارِ[3]
ومـكـذِّبٍ بـالـجـنّ رِيـع لـصـوتـهـا
فـي الـمـاء مُـنـحـدراً وفـي الـتـيَّـارِ
مـلأ الـفـضـاءَ عـلـى الـمـسـامـع ضـجَّـةً
فـكـأنـمـا مـلأ الـجـهـات ضـوارِي
وكـأنـمـا طـوفـان نـوحٍ مـا نـرى
والـفُـلْـكُ قـد مُـسِـخـت حـثـيـث قِـطـارِ
يـجـرِي عـلـى مـثـل الـصِّـراط وتـارة
مـا بـيـن هـاويـةٍ وجُـرفٍ هـارِي

❊ ❊ ❊

(١) الضّحى: وقت ارتفاع الشمس. الدّجى: العتمة أو سواد الليل.
(٢) الحضيض: المنخفض من الأرض.
(٣) الضّريب: الثلج. الفارع: الطويل المرتفع البهي المنظر، أو الجبل إذا كان أطول مما يليه، فيقال: فارع الطول.

جاب الممالكَ حَزْنَها وسهولها
وطوى شِعابَ (الصِّرب) و(البلغارِ)[١]
حتى رمى برحالنا ورجائنا
في ساحِ مأمولٍ عزيز الجارِ
مَلِكٌ بمفْرَقِه إذا ٱستقْبَلْتَه
تاجان تاجُ هُدًى وتاج فَخَارِ
سكَنَ (الثُّريَّا) مُستقرَّ جلاله
ومشتْ مكارمُه إلى الأمصارِ
فالشَّرقُ يُسقى ديمة بيمينه
والغربُ تمطره غيوث يَسارِ[٢]
ومدائن البَرَّيْن في إعظامه
وعَوالم البَحْرَيْن في الإكبارِ
ألَّله أيّده بآساد الشّرى
في صورة المتَدَجِّج الجرَّارِ
ألصاعدين إلى العدوّ على الظُّبى
ألنازلين على القنا الخطّارِ[٣]
ألمشتَرين اللَّه بالأبناء والـ
ـأزواج والأموال والأعمارِ
ألقائمين على لِواءِ نبيِّه
ألمنزَلِين منازل الأنصارِ

* * *

(١) الحَزْن: ما غلظ من الأرض. الشِّعاب: ما انفرج بين جبلين.
(٢) الدِّيمة: المطر.
(٣) الظّبى: مفردها الظبة، أي حد السيف. القنا: الرّماح، والرمح الخطّار: أي المُهتزّ بسبب إعجاب حامله بنفسه.

يـا عـرشَ قـسـطـنـطـيـن نِـلْـتَ مـكـانـة
لـم تُـعْـطَـهَـا فـي سـالـف الأعـصـارِ
شُـرِّفـتَ بـالـصـدِّيـق والـفـاروقِ بـل
بـالأقـربِ الأدْنـى مـن الـمـخـتـارِ
حـامـي الـخـلافـة مـجـدِهـا وكِـيـانِـهـا
بـالـرأيِ آونـةً وبـالـبَـتَّـارِ(١)

❊ ❊ ❊

تـاهَـتْ (فَـروقُ) عـلـى الـعـواصـم وازْدَهـت
بـجـلـوسِ أصْـيَـدَ بـاذِخِ الـمـقـدارِ(٢)
(جَـمِّ الـجـلالِ كـأنـمـا كـرسـيُّـه
جُـزْءٌ مـن الـكـرسـيِّ ذي الأنـوارِ)
أخـذتْ عـلـى (الـبـوسـفـور) زُخْـرفَـهـا دُجًـى
وتـلألأتْ كـمـنـازلِ الأقـمـارِ
فـالـبـدر يـنـظـر مـن نـوافـذِ مـنـزلٍ
والـشـمـسُ ثَـمَّ مُـطِـلَّـةٌ مـن دارِ
وكـواكِـب الـجـوزاءِ تَـخْـطُـر فـي الـرُّبَـى
والـنَّـسْـر مـطـلـعُـه مـن الأشـجـارِ
واسـم الـخـلـيـفـة فـي الـجـهـات مـنـور
تَـبـدو الـسـبـيـلُ بـه ويَـهْـدِي الـسَّـارِي(٣)
كـتـبـوه فـي شُـرفِ الـقـصـور وطـالـمـا
كـتـبـوه فـي الأسـمـاع والأبـصـارِ

❊ ❊ ❊

يـا واحـدَ الإسـلام غـيـرَ مُـدافـعٍ
أنـا فـي زمـانـك واحِـدُ الأشـعـارِ

(١) البتَّار: السيف القاطع. (٢) الأصيد: المراد به هنا الملك أو السلطان.
(٣) يَهْدِي: بمعنى يهتدي. السَّاري: الذي يسير ليلاً.

لـــي فـــي ثـــنـــائِـــك وهـــو بـــاقٍ خـــالـــدٌ
شـعـرٌ عـلـى الـشِّـعـرى الـمـنـيـعـة زارِي[١]
أخـلـصـتُ حـبـي فـي الإمـام ديـانـةً
وجـعـلـتُـه حـتـى الـمـمـات شِـعـارِي
لـم ألـتـمـس عَـرضَ الـحـيـاة وإنـمـا
أقـرضـتُـهُ فـي الـلَّـه والـمـخـتـارِ
إنّ الـصـنـيـعـةَ لا تـكـون كـريـمـةً
حـتـى تُـقـلِّـدَهـا كـريـمَ نِـجـارِ[٢]
والـحـبُّ لـيـس بـصـادقٍ مـا لـم تـكـن
حَـسَـنَ الـتـكـرُّم فـيـه والإيـثـارِ
والـشـعـر إنـجـيـلٌ إذا اسـتـعـمـلـتَـه
فـي نـشـر مـكـرمـةٍ وسَـتْـرٍ عَـوارِ
وثـنـيْـتَ عـن كـدَرِ الـحِـيـاضِ عـنـانَـه
إنَّ الأديـبَ مـسـامـح ومُـدارِي
عـنـد الـعـواهِـلِ مـن سـيـاسـة دهـرهـم
سـرٌّ وعـنـدك سـائـرُ الأسـرارِ
(هـذا مُـقـامٌ أَنْـت فـيـه مـحـمـدٌ
أعـداءُ ذاتـك فِـرقـةٌ فـي الـنـارِ)
(إنّ الـهـلالَ وأنـتَ وحـدك كـهـفُـه
بـيـن الـمـعـاقِـل مـنـك والأسـوارِ)
لـم يـبـقَ غـيـرُك مَـنْ يـقـول أصـونـه
صُـنْـه بـحـولِ الـواحـدِ الـقـهَّـارِ

(١) الشِّعْرى: كوكب غالباً ما يطلع في شدة الحر. زاري: من زرى أي عاب.
(٢) النِّجَار: الأهل أو الحسب.

الْبُسْفُور كأَنَّكَ تَرَاهُ

[من الوافر]

عـلـى أيِّ الـجِـنـانِ بـنـا تَـمُـرُّ
وفـي أيّ الـحـدائـقِ تَـسـتـقِـرُّ
رويـداً أيـهـا الـفُـلـكُ الأبـرُّ
بـلـغـتَ بـنـا الـربـوعَ فـأنـتَ حُـرُّ[١]
سـهِـرتَ ولـم تـنـم لـلـركْـبِ عـيـنُ
كـأنْ لـم يُـضْـوِهـم ضَـجَـرٌ وأيـنُ[٢]
يَـحُـثّ خُـطـاك لـجٌّ بـل لـجـيْـنُ
بـل الإبـريـزُ بـل أُفـقٌ أغـرُّ[٣]
عـلـى شِـبـهِ الـسـهـول مـن الـمـيـاهِ
تـحـيـط بـك الـجـزائـرُ كـالـشـيـاهِ
وأنـتَ لـهـنّ راعٍ ذو انـتـبـاهِ
تَـكـرُّ مـع الـظـلام ولا تَـفِـرُّ
يُـنـيـف الـبـدرُ فـوقـك بـالـهـبـاءِ
رفـيـعـاً فـي الـسـمـوِّ بـلا انـتـهـاءِ[٤]
تَـخـالُـكـمـا الـعـيـونُ إلـى الـتـقـاءِ
ودون الـمـلـتـقـى كـوْنٌ ودهـرُ
إلـى أَنْ قـيـل : هـذا (الـدردنـيـلُ)
فـسِـرت إلـيـه والـفـجـرُ الـدلـيـلُ
يُـجـيـزكَ والأمـانُ بـه سـبـيـلُ
إذا هـو لـم يُـجـز فـالـمـاء خَـمْـرُ

(١) الفُلْك : السفينة .
(٢) الأيْن : التعب والإعياء .
(٣) اللجين : الفضة .
(٤) الهباء : الغبار .

تَـمـرُّ مـن الـمـعـاقـلِ والـجـبـالِ
بـعـالٍ فـوق عـالٍ خـلـف عـالـي
إذا أَومـأْنَ وقَّـفَـتِ الـلّـيـالـي
وتَـحـمـي الـحـادثـاتِ فـلا تـمـرُّ
مـدافِـعُ بـعـضـهـا مـتـقـابـلاتُ
ومـنـهـا الـصـاعـداتُ الـنـازلاتُ
ومـنـهـا الـظـاهِـرات وأُخـريـاتُ
تـوارى فـي الـصـخـور وتـسـتـسـرُّ
فـلـو أنّ الـبـحـارَ جـرتْ مِـئِـيـنَـا
وكـان الـلُّـجُّ أجـمـعـه سـفـيـنَـا
لِـتـلـقـى مـنـفـذاً لـلـقَـيْـنِ حـيـنَـا
ولـمّـا يـمْـسَـسِ (الـبـوغـازَ) ضُـرُّ
وبـعْـدَ الأرخـبـيـل ومـا يـلـيْـهِ
وتِـيـهٍ فـي الـعـيـالـم أيّ تـيْـهِ[1]
بـدا ضـوءُ الـصـبـاح فـسِـرت فـيْـهِ
إلـى الـبـسـفـور وآقـتـرب الـمَـقّـرُّ
تـسـايِـرك الـمـدائـن والأنـاسِـي
وفُـلْـكٌ بـيـن جَـوّالٍ وراسِـي[2]
وتـحـضُـنـك الـجـزائـر والـرّواسِـي
وتـجـري رِقـةً لـك وهـي صـخْـرُ
تـسـيـر مـن الـفـضـاء إلـى الـمَـضِـيـقِ
فـآنـاً أَنْـت فـي بـحـرٍ طـلـيـقِ
وآونـةً لـدى مَـجـرًى سـحـيـقِ
كـمـا الـشّـلالُ قـام لـديـه نـهْـرُ

(١) العيالم: مفردها عيلم، وهو البحر.
(٢) الأناسي: مفردها إنسيّ، أي الناس.

وتـــأتـــي الأفْـــقَ تـــطـــويـــه ســـجـــلًّا
لآخـــر كـــالـــسَّـــراب إذا أضـــلَّا
إذا قـــلـــنـــا الـــمـــنـــازل قـــيـــل كـــلَّا
فـــدون بـــلـــوغـــهـــا ظـــهـــرٌ وعـــصـــرُ
إلـــى أَنْ حـــلَّ فـــي الأوْج الـــنَّـــهـــارُ
ولـــلـــرّائـــي تـــبـــيَّـــنـــت الـــدِّيَـــارُ
فـــقـــلـــنـــا: الـــشـــمـــسُ فـــيـــهـــا أم نُـــضـــارُ
ويـــــاقـــــوتٌ ومَـــــرجـــــان ودُرُّ[1]
ودِدْنـــا لـــو مَـــشـــيْـــتَ بـــنـــا الـــهُـــوَيْـــنَـــا
وأيـــن لـــنـــا الـــخـــلـــودُ لـــديـــك أيـــنَـــا[2]
لـــنـــبـــهَـــج خـــاطـــراً ونَـــقَـــرّ عـــيـــنَـــا
بـــأحـــســـن مـــا رأى فـــي الـــبـــحـــر سَـــفْـــرُ
بـــلـــوحٍ جـــامـــع الـــصُّـــور الـــغـــوالِـــي
وديـــــوان تـــــفـــــرَّد بـــــالـــــخـــــيـــــالِ
ومِـــرآة الـــمـــنـــاظـــر والـــمـــجـــالِـــي
تـــمـــرّ بـــهـــا الـــطـــبـــيـــعـــة مـــا تـــمـــرُّ
فـــضـــاءٌ مُـــثِّـــل الـــفـــردوس فـــيْـــهِ
ومـــرأى فـــي الـــبـــحـــار بـــلا شـــبـــيْـــهِ
فـــإيْـــهٍ يـــا بـــنـــات الـــشـــعـــر إيْـــهِ
فـــمـــا لـــك فـــي عـــقـــوقِ الـــشـــعـــر عُـــذرُ
لأجـــلـــكِ سِـــرتُ فـــي بـــرٍّ وبـــحـــرِ
وأنـــتِ الـــدهـــر أَنْـــت بـــكـــل قـــطْـــرِ
حـــنَـــنـــتِ إلـــى الـــطـــبـــيـــعـــة دون مـــصـــرِ
وقـــلـــتِ لـــدى الـــطـــبـــيـــعـــة: أيـــن مـــصـــرُ

(١) النُّضار: الذّهب.
(٢) الهُوَينا: التؤدة والرفق.

فـــهـــلّا هـــزَّكِ الـــتـــبـــرُ الـــمـــذابُ
وهـــذا الـــلّـــوْحُ والـــقـــلـــم الـــعُـــجـــابُ
ومـــا بـــيـــنـــي وبـــيـــنـــهـــمـــا حِـــجـــابُ
ولا دونـــي عـــلـــى الآيـــات سِـــتْـــرُ
جـــهـــاتٌ أم عـــذارى حـــالـــيـــاتُ
ومـــاءٌ أم ســـمـــاء أم نـــبـــاتُ
وتـــلـــك جـــزائِـــرٌ أم نـــيِّـــراتُ
وكـــيـــف طـــلـــوعـــهـــا والـــوقـــت ظـــهـــرُ
جـــلاهـــا الأفـــق صـــفـــراً وهـــي خُـــضْـــرُ
كـــزهـــر دونـــه فـــي الـــروض زهـــرُ
لـــوى بـــحـــر بـــهـــا والـــتـــفّ بَـــحْـــرُ
كـــمـــا مَـــلَـــكَـــتْ جِـــهـــاتُ الـــدّوح غُـــدْرُ[1]
تـــلـــوح بـــهـــا الـــمـــســـاجـــدُ بـــاذخـــاتِ
وتـــتـــصـــل الـــمـــعـــاقـــلَ شـــامـــخـــاتِ
طِـــبـــاقـــاً فـــي الـــعـــلـــى مـــتـــفـــاوتـــاتِ
ســـمـــا بَـــرٌّ بـــهـــا وآنـــحـــطَّ بـــرُّ
وكـــم أرضٍ هـــنـــالـــك فـــوق أرضِ
وروض فـــــوق روضٍ فـــــوق روضِ
ودور بـــعـــضُـــهـــا مـــن فـــوق بـــعـــضِ
كـــســـطـــر فـــي الـــكـــتـــاب عـــلاه سَـــطْـــرُ
سُـــطـــور لا يـــحـــيـــط بـــهـــنّ رَسْـــمُ
ولا يُـــحـــصـــي مـــعـــانـــيـــهـــنّ عِـــلـــمُ
إذا قـــرئـــت جـــمـــيـــعـــاً فـــهـــي نَـــظْـــمُ
وإنْ قـــرئـــت فـــرادى فـــهـــي نـــثـــرُ

(١) الدوح: مفردها دوحة، وهي الشجرة الكبيرة الممتدّة. الغُدْر: مفردها غدير، وهو النهر الصغير.

تـأرَّجُ كـلـمـا ٱقـتـربـت وتـزكـو
ويـجـمـعـهـا مـن الآفـاق سِـلـكُ[١]
تـشـاكـل مـا بـه، فـالـقـصـر فُـلْـكُ
عـلـى بـعـد لـنـا والـفُـلْـكُ قَـصْـرُ[٢]
ونـونٌ دونـهـا فـي الـبـحـر نـونُ
مـن الـبـسـفـور نـقّـطـهـا الـسَّـفـيـنُ
كـأنّ الـسُّـبْـل فـيـه لـنـا عـيـونُ
وإنـسـان الـسـفـيـنـة لا يَـقِـرُّ
هـنـالـك حـفّـت الـنـعـمـى خُـطـانَـا
وحـاطـتـنـا الـسـلامـة فـي حِـمـانَـا
فـألـقـيـنـا الـمـراسـي وٱحـتـوانَـا
بِـنـاءٌ لـلـخـلافـة مُـشْـمـخِـرُّ
فـيـا مَـنْ يـطـلـب الـمـرأى الـبـديـعَـا
ويـعـشـقـه شـهـيـداً أو سـمـيـعَـا
رأيـت مـحـاسـن الـدنـيـا جـمـيـعَـا
فـهـنّ الـواو والـبـسـفـور عَـمْـرُو

(١) تأرَّج: أي تتأرَّج والمعنى، تفوح بالأريج أو العطر. تزكو: تطيب، وتنمو.
(٢) تشاكل: تَشابَه.

الرّحْلَةُ إِلَى الأنْدَلُسِ

«لمّا وضعت الحربُ الشُّؤْمى أوزارَها[١]، وفضحها اللَّه بين خلقه وهَتَك إزارَها[٢] ورمَّ لهم ربوعَ السلم وجدّد مَزَارها[٣]، أصبحت وإذا العوادي[٤] مُقصرة، والدواعي غير مقصِّرة، وإذا الشوق إلى الأندلس أغلب، والنفس بحقّ زيارته أطلب، فقصدته من برشلونة وبينهما مسيرة يومين بالقطار المجدّ، والبخار المشتدّ، أو بالسفن الكبرى الخارجة إلى المحيط الطاوية القديم نحو الجديد من هذا البسيط[٥] فبلغَتْ النفسُ بمرآه الأرَب، واكتحلَتْ العينُ في ثراه بآثار العرب. وإنها لشتّى المواقع، مُتفرقة المطالع، في ذلك الفلك الجامع، يَسري زائرُها من حرم، كمَنْ يُمسي بالكرنك ويُصْبح بالهرم، فلا تقاربَ غير العِتْق والكرم: (طُلَيْطِلةَ) تُطِلُّ على جسرها البالي، (وأشبيلية) تُشبل[٦] على قصرها الخالي، (وقرطبة) مُنتبذة ناحية بالبيعةِ[٧] الغراءِ، (وغرناطة) بعيدةُ مَزار الحمراء، وكان البحتري رحمه اللَّهُ رفيقي في هذا الترحال، وسميري في الرّحال. والأحوال تصلح على الرجال، كل رجل لحال، فإنه أبلغُ مَنْ حَلّى الأثر، وحَيَّا الحجر، ونشر الخَبر، وحشَرَ العِبَر، ومَنْ قام في مأتم على الدول الكبَر، والملوكِ البهاليل الغُرر، عطف على (الجعفريّ) حين تَحمَّل[٨] عنه الملا، وعطَل من الحُلَى، ووكل بعد المتوكل للبِلى. فرفع قواعدَه في السِّيَر، وبنى رُكنه في الخبر، وجمع معالمه في الفِكَر، حتى عاد كقصور الخُلد امتلأتْ منها البصيرة وإن خلا البصر وتكفَّل بعد ذلك (لكسرى) بإيوانه، حتى زال عن الأرض إلى ديوانه، وسينيَّتُه المشهورةُ في وصفه، ليست دونه وهو تحت (كسرى) في رصِّه ورَصْفه[٩]، وهي تريك حسن قيامِ الشعر على الآثار، وكيف تتجدَّدُ الديار في بيوته بعد الاندثار. قال صاحب

(١) أوزار الحرب: آلاتها. (٢) الإزار: كل ما ستر الجسم.
(٣) المزار: أي الزيارة.
(٤) العوادي: يقال: عوادي الدهر، أي صوارفُه وعوائقُه.
(٥) البسيط: الأرض الواسعة. (٦) تُشبِل: تعطف.
(٧) البِيْعة: معبد اليهود والنصارى. (٨) تَحمَّل: ارتحل.
(٩) رصف: يقال: رصف الحجارة، أيّ ضمّها بعضاً إلى بعض.

الفتح القُسي في الفتح القدسي بعد كلام: فٱنظروا إلى إيوان كسرى وسينيَّةِ البحتري في وصفه، تجدوا الإيوان قد خرّت شعَفاته، وعُفّرت شرفاته، وتجدوا سينيَّة (البحتري) قد بَقِي بها (كسرى) في ديوانه، أضعافَ ما بَقي شخصُه في إيوانه وهذه السينيّة هي التي يقول في مطلعها»:

[من الخفيف]

صُنْتُ نَفْسي عَمَّا يُدنِّسُ نَفْسِي
وَتَرَفَّعْتُ عَنْ نَدَى كُلِّ جِبْسِ

والتي ٱتفقوا على أَنّ البديعَ الفردَ من أبياتها قوله:

والمَنَايا مَوَاثِلٌ وأنوشَر
وانَ يُزْجِي الجُيُوشَ تَحْتَ الدَّرَفسِ

فكنت كلما وقفتُ بحجر، أو أطفتُ بأثر، تَمثّلتُ بأبياتها، وٱسترحتُ من مواثل العبر إلى آياتها وأنشدت فيما بيني وبين نفسي:

وعظ البحتريَّ إيوانُ كسرى
وشَفَتني القصور من عبد شمسِ

ثم جعلت أروض القولَ على هذا الرويّ وأُعالجه على هذا الوزن حتى نظمت هذه القافية المُهَلهلة، وأتممت هذه الكلمة الريِّضة، وأنا أعرضها على القراء راجياً أَنْ سيلحظونها بعين الرضاء، ويسحبون على عيونها ذيلَ الإغضاء، وهذه هي:

[من الخفيف]

إختلافُ النّهار واللّيل يُنسي
أُذْكُرا لي الصّبا وأيامَ أُنسِي
وصِفا لي مُلاوةً من شبابٍ
صُوِّرت من تصورات ومَسِّ[1]
عصفتْ كالصِّبا اللعوبِ ومرَّتْ
سِنةً حُلوةً ولذة خَلْسِ[2]

---

(١) الملاوة: البرهة من الزمن.

(٢) الصَّبَا: ريح مهبها جهة الشرق. السِّنَة: النعاس. خَلْس: من خَلَس الشيء أي أخذه مخاتلة.

وسلا مصرَ هل سلا القلبُ عنها
أو أسا جُرحَه الزمانُ المؤسِّي (١)
كلما مرّتِ اللّيالي عليه
رقَّ والعهدُ في اللّيالي تُقسِّي (٢)
مُستَطارٌ إذا البواخِر رَنَّتْ
أولَ اللّيلِ أو عوتْ بعد جَرْسِ (٣)
راهبٌ في الضلوع للسفن فَطنٌ
كلما تُرن شاعَهنَّ بنَفسِ (٤)
يا ٱبنة اليمِّ ما أبوكِ بخيلٌ
ما له مولَعاً بمنعٍ وحبسِ (٥)
أحرامٌ على بلابله الدَوْ
حُ حلالٌ للطير من كل جِنسِ (٦)
كلُّ دار أحقُّ بالأهل إلَّا
في خبيثٍ من المذاهب رِجْسِ (٧)
نَفَسِي مِرْجَلٌ وقلبي شِراعٌ
بهما في الدموع سِيْرِي وأرسِي (٨)
وٱجعلي وجهَك (الفنارَ) ومجرَا
كِ يدَ (الثغر) بين (رمل) و(مكسِ)

(١) أسا الجرح: داواه. (٢) تُقسِّي: تجعله قاسياً.
(٣) مستطار: منتشر. رنَّت: رفعت الصوت. الجَرْس: الصوت.
(٤) الرَّاهب: المتعبد للّه، وهنا يشبه القلب بالراهب المتبتل. الفَطْن: الفطين أو صاحب الفطنة أي الحذق. النَّقس: ضرب الناقوس.
(٥) اليمّ: البحر.
(٦) الدوح: مفردها دوحة وهي الشجرة الكبيرة الممتدّة.
(٧) الرّجس: العمل القبيح.
(٨) المِرْجل: القِدْر يغلي.

وطـنـي لـو شُـغِـلْـتُ بـالـخـلـد عـنـه
نـازعـتـنـي إلـيـه فـي الـخـلـد نـفـسِـي
وهـفـا بـالـفـؤاد فـي سـلـسـبـيـلٍ
ظـمـأً لـلـسّـواد مـن (عـيـن شـمـسِ)(١)
شَـهـد الـلّـه لـم يَـغِـب عـن جـفـونـي
شـخـصـه سـاعـةً ولـم يَـخْـلُ حِـسّـي
يُـصـبـح الـفـكـرُ و (الـمـسـلـة) نـاد
يـه وبـالـسَّـرحـة (الـزكـيَّـة) يُـمـسِـي
وكـأنـي أرى الـجـزيـرةَ أيـكـاً
نَـغَـمـت طـيـره بـأرخـم جَـرسِ(٢)
هـي (بـلـقـيـسُ) فـي الـخـمـائـل صَـرْحٌ
مـن عـبـابٍ وصـاحـبٌ غـيـر نِـكـسِ(٣)
حـسـبـهـا أَنْ تـكـونَ لـلـنّـيـل عِـرسـاً
قـبـلـهـا لـم يُـجـنَّ يـومـاً بـعـرسِ
لـبـسـتْ بـالأصـيـل حُـلَّـةَ وشـيٍ
بـيـن صَـنْـعَـاء فـي الـثـيـاب وقَـسِّ(٤)
قـدّهـا الـنّـيـلُ فـاسـتـحـتْ فـتـوارتْ
مـنـه بـالـجـسـرِ بـيـن عُـريٍ ولُـبـسِ
وأرى الـنّـيـلَ كـالـعـقـيـق بـوادي
ـه وإنْ كـان كـوثـرَ الـمـتـحـسّـي(٥)

(١) هَفا: أسرع وانجذب، ويُقال: هفا الطائر أي خفق بجناحيه وطار. السّواد: أي القُرى والأرْيَاف المجتمعة حول البلدة.
(٢) الأيك: الشجر الكثيف الملتف. الجَرْس: الصوت.
(٣) الصّرح: البناء الضخم، أو القصر. العُباب: معظم السيل وكثرته. النِّكس: الرجل لا خير فيه.
(٤) صَنْعَاء: من كبريات مدن اليمن. قَسّ: موضع في مصر.
(٥) العقيق: كل مسيل ماء شقّه السيل، والمراد هنا عقيق المدينة، وهو معروف. المتحسّي: الشارب.

إبـنُ مـاءِ الـسـمـاءِ ذو الـمـوكـب الـفـخـ
ـم الـذي يَـحـسِـرُ الـعـيـونَ ويُـخـسِـي[١]
لا تـــرى فـــي ركـــابـــه غـــيـــر مُـــثـــنٍ
بـجـمـيـلٍ وشـاكـرٍ فـضـلَ عـرسِ
وأرى (الـجـيـزة) الـحـزيـنـة ثَـكْـلَـى
لـم تُـفـقْ بـعـد مـن مـنـاحـة (رمـسِـي)[٢]
أكـثـرتْ ضـجـة الـسـواقـي عـلـيـه
وسـؤالَ الـيـراع عـنـه بـهـمـسِ[٣]
وقـيـامَ الـنـخـيـل ضـفَّـرن شـعـراً
وتـجـرّدنَ غـيـر طَـوقٍ وسَـلْـسِ[٤]
وكـأنّ الأهـرام مـيـزانُ فـرعـو
ن بـيـوم عـلـى الـجـبـابـر نـحـسِ
أو قـنـاطـيـره تـأنَّـق فـيـهـا
ألـفُ جـابٍ وألـف صـاحـب مـكـسِ[٥]
روعـةٌ فـي الـضّـحـى مـلاعـب جـنٍّ
حـيـن يـغـشَـى الـدُّجـى حِـماهـا ويُـغـسِـي[٦]
و (رهـيـنُ الـرمـال) أفـطـسُ إلّا
أنـه صُـنْـع جِـنَّـة غـيـر فـطْـسِ[٧]

---

(١) يُخسي: يُتْعِب ويُكِلّ.
(٢) (رمسي): أي رمسيس.
(٣) اليراع: المعنى هنا القصب.
(٤) السَّلْس: يقال: سَلِسَت النخلة، أي ذهبت أصول سعفها.
(٥) جَابٍ: أي الجابي الذي يجمع الضريبة أو الخَراج. المكس: دراهم تؤخذ من البائع في الأسواق على مبيعاته.
(٦) يُغسي: يُظلم.
(٧) فُطْس: مفردها أفطس وهو الذي تطأمنت قصبة أنفه وآتسعت رقعتها على وجهه.

تتجلّى حقيقة الناس فيه
سَبُع الخلْق في أساريرِ إنسِي
لعِب الدهرُ في ثراه صبياً
والليالي كواعباً غير عُنْسِ[١]
ركِبت صُيّدُ المقاديرِ عينيـ
ـه لنَقْدٍ ومِخْلبيه لفَرْسِ[٢]
فأصابت به الممالكَ (كسرى)
و(هِرَقْلاً) و(العبقريّ الفرنسِي)
يا فؤادي لكلِّ أمرٍ قرارٌ
فيه يبدو وينجلي بعد لُبْسِ
عَقَلتْ لُجَّة الأمور عقولاً
كَالَتِ الحوتَ طولَ سبحٍ وغَسِّ[٣]
غَرِقَتْ حيث لا يُصاح بطافٍ
أو غريقٍ ولا يُصاخ لحسِّ
فلكٌ يكسِف الشموسَ نهاراً
ويسومُ البدورَ ليلةَ وَكْسِ[٤]
ومواقيتُ للأمور إذا ما
بَلغتْها الأمورُ صارتْ لِعكسِ
دولٌ كالرجال مرتهناتٌ
بقيام من الجدود وتَعْسِ
ولياليٍ من كلِّ ذاتِ سِوار
لطَمت كلَّ ربِّ (رومٍ) و(فرسِ)

---

(١) عُنس: مفردها عانس، وهي الفتاة التي أدركت وطال مكثها عند أهلها ولم تتزوج.
(٢) صُيَّد: مفردها صائد.
(٣) عَقَلَتْ: قيّدتْ. الغَسّ: يقال: غَسّ في البلد غسّاً، أي دخل فيها ومضى قُدماً.
(٤) ليلة وكْس: أي ليلة نحس، ويقال: ليلة دخول القمر في نجم منحوس.

سـدّدت بـالـهـلال قـوسـاً وسـلّـت
خـنـجـراً يـنـفـذان مـن كـل تـرسِ
حـكـمَـتْ فـي الـقـرون (خـوفـو) و(دارَا)
وعـفـت (وائـلاً) وألـوت (بـعَـبـسِ)(١)
أيـن (مـروانُ) فـي الـمـشـارق عـرشٌ
أمـويٌّ وفـي الـمـغـارب كـرسِـي(٢)
سَـقِـمَـتْ شـمـسُـهـم فـردَّ عـلـيـهـا
نـورَهـا كـلُّ ثـاقـب الـرأي نَـطْـسِ(٣)
ثـم غـابـتْ وكـل شـمـسٍ سـوى هـاتـيـ
ـك تَـبْـلَـى وتَـنـطـوي تـحـت رمـسِ(٤)
وعـظ (الـبـحـتـريَّ) إيـوان (كـسـرى)
وشـفـتـني الـقـصـورُ مـن (عـبـد شـمـسِ)(٥)
رُبَّ لـيـلٍ سـريـتُ والـبـرقُ طِـرْفـي
وبِـسـاطٍ طـويـتُ والـريـحُ عَـنـسِـي(٦)
أنـظِـمُ الـشّـرق فـي (الـجـزيـرة) بـالـغـر
ب وأطـوي الـبـلادَ حَـزْنـاً لـدهـسِ(٧)
فـي ديـارٍ مـن الـخـلائـف دَرْسٍ
ومـنـارٍ مـن الـطـوائـف طـمـسِ(٨)

---

(١) عَفَتْ: درسَت وامّحت. (٢) كرسي: أي عرش الملك.
(٣) نَطْس: عالم. (٤) الرّمس: القبر.
(٥) شَفَتْني: أي وعظتني وعظاً شافياً كما وعظ (البُحتريَّ) إيوانُ (كسرى).
(٦) الطِّرْف: المقصود هنا الكريم من الخيل، أي كريم الطَّرَفَيْن من الأب والأم. العَنْس: الناقة القوية.
(٧) الحَزْن: ما غلظ من الأرض. الدَّهْس: المكان السهل.
(٨) الخلائف: مفردها خليفة. في ديارٍ دَرْسٍ: أي ديار امّحت معالمها من أراضي الخلائف. الطوائف: مفردها طائفة، وهي الجماعة من الناس. ومنارٍ طَمْس: علم يوضع في الطريق لإرشاد المسافرين قد طُمس أي زال أثره.

ورُبىً كالجنان في كنفِ الزيـ
ـتون خضرٍ وفي ذَرَى الكَرْم طُلْسِ(١)
لم يَرُعْني سوى ثرًى قرطبيٍّ
لمسَتْ فيه عِبرة الدّهر خمسِي
يا وقى اللَّهُ ما أُصبِّح منه
وسَقَى صَفْوَة الحيا ما أُمسِّي
قرية لا تُعدّ في الأرض كانت
تمسك الأرضَ أَنْ تَميدَ وتُرْسِي
غَشيَتْ ساحلَ المحيط وغطّتْ
لُجَّةَ الروم من شراعٍ وقلْسِ(٢)
ركِب الدهرُ خاطري في ثراها
فأتى ذلك الحِمى بعد حَدْسِ(٣)
فتجلَّتْ ليَ القصورُ ومَنْ فيـ
ـها من العزِّ في منازلَ قُعْسِ(٤)
ما ضَفت قط في الملوكِ على نذ
ل المعالي ولا تردّت بنَجْسِ(٥)
وكأني بلغتُ للعلم بيتاً
فيه مال العقول من كل درسِ
قُدُساً في البلاد شرقاً وغرباً
حَجَّهُ القَوْمُ من فقيهٍ وقَسِّ
وعلى الجمعةِ الجلالة و (النا
صرُ) نور الخميس تحت الدَّرفسِ(٦)

(١) طُلْس: مفردها أطلس، وهو ما كان لونه أسود تخالطه غبرة.
(٢) القلْس: حبل السفينة.
(٣) الحدْس: يقال: حَدَس في سيره، أي سار على غير هداية.
(٤) القعس: مفردها قعساء، أي ثابتة. (٥) ضَفَتْ: اتّسَعَتْ.
(٦) الخميس: الجيش. الدَّرَفس: الراية الكبيرة.

يُـنـزل الـتـاجَ عـن مـفـارق (دونٍ)
ويُـحـلّـي بـه جـبـيـنَ (الـبـرنـسِ)
سِـنَـةٌ مـن كـرًى وطـيـفُ أمـانٍ
وصـحـا الـقـلـبُ مـن ضـلال وهَـجْـسِ[١]
وإذا الـدارُ مـا بـهـا مـن أَنِـيـسٍ
وإذا الـقـومُ مـا لـهـم مـن مُـحِـسِّ[٢]
ورقـيـقٍ مـن الـبـيـوت عـتـيـقٍ
جـاوزَ الألـفَ غـيـرَ مـذمـوم حَـرْسِ[٣]
أثـرٌ مـن (مـحـمـدٍ) وتُـراثٌ
صـار (لـلـروح) ذي الـولاء الأمـسِّ[٤]
بَـلَـغَ الـنّـجْـمَ ذِرْوةً وتـنـاهـى
بـيـن (ثـهْـلان) فـي الأسـاس و (قـدسِ)[٥]
مـرمَـرٌ تـسـبَـحُ الـنـواظـر فـيـه
ويَـطُـول الـمـدى عـلـيـهـا فـتـرسِـي
وسَـوَارٍ كـأنـهـا فـي اسـتـواءٍ
أَلِـفَـاتُ الـوزيـر فـي عـرض طِـرْسِ[٦]
فَـتـرَةُ الـدهـر قـد كـسـت سَـطـرَيْـهـا
مـا اكـتـسـى الـهُـدْبُ مـن فُـتـورٍ ونَـعْـسِ[٧]

(١) سِنَة: نعاس. كرى: نوم. الهَجْس: كل ما يقع في خلد الإنسان من هواجس أي من خواطر وأسرار.
(٢) مُحِسّ: من يُحاس به، أي يخالطه ويعاشره.
(٣) الحَرْس: الدهر، يقال: «مضى عليه حَرْسٌ» أي دهر.
(٤) الأمسّ: الأقرب.
(٥) ثهلان: اسم جبل. قُدس: اسم جبل بنجد.
(٦) السواري: مفردها سارية وهي العمود على ظهر السفينة. أَلِفات: أي حرف الأَلِف. الوزير: هو الوزير محمد بن مُقْلَة (٨٨٦ ـ ٩٤١م) المشهور بجودة خطه. الطرس: الورق.
(٧) سَطَرَيْهَا: من السّطْر أو السَّطَر ويعني الصف من الشيء، أي صَفَّيْهَا.

ويحها كم تزيَّنت لعليم
واحد الدهر وٱستعدّت لخمسِ[١]
وكأنّ الرفيفَ في مسرح العيـ
ـن مِلاءٌ مُدَنَّرات الدِّمَقْسِ[٢]
وكأنّ الآياتِ في جانبيه
يَتَنزّلنَ من معارج قُدْسِ[٣]
مِنْبرٌ تحت (مُنذرٍ) من جلالٍ
لم يزل يكتسيه أو تحتَ (قُسِّ)[٤]
ومكانُ الكتاب يُغريك رَيَّا
ورْدِهِ غائباً، فتدنو لِلَمْسِ[٥]
صَنْعة (الداخل) المبارك في الغر
ب وآلٍ له ميامينَ شُمْسِ[٦]

❊ ❊ ❊

مَنْ (لِحَمْراءَ) جُلِّلَت بغُبار الدَّهر كالجُرح بين بُرْءٍ ونُكسِ
كسنا البرق لو محا الضوءُ لحظاً
لمحتها العيون من طول قَبْسِ
حِصن (غرناطة) ودارُ بني (الأحـ
ـمر) من غافلٍ ويقظان نَدْسِ[٧]

---

(١) المقصود بالبيت: كَمْ تزيّنت لفاهم عالم وٱستعدّت لإقامة الصلوات الخمس.
(٢) الرّفيف: السقف. الدّمقس: الحرير.
(٣) المعارج: مفردها مِعْراج أو مِعْرج، وهو السُّلّم.
(٤) (منذر): قاضي أندلسي عُرف بالعدل. (قُسّ): هو قُس بن ساعدة الخطيب المشهور، ومن أقواله: «البيّنة على من ٱدعى واليمين على مَنْ أنكر».
(٥) رَيَّا ورده: أي عطر ورده.
(٦) (الداخل): هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الملقّب بالداخل، وهو مؤسس الدولة الأموية بالأندلس. الشُّمْس: الأباة.
(٧) النَّدْس: الفهم.

جـلَّـل الـثـلـجُ دونـهـا رأسَ (شِـيـري)
فـبـدا مـنـه فـي عـصـائـبَ بِـرسِ[١]
سَـرمـدٌ شـيْـبُـه ولـم أر شـيـبـاً
قـبـلـه يُـرجـئ الـبـقـاءَ ويُـنـسِـي
مـشـت الـحـادثـاتُ فـي غُـرَف (الـحـمـ
ـراء) مَـشْـيَ الـنَّـعِـيِّ فـي دار عُـرْسِ
هـتـكَـتْ عـزَّةَ الـحـجـابِ وفـضَّـتْ
سُـدّةَ الـبـاب مـن سـمـيـر وأُنـسِ
عَـرَصـات تـخـلّـتِ الـخـيـلُ عـنـهـا
وٱسـتـراحـت مـن احـتـراسٍ وعَـسِ[٢]
ومَـغـانٍ عـلـى الـلّـيـالـي وِضَـاءٌ
لـم تَـجـدْ لـلـعَـشـيِّ تَـكـرارَ مَـسِّ
لا تـرى غـيـرَ وافـديـن عـلـى الـتـا
ريـخ سـاعِـيـنَ فـي خـشـوع ونَـكـسِ
نـقَّـلـوا الـطـرفَ فـي نـضـارَةِ آسٍ
مـن نـقـوشٍ وفـي عُـصـارة وَرْسِ[٣]
وقِـبـابٍ مـن لا زَوَرْدٍ وتِـبـرٍ
كـالـرُّبـى الـشُّـمِّ بـيـن ظِـلٍّ وشـمـسِ
وخـطـوطٍ تـكـفّـلـت لـلـمـعـانـي
ولألـفـاظـهـا بـأزيـن لـبْـسِ
وتـرى مـجـلـس الـسـبـاع خَـلاءً
مُـقْـفَـرَ الـقـاع مـن ظـبـاءٍ وخُـنْـسِ

(١) عصائب بِرس: أي عصائب بيض كالقطن.
(٢) العَسّ: الحراسة ليلاً.
(٣) الوَرْس: نبات كالسمسم أصفر، يُصبغ به ويُؤخذ منه الزعفران.

لا الـــثـــريَّـــا ولا جـــواري الـــثـــريَّـــا
يـــتـــنـــزَّلْـــنَ فـــيـــه أقـــمـــارَ إنـــسِ
مَـــرْمَـــرٌ قـــامـــت الأســـودُ عـــلـــيـــه
كَـــلَّـــةَ الـــظـــفْـــر لـــيِّـــنـــات الـــمـــجَـــسِّ
تـــنـــثـــر الـــمـــاءَ فـــي الـــحـــيـــاض جـــمـــانـــاً
يَـــتَـــنَـــزَّى عـــلـــى تـــرائـــبَ مُـــلْـــسِ
آخـــرَ الـــعـــهـــد بـــالـــجـــزيـــرة كـــانـــت
بـــعـــد عَـــرْكٍ مـــن الـــزمـــان وضَـــرْسِ[١]
فـــتـــراهـــا، تـــقـــولُ: رايـــةُ جـــيـــشٍ
بـــادَ بـــالأمـــس بـــيـــن أســـر وَحَـــسِّ[٢]
ومـــفـــاتـــيـــحـــهـــا مـــقـــالـــيـــدُ مُـــلْـــكٍ
بـــاعـــهـــا الـــوارثُ الـــمـــضِـــيـــعُ بـــبـــخْـــسِ
خـــرج الـــقـــومُ فـــي كـــتـــائـــبَ صُـــمٍّ
عـــن حِـــفَـــاظٍ كـــمـــوكـــب الـــدفـــنِ خُـــرْسِ[٣]
ركِـــبـــوا بـــالـــبـــحـــار نـــعـــشـــاً وكـــانـــت
تـــحـــت آبـــائـــهـــم هـــي الـــعـــرش أمـــسِ
رُبَّ بـــانٍ لـــهـــادمٍ وجَـــمُـــوعٍ
لِـــمُـــشِـــتٍّ ومُـــحْـــسِـــنٍ لـــمُـــخِـــسِّ
إمـــرَة الـــنـــاس هِـــمَّـــةٌ لا تـــأتَّـــى
لـــجـــبـــانٍ ولا تَـــسَـــنَّـــى لـــجِـــبْـــسِ[٤]
وإذا مـــا أصـــاب بُـــنـــيـــانَ قـــوم
وَهْـــيُ خُـــلـــق فـــإنَّـــه وَهْـــيُ أسِّ

(١) الضَّرْس: هو اشتداد الأمر، كأن يقال: «ضرسه الدهر» أي اشتد عليه.
(٢) الحسّ: القتل.
(٣) الحِفاظ: الزود عن المحارم.
(٤) الجِبْس: الجبان.

يـا ديـاراً نـزلـتُ كـالـخـلـد ظِـلّاً
وجَـنـىً دانِـيـاً وسـلـسـال أُنـسِ
مـحـسِـنـاتِ الـفـصـولِ لا نـاجِـرٌ فـيـ
ـهـا بـقـيـظٍ ولا جُـمـادى بِـقَـرسِ[1]
لا تـحِـسُّ الـعـيـونُ فـوق رُبـاهـا
غـيـرَ حـورٍ حُـوِّ الـمـراشـف لُـعْـسِ[2]
كُـسِـيَـت أفـرُخـي بـظـلـك رِيـشـاً
وَرَبـا فـي ربـاك وٱشـتـدّ غـرسِـي
هـم بـنـو مـصـر لا الـجـمـيـلُ لـديـهـم
بـمـضـاعٍ ولا الـصـنـيـعُ بِـمُـنْـسِـي
مـن لـسـانٍ عـلـى ثـنـائـك وقْـفٍ
وجَـنـانٍ عـلـى ولائـك حَـبْـسِ
حـسـبـهـم هـذه الـطـلـولُ عِـظـاتٍ
مـن جـديـد عـلـى الـدهـور ودَرْسِ
وإذا فـاتـك الـتِـفَـاتٌ إلـى الـمـا
ضـي فـقـد غـاب عـنـك وجـهُ الـتـأسّـي

(١) النّاجر: كناية عن أي شهر من شهور الصيف. القَرْس: البرد.
(٢) الحُوْر: مفردها حوراء، وهي المرأة صاحبة العين التي يشتدّ بياض بياضها وسواد سوادها. حُوّ المراشف: أي سمر الشفاه. لُعْس: مفردها لعساء، وهي التي على شفتها سَوادٌ مستحسن.

كُوكْ صُو

[من الوافر]

«وقال يصف (كوك صو) وهو موقع جميل في الآستانة العليّة، ومعنى اللَّفظين اللَّذين سمّي بهما (ماء السماء)»:

تحيَّةَ شاعرٍ يا ماءَ (جَكْسُو)
فليس سواكَ للأرواح أُنْسُ
فَدَتْكَ مياهُ (دِجلةَ) وهي سَعْدٌ
ولا جُعلَتْ فداءَك وهي نحسُ
وجاءَك ماءُ (زمزمَ) وهو طهْرٌ
وأمواهٌ على (الأرْدُنِّ) قدسُ
وكان (النّيلُ) يُعْرس كلَّ عامٍ
وأنتَ على المدى فَرَحٌ وعُرسُ
وقد زَعَموه للنّاداتِ رَمْساً
وأنت لِهَمِّهنَّ الدهرَ رَمْسُ
ورَدْنَك كوثراً وسَفَرْنَ حُوراً
وهل بالحور إنْ أسْفرنَ بأسُ
فقل للجانحِين إلى حجابٍ
أتُحْجَبُ عن صنيع اللَّه نَفْسُ
إذا لم يستر الأدبُ الغواني
فلا يُغني الحريرُ ولا الدِّمقسُ
تأمل هل ترى إلّا جلالاً
تُحِسُّ النفسُ منه ما تُحِسُّ

كـــأنّ الـــخـــود (مـــريـــم) فـــي ســـفـــورٍ
ورائـــيـــهـــا حـــواريٌّ وقَـــسُّ[١]
تَـــهـــيَّـــبـــهـــا الـــرجـــال فـــلا ضـــمـــيـــرٌ
يـــهِـــمُّ بـــهـــا ولا عـــيـــنٌ تـــحِـــسُّ
غَـــشـــيـــتُـــكَ والأصـــيـــلُ يـــفـــيـــض تـــبـــراً
ويَـــنْـــسُـــجُ لـــلـــرُّبـــى حُـــلـــلاً ويـــكـــسُـــو
وتَـــذهـــب فـــي الـــخـــلـــيـــج لـــه وتـــأتـــي
أنـــامـــلُ تَـــنـــثـــر الـــعِـــقْـــيـــانَ خَـــمْـــسُ[٢]
وفـــي جـــيـــد الـــخـــمـــيـــلـــةِ مـــنـــه عِـــقْـــدٌ
وفـــي آذانـــهـــا قـــرطٌ وسَـــلْـــسُ[٣]
ولألأت الـــجـــبـــالُ فَـــضَـــاءَ ســـفـــحٌ
يـــســـرُّ الـــنـــاظـــريـــن ونَـــارَ رأْسُ
عـــلـــى فُـــلْـــك تـــســـيـــر بـــنـــا الـــهُـــوَيْـــنَـــا
زوارق حـــولـــنـــا تـــجـــري وتـــرســـو
لـــهـــا فـــي الـــمـــاء مـــنـــســـابٌ كـــطـــيـــر
تُـــسِـــفُّ عـــلـــيـــه أحـــيـــانـــاً وتَـــحْـــســـو[٤]
صـــغـــارُ الـــحـــجـــم مـــرهَـــفـــة الـــحـــواشـــي
لـــهـــا عُـــرفٌ إذا خـــطـــرتْ وجـــرسُ[٥]
إذا الـــمِـــجْـــداف حـــرّكـــهـــا ٱطـــمـــأنـــتْ
وإنْ هـــو لـــم يُـــحـــرك فـــهـــي رَعْـــسُ[٦]

---

(١) الخَوْد: المرأة الشابة.
(٢) العِقيان: الذهب الخالص. أناملُ خَمْسُ: كناية عن اليد.
(٣) الخميلة: الشجر الكثيف الملتف. السَّلْس: القرط من الحلي.
(٤) تُسِفّ: من أسف الطائر، أي طار على وجه الأرض.
(٥) العُرف: هو التاج على رأس الديك. الجَرْس: الصوت.
(٦) رَعْس: من رَعَس المرء، إذا مشى على مهل.

وإنْ هــو جــدَّ فــي الــمــاء آنــسـيــابــاً
فــكــل طــريــقــه وتــرٌ وقــوسُ
حَـمَـلْـن الـلـؤلـؤَ الـمـنـثـورَ عِـيـنـاً
كـمـا حَـمَـلَـت حـبـابَ الـراح كـأسُ (١)
كــأنّ ســوافِــرَ الــغــاداتِ فــيــهــا
مــلائــك هَــمُّــهــا نَــظــرٌ وهَــمْــسُ (٢)
كــأنّ بــراقــع الــغــاداتِ تــهــفــو
عــلــى وجــنــاتــهــا غــيــمٌ وشــمــسُ
كــأنّ مــآزِرَ الــعِــيــنِ انــتــســابــاً
زهــورٌ لا تُــشــمُّ ولا تُــمَــسُّ (٣)
إذا نُــشِــرتْ فــريــحــان وورْدٌ
وإنْ طُــويــتْ فــنــســريــنٌ ووَرسُ
عــجــبــتُ لــهــنّ يَــجْــمــعــهــنّ حــســنٌ
ولــكــن لــيــس يــجــمــعــهــنّ لُــبــسُ
فــكــان لــنــا بــظــلِّــك خــيــرُ وقــتٍ
وخــيــرُ الــوقــت مــا لــك فــيــه أُنْــسُ
تُــمَــتِّــعُ مــنــك يــا (جَــكْــسُــو) نــفــوســاً
بــهــا مــن دهــرهــا هــمّ وبــؤسُ
إلــى أَنْ بَــانَ ســرُّك فــآنــثــنــيــنــا
وقــد طُــوِيَ الــنــهــارُ ومــات أمــسُ

(١) العِيْن: مفردها عيناء، وهي المرأة التي وسعت عينها وعظم سوادها.
(٢) السوافر: مفردها سافرة، وهي التي كشفت عن وجهها.
(٣) المآزر: مفردها إزار وهو كل ما ستر الجسم.

كلابُ الآسِتانَة

«وقال في كلاب الآستانة وكان يضرب بها المثل في الكثرة والقذارة»:

[من الكامل]

قالوا (فروقُ) الملك دارُ مخاوفٍ
لا ينقضِي لنزيلها وسواسُ
وكلابُها في مأمنٍ فأعجب لها
أمِنَ الكلابُ بها وخافَ الناسُ

أَنَسُ الْوُجُود

«إلى المستر روزفلت الرئيس الأسبق للولايات المتحدة»:

أتأذن لرجلٍ تعوّد أَنْ يخرجَ عن دائرة (الموظف) كلما عَرَضَتْ حالٌ يخدِم الوطنَ فيها الرِّجالُ أن يرفع لشعرِه ذكره، ويُشرِّف قدرَهُ، مُهدياً إليكَ منه هذه القصيدة في لغة (الضّاد)، وهي مما قلتُ في (أنس الوجود) ذلك الأثر المُحتضِر، الذي جمع العِبَرَ، ومحاه الدّهرُ أو كاد، وكان إحدى آياتِه الكبرى هياكل «لفرعون» و«بطليموس» توارثها عن «الكهنة» و «القُسُوس» وصارت «للمسيح» وكان «لهوروس» ثم ظهر «الأذانُ» فيها على «الناقوس»، ثم لا تكون عشيَّة أو ضحاها حتى يهوي في الماء كلُّ حجر كان يُقبَّل (كالأَسْوَد)[1] وكل ركنٍ كان يُستلم «كالحطيم»[2]. شهِدتُ على «أنس الوجود» ما يُعلِّم الإنسانَ ـ ولو أَنّه (روزفلت) علماً وحكمةً وأدباً ـ كيف يحتقرُ الدُّنيا ويحترم الدين جميعاً.

دخلتُه ذات يوم وكان «الدوق أوف كونوت» لديه يتمشَّى في ظلاله، ويتنقَّل بين رسومه وأطلالِه، عيناه ونفسه في إكباره وإجلاله، فكانت مني التفاتة فرأيته «فلّاحاً» قد أقبل ثم ألقى عباءته وتوجَّه يُصلي «العصر» غير مُلقٍ بالاً «لفرعون» كيف كان يَعبد ويُعبد، ولا «لبطليموس» كيف كان يُعظَّم ويُمجَّد، ولا للمسيحية السمحةِ كيف دخلت على «الوثنيَّة» المعبد، ولا «للملكِ إدوارد» الذي تحتل جنوده الآن مصر وهو في ثيابِ أخيه «الدوق» يرفع البصرَ ويُسدِله ممتلئاً من آيات الدهر مهابة وإعجاباً، مشتغلاً بالتاريخ القائِم المجسَّم، يقرؤه كتاباً كتاباً. دِينٌ سهلٌ سمحٌ يَسَرٌ، وإلهٌ واحدٌ يُعبد حيث وُجِدَ العابد، على العَراءِ كما في الهياكل، والكنائس والمساجد.

التاريخ (أيها الضيفُ العظيم) غابرٌ متجدِّد، قديمه مِنوال، وحاضِرُه مِثال، والغد بيد اللَّه المتعال. وأنت اليوم تمسي فوق مَهد الأعصُر الأول، ولحد قواهر الدول، أرضٌ اتخذها «الإسكندر» عريناً، وملأها على أهلها «قيصرُ» سفيناً، وخلَّف «ابن العاص» فيها لساناً وجنساً وديناً، فكان أعظمَ المستَعمرين حقيقة وأكبرَهم يقيناً، وهو الذي لم يُعلم عليه أَنّه بغى أو ظلم أو سفك الدَّمَ أو نهى أو أمر، إلّا بين

(١) (الأسود): هو الحجر الأسود في الكعبة.
(٢) الحطيم: جدار حجر الكعبة، ويقال: ما بين الركن وزمزم والمقام.

الرجاء والحذر، من عدل «عمر»، الذي تُنْبِيك عنه السِّيَر.

قمتَ (أيها الضيف العظيم) في السودان خطيباً فأنصتَ العَصْر، وٱلتَفَتَتْ مصر، وأقبل أهلها بعضُهم على بعض يتساءلون كيف خالف الرئيس سُنَّة الأحرار من قادة الأمم وساسة الممالك أمثاله، فطارد الشعورَ وهو يهُبُّ، والوجدانَ وهو يشُبُّ، والحياةَ وهي تَدِبُّ، في هذا الشعب، ومن حُرمة العواطف السامية، ألَّا تُطارد كأنها وحوشٌ ضارية، على صحراء أو بادية، كما طارَدْتَ السباع بالأمس نقماً من طبائعها الجافية.

المصريُّ (أيُّها الضيف العظيم) سَمْحٌ كريم كثير التجاوز، فقد ظفِرتَ بِمَنْ مهَّد عُذْرك، ونَفَى الظنّ عن كرمك، وٱدّخرَ وُدّك، الذي تخطبه الأممُ المستضعفة، والشعوب المتلهفة، المتشوِّقة إذ قيل: إنما أراد الرئيس أَنْ يمدح دِيناً من حقه أَنْ يُمدح بكل لسان، وفي كل مكان، فكيف به في بعض معاهده في السودان. وأراد كذلك أَنْ يحذِّر من الفتنة في الجيوش، ويَنْهى عن إيقاظها، ويذكر للمحسن من الحكام ما رأى أو سمع من حسناته، ويدعو هذه الأمّة التي حركتُها المستقبلة في السكون إلى العمل في ظلِّ الحق والصبر بإذن اللَّه مضمون، ومستقبل بمشيئة اللَّه مأمون، وقديماً فاز بالصبر الصابرون.

فإن كان ذلك (أيُّها الضيف العظيم) ـ وهو ما لا نعتقِد غيرَه ـ فمثلك من نصحَ للأمم، وبعث العزائمَ والهمم، وعلَّم باللسان والقلم.

على أَنّنا نرجو أَنْ ستذكرنا عند قومك الكرام الأحرار بما أَنْتم جميعاً أهله، وأنْ ستعطينا عهدَك، وتُصفينا ودّك، وتملأ من أجمل الظنون وأحسنِها بُرْدك، يوم تُقِلّ السفينة عظمتَك ومَجْدَك، وتنقِل من أقصى البروج إلى أقصاها سعدك.

[من البسيط]

عـلـى يـد الـلَّـه تـجـري إنْ هـي ٱنـدفـعـت
وفـي حِـمَـى الـلَّـه لا فـي الـمـاء تَـحـتـجِـبُ

❊ ❊ ❊

[من الخفيف]

أيّـهـا الـمُـنْـتـجِـي (بـأسـوانَ) داراً
كـالـثُّـريَّـا تـريـد أَنْ تـنـقـضَّـا
إخـلـع الـنـعـلَ وٱخـفِـض الـطَّـرفَ وٱخـشـعْ
لا تـحـاول مـن آيـةِ الـدَّهـر غَـضَّـا
قِـفْ بـتـلـكَ (الـقـصـورِ) فـي الـيـمِّ غـرْقـى
مُـمـسـكـاً بـعـضُـهـا مـن الـذعـر بـعـضَـا

كعذارى أخْفيْنَ في الماءِ بَضًّا
سابحاتٍ به وأبديْنَ بَضَّا[١]
مُشرفاتٍ على الزوالِ وكانتْ
مُشرفاتٍ على الكواكبِ نهْضَا
شابَ من حولها الزمان وشابتْ
وشبابُ الفنونِ ما زال غضَّا
رُبَّ نقش كأنما نَفض الصا
نعُ منه اليدين بالأمسِ نَفْضَا
ودهانٍ كلامع الزيتِ مرَّتْ
أعْصُرٌ بالسراجِ والزيت وُضَّا[٢]
وخطوطٍ كأنها هُدْبُ ريم
حسُنتْ صَنعة وطُولاً وعَرْضَا[٣]
وضحايا تكاد تمشي وترعى
لو أصابت من قدرةِ اللَّه نبْضَا
ومحاريب كالبروج بَنَتْها
عَزَماتٌ من عَزْمة الجنّ أمضَى[٤]
شيَّدتْ بعضها الفراعين زُلفى
وبنى البعضَ أجنبٌ يترضَّى[٥]
ومقاصيرَ أُبدِلتْ بفُتات الـ
ـمسكِ تراباً وباليواقيت قضَّا[٦]
حَظُّها اليومَ هَدّةٌ وقديماً
صُرفتْ في الحظوظ رَفعاً وخَفْضَا

(١) البَضّ: رقيق الجلد ناعمه، والمقصود هنا الجسد.
(٢) وُضَّا: أي وُضَّاء. (٣) الرّيم: الغزال.
(٤) أمْضى: أي أكثر مضاء أو أحَدّ. (٥) زُلفى: قربى. يَترضى: يطلب الرّضا.
(٦) القَضّ: صغار الحَصَى.

سَقت العالمين بالسَّعد والنّحـ
ـس إلى أَنْ تعاطت النحس مَحْضَا[1]
صنعةٌ تُدهِش العقول وفنٌّ
كان إتقانُه على القومَ فَرْضَا

❊ ❊ ❊

يا قصوراً نظرتُها وهي تَقضي
فسكبتُ الدموعَ والحقُّ يُقضَى[2]
أنتِ سَطرٌ ومجدُ مصرَ كتابٌ
كيف سامَ البِلى كتابَك فضَّا
وأنا المحْتَفِي بتاريخ مصرٍ
مَنْ يَصُنْ مجدَ قومِه صانَ عِرْضَا
رُبَّ سرٍّ بجانبيْك مزالٍ
كان حتى على (الفراعين) غمضَا
قل لها في الدعاءِ لو كان يجدي
يا سماءَ الجلالِ لا صرتِ أرْضَا
حارَ فيك المهندسون عقولاً
وتوَّلتْ عزائمُ العِلمِ مَرْضَى
أين مللكٌ حيالَها وفريدٌ
من نظام النعيم أصبح فضَّا[3]
أين فرعون في المواكبِ تَتْرَى
يُركضُ المالكين كالخيْل رَكْضَا
ساق للفتح في الممالكِ عَرْضاً
وجَلَا للفَخارِ في السِّلم عَرْضَا

(١) المحض: الخالص. (٢) تَقْضِي: تَفْنى.
(٣) فَضّ: أي مفضوض أو مُتَفَرِّق.

أيــن (إيــزيــس) تــحــتَــهــا الــنِّــيــلُ يَــجْــرِي
حــكــمــتْ فــيــه شــاطِــئــيــن وعَــرْضَــا
أسْــدَلَ الــطــرفَ كــاهــنٌ ومــلــيــكٌ
فــي ثــراهــا وأرســلَ الــرأسَ خَــفْــضَــا
يُــعــرَض الــمــالــكــون أسْــرَى عــلــيــهــا
فــي قــيــودِ الــهــوانِ عــانِــيــنَ جَــرْضَــى[١]
مــا لــهــا أصــبــحــتْ بــغــيــرِ مُــجــيــرٍ
تَــشــتــكــي مــن نــوائــبِ الــدهــرِ عــضَّــا
هــي فــي الأسْــرِ بــيــن صــخْــرٍ وبــحــر
مَــلْــكــة فــي الــسِّــجــونِ فــوقَ حَــضَــوْضَــى[٢]
أيــن (هــوروسُ) بــيــن ســيــفٍ ونــطــعٍ
أبــهــذا فــي شــرعــهــمُ كــان يُــقــضَــى
لــيــت شــعــري قَــضــى شــهــيــدَ غــرام
أم رَمــاه الــوشــاةُ حــقْــداً وبُــغــضَــا
رُبَّ ضَــربٍ مــن سَــوْط فــرعــون مَــضٍّ
دون فــعــل الــفــراق بــالــنــفــس مــضَّــا[٣]
وهــــلاكٍ بــســيــفــه وهــو قــانٍ
دون ســيــف مــن الــلــواحــظِ يُــنــضَــى[٤]
قــتــلــوه فــهــل لــذاك حــديــثٌ
أيــن راوي الــحــديــث نــشــراً وقَــرْضَــا

❊ ❊ ❊

(١) جَرْضَى: مفردها جريض وهو الشديد الهَمّ والغَمّ.
(٢) حَضَوْضَى: جبل في البحر.
(٣) مضّ: موجع.
(٤) يُنضى: من نضا السيف أي سلّه.

يـا إمـامَ الـشـعـوب بـالأمـس والـيـو
م سـتُـعـطـى مـن الـثـنـاء فَـتَـرضَـى
(مـصـرُ) بـالـنـازلـيـن مـن سـاح (مَـعْـنٍ)
وجِـمَـى الـجـود (حـاتـم) الـجـود أفْـضَـى[١]
كـنْ ظَـهـيـراً لأهـلـهـا ونـصـيـراً
وٱبـذل الـنـصـحَ بـعـد ذلـك مَـحْـضَـا[٢]
قـل لـقـومٍ عـلـى (الـولايـات) أيـقـا
ظٍ إذا ذاقـت الـبـريَّـةُ غُـمْـضَـا
شـيـمـة الـنِّـيـل أَنْ يَـفِـي وعـجـيـبٌ
أحـرجـوه فـضـيَّـع الـعـهـدَ نـقْـضَـا
حـاشـه الـمـاء فـهـو صَـيْـدٌ كـريـمٌ
لـيـت بـالـنِّـيـل يـوم يـسـقـط غَـيْـضَـا[٣]
شِـيـد والـمـالُ والـعـلـومُ قـلـيـلٌ
أنـقـذوه بـالـمـال والـعـلـم نـقْـضَـا[٤]

(١) (مَعْن): هو معن بن زائدة من كرام وشجعان العرب، تَولّى بلاد خراسان أيام المنصور. (حاتم): هو حاتم الطائي الشهير بالكرم.
(٢) كن ظهيراً: كن نصيراً.
(٣) حاشه: أبعده أو أخرجه في كل مكان. الغَيْض: القليل من كل شيء أو النقص.
(٤) النقض: الانتكاث.

الـــنَّـــفْـــسُ

«الرئيس ابن سينا» : [من الكامل]

هـبـطَـتْ إلـيـك مـن الـمـحـلّ الأرفـعِ
ورقـــاءُ ذاتُ تـــعـــزُّزٍ وتـــمـــنُّـــعِ
مـحـجـوبـةٌ عـن كـل مـقـلـة عـارِفٍ
وهـي الـتـي سـفـرَت ولـم تـتـبـرقَـعِ
وصـلَـتْ عـلـى كـره إلـيـك وربـمـا
كـرِهـت فـراقـك وهـي ذات تـفـجُّـعِ
ألـفَـتْ ومـا سـكـنَـتْ فـلـمّـا واصـلَـتْ
ألـفَـتْ مـجـاورة الـخـراب الـبـلْـقـعِ
وأظـنـهـا نـسـيـت عـهـوداً بـالـحـمـى
ومـنـازلاً بـفـراقـهـا لـم تَـقـنـعِ
حـتـى إذا اتّـصـلـت بـهـاء هـبـوطـهـا
عـن مـيـم مـركـزهـا بـذات الأجـرَعِ
عـلـقـت بـهـا ثـاءُ الـثـقـيـل فـأصـبـحـت
بـيـن الـمـعـالـم والـطـلـول الـخُـضَّـعِ
تـبـكـي وقـد ذكـرَتْ عـهـوداً بـالـحِـمَـى
بـمـدامـعٍ تَـهـمِـي ولـمّـا تَـقْـلَـعِ
الـــخ الـــخ الـــخ

«وقد قال المقتطف في الشاعرين بعد كلام طويل «والاثنان جريا مجرى أفلاطون في حِسْبان النفس رُوحاً كانت عند الخالق ثم هبطت ودخلت جسم الإنسان، إلّا أنّ أفلاطون تصورها فرساً مجنَّحة، غذاؤها الجمال والحكمة والصلاح، فلمّا هبطت فقدت جناحيها ودخلت جسم الإنسان. والفلاسفة يشعرون

بشيء لا يستطيعون معرفته فيصفونه كما يتصورنه، ويجاريهم الشعراء في التصور ويفوقونهم في الوصف».

[من الكامل]

ضُمِّي قِناعَك يا سعادُ أو ٱرفعي
هٰذي المحاسنُ ما خُلِقْنَ لبرقعِ(١)
ألضاحياتُ الضاحكاتُ ودونها
سِترُ الجلال وبُعدُ شأو المطلعِ(٢)
يا دُميةً لا يُستزاد جمالها
زِيْدِيْهِ حُسنَ المحسِن المُتبرِّعِ
ماذا على سلطانه من وقفةٍ
للضَّارِعين وعَطْفَةٍ للخُشَّعِ
بل ما يضرّكِ لو سمحتِ بجَلوةٍ
إنّ العروسَ كثيرة المُتَطَلِّعِ
ليس الحجابُ لمَنْ يعزّ منالُه
إنّ الحجابَ لِهيِّنٍ لم يمنعِ
أنت التي ٱتخذ الجمالُ لعزّه
من مظهرٍ ولسرِّه مِن مَوْضعِ(٣)
وهو الصَّنَاعُ يصوغُ كلَّ دقيقةٍ
وأدقَّ منكِ بنانُه لم تَصْنَعِ(٤)
لمستكِ راحتُه ومسَّكِ روحُه
فأتى البديعُ على مِثالِ المبدعِ

---

(١) الخطاب مُوَجّه إلى النفس، وقد خاطبها كما يخاطبها فيلسوف عالم ببدائها، ولقد بحث عن حقيقتها فٱزدادت غموضاً كلما ٱزداد بحثاً بالرغم من كونها أقرب ما يكون إليه.

(٢) الضاحيات: الظاهرات أو البارزات، وهي من صفات محاسن النفس، ومع ذلك فمطلعها بعيد وجلالها مستور.

(٣) المعنى، أن الجمال اتّخذ النفس مظهراً لعزّه، وموضعاً لسرّه.

(٤) الصَّنَاع: أي الصّانِع الماهر في صناعته.

أللَّـهَ فـي الأحـبـار مـن مـتـهـالـكٍ
نِـضْـوٍ ومـهـتـوكِ الـمُـسُـوح مـصـرَّعِ[١]
مـن كـلِّ غـاوٍ فـي طـويَّـة راشـد
عـاصـي الـظـواهـر فـي سـريـرةِ طَـيِّـعِ
يـتـوهـجُـون ويُـطـفـؤون كـأنـهـم
سُـرُجٌ بـمـعـتـركِ الـرّيـاح الأربـعِ
عـلـمـوا فـضـاق بـهـم وشَـقَّ طـريـقـهـم
والـجـاهـلـون عـلـى الـطـريـق الـمَـهْـيَـعِ[٢]
ذهـب (ابـن سـيـنـا) لـم يَـفـز بـك سـاعـةً
وتـولّـت الـحـكـمـاءُ لـم تـتـمـتَّـعِ
هـذا مـقـامٌ، كـلُّ عـزٍّ دونـه
شـمـسُ الـنـهـار بـمـثـلـه لـم تَـطْـمـعِ
(فـمـحـمـدٌ) لـك و(الـمـسـيـحُ) تـرجَّـلَا
وتـرجَّـلـت شـمـس الـنـهـار لـيُـوشَـعِ[٣]
مـا بـال (أحـمـد) عَـيَّ عـنـكِ بـيـانـه
بـل مـا (لـعـيـسـى) لـم يـقُـل أو يَـدّعِ
ولـسـانُ (مـوسـى) أنـحـلَّ إلّا عـقـدةً
مـن جـانـبـيـك عِـلاجُـهـا لـم يَـنْـجَـعِ
لـمّـا حـلـلـتِ (بـآدم) حـلَّ الـحُـبَـى
ومـشـى عـلـى الـمـلإ الـسـجـود الـرُّكّـعِ[٤]

---

(١) أللَّهَ: نصب اسم الجلالة على معنى الاستغاثة.

(٢) المعنى، أن الأحبار والفلاسفة الذين يعلمون قد شقّت طريقهم في البحث عن الحقيقة، وزادت معاناتهم، وأما الجاهلون فإنهم سائرون في الطريق المَهْيَع أي الطريق السهل الواسع.

(٣) الضمير في «لكِ» يعود إلى النفس، وقد عبّر عنها بالجوهر الإلّهي إذ قال «فمحمدٌ لكِ والمسيحُ ترَجَّلا...».

(٤) حلّ الحُبَى: الحُبَى مفردها حُبْوة، وهي ما يُحتبى به أي يُشتمل به من ثوب أو عمامة، =

وأرى الـنـبـوّةَ فـي ذَراك تـكـرّمـت
في (يوسفٍ) وتكلمَتْ في المرضَعِ[١]
وسقت (قريشَ) على لسان (محمد)
بالبابليِّ من البيان المُمْتعِ[٢]
ومشت (بموسى) في الظلام مشرداً
وَحَدَتْه في قِلَلِ الجبالِ اللُّمَّعِ[٣]
حتى إذا طُويت ورِثْتِ خلالَها
رُفِع الرحيقُ وسِرُّه لم يُرفعِ[٤]
قسمت منازلك الحظوظُ، فمنزلاً
أترعن منك ومنزلاً لم تُترعِ
وخليَّةٌ بالنحل منك عميرةٌ
وخليَّةٌ معمورة (بالتُّبَّعِ)[٥]
وحظيرة قد أُودِعَت غُرَر الدُّمى
وحظيرة محرومة لم تُودَعِ[٦]
نظر (الرئيسُ) إلى كمالِكِ نظرةً
لم تَخْلُ من بصر اللبيب الأرْوَعِ

= ويقال: «حلّ حبوته» أي قام، والمعنى هنا تعظيم وتقديس الروح التي حلّت في آدم بإذن اللّه تعالى.

(١) المعنى في البيت أن النبوة تكرّمت في يوسف عليه السلام حين عفّت نفسه فبلغت الكمال. المُرضَع: المقصود السيد المسيح عليه السلام.

(٢) المراد بالبَابليّ، السحر إشارة إلى أن بعض البيان يعمل عمل السحر: «إن من البيان لسحراً».

(٣) إشارة إلى النار الملتهبة.

(٤) حتى إذا طُويت... أي النبوة. الخِلال: الصّفات التي يبقى أثرها.

(٥) التُّبَّع: ملكات النّحل.

(٦) الدمى: مفردها دمية وهي الصورة المنقوشة الموشَّاة، أو التمثال الجميل. وفي هذا البيت والأبيات السابقة دلالة على تفاوت النفوس البشرية.

فـــرآه مـــنـــزلـــة تـــعـــرّض دُونَـــهـــا
قـصَـرُ الـحـيـاة وحـال وشْـكُ الـمـصـرعِ
لـولا كـمـالـك فـي (الـرئـيـس) ومـثـلِـه
لـم تـحـسُـنِ الـدنـيـا لـم تَـتـرَعـرعِ[1]
ألـلَّـهُ ثـبَّـت أرضَـه بـدعـائـم
هُـمْ حـائـط الـدُّنـيـا وركـن الـمـجـمـعِ
لـو أنّ كـلَّ أخـي يـراع بـالـغٌ
شـأوَ (الـرئـيـس) وكـلَّ صـاحـب مِـبْـضَـعِ
ذهـب الـكـمـالُ سُـدًى وضـاع مـحـلـه
فـي الـعـالَـم الـمـتـفـاوتِ الـمـتـنـوعِ

❊ ❊ ❊

يـا نـفـسُ مـثـل الـشـمـسِ أَنْـت، أشـعَّـةٌ
فـي عـامـرٍ وأشـعـة فـي بَـلْـقَـعِ
فـإذا طـوى الـلَّـهُ الـنـهـار تـراجـعَـتْ
شـتَّـى الأشِـعَّـةِ فـالْـتـقَـتْ فـي الـمـرْجِـعِ
لـمّـا نُـعِـيـت إلـى الـمـنـازل غُـودرَتْ
دكًّـا ومـثـلـك فـي الـمـنـازل مـا نُـعِـي
ضَـجَّـتْ عـلـيـك مـعـالـمـاً ومـعـاهـداً
وبـكَـتْ فـراقَـك بـالـدمـوع الـهُـمَّـعِ[2]
آذنـتـهـا بـنـوًى فـقـالـت: لـيـت لـم
تـصـل الـحـبـالَ ولـيـتـهـا لـم تَـقْـطـعِ

(١) المعنى، أنه لولا كبار النفوس لما تقدم الناس وارتقت الأمم، وكل هذا متعلق ببلوغ الكمال في النبوة واقتراب درجات الكمال في نفوس بعض العباقرة من الناس أمثال «الرئيس».

(٢) المقصود، أن النفس لمّا نُعيت إلى المنازل أي الأجسام ضجت عليها أصحاب النفوس الصغيرة التي عبّر عنها بـ«معالم» وأصحاب النفوس الكبيرة التي عبر عنها بـ«معاهد»، وهما منصوبتان على التمييز.

ورداء جـثـمـانٍ لـبَـسـت مُـرَقَّـم
بـيـد الـشّـبـابِ عـلـى الـمـشـيـبِ مـرقَّـعِ
كـم بِـنْـتِ فـيـه وكـم خَـفِـيـتِ كـأنـه
ثـوبُ الـمـمـثِّـل أو لـبـاسُ الـمَـرْفـعِ[1]
أَسَـئِـمـت مـن ديـبـاجـه فـنـزعـتِـهِ
والـخـزُّ أكـفـانٌ إذا لـم يُـنـزَعِ
فـزِعـتْ ومـا خَـفِـيـتْ عـلـيـهـا غـايـةٌ
لـكـنّ مَـنْ يَـرد الـقـيـامـةَ يَـفْـزَعِ[2]
ضـرَعـتْ بـأدمـعـهـا إلـيـك ومـا دَرَت
أنَّ الـسـفـيـنـة أقـلـعـتْ فـي الأدمـعِ
أنـتِ الـوفـيَّـة لا الـذِّمـام لـديـك مـذ
مـومٌ ولا عـهـد الـهـوى بـمُـضـيَّـعِ
أَزْمَـعـت فـأنـهـلَّـت دمـوعُـك رِقّـة
ولـو اسـتـطـعـت إقـامـةً لـم تُـزْمِـعِـي
بـان الأحـبَّـة يـوم بـيـنـك كـلـهـم
وذَهَـبْـتِ بـالـمـاضـي وبـالـمـتـوَقّـعِ

(١) المَرْفَع: من الأعياد أو المناسبات الاحتفالية التي يلبس فيها الناس الثياب الملوّنة.
(٢) فزعت: أي استجارت، والضمير يعود إلى الأجسام. القيامة: المقصود هنا ساعة الموت.

مَيْدَانُ الْكُونْكُورد

«ميدان الكونكورد (الوفاق) بباريس وهو الذي أُعدم فيه الملك لويس السادس عشر في أيام الثورة الفرنسية»: [من الوافر]

أَمَـيْـدانَ الـوفـاقِ وكـنـتَ تُـدعـى
بـمـيـدان الـعـداوةِ والـشِّـقـاقِ
أتـدري أيّ ذنـبٍ أَنْـت جـانٍ
وأيّ دمٍ ذهـبـتَ بـهِ مُـراقِ
هـوى فـيـك الـسـريـرُ ومَـنْ عـلـيـه
ومـاتَ الـثـائِـرون وأنـتَ بـاقِ(١)
أصـابـوا وٱسـتـراح (لـويـسُ) مـنـهـم
لـذا سُـمِّـيـتَ مَـيْـدَانَ الـوِفَـاقِ

(١) السرير: عرش الملك.

أَيُّـــهَـــا الـــنّـــيـــلُ

«إلى الأستاذ مرجليوث مدرّس اللغة العربية في جامعة أكسفورد»

أيها الأستاذ الكريم

تذكرتُ «أثينا» مدينة الحكمة في الدهور الخالية، وأياماً غنمناها على رسومها العافية وأطلالها البالية فكأني أَنْظر إلى المؤتمر، علماؤه الهالةُ، وأنت القمر، أو زُمَرُ الحجيج وأنت حادي الزُّمَرُ، وأرى الملوك في الحفر، بُنيانهم مصدوعُ الجُدُر، وبيانهم نورَ البشر، نزلنا بهم فإذا الدول خبر، وإذا الممالك أثر، والطلولُ شغلُ الفؤادِ والبصر، منَّا العبراتُ ومنَّا العِبر، صَمَتَ الإنسان، ونَطَقَ الحجر، فسبحان العزيز المقتدر، القاهرِ فوق عبادِهِ بالقدر، كان ذلك والحوادث أجنّة، والأمور في أحسن الأعنّة، والأرضِ بالسلم مطمئنة، مغتبطة بسلامةِ الشباب، منبسطة بتلاقي الأحباب، والصفوُ في الدار والأكدارُ بالباب، ثم أخذ اللَّه الأممَ بذنوبهم فرماهم بعوانٍ في الماء، ضَروسٍ في الأرض والسماء، منهومةٍ بالأموال مدمنةٍ للدّماء، نزلَتْ بالبَرِيَّة فعصفت بأحسن شبابها ونباتها ونقصَتْ موفور أمنها وأقواتها، وهتكت في الثرى مصون رُفاتها، وخلطَتْ في الخنادِق أحياءَها بأمواتها وعَدَتْ على الوحش في فلواتِها، وعلى الطير في وكناتها، وعلى الرِّياح في مخترقاتها، وعلى بَلَم[1] البحار وأحواتها، وهَوامِ القِفار وحشراتها، وعلى بيوت اللَّه في ستراتها، والنواقيس في قِبابها، والمآذن في سماواتها، فسبحان الملك الأكبر الذي يَقْهر ولا يُقهر، ويُغيّر ولا يَتَغَيّرْ، والذي يُقيم القيامة في مِيقاتها.

الشعرُ كالأحلام تُدخل على المسرورِ الكرى، وتَكثُر على المحزون في السُّرى، وقريحةُ الشاعر كعَين صاحب الأيام عندها للحُزن عَبرةٌ وللسرور عِبرة، وهذه أيُّها الأستاذ الكريم كلمةٌ قيلت والهموم سارية، والأقدار بالمخاوف جارية، والدّماء والدموع متبارية، وذئابُ البشر يقتتلون على الفانية، نظمتُها تغنّياً بمحاسن الماضي وتقييداً لمآثر الآباء، وقضاء لحق «النّيل» الأسعد الأمجد ونسبتها إليك عرفاناً لفضلك على لغة العرب وما أَنْفقت من شباب وكهولة في إحياء علومها ونشر آدابها وإلقائها كلّما طلعت الشمس خلف الضباب، دُروساً نافعة على أَنْبل شباب العصر،

(١) البَلَم: صغار السمك.

في أعظم جامعات العالم، فلعلّها تقع إليك فنتذاكر على النَّوَى تلك الأيام ونتنادم من بُعْدٍ على بِساط الأدب والكلام، ونسأل اللَّه أَنْ يحقن الدّماء ويُقيم جِدار السلام.

[من الكامل]

مـن أيّ عَـهـدٍ فـي الـقُـرى تَـتَـدفّـقُ
وبـأيّ كـفٍّ فـي الـمـدائـنِ تُـغـدِقُ
ومـن الـسـمـاء نـزلـت أم فُـجِّـرت مـن
عُـلْـيـا الـجِـنـان جـداولاً تـتـرقـرقُ
وبـأيّ عـيـنٍ أم بـأيَّـة مُـزْنـةٍ
أم أيِّ طُـوفـان تَـفـيـض وتَـفْـهَـقُ[١]
وبـأيِّ نَـوْلٍ أَنْـت نـاسـجُ بُـردةٍ
لـلـضـفَّـتـيـن جـديـدُهـا لا يـخـلـقُ[٢]
تـسـودُّ ديـبـاجـاً إذا فـارقـتـهـا
فـإذا حـضـرت أخـضـوضـر الإستَـبْـرقُ[٣]
فـي كـل آونـةٍ تـبـدِّل صِـبْـغـةً
عـجـبـاً وأنـت الـصـابـغُ الـمـتـأنِّـقُ
أتـتِ الـدهـورُ عـلـيـك، مـهـدُك مـتـرعٌ
وحِـيـاضـك الـشُّـرق الـشـهـيَّـة دُفّـقُ[٤]
تَـسْـقـي وتُـطـعِـمُ لا إنـاؤك ضـائـقٌ
بـالـوارديـن ولا خِـوانُـك يَـنـفُـقُ[٥]
والـمـاءُ تـسـكـبـه فـيَـسْـبـك عـسـجـداً
والأرضُ تـغـرقـهـا فـيـحـيـا الـمُـغْـرَقُ[٦]

---

(١) المزنة: المطرة. تَفْهَقُ: تَتَصَبَّبُ.
(٢) النَّول: الخشبة أو الآلة التي ينسج عليها الحائك. يخلق: يبلى.
(٣) الإستبرق: الحرير. (٤) مترع: ممتلئ. الشُرُق: الغرقى.
(٥) الخِوان: طبق كبير يوضع عليه الطعام. ينفق: ينقص أو يفنى.
(٦) العسجد: الذهب.

تعيي منابِعُك العقولَ ويستوي
مُتخبِّط في علمها ومحقِّقُ
أخلقتَ راووق الدهور ولم تزل
بك حَمْأَةٌ كالمِسْك لا تَتروَّقُ[١]
حمراءُ في الأحواض إلّا أنّها
بيضاءُ في عُنُق الثرى تتألَّقُ
دينُ الأوائِل فيك دينُ مروءةٍ
لِمْ لا يُؤَلَّهُ مَنْ يَقُوتُ ويَرْزُقُ
لو أنّ مخلوقاً يُؤَلَّهُ لم تكن
لِسواك مرتبةُ الألوهة تخلُقُ[٢]
جعلوا الهوى لك والوقارَ عبادةً
إنّ العبادةَ خَشيةٌ وتعلُّقُ
دانوا ببحرٍ بالمكارم زاخرٍ
عَذْبِ المشارع مَدُّه لا يُلْحقُ
متقيدٍ بعهوده ووعوده
يجري على سنن الوفاء ويصدُقُ[٣]
يتقبَّل الوادي الحياةَ كريمة
من راحتيك عميمةً تتدفَّقُ
متقلّب الجنبين في نَعْمائه
يَعْرى ويُصْبغ في نَداك فيُورِقُ
فيبيت خِصْباً في ثراه ونِعْمةً
ويعُمُّه ماءُ الحياة الموسَقُ[٤]

(١) الراووق: المصفاة. الحمأة: الطين. تتروق: أي تصبح صافياً.
(٢) تَخْلُق: تَجْدُر، أي تكون خليقة أو جديرة بك.
(٣) السَنَن: النهج أو الطريقة. (٤) الموسَق: من أوسق أي حمل.

وإليك بعد اللَّه يرجِع تحته
ما جَفَّ أو ما مات أو ما ينفُقُ[١]

❊ ❊ ❊

أين الفراعنةُ الأُلى ٱستذرى بهم
(عيسى) و(يوسف) و(الكليم) المُصْعَقُ[٢]

ألمورِدونَ الناسَ منهل حكمةٍ
أفضى إليه الأنبياءُ ليَستَقُوا[٣]

ألرافعون إلى الضحى آباءَهم
فالشّمس أصلهمو الوضِيء المُعرِقُ[٤]

وكأنما بين البِلى وقبورِهم
عهدٌ على أَنْ لا مساس ومَوْثِقُ

فحِجابُهم تحت الثرى من هيبة
كحجابهم فوق الثرى لا يُخرَقُ

بلغوا الحقيقةَ من حياةٍ علمُها
حُجُبٌ مكثّفة وسرٌّ مُغلَقُ

وتبيَّنوا معنى الوجودِ فلم يرَوْا
دون الخلود سعادةً تَتَحَقّقُ

يَبنون للدّنيا كما تَبْنِي لهم
خِرَباً، غرابُ البَيْنِ فيها يَنْعَقُ

فقصورُهم كوخٌ وبيتُ بداوةٍ
وقبورُهم صَرْحٌ أشمُّ وجَوْسَقُ[٥]

---

(١) ينفق: ينقص أو يفنى.
(٢) استذرى: يقال: استذرى بفلان أي التجأ إليه أو استظلّ بظلّه.
(٣) المنهل: المورد.
(٤) المُعْرق: من العراقة، أي العريق في النسب.
(٥) الجوسق: القصر.

رفعوا لها من جَندلٍ وصفائح
عَمَداً فكانت حائطاً لا يَنْتِقُ[١]
تتشايعُ الدَّاران فيه فما بدا
دنيا، وما لم يبدُ: أخرى تَصْدُقُ
للموتِ سِرٌّ تحتَه وجِداره
سُوْرٌ على السرِّ الخفيِّ وخَنْدقُ
وكأنّ منزلهم بأعماقِ الثرى
بين المحلّة والمحلّة فُنْدقُ[٢]
موفورةٌ تحت الثرى أزوادُهم
رَحْبٌ بهم بين الكهوف المُطبِقُ[٣]

❊ ❊ ❊

ولمَنْ هياكلُ قد علا الباني بها
بين الثُّريَّا والثّرى تتنسَّقُ[٤]
منها المشيَّدُ كالبروج وبعضُها
كالطَّودِ مضطجعٌ أشمُّ مُنَطَّقُ[٥]
جُدُدٌ كأوّلِ عهدها وحِيالها
تتقادم الأرض الفضاءُ وتَعْتُقُ[٦]
من كلِّ ثِقلٍ، كاهلُ الدنيا به
تَعِبٌ ووجه الأرض عنه ضيّقُ
عالٍ على باع البِلى لا يهتَدي
ما يَعْتَلي منه وما يَتَسَلّقُ

(١) يَنْتِق: يتزعزع. (٢) المحلة: المنزل.
(٣) الأزواد: مفردها زاد، وهو طعام السّفر. المُطْبِق: الملجأ أو السجن تحت الأرض.
(٤) تَتَنَسّق: تنتظم.
(٥) الطود: الجبل. أشمّ مُنَطّق: مرتفع محاط بالجبال كالنّطاق.
(٦) تَعْتُق: تَقْدُم، من عَتُق الشيء أي قَدُم.

مُـتـمَـكّـن كـالـطّـودِ أصـلاً فـي الـثـرى
والـفـرعُ فـي حَـرَم الـسـمـاءِ مُـحـلّـقُ
هـي مـن بـنـاءِ الـظـلـم إلّا أنّـه
يَـبْـيَـضُّ وجـهُ الـظـلـم مـنـه ويُـشْـرِقُ
لـم يـرهِـق الأمَـمَ الـمـلـوكُ بـمـثـلـهـا
فـخـراً لـهـم يَـبـقـى وذكـراً يَـعـبَـقُ
فُـتِـنَـتْ بـشـطَّـيْـك الـعـبـاد فـلـم يـزل
قـاصٍ يـحُـجُّـهـمـا ودَانٍ يـرْمُـقُ
وتـضـوّعـت مـسـك الـدهـور كـأنـمـا
فـي كـل نـاحـيـةٍ بـخـورٌ يُـحْـرَقُ
وتـقـابـلَـتْ فـيـهـا عـلـى الـسُّـرر الـدُّمـى
مـسـتَـردِيـات الـذل لا تَـتـفـنَّـقُ[١]
عَـطَـلـت وكـان مـكـانـهـنّ مـن الـعُـلـى
(بـلـقـيـس) تـقْـبِـس مـن حـلاه وتـسـرقُ[٢]
وعَـلا عـلـيـهـن الـتـرابُ ولـم يـكـن
يـزكـو بـهـنّ سـوى الـعـبـيـر ويَـلـبَـقُ[٣]
حُـجُـراتـهـا مـوطـوءة وسـتـورُهـا
مـهـتـوكـة بـيـد الـبِـلـى تَـتَـخـرّقُ
أودى بـزيـنـتـهـا الـزمـانُ وحـلْـيـهـا
والـحـسـنُ بـاقٍ والـشـبـاب الـريِّـقُ[٤]

(١) الدمى: مفردها دمية، وهي الصورة المنقّشة الموشاة. مستردیات: لابسات. تتفنق: تتأنّق أو تتنعّم.
(٢) عطلت: يقال: عطلت المرأة، أي لم يكن عليها حَلي.
(٣) العبير: العطر أو الطِّيْب. يلبق: يليق.
(٤) الشباب الرَّيّق: الشباب الأصيل أي كما كان في أوّله وطبيعته.

لـــو رُدَّ فِـــرعـــونُ الـــغَـــداةَ لَـــرَاعَـــهُ
أنّ الـغـرانـيـقَ الـعُـلـى لا تَـنـطـقُ[١]
خـلـع الـزمـانُ عـلـى الـورى أيـامَـه
فـإذا الـضُّـحـى لـك حـصـة والـرَّوْنـقُ
لـك مـن مـواسـمِـه ومـن أعـيـاده
مـا تـحـسـرُ الأبـصـار فـيـه وتـبـرْقُ[٢]
لا (الـفـرسُ) أُوتـوا مـثـلـه يـومـاً ولَا
(بـغـداد) فـي ظـلِّ (الـرشـيـد) و(جِـلَّـقُ)[٣]
فـتـحُ الـمـمـالـك أو قـيـام الـعـجـل أو
يـومُ الـقـبـورِ أوِ الـزّفـافُ الـمـونِـقُ
كـم مـوكـب تَـتـخـايـلُ الـدنـيـا بـه
يُـجـلَـى كـمـا تُـجـلـى الـنـجـوم ويُـنـسـقُ
فـرعـون فـيـه مـن الـكـتـائـبِ مُـقـبـل
كـالـسـحـب قـرن الـشـمـس مـنـهـا مُـفـتِـقُ[٤]
تَـعْـنـو لـعـزَّتِـهِ الـوجـوهُ ووجـهُـهُ
لـلـشّـمـس فـي الآفـاق عـانٍ مـطـرِقُ[٥]
آبـتْ مـن الـسـفـرِ الـبـعـيـدِ جـنـودُه
وأتـتـه بـالـفـتـحِ الـسـعـيـدِ الـفَـيْـلَـقُ
ومـشـى الـمـلـوك مُـصـفَّـدِيـن، خَـدودُهـم
نـعـلٌ لـفـرعـونَ الـعـظـيـم ونـمـرقُ[٦]

---

(١) الغرانيق: المقصود هنا التماثيل.
(٢) تَحْسِر: تَكِلّ.
(٣) (جلّق): من أسماء دمشق.
(٤) مُفْتِق: أي أصاب قرن الشمس فتقاً من السحاب فبدا منه.
(٥) تعنو: تخضع.
(٦) النّمرق: جمعها نمارق وهي الوسادة الصغيرة.

مـمـلـوكـةٌ أعـنـاقـهـم لـيـمـيـنـه
يَـأبَـى فـيـضـربُ أو يـمـنّ فـيـعْـتِـقُ
ونـجـيـبـةٍ بـيـن الـطـفـولـةِ والـصِّـبَـا
عـذراءَ تَـشـربُـهـا الـقـلـوبُ وتـعـلَـقُ
كـان الـزفـافُ إلـيـك غـايـةَ حـظـهـا
والـحـظّ إن بـلـغ الـنـهـايـةَ مُـوبِـقُ[1]
لاقـيـتَ أعـراسـاً ولاقـت مـأتـمـاً
كـالـشـيـخ يَـنْـعـم بـالـفـتـاةِ وتـزهـقُ
فـي كـل عـام درَّةٌ تُـلـقـى بـلَا
ثـمـنٍ إلـيـكَ وحـرّة لا تُـصْـدَقُ[2]
حـولٌ تـسـائِـل فـيـه كـلُّ نـجـيـبـةٍ
سَـبـقـتْ إلـيـكَ مـتـى يـحـول فـتَـلْـحـقُ[3]
والـمـجـدُ عـنـد الـغـانـيـاتِ رغـيـبـة
يُـبـغـى كـمـا يُـبـغـى الـجـمـالُ ويُـعـشـقُ
إنْ زوّجـوك بـهـنّ فـهـي عـقـيـدة
ومـن الـعـقـائـد مـا يـلـبُّ ويـحـمَـقُ[4]
مـا أجـمـلَ الإيـمـان لـولا ضـلَّـة
فـي كـلِّ ديـنٍ بـالـهـدايـةِ تـلْـصَـقُ
زفَّـتْ إلـى مـلـكِ الـمـلـوك يـحـثُّـهـا
دِيـنٌ ويـدفـعـهـا هَـوًى وتـشـوُّقُ
ولـربـمـا حـسـدتْ عـلـيـكَ مـكـانـهـا
تِـربٌ تـمـسَّـح بـالـعـروس وتُـحـدِقُ[5]

---

(١) موبق: مهلك.
(٢) تصدق: من صداق المرأة أي مهرها.
(٣) الحَوْل: السّنة.
(٤) يَلَبّ: أي يصير لبيباً.
(٥) الترب: هو القرين أو من ولد معك وهو في نفس العمر.

مجلوة في الفُلْكِ يحدو فُلْكَها
بالشاطئينِ مُزغردٌ ومُصفِّقُ[١]
في مِهْرَجانٍ هزَّت الدّنيا به
أعطافَها واختال فيها المَشْرِقُ
فرعونُ تحتَ لوائِه، وبناتُه
يجري بهنّ على السفينِ الزورقُ
حتى إذا بلغت مواكبُها المَدَى
وجرى لغايته القضاءُ الأسْبَقُ
وكسا سماء المِهرجان جلالةً
سيفُ المنيَّة وهو صَلْتٌ يبرقُ[٢]
وتَلَفَّتَتْ في اليَمِّ كلُّ سفينةٍ
وانثال بالوادي الجموعُ وحدّقُوا[٣]
ألقت إليكَ بنفسها ونفِيسها
وأتتكَ شيِّقةً حواها شَيِّقُ
خلعت عليك حياءَها وحياتها
أأَعزُّ من هذين شيءٌ يُنفَقُ؟
وإذا تناهى الحبُّ واتّفقَ الفدَى
فالروحُ في بابِ الضحيَّة أليقُ
ما العالمُ السُّفْلِيُّ إلّا طينةٌ
أزليَّةٌ فيه تُضِيء وتُغسِقُ[٤]
هي فيه للخِصْبِ العميمِ خميرةٌ
يَنْدَى بما حملتْ إليه ويَبْثُقُ[٥]

(١) يحدو: يسوق أو يقود، وأصلها من حدا الإبل أي ساقها وغنّى لها.
(٢) الصَّلْت: السيف القاطع. (٣) انثال: انصبّ.
(٤) أزليّة: قديمة قدم الكون. تفسق: تظلم.
(٥) يبثق: يخرق ويشق، من بثق السيل الأرض أي خرقها.

مـا كـان فـيـهـا لـلـزيـادةِ مـوضـعٌ
وإلـى حِـمـاهـا الـنـقـصُ لا يـتـطـرّقُ
مـنـبـثـةٌ فـي الأرضِ تَـنـتـظِـم الـثـرى
وتـنـالُ مـمـا فـي الـسـمـاء وتـعـلَـقُ
مـنـهـا الـحـيـاةُ لـنـا ومـنـهـا ضِـدُّهـا
أبـداً نَـعـودُ لـهـا ومـنـهـا نُـخْـلَـقُ
والـزرعُ سـنـبـلـه يُـصـيـب وحَـبُّـه
مـنـهـا فـيـخـرج ذا وهـذا يُـفْـلَـقُ
وتـشُـدُّ بـيـت الـنّـحْـلِ فـهـو مُـطـنَّـبٌ
وتـمـدُّ بـيـتَ الـنّـمْـلِ فـهـو مُـروَّقُ
وتـظـلُّ بـيـن قُـوَى الـحـيـاةِ جـوائـلاً
لا تـسـتَـقِـرُّ دوائِـلاً لا تُـمْـحَـقُ[1]
هـي كـلـمـة الـلَّـه الـقـديـر ورُوحـه
فـي الـكـائـنـات وسـرّه الـمـسـتَـغْـلَـقُ
فـي الـنـجـم والـقـمـريـن مـظـهـرُهـا إذا
طـلـعَـتْ عـلـى الـدُّنـيـا وسـاعـة تَـخـفُـقُ
والـذّر والـصـخـراتُ مـمـا كـوِّرت
والـفـيـل مـمـا صـورت والـخِـرنـقُ[2]
فَـتَـنَـتْ عـقـولَ الأولـيـن فـألّـهـوا
مـن كـلّ شـيء مـا يـرُوع ويَـخـرُقُ
سـجـدوا لـمـخـلـوقٍ وظـنُّـوا خـالـقـاً
مَـنْ ذا يـمـيّـز فـي الـظـلام ويَـفْـرقُ
دانـت (بـآبـيـسَ) الـرعـيَّـةُ كـلّـهـا
مَـنْ يـسـتـغـلُّ الأرض أو مَـنْ يَـعـزقُ

(١) تُمحق: تُهلك.
(٢) الذّر: الهباء المنتشر في الهواء، مفردها ذَرّة. الخِرنق: الأرنب الفَتِيّ.

جاؤوا من المرعى به يمشي كما
تمشي وتلتفِتُ المَهاةُ وترْشُقُ
داجٍ كجنح اللّيل زان جبينَهُ
وضَحٌ عليه من الأهلّة أشْرَقُ[١]
ألعسجد الوهّاج وشيُ جلالِهِ
والورد موطئ خُفِّهِ والزّنبقُ[٢]
ومن العجائبِ بعد طول عبادةٍ
يُؤتَى به حوضَ الخلودِ فيُغْرَقُ
يا ليت شعري هل أضاعو العهد أَم
حَذِروا من الدّنيا عليه وأشفقُوا
قومٌ وقارُ الدين في أخلاقهم
والشعبُ ما يَعتاد أو يَتَخَلّقُ
يدعُون خلف الستر آلهةً لهم
ملؤوا النديَّ جلالة وتأبَّقُوا[٣]
واستحببوا الكهّان، هذا مُبلغٌ
ما يهتفُونَ به وذاك مصدِّقُ[٤]
لا يُسألون إذا جرت ألفاظُهم
من أين للحجر اللسانُ الأذْلَقُ
أو كيف تخترق الغيوبَ بهيمةٌ
فيما ينوب من الأمور ويَطرقُ
وإذا هُمُو حجُّوا القبورَ حسبتهم
وفد (العتيق) بهم ترامى الأينقُ[٥]

(١) الوَضَح: الغُرَّة، أو البياض.
(٢) العسجد: الذهب. الزّنبق: نوع من النبات له زهر طيّب الرائحة.
(٣) النَّدِيّ: النَّادِي أو المجلس. تَأَبَّق: استتر.
(٤) استحجبوا الكهّان: أي ولّوهم أمر الحجابة.
(٥) (العتيق): أي بيت اللّه الحرام. الأَيْنُق: مفردها ناقة وهي الواحدة من الإبل.

يـأتـون (طـيـبـةَ) بـالـهـدِيَّ أمـامـهـم
يـغـشـى الـمـدائـن والـقـرى ويُـطـبّـقُ[١]
فـالـبـرّ مـشـدودُ الـرواحـل مُـحْـدَجٌ
والـبـحـرُ مـمـدود الـشّـراع مَـوسَّـقُ[٢]
حـتـى إذا ألـقـوا بـهـيـكـلـهـا الـعـصـا
وفُـوا الـنـذور وقـربـوا واْصَّـدّقُـوا
وجـرَتْ زَوَارِقُ بـالـحـجـيـج كـأنـهـا
رُقْـط تَـدَافـعُ أو سـهـامٌ تـمْـرُقُ[٣]
مـن شـاطـئ فـيـه الـحـيـاة لـشـاطـئ
هـو مـضـجـعٌ لـلـسـابـقـيـن ومِـرفـقُ[٤]
غـربـوا غـروب الـشـمـس فـيـه واْسـتـوى
شـاهٌ وَرَخٌّ فـي الـتّـراب وبـيـدقُ[٥]
حـيـث الـقـبـورُ عـلـى الـفـضـاء كـأنـهـا
قِـطَـعُ الـسّـحـاب أو الـسَّـراب الـدَّيْـسَـقُ[٦]
لـلـحـق فـيـه جـولـةٌ ولـه سَـنـاً
كـالـصـبـح مـن جـنـبـاتـهـا يـتـفَـلَّـقُ
نـزلـوا بـهـا فـمـشـى الـمـلـوك كـرامـةً
وجـثـا الـمُـدِلُّ بـمـالـه والـمـمْـلـقُ[٧]

---

(١) الهدِيّ: ما يهدى إلى الحرم من النّعم.
(٢) مُحدج: يقال: حدج الأحمال أي شدّها.
(٣) رقط: مفردها رقطاء وهي الحيَّة.
(٤) المِرْفق: المتكأ، وهو أيضاً كل ما ينتفع به الناس، وجمعها مرافق.
(٥) شاه، ورُخّ، وبيدق: قطع شطرنج يُلعب بها، والمعنى، أن ما ترمز إليه هذه القطع من الشطرنج من تفاوت بين طبقات الناس كالملك والشعب والكبير والصغير، إن هؤلاء جميعهم يتساوون أمام الموت عندما تغرب شمسهم ويُوارون تحت التراب.
(٦) الدّيْسق: بياض السّراب وترقرقه.
(٧) المملق: المعدم أو الفقير.

ضـاقَـتْ بـهـم عـرصـاتُـهـا فـكـأنـمـا
ردت ودائـعـهـا الـفـلاةُ الـفَـيـهـقُ[١]
وتَـنـادم الأحـيـاءُ والـمـوتـى بـهـا
فـكـأنـهـم فـي الـدهـر لـم يـتـفـرّقُـوا

❊ ❊ ❊

أصـلُ الـحـضـارةِ فـي صـعـيـدك ثـابـت
ونَـبـاتـهـا حَـسَـنٌ عـلـيـك مُـخـلّـقُ[٢]
وُلِـدت فـكـنـت الـمـهـدَ ثـم تـرعـرعـت
فـأظـلـهـا مـنـكَ الـحـفـيُّ الـمُـشـفِـقُ
مـلأتْ ديـارَك حـكـمـةً، مـأثـورُهـا
فـي الـصـخـر والـبَـردِي الـكـريـم مـنـبّـقُ[٣]
وبـنـت بـيـوتَ الـعـلـم بـاذخـةَ الـذُّرى
يـسـعـى لـهـن مـغـرِّبٌ ومـشـرِّقُ
واسـتـحـدثـت دِيـنـاً فـكـان فـضـائـلاً
وبِـنـاءَ أخـلاق يَـطُـول ويَـشـهَـقُ[٤]
مـهَـدَ الـسـبـيـلَ لـكـل ديـنٍ بـعـده
كـالـمـسـك ريَّـاه بـأخـرى تُـفـتَـقُ[٥]
يـدعـو إلـى بـرّ ويـرفـع صـالِـحـاً
ويَـعـاف مـا هـو لـلـمـروءةِ مُـخـلِـقُ
لـلـنـاس مـن أسـراره مـا عُـلِّـمُـوا
ولـشُـعْـبـة الـكـهـنـوت مـا هـو أعـمَـقُ

(١) الفلاة الفيهق: الفلاة الواسعة.
(٢) المُخَلّق: المُتَطيّب، وتَخَلّق أي تطيّب بالخَلُوق.
(٣) منبّق: مصفوفٌ صفاً أو مسطّر تسطيراً مرتّباً.
(٤) يَشهَق: يرتفع، من شهق الجبل، أي ارتفع.
(٥) تُفْتَق: أي تُستخرج رائحة المسك وتنتشر.

فيه محلٌّ للأقانيم العُلى
ولجامع التوحيد فيه تعلُّقُ[١]

* * *

تابوتُ موسَى لا تزال جلالةٌ
تبدو عليك له ورَيَّا تُنشَقُ[٢]
وجمالُ يوسُفَ لا يزال لواؤه
حولَيكَ في أُفُق الجلال يُرنَّقُ[٣]
ودموعُ إخوته رسائلُ توبةٍ
مَسطورهُنّ بشاطئيك مُنمَّقُ
وصلاة (مريم) فوق زرعك لم يزل
يزكو لذكراها النبات ويَسمُقُ[٤]
وخُطَى المسيح عليك روحاً طاهراً
بركاتُ ربِّك والنّعيم الغَيْدقُ[٥]
ووداعُ (الفاروقِ) عندك دِينه
ولواؤه وبيانه والمَنْطِقُ[٦]
بعث الصحابةَ يحملون من الهدى
والحق ما يُحيي العقولَ ويُفتقُ
فتحُ الفتوح من الملائك رَزْدَق
فيه ومن أصحاب (بدر) رَزْدَقُ[٧]

(١) الأقانيم: مفردها أقنوم وهو الأصل أو الشخص.
(٢) تُنشق: تُشمّ.
(٣) يُرنَّق: يَخْفُق، من رنّق الطائر أي خفق بجناحيه، ورنّق اللواء أي حرّكه للحملة.
(٤) يَسْمِق: يعلو ويطول.
(٥) الغَيْدق: الكثير، من غيدق المطر أي كثر.
(٦) (الفاروق): الخليفة عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه.
(٧) الرزدق: الصف من الناس.

يـبـنـون لـلّـه الـكـنـانـةَ بـالـقـنـا
والـلّـهُ مـن حـول الـبِـنـاء مـوفّـقُ
أحـلاسُ خـيـلٍ بـيـد أنّ حـسـامـهـم
فـي الـسـلـم مـن حـذرِ الـحـوادث مـقـلَـقُ[1]
تُـطـوى الـبـلادُ لـهـم ويُـنْـجِـدُ جـيـشَـهـم
جـيـشٌ مـن الأخـلاق غـازٍ مـورِقُ[2]
فـي الـحـق سُـلَّ وفـيـه أُغْـمِـدَ سـيـفـهـم
سـيـفُ الـكـريـم مـن الـجـهـالـة يَـفْـرَقُ[3]
والـفـتـح بـغـيٌ لا يُـهَـوّن وقْـعَـه
إلّا الـعـفـيـف حـسـامـه الـمُـتَـرفّـقُ
مـا كـانـت (الـفـسـطـاطُ) إلّا حـائـطـاً
يـأوي الـضـعـيـفُ لـركـنـه والـمُـرْهَـقُ
وبـه تـلـوذ الـطـيـرُ فـي طَـلَـبِ الـكـرى
ويـبـيـتُ (قـيـصـرُ) وهـو مـنـه مـؤرَّقُ
(عـمـرو) عـلـى شُـطَـبِ الـحـصـيـر مُـعـصَّـبٌ
بـقـلادة الـلّـه الـعـلـيّ مـطـوَّقُ[4]
يـدعـو لـه الـحـاخـام فـي صـلـواتـه
(مـوسـى) ويـسـأل فـيـه عـيـسـى الـبَـطْـرَقُ
يـا نـيـل أَنْـت بـطـيـب مـا نـعـت الـهـدى
وبِـمْـدَحـةِ (الـتـوراةِ) أحـرى أخْـلَـقُ

(١) أحلاس خيل: ملازمون ظهورها.

(٢) مُورِق: غانم.

(٣) يَفْرق: يخاف ويحذر.

(٤) (عمرو): هو القائد عمرو بن العاص. شطب الحصير: الأخضر الرطب من جريد النخل المصنوع منه الحصير. معصَّب: متوّج.

وإليك يُهدِي الحمدَ خلقٌ حازَهم
كنَفٌ على مر الدهور مُرهَّقُ[١]
كنَفٌ (كَمَعْنٍ) أو كساحة (حَاتِم)
خَلْقٌ يودِّعه وخَلْق يَطرُقُ
وعليك تُجلَى من مَصُونات النُّهى
خُودٌ عرائس خدرهنّ المُهْرَقُ[٢]
ألدرّ في لَبَّاتهنّ منظَّمٌ
والطيب في حَبَراتهنّ مُرَقْرَقُ[٣]
لي فيكَ مدحٌ ليس فيه تكلفٌ
أملاه حبٌّ ليس فيه تملّقُ
مما يُحمِّلنا الهوى لك أفرخٌ
سنطيرُ عنها وهي عندك تُرزقُ
تهفو إليهم في التراب قلوبُنا
وتكاد فيه بغير عرقٍ تَخْفُقُ
ترجى لهم، واللَّه جَلَّ جلاله
منّا ومنك بهم أبرُّ وأرْفقُ
فاحفظ ودائعكَ التي ٱستُودعتها
أنتَ الوفيُّ إذا ٱؤتمنت الأصدقُ
للأرض يومٌ والسماءِ قيامةٌ
وقيامةُ الوادي غداة تُحَلّقُ[٤]

(١) مُرَهَّق: كثير الأضياف. (٢) المُهْرَق: ثوب من حرير أبيض.
(٣) لبّاتهن: مفردها لبّة، وهي موضع القلادة من الصدر أو النحر.
(٤) تحلّق: تجفّ.

نَكْبَةُ دِمَشْق

«قيلت في حفلة أقيمت لإعانة منكوبي سوريا بتياترو حديقة الأزبكية في يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٢٦م»:

[من الوافر]

سلامٌ من صَبَا بَرَدى أرقُّ
ودمع لا يُكفكَفُ يا دمشقُ[١]
ومعذِرةُ اليراعةِ والقوافي
جلالُ الرُّزْءِ عن وصفٍ يَدِقُّ[٢]
وذكرَى عن خواطِرها لقلبي
إليكِ تلفُّتٌ أبداً وخَفْقُ[٣]
وبي ممّا رمتكِ به الليالي
جِراحاتٌ لها في القلب عُمقُ
دخلتُك والأصيلُ له ائتِلاقٌ
ووجهُك ضاحك القسماتِ طَلْقُ
وتحت جِنانك الأنهارُ تجري
ومِلء رُباك أوراقٌ ووُرْقُ[٤]
وحولي فتيةٌ غرٌّ صِباحٌ
لهم في الفضل غاياتٌ وسَبْقُ

(١) بردى: النهر المعروف في دمشق. يكفكِف: يتوقّف.
(٢) الرزء: المصيبة أو الخطب.
(٣) الخواطر: الأفكار أو الذكريات التي تخطر في الفكر. الخَفْق: بمعنى الخُفُوق. إئتلاق: لمعان وتوهّج.
(٤) الورق: مفردها ورقاء، وهي الحمامة.

عـلـى لَـهَـواتـهـم شـعـراءُ لُـسْـنٌ
وفـي أعـطـافِـهـم خـطـبـاءُ شُـدْقُ(١)

رواة قـصـائـدي فـاْعـجـبْ لـشـعـرٍ
بـكـل مـحـلَّـةٍ يـرويـه خَـلْـقُ

غـمـزتُ إبـاءَهـم حـتـى تَـلَـظَّـتْ
أُنـوفُ الأُسْـدِ واْضـطـرم الـمَـدَقُّ(٢)

وضـجَّ مـن الـشـكـيـمـةِ كـلُّ حُـرٍّ
أبـيٍّ مـن أمـيَّـة فـيـه عِـتْـقُ(٣)

❊ ❊ ❊

لـحـاهـا الـلَّـهُ أَنْـبـاءً تـوالَـتْ
عـلـى سـمـع الـولِـيِّ بـمـا يَـشُـقُّ(٤)

يُـفـصِّـلـهـا إلـى الـدنـيـا بَـريـدٌ
ويُـجـمـلـهـا إلـى الآفـاق بَـرقُ(٥)

تـكـاد لـروعـةِ الأحـداثِ فـيـهـا
تُـخـال مـن الـخُـرافـةِ وهـي صِـدْقُ(٦)

وقـيـل: مـعـالـمُ الـتـاريـخ دُكَّـت
وقـيـل: أصـابـهـا تَـلَـفٌ وحَـرْقُ

ألـسـتِ دمَـشـقُ لـلإسـلام ظِـئـراً
ومُـرضِـعـةُ الأبـوَّة لا تَـعُـقُّ(٧)

صـلاحُ الـديـن تـاجُـك لـم يُـجـمَّـل
ولـم يُـوسَـم بـأزيَـنَ مـنـه فَـرْقُ

---

(١) اللهوات: مفردها لهاة، وهي اللّحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم. لُسْن: أي فصحاء وبلغاء. شدق: مفردها أشدق وهو البليغ المفوّه.
(٢) تلظّت: اشتعلت. اضطرمت: توقّدت. المَدَقّ: قصبة الأنف.
(٣) الشكيمة: الحديدة المعترضة في فم الفرس. العِتق: الكرم أو الأصل الطيّب.
(٤) الوَلِيّ: المُحِبّ الصادق. (٥) فَصّل: بيّن. أَجْمَل: أوجز.
(٦) الأحداث: الخطوب. (٧) الظِّئر: المرضع.

وكــلُّ حــضــارةٍ فــي الأرض طــالــتْ
لــهــا مــن سَــرحــكِ الــعُــلــوي عِــرْقُ(١)
ســمــاؤُكِ مــن حُــلَــى الــمــاضــي كــتــابٌ
وأرضــك مــن حُــلَــى الــتــاريــخ رَقُّ(٢)
بــنــيــتِ الــدَّولــة الــكــبــرى ومُــلــكــاً
غــبــارُ حَــضَــارَتَــيْــهِ لا يُــشــقُّ
لــه بــالــشــام أعــلامٌ وعُــرسٌ
بــشَــائــره بــأَنــدَلُــسٍ تــدَقُ

❊ ❊ ❊

ربــاعُ الــخــلــد ويــحَــك مــا دهــاهــا
أحــقٌّ أَنَّــهــا دَرَســت أحــقُّ
وهــل غُــرَف الــجــنــان مُــنــضَّــداتٌ
وهــل لــنــعــيــمــهــنّ كــأمــس نَــسْــقُ(٣)
وأيــن دُمــى الــمــقــاصِــر مــن حِــجــال
مُــهــتَّــكــة وأســتــارٍ تُــشــقُّ(٤)
بَــرزْنَ وفــي نــواحــي الأيْــك نــارٌ
وخــلــفَ الأيــكِ أفــراخٌ تُــزَقُّ
إذا رُمــن الــســلامــةَ مــن طــريــقٍ
أتــتْ مــن دونــه لــلــمــوت طُــرْقُ
بــلــيــلٍ لــلــقــذائــف والــمــنــايــا
وراءَ ســمــائــهِ خــطْــف وصــعْــقُ

(١) السرْح: الشجر الطويل. (٢) الرَّق: جلد رقيق يستعمل للكتابة.
(٣) مُنضّدات: مُنسّقات.
(٤) الدمى: مفردها دمية، وهي الصورة المنقَّشة الموشَّاة. المقاصر: مفردها مقصورة، وهي الحجرة. الحِجَال: مفردها حَجَلَة، وهي الستر يُضرب للعروس في داخل البيت ويُزيّن لها.

إذا عـصـفَ الـحـديـدُ ٱحـمـرَّ أُفْـقٌ
عـلـى جَـنَـبـاتـه وٱسـودّ أُفْـقُ
سَـلِـي مَـنْ راعَ غـيـدَك بـعـدَ وَهـنٍ
أبـيـنَ فـؤاده والـصـخـرِ فَـرْقُ؟(١)
ولـلـمـسـتـعـمـريـن وإنْ ألَانُـوا
قـلـوبٌ كـالـحـجـارةِ لا تَـرقُّ
رمـاكِ بـطـيـشِـه ورمـى فـرنـسـا
أخـو حـربٍ بـه صَـلَـفٌ وحُـمـقُ
إذا مـا جـاءه طُـلّابُ حـقٍ
يـقـول: عـصـابـة خـرجـوا وشـقُّـوا
دَمُ الـثُّـوَّارِ تـعـرفـه فـرنـسـا
وتَـعْـلَـمُ أنّـه نـورٌ وحـقُّ
جـرَى فـي أرضِـهـا، فـيـه حـيـاةٌ
كـمُـنْـهَـلِّ الـسـمـاءِ وفـيـه رِزقُ(٢)
بـلادٌ مـاتَ فـتـيـتُـهـا لـتَـحْـيـا
وَزَالـوا دون قـومِـهـمُ لـيَـبـقُـوا
وحُـرّرت الـشـعـوبُ عـلـى قَـنـاهـا
فـكـيـف عـلـى قَـنـاهـا تُـسْـتَـرَقُّ(٣)

❊ ❊ ❊

بـنـي سـوريـةَ ٱطّـرِحُـوا الأمـانـي
وألـقـوا عـنـكـمُ الأحـلامَ ألـقُـوا
فـمـن خِـدَعِ الـسـيـاسـةِ أنْ تُـغـرُّوا
بـأَلـقـاب الإمـارة وهـي رِقُّ(٤)

(١) الوَهْن: الساعة المتأخرة من الليل، أو منتصف الليل.
(٢) مُنْهَلّ السَّماء: أي قطرها. (٣) تُسترقّ: تُستعبَد.
(٤) الرِّيف: العبودية.

وكم صَيَدٍ بدا لكَ من ذليلٍ
كما مالتْ من المصلوب عُنْقُ[1]
فُتوق الملكِ تحدُثُ ثم تمضِي
ولا يمضي لِمُختلِفينَ فَتْقُ
نصَحتُ ونحن مُخْتَلِفُون داراً
ولكن كلّنا في الهمِّ شَرْقُ
ويجمَعُنا إذا ٱختلفتْ بلادٌ
بيانٌ غير مختلِف ونُطْقُ
وقفتمْ بين موتٍ أو حياة
فإنْ رمتُم نعِيمَ الدّهر فٱشقُوا
ولِلأوطانِ في دم كلِّ حر
يدٌ سلفتْ ودَيْنٌ مستحِقُّ
ومَنْ يَسْقي ويشربُ بالمنايا
إذا الأحرارُ لم يُسْقوا ويَسْقُوا؟
ولا يَبني الممالكَ كالضحايا
ولا يُدْنِي الحقوقَ ولا يُحقُّ
ففي القتلى لأجيالٍ حياةٌ
وفي الأسرَى فِدًى لهمو وعِتْقُ[2]
وللحريَّةِ الحمراءِ بابٌ
بكلِّ يدٍ مضرّجةٍ يُدَقُّ
جَزاكم ذو الجلالِ بني دمشقٍ
وعِزُّ الشَّرق أوَّلُهُ دمشقُ
نصرتم يومَ مِحْنتِهِ أخاكم
وكلُّ أخٍ بنصر أخيهِ حَقُّ

(١) الصَّيَد: الصَّلِف أو المتكبر.
(٢) العِتْق: الحرية.

ومـــا كـــان الـــدّروز قَـــبِـــيْـــلَ شـــرٍّ
وإن أُخِـذُوا بـمـا لـم يَـسْـتـحِـقُّـوا[١]
ولـــكـــن ذادةٌ وقُـــرَاةُ ضـــيـــفٍ
كَـيْـنـبُـوعِ الـصَّـفـا خَـشُـنـوا ورَقُّـوا[٢]
لـــهـــم جَـــبَـــلٌ أشـــمُّ لـــه شِـــعَـــافٌ
مـواردُ فـي الـسـحـابِ الـجُـونِ بُـلْـقُ[٣]
لـــكـــلِّ لَـــبُـــوءَةٍ ولـــكـــلّ شِـــبْـــلٍ
نِـــضـــالٌ دون غـــابـــتِـــه ورَشْـــقُ
كـأنّ مـن الـسـمـوأل فـيـه شـيـئـاً
فـكـل جِـهـاتـه شـرَفٌ وخَـلْـقُ[٤]

(١) القبيل: الجماعة.
(٢) الذّادة: المدافعون والحامون.
(٣) الشِّعاف: مفردها شَعَفَة، وهو رأس الجبل.
(٤) السموأل: هو السموأل بن عادياء اليهودي، الشاعر المعروف بالوفاء وحفظ الأمانة وصاحب القصيدة التي مطلعها:
إذا المرءُ لم يَدْنسْ من اللؤم عرضه فكل رداءٍ يرتديه جميلُ

رَمَضَانُ وَلَّى

«الأبيات التي بين قوسين ترجمتها جريدة الطان بقلم المرحوم عثمان باشا غالب»: [من الكامل]

رمضانُ وَلَّى هاتِها يا ساقي
مُشْتَاقةً تسعى إلى مُشتاقِ
ما كان أكثرَهُ على أُلَّافِها
وأقلَّهُ في طاعةِ الخلّاقِ
ألَّهُ غفَّار الذنوبِ جميعِها
إنْ كان ثَمَّ من الذنوب بواقِي
بالأمس قد كنَّا سجينَيْ طاعةٍ
واليوم مَنَّ العيدُ بالإطلاقِ
ضحِكتْ إليَّ من السرور ولم تزل
بنتُ الكروم كريمةَ الأعراقِ
هات اسقنيها غيرَ ذات عواقب
حتى نُرَاع لصَيْحَة الصَّفَّاقِ[1]
صِرفاً مسلَّطة الشُّعاع كأنما
من وجنتيك تُدار والأحداقِ
حمراءَ أو صفراءَ إنّ كريمَها
كالغيدِ، كلُّ مليحةٍ بمذَاقِ
وحَذارِ من دَمِها الزكيِّ تريقُهُ
يَكفيك يا قاسي دَمُ العشاقِ

(١) الصَّفَّاق: الدِّيك، لأنه يصفِّق بجناحيه.

لا تَسْقِنِي إلّا دِهاقاً إنني
أُسقى بكأسٍ في الهموم دِهاقِ[1]
فلعلَّ سلطان المدامة مخرجي
من عالَمٍ لم يحوِ غيرَ نِفاقِ
(وطني أَسِفتُ عليكَ في عيد المَلا
وبكيتُ من وجدٍ ومن إشفاقِ)
(لا عيدَ لي حتى أراك بأمّةٍ
شمَّاء راويةٍ من الأخلاقِ)
(ذهب الكرامُ الجامعون لأمرِهم
وبقيتُ في خلَفٍ بغير خَلاقِ)
(أيظلُّ بعضُهُمُ لبعضٍ خاذِلاً
ويقال شعبٌ في الحضارة رَاقِي)
(وإذا أراد اللَّهُ إشقاءَ القُرَى
جعلَ الهُدَاةَ بها دعاة شِقاقِ)

❊ ❊ ❊

ألعيدُ بين يديك يا ابن (محمدٍ)
نَثر السعودَ حُلًى على الآفاقِ
وأتى يقبِّل راحتيك ويرتجي
أنْ لا يفوتكما الزمانَ تَلاقِي
قابلْتَه بسعودِ وجهك والسَّنا
فازداد من يُمنٍ ومن إشراقِ
فاْهنأ بطالعهِ السعيدِ يَزِيْنُهُ
عيدُ الفقير وليلةُ الأرزاقِ

(١) الدِّهاق: الدِّهاق من الكؤوس، أي الممتلئة.

يـتـنـزَّلُ الأجـرانِ فـي صُـبـحـيْـهـمـا
جَـزْلَـيْـن عـن صـوم وعـن إنـفـاقِ[١]
إنـي أُجِـلُّ عـن الـقـتـالِ سـرائـريٍ
إلّا قـتـالَ الـبـؤس والإمـلاقِ[٢]
وأَرى سُـمـومَ الـعـالـمـيـن كـثـيـرةً
وأرى الـتـعـاونَ أَنـجـع الـتِّـريـاقِ[٣]
قَـسَـمـت بَـنـيـهـا وٱسـتـبـدّت فـوقـهـم
دُنـيـا تَـعُـقُّ لـئـيـمـةُ الـمـيـثـاقِ
والـلَّـه أتـبـعـهـا وضـلّـل كـيـدَهـا
مـن راحـتـيـك بـوابـلٍ غـيـداقِ[٤]
يـأسُـو جـراح الـيـائـسـيـن مـن الـورى
ويـسـاعـد الأنـفـاسَ فـي الأرمـاقِ[٥]
بـلـغ الـكـرامُ الـمـجـدَ حـيـن جـروا لـه
بـسـوابـقٍ وبـلـغْـتَـه (بِـبُـراقِ)
ورأوا غـبـارَك فـي الـسُّـهـا وتـراكـضـوا
مَـنْ لـلـنـجـوم ومَـنْ لـهـم بـلِـحـاقِ
مـولاي طِـلْـبـة مـصـرَ أنْ تـبـقـى لـهـا
فـإذا بـقـيـتَ فـكـل خـيـر بـاقِ
سـبـق الـقـريـضُ إلـيـك كـلَّ مُـهـنـئٍ
مـن شـاعـر مـتـفـرِّد سـبَّـاقِ

(١) الأجْران: المقصود أجر الصوم وأجر زكاة الفطر. الجَزْل: الكثير.
(٢) الإملاق: الفقر أو العدم.
(٣) التِّرياق: دواء مركّب ضد السموم.
(٤) الوابل: المطر الشديد. الغيداق: الكريم الجواد، والمعنى، كرمه الكثير الواسع الذي يشبه المطر.
(٥) يأسو: يداوي. الأرماق: مفردها رمق، وهو بقية الحياة.

لـــم يـــدّخـــر إلّا رضـــاك ولا اتّقـــتـــنـــى
إلّا ولاءك أنـــــفـــــسَ الأعـــــلاقِ[١]
إنّ الـقـلـوب وأنـت مـلءُ صـمـيـمـهـا
بـعـثَـتْ تَـهـانـيـهـا مـن الأعـمـاقِ
وأنـا الـفـتـى (الـطّـائـيُّ) فـيـك وهـذه
كَـلِـمِـي هـززتُ بـهـا أبـا إسـحـاقِ[٢]

(١) الأعلاق: النفائس.
(٢) (الطائي): هو الشاعر أبو تمّام الطائي (نسبة إلى قبيلة طيء). الكَلِم: مفردها كلمة، وهي ما ينطق به الإنسان. أبو إسحاق: هو الخليفة المعتصم باللّه.

مِـــصْـــرُ

«وقال وقد كان أعدّ وليمة إلى الكاتب الإنجليزي المستر هول كين»: [من الخفيف]

أيّـــهـــا الـــكـــاتـــب الـــمـــصـــوِّر صَـــوِّرْ
مـصـرَ بـالـمـنـظـر الأنـيـق الـخـلـيـقِ
إنّ مـــصـــراً روايـــةُ الـــدهـــر فـــاْقـــرأ
عِـبـرة الـدهـر فـي الـكـتـاب الـعـتـيـقِ
مَـلْـعَـبٌ مَـثّـل الـقـضـاء عـلـيـه
فـي صـبـا الـدهـر آيـة (الـصـدّيـقِ)(١)
وامّـحـاء (الـكـلـيـم) آنـس نـاراً
والـتـجـاءَ (الـبَـتـول) فـي وقـت ضـيـقِ(٢)
ومـنـايـا (مـنـا) (فـكـسـرى) فـذي (الـقـرْ
نـيْـنِ) فـالـقـيـصـريـنِ (فـالـفـاروقِ)(٣)
دُوَلٌ لـــم تَـــبِـــدْ ولـــكـــن تـــوارت
خـلْـف سـتـر مـن الـزمـان رقـيـقِ
روضـــتـــي أُزَيَّـــنـــت وأبـــدت حـــلاهـــا
حـيـن قـالـوا: رِكـابـكـم فـي الـطّـريـقِ
مـثـلَ عـذراءَ مـن عـجـائِـزِ (رومـا)
بـشّـروهـهـا بـزورة الـبَـطْـرِيـقِ(٤)

---

(١) الصِّدّيق: هو يوسف الصّديق عليه السلام.
(٢) إمّحى: ذهب أثره وزال، والمعنى هنا (صُعِق). الكليم: هو موسى عليه السلام. البتول: هي مريم العذراء عليها السلام.
(٣) (الفاروق): هو الخليفة عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه.
(٤) زورة: بمعنى زيارة.

ضَـحِـكُ الـمـاءِ، والأقـاحـي عـلـيـهـا
قـابـلـتْـه الـغـصـون بـالـتّـصـفـيـقِ[١]
زرتَـهـا والـربـيـعُ فـصـلاً فـخـفَّـت
نـحـو ركـبـيـكـمـا خُـفـوفَ الـمـشـوقِ
فأنزلا في عيون نرجِسِها الغضّ صِياناً وفوق خدّ الشّقيقِ[٢]

(١) الأقاحي: واحدتها أقحوانة، وهي نبات له زهر أبيض.
(٢) الشقيق: زهرة حمراء اللون، وجمعها شقائق ويطلق عليها اسم شقائق النعمان.

الْبَحْرُ الأَبْيَضُ الْمُتَوَسّطُ

[من الكامل]

أيُّ الـــمـــمـــالـــك أيُّـــهـــا
فـــي الـــدَّهـــرِ مـــا رفـــعـــتْ شِـــراعـــكْ
يـــا أبـــيـــضَ الآثـــار والـــصَّـــفـــحـــات ضُـــيِّـــعَ مـــن أضـــاعَـــكْ
إنّ الـــبـــيـــانَ وإنّ حُـــسْـــنَ الـــعـــقـــلِ مـــا زالا مَـــتـــاعَـــكْ[1]
أبَـــداً تُـــذكـــرنـــا الـــذيـــن جـــلـــوا عـــلـــى الـــدُّنـــيـــا شُـــعـــاعَـــكْ
وبـــنـــوا مـــنـــارَك عـــالـــيـــاً مُـــتـــألـــقـــاً وبـــنـــوا قِـــلاعَـــكْ
وتـــحـــكَّـــمـــوا بـــك فـــي الـــوجـــو د تـــحـــكـــمـــاً كـــان ابـــتـــداعَـــكْ[2]
حـــتـــى إذا جـــئـــتَ الأنـــا م بـــأهـــل حـــكـــمـــتـــه أطـــاعَـــكْ
والـــيـــومَ عَـــقَّ كـــأنـــمـــا يَـــنـــسـى جـــمـــيـــلـــك واْصـــطـــنـــاعَـــكْ[3]
فـــأبـــلـــغْ فـــديـــتـــك كـــلَّ مـــا ئِـــك فـــالـــمـــلا يـــنـــوي ابـــتـــلاعَـــكْ

(١) البيان: البلاغة.
(٢) الابتداع: بمعنى الإبداع والخلق.
(٣) عقّ: عَصَا وجَحِد.

في مَعْرَضِ الأزْهارِ بِبَارِيْس

[من الخفيف]

«وقال عندما زار قسم الأزهار والثمار في المعرض بباريس سنة ١٩٠١م»:

رزق اللَّه أهلَ باريس خيراً
وأَرى العقلَ خيرَ ما رُزِقوهُ
عندهم للثّمارِ والزهرِ مما
تنجِب الأرضُ معرضٌ نَسقوهُ[١]
جنَّة تخلِب العقولَ وروضٌ
تجمع العينُ منه ما فرَّقوهُ
مَنْ رآه قال قد حُرموا الفر
دوس لكن بسحرهم سرقوهُ
ما ترى الكرمَ قد تشاكل حتى
لو رآه السُّقاةُ ما حقَّقوهُ
يُسكر الناظرين كرماً ولمَّا
تَعْتَصِرْه يدٌ ولا عتَّقوهُ
صوروه كما يشاؤُون حتى
عجب الناسُ كيف لم يُنطِقوهُ
يجدُ المتَّقي يدَ اللَّه فيه
ويقول الجحودُ قد خَلَقُوهُ[٢]

(١) تُنْجب الأرض: تُخرج وتُنبت.
(٢) الجَحود: المنكر للفضل.

بَارِيسُ

[من الكامل]

جَـهْـدُ الـصـبـابـةِ مـا أكـابـد فـيـكِ
لـو كـان مـا قـد ذقْـتُـه يـكـفـيـكِ
حـتَّـامَ هِـجـرانِـي وفـيـمَ تَـجـنُّـبـي
وإلَامَ بـي ذُلُّ الـهـوى يُـغـرِيـكِ؟
قـد مُـتّ مـن ظـمـإٍ فـلـو سـامـحـتـنـي
أنْ أَشـتـهـي مـاءَ الـحـيـاةِ بـفِـيـكِ
أجـدُ الـمـنـايـا فـي رضـاكِ هـي الـمُـنَـى
مـاذا وراءَ الـمـوتِ مـا يُـرْضـيـكِ
يـا بـنـت مـخـضـوبِ الـصـوارم والـقـنـا
بَـرِئـتْ بـنـانُـك مـن سـلاح أبـيـكِ
فـخـضـابُ تـلـك مـن الـعـيـونِ وقـايـةٌ
وخـضـابُ ذاك مـن الـدمِ الـمـسـفـوكِ
جـفـنـاك أيـهـمـا الـجـريءُ عـلـى دمـي
بـأبـي هـمـا مـن قـاتـلٍ وشـريـكِ
بـالـسـيـفِ والـسـحـرِ الـمـبـيـن وبـالـطِّـلا
حـمـلا عـلـيَّ وبـالـقـنـا الـمـشـبـوكِ[1]
بـهـمـا وبـي سَـقَـمٌ ومـن عـجـب الـهـوى
عُـدْوان مـنـكـسـرٍ عـلـى مَـنْـهـوكِ
رِفـقـاً بـمـسـبـلـةِ الـشـؤونِ قـريـحـةٍ
تـسـلـو عـن الـدُّنـيـا ولا تَـسْـلـوكِ[2]

(١) الطِّلا: الخمر.
(٢) مسبلة: من أسبل الدمع، أي أرسله. الشؤون: الدموع. قريحة: جريحة.

أبكيتها وقعدتِ عن إنسانِها
يا للرِّجال لمُغْرَقٍ متروكِ[١]
ضلّت كَراها في غياهب حالكٍ
ضلَّ الصباحَ عليه صوتُ الديكِ[٢]
رقَّ النسيم على دُجاه لأنَّتي
ورَثى لحالي في السماء أخوكِ[٣]
قاسيته حتى أنجلى بالصبح عن
سرِّي المصونِ ومدْمعي المهتوكِ
سُلَّت سيوفُ الحيِّ إلّا واحداً
إفرنده في جَفْنِه يحميكِ[٤]
جردتهِ في غير حق كالأُلى
سلّوا سيوفَهُمُ على أهليكِ
طلعتْ على حرَمِ الممالكِ خيلُهم
ناراً سنابكُها على (البلجيكِ)[٥]
ألبأسُ والجبروتُ في أعرافها
والموتُ حول شكيمها المعلوكِ[٦]
عَرَّتْ (لياجَ) عن الحصون وجرَّدَت
(نامورَ) عن فولاذِها المشكوكِ[٧]

---

(١) إنسانها: أي إنسان العين، وهو المثال يُرى في سوادها.
(٢) كراها: نومها. غياهب: ظلمات.
(٣) أخوك: يعني القمر. (٤) إفرنده: أي جوهره ووشيه.
(٥) سنابكها: حوافرها أو أطراف حوافرها.
(٦) الأعراف: مفردها عرف، وهو شعر عنق الفرس. الشَّكِيْم: مفردها شكيمة، وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس. المعلوك: من علك الفرسُ اللجامَ أي لاكه وحرّكه في فمه.
(٧) المشكوك: أي المشدود، أو المضْمُوم بعضه إلى بعض.

تمشي على خَطِّ الملوكِ وخَتْمهم
وعلى مصونِ مواثق وصكوكِ[١]
والحرب لا عقلٌ لها فتسومُها
ما يَنبغي من خُطَّةٍ وسلوكِ
دكَّتْ حصونَ القوم إلّا مَعْقلاً
من نخوةٍ وحَمِيَّةٍ وفُتوكِ
وإذا ٱحتمى الأقوامُ باستقلالهم
لاذوا بركن ليس بالمدكوكِ
ولقد أقول وأَدمُعي منهلَّةٌ
(باريس) لم يعرفْكِ مَنْ يغزوكِ
ما خِلت جناتِ النعيم ولا الدُّمى
تُرْمَى بمشهود النهار سفوكِ[٢]
زعموكِ دارَ خلاعةٍ ومجانةٍ
ودعارةٍ يا إفكَ ما زعموكِ!
إنْ كنتِ للشهوات رِيًّا فالعُلا
شهواتُهنّ مروَّياتٌ فيكِ
تَلِدين أعلام البيان كأنهم
أصحابُ تيجانٍ ملوكُ أريكِ
فاضت على الأجيال حكمةُ شِعْرهم
وتفجَّرَت كالكوثر المعروكِ[٣]
والعلمُ في شرقِ البلاد وغربها
ما حجَّ طالبُه سوى ناديكِ

(١) معنى البيت، أنها انتهكت المواثيق والمعاهدات.
(٢) الدُّمى: مفردها دمية، وهي الصورة المنقَّشة الموشَّاة. تُرْمَى بمشهود النهار سفوك: تعني الحرب.
(٣) كالكوثر المعروك: أي كالمياه المتعارك عليها بسبب الزحام.

ألـعـصـرُ أنـتِ جـمـالـه وجـلالـه
والـركـنُ مـن بـنـيـانِـه الـمَـسْـمـوكِ[١]
أخـذت لـواءَ الـحـق عـنـك شـعـوبُـه
ومـشـت حـضـارتُـه بـنـورِ بَـنـيـكِ
وخِـزانـة الـتـاريـخ سـاعـةَ عـرْضِـهـا
لـلـفَـخْـر خـيـرُ كـنـوزهـا مـاضـيـكِ
ومـن الـعـجـائـب أنّ واديـكِ الـشَّـرَى
ومـراتـع الـغـزلان فـي واديـكِ[٢]
يـا مـكـتـبـي قـبـلَ الـشـبـاب ومـلـعـبـي
ومـقـيـلَ أيـام الـشـبـابِ الـنُّـوكِ[٣]
ومَـرَاحَ لـذاتـي ومـغْـداهـا عـلـى
أفُـقٍ كـجـنَّـات الـنـعـيـم ضَـحـوكِ
وسـمـاءَ وحْـيِ الـشِّـعـر مـن مُـتـدفـقٍ
سَـلِـسٍ عـلـى نَـوْل الـسـمـاء مَـحـوكِ[٤]
لـمّـا ٱحـتـمـلـتُ لـكِ الـصـنـيـعـةَ لـم أَجـد
غـيـرَ الـقـوافـي مـا بـه أجـزيـكِ
إنْ لـم يـقُـوْكِ بـكـل نـفـسٍ حـرةٍ
فـالـلَّـه جـلّ جـلالـه واقـيـكِ

(١) المسموك: العالي، أو الطويل.
(٢) الشّرى: موضع تكثر فيه الأسود يضرب به المثل، يقال إنه بجانب الفرات.
(٣) أيام النوك: أي أيام الحماقة.
(٤) النّوْل: خشبة أو آلة ينسج عليها الحائك. مَحُوك: من حاك أي منسوج.

لنا صاحبٌ

[من الطويل]

«وقال في صاحب أهوج كثير الحركة والكلام»:

لـنـا صـاحـبٌ قـد مُـسَّ إلّا بـقـيَّـةً
فـلـيـس بـمـجـنـونٍ ولـيـس بـعَـاقِـلِ
لـه قـدَمٌ لا تَـسـتَـقِـرُّ بـمـوضـعٍ
كـمـا يَـتَـنَـزَّى فـي الـحـصـى غـيـرُ نـاعـلِ[1]
إذا مـا بَـدا فـي مـجـلـسٍ ظُـنّ حـافِـلاً
مـن الـصَّـخَـب الـعـالـي ولـيـس بـحـافِـلِ
ويُـمـطـرنـا مـن لـفـظـهِ كـلَّ جـامـدٍ
ويُـمـطـرنـا مـن رَيْـلِـه شـرَّ سـائِـلِ[2]
ويُـلـقِـي عـلـى الـسُّـمـارِ كـفًّـا دِعـابُـهـا
كـعـضَّـةِ بَـرْدٍ فـي نـواحـي الـمـفـاصـلِ

(١) يتنزَّى: يثب. غير ناعل: لا يلبس في رجله نعلاً.
(٢) رَيْله: لُعابه.

وداع محجوبُ

[من الكامل]

«وقال يشيّع صديقه الدكتور محجوب ثابت وهو مسافر وفيها وصف لبعض الأماكن المقدّسة»:

محجوبُ إنْ جئت الحجا ... زَ وفي جوانحك الهوَى لَهْ
شوقاً وحبًّا بالرسو ... ل وآله أزكى سُلالَهْ
فلمحتَ نضرةَ بَانِهِ ... وشَمَمتَ كالريحان (ضالَهْ)
وعلى (العتيق) مشيْت تَنـ ... ـظر فيه دمعَك وانهمالَهْ[1]
ومضى السُّرى بك حيث كا ... ن الرّوحُ يسري والرسالَهْ
وبلغْتَ (بيتاً) بالحجا ... ز يبارك الباري حيالَهْ
أللَّهُ فيه جلا الحرَا ... مَ لخلقه وجلا حلالَهْ
فهناك طبُّ الروح طـ ... ـبُّ العالمين من الجَهالَهْ
وهناك أطلال الفصا ... حةِ والبلاغة والنبالَهْ
وهناك أزكى مَسْجِدٍ ... أزكى البريّةِ قد مشى لَهْ
وهناك عذريّ الهوى ... وحديثُ (قيس) والغزالَهْ[2]
وهناك مُجْري الخيل يُجـ ... ـري في أعنَّتها خيالَهْ
وهناك مَنْ جمع السما ... حة والرجاحة والبسالَهْ[3]
وهناك خيِّمت النُّهى ... والعلمُ قد ألقى رِحالَهْ
وهناك سرْحُ حضارة ... أللَّهُ فيَّأنا ظلالَهْ[4]

---

(١) العتيق: بيت اللَّه الحرام.

(٢) (قيس): هو قيس بن الملوّح المشهور بمجنون بني عامر، وله أحاديث وأخبار كثيرة في كتب الأدب وخاصة كتاب «الأغاني» ومنها حديث الغزالة المشار إليه في بيت الشعر.

(٣) إشارة إلى مَنْ جمع بين السيف والقلم.

(٤) السَّرْح: الشجر الطويل، أي كناية عن امتداد الحضارة كالشجر الممتد في أعماق الأرض.

إنّ (الحسين) ابن (الحسـ ... ـين) أمير مكة والإيالَهْ
قمرُ الحجيج إذا بدا ... دار الحجيج عليه هالَهْ
أنت العليل فَلُذْ به ... مستشفياً وآغنم نوالَهْ[1]
لا طِبَّ إلّا جَدّه ... شافي العقول من الضّلالَهْ
قبِّل ثراه وقُلْ له ... عنّي وبالغ في المقالَهْ
أنا يا ابن أحمد بعد مد ... حي في أبيك بخير حالَهْ
أنا في حمى الهادي أبيـ ... ـك أحبُّه وأجلُّ آلَهْ
شوقي إليك على النَّوى ... شوق الضَّرير إلى الغزالَهْ[2]
يا ابن الملوك الراشدي ... ـن الصالحين أُولِي العدالَهْ
إنْ كان بالملك الجلا ... لةُ فالنبيّ لكم جلالَهْ
أو ليس جدُّكُمُ الذي ... بلغَ الوجودُ بهِ كمالَهْ

(١) النَّوال: العطاء.
(٢) الغزالة: من أسماء الشمس.

طُوكْيُو

[من الخفيف]

«وصف نكبة اليابان الأخيرة بالزلزال الشهير»:

قِفْ (بطوكيو) وطُفْ على (يوكاهامَهْ)
وسَلِ القريتَيْن كيف القيامَهْ
دَنَتِ السّاعةُ التي أُنذِرَ النا
سُ وحلّتْ أشراطُها والعلامَهْ(١)
قِفْ تأمّل مصارعَ القوم وانظُر
هل ترى من ديار (عادٍ) دِعامَهْ
خُسِفَتْ بالمساكن الأرضُ خسفاً
وطوى أهلُها بِساطَ الإقامَهْ(٢)
طوِّفت بالمدينتين المنايا
وأدارَ الردى على القوم جامَهْ(٣)
لا ترى العينُ منهما أين جالت
غيرَ نِقضٍ أو رِمّةٍ أو حُطامَهْ(٤)
حازَهم من مراجِل الأرض قبرٌ
في مدى الظنّ عمقه ألفُ قامَهْ(٥)
تحسبُ الميتَ في نواحيه يُعيي
نفخةَ الصُّورِ أنْ تَلُمَّ عِظامَهْ

(١) الأشراط: مفردها شرط، وهي العلامة.
(٢) المعنى، أن ساكنيها قد ارتحلوا.
(٣) الجام: الكأس.
(٤) النِّقض: أي البناء المنقوض. الرِّمة: الشيء البالي. الحطامة: ما تحطّم وتكسّر من الشيء.
(٥) مراجل: مفردها مِرْجَل وهو القدر.

أصبحوا في ذَرَى الحياة وأمسَوا
ذهبَتْ ريحُهم وشالوا نعامَهْ[١]
ثِقْ بما شئتَ من زمانك إلّا
صحبةَ العيش أو جِوارَ السلامَهْ
دولةُ الشّرق وهي في ذروة العزّ تحار العيون فيها فخامَهْ
خانها الجيشُ وهو في البَرِّ دِرعٌ
والأساطيلُ وهي في البحر لامَهْ[٢]
لو تأمّلتها عشيَّةَ جاشت
خِلتها في يد القضاء حمامَهْ
رجَّها رجَّةً أكبَّت على قر
نيه (بوذا) وزلزلتْ أقدامَهْ
أستعذنا باللَّه من ذلك السّيـ
ـل الذي يكسحُ البلادَ أمامَهْ
مَنْ رأى جلمداً يَهُبُّ هبوباً
وحميماً يَسُحّ سحَّ الغمامَهْ[٣]؟
ودخاناً يَلُفُ جُنحاً بجنحٍ
لا ترى فيه مِعْصَميها اليمامَهْ[٤]
وهزيماً كما عوى الذئبُ في كلَّ مكانٍ وزمجر الضرغامَهْ

❊ ❊ ❊

أتت الأرضُ والسماءُ بطوفا
ن يُنسِّي طوفانَ نوحٍ وعامَهْ

---

(١) الذَّرى: الظلّ أو الملجأ. ذهبت ريحهم: تفرّقوا.
(٢) اللّامة: الدّرع، (مخففة من اللأمة).
(٣) الجلمد: الصخر. الحميم: الماء الحار.
(٤) جُنح الليل: الطائفة منه. اليمامة: هي زرقاء اليمامة المشهورة بحدّة البصر.

فـتـرى الـبـحـرَ جُـنّ حـتـى أجـاز الـ
ـبَـرَّ واحـتـل مـوجُـه أعـلامَـهْ[١]
مُـزْبـداً ثـائـر الـلُّـجـاج كـجـيـشٍ
قـوَّضَ الـعـاصـفُ الـهـبـوبُ خـيـامَـهْ
فُـلْـكُ نـوح تـعـودُ مـنـه بـنـوحٍ
لـو رأتـه وتـسـتـجـيـر زمـامَـهْ
قـد تـخـيـلـتـهـم مـتـابـيـلَ سـحـرٍ
مـن قـراع الـقـضـاء صَـرْعـى مُـدامَـهْ
وتـخـيـلـتُ مَـنْ تـخـلَّـف مـنـهـم
ظـنَّ لـيـلَ الـقـيـام ذاك، فـنـامَـهْ
أبـراكـيـنُ تـلـك أم نـزواتٌ
مـن جـراحٍ قـديـمـة مُـلْـتـامَـهْ[٢]
تـجـد الأرضُ راحـةً حـيـث سـالَـتْ
راحـةَ الـجـسـم مـن وراء الـحِـجـامَـهْ[٣]
مـا لـهـا لا تـضـجّ مـمـا أقـلَّـت
مـن فـسـادٍ وحُـمِّـلـت مـن ظُـلامَـهْ
كـلّـمـا لُـبِّـسَـتْ بـأهـل زمـانٍ
شـهِـدتْ مـن زمـانـهـم آثـامَـهْ
إستـووا (بـالأذى) ضُـرّاً وبـالـشّـرّ ولـوعـاً وبـالـدمـاء نَـهـامَـهْ[٤]
لـبّـسـت هـذه الـحـيـاةُ عـلـيـنـا
عـالـم الـشـرّ وحـشَـه وأنـامَـهْ

---

(١) أجاز البر: أي سلكه. (٢) نزوات: وثبات.
(٣) الحجامة: الفصد.
(٤) هناك خلل في وزن الشعر في الشطر الأول، ولكي يستقيم الوزن يستحسن استبدال كلمة (بالأذى) بكلمة (بالأذاة) ولهذا جرى التنبيه.

ذاك مــن مُــؤنــســاتــه الــظّــفــرُ والــنّــا
بُ وهــذا ســلاحُــه الــصَــمْــصَــامَــهْ
سَــرّهُ مــن أُســامــةَ الــبَــطْــشُ والــفــتــ
ـكُ فــسَــمَّــى ولــيــدَه بــأُســامَــهْ[1]
لــؤُمــت مــنــهــمــا الــطــبــاعُ ولــكــن
ولــدُ الــعــاصــيَــيْــن شَــرٌّ لآمَــهْ[2]

(١) أسامة: من أسماء الأسد.
(٢) العاصيين: آدم وحواء.

طَابَعُ الْبَرِيد

[من الخفيف]

«العيد الفضيّ ـ ١٠ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٠م ـ لطابع البوستة في جنيف. سلام على لسان البريد»:

أنا من خمسة وعشرين عامَا ... لم أُرِحْ في رضاكُمُ الأقْدامَا
أركبُ البحرَ تارةً وأجوبُ الـ ... ـبَرَّ طَوراً وأقطعُ الأيَّامَا
ويُوافي النفوسَ منّي رسول ... لم يكن خائناً ولا نَمَّامَا
يَحمِلُ الغِشَّ والنصيحة والبغـ ... ـضاءَ والحُبَّ والرِّضى والملامَا
ويَعِي ما تُسِرُّه من كلام ... ويُؤدّي كما وعاهُ الكلامَا
ولقد أُضحِكُ العَبوسَ بيومٍ ... فيه أُبْكي المُنعَّمَ البسَّامَا
وأُهنِّي على النَّوَى وأُعزِّي ... وأُفيد الحرمانَ والإنعامَا
وجزَائِي عن خدمتي ووَفائي ... ثمنٌ لا يُكلِّف الأقوامَا
رُبَّ عبدٍ قد اشتراني بمال ... وغلام قد ساق منّي غلامَا
عرفَ القومَ في (جنيفا) محَلِّي ... وجزَوْنِي عن خدمَتي إكرامَا
جامَلوني إذ تَمَّ لي ربعُ قرنٍ ... مثلما جامَلوا الملوكَ العِظامَا
ويوبيلُ الملوك يلبث يوماً ... ويوبيلي يدوم في الناس عامَا

الطَّيَّارُونَ الْفَرَنْسِيُّون

[من الرّمل]

قُمْ (سليمانُ) بِساطُ الرّيح قامَا ... مَلكَ القومُ من الجوّ الزِّمامَا
حين ضاق البرُّ والبحرُ بهم ... أسرجو الريحَ وساموها اللّجامَا[١]
صار ما كان لكم معجزة ... آية للعلم آتاها الأنامَا
قدرة كنتَ بها منفَرداً ... أصبحت حِصَّةَ مَنْ جَدَّ اعتزامَا
(عينُ شمسٍ) قام فيها ماردٌ ... من عفاريتك يُدعى (شاتهامَا)
يملأ الجوّ عَزِيفاً كلما ... ضرب الريح بسوطٍ والغمامَا
ملك الجو تليه عصبةٌ ... جمعت شهماً ونِدْباً وهُمامَا[٢]
إستوَوْا فوقَ (مناطيدهمُ) ... ما يُبالونَ حياةً أم حِمامَا
وقبوراً في السمٰوات العُلا ... نزَلوا أم حُفرَاتٍ ورَغَامَا[٣]
مطمئِنين نفوساً كلّما ... عبَسَتْ كارثة زادوا ابتساماً
صهوةَ العزّ اعتلوا تحسبهم ... جمعَ أملاكٍ على الخيلِ تَسَامَى
رفعوا (لولبها) فاندفعت ... هل رأيتَ الطيرَ قد زَفّ وحامَا[٤]
شال بالأذناب كلٌّ ورمى ... بجناحيه كما رُعْتَ النَّعامَا[٥]
ذهبت تسمو فكانت أعْقُباً ... فنسوراً فصقوراً فحَمَامَا![٦]
تنبري في زَرَق الأفق كما ... سبحَ الحوتُ بدأماءٍ وعامَا[٧]

(١) سام: من سامه الأمر، أي كلّفه أياه.
(٢) النَّدْب: هو السريع إلى الفضائل.
(٣) الرَّغام: التراب.
(٤) زفّ الطير: بسط جناحيه ورمى بنفسه.
(٥) شال الطائر بذنبه: أي رفعه.
(٦) الأعْقُب: مفردها عقاب، وهو طائر من الجوارح.
(٧) الدأماء: البحر.

بعضُها في طلب البعض كما ... طارد (النَّسرُ) على الجوّ القَطامَا[١]
ويراها عالمٌ في زُحَلٍ ... أُرسلتْ من جانب الأرض سهامَا[٢]
أو نجوماً ذات أذنابٍ بدت ... تُنْذِرُ الناسَ نُشوراً وقيامَا[٣]
أترى القوّة في جُؤجُؤهِ ... وهو بالجؤجؤ ماضٍ يَترامَى[٤]؟
أم تراها في الخوافي خفيت ... أم مَقَر الحول في بعض القُدَامَى[٥]؟
أم ذنابـاه إذا حرّكه ... يَزِن الجسم هبوطاً وقيامَا
أم بعينيه إذا ما جالتا ... تكشفان الجوّ غيثاً أم جَهامَا[٦]
أم بأظفار إذا شبَّكها ... نفذت في الريح دَفْعاً واْستلامَا
أم أمدّته بروحٍ أمُّه ... يومَ ألقته وما جاز الفِطامَا
فتلقّاهُ أبٌ، كم من أبٍ ... دونَه في الناس بالوُلْدِ اهتمامَا
فلكيٌّ هو إلّا أنّه ... لم ينل فَهْماً ولم يُعط الكلامَا
طِلْبَةٌ قد رامها آباؤنا ... واْبتغاها مَنْ رأى الدهرَ غلامَا[٧]
أسقطت (إيكارَ) في تجربة ... (وابنَ فِرْناس) فما اْسطاعا قِيامَا
في سبيل المجد أودى نفرٌ ... شهداءُ العلم أعلاهم مَقامَا[٨]
خلفاءُ الرسل في الأرض هُمو ... يبعث اللَّه بهم عاماً فعامَا
قطرةٌ من دمهم في ملكه ... تملأ المُلْكَ جمالاً ونظامَا

❊ ❊ ❊

رَبِّ إنْ كانت لخيرٍ جُعِلت ... فاْجعلِ الخيرَ بناديها لِزامَا
وإنِ اْعتزَّ بها الشرُّ غداً ... فتعالت تمطرُ الموت الزُّؤامَا[٩]

(١) القَطَام: الصقر.
(٢) زحل: كوكب.
(٣) النشور: إحياء الموتى يوم البعث.
(٤) الجؤجؤ من الطائر: الصدر.
(٥) الخوافي: ريشات إذا ضمّ الطائر جناحَيْه خَفِيتْ. الحول: القوة. القدامى: مفردها قادمة وهي ريشات في مقدّم الجناح.
(٦) الجَهام: السحاب لا قطر فيه.
(٧) الطِّلْبة: الاسم من المطالبة أي ما يطلب.
(٨) أودى نفر: أي أصابهم الموت.
(٩) الموت الزؤام: الموت السريع.

فـأمـلإ الـجـوَّ عـلـيـهـا رُجُـمـاً رحـمـةً مـنـكَ وعـدلاً وانـتـقـامَـا

* * *

يـا (فـرنـسـا) لا عَـدِمـنـا مِـنَـنـاً لـكِ عـنـد الـعـلـم والـفـنّ جِـسـامَـا
لـطـف الـلَّـهُ بـبـاريـس ولا لـقـيـتْ إلّا نـعـيـمـاً وسـلامَـا
رَوّعـت قـلـبـي خُـطـوبٌ روّعـت سـامِـرَ الأحـيـاء فـيـهـا والـنـيـامَـا[1]
أنـا لا أدعـو عـلـى (سِـيـن) طـغـى إنّ (لـلـسـيـن) وإنْ جـار ذِمـامَـا[2]
لـسـتُ بـالـنـاسـي عـلـيـه عـيـشـةً كـانـت الـشُّـهـدَ وأحـبـابـاً كِـرامَـا
إجـعـلـوهـا رُسْـلَـكـم أهـلَ الـهـوى تـحـمـلُ الأشـواقَ عـنـكـم والـغـرامَـا
وٱسـتـعـيـروهـا جـنـاحـاً طـالـمـا شَـغَـف الـصَّـبَّ وشـاق الـمـسـتـهـامَـا
يـحْـمِـلُ الـمُـضْـنَـى إلـى أرض الـهـوى (يـمـنـاً) حَـلَّ هـواه أم (شـآمَـا)[3]

* * *

أركـب الـلـيـث ولا أركـبُـهـا وأرى لـيـثَ الـشّـرى أوفـى ذِمـامَـا
غـدرت (جـيـرونَ) لـم تـحـفـل بـه وبـمـا حـاولَ مـن فـوزٍ ورامَـا
وقـعـتْ نـاحـيـةً فـٱحـتـرقـت مثل قُرص الشمسِ بالأفق اضطرامَا
راضَـهـا بـالـيـمـنِ مـن طـلـعـتـه خيرُ مَنْ حَجَّ ومَنْ صلّى وصامَا
كـخـلـيـلِ الـلَّـه فـي حـضـرتـه خَـرَّتِ الـنَّـارُ خشـوعـاً واحـتـرامَـا

* * *

ما (لروحي) صاعداً ما ينتهي؟ أتُـراه آثـرَ الـجـوّ فـرامَـا؟
كـلـمـا دار بـه دورَتَـه أبـدت الـريـحُ امـتـثـالاً وارتـسـامَـا
أنـا لـو نـلـتُ الـذي قـد نـالـه ما هَبَطْتُ الأرض أرضاها مُقامَا
هـل تـرى فـي الأرضِ إلّا حـسـداً ورِيـاءً ونِـزاعـاً وخِـصـامَـا؟

* * *

مُـلـكُ هـذا الـجـو فـي مـنـعـتـه طالـما لـلـنـجـم والـطـيـر ٱسـتـقـامَـا

---

(١) روّعت: أفزعت. الخطوب: المصائب.
(٢) الذِّمام: الحرمة أو الحق.
(٣) المضنى: المريض.

حسد الإنسانُ سِرْبَيْهِ بما أُوتيا في ذُرْوةِ العزِّ اعتصامَا[١]
دخلَ العشَّ على أنسُرِه أترى يغْشى من النجم السَّنامَا[٢]
أيّها الشّرق ٱنتبه من غفلةٍ ماتَ مَنْ في طُرقاتِ السَّيلِ نامَا
لا تقولنَّ عظاميٌّ أنا في زمانٍ كان للناس عِصامَا[٣]
شاقَتِ العلياءُ فيه خَلَفاً ليس يألوها طِلاباً واغتنامَا
كلَّ حينٍ منهمو نابغةٌ يفضُلُ البدرَ بهاءً وتمامَا

❊ ❊ ❊

خالق العُصْفورِ حيّرتَ به أُمماً بادوا وما نالوا المرامَا
أَفْنَوا النَّقْدَين في تقليده وهو كالدرهم ريشاً وعظامَا

(١) السِّرْب: هو القطيع أو الجماعة من الظباء أو من الطيور وغيرهما، والمقصود بـ «سِرْبَيْه» أي النجم والطير.
(٢) السَّنام: أعلى ظهر البعير أو الحدبة.
(٣) العِظاميّ: هو من افتخر بنسب آبائه وأصله وفصله. عصام: هو حاجب النعمان الذي شَرُف وٱفتخر بنفسه لا بآبائه، والمنسوب إليه هو العِصاميّ.

وَصْفُ مَرْقَص

[من السّريع]

«وقال يصف «البال» الخديوي الذي أقيم سنة ١٩٠٣م بسراي عابدين»:

طـال عـلـيـهـا الـقِـدَمْ ... فـهـي وجـودٌ عَـدَمْ
قـد وُئِـدتْ فـي الـصِّـبـا ... وٱنـبـعـثـت فـي الـهَـرَمْ(١)
بـالـغَ فِـرعـون فـي ... كـرمـتـهـا مـن كـرَمْ
أهـرَقَ عُـنْـقُـودهـا ... تَـقْـدِمَـةً لـلـصَّـنَـمْ
خَـبَّـأَهـا كـاهِـنٌ ... نـاحـيـةً فـي الـهَـرَمْ
أُكـتُـشِـفـتْ فـٱمَّـحـتْ ... غـيـر شـذاً أو ضَـرَمْ(٢)
أو كـخـيـالٍ لـهـا ... بـعـد مَـتـابٍ أَلَـمّ(٣)
نَـمَّ بـهـا دَنُّـهـا ... وهـي عـلـيـه أَنَـمّ
بـي رَشَـأٌ نـاعـم ... مـا عـرَف الـعُـمـرَ هَـمّ(٤)
أخـرجـهـا الـلَّـهُ كـالـ ... ـزهـرة والـحـسـنُ كِـمّ(٥)
تـخـطُـر عـن عـادلٍ ... لـم يُـرَ إلّا ظَـلَـمْ
تـبـسُـم عـن لـؤلـؤ ... قـدَّره مَـنْ قَـسَـمْ
كـرّمـه فـي الـنـوى ... هـذَّبـه فـي الـيَـتَـمْ(٦)
مـضـطَّـهـدٌ خـصـرُهـا ... جـانـبـهُ مُـهـتَـضَـمْ
طـاوعَ مـن صـدرِهـا ... أيَّ قـويٍّ حـكـمْ

---

(١) وُئِدتْ: دُفنت وهي حيّة في القبر.
(٢) امّحت: من امّحى الشيء، أي زال أثره. الشّذا: قوة ذكاء الرائحة. الضَّرَم: الاشتعال.
(٣) أي كخيال الخمرة إذا أَلَمَّ بالتائب عن شربها.
(٤) الرشأ: ولد الظبية الصغير.
(٥) الكِمّ: غطاء النَّوْر.
(٦) اليَتَم: بمعنى اليُتم، وهو الانفراد، ويقال: درّة يتيمة أي متفرّدة لا نظير لها.

حَمَّلَهُ ثِقْلَهُ ثُمّ عليه ٱدَّعَمْ[١]
تسأل أترابَها مؤمنةً بالعَنَمْ[٢]
أيُّ فتًى ذلكنّ العربيّ العَلَمْ؟
يَشربها ساهراً ليلتَه لم يَنَمْ
قُلْنَ تَجَاهَلْتِهِ ذلك ربُّ القلمْ
شاعرُ مصر الذي لو حَفِيَ النجمُ لمّ
قلتُ لها ليتَ لم نُرَمْ ولم نُتَّهمْ
عاذِلَتِي في الطِّلا لو أنصفتْ لم أُلَمْ[٣]
إنْ عَبَسَ العيشُ لي عُذْتُ بها فٱبتَسمْ
يَشرَبها كابر بين ضلوعي أشَمّ[٤]
يَبذلُ إلّا النّهى يَهتك إلّا الحُرَمْ
يُكسبها خُلْقه يَمزجها بالشِّيمْ
يَمنعها حلمه إنْ دفعته ٱحتشمْ
تلك شموسُ الدُّجى أم ظَبياتُ الخِيمْ
تُقبِلُ في موكبٍ شَقَّ سناه الظُّلَمْ
خِلتَ بأنواره قَرْنَ ذُكاءٍ نَجَمْ[٥]
مقصِدُها سُدَّةٌ آل إليها العِظَمْ
حيث كبارُ المَلا بعضُ صِغارِ الخَدَمْ
قد وقفوا لِلْمَهَا فٱنسَرَبتْ من أَمَمْ[٦]

---

(١) ادّعم: ارتكز.
(٢) العنم: شجر له ثمرة حمراء يشبّه بها البنان المخضوب.
(٣) الطِّلا: الخمر.
(٤) الكابر: هو صاحب الشأن الرفيع.
(٥) ذكاء: من أسماء الشمس.
(٦) المها: مفردها مهاة، وهي البقرة الوحشية. انْسَرَبَتْ: أي التحقَتْ في سربها. من أَمَم: أي من قريب.

تخطُر من جمعهم بين ليوثٍ بُهَمْ[1]
خارجةً من شَرًى داخلةً في أجَمْ
ناعِمةً لم تُرَعْ لاهيةً لم تَجِمْ
إنتثرَتْ لؤلؤاً في المُهَجَات ٱنتظَمْ
تمرَح في مأمنٍ مثلَ حمامِ الحرَمْ
مؤتلِفٌ سِرْبُها حيث تلاقى ٱلْتأَمْ
مندفعات على مختلفاتِ النَّغَمْ
بين يدٍ في يدٍ أو قَدَم في قَدَمْ
تذهب مشيَ القطا ترجع كرّ النَّسَمْ
تبعث أنّى بدت ضوءَ جبين وفمْ
تُعْجِلُ خطواً، تَنِي فاتنةً بالرَّسَمْ[2]
تجمع من ذيلها تتركه لم يُلَمّ
ترفلُ في مَخْمَلٍ نَمَّ ولمّا يَنَمْ
تتبعُ إلّا الهوى تَقْرَبُ إلّا التُّهَمْ
فٱجتمعتْ فٱلتقتْ حول خِوَانٍ نُظِمْ
مُنتَهَبٍ كلما ظُنّ به النقص تَمّ
مائدةٌ مَدَّها بحرُ نوالٍ خِضَمّ
تحسَبها صُورت من شهوات النَّهَمْ
لم تُر في (بابل) ما عُهِدت في (إرَمْ)
(حاتِم) لو شامَها أقلع عمّا زَعَمْ[3]
(مَعْن) لو ٱنتابها أدركَ معنى الكرَمْ
أشبَهُ بالبحر لا يحرجها مزدحَمْ

(١) البُهَم: مفردها بهمة وهو الشجاع.
(٢) تني: تتأنّى. الرّسَم: حسن المشي.
(٣) شَام: يقال: شام الشيء، أي قدّره.

قام لديها الملا يبلغ ألفين ثَمّ
مقترحاً ما اشتهى ملتقياً ما رَسَمْ
لو طَلب الطيرَ من أيكتِهَ ما احتَرمْ[1]
يا مليكاً لم تضِق ساحته بالأمَمْ
تَجمعُ أشرافَها من عَرب أو عجمْ
يخطُر مَنْ أمّها بين صنوف النِّعَمْ
سادةُ أفريقيا لُجَّتها والأكمْ
أنت رشيدُ العلى في المَلأين احتكمْ[2]
ليلتُكم قدْرُها فوق غوالي القِيَمْ
مشرقةٌ، مثلُها في زمن لم يَقُمْ
لا برح الصفوُ في ظِلّكمو يُغْتَنَمْ
ما شربوها وما طال عليها القدمْ

(١) احترم: يقال احترم الشيء، أي مُنِعَهُ.
(٢) الملأين: أي العرب والعجم.

تُوت عَنْخ آمُون وَحضَارَةُ عَصْرِه

[من الكامل]

درَجتْ على الكنزِ القرونْ ... وأتت على الدَّن السُّنونْ(١)
خيرُ السيوفِ مضى الزما ... نُ عليه في خيرِ الجفونْ(٢)
في منزلٍ كمحجَّب الـ ... ـغيْب آستَسرَّ عن الظنونْ(٣)
حتى أتى العلم الجسو ... رُ ففضَّ خاتمَه المصونْ
والعلم (بدريٌّ) أُجِلَّ لأهله ما يصنعونْ(٤)
هتك الحجال على الحضا ... رةِ والخدورَ على الفنونْ(٥)
وآندسَّ كالمِصباح في ... حُفَرٍ من الأجداثِ جُونْ(٦)
حُجَرٌ ممرّدةُ المعا ... قِلِ في الثرى شُمُّ الحصونْ(٧)
لا تهتدي الريحُ الهَبو ... بُ لها ولا الغيث الهَتونْ
خَانَتْ أمانةَ جارِها ... والقبرُ كالدُّنيا يخونْ

❊ ❊ ❊

يا ابن الثواقبِ من (رَع) ... وابن الزواهر من أمونْ(٨)
نسبٌ عريقٌ في الضُّحى ... بذَّ القبائلَ والبطونْ
أرأيت كيف يؤوب من ... غَمْرِ القضاءِ المغرَقونْ؟
وتدولُ آثار القرو ... ن على رَحَى الزمن الطَّحونْ؟

(١) الدَّن: وعاء الخمر. (٢) الجفون: مفردها جفن وهو الغمد.
(٣) استسرّ: توارى.
(٤) (بدريّ): نسبة إلى أهل بدر، حيث قيل: إن أهل بدر مغفورة لهم هفواتهم.
(٥) الحِجَال: مفردها حَجَلَة، وهو ستر يضرب للعروس في جوف البيت.
(٦) الأجداث: مفردها جدث، وهو القبر. جُون: سُود.
(٧) مُمرّدة: مُطَوّلة.
(٨) (رع) و(أمون): من آلهة المصريين القدماء.

حـبُّ الـخـلـود بَـنَـى لـكـم ... خُـلـقـاً بـه تَـتـفـرّدونْ
لـم يـأخـذِ الـمـتـقـدِّمـو ... ن بـه ولا الـمـتـأخِّـرونْ
حـتـى تـسـابـقـتـم إلـى الـ ... إحـسـان فـيـمـا تـعـمَـلـونْ
لـم تـتـركـوه فـي الـجـلـيـ ... ـلِ ولا الـحـقـيـر مـن الـشـؤونْ
هـذا الـقـيـامُ، فـقـل لـنـا الـ ... ـيـومُ الأخـيـرُ مـتـى يـكـونْ؟
ألـبـعـث غـايـةُ زائـل ... فـانٍ وأنـتـم خـالـدونْ
ألـسـبـق مـن عـاداتِـكـم ... أتُـرى الـقـيـامـةَ تـسـبِـقـونْ؟
أنـتـم أسـاطـيـنُ الـحـضـا ... رةِ والـبُـنـاةُ الـمـحـسِـنـونْ
ألـمـتـقِـنـون وإنـمـا ... يُـجْـزَى الـخـلـودَ الـمـتـقـنـونْ

❊ ❊ ❊

أنـزلـتَ حُـفـرةَ هـالـكٍ ... أم حـجـرةَ الـمـلـكِ الـمـكـيـنْ؟
أم فـي مـكـانٍ بـيـنَ ذْ ... لـكَ يُـدهـش الـمـتـأمّـلـيـنْ؟
هـو مـن قـبـور الـمـتـلَـفـيـ ... ـن ومـن قـصـورِ الـمـتـرَفـيـنْ
لـم يـبـقَ غـالٍ فـي الـحـضـا ... رةِ لـم يَـحِـزْهُ ولا ثـمـيـنْ
مـيـتٌ تـحـيـط بـه الـحـيـا ... ةُ، زمـانـه مـعـه دفـيـنْ
وذخـائِـرٌ مـن أعْـصُـرٍ ... ولَّـتْ ومـن دُنـيـا وديـنْ
حـملَـتْ عـلـى الـعَـجَـب الـزمـا ... نَ وأهـلَـه الـمـسـتـكـبـريـنْ
فـتـلـفَّـتـت بـاريـسُ تَـحْـ ... ـسَـبُ أنـهـا صـنـعُ الـبـنـيـنْ

❊ ❊ ❊

ذهـبٌ بـبـطـنِ الأرضِ لـم ... تـذهـبْ بـلـمـحـتِـه الـقـرونْ
إسـتـحـدثـتْ لـك جَـنْـدَلاً ... وصـفـائـحـاً مـنـه الـقُـيـونْ[1]
ونـواوِسـاً وهَّـاجَـةً ... لـم يـتَّـخِـذهـا الـهـامـدونْ[2]
لـو يـفـطُـنُ الـمـوتـى لـهـا ... سَـرَحـوا الأنـامـل يَـنـبـشُـونْ

(١) الجندل: الصخر العظيم. الصفائح: مفردها صفيحة، والمراد هنا الحجر العريض. القُيون: الصُّنَّاع.
(٢) نَواوِس: مفردها ناووس، وهو التابوت.

وتنازعوا الذهبَ الذي كانوا له يتفاتَنونْ
أكفانُ وشيٍ فُصِّلَتْ برقائق الذهب الفَتِينْ[١]
قد لفَّها لفَّ الضِّما دِ محنِّطٌ آسٍ رَزينْ
وكأنهنَّ كمائمٌ وكأنكَ الوردُ الجَنينْ
وبكلِّ ركنٍ صورةٌ وبكل زاويةٍ رَقِينْ[٢]
وترى الدُّمَى فتخالُها تَشرَتْ على جَنباتِ زُونْ[٣]
صوَرٌ تُريك تحرُّكاً والأصلُ في الصُّور السكونْ
ويمرّ رائع صَمْتها بالحِسِّ كالنُّطْق المُبينْ
صحِبَ الزمان دِهانُها حيناً عهيداً بعد حينْ[٤]
غضّ على طول البِلى حيّ على طول المنونْ
خدعَ العيونَ ولم يزلْ حتى تَحَدَّى اللَّامسينْ
غِلمانُ قصرِكَ في الرِّكا بِ يُناوِلُونُ ويَطرَدُونْ[٥]
والبوقُ يهتِفُ، والسِّها مُ تَرِنُ، والقَوْسُ الحَنونْ
وكلابُ صيدِكَ لُهَّثٌ والخيل جُنَّ لها جنونْ
والوحشُ تَنفر في السُّهو لِ وتارةً تَثِبُ الحُزونْ
والطيرُ ترسُفُ في الجِرا حِ وفي مناقِرِها أنينْ
وكأنَّ آباءَ البريَّة في الممدائن مُحضَرونْ
وكأنَّ دولةَ (آل شمـ ـسٍ) عن شِمالكَ واليَمينْ[٦]

❊ ❊ ❊

مَلِكَ الملوكِ تحيَّة ووَلاء محتفِظٍ أمينْ[٧]
هذا المقامُ عرفتُه وسبقتُ فيه القائِلينْ
ووقفتُ في آثارِكم أزِنُ الجلال وأستَبينْ

(١) الفَتِين: المُحْرَق.
(٢) الرقين: بمعنى الرقيم وهو الكتاب.
(٣) الزون: معرض التماثيل.
(٤) العهيد: القديم.
(٥) يَطْرَدون: يصطادون.
(٦) آل شمس: الفراعنة.
(٧) مَلِك الملوك: أي يا مَلِكَ الملوك.

وبنيتُ في العشرينَ من ... أحجارِها شِعْري الرَّصينْ
سالتْ عيونُ قصائدي ... وجَرَى من الحجَرِ المَعينْ
أقْعَدْتُ جيلاً للهوى ... وأقمتُ جيلاً آخَرِينْ
كنتم خيالَ المجدِ يُرْ ... فعُ للشبابِ الطَّامِحينْ
وكم اْستعرتُ جلالكم ... (لمحمَّدٍ) والمالكينْ[1]
تاجٌ تنقَّلَ في الخَيا ... لِ فما اْستقرّ على جَبينْ
خَرزاتُه السيفُ الصَّقيـ ... ـلُ يَشُدُّهُ الرمحُ السَّنينْ

❊ ❊ ❊

قلْ لِي: أحينَ بَدا الشَّرَى ... لكَ، هل جزِعتَ على العَرِينْ
آنَسْتَ مُلكاً ليس بالـ ... ـشَّاكي السِّلاح ولا الحَصينْ
ألبَرُّ مغلوب القَبا ... والبحرُ مَسْلوبُ السَّفينْ
لمّا نظرتَ إلى الديا ... رِ صدَفتَ بالقلبِ الحزينْ[2]
لم تلقَ حولكَ غير (كرْ ... تَرَ) والنِّطاسيِّ المُعينْ!

❊ ❊ ❊

أقبلتَ من حجُبِ الجلا ... لِ على قبيلٍ مُعرِضينْ
تاجُ الحضارة حين أشـ ... ـرق لم يجدْهم حافِلينْ
واللَّهُ يعلم لم يرُعْ ... هُ من قرونٍ أربعينْ

❊ ❊ ❊

قسَماً بمَنْ يُحيي العظا ... مَ، ولا أزيدكَ من يمينْ
لو كان من سفرٍ إيا ... بُكَ أمسِ أو فتحٍ مُبينْ[3]
أو كان بعثُكَ من دَبيـ ... ـبِ الرُّوحِ أو نَبْضِ الوتينْ[4]
وطلعتَ من وادِي الملو ... كِ عليكَ غارُ الفاتحينْ

---

(١) (لمحمدٍ): المقصود الخديوي محمد توفيق الأول.
(٢) صدف: أعرض.
(٣) النِّطاسيّ: العالم أو الطبيب الحاذق.
(٤) الوتين: عرق في القلب يجري منه الدم إلى العروق كلها.

ألـخـيـلُ حـولـكَ فـي الـجِـلا ... لِ الـعـسـجـديَّـةِ يَـنْـثَـنِـيـنْ[1]
وعـلـى نِـجـادِكَ هـالَـتـا ... نِ مـن الـقَـنـا والـدَّارِعـيـنْ
والـجـنـدُ يَـدفـعُ فـي رِكـا ... بـكَ بـالـمـلـوكِ مُـصَـفَّـدِيـنْ
لـرأَيـتَ جـيـلاً غـيـر جـيـ ... ـلِـكَ بـالـجـبـابِـرِ لا يـديـنْ
ورأَيـت مـحـكـومِـيـنَ قـد ... نـصـبـوا وردُّوا الـحـاكـمـيـنْ
رُوحُ الـزمـانِ ونَـظْـمُـه ... وسـبـيـلُـه فـي الآخـريـنْ
إنّ الـزمـانَ وأهـلَـه ... فَـرَغَـا مـن الـفـردِ الـلّـعـيـنْ
فـإذا رأيـتَ مَـشـايـخـاً ... أو فِـتـيـة لـك سـاجـديـنْ
لاقِ الـزمـانَ تـجـدْهـمـو ... عـن رَكـبـه مُـتـخـلِّـفـيـنْ
هـمْ فـي الأواخـرِ مـولِـداً ... وعـقـولُـهـم فـي الأوّلـيـنْ!

(١) الجلال: مفردها جل، وهو ما يستر ظهر الدابة.

دِمَشْق

[من البسيط]

قُمْ ناجِ (جِلَّق) وانشُدْ رسم مَنْ بانوا
مشت على الرَّسْم أحداثٌ وأزمانُ[١]
هذا الأديمُ كتاب لا كِفاءَ له
رَثُّ الصحائف باقٍ منه عُنوانُ[٢]
ألدِّينُ والوحيُ والأخلاقُ طائفةٌ
منه وسائره دنيا وبهتانُ
ما فيه إنْ قُلّبَت يوماً جواهرُهُ
إلّا قرائح مِنْ رَادٍ وأذهانُ[٣]
بنو أُمَيَّةَ للأنباءِ ما فتحوا
وللأحاديثِ ما سادوا وما دانُوا[٤]
كانوا ملوكاً سَرِيرُ الشّرْقِ تحتَهُمُ
فهل سألتَ سَرِيرَ الغربِ ما كانُوا؟
عالِينَ كالشمسِ في أطراف دولتها
في كل ناحيةٍ مُلكٌ وسلطانُ
يا ويحَ قلبيَ مهما انتاب أرْسُمهُم
سرَى به الهمُّ أو عادَته أشجانُ
بالأمس قمتُ على (الزهراءِ) أندُبُهم
واليومَ دمعي على (الفيحاءِ) هتّانُ[٥]

---

(١) جلّق: من أسماء دمشق. (٢) الأديم: يعني الأرض.
(٣) الراد: يعني الراديوم وهو جسم ذو إشعاعات.
(٤) ما دانوا: ما غلبوا وقهروا من الأمم.
(٥) (الزهراء): قصر خلفاء بني أمية بالأندلس. الفيحاء: من أسماء دمشق.

فـي الأرض مـنـهـم سـمـاواتٌ وأَلـويـةٌ
وَنـيِّـرَاتٌ وأَنـواءٌ وعِـقـبـانُ
مـعـادنُ الـعـزِّ قـد مـال الـرَّغـامُ بـهـم
لـو هـان فـي تُـرْبِـه الإبـريـزُ مـا هـانُـوا(١)
لـولا دمـشـق لـمَـا كـانـت (طُـلَـيْـطِـلـةٌ)
ولا زَهَـتْ بِـبَـنـي الـعـبّـاسِ (بَـغْـدانُ)(٢)
مَـررتُ بـالـمـسْـجِـدِ الـمـحـزونِ أسـألـه
هـل فـي الـمـصَـلَّـى أو الـمِـحـرابِ (مـروانُ)
تـغـيَّـرَ الـمـسـجـدُ الـمـحـزون وٱخـتـلـفـت
عـلـى الـمـنـابِـر أحـرارٌ وعِـبـدانُ
فـلا الأذان أذانٌ فـي مـنـارتـه
إذا تـعـالـى ولا الآذانُ آذانُ

❊ ❊ ❊

آمـنـتُ بـالـلَّـه وٱسـتـثـنـيـتُ جـنَّـتَـه
دمَـشْـقُ رَوْحٌ وجـنـاتٌ وريـحـانُ
قـال الـرفـاقُ وقـد هـبَّـتْ خـمـائِـلـهـا:
ألأرضُ دارٌ لـهـا (الـفـيـحـاءُ) بـسـتـانُ
جَـرَى وصَـفَّـقَ يـلـقـانـا بـهـا (بَـرَدَى)
كـمـا تـلـقَّـاك دون الـخـلْـدِ (رضـوانُ)(٣)
دخـلـتُـهـا وحـواشـيـهـا زُمُـرَّدَةٌ
والـشـمـسُ فـوقَ لُـجَـيـن الـمـاءِ عِـقـيـانُ(٤)
والـحَـوْرُ فـي (دُمَّـرٍ) أو حـول (هـامَـتِـهـا)
حُـورٌ كـواشـفُ عـن سـاقٍ وولـدانُ(٥)

(١) الرَّغام: التراب.
(٢) بغدان: من أسماء مدينة بغداد، أو لُغَة في بغداد.
(٣) بردى: نهر دمشق المشهور.
(٤) العقيان: الذهب الخالص.
(٥) الحَوْر: نوع من الشجر. الحُوْر: مفردها حوراء، وهي صاحبة العين التي يشتدّ بياض بياضها وسواد سوادها. ودُمّر والهَامة: من بلدات ضواحي دمشق.

(وربـوةُ) الـوادِ فـي جِـلـبـابِ راقـصـةٍ
ألـسـاقُ كـاسـيـةٌ والـنـحـرُ عُـريـانُ
والـطـيـرُ تـصـدحُ مـن خـلـف الـعـيـون بـهـا
ولـلـعـيـون كـمـا لـلـطـيـر ألـحـانُ
وأقـبـلـت بـالـنـبـات الأرضُ مـخـتـلِـفـاً
أفـوافُـه فـهـو أصـبـاغٌ وألـوانُ[١]
وقـد صَـفَـى (بَـرَدَى) لـلـريـح فـٱبـتـرَدت
لـدى سـتـورٍ حـواشـيـهـنّ (أفـنـانُ)[٢]
ثـم ٱنـثـنـت لـم يـزل عـنـهـا الـبـلال ولا
جـفَّـتْ مـن الـمـاءِ أذيـالٌ وأردانُ[٣]
خـلَّـفـتُ (لـبـنـان) جـنـاتِ الـنـعـيـم ومـا
نُـبِّـئـتُ أنّ طـريـقَ الـخـلـد لـبـنـانُ
حـتـى ٱنـحـدرت إلـى فـيـحـاء وارفـة
فـيـهـا الـنـدى وبـهـا (طـيٌّ) و(شـيـبـانُ)[٤]
نـزلـتُ فـيـهـا بـفـتـيـان جَـحَـاجِـحـة
آبـاؤهـم فـي شـبـاب الـدّهـر (غـسَّـانُ)[٥]
بـيـضِ الأسِـرَّة بـاق فـيـهُـمُ صَـيَـدٌ
(مـن عـبـد شـمـسٍ) وإنْ لـم تـبـقَ تِـيْـجـانُ[٦]
يـا فـتـيـةَ (الـشـام) شـكـراً لا انـقـضـاءَ لـه
لـو أنّ إحـسـانَـكـم يـجـزيـه شُـكـرانُ

---

(١) أفوافه: مفردها فُوف، وهي نوع من الثياب والمقصود هنا الزّهر.
(٢) ابتردت: اغتسلت. (٣) البلال: بمعنى البلل. أردان: أكمام.
(٤) (طيّ) و(شيبان): قبيلتان عربيتان اشتهرتا بالكرم.
(٥) جحاجح: مفردها جحجح، وهو السيد الكريم. (غسّان): رأس قبيلة بني غسان ومنهم الملوك الغساسنة وكانوا ملوكاً بالشام.
(٦) بيض الأسرّة: بيض الوجوه. الصَّيَد: رَفْع الرأس كِبَراً. عبد شمس: يعني بني أمية.

ما فوق راحاتكم يوم السماح يدٌ
ولا كأوطانكم في البِشْرِ أوطانُ
خميلةُ اللَّهِ وشّتها يداه لكم
فهل لها قَيِّمٌ منكم وجَنَّانُ[1]
شِيدُوا لها المُلْكَ وابنوا ركنَ دولتها
فالمُلْكُ غرس وتجديدٌ وبنيانُ
لو يُرجِع الدهر مفقوداً له خَطَرٌ
لآب بالواحد المبكيّ ثَكلانُ
ألمُلكُ أن تعملوا ما اسطعتمو عملاً
وأنْ يَبِينَ على الأعمال إتقانُ
ألمُلْكُ أنْ تخرَج الأموال ناشطة
لمطلب فيهِ إصلاح وعُمرانُ
ألمُلْكُ تحت لسانٍ حوله أدبٌ
وتحت عقلٍ على جَنْبَيه عِرفانُ
ألمُلْكُ أنْ تتلاقوا في هوى وطنٍ
تفرّقت فيه أجناس وأديانُ

❊ ❊ ❊

نصيحةٌ مِلْؤها الإخلاص صادِقةٌ
والنُّصحُ خالصُه دينٌ وإيمانُ
والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفةً
أو حكمةً فهو تقطيع وأوزانُ
ونحن في الشّرق والفُصْحى بنو رَحِمٍ
ونحن في الجُرحِ والآلام إخوانُ

(١) جنَّان: بستانيّ.

أُخْتُ أمِينَة

[من الرّمل]

«وقال وقد رأى في الفُلْك وهي ترجع به إلى مصر طفلة فيها من كريمته أمينة مشابهة»:

هـذه نـورُ الـسـفـيـنَـهْ هـذه شِـبْـهُ (أمـيـنَـهْ)
هـذه صـورتُـهـا مُـنْـ ـبـئـةٌ عـنـهـا مُـبـيـنَـهْ
هـذه لـؤلـؤةٌ عـنـ ـدي لـهـا مـثْـلٌ ثـمـيـنَـهْ
مـن بـنـاتِ الـروم لـكـن لـم تـكـن عـنـدي مَـهـيـنَـهْ
أنـا مَـنْ يـتـرك لَـلـديَّـان فـي الـدُّنـيـا شـؤونَـهْ
يـا مـلاك الـفُـلْـكِ لـي صِـنـ ـوك فـي تـلـك الـمـديـنَـهْ[1]
أنـت فـي الـفُـلْـكِ بـهـاء وهـو فـي (حـلـوان) زيـنَـهْ[2]
نـاجِـه وٱذكـر لـه وجْـ ـدَ أبـيـه وحـنـيـنَـهْ
وأفِـدْهُ أنـنـي فـي الـ ـبـحـر مـذ دُسْـتُ عـريـنَـهْ
لـسـتُ بـالـنـفـس ضـنـيـناً وبـه نـفـسـي ضـنـيـنَـهْ
أسـأَل الـرحـمٰـنَ يُـرعـيـ ـكَ وإيـاه عـيـونَـهْ

(١) الصنو: المثيل، وهنا بمعنى الآخ.
(٢) (حلوان): اسم مدينة مصرية.

أَنْدَلُسيَّة

[من البسيط]

«نظمها في منفاه بأسبانيا وفيها يحنّ للوطن العزيز ويصف كثيراً من مشاهده ومعاهده»:

يا نائح (الطّلْح) أشباهٌ عَوَادينَا
نَشْجَى لواديك أم نَأسى لوادينَا[١]
ماذا تقُصُّ علينا غيرَ أنّ يداً
قصَّتْ جَناحك جالت في حواشينَا!
رمى بنا البينُ أيْكاً غيرَ سامِرِنا
أخا الغريب: وظِلّاً غير نادينَا
كلٌّ رمته النوى، ريشَ الفراق لنا
سهواً، وسُلَّ عليك البَيْنُ سِكِّينَا[٢]
إذا دعا الشوقُ لم نَبْرحْ بمُنْصَدِع
من الجناحين عَيٍّ لا يلبِّينَا
فإنْ يكُ الجنسُ يا ابْن الطّلْح فرّقنا
إنّ المصائبَ يَجمعْنَ المُصابينَا
لم تألُ ماءَك تَحنانا ولا ظَمَأ
ولا ادّكاراً، ولا شجواً أفانينَا[٣]
تَجرُّ من فَنَن ساقاً إلى فَنَنٍ
وتسحب الذيلَ ترتادَ المؤاسينَا[٤]

---

(١) (الطّلْح): وادٍ في إشبيليا، كان ابن عبّاد مولعاً به. أشباه: أمثال. عوادينا: العوادي هي المصائب.
(٢) ريش: من راش السّهم، أي ألصق عليه الريش. سُلّ: أي أُشهر. البين: الفراق.
(٣) ادّكاراً: تذكاراً. الأفانين: الأنواع أو الأجناس.
(٤) الفنن: الغصن المستقيم. المؤاسين: المعزّين.

أُساةُ جسمك شتّى حين تطلبهم
فمَنْ لروحك بالنُّطْس المُداوينَا[١]!

* * *

آهاً لنا! نازِحَيْ أيْكٍ بأندلس
وإنْ حَلَلْنا رفيفاً من روابينَا[٢]
رسمٌ وقفنا على رسم الوفاءِ له
تجيش بالدمع، والإجلالُ يَثنينَا
لِفتيَةٍ لا تنال الأرضُ أدمُعَهم
ولا مَفارقَهم إلّا مُصَلِّينَا[٣]
لو لم يسودوا بدينٍ فيه مَنَبهة
للناس كانت لهم أخلاقهم دِيْنَا[٤]
لم نسْرِ من حَرَم إلّا إلى حَرَم
كالخمر من (بابل) سارت (لدارينَا)[٥]
لمّا نَبا الخلد نابت عنه نسخته
تَماثل الورد (خِيريًّا) (ونِسْرينَا)[٦]
نسقِي ثراهم ثناءً، كلما نُثِرَت
دموعُنا نُظِمَت منها مراثينَا
كادت عيون قوافينا تُحركه
وكِدنَ يوقِظْنَ في التّرْب السّلاطينَا
لكنّ مصرَ وإنْ أغضتْ على مِقَةٍ
عينٌ من الخُلد بالكافور تسقينَا[٧]

(١) أساة: مفردها آسي، وهو الطبيب. النُّطس: الأطباء الحُذَّاق.
(٢) الأيك: الشجر الكثيف الملتف. الرفيف: الخصيب.
(٣) المقصود بهم ملوك الأندلس. (٤) المنبهة: الشرف والرفعة.
(٥) (بابل) و(دارينا): مدينتان مشهورتان بجودة الخمر.
(٦) (خيرياً) و(نسرينا): نوعان من الزهور.
(٧) المِقَة: المَحبة.

عـلـى جـوانـبـهـا رفَّـتْ تـمـائِـمُـنـا
وحـول حـافـاتـهـا قـامـت رواقـيـنَـا[١]
مـلاعـبٌ مَـرِحـتْ فـيـهـا مـآربُـنـا
وأربُـعٌ أَنِـسـتْ فـيـهـا أمـانـيـنَـا
ومـطـلَـعٌ لِـسـعـودٍ مـن أواخِـرنـا
ومَـغْـرِبٌ لـجـدودٍ مـن أوالـيـنَـا[٢]
بِـنَّـا فـلـم نـخْـلُ مـن رَوْحٍ يُـراوِحـنـا
مـن بـرِّ مـصـرَ وريـحـانٍ يُـغـادِيـنَـا[٣]
كـأمِّ مـوسـى، عـلـى اسـم اللَّـه تـكـفُـلـنَـا
وبـاسـمـهِ ذهـبـتْ فـي الـيـمِّ تُـلـقـيـنَـا[٤]
ومـصـرُ كـالـكَـرْمِ ذي الإحـسـان: فـاكـهـة
لَـحـاضِـريـن وأَكـوابٌ لـبـاديـنَـا

❊ ❊ ❊

يـا سـاريَ الـبـرقِ يـرمـي عـن جـوانـحـنَـا
بـعـد الـهـدوءِ ويـهـمِـي عـن مـآقـيـنَـا
لـمّـا تَـرقـرق فـي دمـع الـسـمـاء دمـاً
هـاج الـبُـكـا فـخـضَـبْـنَـا الأرض بـاكِـيـنَـا[٥]
أللـيـلُ يـشـهـد لـم تـهـتِـكْ ديـاجـيَـه
عـلـى نـيـامٍ ولـم تـهـتِـف بـسـالـيـنَـا

---

(١) التمائم: مفردها تميمة، وهي ما يوضع على الإنسان للعين والحسد. الرواقي: مفردها راقية، وهي التي ترقي الإنسان من السِّحر.

(٢) الجدود: الحظوظ.

(٣) الرَّوح: الرحمة.

(٤) شبّه الشاعر مصر بأم موسى التي ألقت موسى عليه السلام وهو طفل في اليمّ، كما أبعدت مصر ابنها إلى المنفى بالرغم منها.

(٥) البُكا: أي البكاء.

والـنـجـمُ لـم يَـرَنَـا إلّا عـلـى قـدم
قـيـامَ لـيـلِ الـهـوى لـلـعـهـد راعـيـنَـا
كـزفـرةٍ فـي سـمـاء الـلـيـل حـائـرةٍ
مـمـا نـردّد فـيـه حـيـن يُـضـويـنَـا
بـالـلّـه إنْ جُـبـتَ ظـلـمـاءَ الـعُـبـاب عـلـى
نـجـائـب الـنُّـور مـحـدوًّا (بـجـريـنَـا)
تَـردّ عـنـك يـداه كـلَّ عـاديـةٍ
إنْـسـاً يَـعِـثْـنَ فـسـاداً أو شـيـاطـيـنَـا
حـتـى حـوتـك سـمـاءُ (الـنّـيـل) عـالـيـةً
عـلـى الـغـيـوث وإنْ كـانـت مَـيـامـيـنَـا
وأحـرزتـكَ شُـفُـوف الـلّا زَوَرْدِ عـلـى
وشْـي الـزّبـرجـد مـن أفـواف وادِيـنَـا[1]
وحـازكَ الـريـفُ أرجـاءً مـؤَرَّجَـةً
ربَـتْ خـمـائـلَ واْهـتـزّت بـسـاتـيـنَـا[2]
فَقِفْ إلى (النّيل) واْهتف في خمائِله
واْنـزل كـمـا نـزل الـطَـلُّ الـريـاحـيـنَـا
وآسِ مـا بـاتَ يـذوَى مـن مـنَـازِلـنَـا
بـالـحـادثـات ويَـضـوَى مـن مـغـانـيـنَـا

❊ ❊ ❊

ويـا مُـعـطَّـرَةَ الـوادي سـرَتْ سـحـراً
فـطـابَ كـلُّ طَـرُوحٍ مـن مـرامـيـنَـا
ذَكـيَّـةَ الـذيـلِ لـو خـلـنَـا غِـلالَـتـهـا
قـمـيـصَ يـوسـفَ لـم نُـحـسَـبْ مُـغـالـيـنَـا

(١) الشفوف: مفردها شف، وهو الثوب الرقيق. اللّازَوَرْد: حجر صاف شفاف. الأفواف: يعني بها الزهور أو الخمائل.

(٢) مُؤرَّجة: من الأريج، أي فوّاحة بالعطر. الخمائل: مفردها خميلة وهي الشجر الكثيف الملتف.

جَشمتِ شَوْكَ السُّرى حتى أتيتِ لنَا
بالوَرْدِ كُتْباً وبالرَّيَّا عنَاوينَا[١]
فلو جزينَاكِ بالأرواح غاليةً
عن طيب مَسْراك لم تنهض جَوَازينَا
هل من ذيولكِ مِسكِيٌّ نحمِّلُه
غرائبَ الشوق وَشْياً من أماليِنَا
إلى الذين وجدنَا وُدَّ غيرهمُ
دُنْيا وودَّهمو الصافي هو الدِّينَا

❊ ❊ ❊

يا مَنْ نَغَارُ عليهم من ضمائرنَا
ومن مصون هواهم في تَنَاجِينَا
نَاب الحَنِينُ إليكم في خواطرنَا
عن الدّلال عليكم في أمانينَا
جئنَا إلى الصبر ندعوه كعادتنَا
في النَّائبات فلم يأخذ بأَيْدينَا[٢]
وما غُلِبنَا على دمع ولا جَلَدٍ
حتى أتتنَا نواكم من صَيَاصِينَا[٣]
ونابِغِيٌّ كأنّ الحشرَ آخره
تُميتُنا فيه ذكراكم وتُحيِينَا[٤]
نطوي دُجاه بجُرحٍ من فراقِكمو
يكادُ في غَلَس الأسحار يَطوينَا

(١) السُّرى: السير ليلاً. الرَّيَّا: الرائحة الطيبة.
(٢) النائبات: مفردها نائبة، وهي المصيبة.
(٣) الصّياصي: الحصون وكل شيء يُمتَنع به.
(٤) النَّابِغِيّ: يقصد به الليل الطويل المليء بالهمّ والأرق، إشارة إلى قول النابغة الذبياني:
«كليني لهمٍ يا أميمة ناصبِ وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكبِ»

إذا رَسا النجمُ لم تَرْقأْ محاجِرُنَا
حتى يزولَ، ولم تهدأْ تراقِينَا
بتنا نقاسي الدواهي من كواكِبه
حتى قعدنا بها: حَسْرَى تُقاسِينَا
يبدو النهارُ فيُخفيه تجلُّدُنَا
للشامتين ويأسُوه تأسِّينَا

❊ ❊ ❊

سَقياً لعهدٍ كأكنافِ الرُّبَى رِفَةً
أنَّى ذهبنا وأعطافِ الصَّبا لِينَا[1]
إذ الزمانُ بنا غَيْناءُ زاهِيةٌ
تَرِفُّ أوقاتنا فيها رَياحِينَا[2]
ألوصلُ صافيةٌ، والعيشُ ناغيةٌ
والسعدُ حاشيةٌ، والدهرُ ما شِيْنَا
والشمسُ تَختال في العِقْيان تَحْسَبها
(بُلقيسَ) ترفُلُ في وشي اليَمانِينَا
والنّيلُ يُقبلُ كالدُّنيا إذا ٱحتفَلتْ
لو كان فيها وفاءٌ للمُصافِينَا
والسعدُ لو دامَ، والنُّعمَى لو ٱطَّرَدَتْ
والسيلُ لو عَفَّ، والمِقدارُ لو دِينَا
ألقى على الأرض حتى ردها ذَهَباً
ماءً لَمَسنا به الإكسير أو طِينَا
أعداه من يُمنه (التابوت) وٱرتسمَتْ
على جوانبه الأنوارُ من سِينَا

(١) الرِّفة: النّضرة: الصَّبا: ريح تهب من الشرق.
(٢) غيناء: جمعها غِيْن، وهي الأخضر من النبات والشجر.

لـه مَـبَـالـغُ مـا فـي الـخُـلـق مـن كـرَمٍ
عـهـدُ الـكـرام ومـيـثـاقُ الـوفـيِّـيـنَـا
لـم يَـجْـرِ لـلـدهـرِ إعْـذارٌ ولَا عُـرُسٌ
إلّا بـأيـامِـنـا أو فـي لـيـالـيـنَـا[1]
ولا حـوى الـسـعـدُ أَطْـغَـى فـي أعِـنَّـتِـه
مـنَّـا جِـيـاداً ولا أَرخَـى مـيـادِيـنَـا
نـحـن الـيـواقـيـتُ خـاض الـنـارَ جـوهـرُنَـا
ولـم يـهُـنْ بِـيَـدِ الـتَّـشْـتـيـت غـالـيـنَـا
ولا يـحـول لـنـا صِـبْـغ ولا خُـلُـقٌ
إذا تـلـوّن كـالـجِـربـاء شـانِـيـنَـا
لـم تـنـزل الـشـمـسُ مـيـزانـاً ولا صـعِـدتْ
فـي مـلـكِـهـا الـضـخـم عـرشـاً مـثـل وادِيـنَـا
أَلَـمْ تُـؤَلَّـهْ عـلـى حـافـاتـه ورَأَتْ
عـلـيـه أبـنـاءَهـا الـغُـرَّ الـمـيـامـيـنَـا؟
إنْ غـازلـتْ شـاطـئـيْـه فـي الـضّـحـى لَـبِـسَـا
خـمـائـلَ الـسُّـنـدُسِ الـمـوشـيَّـة الـغِـيـنَـا[2]
وبـات كـلُّ مُـجـاج الـوادِ مـن شَـجَـرٍ
لـوافـظَ الـقـزِّ بـالـخـيـطـان تـرمِـيـنَـا[3]
وهـذه الأرضُ مـن سـهـلٍ ومـن جـبـل
قـبـل (الـقـيـاصـرِ) دِنَّـاهـا (فـراعـيـنَـا)
ولـم يـضـع حَـجَـراً بـانٍ عـلـى حـجـرٍ
فـي الأرض إلّا عـلـى آثـار بـانـيـنَـا

(١) الإعذَار: طعام يقدم لمناسبة فرح.
(٢) الغِيْن: مفردها المذكّر أَغْيَن، وهو الأخضر من النبات والشجر.
(٣) المُجَاج: ما تمجّه الأرض من شجر ونبات وغيره، أي ما تُخرجه.

كـأنّ أهـرامَ مـصـرٍ حـائـطٌ نـهـضَـتْ
بـه يـدُ الـدهـر لا بـنـيـانُ فـانـيـنَـا
إيـوانُـه الـفـخـمُ مـن عُـلـيـا مـقـاصِـرِه
يُـفـنـي الـمـلـوكَ ولا يُـبْـقـي الأواوينـا[1]
كـأنّـهـا ورمـالاً حـولـهـا ٱلـتَـطَـمـتْ
سـفـيـنـةٌ غَـرِقَـتْ إلّا أسـاطـيـنَـا[2]
كـأنّـهـا تـحـت لألأءِ الـضُّـحـى ذَهـبـاً
كـنـوزُ (فـرعـونَ) غَـطَّـيْـنَ الـمـوازيـنَـا

❊ ❊ ❊

أرضُ الأبُـوَّةِ والـمـيـلادِ، طـيَّـبَـهـا
مَـرُّ الـصِّـبـا فـي ذيـولٍ مـن تـصـابِـيـنَـا
كـانـت مـحـجَّـلـة، فـيـهـا مـواقِـفـنَـا
غُـرًّا مُـسـلـسـلـةَ الـمَـجْـرَى قـوافـيـنَـا
فـآب مـن كُـرَةِ الأيـام لاعِـبُـنَـا
وثـاب مـن سِـنَـة الأحـلامِ لاهِـيـنَـا
ولـم نَـدَعْ لـلّـيـالـي صـافـيـاً، فـدَعَـت
(بـأن نَـغَـصّ فـقـال الـدهـر: آمـيـنَـا)[3]
لـو ٱسـتـطَـعـنـا لـخُـضـنـا الـجـوَّ صـاعِـقـة
والـبـرَّ نـار وغًـى، والـبـحـرَ غِـسْـلـيـنَـا[4]

---

(١) الأواوين: مفردها إيوان، وهو القصر.
(٢) الأساطين: مفردها أسطوانة وهي السارية.
(٣) يجب التنويه والإشارة إلى أن الشطر الثاني (العَجُز) من هذا البيت قد استعاره الشاعر أحمد شوقي من قصيدة للشاعر الأندلسي ابن زيدون ومطلعها:
«أضحى التنائي بديلاً من تدانينا ونـاب عن طيب لقيانا تجافينا»
«غِيْظَ العدى من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغصّ، فقال الدهر: آمينا»
(٤) الغسلين: الصديد.

سَعْياً إلى مصرَ نقضي حقَّ ذاكرنَا
فيها إذا نَسِي الوافي وباكِينَا
كَنْزٌ (بحلوانَ) عند اللَّه نطلُبُهُ
خيرَ الودائع من خيرِ المؤَدِّينَا[1]
لو غاب كلُّ عزيز عنه غيبَتَنَا
لم يأتهِ الشوقُ إلّا من نواحينَا
إذا حمَلْنا لمصرٍ أو لَه شَجَناً
لم نَدْرِ أيَّ هوى الأُمَّيْنِ شاجِينَا

(١) إشارة إلى والدة الشاعر.

وَصْفُ الْغَوَّاصَة ونكْبَة البَاخِرَة لوْزيتَانِيَا

[من الطويل]

«قال في حادثة نسف غواصة ألمانية للباخرة لوزيتانيا»:

رأيتُ على لوح (الخيال) يتيمة
قضى يومَ (لوسيتانيا) أبَوَاهَا[١]
فيا لكَ من حاكٍ أمينٍ مصدّق
وإنّ هاج للنفس البُكا وشَجَاهَا
فوَاهاً عليها ذاقت اليُتْمَ طفلةً
وقُوّض ركناها وذلَّ صِباهَا
وليت الذي قاست من الموت ساعة
كما راح يَطْوي الوالدَيْن طواهَا
كفرخ رمى الرامي أباهُ فغالهُ
فقامت إليه أُمُّهُ فرماهَا
فلا أبَ يَسْتَذْرِي بظلّ جناحِه
ولا أمَّ يَبْغي ظِلَّها وذَراهَا[٢]
ودبَّابةٍ تحت العُباب بمَكْمَنٍ
أمينٍ ترى السَّاري وليس يَراهَا[٣]
هي الحوتُ أو في الحوت منها مشابِهٌ
فلو كان فولاذاً لكان أخاهَا

(١) الخيال: المراد هنا، السينما توغراف.
(٢) يستذري: يستظل. الذَّرى: الظلّ أو الملجأ.
(٣) دبّابة: المراد بها هنا، الغوّاصة. العُباب: معظم الماء أو الموج.

أَبَــثُّ لأصــحــابِ الــسَّــفــيــن غــوائِــلاً
وألأَمُ نــابــاً حــيــن تَــفْــغَــر فــاهَــا
خــؤونٌ إذا غــاصَــت، غَــدُورٌ إذا طَــفَــت
مُــلــعَّــنــة فــي سَــبْــحــهــا وسُــراهَــا
تُــبَــيِّــت سُــفْــنَ الأبــريــاءِ مــن الــوغــى
وتَــجْــنــي عــلــى مَــنْ لا يــخــوض رَحَــاهَــا[1]
فــلــو أدركــت تــابــوتَ مــوســى لــسلَّــطَــت
عــلــيــه زُبــانــاهــا وحــرّ حَــمَــاهَــا[2]
ولــو لــم تُــغَــيَّــبْ فُــلْــكُ نُــوحٍ وتــحــتــجــبْ
لَــمَــا أمِــنَــت مــقــذوفَــهــا ولَــظــاهَــا
فــلا كــان بــانــيــهــا ولا كــان ركــبُــهَــا
ولا كــان بــحــرٌ ضــمَّــهــا وحــواهَــا
وأُفّ عــلــى الــعــلــم الــذي تــدّعــونــه
إذا كــان فــي عــلــم الــنــفــوس رَدَاهَــا

(١) تُبيِّت: غالباً ما تستعمل في الحروب مع الأعداء، كأن يقال: بَيَّتَ العدو، أي إذا أوقع به ليلاً على حين غرّة ودون أن يعلم.
(٢) زباناها: قرناها، وهي غالباً ما تقال للعقرب.

جِسْرُ الْبُسْفُور

[من الوافر]

«هذه القصيدة اهتم بها المغفور له السلطان عبد الحميد وطلبها وقرأها باهتمام»:

أميرَ المؤمنين رأيتُ جسراً ... أمرُّ على الصراطِ ولا عليْهِ
له خشبٌ يجوع السوسُ فيه ... وتَمْضي الفأرُ لا تأوي إليْهِ
ولا يتكلَّفُ المنشار فيه ... سوى مَرّ الفَطِيم بساعديْهِ
وكم قد جاهد الحيوانُ فيه ... وخَلَّفَ في الهزيمةِ حافِرَيْهِ
وأسمجُ منه في عيني جُباةٌ ... تراهم وَسْطَهُ وبجانبيْهِ[1]
إذا لاقيتَ واحدهم تصدّى ... كعفريت يشير براحتَيْهِ
ويمشي الصدْرُ فيه كلَّ يوم ... بموكبه السَنيّ وحارسيْهِ[2]
ولكن لا يمرُّ عليه إلّا ... كما مرّت يداه بعارِضَيْهِ
ومن عجبٍ هو الجسرُ المعلَّى ... على البسفور يجمع شاطئيْهِ
يُفيد حكومة السلطان مالاً ... ويُعْطيها الغنى من مَعْدِنيْهِ
يجود العالَمون عليه، هذا ... بعَشرته وذاك بعَشرتيْهِ
وغاية أمره أنَّا سمِعنا ... لسانَ الحال يُنْشِدنا لديْهِ:
أليس من العجائب أنّ مثلي ... يرى ما قلّ ممتنِعاً عليْهِ
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً ... وما من ذاك شيءٌ في يديْهِ

(١) الجباة: مفردها جابي وهو المحصّل.
(٢) (الصّدْر): يقصد به الصّدر الأعظم، وهو كبير الوزراء. الموكب السّنِيّ: الموكب الرفيع.

إلى حسينٍ

[من الرّجز]

«كتاب بعث به إلى المرحوم حسين واصف باشا يستهديه لكرمة ابن هاني[1] بالمطريّة شجيرات، وكان مشهوراً باقتناء الرياحين والعناية بتربيتها»:

إلى حسينٍ حاكمِ القنالِ ... مثالِ حسن الخُلْق في الرّجالِ
أُهْدِي سلاماً طيِّباً كخُلْقِهِ ... مع احترام هو بعضُ حقِّهِ
وأحفظ العهدَ له على النَّوَى ... والصدق فيّ الودّ له وفي الهَوَى
وبَعْدُ فالمعروفُ بين الصَّحبِ ... أنّ التهادي من دواعي الحُبِّ
وعندك الزّهر وعندي الشِّعرُ ... كلاهما فيما يقال ندرُ
وقد سَمعتُ عنك من ثقاتِ ... إنك أنتَ ملك النباتِ
زهرُك ليس للزهور رَوْنقُهْ ... تكاد من فرطِ اعتناء تخلُقُهْ
ما نظرتْ مثلكَ عين النرجسِ ... بعد ملوك الظَّرف في الأندلسِ
ولي من الحدائق الغَنَّاءِ ... روضٌ على (المطرية) الفيحاءِ
أتيتُ أستهدي لها وأسألُ ... وأرتضي النَّزرَ ولا أُثقِّلُ
عشرَ شُجيراتٍ من الغوالِي ... تَنْدُر إلّا في رياض الوالِي
تزكو وتزهو في الشّتَا والصَّيْفِ ... وتجمع الألوانَ مثل الطَّيْفِ
تُرسلها مُؤمَّناً عليْهَا ... إنْ هلكتْ لي الحقُّ في مِثلَيْهَا
والحق في الخرطوم أيضاً حقِّي ... والدرسُ للخادم كيف يَسْقِي
وبعد هذا لي عليك زَوْرَهْ ... لكي تدور حول روضي دَوْرَهْ
فإنْ فعلتَ فالقوافي تفعلُ ... ما هو من فعل الزهور أجملُ
فما رأيتُ في حياتي أزْيَنَا ... للمرء بين الناس من حُسن الثَّنَا

(١) يستهدي: يطلب هدية. كرمة ابن هاني: اسم دارة الشاعر أحمد شوقي سمّاها باسم ابن هاني الشاعر العباسي الشهير بأبي نواس.

باب النسيب

خَدَعُوها

[من الخفيف

خـدَعـوهـا بـقـولـهـم حـسـنـاءُ ... والـغـوانـي يـغـرّهُـنَّ الـثّـنـاءُ[1]

أتُـراهـا تـنـاسـت اسـمِـيَ لـمّـا ... كـثُـرت فـي غـرامِـهـا الأسـمـاءُ

إنْ رأتـنـي تَـمـيـل عـنـي كـأنْ لـم ... تـكُ بـيـنـي وبـيـنـهـا أشـيـاءُ!

نـظـرةٌ فـابـتـسـامـةٌ فـسـلامٌ ... فـكـلامٌ فـمـوعـدٌ فـلـقـاءُ

يَـوْم كُـنّـا ولا تَـسَـل كـيـف كُـنّـا ... نـتـهـادى مـن الـهـوى مـا نـشـاءُ

وعـلـيـنـا مـن الـعَـفـافِ رقـيـبٌ ... تـعِـبَـتْ فـي مِـراسـه الأهـواءُ

جاذبتني ثوبي العصيّ وقالت: ... أنـتـم الـنـاسُ أيّـهـا الـشـعـراءُ

فاتّقوا اللَّه في قلوب العذارى ... فـالـعـذارى قـلـوبـهـنّ هـواءُ

«أخذ البيت الرابع فزاد عليه قوله»:

نـظـرةٌ فـابـتـسـامـةٌ فـسـلامٌ ... فـكـلامٌ فـمـوعـد فـلـقـاءُ

فـفِـراقٌ يـكـون فـيـه دواءٌ ... أو فِـراقٌ يـكـون مـنـه الـدَّاءُ

(١) الغواني: مفردها غانية، وهي المرأة الحسناء التي أغناها حسنها عن الزينة.

رفقاً بجفنٍ

[من الكامل]

«وقال»:

لا السُّهد يَطويه ولا الإغضاءُ ... ليلٌ عِداد نجومه رُقباءُ[١]

داجي عُبابِ الجُنح، فوضىً فُلكه ... ما للهموم ولا لها إرْساءُ[٢]

أغزالةَ الإشراق أنتِ من الدُّجى ... ومن السُّهادِ إذا طلعت شِفاءُ[٣]

رفقاً بجفنٍ كلّما أبكيتِهِ ... سال العقيقُ به وقام الماءُ[٤]

ما مدَّ هُدْبَيْهِ ليصطاد الكَرى ... إلّا وطيفُكِ في الكرى العنقاءُ[٥]

مَنْ لي بهنّ لياليا نَهِلَ الصّبا ... مما أَفضْنَ وَعلَّت الأهواءُ[٦]

ألَّفْنَ أوطاري فعَيْشِيَ والمُنى ... في ظلّهِنّ الكأسُ والصهباءُ

(١) السّهد: الأرق.

(٢) فوضىً فلكُه: أي فلكهُ فوضى.

(٣) الغزالة: كناية عن الشمس.

(٤) العقيق: كناية عن لون الدم.

(٥) الكرى: النوم. العنقاء: طائر وهمي.

(٦) نَهِلَ: من نَهِلَت الإبل، أي شربت أول الشرب. عَلَّت: أي شربت شربة ثانية.

سُوَيجِع النّيْل

[من البسيط]

«وقال»:

سُـوَيـجِـعَ الـنِّـيْـل رفـقـاً بـالـسـويـداءِ
فـمـا تـطـيـق أنـيـنَ الـمـفـردِ الـنـائِـي[1]
لـلَّـهِ وادٍ كـمـا يـهـوى الـهـوى عـجـبٌ
تـركـتَ كـلَّ خـلـيٍّ فـيـه ذا داءِ
وأنـتَ فـي الأسـر تـشـكـو مـا تـكـابـده
لـصـخـرةٍ مـن بـنـي الأعـجـام صـمّـاءِ
ألـلَّـهَ فـي فَـنَـنٍ تـلـهـو الـزمـانَ بـه
فـإنـمـا هـو مـشـدودٌ بـأحـشـائِـي
وفـي جـوانـحـك الـلّاتـي سـمَـحْـت بـهـا
فـلـو تَـرفَّـقـت لـم تـسـمـح بـأعـضـائِـي
مـاذا تـريـد بـذي الأنّـات فـي سـهـري
هـذي جـفـونـيَ تـسـقِـي عـهـد إغـفـائِـي
حـسـبُ الـمـضـاجـع مـنّـي مـا تـعـالـج مـن
جـنـبـي ومـن كـبِـدٍ فـي الـجـنـب حَـرّاءِ
أُمـسـي وأُصـبـح مـن نـجـواك فـي كـلَـفٍ
حـتـى لـيـعـشـق نـطـقـي فـيـك إصـغـائِـي
ألـلـيـلُ يُـنـهـضـنـي مـن حـيـث يُـقـعـدنـي
والـنـجـم يـمـلأ لـي والـفـكـرُ صـهـبـائِـي

(١) سُويْجِع: تصغير ساجع، والساجع هو الذي يسجع، كأن تقول: سجعت الحمامة، أي هدرت وردّدت صوتها. السويداء: حبّة القلب.

آتـي الـكـواكـبَ لـم أنـقـل لـهـا قـدمـاً
لا يـنـقـضـي سـهـري فـيـهـا وإسـرائِـي
وألـحَـظ الأرض أطـوي مـا يـكـون إلـى
مـا كـان مـن آدم فـيـهـا وحـواءِ
مـؤيِّـداً بـك فـي حِـلِّـي ومُـرْتَـحَـلـي
ومـا هـمـا غـيـر إصـبـاحـي وإمـسـائِـي
تُـوحِـي إلـيّ الـذي تُـوحـي وتـسـمـع لـي
وفـي سـمـاعـك بـعـد الـوحـي إغـرائِـي

يَا وَيْحَ أَهْلِي

[من البسيط]

«وقال أبو نواس»:

يـا ويـحَ أَهـلـيَ أبـلَـى بـيـن أعـيـنـهـم
عـلـى الـفـراشِ ولا يـدرون مـا دائِـي

❊ ❊ ❊

«وطُلب إلى أمير الشعراء تشطير هذا البيت فقال»:

يـا ويـحَ أهْـلـيَ أبـلَـى بـيـن أعـيـنـهـم
ويَـدرُجُ الـمـوتُ فـي جـسـمـي وأعـضـائِـي
ويـنـظـرون لـجـنـب لا هـدوءَ لـه
عـلـى الـفـراشِ ولا يـدرون مـا دائِـي

منك يا هاجرُ دائي

[من البسيط]

«وقال»:

منك يا هاجرُ، دائِي ... وبكفّيك دوائِي
يا مُنى روحي ودُنيا ... ي وسُؤْلي ورجائِي
أنتَ إنْ شئتَ نعيمي ... وإذا شئتَ شقائِي
ليس من عمريَ يومٌ ... لا ترى فيه لِقائِي
وحياتي في التَّداني ... ومماتي في التنائِي
نَمْ على نسيان سُهدي ... فيك واْضحَكْ من بكائِي
كلُّ ما تَرضاه يا مو ... لايَ يرضاه ولائِي
وكما تعلم حبّي ... وكما تدري وفائِي
فيك يا راحةَ روحي ... طال بالواشي عَنائِي
وتَواريتُ بدمعي ... عن عيون الرُّقباءِ
أنا أهواك ولا أرْ ... ضَى الهوى مِن شركائِي
غِرتُ حتى لتَرى أر ... ضِيَ غيْرَى من سمائِي
ليتني كنت رداءً ... لك أو كنتَ ردائِي
ليتني ماؤك في الـ ... غُلَّةِ أَوليتَك مائِي[1]

(١) الغُلَّة: العطش الشديد.

لقد لامني لائمٌ

[من الطويل]

«وقال»:

لقد لامني يا هندُ في الحب لائمٌ
محبٌ إذا عُدّ الصّحابُ حبيبُ
فما هو بالواشي على مذهب الهوى
ولا هو في شَرع الوداد مُرِيبُ
وصفتُ له مَنْ أَنتِ ثم جرى لنا
حديثٌ يهمّ العاشقينَ عجيبُ
وقلت له صبراً فكلُّ أخي هوًى
على يدِ مَنْ يهوى غداً سيتوبُ

عِتَاب

[من الوافر]

«وقال»:

على قدرِ الهوى يأتي العِتابُ ... ومَنْ عاتبتُ يَفْدِيه الصِّحابُ
ألومُ معذِّبي فألومُ نفسي ... فأُغضبها ويُرضيها العذابُ
ولو أني ٱستطعتُ لتبتُ عنه ... ولكن كيف عن روحي المتابُ
ولي قلبٌ بأنْ يهوى يُجازَى ... ومالِكه بأنْ يجنِي يُثابُ
ولو وُجدَ العقابُ فعلت لكن ... نِفارُ الظَّبْي ليس له عقابُ
يلوم اللَّائمون وما رأَوْه ... وقِدماً ضاع في الناس الصَّوابُ
صحوتُ فأنكر السُّلوانَ قلبي ... عليّ وراجع الطربَ الشّبابُ
كأنّ يدَ الغرام زِمامُ قلبي ... فليس عليه دون هوًى حِجابُ
كأنّ روايةَ الأَشواقِ عَوْدٌ ... على بَدءٍ وما كمُل الكتابُ
كأني والهوى أخوا مُدام ... لنا عهدٌ بها ولنا اصطحابُ
إذا ما ٱعتضتُ عن عشق بعشقٍ ... أُعِيدَ العهدُ وٱمتدّ الشَّرابُ

جَعَلْتُ الحُبَّ دَأْبَا

[من الوافر]

«وقال»:

أريد سلوّكم والقلبُ يأبَى ... وأعتبِكُم وملءُ النفس عُتْبَى
وأَهجرُكم فيهجرُني رُقادي ... ويضويني الظلامُ أسًى وكَرْبَا[١]
وأذْكُرُكم برؤيةِ كلِّ حسنٍ ... فيصبو ناظري والقلبُ أصبَى[٢]
وأشكو من عذابي في هواكم ... وأجزيكم عن التعذيب حُبَّا
وأعلم أنَّ دأبَكُمُ جفائي ... فما بالي جعلتُ الحبَّ دَأْبَا[٣]
ورُبَّ معاتَبٍ كالعيش يُشْكى ... وملءُ النفس منه هوى وعُتْبَى
أتجزيني عن الزُّلْفى نِفاراً؟ ... عتبتك بالهوى وكفاك عَتبَا[٤]
فكل ملاحةٍ في الناس ذنبٌ ... إذا عُدّ النِّفارُ عليكَ ذنبَا
أخذت هواك عن عيني وقلبي ... فعيني قد دعت والقلب لَبَّى
وأنتَ من المحاسن في مِثال ... فديتُكَ قالباً فيه وقَلبَا
أحبك حين تَثْنِي الجيدَ تِيهاً ... وأخشى أنْ يصير التيهُ دَأْبَا
وقالوا في البديلِ: رضاً ورَوْحٌ ... لقد رمتُ البديلَ فرمتُ صعبَا[٥]
وراجعتُ الرشادَ عساي أَسلو ... فما بالي مع السلوان أصبَى
إذا ما الكأس لم تُذهِب همومي ... فقد تبَّت يدُ الساقي وتبَّا
على أني أعَفُّ مَنِ ٱحتساها ... وأكرمُ مِن عَذَارى الدير شُرْبَا
ولي نفسٌ أُرَوِّيها فتزكو ... كزهر الورد نَدَّوْهُ فهبَّا

(١) يضويني: يضعفني. الكرب: الحزن أو الغَمّ.
(٢) والقلب أصبى: أي أشد صبوة.
(٣) الدأب: العادة.
(٤) الزّلْفَى: القُربَى. النِّفار: من نَفَر، أي الإعراض أو الشرود.
(٥) الرَّوْح: الرحمة أو الراحة.

رَوّعوه

[من الرّمل]

«وقال»:

رَوّعـوه فـتـولـى مُـغْـضَـبَـا ... أعـلـمـتـم كـيـف تـرتـاعُ الـظِّـبَـا
خُـلِـقـت لاهـيـةً نـاعـمـةً ... ربـمـا روَّعـهـا مـرُّ الـصَّـبَـا[١]
لـي حـبـيـبٌ كـلـمـا قـيـل لـه ... صـدَّق الـقـول وزكَّـى الـرِّيَـبَـا[٢]
كـذَب الـعُـذَّال فـيـمـا زعـمـوا ... أمَـلِـي فـي فـاتـنـي مـا كـذَبَـا
لـو رأوْنـا والـهـوى ثـالـثُـنـا ... والدجى يُرخي علينا الحُجُبَا
فـي جِـوار الـلـيـل فـي ذمّـتـه ... نـذكـر الـصـبـحَ بـأنْ لا يـقـرُبَـا
مِـلْءُ بُـرْدَيْـنَـا عَـفـافٌ وهـوًى ... حـفِـظَ الـحـسـن وصـنـتُ الأدبَا
يـا غـزالاً أَهِـل الـقـلـبُ بـه ... قـلـبيَ الـسـفـحُ وأحـنـى مَـلْـعَـبَـا[٣]
لـك مـا أحـبـبـتَ مـن حَـبَّـتـه ... مَـنـهـلاً عَـذبـاً ومـرعًـى طـيِّـبَـا
هـو عـنـد الـمـالـك الأوْلـى بـه ... كـيـف أشـكـو أنـه قـد سُـلِـبَـا
إنْ رأى أَبـقَـى عـلـى مـمـلـوكـه ... أو رأَى أتـلـفَـه واْحـتـسـبَـا
لـك قـدٌّ سـجـدَ الـبـانُ لـه ... وتـمـنَّـت لـو أقـلّـتـه الـرُّبَـى
ولـحـاظٌ مـن مـعـانـي سـحـره ... جمع الجفنُ سهاماً وظُبَى[٤]
كـان عـن هـذا لـقـلـبـي غُـنْـيَـةٌ ... ما لقلبي والهوى بعد الصِّبَا
فِـطـرتـي لا آخُـذ الـقـلـبَ بـهـا ... خُـلِـق الـشـاعِـرُ سَـمْـحـاً طَـرِبَـا
لـو جَـلـوا حـسـنَـك أو غَـنَّـوْا بـه ... (لِـلَـبـيـدٍ) فـي الـثـمـانـيـن صَـبَـا[٥]

---

(١) الصَّبَا: ريح تهب من الشرق. (٢) الرِّيب: الشكوك.
(٣) أَهِلَ القلب به: أي عَمُرَ به. (٤) الظُّبى: مفردها ظُبَة، وهي حد السيف.
(٥) (لبيد): هو لبيد بن ربيعة الشاعر الذي قال حين بلغ من عمره الثمانين وقد شكا الشيخوخة وثقل السمع:
«إنَّ الـثـمـانـيـن وبُـلّـغـتُـهـا ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمان»

أيُّـهـا الـنـفـسُ تَـجـدّيـن سُـدًى هـل رأيـت الـعـيـش إلّا لـعِـبَـا
جـرّبـي الـدُّنـيـا تَـهُـنْ عـنـدك مـا أهـون الـدُّنـيـا عـلـى مَـنْ جـرّبَـا
نـلـتِ فـي مـا نـلـتُ مـن مـظـهـرهـا ومُـنِـحـتِ الـخـلـد ذكـراً ونَـبَـا

ما تِلْكَ أهْدابي

«وقال والمعنى لشاعرٍ تركي»: [من الكامل]

ما تلك أهدابي تنظَّمَ بينها الدمعُ السَّكوبْ
بل تلك سُبحة لؤلؤٍ
تُحْصَى عليكَ بها الذّنوبْ[1]

(١) تُحصى: تُعدّ.

لا والقوامِ..

«وقال»: [من البسيط]

لا والـقـوامِ الـذي والأعـيـن الـلَّاتِـي
مـا خُـنـتُ ربَّ الـقـنـا والـمَـشْـرَفِـيَّـاتِ[1]
ولا سـلـوت ولـم أَهْـمِـمْ ولا خـطـرَتْ
بـالـبـالِ سـلـواك فـي مـاضٍ ولا آتِ
وخـاتَـمُ الـمُـلْـك لـلـحـاجـات مـطَّـلَـبٌ
وثـغـرك الـمُـتَـمَـنًّـى كـلُّ حـاجـاتِـي

(١) القنا: الرماح. المشرفيّات: السّيوف.

لحظها

«وقال»: [من الخفيف]

لَـحـظـهـا لَـحـظـهـا، رويـداً رويـدا
كـم إلـى كـم تـكـيـد لـلـروح كـيْـدَا
كُـفَّ أوْ لا تـكـفّ إنّ بـجـنـبـي
لـسـهـامـاً أرسـلـتَـهـا لـن تـردَّا
تـصـلُ الـضـربَ مـا أرى لـك حـدّا
فـاْتـقِ الـلَّـه واْلـتـزِمْ لـك حـدَّا
أو فَـصُـغْ لـي مـن الـحـجـارة قـلـبـاً
ثـم صُـغْ لـي مـن الـحـدائـدِ كِـبـدَا
واْكْـفِ جـفـنـيَّ دافـقـاً لـيـس يَـرْقـا
واْكـفِ جَـنـبـيَّ خـانِـقـاً لـيـس يَـهـدَا
فـمِـنَ الـغَـبْـنِ أنْ يـصـيـر وعـيـداً
مـا قـطـعـتُ الـزمـانَ أرجـوه وَعْـدَا

ودُّ الغَواني

«وقال»: [من الكامل]

ألـرشـدُ أَجـمـل سـيـرة يـا أحـمـدُ
ودُّ الـغَـوانِـي مـن شـبـابِـك أبـعـدُ[1]
قـد كـان فـيـك لِـودهـنّ بـقـيـةٌ
والـيـومَ أوشـكَـتِ الـبـقـيـة تـنـفَـدُ
(هـاروت) شـعـرك بـعـد (مـاروت) الـصِّـبَـا
أعـيـا وفـارقـه الـخـلـيـلُ الـمُـسـعِـدُ
لـمّـا سَـمِـعْـنَـكَ قـلـنَ: شـعـرٌ أمْـرَدٌ
يـا لـيـت قـائـلَـهُ الـطَّـرِيـرُ الأمْـرَدُ
مـا لِـلَّـوَاهـي الـنـاعـمـاتِ وشـاعـر
جـعـل الـنـسـيـبَ حـبـالـةً يـتـصـيَّـدُ
ولـكـم جـمـعـتَ قـلـوبَـهـنَّ عـلـى الـهـوى
وخـدعـتَ مَـنْ قـطـعَـتْ ومَـنْ تـتـودّدُ
وسـخِـرْتَ مـن واشٍ وكـدتَ لـعـاذلٍ
والـيـومَ تَـنـشُـدُ مَـنْ يَـشـي ويـفـنِّـدُ[2]
أنـذا وجـدتَ الـغـيـد أَلـهـاكَ الـهـوى
وإذا وجـدتَ الـشِّـعـرَ عـزَّ الأغْـيَـدُ

(١) الغواني: مفردها غانية، وهي المرأة الحسناء التي أغناها جمالها عن الزينة.
(٢) الواشي: النّمام.

الوشاة

«وقال»: [من البسيط]

إنّ الــوشــاةَ وإنْ لــم أُحــصِــهــم عــددَا
تـعـلـمـوا الـكـيـد مـن عـيـنـيـك والـفَـنَـدَا[1]
لا أخـلـفَ الـلَّـه ظـنـي فـي نـواظـرِهـم
مـاذا رأَت بـيَ مـمـا يـبـعـث الـحَـسَـدَا
هـم أغـضـبـوكَ فـراح الـقـدّ مـنـثـنـيـاً
والـجَـفـنُ مـنـكـسـراً والـخـد مـتَّـقِـدَا
وصـادفـوا أُذنـاً صَـغْـوَاءَ لـيِّـنـةً
فـأَسـمـعـوهـا الـذي لـم يُـسـمـعـوا أَحَـدَا
لـولا احـتـراسـيَ مـن عـيـنـيـكَ قـلـت ألا
فـانـظـر بـعـيـنـيـك هـل أَبـقـيـت لـي جَـلَـدَا
ألـلَّـهَ فـي مـهـجـةٍ أيـتَـمـتَ واحـدَهـا
ظـلـمـاً ومـا اتّـخـذت غـيـرَ الـهـوى ولَـدَا
ورُوحِ صـبٍّ أطـال الـحُـبّ غُـربـتـهـا
يـخـافُ إنْ رجـعـت أنْ تُـنـكـر الـجَـسَـدَا
دعِ الـمـواعـيـدَ إنّـي مـتُّ مـن ظـمـإٍ
ولـلـمـواعـيـد مـاء لا يـبُـلُّ صَـدَى[2]
تـدعـو ومَـنْ لـيَ أنْ أسـعـى بـلا كـبـدٍ
فـمَـنْ مُـعِـيـريَ مـن هـذا الـورى كَـبِـدَا

(١) الفَنَد: الكذب وجحود النعمة.
(٢) لا يَبُلُّ صدى: لا يروي ظمأ.

بَثْثُ شكوايَ

«وقال»: [من السّريع]

بـثَـثْـتُ شـكـوايَ فـذابَ الـجـلـيـدْ
وأشـفـق الـصـخـرُ ولان الـحـديـدْ[1]
وقـلـبُـك الـقـاسـي عـلـى حـالـه
هـيـهـاتَ بـل قـسـوتُـه لـي تَـزيـدْ

(١) البَثّ: الشكوى، أو الحزن الشديد.

يمُدُّ الدُّجى في لوعتي

«وقال»: [من الطويل]

يـمُـدُّ الـدُّجـى فـي لـوعـتـي ويَـزيـدُ
ويُـبـدئُ بَـثّـي فـي الـهـوى ويُـعـيـدُ
إذا طـال واْسـتـعـصـى فـمـا هـي لـيـلـة
ولـكـن لـيـالٍ مـا لـهـنّ عـديـدُ
أرِقـتُ وعـادتـنـي لـذكـرى أحـبَّـتـي
شـجـونٌ قِـيـامٌ بـالـضـلـوع قـعـودُ
ومَـنْ يـحـمِـل الأشـواق يـتـعـبْ ويـخـتـلـفْ
عـلـيـهِ قـديـمٌ فـي الـهـوى وجـديـدُ
لـقِـيـتَ الـذي لـم يـلـقَ قـلـبٌ مـن الـهـوى
لـك الـلَّـهُ يـا قـلـبـي أأَنـت حـديـدُ؟
ولـم أخْـلُ مـن وجـد عـلـيـك ورقّـة
إذا حـلَّ غـيـدٌ أو تـرحَّـل غـيـدُ
وروضٍ كـمـا شـاءَ الـمـحـبـون ظِـلُّـهُ
لـهـم ولأسـرار الـغـرام مـدِيـدُ
تُـظـلِّـلـنـا والـطـيـرَ فـي جـنـبـاتِـه
غـصـونٌ قِـيـامٌ لـلـنـسـيـم سـجـودُ
تَـمِـيـل إلـى مُـضْـنَـى الـغَـرام وتـارةً
يـعـارِضـهـا مـضـنَـى الـصَّـبـا فـتـحِـيـدُ
مـشـى فـي حـواشِـيـهـا الأصـيـلُ فـذُهِّـبَـت
ومـاس عـلـيـهـا الـحَـلـيُ وهـي تَـمـيـدُ

وقامت لديها الطيرُ شَتّى، فآنِسٌ
بأهلٍ ومفقودُ الأليف وحيدُ
وباكٍ ولا دمعَ وشاكٍ ولا جوى
وجذلان يشدو في الرُّبى ويُشيدُ
وذي كبْرَةٍ لم يُعطَ بالدهر خِبرةً
وعُريان كاسٍ تَزْدَهِيهِ مهودُ
غَشِيناهُ والأيامُ تَنْدى شبيبة
ويقطر منها العيشُ وهو رغيدُ
رأت شَفَقاً يَنْعَى النهار مضرَّجاً
فقلتُ لها: حتى النهارُ شهيدُ
فقالت: وما بالطير؟ قلت: سكينةٌ
فما هي مما نَبتغي ونَصيدُ
أُحِلَّ لنا الصيدان يوم الهوى مَهاً
ويوم تُسَلّ المُرهَفات أُسودُ[١]
يُحَطَّم رمحٌ دوننا ومهندٌ
ويقتلنا لحظٌ ويأْسِر جيدُ[٢]
ونحكم حتى يَقبلَ الدهرُ حكمنا
ونحن لسلطان الغرام عبيدُ
أقول لأيام الصِّبا كلّما نأَت
أما لكَ يا عهدَ الشباب مُعيدُ؟
وكيف نأَت والأمسُ آخرُ عهدها
لأمْسِ كباقي الغابرات عَهيدُ[٣]

(١) المها: مفردها مهاة وهي البقرة الوحشية، والمعنى هنا الحِسَان الجميلات.
(٢) المهنّد: السيف.
(٣) العهيد: القديم.

جـزِعـت فـراعـتـنـي مـن الـشَـيْـب بَـسْـمـة
كـأنـي عـلـى دَرْب الـمَـشـيـب (لـبـيـدُ)[1]
ومِـن عَـبـث الـدُّنـيـا ومـا عـبـثـت سـدًى
شَـبـبـنـا وشِـبـنـا والـزمـان ولـيـدُ

(١) (لبيد): هو الشاعر الجاهلي لبيد بن ربيعة، وهو من المُعَمّرين.

هامَ الفؤادُ

«وقال»: [من الكامل]

هـــام الـــفـــؤادُ بـــشـــادنٍ
ألِـــف الـــدَّلالَ عـــلـــى الـــمَـــدَى
أبـــكـــي فـــيَـــضْـــحـــكُ ثـــغـــرُه
والـــكِـــمُّ يـــفـــتـــحـــه الـــنَّـــدَى[1]

(١) الكِمّ: الغِلاف الذي يَنْشَقّ عن الثمر.

للعاشِقينَ رضَاك

«وقال عن شاعر تركي»: [من الكامل]

لـــلـــعـــاشـــقـــيـــن رضـــاك والْـــ
ـحُـــسْـــنَـــى ولـــي هـــجـــرٌ وصَـــدُّ[1]
ذُكـــروا فـــكـــانـــوا سُـــبـــحـــةً
وأنـــا الـــعـــلامـــةُ لا تُـــعَـــدُّ

(١) الصدّ: الإعراض والهجر.

مَصارعُ الأكبَاد

«وقال»: [من الكامل]

فـي مـقـلـتـيـك مَـصَـارعُ الأكـبـادِ
ألـلَّـهَ فـي جـنْـبٍ بـغـيـر عِـمـادِ
كـانـت لـه كَـبـد فـحـاق بـهـا الـهـوى
قُـهـرت وقـد كـانـت مـن الأطـوادِ[1]
وإذا الـنـفـوسُ تـطـوّحـتْ فـي لـذّة
كـانـت جـنـايـتُـهـا عـلـى الأجـسـادِ
نَـشـوَى ومـا يُـسـقـيـن إلّا راحـتـي
وَسْـنَـى ومـا يُـطْـعَـمْـنَ غـيـرَ رُقـادِي[2]
ضَـعْـفَـى وكـم أبـلـيْـنَ مـن ذي قـوةٍ
مَـرْضـى وكـم أفـنـيْـنَ مـن عُـوّادِ
يـا قَـاتَـلَ الـلَّـهُ الـعـيـونَ فـإنـهـا
فـي حَـرِّ مـا نَـصْـلـى الـضـعـيـفُ الـبـادَي
قـاتَـلـنَ فـي أجـفـانِـهـنّ قـلـوبَـنـا
فـصَـرَعـنـهـا وسَـلِـمـنَ بـالأغـمـادِ
وصَـبَـغـنَ مـن دمِـهـا الـخـدودَ تَـنَـصُّـلاً
ولـقـيـنَ أربـابَ الـهـوى بـسـوادِ

(١) حاق بها: أحاط بها. الأطواد: مفردها طود وهو الجبل.
(٢) نشوى: سكارى. الراحة: السكينة والارتياح. وسْنى: من الوسن أي النعاس. الرقاد: النوم.

قِف باللّواحِظ

«وقال»: [من الكامل]

قِــف بــالــلّــواحِــظ عــنــد حَــدِّكْ
يَــكــفــيــك فــتــنــةُ نــارِ خــدِّكْ
وَٱجْــعَــلْ لِــغــمْــدك هــدنــةً
إنّ الــحــوادث مــلءُ غــمــدِكْ
وصُــنِ الــمــحــاســنَ عــن قــلــو
بٍ لا يَــديــن لــهــا بــجُــنْــدِكْ
نــظــرتْ إلــيــك عــن الــفــتــو
رِ ومــا ٱتَّــقــت ســطــوات حــدِّكْ
أعــلــى روايــاتِ الــقــنــا
مــا كــان نِــسْــبــتُــه لــقَــدِّكْ
نــال الــعــواذلُ جَــهْــدَهــم
وســمِــعــتَ مــنــهــم فــوق جــهْــدِكْ
نــقــلــوا إلــيــك مَــقــالــةً
مــا كــان أكْــثَــرَهــا لــعــبــدِكْ
قــســمــاً بــمــا حــمَّــلــتــنــي
فــحــمــلــتُ مــن وجــدي وصــدِّكْ[1]
مــا بــي الــســهــامُ الــكُــثْــرُ مــن
جــفــنــيْــك لــكــن ســهــمُ بُــعــدِكْ

(١) الوجد: شدة الحب.

مُضْنَاك

«وقال»: [من المتدارك]

مُـضْـنـاك جـفـاهُ مَـرْقَـدُهُ ... وبَـكـاه ورَحَّـم عُـوَّدُهُ[١]
حـيـرانُ الـقـلـب مـعـذَّبُـهُ ... مـقـروحُ الـجَـفْـنِ مُـسَـهَّـدُهُ
أودَى جِـرقـاً إلّا رَمَـقـاً ... يُـبـقـيـه عـلـيـك وتُـنْـفِـدُهُ
يـسـتـهـوي الـوُرْقَ تـأوُّهُـه ... ويُـذيـب الـصّـخـرَ تَـنَـهـدُهُ[٢]
ويُـنـاجـي الـنـجـمَ ويُـتْـعـبـه ... ويُـقـيـم الـلّـيـلَ ويُـقْـعـدُهُ
ويـعـلِّـم كـلَّ مـطـوَّقـةٍ ... شـجـنـاً فـي الـدَّوح تُـرَدّدُهُ[٣]
كـم مـدّ لـطـيـفـك مـن شـركٍ ... وتـأدَّب لا يـتـصـيَّـدُهُ
فـعـسـاك بـغُـمـضِ مُـسْـعِـفُـهُ ... ولـعَـلَّ خـيـالـك مُـسْـعِـدُهُ
ألـحـسـنُ حـلَـفـتُ بـيُـوسـفِـهِ ... (والـسـورةِ) إنـك مُـفـرَدُهُ
قـد ودّ جـمَـالَـك أو قَـبَـسـاً ... حـوراءُ الـخُـلـدِ وأمـردُهُ
وتـمـنَّـت كـلُّ مـقـطَّـعـةٍ ... يـدَهـا لـو تُـبـعـث تَـشْـهَـدُهُ[٤]
جَـحَـدت عـيـنـاك زكـيَّ دمـي ... أكـذلـك خـدُّك يـجـحـدُهُ
قـد عـزَّ شـهـودي إذ رمَـتـا ... فـأشـرتُ لـخـدِّك أُشْـهِـدُهُ
وهَـمـمـتُ بـجِـيـدك أُشْـرِكـهُ ... فـأبـى واسْـتـكـبـر أصْـيـدُهُ
وهـززتُ قـوامَـك أَعْـطِـفُـه ... فـنَـبـا وتـمـنَّـع أَمْـلَـدُهُ[٥]
سـبـبٌ لـرِضـاك أُمَـهِّـدُهُ ... مـا بـال الـخـصـر يُـعَـقِّـدُهُ

(١) العُوّد: الزُّوار.
(٢) الوُرق: مفردها ورقاء أي الحمامة.
(٣) الدوح: مفردها دوحة، وهي الشجرة الكبيرة الممتدة.
(٤) إشارة إلى صَوَاحِبَات يوسف عليه السلام اللواتي ورد ذكرهن في القرآن الكريم.
(٥) الأملد: الغصن الليّن الذي شبّهه بالقدّ.

بيني في الحُبِّ وبينك ما ... لا يَقدِر واشٍ يُفْسِدُهُ
ما بال العاذِل يَفتح لي ... بابَ السُّلوان وأُوصِدُهُ[1]
ويقول تكاد تُجنُّ به ... فأقول وأُوشِكُ أَعْبدُهُ
مولاي ورُوحي في يده ... قد ضيَّعها سلِمتْ يدُهُ
ناقوسُ القلبِ يدُقّ لهُ ... وحنايا الأضلُع معبدُهُ
قسَماً بثنايا لؤلؤها ... قسَم الياقوتَ مُنَضَّدُهُ
ورُضابٍ يُوعَدُ كوثرَهُ ... مقتولُ العشق ومُشهدُهُ
وبخالٍ كاد يُحجّ لهُ ... لو كان يُقَبَّلُ أسودُهُ
وقوامٍ يروي الغصن له ... نسباً والرمح يفنّدُهُ
وبخصرٍ أوهن من جَلَدِي ... وعوادي الهجر تبدّدُهُ
ما خنتُ هواك ولا خطرَتْ ... سلوى بالقلب تبرّدُهُ

(١) العاذل: اللّائم. أوصد: أغلق.

نسماتُ النّيْل

«وقال»: [من البسيط]

بـاللَّـهِ يـا نـسـمـاتِ الـنِّـيـل فـي الـسَّـحَـر
هـل عـنـدكـنَّ عـن الأحـبـاب مـن خَـبـرِ؟
عـرفـتـكـنَّ بـعَـرْف لا أُكـيِّـفـه
لا فـي الـغـوالـي ولا فـي الـنَّـوْر والـزَّهَـرِ[١]
مـن بـعـض مـا مـسـح الـحُـسـن الـوجـوه بـه
بـيـن الـجـبـيـن وبـيـن الـفَـرْق والـشَّـعَـرِ
فـهـل عـلِـقـتـنَّ أثـنـاء الـسُّـرى أرَجـاً
مـن الـغـدائـر أو طـيـبـاً مـن الـطُّـررِ[٢]
هِـجـتـنَّ لـي لـوعـةً فـي الـقـلـب كـامـنـةً
والـجـرحُ إنْ تـعـتـرِضْـه نـسْـمَـةٌ يـثُـرِ
ذكـرتُ مـصـرَ ومَـنْ أهـوى ومـجـلـسَـنـا
عـلـى الـجـزيـرة بـيـن الـجـسـر والـنَّـهـرِ
والـيـوم أشـيـبُ والآفـاق مُـذْهَـبَـةٌ
والـشـمـس مـصْـفَـرّةٌ تـجـري لـمـنْـحَـدَرِ
والـنـخـل مـتَّـشِـحٌ بـالـغـيـم تـحـسـبـه
هِـيـفَ الـعـرائـس فـي بِـيـض مـن الأزُرِ[٣]
ومـا شـجـانـيَ إلّا صـوت سـاقـيـةٍ
تـسـتـقـبـل الـلّـيـلَ بـيـن الـنَّـوْح والـعِـبـرِ

---

(١) العَرْف: الرائحة الطيبة. النَّوْر: الزهر.
(٢) السّرى: السير ليلاً. الأرج: بمعنى الأريج. الغدائر: الضفائر. الطُّرر: مفردها طُرّة، وهي مقدّم الناصية.
(٣) متّشح بالغيم: مُلْتَفّ به. الأُزُر: مفردها إزار أي الرداء أو اللباس.

لـم يـتـرك الـوجـد مـنـهـا غـيـرَ أضْـلُـعـهـا
وغـيـرَ دَمْـع كـصـوْب الـغـيـث مُـنـهـمِـرِ
بـخـيـلـة بـمـآقـيـهـا فـلَـو سُـئِـلـتْ
جَـفْـنـاً يُـعـيـن أخـا الأشـواق لـم تُـعِـرِ
فـي لـيـلـةٍ مـن لـيـالـي الـدهـر طـيِّـبـةٍ
مـحـا بـهـا كـلَّ ذنـب غـيـر مُـغـتَـفَـرِ
عـفَّـت وعـفَّ الـهـوى فـيـهـا وفـاز بـهـا
عَـفُّ الإشـارة والألـفـاظ والـنَّـظـرِ
بـتـنـا وبـاتـت حـنـانـاً حـولـنـا ورِضـاً
ثـلاثـةً بـيـن سَـمْـع الـحـبّ والـبـصـرِ
لا أكـذِب الـلَّـهَ كـان الـنّـجـمُ رابـعـنـا
لـو يُـذكـر الـنّـجـمُ بـعـد الـبـدر فـي خَـبَـرِ
وأنـصـفـتـنـا فـظُـلـمٌ أنْ نـجـازيـهـا
شكـوى من الطـول أو شكـوى من القِصَـرِ
دع بـعـد رِيـقَـة مـن تَـهـوى ومـنـطـقِـه
مـا قـيـل فـي الـكـأس أو مـا قـيـل فـي الـوَتَـرِ
ولا تُـبـالِ بـكـنـزٍ بـعـد مَـبْـسـمِـهِ
أغـلـى الـيـواقـيـت مـا أُعْـطِـيـت والـدرَرِ
ولـم يَـرُعْـنِـيَ إلّا قـولُ عـاذِلـةٍ
مـا بـال أَحْـمَـدَ لَـم يـحـلَـمْ ولـم يَـقِـرِ
هـلّا تـرفـع عـن لـهـوٍ وعـن لَـعِـبٍ
إنّ الـصـغـائـر تُـغـرْي الـنـفـسَ بـالـصِّـغـرِ
فـقـلـت لـلـمـجـد أشـعـاري مـسـيَّـرةٌ
وفـي غـوانـي الـعـلا لا فـي الـمَـهـا وطَـرِي[1]

(١) الغواني: الحسان الجميلات، وغواني العُلا نوع من الاستعارة يتناسب مع حبه للمجد.

مـصـرُ الـعـزيـزة مـا لـي لا أودّعـهـا
وداعَ مـحـتـفـظٍ بـالـعـهـد مـدّكـرِ
خـلَّـفـتُ فـيـهـا الـقـطـا مـا بـيـن ذي زَغَـبٍ
وذي تَـمَـائِـمَ لـم يَـنْـهَـضْ ولـم يَـطـرِ[1]
أسـلـمـتـهـم لـعـيـون الـلَّـه تـحـرسُـهـم
وأسـلـمـونـي لـظـلِّ الـلَّـه فـي الـبـشـرِ

= والقيم السامية، وهو ما يؤكده بأن أشعاره مسيّرة للمجد، وليس للنساء التي شبهها بالمَهَا. الوطر: البُغْيَة أو الحاجة.

(١) القطا: نوع من الطيور في حجم الحمام. ذو زغب: كناية عن الأولاد. ذو تمائم: كناية عن الأطفال الذين توضع عليهم التمائم للعين والحسد.

السُّمْر الخَوَاطِر

«وقال»: [من الكامل]

عَرضوا الأمانَ على الخَواطِرْ ... واستعرضوا السُّمْرَ الخَواطِرْ[1]
فوقفتُ في حذرٍ ويأ ... بى القلبُ إلّا أنْ يُخاطِرْ
يا قلب شأنَك والهوى ... هذي الغصونُ وأنتَ طائرْ
إنّ التي صادتك تسـ ... ـعى بالقلوب لها النواظرْ
يا ثغرَها أمسيتُ كالـ ... ـغوَّاص أحلمُ بالجواهرْ
يا لحظَها مَنْ أُمُّها ... أو مَنْ أبوها في الجآذِرْ[2]
يا شعرَها لا تَسع في ... هتكي فشأن الليل ساترْ
يا قدّها حتَّام تغـ ... ـدو عاذلاً وتَروح جائرْ
وبأيّ ذنبٍ قد طعنـ ... ـتَ حشايَ يا قدَّ الكبائرْ

(١) السُّمر: الرماح. الخواطر: المهتزّات، وهي كناية عن القدود.
(٢) الجآذر: مفردها جؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية.

في ذي الجُفون

«وقال»: [من الكامل]

في ذي الجفونِ صوارمُ الأقدارِ ... راعي البريّةَ يا رَعاكِ الباري
وكفى الحياةُ لنا حوادثَ فاْفْتِني ... مَلأَ النجومِ وعالَمَ الأقمارِ
ما أنتِ في هذي الحُلَى إنْسِيَّة ... إنْ أنت إلّا الشمسُ في الأنوارِ
زهراء بالأُفُق الذي من دونه ... وثْبُ النُّهى وتطاولُ الأفكارِ
تَتَهَتَّكُ الألبابُ خَلْف حجابها ... مهما طلعتِ فكيف بالأبصارِ
يا زينةَ الإصباح والإمساء بل ... يا رونقَ الآصال والأسحارِ
ماذا تحاول من تنائينا النَّوى ... أنتِ الدُّنى وأنا الخيال السارِي
ألقى الضُّحى ألقاك ثمَّ من الدُّجى ... سُبُلٌ إليك خفيَّةُ الأغوارِ
وإذا أنستُ بوَحْدَتي فلأنها ... سببي إليك وسُلَّمِي ومَنارِي
إيهٍ زماني في الهوى وزمانَها ... ما كنتما إلّا النميرَ الجارِي[1]
متَسلسِلاً بين الصَّبابة والصِّبَا ... مترَقْرِقاً بمسارح الأوطارِ[2]
نظر الفراقُ إليكما فطواكما ... إنّ الفراقَ جهنمُ الأقدارِ

(١) النمير: الزاكي من الماء.
(٢) الصبابة: الشوق ورقة الهوى. الأوطار: مفردها وطر وهو الحاجة أو البُغْيَة.

إنّ الهَوى قَدَر

«وقال»: [من الكامل]

لك أنْ تلومَ ولي من الأعذارِ ... إنّ الهوى قدَرٌ من الأقدارِ
ما كنتُ أُسلم للعيون سلامتي ... وأبيحُ حادثةَ الغرام وقارِي
وطَرٌ تعلَّقه الفؤاد وينقضي ... والنفسُ ماضية مع الأوطارِ
يا قلبُ شأنَك لا أمُدُّك في الهوى ... أبداً ولا أدعوك للإقصارِ
أمري وأمرُك في الهوى بيد الهوى ... لو أنه بيدي فككتُ إسارِي[١]
جارِي الشبيبةَ وٱنتفع بجوارها ... قبل المشيبِ فما له من جارِ
مَثَلُ الحياة تُحَبُّ في عهد الصِّبَا ... مَثَلُ الرياض تُحَبُّ في آذارِ[٢]
أبداً (فرُوقُ) من البلاد هي المُنى ... ومُنايَ منها ظَبْيَةٌ بِسِوارِ
ممنوعةٌ إلّا الجمالَ بأسْره ... محجوبة إلّا عن الأنظارِ
خطواتُها التَّقوى فلا مَزهُوَّةٌ ... تمشي الدَّلال ولا بذات نِفارِ[٣]
مرَّت بنا فوق الخليج فأسفرتْ ... عن جَنَّة وتلفّتَتْ عن نارِ
في نِسْوَةٍ يُورِدنَ من شأن الهوى ... نَظَراً ولا ينظرن في الإصدارِ
عارضتهُنَّ وبين قلبي والهوى ... أمرٌ أُحاول كَتمه وأُدارِي

(١) الإسار: أي الأسر، وقوله: فككت أساري تعني تحريره من أسر الهوى.
(٢) آذار: هو أول شهور فصل الربيع، ويُسمّى شهر «مارس» أيضاً.
(٣) النِّفار: من نفر، أي الإعراض والشرود.

أَتَغْلِبُني ذات الدَّلال؟

«وقال»:

[من الطويل]

أَتَغْلِبُني ذاتُ الدَّلال على صَبري
إذاً أنا أولى بالقِناع وبالخِدْرِ[١]
تتيه ولي حِلمٌ إذا ما ركِبتُه
رددت به أمرَ الغرام إلى أمرِي
وما دَفْعِيَ اللُّوام فيها سآمةٌ
ولكنّ نفس الحر أزجرُ للحرِّ[٢]
وليلٍ كأنّ الحشرَ مَطْلَعُ فجره
تراءَتْ دموعي فيه سابقة الفجرِ
سريتُ به طيفاً إلى مَنْ أُحِبُّها
وهل بالسُّها في حُلَّةِ السُّقْمِ من نُكْرِ
طرقتُ حِماها بعد ما هَبَّ أهلُها
أخوض غمارَ الظنّ والنَّظر الشَّزْرِ[٣]
فما راعني إلّا نساء لقينني
يُبالِغن في زَجْرِي ويُسرفَنْ في نهرِي
يَقُلْن لمَنْ أهوى وآنَسْنَ رِيبة
نرى حالة بين الصَّبابة والسِّحرِ

(١) الشطر الأول من المطلع هو للشاعر محمود سامي البارودي، نظمه ثم أمسك فأكمله الشاعر وأضاف إليه أبيات هذه القصيدة.
(٢) السآمة: الضجر. أَزْجرُ: أكثر جزراً أي منعاً ونهراً.
(٣) النظر الشّزْر: النظر بطرف العين، عبارة عن الإعراض وعدم الرضى.

إلـيـكـنّ جـاراتِ الـحـمـى عـن مـلامـتـي
وذَرْنَ قـضـاءَ الـلّـه فـي خَـلْـقـه يـجـرِي[١]
وأحـرَجَـنـي دمـعـي فـلـمّـا زجـرتُـه
رددتُ قـلـوب الـعـاذِلات إلـى الـعُـذْرِ
فَسَاءَلْنَهَا ما اسمي فسمَّت فجئنني
يَـقُـلـنَ أمـانـاً لـلـعَـذارى مـن الـشِّـعـرِ
فـقـلـت أخـاف الـلّـهَ فـيـكـنَّ إنَّـنـي
وجـدتُ مـقـال الـهُـجْـر يُـزرَى بـأنْ يُـزرِي[٢]
أخـذت بـحـظ مـن هـواهـا وبَـيـنـهـا
ومَنْ يَهْوَ يعدلْ في الوصال وفي الهجرِ[٣]
إذا لـم يـكـن لـلـمـرء عـن عـيـشـةٍ غِـنًـى
فـلا بـدّ مـن يُـسْـرٍ ولا بـد مـن عُـسْـرِ
ومَـنْ يَـخْـبـرِ الـدُّنـيـا ويـشـربْ بـكـأسـهـا
يـجِـدْ مُـرَّهـا فـي الـحـلـو والـحُـلـوَ فـي الـمـرِّ
ومَـنْ كـان يـغـزو بـالـتَّـعِـلّات فـقـرَه
فـإنـي وجـدت الـكـدّ أقـتـلَ لـلـفـقـرِ
ومَـنْ يَـسْـتـعـن فـي أمـره غـيـرَ نـفـسـه
يـخُـنْـه الـرفـيـقُ الـعـونُ فـي الـمـسـلـك الـوَعْـرِ
ومَـنْ لـم يُـقِـمْ سـتـراً عـلـى عـيـب غـيـره
يَـعِـشْ مُـسـتـبـاح الـعِـرض مـنـهـتـك الـسِّـتْـرِ
ومَـنْ لـم يُـجـمِّـل بـالـتـواضـع فـضـلَـه
يَـبِـنْ فـضـلـه عـنـه ويَـعْـطَـلْ مـن الـفـخْـرِ

---

(١) ذَرْنَ: دَعْنَ.
(٢) مقال الهُجر: القبيح من الكلام.
(٣) البين: الهجر أو الفراق.

قلبٌ يذوبُ

«وقال»: [من الكامل]

قلبٌ يذوب ومدمعٌ يجري ... يا ليلُ هل خَبَرٌ عن الفَجْرِ
حالت نجومُك دون مطلعه ... لا تَبْتَغِي حِوَلاً ولا يسري
وتطاولت جُنْحاً فخيِّلَ لي ... أنّ الصباحَ رهينة الحشْرِ
أرسيتها وملكت مذهَبها ... بدُجنَّةٍ كسريرة الدّهرِ
ظُلَمٌ تجيء بها وترجِعها ... والموجُ منقلِبٌ إلى البَحْرِ
ليت الكرى (موسى) فيوردها ... فِرْعَوْن هذا السُّهْدِ والفِكرِ

❊ ❊ ❊

ولقد أقول لهاتفٍ سحراً ... يَبكي لغير نوًى ولا أَسرِ
والروضُ أخرس غيرَ وسوسةٍ ... خَفْقَ الغصون وجِريةَ الغُدْرِ[1]
والطير مِلءُ الأيْك أَرؤسها ... مثلُ الثمار بدت من السِّدْرِ
ألقى الجناح وناءَ بالصَّدْرِ ... ورنا بصَفْرَاوَيْن كالتِّبرِ
كلَم السّهادُ بيوتَ هُدْبِهما ... وأقام بين رسومِها الحُمرِ
تهدا جوانِحه فتحسبه ... من صَنْعَة الأيدي أو السِّحرِ
وتثور فهو على الغصون يدٌ ... عَلِقَتْ أَنَاملها من الجمرِ

❊ ❊ ❊

يا طيرُ بُثَّ أخاك ما يجري ... إنَّا كِلانا موضِعُ السِّرِّ
بي مثلُ ما بك من جوًى ونوًى ... أنا في الأنام وأنت في القُمرِ[2]
عَبَثَ الغرام بنا وروّعنا ... أنا بالمَلام وأنتَ بالزَّجرِ
يا طيرُ لا تجزع لحادثةٍ ... كلُّ النفوس رهائِن الضُّرِّ

(١) الغُدْر: مفردها غدير، وهو النهر الصغير.
(٢) الجوى: حرقة الهوى. النوى: البعد. القُمر: مفردها قُمرية وهي نوع من الحمام.

فيما دهاك لو ٱطَّلعت رضًى ... شرٌّ أخفُّ عليك من شرِّ
يا طير كدْرُ العيش لو تدري ... في صفوه والصفو في الكدْرِ
وإذا الأمورُ ٱستُصْعِبَتْ صَعُبَتْ ... ويهون ما هوّنتَ من أمْرِ
يا طيرُ لو لذْنَا بمُصْطَبرٍ ... فلعلَّ روحَ اللَّه في الصَّبْرِ
وعسى الأمانيَّ العذاب لنا ... عونٌ على السلوان والهَجْرِ

الطَّيْفُ الزائرُ

«وقال»: [من الخفيف]

بَدأَ الطَّيْفُ بالجميل وزَارَا ... يا رسول الرِّضى وُقيت العِثارَا[١]

خُذْ من الجفن والفؤاد سبيلاً ... وتَيَمَّمْ من السُّويداء دارَا[٢]

أنت إنْ بِتَّ في الجفون فأهلٌ ... عادةُ النُّور ينزل الأبصارَا

زار والحرب بين جفني ونومي ... قد أعدّ الدُّجى لها أوزارَا

حسنٌ يا خيالُ صُنْعك عندي ... أجملُ الصُّنع ما يُصيب افتقارَا[٣]

ما لربِّ الجمال جار على القلـ ... ـب كأنْ لم يكن له القلب جارَا

وأَرى القلبَ كلما ساء يجزيـ ... ـه عن الذنب رقَّةً واعتذارَا

أجريحُ الغرام يطلب عطفاً ... وجريح الأنام يطلب ثارَا

أيُّها العاذلَون نِمتم ورام السُّهدُ من مقلتيَّ أمراً فصارَا

آفة النُّصح أنْ يكون لَجاجاً ... وأَذَى النُّصح أن يكون جهارَا[٤]

ساءلتْني عن النهار جفوني ... رحِم اللَّهُ يا جفوني النّهارَا

قلن نَبكيه قلت هاتِي دموعاً ... قلنَ صبراً فقلت هاتي اْصطبارَا

يا ليالـيَّ لم أجِدْكِ طِوالاً ... بعد ليلي ولم أجِدْك قِصارَا

إنّ مَنْ يحمل الخطوبَ كِباراً ... لا يبالي بحملهنّ صغارَا

لم نُفِقْ منك يا زمان فنشكو ... مدمِن الخمر لا يُحسّ الخُمارَا[٥]

فاْصرِف الكأسَ مشفِقاً أو فواصِلْ ... خرج الرشد عن أكف السُّكارَى

---

(١) العِثار: السقوط.

(٢) السويداء: أي القلب.

(٣) الخيال: الطّيف.

(٤) اللّجَاج: الإلحاح. الجهار: البوح علانية، أو العَيَان.

(٥) الخُمار: صداع الخمر.

كِلانَا غَرِيب

«وقال»: [من الطويل]

أبُثُّك وجدي يا حَمام وأودِعُ
فإنك دون الطيرِ للسرِّ موضعُ
وأنت معين العاشقين على الهوى
تَئِن فنصغِي أو تحنُّ فنَسمعُ
أراكَ يمانيًّا ومصر خميلتي
كِلَانَا غريبٌ نازح الدار موجَعُ
هما اثنان دانٍ في التغرّب آمن
ونـاءٍ على قربِ الديار مُروّعُ
ومن عجبِ الأشياء أبكي وأشتكي
وأنت تُغنّي في الغصون وتسجَعُ
لعلك تُخفي الوجدَ أو تكتُم الجوى
فقد تُمسك العينان والقلب يدمعُ
شجاكَ صغارٌ كالجُمان وموطنٌ
ندٍ مثل أيام الحداثة مُمرِعُ(١)
إذا كان في الآجال طولٌ وفسحةٌ
فما البينُ إلّا حادثٌ متوقَّعُ
وما الأهلُ والأحبابُ إلّا لآلئٌ
تُفرّقها الأيامُ والسِّمطُ يجمَعُ(٢)

(١) الجمان: اللؤلؤ.
(٢) السِّمط: الخيط ما دام اللؤلؤ منتظماً فيه.

أمُنكرَتي، قلبي دليلي وشاهدي
فلا تُنكريه فهو عندك مُودَعُ
أسيرُك لو يُفدى فَدَته بجمعها
جوانحُ في شوقٍ إليه وأضْلعُ
رماه إليك الدهرُ من حالق الهوى
يُذال على سفح الهوان ويُوضَعُ[1]
ومن عجبٍ يأْسَى إذا قلت: متعبٌ
ويطرَبُ إن قلت: الأسيرُ الممتَّعُ
لقِيتِ عليماً بالغواني وإنما
هو القلبُ كالإنسان يُغرى ويُخدعُ
وأعلم أنّ الغدر في الناس شائعٌ
وأنّ خليل الغانيات مضيّعُ
وأنّ نِزَاعَ الرُّشْد والغَيّ حالةٌ
تجيء بأحلام الرجال وترجِعُ[2]
وأنّ أمانيَّ النفوس قواتلٌ
وكثرتها من كثرة الزَّهر أَصْرَعُ
وأنّ دعاة الخير والحق حربهم
زمانٌ بهم من عهد سُقراط مُولَعُ[3]

(١) الحالق: المكان المشرف المرتفع، وحالق الهوى صورة شعرية عن الحالة التي يعيشها الشاعر حيث يشعر وكأن الهلاك ينتظره في غربته حين يقول: رماه إليك الدهر من حالق الهوى. يُذال: من أذال الدمع، أي سفحه.
(٢) أحلام الرجال: عقول الرجال.
(٣) سقراط: فيلسوف يوناني مشهور.

أَهْوَى الغَزَال

«وقال»: [من الكامل]

تـأتـي الـدَّلالَ سـجـيَّـة وتـصـنُّـعَـا
وأراك فـي حـالـيْ دلالِـك مُـبْـدِعَـا
تِـهْ كـيـف شـئـتَ فـمـا الـجـمـالُ بـحـاكـم
حـتـى يُـطـاع عـلـى الـدَّلال ويُـسـمـعَـا
لـكَ أنْ يـروّعـك الـوشـاة مـن الـهـوى
وعـلـيّ أنْ أهـوى الـغـزالَ مـروّعَـا
قـالـوا: لـقـد سَـمِـع الـغـزالُ لـمَـنْ وشـى
وأقـول: مـا سـمِـع الـغـزال ولا وَعَـى
أنـا مَـنْ يـحـبُّـك فـي نـفـارك مـؤنـسـاً
ويـحـب تـيـهـك فـي نـفـارك مُـطـمَـعَـا
قـدّمـت بـيـن يـديَّ أيـام الـهـوى
وجـعـلـتُـهـا أمـلاً عـلـيـكَ مُـضَـيَّـعَـا
وصـدقـتُ فـي حـبِّـي فـلـسـتُ مُـبـالـيـاً
أنْ أُمْـنَـحَ الـدنـيـا بـه أو أُمْـنَـعَـا
يـا مَـنْ جَـرَى مـن مُـقْـلَـتَـيْـهِ لـي الـهـوى
صِـرفـاً ودارَ بـوجـنـتـيْـهِ مُـشَـعْـشَـعَـا[1]
ألـلَّـهَ فـي كـبـدٍ سَـقَـيْـتَ بـأربـعِ
لـو صـبَّـحـوا (رَضْـوَى) بـهـا لـتـصـدّعَـا[2]

(١) مشعشع: ممزوج بالماء.
(٢) رضوى: اسم جبل في الجزيرة العربية.

رُدَّت الرُّوحُ

«وقال»: [من الرَّمل]

رُدَّت الـرُّوحُ عـلـى الـمُـضـنـى مـعـكْ
أحـسـنُ الأيـام يـومٌ أَرْجَـعَـكْ
مَـرَّ مـن بُـعْـدك مـا رَوَّعَـنـي
أتُـرى يـا حـلـو بُـعـدي روّعـكْ
كـم شـكـوتُ الـبـيْـنَ بـالـلَّـيـل إلـى
مَـطـلـع الـفـجـر عـسـى أنْ يُـطْـلِـعَـكْ[1]
وبـعـثـتُ الـشـوقَ فـي ريـح الـصَّـبَـا
فـشـكـا الـحُـرقـة مـمـا ٱسـتـودَعَـكْ[2]
يـا نـعـيـمـي وعـذابـي فـي الـهـوى
بـعـذولـي فـي الـهـوى مـا جَـمَـعَـكْ
أنـتَ روحـي ظَـلـم الـواشـي الـذي
زَعَـم الـقـلـبَ سـلا أو ضـيَّـعَـكْ
مَـوقِـعـي عـنـدك لا أعـلـمـه
آه لـو تـعـلـم عـنـدي مـوقِـعَـكْ
أرجَـفـوا أنـك شـاكٍ مُـوجَـعٌ
لـيـت لـي فـوق الـضَّـنـى مـا أَوجَـعَـكْ[3]
نـامـت الأعـيـنُ إلّا مـقـلـةً
تـسـكُـب الـدّمـعَ وتـرعـى مَـضْـجَـعَـكْ

(١) البين: الفراق أو البعد.
(٢) الصَّبا: ريح تهبّ من الشرق.
(٣) أرجفوا: خاضوا في الإخبار السيئة، الضَّنى: المرض والهزال أو سُوْء الحال.

وَصْفُ الهَوى

«قال مشطِّراً حيث اجتمع بعضُ الأدباء في مجلس فذكر أحدهم بيتاً للبهاء زُهير وهو»:

[من الطويل]

يـقـول أُنـاسٌ لـو وصـفـتَ لـنـا الـهـوى
فـوالـلَّـه مـا أدري الـهـوى كـيـف يُـوصـفُ؟

❊ ❊ ❊

«فقال»:

[من الطويل]

يـقـول أُنـاسٌ لـو وصـفـتَ لـنـا الـهـوى
لـعـلَّ الـذي لا يَـعْـرِفُ الـحـبَّ يَـعْـرِفُ
فـقـلـت لـقـد ذقـتُ الـهـوى ثـم ذقـتُـه
فـوالـلَّـه مـا أدري الـهـوى كـيـف يُـوصـفُ؟

علّموه

«وقال»: [من الرّمل]

عـلّـمـوه كـيـف يـجـفـو فـجـفَـا
ظـالـمٌ لاقـيـت مـنـه مـا كـفَـى
مـسـرفٌ فـي هـجـره مـا يَـنـتـهـي
أتُـراهـم عـلّـمـوه الـسَّـرَفَـا[1]؟
جـعـلـوا ذنـبـي لـديْـهِ سَـهَـرِي
لـيـتَ بَـدْري إذْ دَرَى الـذنـب عَـفَـا
عـرف الـنـاسُ حـقـوقـي عـنـده
وغـريـمـي مـا درى مـا عَـرَفَـا
صـحّ لـي فـي الـعـمـر مـنـه مـوعـدٌ
ثـم مـا صـدّقـت حـتـى أخْـلَـفَـا
ويـرى لـي الـصـبـرَ قـلـبٌ مـا درى
أنَّـمـا كـلّـفـنـي مـا كـلّـفَـا
مُـسْـتـهـامٌ فـي هـواه مـدنَـفٌ
يـتـرضـى مُـسـتـهـامـاً مُـدْنَـفَـا[2]
يـا خـلـيـلـيّ صِـفـا لـي حـيـلـةً
وأرى الـحـيـلـةَ أنْ لا تـصِـفَـا
أنـا لـو نـاديـتُـه فـي ذِلّـةٍ
هـي ذي روحـي فـخُـذهـا، مـا احـتَـفَـى[3]

(١) السّرف: الإسراف في الأمر.
(٢) المُدْنف: مَنْ ثقُل مرضه، وهنا من شدة وقع الهوى عليه.
(٣) ما احتفى: أي لم يبالِ.

جِئْنَنَا بالشعورِ والأحداق

«وقال»: [من الخفيف]

جِئْـنَـنَـا بـالـشـعـورِ والأحـداقِ ... وقَسَمْنَ الحظوظَ في العُشَّاقِ
وهـزَزنَ الـقَـنـا قـدوداً فـأبـلـى ... كلُّ قلب مُسْتَضْعَفٍ خفّاقِ
حبَّذا القِسمُ في المحبِّين قِسمي ... لو يُلاقون في الهوى ما أُلاقِي
حيلتي في الهوى وما أَتمنَّى ... حـيـلـةُ الأذكـيـاءِ فـي الأرزاقِ
لو يُجازى المحب عن فرط شوق ... لـجـزيـت الـكـثـيـرَ عـن أشـواقِـي
وفـتـاةٍ مـا زادهـا فـي غـريـب الـ ... ـحـسـن إلّا غـرائـب الأخـلاقِ
ذقت منها حلواً ومراً وكانت ... لذّةُ العِشق في اختلاف المذاقِ
ضربت موعداً فلمّا التقَينا ... جانَبتْني تقول فِيْمَ التَّلاقِي
قلت: ما هكذا المواثيق، قالت: ... لـيـس لـلـغـانـيـات مـن مـيـثـاقِ
عـطَّـفـتـهـا نَـحـافـتـي وشـجـاهـا ... شـافـعٌ بـادِرٌ مـن الآمـاقِ[1]
فأرتني الهوى وقالت: خشِينا ... والـهـوى شُـعْـبـةٌ مـن الإشـفـاقِ
يـا فـتـاةَ الـعـراقِ أكـتـم مَـنْ أنـ ... ـت وأكنِي عن حبِّكم بالعراقِ
لـي قـوافٍ تَـعِـفُّ فـي الـحـب إلّا ... عـنـك سـارت جـوائـب الآفـاقِ
لا تُـمـنِّـي الـزمـان مـنـهـا مـزيـداً ... إنْ تـمـنَّـيـت أنْ تـفـكـي وثـاقِـي
حمِّليني في الحب ما شئت إلّا ... حـادثَ الـصـدّ أو بـلاءَ الـفـراقِ
واسمحي بالعناقِ إنْ رَضِيَ الدّلُّ وسامَحْتِ فانياً في العِنَاقِ

(١) الآماق: مفردها مُؤْق أو مُؤْق، وهو مجرى الدمع من العين.

مضْنًى

«وقال»: [من الكامل]

مُضْنًى وليس به حَراكْ ... لكن يَخِفّ إذا رآكْ
ويميل من طربٍ إذا ... ما مِلْتَ يا غصنَ الأراكْ[1]
إنّ الجمالَ كساك من ... ورَق المحاسن ما كساكْ
ونَبَتَّ بين جوانحي ... والقلبُ من دَمه سقاكْ
حُلوَ الوعود متى وفاكْ ... أتُراكَ مُنْجِزَها تراكْ
من كل لفظ لو أذِنـ ... ـت لأجله قبَّلت فاكْ
أخذَ الحلاوةَ عن ثَنا ... ياك العِذاب وعن لماكْ[2]
ظلماً أقول جَنى الهوى ... لم يَجْنِ إلّا مُقْلتاكْ
غَدَتا مَنيَّةَ مَنْ رأيـ ... ـت ورحت مُنْيَةَ مَنْ رآكْ[3]

(١) الأراك: نوع من الشجر الطويل الساق، تتخذ منه المساويك.
(٢) اللّمى: سمرة في باطن الشفة يستحسن.
(٣) المنيّة: الموت. المُنْيَة: بمعنى التمني والرجاء.

فَدَتك الجوانحُ

«وقال»: [من المتقارب]

فَدَتك الجوانحُ من نازلِ ... وأهلاً بطيْفك من واصِلِ
بذلت له الجفنَ دون الكرى ... ومَنْ بالكرى للشجِي الباذِلِ
وقلت أراكَ برغم العذولِ ... فنابَ السُّهادُ عن العاذلِ[1]
فويح المتيَّم حتى الخيالِ ... إذا زارَ لم يخل من حائلِ
تجِنّ إليك ضلوعٌ عفَتْ ... من البين في جَسَدٍ ناحلِ
وقلبٌ جَوٍ عندها خافقٌ ... تعلّق بالسند المائلِ[2]
ومن عَبَثِ العشقِ بالعاشقينِ ... حنين القتيل إلى القاتلِ
غفَلت عن الكأسِ حتى طغتْ ... ولي أدَبٌ ليسَ بالغافلِ
وشَفّت وما شفّ مني الضميرُ ... وأين الجماد من العاقلِ
يَظلُّ نديميَ يُسقى بها ... ويشربُ من خلقيَ الفاضلِ
أبدّدها كرَماً كلّما ... بدَتْ ليَ كالذهب السائلِ

(١) السّهاد: الأرق. العاذل: اللائم.
(٢) جوٍ: من الجوى أي شدة الوجد.

لامَ فيكم

«وقال»: [من الخفيف]

لامَ فيكم عذوله وأطالَا ... كمْ إلى كمْ يعالج العُذَّالَا
كلّ يوم لهم أحاديثُ لوم ... بدأَت راحةً وعادت مَلالَا[1]
بعثت ذكرَكم فجاءت خِفافاً ... وٱقتضت هجركم فراحت ثِقالَا
أيّها المُنكِرُ الغرامَ علينا ... حسبك اللّه قد جَحدت الجمالَا[2]
آيةُ الحسن للقلوب تجلَّت ... كيف لا تعشق العيون امتثالَا
لك نُصحي وما عليك جِدالي ... آفة النُّصح أن يكون جِدالَا
وَهَبِ الرُّشْدَ أنني أنا أسلو ... ما من العقل أنْ تَروم مُحالَا[3]

(١) عادت مَلالاً: أي عادت مُملّة.
(٢) جحدت الجمال: أنكرته.
(٣) المُحال: أي المستحيل.

بات المُعنّى

«وقال»: [من السريع]

بات المُعنّى والدُّجى يبتلي ... والبَرْحُ لا وانٍ ولا مُنْجلِي[1]
والشُّهب في كلِّ سبيلٍ له ... بموقف اللَّوام والعذَّلِ
إذا رعاها ساهياً ساهراً ... رعَيْنَه بالحَدَق الغُفَّلِ
يا ليلُ قد جُرْتَ ولم تعْدِلِ ... ما أنت يا أسود إلّا خَلِي
تاللَّه لو حُكِّمت في الصبح أنْ ... تفعل أحجمت فلم تفعل
أو شِمت سيفاً في جيوش الضُّحى ... ما كنت للأعداء ما أنت لِي[2]
أبِيْتُ أُسقَى ويُدير الجوى ... والكأسُ لا تَفنى ولا تَمتلِي
ألخدّ من دمعي ومن فيْضه ... يشرب من عينٍ ومن جَدْولِ
والشوقُ نارٌ في رماد الأسى ... والفكر يُذكِي والحشا يَصْطَلِي
والقلبُ قوَّامٌ على أضلعي ... كأنه الناقوس في الهيكلِ

(١) البَرْح: الشدة.
(٢) شام السّيف: المعنى هنا استلّه.

كيف أُلامُ؟

«وقال»: [من الكامل]

أنا إنْ بذلت الروحَ كيف أُلامُ ... لمّا رمَتْ فأصابت الآرامُ؟[١]

عمدَتْ إلى قلبي بسهم نافذٍ ... فيه لمحتوم القضاءِ سهامُ

يا قلب لا تجزَع لحادثة الهوى ... واصبر فما لِلحادثاتِ دوامُ

عرفتَ قلوبُ الناس قبلك ما الجوى ... وأَذاقَها قدرٌ له أحكامُ

تجري العقولُ بأَهلها فإذا جرى ... كَبَتِ العقول وزلَّت الأحلامُ

ما كنتُ أعلمُ والحوادث جمَّةٌ ... أنّ الحوادثَ مُقلة وقوامُ[٢]

جَنَيَا على كبدي وما عرّضتُها ... كبدي عليكِ من البريء سلامُ

ولقد أقولُ لمَنْ يحثّ كؤوسَها ... قعدتْ كؤوسُك والهمومُ قيامُ

لم تجرِ بين جوانحي إلّا كما ... جرَتِ الدِّنانُ بها وسال الجَامُ[٣]

(١) الآرام: مفردها رئم، وهو الظبي.

(٢) الحوادث: المعنى هنا، حوادث الهوى بسبب مقلة ساحرة وقَوام رشيق. المقلة: العين. القوام: القدّ.

(٣) الدِّنان: مفردها دنّ، وهو إناء الخمر. الجام: الكأس.

يا لِلْهَوَى!

«وقال»: [من السّريع]

هل تيّم البان فؤاد الحمامْ
فناح فاستبكى جفون الغمامْ
أم شفّه ما شفّني فاْنثنى
مبلبلَ البال شريد المنامْ[١]
يهزه الأيك إلى إلفه
هَزَّ الفراش المدنَف المستهامْ
وتوقد الذكرى بأحشائه
جمراً من الشوق حثيثَ الضِّرامْ[٢]
كذلك العاشق عند الدُّجى
يا لِلْهَوَى مما يثير الظلامْ!
له إذا هبّ الجوى صرعةٌ
من دونها السّحرُ وفعلُ المدامْ
يا عاديَ البَيْن كفى قسوة
رَوَّعْتَ حتى مُهجَات الحمامْ
تلك قلوب الطيرِ حَمَّلْتَها
ما ضعفت عنه قلوب الأنامْ
لا ضرب المقدور أحبابنا
ولا أعادينا بهذا الحسامْ

(١) مبلبل البال: شارد الذهن.
(٢) الضِّرام: التوقّد أو شدة الاشتعال.

يـــا زمـــن الـــوصـــل لأنـــت الـــمُـــنـــى
ولـــلـــمُـــنـــى عـــقـــدٌ وأنـــت الـــنّـــظـــامْ
لـــلّـــه عـــيـــش لـــي وعـــيـــش لـــهـــا
كـــنـــتَ بـــه ســـمـــحـــاً رخـــيَّ الـــزّمـــامْ[1]
وأُنْـــسُ أوقـــاتٍ ظـــفـــرنـــا بـــهـــا
فـــي غـــفـــلـــة الأيـــام لـــو دمـــت دامْ
لـــكـــنـــه الـــدهـــر قـــلـــيـــل الـــجـــدى
مـــضـــيِّـــع الـــعـــهـــد لـــئـــيـــم الـــذِّمـــامْ
لـــو ســـامـــحـــتـــنـــا فـــي الـــســـلام الـــنـــوى
لـــطـــال حـــتـــى الـــحـــشـــر ذاك الـــســـلام
ولأنّـــقـــضـــى الـــعـــمـــران فـــي وقـــفـــة
نـــســـلـــو بـــهـــا الـــغـــمـــض ونـــســـلـــو الـــطـــعـــامْ
قـــالـــت وقـــد كـــاد يـــمـــيـــد الـــثـــرى
مـــن هـــدّة الـــصـــبـــر وهـــول الـــمـــقـــامْ
وغـــابـــتِ الأعـــيـــنُ فـــي دمـــعـــهـــا
ونـــالـــت الألـــســـنُ إلّا الـــكـــلامْ
يـــا بَـــيْـــنُ ولّـــى جَـــلَـــدِي فـــأتـــئـــدْ
ويـــا زمـــانـــي بـــعـــضُ هـــذا حـــرامْ[2]
فـــقـــلـــت والـــصـــبـــر يـــجـــاري الأســـى
والـــلّـــبُّ مـــأخـــوذ ودمـــعـــي انـــســـجـــامْ[3]
إنْ كـــان لـــي عـــنـــدكِ هـــذا الـــهـــوى
بِـــأَيِّـــمَـــا قـــلـــب كـــتـــمـــتِ الـــغـــرام

(١) الزِّمام: المقود، ورخِيّ الزِّمام أي متسامح ومتساهل.
(٢) ولّى جَلَدِي: أي نفد صبري.
(٣) اللّبُّ: العقل.

سلوا غزالاً

«وقال»: [من البسيط]

صريعُ جَفْنَيْك يَنْفِي عنهما التُّهمَا
فما رميتَ ولكنّ القضاءَ رَمَى
ألَلَّهَ في روح صَب يغشيان بها
موارد الحتف لم ينقل لها قَدَمَا
وكُفَّ عن قلبه المعمود نَبْلهما
أليس عهدك فيه حبةً ودَمَا[1]
سَلوا غزالاً غزا قلبي بحاجبه
أَمَا كفى السيف حتى جَرَّد القَلَمَا
واستخبروه إلى كم نارُ جَفوته
أما كفى ما جنت نار الخدود أَمَا
واستوهبوه يداً في العمر واحدةً
ومهدوا عذره عني إذا حَرَمَا
ولا ترَوْا منه ظلماً أنْ يضيِّعني
مَنْ ضيّع العَرَضَ المملوك ما ظَلَمَا[2]

(١) القلب المعمود: أي الذي تيّمه الهوى.
(٢) العَرَض: أي الأمر الزائل، أو ما لا دوام له.

ذادَ الكرى

«وقال»: [من الكامل]

ذادَ الكرى عن مقلتيك حمامُ
لبَّاه شوقٌ ساهرٌ وغرامُ
حيرانُ مشبوب المضاجع، ليلُه
حربٌ وليلُ النائمين سَلامُ
بين الدُّجى لكما وعادية الدُّجى
مهجٌ تؤلِّف بينها الأسقامُ
تتعاونان، وللتعاون أمّة
لا الدهرُ يخذِلُها ولا الأيامُ
يا أيُّها الطيرُ الكثيرُ سميرُه
هل ريشة لجَنَاحِه فيقامُ
عانقتَ أغصاناً وعانقتُ الجوى
وشكوتَ والشكوى عليَّ حرامُ[1]
أمحرِّمَ الأجفان إذناءَ الكرى
يَهْنيك ما حَرَّمت حين تنامُ
حاوَلْن منه إلى خيالك سُلَّماً
لو سَامَحت بخيالك الأحلامُ
فأذَنْ لِطَيْفِك أن يُلِمَّ مُجَامِلاً
ومُؤمَّل من طيفك الإلْمَامُ[2]

(١) الجوى: شدة الوجد.
(٢) الطّيف: الخيال. أن يُلمّ: أي يحل. مجاملاً: ملاطفاً.

الغَزَال الرَّامي

«وقال»: [من الكامل]

شغلته أشغالٌ عن الآرام ... وقضى اللُّبانةَ من هوًى وغرام[١]
ومَضَى يجرُّ على الهوى أذيالَه ... ويلومُ حامله مع اللُّوَّام
ويذمُّ عهد الغانيات كناقِهٍ ... بعد الشِّفاءِ يذمّ عهد سَقام[٢]
لا تعجلَنّ وفي الشباب بقيَّةٌ ... إنّ الشبابَ مَزَلّة الأحلام
كانت إنابتُك المريبة سَلْوَةً ... نسجَتْ على جُرحٍ بجنبك دام
إنّ الذي جعلَ القلوبَ أعِنَّةً ... قاد الشبيبةَ للهوى بِزِمام[٣]
يا قلبَ أحمَد والسهامُ شديدةٌ ... ماذا لقيتَ من الغَزَال الرَّامِي
تَدْرِي وتسألني تجاهلَ عارفٍ ... أرَنَا بعينٍ أم رَمَى بسِهام
ما زلتَ تركب كلَّ صعبٍ في الهوى ... حتى ركِبتُ إلى هواك حِمامِي[٤]
وإذا القلوبُ أسترسلَتْ في غَيِّها ... كانت بليِّتها على الأجسامِ

(١) اللُّبانة: حاجة النفس.
(٢) الناقه: هو الذي يستجمّ بعد المرض. السقام: المرض.
(٣) الأعنّة: مفردها عِنان، وهو الزّمام. الزّمام: المقود.
(٤) الحِمام: الموت.

به سِحْرٌ

«وقال»:

[من الوافر]

بـه سِـحْـرٌ يـتـيّـمُـهُ ... كـلا جـفـنـيـكَ يَـعـلـمُـهُ
هـمـا كـادا لـمـهـجـتـهِ ... ومـنـكَ الـكـيـدُ مـعـظـمُـهُ
تـعـذبـه بـسـحـرهـمـا ... وتـوجِـدُه وتـعـدِمُـهُ
فـلا (هـاروت) رَقَّ لـه ... ولا (مـاروت) يـرحَـمُـهُ
وتـظـلِـمـه فـلا يـشـكـو ... إلـى مَـنْ لـيـس يـظـلِـمُـهُ
أسـرَّ فـمـاتَ كـتـمـانـاً ... وبـاح فـخـانـه فـمُـهُ
فـويـحَ الـمـدنَـفِ الـمـعـمـو ... دِ حـتـى الـبَـثَّ يُـحْـرَمُـهُ(١)
طـويـلُ الـلـيـل تـرحـمُـهُ ... هـواتـفـه وأنـجـمُـهُ
إذا جـدّ الـغـرامُ بـه ... جـرَى فـي دَمـعِـه دمُـهُ
يـكـاد لـطـول صـحـبـتـه ... بـعـادِي الـسُّـقْـمِ يُـسـقـمُـهُ
ثَـنَـى الأعـنـاقَ عُـوَّدُهُ ... وألـقـى الـعـذر لـوَّمُـهُ
قـضـى عـشـقـاً سـوى رَمَـقٍ ... إلـيـكَ غـداً يـقـدِّمُـهُ(٢)
عـسـى إنْ قـيـل مـاتَ هـوى ... تـقـولُ: الـلَّـه يـرحـمُـهُ
فـتـحـيـا فـي مـراقِـدِهـا ... بـلـفـظٍ مـنـك أعـظـمُـهُ

❊ ❊ ❊

بـروحـي الـبـانُ يـومَ رنـا ... عـن الـمـقـدورِ أعـصـمُـهُ
ويـومَ طُـعِـنـتُ مـن غـصْـنٍ ... مـعـلّـمُـه مـنـعّـمُـهُ
قـضـاءُ الـلَّـه نـظـرتـه ... ولـطـفُ الـلَّـهِ مَـبْـسِـمُـهُ

(١) المُدْنف: مَنْ ثَقُل مرضه، وهنا من شدة وقع الهوى عليه. البث: الشكوى.
(٢) الرّمق: بقية الحياة.

رمى فاْستهدفت كبدي بِيَ الرامي وأسهمُهُ
له من أضلُعي قاعٌ ومن عجَبٍ يسلِّمُهُ
ومن قلبي وحبّته كِناسٌ باتَ يَهدِمُهُ[1]
غزالٌ في يديه التِّيْـ ـهُ بين الغِيد يَقْسِمُهُ

(١) الكِناس: هو بيت الظبي.

السِّحْرُ المُبِيْنُ

«وقال»: [من الكامل]

مَنْ صَوَّرَ السِّحْرَ المبين عيونَا ... وأحَلَّه حدَقاً لها وجفونَا
نظرتْ فحلتُ بجانبي فٱستهدَفتْ ... كبِدي وكان فؤاديَ المغبونَا
ورمتْ بسهم جال فيه جولة ... حتى ٱستقرّ فرَنّ فيه رَنِينَا
فَلَمستُ صدري موجِساً ومرَوَّعاً ... ولَمَستُ جَنْبي مشْفِقاً وضَنينَا
يا قلب إنّ من البواتر أَعْيُناً ... سُوداً وإنّ من الجآذِرِ عِينَا[1]
لا تأخذنّ من الأمورِ بظاهرٍ ... إنّ الظواهرَ تَخْدَعُ الرَّائينَا
فلكم رجعتُ من الأسِنَّة سالماً ... وصدَرْتُ عن هِيفِ القدود طعِينَا
وخميلةٍ فوق الجزيرة مَسّها ... ذهَبُ الأصيل حواشياً ومُتُونَا
كالتّبر أُفْقاً والزَّبرجدِ رَبْوة ... والمِسْك تربْاً واللُّجَيْن مَعِينَا
وقف الحيا من دونها مُسْتأذِناً ... ومشى النسيمُ بظلّها مأذونَا
وجرى عليها النِّيلُ يَقْذِف فضَّة ... نثراً ويكسر مرمراً مسنونَا
يُغري جوارَيهُ بها فَيَجِئْنها ... ويُغيرهنّ بها فيَسْتعلينَا
راع الظلامُ بها أوانسَ تَرْتَمي ... مثلَ الظّباء من الرُّبى يهوِينَا
يخطُرنَ في ساح القلوب عوالياً ... ويمِلْنَ في مَرأَى العيون غصونَا
عِفْنَ الذيولَ من الحرير وغيره ... وسَحَبن ثَمَّ الآسَ والنِّسرينَا
عارضتُهن ولي فؤادٌ عُرْضَةٌ ... لهوى الجآذِرِ دان فيه ودِينَا
فنظرنَ لا يدْرِين أذهبُ يُسْرَةً ... فَيَحِدْنَ عني أم أميلُ يمينَا

(١) البواتر: السيوف القواطع، وهي صورة رمزية عن قوة فعل العيون السود. الجآذر: مفردها جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية. العِيْن: مفردها عيناء، وهي الحسنة العين التي عظم سواد عينها في سعة.

ونَفَرْنَ من حولي وبين حبائلي كالسِّرب صادف في الرَّواح كَمِينَا
فجمعتُهنّ إلى الحديث بدأتُه فغَضِبنَ ثم أَعدته فَرَضِينَا
وسمعتُ مَنْ أهوى تقول لتِربِهَا أَحْرَى بأحمدَ أَنْ يكون رَزِينَا[1]
قالتْ: أَراه عند غاية وجدِه فلعلَّ ليلى تَرحَمُ المجنونَا

(١) التِّرْب: هو من ولد معك أي من هو في عمرك.

عصيّ العِنان

«وقال»: [من السّريع]

أذْعــنَ لــلــحُــســنِ عــصــيُّ الــعِــنــانْ
وحــاولــت عــيــنــاكَ أمــراً فــكــانْ
يَــعــيــش جــفــنــاك لِــبَــثِّ الــمُــنــى
أوِ الأســـى فـــي قـــلـــبِ راجٍ وعـــانْ
يــا مُــسـرِفــاً فــي الــتَّــيــهِ مــا يــنــتــهــي
أخــافُ أن يَــفْــنــى عــلــيــنــا الــزمــانْ[1]
ويـــا كـــثـــيـــرَ الـــدَّلّ فـــي عِـــزِّه
لا تــنــسَ لــي عــزِّي قُــبَــيْــلَ الــهــوانْ[2]
ويــا شــديــدَ الــعُــجــب مــهــلاً فــمــا
مــن مُــنــكــرٍ أنــكَ زَيْــنُ الــحــســانْ

(١) التِّيْه: الزهو والخُيَلاء.
(٢) الدّل: أي الدّلال. الهوان: الضعف أو الذل.

يا حسنَه بين الحِسَان

«وقال»: [من الكامل]

يا حسنَه بين الحِسَانْ ... في شكله إنْ قِيل بانْ
كالبدر تأخذه العيو ... نُ وما لهنّ به يدانْ
مَلك الجوانح والفؤا ... دَ ففي يديه الخافقانْ
ومنايَ منه نظرةً ... فعسى يُشير الحاجبانْ
فعسَى يزكّي حسنَهُ ... مَنْ لا لَه في الحسن ثانْ
فدعوه يعدل أو يجو ... ر فإنه مَلَكَ العِنانْ
حَقَّ الدلالُ لمَنْ له ... في كل جارحةٍ مكانْ[1]

(١) يجور: يظلم

يا ناعماً رقدَتْ جفونُه

«وقال»: [من الكامل]

يا ناعماً رقدَتْ جفونُهْ ... مُضناكَ لا تهدا شجونُهْ
حملَ الهوى لك كلَّه ... إنْ لم تعنْهُ فمَنْ يُعينُهْ
عُدْ منعِماً أو لا تَعُدْ ... أودعتَ سرّك مَنْ يصونُهْ
بيني وبينك في الهوى ... سببٌ سيجمعُنا متينُهْ
رشأ يُعابُ الساحرو ... ن وسحرُهم إلّا جفونُهْ
ألروحُ مِلْكُ يمينه ... يَفديهِ ما ملكت يمينُهْ
ما البانُ إلّا قدُّه ... لو تَيَّمت قلباً غصونُهْ
ويزينُ كلَّ يتيمةٍ ... فمُه وتحسبُها تَزِينُهْ
ما العمرُ إلّا ليلةٌ ... كان الصباحَ لها جبينُهْ
بات الغرامُ يَديرُنَا ... فيها كما بِتْنَا نديرُهْ
بين الرقيب وبيننَا ... وادٍ تُباعده حزونُهْ(١)
نغتابُه ونقول لا ... بَقِيَ الرقيب ولا عيونُهْ

(١) الحُزون: مفردها حَزْن وهي ما ارتفع وغلظ من الأرض.

صَحَا القَلْب

«وقال»: [من الطويل]

صَحَا القَلْبُ إلّا من خُمارِ أماني ... يجاذبُني في الغِّيدِ رثّ عِنَانِي
حنانيكَ قلبي هل أُعيدُ لك الصِّبَا ... وهل للفتى بالمستحيل يدانِ
تحنّ إلى ذاكَ الزمانِ وطيبه ... وهل أنت إلّا من دم وحَنانِ
إذا لم تصُن عهداً ولم ترعَ ذمةً ... ولم تدَّكر إلفاً فلستَ جِنَانِي[1]
أتذكر إذْ نعطي الصّبابةَ حقّها ... ونشربُ من صرفِ الهوى بدِنانِ
وأنتَ خَفوق والحبيب مباعدٌ ... وأنت خفوقٌ والحبيبُ مدانِ
وأيامَ لا آلو رِهاناً مع الهوَى ... وأنتَ فؤادي عند كل رِهانِ
لقد كنت أشكو من خفوقِك دائباً ... فولّى فيا لَهْفي على الخَفَقَانِ
سقاكَ التَّصابي بعد ما علَّك الصِّبَا ... فكيف ترى الكأسَين تختلفانِ
وما زلتُ في ريع الشبابِ وإنما ... يشيبُ الفَتى في مصرَ قبل أوانِ
ولا أكذبُ الباري بنى اللَّهُ هيكلي ... صنيعة إحسانٍ ورِقَّ حسانِ
أديـنُ إذا اقتادَ الجمالُ أزمّتي ... وأعنو إذا اقتاد الجميلُ عناني[2]

(١) الجِنان: القلب.
(٢) أعنو: أخضع.

صُونِي جَمَالك

«وقال»:

[من البسيط]

أللَّهَ في الخلقِ من صبٍّ ومن عاني ... تَفْنى القلوبُ ويبقى قلبكِ الجانِي
صونِي جمالَك عنَّا إنَّنا بشرٌ ... من التراب وهذا الحسنُ روحانِي
أو فابتغِي فَلَكاً تأوينَه مَلَكاً ... لم يتَّخذ شركاً في العالم الفانِي
يَنساب في النور مشغوفاً بصورته ... مُنَعَّماً في بديعات الحُلى هانِي
إذا تبسم أبدى الكونُ زينتَه ... وإنْ تنفَّس أهدى طِيبَ ريحانِ
وأشرقي من سماءِ العزّ مُشرقة ... بمنظَر ضاحكِ اللأْلاء فتَّانِ
عسى تكفُّ دموعٌ فيكِ هاميةٌ ... لا تطلعُ الشمس والأنداءُ في آنِ[1]
يا مَنْ هجرتُ إلى الأوطان رؤيتها ... فرحتُ أشوقَ مشتاقٍ لأوطانِ
أتذكرين حنيني في الزمان لها ... وسكبيَ الدَّمع من تَذْكارها قانِي
وغبطيَ الطير ألقاه أصيح به ... ليت الكريمَ الذي أعطاك أعطانِي[2]

(١) الأنداء: مفردها ندى وهنا بمعنى المطر.

(٢) وغَبْطي الطير: من غَبَط غَبْطاً، أي تمنّى أن يكون كحال الطير دون أن يريد زوال تلك الحال عن الطير.

ظَبْيَةُ الْبَانِ

«وقال»: [من البسيط]

قلبٌ بوادي الحمى خلَّفْتُه رَمقاً
ماذا صنَعتِ به يا ظبيةَ البانِ
أحنى عليكِ من الكُثبان فاتخذي
عليه مَرْعاك من قاعٍ وكُثبانِ
غرَّبته فَوَهَى جَنْبي لفرقته
وحنَّ للنازح المأثور جُثمانِي[1]
لا ردّه اللَّهُ من أسرٍ ومن خبلٍ
إنْ كان في ردّه صَحْوي وسُلوانِي
دلَّهتِه بعزيزٍ في محاجِره
ماضٍ له من مُبين السِّحر جفنانِ
رمى فضجَّت على قلبي جوانحُه
وقُلْنَ: سَهْمٌ فقال القلب: سهمانِ
يا صورةَ الحُور في جِلباب فانيةٍ
وكوكبَ الصبح في أعطاف إنسانِ[2]
مُرِي عَصِيَّ الكرى يَغشَى مجاملة
وسامحي في عناق الطّيفِ أجفانِي
فحسب خدَّيَّ من عينيَّ ما شربَا
فمثل ما قد جرى لم تلقَ عينانِ

(١) وَهَى: ضعف. النازح: بمعنى المهاجر.
(٢) الحُور: مفردها حوراء، وهي من كانت عينها شديدة بياض بياضها وسواد سوادها.

رُوحِي فِدَاه

«وقال»:

[من الكامل]

قولوا له رُوحي فِداه ... هذا التَّجَنِّي ما مَداهْ؟
أنا لم أقم بصدودِه ... حتى يحمِّلَني نواهْ[1]
تجري الأمور لغايةٍ ... إلّا عذابي في هواهْ
سمَّيته بدرَ الدُّجى ... ومن العجائبِ لا أراهْ
ودعوتُه غصنَ الريا ... ض فلم أجد روضاً حواهْ
وأقولُ عنه: أخو الغزا ... ل ولا أرى إلَّا أخاهْ
قال العواذلُ قد جفا ... ما بالُ قلبِك ما جفاهْ
أنا لو أطعتُ القلب فيـ ... ـه لم أزِدْه على جَواهْ
والنُّصحُ متّهمٌ وإنْ ... نَثَرَتْهُ كالدُّرّ الشفاهْ
أُذُنُ الفتى في قلبه ... حيناً وحيناً في نُهاهْ[2]

(١) النَّوى: الفراق.
(٢) النُّهى: العقول.

مقاديرُ

«وقال»: [من الطويل]

مقاديرُ من جفنَيْك حوَّلنّ حالِيَا
فذقتُ الهوى من بعدما كنت خالِيَا
نفَذْنَ عليَّ اللّبّ بالسَّهم مُرسَلاً
وبالسِّحر مقضياً وبالسيف قاضِيَا
وألبَسنَني ثوبَ الضَّنى فلبِستُه
فأحْبِب به ثوباً وإنْ ضمَّ بالِيَا(١)
وما الحُبُّ إلّا طاعةٌ وتجاوزٌ
وإنْ أكثروا أوصافَه والمعانِيَا
وما هو إلّا العينُ بالعين تلتقي
وإنْ نوّعوا أسبابه والدّواعِيَا(٢)
وعندي الهوى موصوفُه لا صفاته
إذا سألوني ما الهوى قلت ما بِيَا
وبي رَشَأٌ قد كان دنياي حاضِراً
فغادَرَني أشتاق دُنيايَ نائِيَا(٣)
سمَحتُ بروحي في هواه رخيصةً
ومَنْ يهوَ لا يُؤثِرْ على الحُبِّ غالِيَا
ولم تَجْرِ ألفاظُ الوُشاة بريبة
كهذي التي يجري بها الدّمع واشِيَا

(١) الضَّنى: المرض والهُزال. (٢) الدَّواعي: الأسباب والذرائع.
(٣) الرشأ: ولد الظبي الصغير، وهو كناية عن المحبوب.

أقـول لـمَـنْ ودّعـت والـركـب سـائـر
بـرغـم فـؤادي سـائـر بـفـؤادِيَـا
أمـانـاً لـقـلـبـي مـن جـفـونـك فـي الـهـوى
كـفـى بـالـهـوى كـأسـاً وراحـاً وسـاقِـيَـا[1]
ولا تَـجْـعـلِـيـه بـيـن خـدَّيْـك والـنَّـوى
مـن الـظـلـم أنْ يـغـدو لِـنَـارَيْـن صـالِـيَـا
ولـم يـنـدمِـلْ مـن طـعـنـة الـقـدّ جُـرحُـه
فـرفـقـاً بـه مـن طـعـنـة الـبَـيْـن دامِـيَـا

(١) الراح: الخمر.

شَمْسُ المَحَاسِن

«وقال»: [من البسيط]

أهـلَ الـقـدود الـتـي صـالـت عـوالـيـهَـا
ألـلَّـهَ فـي مُـهَـجٍ طـاحـت غـوالـيـهَـا
خُـذْنَ الأمـان لـهـا لـو كـان يـنـفـعـهَـا
وأردُدْنَـهـا كـرمـاً لـو كـان يُـجـديـهَـا
وانـظـرنَ مـا فـعـلـت أحْـدَاقـكـنّ بـهَـا
مـا كـان مـن عـبـث الأحـداث يَـكـفـيـهَـا
تـعـرَّضـت أعـيـنٌ مـنَّـا فـعـارَضـنَـا
عـلـى الـجـزيـرة سِـرْبٌ مـن غـوانـيـهَـا[١]
مـا ثـرنَ مـن كُـنُـسٍ إلّا إلـى كُـنُـسٍ
مـن الـجـوانـح ضَـمّـتـهـا حـوانـيـهَـا[٢]
عَـنَّـت لـنـا أُصُـلاً تُـغـرِي بـنـا أَسَـلاً
مـهـزوزةً شَـكـلاً مـشـروعـة تِـيـهَـا[٣]
وأرْهَـفَـت أعـيُـنـاً ضَـعْـفَـى حـمـائـلُـهَـا
نَـشْـوَى مـنـاصِـلُـهـا كَـحْـلَـى مَـوَاضـيـهَـا
لـنـا الـحـبـائـلُ نُـلـقِـيـهـا نـصِـيـدُ بـهَـا
ولـم نَـخَـلْ ظَـبِـيَـاتِ الـقـاعِ تُـلـقـيـهَـا[٤]

---

(١) السِّرْب: القطيع أو الجماعة من الطيور أو الظِّباء وغيرها. الغواني: الحِسَان الجميلات.
(٢) الكُنُس: مفردها كِناس، وهو بيت الظَّبي. الحواني: أي الضلوع الحانية.
(٣) شَكَلاً: يقال: شكلت المرأة أي تغنّجت وتدللت، والشَّكَل: الغنج والدّلال. التّيه: الإعجاب بالنفس.
(٤) الحبائل: الشِّباك.

نَـصَـبْـنَـهـا لـك مـن هُـدْبٍ ومـن حَـدَق
حـتـى ٱنـثـنـيـت بـنـفـسٍ عـزَّ فـاديـهَـا
مـن كـل زهـراءَ فـي إشـراقـهـا ضَـحِـكَـت
لـبَّـاتُـهـا عـن شـبـيـه الـدرّ مِـن فـيـهَـا
شـمـسُ الـمـحـاسـن يُـسْـتَـبـقـى الـنـهـارُ بـهَـا
كـأنّ يُـوشَـعَ مَـفْـتـونٌ يُـجـاريـهَـا[1]
مـشـت عـلـى (الـجـسـر) رِيـماً فـي تَـلـفُّـتِـهَـا
لـلـنـاظـريـن وبَـانـاً فـي تَـثَـنِّـيـهَـا[2]
كـأن كـلّ غـوانِـيـه ضـرائـرهَـا
عُـجـبـاً وكـلّ نـواحـيـه مَـرائِـيـهَـا
عـارَضْـتـهـا وضـمـيـري مـن مـحـارمـهَـا
يَـزْوَرُّ عـن لـحـظـاتـي فـي مـساريـهَـا
أعِـفُّ مـن حَـلْـيـهـا عـمـا يـجـاوره
ومـن غـلائـلـهـا عـمّـا يـدانـيـهَـا
قـالـت: لـعـلّ أديـبَ الـنِّـيـل يُـحْـرجـنَـا
فـقـلـت: هـل يـحـرِج الأقـمـار رائـيـهَـا
بـيـنـي وبـيـنـك أشـعـارٌ هـتَـفـتُ بـهَـا
مـا كـنـت أعـلـم أنّ الـرِّيـم يُـرويـهَـا
والـقـولُ إنْ عـفَّ أو سـاءت مـواقِـعُـه
صـدى الـسـريـرةِ والآدابِ يَـحْـكـيـهَـا

(١) (يوشع)، أو أليشع: من أنبياء إسرائيل، قيل: إنه دعا اللَّه أن يستوقف الشمس كي لا تغيب حتى يهزم الأعداء.
(٢) الريم: الغزال. البان: شجر لين تشبّه به القدود.

دُنْيَا القَلْبِ

«وقال»: [من الطويل]

أُداري العيونَ الفاتراتِ السواجِيَا
وأشكو إليها كيد إنسانِها لِيَا
قتلنَ ومنَّينَ القتيلَ بألسُنٍ
من السحرِ يُبدِلنَ المنايا أمانيَا
وكلَّمنَ بالألحاظِ مَرْضى كليلةً
فكانت صِحاحاً في القلوبِ مواضِيَا
حبيبتُكِ ذات الخالِ والحُبُّ حالةٌ
إذا عرَضت للمرءِ لم يدرِ ما هيَا
وإنك دُنيا القلبِ مهما غدَرتِه
أتى لكِ مملوءاً من الوجد وافيَا
صدودُك فيه ليس يألوه جارحاً
ولفظُكِ لا ينفَكُّ للجرحِ آسِيَا
وبين الهوى والعَذْلِ للقلب موقِفٌ
كخالكِ بين السيفِ والنار ثاوِيَا[1]
وبين المُنى واليأس للصبر هِزّةٌ
كخصركِ بين النَّهْد والرِّدفِ واهيَا
وعرَّضَ بي قومي يقولونَ قد غوى
عدِمتُ عذولي فيكِ إنْ كنت غاويَا

(١) الخال: شامة على الخد، والصورة الشعرية أن خالها بين نار الخد وهي كناية عن الحمرة وبين السيف أي لحاظ العين. ثاوياً: من ثوى في المكان أي أقام.

يـرومـونَ سُـلـوانـاً لـقـلـبـي يُـريـحـهُ
ومَـنْ لـيَ بـالـسـلـوانِ أشـريـه غـالـيَـا
ومـا الـعـشـقُ إلّا لـذَّةٌ ثـم شِـقـوةٌ
كـمـا شَـقِـيَ الـمـخـمـورُ بـالـسُّـكـر صـاحـيَـا

متفرّقات

مَصايرُ الأيَّامِ

[من المتقارب]

ألا حبّذا صُحبةُ المكتَبِ ... وأَحببْ بأيامه أحببِ[١]!
ويا حبّذا صِبيةٌ يمرحونَ ... عِنانُ الحياةِ عليهم صَبِي
كأنّهمو بَسَماتُ الحيَا ةِ ... وأنفاسُ رَيْحانِها الطيِّبِ
يُراحُ ويُغدَى بهم كالقطيعِ ... على مَشْرِقِ الشمسِ والمغربِ
إلى مَرتعٍ ألِفوا غَيرَه ... وراعٍ غريبِ العصا أجنبِي
ومستقبَلٍ من قيودِ الحيَاةِ ... شديدٍ على النفس مُستصعَبِ
فِراخٌ بأيكٍ فمن ناهضٍ ... يروضُ الجناحَ ومن أزْغَبِ[٢]
مقاعدُهم من جناحِ الزمانِ ... وما علِموا خطرَ المرْكَبِ
عصافيرُ عندَ تهجِّي الدروسِ ... مِهارٌ عرابيدُ في الملْعَبِ[٣]
خلِيُّون من تَبِعاتِ الحيَاةِ ... على الأُمِّ يُلقونَها والأبِ
جنونُ الحداثة مِن حولهم ... تَضيقُ به سَعَةُ المذهبِ
عدا فاستبدّ بعقل الصبيّ ... وأعدى المؤدِّب حتى صبِي!
لهم جَرَسٌ مطْرِبٌ في السَّرَاحِ ... وليسَ إذا جَدَّ بالمطربِ
توارثْ به ساعةٌ للزمانِ ... على الناس دائرة العَقْربِ
تَشولُ بإبرتها للشبَابِ ... وتقذِف بالسّم في الشُّيَّبِ[٤]
يَدُقُّ بمِطرقتيها القضاءُ ... وتجري المقاديرُ في اللّولبِ

(١) المكتب: يعني هنا الكُتَّاب أي المدرسة.
(٢) الأيك: الخميلة، أو الشجر الكثيف الملتف. الناهض: أي الفرخ الذي يحاول الطيران، أو المبتدئ بالطيران. الأزغب: أي الفرخ ذو الزّغب.
(٣) المِهار: مفردها مهر. العِربيد: الكثير العربدة، والعربدة هي سُوْء الخُلُق أو الطبع.
(٤) تشول: ترفع.

وتلك الأواعي بأَيْمانِهم ... حقائبُ فيها الغدُ المُخْتَبِي[١]
ففيه الذي إنْ يُقِمْ لا يُعَدَّ ... من الناسِ، أو يَمض لا يُحسَبِ
وفيها اللواءُ وفيها المنَارُ ... وفيها التَّبيعُ وفيها النّبِي
وفيها المؤخَّرُ خلفَ الزحام ... وفيها المقدَّمُ في الموكِبِ

❊ ❊ ❊

جميلٌ عليهم قشيبُ الثيَابِ ... وما لم يُحمّل ولم يَقشبِ[٢]
كساهم بنانُ الصّبا حُلَّةً ... أعزَّ من المخملِ المُذْهَبِ
وأبهى من الورد تحت النَّدى ... إذا رفّ في فرعه الأهْدبِ
وأطهرَ من ذيلها لم يَلمَّ ... من الناس ماشٍ ولم يَسحبِ

❊ ❊ ❊

قطيعٌ يُزجّيه راعٍ من الدهـ ... ـر، ليس بلَيْنٍ ولا صُلَّبِ[٣]
أهابتْ هِراوتُه بالرِّفاقِ ... ونادَتْ على الحُيَّدِ الهُرَّبِ[٤]
وصرّفَ قطعانَه فاستبدَّ ... ولم يخشَ شيئاً ولم يرْهَبِ
أرادَ لمَنْ شاءَ رَعْيَ الجَدِيبِ ... وأنزلَ مَنْ شاءَ بالمُخْصِبِ
ورَوَّى على رِيِّها الناهلاتِ ... وردّ الظِّماءَ فلم تشرَبِ
وألقى رِقاباً إلى الضاربينَ ... وضَنّ بأُخرى فلم تُضرَبِ
وليس يبالي رِضا المُسْتَريح ... ولا ضَجر الناقم المَتْعَبِ
وليس بمُبقٍ على الحاضرينَ ... وليس بباكٍ على الغُيَّبِ

❊ ❊ ❊

فيا ويحَهم! (قَدْ) أحسّوا الحيَاةَ ... لقد لعبُوا وهي لم تَلْعَبِ[٥]

---

(١) الأيمان: مفردها يمين أي اليد اليمنى.
(٢) القشيب: الجديد. (٣) يُزَجّيه: يقوده.
(٤) الهراوة: العصا الغليظة.
(٥) هناك خلل في الشطر الأول من البيت: «فيا ويْحَهم! أحسّوا الحياة» كما جاء في الطبعات القديمة، والأصح لكي يستقيم وزن الشعر أن نضيف كلمة (قد) قبل كلمة أحسّوا فيصبح الشطر: (فيا وَيْحَهم! قد أحسّوا الحياة). ولذا جرى التنويه بذلك، وتم وضع كلمة (قد) بين قوسين كما هو مبين.

تُجرِّب فيهم وما يعلمونَ ... كتجربة الطِّبِّ في الأرْنبِ
سقَتْهُم بُسمٍّ جرى في الأصولِ ... ورَوَّى الفروعَ ولم يَنضبِ
ودارَ الزمانُ فدال الصِّبَا ... وشبَّ الصِّغارُ عن المكتبِ[1]
وجَدَّ الطِّلابُ وكدّ الشبَابُ ... وأوغلَ في الصَّعب فالأَصْعَبِ
وعادت نواعمُ أيامه ... سِنِينَ من الدَّأَب المُنْصِبِ[2]
وعُذِّبَ بالعلم طُلَّابُهُ ... وغصُّوا بمنْهَلِهِ الأعذَبِ
رَمَتهم به شهواتُ الحياةِ ... وحُبُّ النَّباهة والمَكْسبِ
وزَهوُ الأُبوّةِ من مُنجِبٍ ... يفاخرُ مَنْ ليس بالمنجِبِ[3]
وعقلٌ بعيدُ مرامي الطِّماحِ ... كبيرُ اللّبانةِ والمأرَبِ
وَلوعُ الرجاء بما لم تَنَل ... عقولُ الأوالي ولم تطلُبِ
تنقَّلَ كالنجم من غَيْهبٍ ... يجوبُ العصورَ إلى غَيْهَبِ
قديم الشّعاع كشمس النهَارِ ... جديدٌ كمِصباحها المُلْهَبِ
(أبوقراطُ) مثل (ابنِ سينا) الرئيسِ ... (وهوميرُ) مثلُ (أبي الطَّيِّبِ)[4]
وكلُّهمو حَجَرٌ في البنَاءِ ... وغرسٌ من المثمرِ المعقبِ

❊ ❊ ❊

تُؤَلِّفهم في ظِلال الرخاءِ ... وفي كَنَفِ النسب الأقربِ
وتكسِرُ فيهم غرور الثرَاءِ ... وزهوَ الولادة والمنصِبِ
بيوتٌ منزّهةٌ كالعتيقِ ... وإنْ لم تُستَّرْ ولم تُحْجَبِ
يُداني ثراها ثرى مكّةٍ ... ويقرُبُ في الطُّهر من يَثربِ
إذا ما رأيتهمو عندهَا ... يموجون كالنحل عند الرُّبِي[5]

(١) دال الصّبا: أي تحوّل. (٢) الدَّأب المُنْصب: الجهد المتعب.
(٣) المُنْجِب: الذي وَلَد النُّجَباء.
(٤) أبو قراط: من أطباء الأغريق القدماء. ابن سينا: من فلاسفة المسلمين. هوميرُ: هو هوميروس الشاعر الإغريقي الشهير وصاحب الإلياذة. أبو الطَّيِّب: هو أبو الطَّيِّب المتنبي الشاعر العباسي الذي ملأ الدنيا وشغل الناس.
(٥) الرُّبيّ: بمعنى الرّبى، وهي مخففة الياء لضرورة القافية.

رأيت الحضارة في حصنهَا ... هناك وفي جندها الأغلَبِ
وتَعرضُهم مَوكِباً موكباً ... وتسألُ عن عَلَم الموكِبِ
دَعِ الحظَّ يطلَعْ به في غدٍ ... فإنك لم تَدرِ مَنْ يَجْتَبِي
لقد زَيَّنَ الأرض بالعبقريِّ ... مُحلِّي السماوات بالكوكبِ

❊ ❊ ❊

وخدّش ظفرُ الزمان الوجوهَ ... وغيَّض من بشرِها المعجبِ
وغال الحداثةَ شرْخُ الشبَابِ ... ولوشِيَتِ المردُ في الشُّيَّبِ
سرى الشَّيْبُ مُتَّئداً في الرؤوسِ ... سُرَى النّارِ في الموضع المعْشِبِ
حريقٌ أحاط بخيط الحيَاةِ ... تعجبت كيف عليهم غُبِي
ومَنْ تَظهرِ النّارُ في داره ... وفي زرعه منهمو يرعَبِ
قد انصرفوا بعدَ علم الكتابِ ... لبابٍ من العلم لم يُكتبِ
حياةٌ يغامِرُ فيها امرُؤٌ ... تسلَّحَ بالناب والمِخلَبِ
وصارَ إلى الفاقة ابنُ الغنيّ ... ولاقى الغِنى ولدُ المترِبِ[1]
وقد ذهب الممتلي صِحةً ... وصَحَّ السقيمُ فلم يَذْهَبِ
وكم مُنْجِبٍ في تَلقِّي الدّروسِ ... تلقَّى الحياة فلم يُنْجِبِ
وغاب الرفاقُ كأنْ لم يكنْ ... بهم لك عهدٌ ولم تصحبِ
إلى أنْ فَنَوْا ثُلَّةً ثُلَّةً ... فناءَ السّرابِ على السَّبسبِ[2]

(١) الفاقة: العَوْز والحاجة. المُتْرِب: الفقير.
(٢) الثُّلّة: الجماعة من الناس. السّراب: الآل. السبسب: الفلاة أو الأرض البعيدة المستوية.

لُـبْـنَـان

[من الكامل]

ألسِّحْرُ من سُود العيون لقِيتُهُ ... والبابِليُّ بلحظهنّ سُقيتُهُ
ألفاتراتِ وما فَتَرْن رِمايةً ... بمُسَدّدٍ بين الضلوع مَبِيتُهُ
ألناعساتِ الموقظاتي للهوى ... ألمُغْرِيات به وكنت سَلِيتُهُ
ألقاتلاتِ بعابثٍ في جفنه ... ثملِ الغِرارِ مُعَرْبِدٍ إصْلِيتُهُ[1]
ألشارعاتِ الهُدْبَ أمثالَ القنَا ... يُحيي الطَّعِينَ بنظرة ويُميتُهُ
ألناسجاتِ على سواء سُطوره ... سَقَماً على منوالهنّ كُسيتُهُ

* * *

وأغنَّ أكحلَ من مَها (بِكْفَيَّةٍ) ... علِقَتْ محاجرُه دمي وعَلِقتُهُ[2]
لبنانُ دارته وفيه كِناسُه ... بين القنا الخطَّار خُطَّ نحَيتُهُ[3]
أَلسلسبيلُ من الجداول وردُه ... والآسُ من خُضر الخمائل قوتُهُ
إنْ قلتُ: تمثالُ الجمال مُنَصَّباً ... قال الجمال: براحتيَّ مَثَلتُهُ
دخل الكنيسةَ فآرتقبْتُ فلم يطِل ... فأَتيت دون طريقه فزحمتُهُ
فآزورّ غضباناً وأعرض نافِراً ... حالٌ من الغِيد الملاح عرفتُهُ
فصرفتُ تَلْعابي إلى أترابه ... وزعمتُهُنَّ لبانتي فأَغرتُهُ[4]
فمشي إليَّ وليس أوّلَ جُؤْذَرٍ ... وقعَتْ عليه حبائلي فقنصتُهُ
قد جاء من سحر الجفون فصادَني ... وأتيت من سحر البيان فِصدْتُهُ

---

(١) الإصليت: السيف.
(٢) «بكفيّة»: يعني بلدة «بكفيّا» اللبنانية وهي من مدن الاصطياف المعروفة.
(٣) الكِناس: بيت الظبي.
(٤) التَّلعَاب: الكثير المداعبة والمزاح. الأتراب: مَنْ هم بنفس العمر. اللّبَانة: حاجة النفس.

لمّا ظفرتُ به على حَرَم الهدى ... لابن البَتول وللصلاة وهبتُهُ[١]
قالت: ترى نجمَ البيان فقلتُ: بل ... أُفق البيان بأرضكم يَمَّمتُهُ
بلغ السُّها بشموسه وبدُوره ... لبنانُ وٱنتظم المشارقَ صِيتُهُ
من كلِّ عالي القدر من أعلامه ... تتهلل الفصحى إذا سمَّيتُهُ
حامي الحقيقةِ، لا القديم يؤودُه ... حِفظاً ولا طلبُ الجديد يفوتُهُ
وعلى المَشيد الفخم من آثاره ... خُلُقٌ يَبِيْنُ جلالُه وثبوتُهُ
في كلِّ رابيةٍ وكلِّ قرارةٍ ... تِبرُ القرائح في التراب لمحتُهُ
أقبلت أبكي العلم حول رسومهم ... ثم ٱنثنيت إلى البيان بكيتُهُ

❊ ❊ ❊

لبنانُ والخُلد، اختراع اللَّه لم ... يوسَم بأزينَ منهما ملكوتُهُ
هو ذِرْوةٌ في الحسن غير مَرْومةٍ ... وذَرى البراعة والحجى (بيروتُهُ)
مَلِكُ الهضابِ الشُّمِّ سلطانُ الرُّبى ... هامُ السحاب عروشُه وتخوتُهُ
سيناءُ شاطَره الجَلالَ فلا يُرى ... إلّا له سُبُحَاتُهُ وسُمُوتُهُ[٢]
والأبلق الفردُ ٱنتهت أوصافُه ... في السؤْدد العالي له ونعوتُهُ[٣]
جبلٌ على آذار يُزْرى صيفُه ... وشتاؤه يَئِد القرى جبروتُهُ
أبهى من الوَشْي الكريم مروجُه ... وألذُّ من عَطلِ النُّحور مُرُوتُهُ[٤]
يغشى روابيَه على كافورهَا ... مِسْك الوهاد فَتِيْقُهُ وفَتِيْتُهُ[٥]
وكأنّ أيّامَ الشباب ربوعُهُ ... وكأنّ أحلامَ الكَعَاب بيوتُهُ
وكأنّ ريعانَ الصِّبا ريحانُهُ ... سِرُّ السرور يجودهُ ويقوتُهُ[٦]

(١) ابن البتول: هو السيد المسيح عليه السلام.
(٢) السُّبُحات: مفردها سُبْحَة، وهي الجَلال. السُّموت: مفردها سَمْت، وهي هيئة أهل الخير.
(٣) الأبلق الفرد: هو حصن منيع للسموأل كان مبنياً بحجارة بيض وسود.
(٤) عَطَل النحر من الحُلى: خلا. المُرُوت: مفردها مَرْت، وهي المفازة بلا نبات، ويقال: «أرض مَرْت» أي لا نبات فيها.
(٥) فتَّق المسك: استخرج رائحته، فهو فتيق. الفتيت: من فتّ الشيء، أي كسره كِسَراً صغيرة وهو بمعنى المفتوت.
(٦) يقوته: يطعمه.

وكـأنّ أثـداء الـنـواهـد تـيـنُـهُ وكـأنّ أقـراط الـولائـد تـوتُـهُ
وكأنّ همس القَاع في أُذن الصَّفا صوتُ العتابِ ظهورُهُ وخفُوتُهُ[١]
وكـأنّ مـاءهـمـا وجَـرْسَ لـجـيـنـه وضْحُ العروس تُبِينُهُ وتُصيتُهُ[٢]

* * *

زعـمـاءَ لُـبـنـانٍ وأهـلَ نَـديِّـه لبنانُ في ناديكمو عظَّمْتُهُ[٣]
قد زادني إقبالُكم وقبولُكم شرفاً على الشرف الذي أُوليتُهُ
تاج النيابة في رفيع رؤوسكم لم يُشْرَ لؤلؤه ولا ياقوتُهُ
(موسى) عدوُّ الرّقّ حول لوائكم لا الظُّلم يُرْهِبه ولا طاغوتُهُ[٤]
أنتم وصاحبكم إذا أصبحتمو كالشَّهرِ أُكملَ عدَّةً موقوتُهُ
هو غرَّةُ الأيام فيه وكلّكم آحادُه في فضلها وسُبوتُهُ

(١) القاع: نبع مياه في منطقة البقاع اللبنانية. الصَّفا: نبع مياه في منطقة الشّوف اللبنانية.
(٢) الجَرْس: الصوت. الوضح: نوع من الحُلى، تصيته: تجعل له صوتاً.
(٣) النَّدِي: النادي.
(٤) (موسى): هو موسى حنّا نمّور رئيس مجلس النواب اللبناني الأسبق مواليد (١٨٨١ـ ١٩٤٦م)، ومن أبناء مدينة زحلة.

الْمُؤْتَمَرُ (*)

[من الكامل]

صَـرْحٌ عـلـى الـوادي الـمـبـاركِ ضـاحِـي
مـتـظـاهـرُ الأعـلام والأوضـاحِ
ضـافـي الـجـلالـة كـالـعَـتـيـق مُـفَـضَّـلٌ
سـاحـاتِ فـضـلٍ فـي رِحـابِ سَـمـاحِ
وكـأنّ رَفْـرَفَـه رِواقٌ مـن ضُـحًـى
وكـأنّ حـائـطَـه عـمـود صَـبـاحِ
ألـحـقُ خَـلـف جَـنـاحِ ٱسْـتَـذرَى بـه
ومَـراشِـدُ الـسـلـطـانِ خـلـفَ جَـنـاحِ(١)
هـو هـيـكـل الـحـريـة الـقـانـي، لـه
مـا لِـلـهـيـاكـل مـن فِـدًى وأضـاحِ
يُـبْـنَـى كـمـا تُـبْـنَـى الـخـنـادق فـي الـوغـى
تـحـتَ الـنِّـبـالِ وصَـوْبِـهـا الـسَّـحَّـاحِ
يَـنـهـارُ الاسـتـبـداد حـولَ عِـراصِـه
مِـثْـل انـهـيـار الـثَّـرْكِ حـول (صَـلاحِ)(٢)
وَيُـكَـبُّ طـاغـوت الأمـورِ لِـوَجْـهِـهِ
مـتَـحَـطِّـمَ الأصـنـامِ والأشـبـاحِ
هـو مـا بَـنَـى الأعـزالُ بـالـراحـات أو
هـو مـا بَـنـى الـشـهـداءُ بـالأرواحِ

(*) هو مؤتمر سياسي اجتمعت فيه كلمة الأحزاب السياسية المصرية على إنقاذ الدستور برئاسة المغفور له سعد زغلول باشا سنة ١٩٢٦م».

(١) استذرى: استظلّ. (٢) (صلاح): من أسماء مكة المكرّمة.

أَخَـذتـه مـصـرُ بـكـل يـوم قـاتـم
وَرْدِ الـكـواكـب أحـمـرِ الإصْـبـاحِ
هَـبَّـتْ سِـمـاحـاً بـالـحـيـاةِ شَـبـابُـهَـا
والـشِّـيـب بـالأرْمـاق غـيْـرُ شِـحـاحِ[1]
ومَـشَـتْ إلـى الـخـيْـلِ الـدوارع وانْـبَـرَتْ
لـلـظـافـرِ الـشـاكِـي بـغـيـر سِـلاحِ
وقـفـاتُ حـقٍّ لـم تـقِـفْـهـا أمـةٌ
إلّا انْـثـنَـتْ آمـالُـهـا بـنـجـاحِ
وإذا الـشُّـعـوب بَـنَـوْا حـقـيـقـة مُـلـكـهـم
جـعـلـوا الـمـآتـمَ حـائـط الأفـراحِ

❊ ❊ ❊

بـشـرى إلـى الـوادي تَـهـزُّ نَـبَـاتَـهُ
هَـزَّ الـربـيـع مـنـاكـبَ الأدواحِ
تـسـري مُـلَـمَّـحَـةَ الـحُـجـول عـلـى الـرُّبـى
وَتَـسـيـلُ غـرَّتـهـا بـكـل بِـطـاحِ[2]
إلـتـامَـتِ الأحـزابُ بـعـدَ تـصَـدُّعٍ
وتـصـافـتِ الأقـلام بـعـد تـلاحِـي
سُـحِـبـت عـلـى الأحـقـاد أذيـالُ الـهـوى
ومَـشَـى عـلـى الـضِّـغْـنِ الـودادُ الـمـاحِـي
وجَـرَتْ أحـاديـثُ الـعـتـابِ كـأنـهَـا
سَـمَـرٌ عـلـى الأوتـارِ والأقـداحِ
تَـرْمـي بِـطَـرفِـك فـي الـمـجـامـعِ لا تـرى
غـيـرَ الـتـعـانـق واشـتـبـاك الـرّاحِ

---

(١) الأرماق: مفردها رَمَق، وهو بقية الحياة.

(٢) الحجول: مفردها حِجْل، وهو البياض في رجل الفرس، ومُلَمَّحة الحجول أي شديدة البياض، ويقال: «أبيض لمَّاح» أي شديد البياض.

شَمْسَ النّهارِ تعلَّمِي الميزانَ من
(سَعْد) الديارِ وشيخها النَّضَّاحِ[١]
مِيْلِي بأنظريه في النَّديّ كأنه
(عُثْمَانُ) عن أُمِّ الكتابِ يُلاحِي
كم تاجِ تضحية وتاجِ كرامةٍ
للعين حولَ جبينه اللَّمَّاحِ
والشيبُ مُنْبَثِقٌ كنور الحقِّ من
فَوْدَيْه أو فجرِ الهدى المنصاحِ[٢]
لبَّى أذان الصُّلح أولَ قائم
والصلحُ خَمْسُ قواعِدِ الإصلاحِ
سبَقَ الرجال مصافحاً ومعانِقاً
يُمْنَى السماحِ وهَيْكل الإسجاحِ[٣]
(عدلي) الجليل ابن الجليل من الملا
والماجد ابن الماجد المِسماحِ
حُلْوُ السجيَّةِ في قناةٍ مُرَّةٍ
ثَمِلُ الشمائلِ في وقارٍ صاحِ

❊ ❊ ❊

شَتَّى فضائلَ في الرجالِ كأنهَا
شَتَّى سلاحٍ من قناً وصِفاحِ[٤]
فإذا هي اجتمعت لِمُلكٍ جَبْهَةً
كانت حُصونَ مناعَةٍ ونطاحِ

(١) (سَعْد): هو سعد زغلول باشا. النضَّاح: الرامي بالنبل، والمراد هنا المحامي والمدافع.
(٢) المنصاح: الخالص.
(٣) الإسجاح: من سجح خلقه، أي سهل ولان.
(٤) القنا: الرّماح. الصّفاح: السيوف.

أللَّـهُ ألَّـفَ لـلـبـلاد صـدورهَـا
مـن كـل داهِـيَـةٍ وكـلِّ صُـراحِ
وزراءُ مـمـلـكـةٍ دعـائِـمُ دولَـةٍ
أعـلامُ مـؤتـمـرٍ أُسـود صـبـاحِ[1]
يَـبـنـون بـالـدسـتـورِ حـائـطَ مُـلـكِـهـم
لا بـالـصِّـفـاحِ ولا عـلـى الأرمـاحِ
وجَـواهِـر الـتـيـجـانِ مـا لـم تُـتَّـخـذ
مـن مَـعْـدِنِ الـدسـتـور غـيـرُ صِـحـاحِ

❊ ❊ ❊

إحْـتـلَّ حِـصْـنَ الـحـق غـيـرُ جـنـودِهِ
وتـكـالَـبـت أيْـدٍ عـلـى الـمـفـتـاحِ
ضَـجَّـتْ عـلـى أبـطـالـهـا ثـكـنـاتُـهُ
وٱسْـتَـوْحَـشَـتْ لـكُـمـاتِـهـا الـنُّـزَّاحِ[2]
هُـجِـرَت أرائـكـهُ وعُـطِّـل عُـودُهُ
وخـلا مـن الـغـاديـن والـرُّوَّاحِ
وعـلاهُ نَـسْـجُ الـعـنـكـبـوت فـزاده
كـالـغـارِ مـن شـرفٍ وسـمـتِ صـلاحِ[3]

❊ ❊ ❊

قـلْ لـلـبـنـيـن مـقَـالَ صـدق وٱقـتـصـد
ذَرع الـشـبـاب يـضـيـقُ بـالـنُّـصّـاحِ
أنـتـم بـنـو الـيـوم الـعـصـيـبِ نـشـأتـمـو
فـي قـصـف أنـواءٍ وعـصـف ريـاحِ

(١) صَبَاح: أي إغارة أو حرب.
(٢) الكماة: مفردها كميّ، وهو الفارس الشجاع، أو لابس السلاح.
(٣) السمت: هيئة أهل الخير.

ورأيتمو الوطَنَ المؤلّفَ صخرةً
في الحادثات وسَيْلها المجْتَاحِ
وشهدتمو صَدْعَ الصفوف وما جَنَى
من أمر مُفْتاتٍ ونهي وَقَاحِ(١)
صوتُ الشعوب من الزئير مُجَمَّعاً
فإذا تَفَرَّقَ كان بعضَ نباحِ
أظمتكمو الأيامُ ثمَّ سقتكمو
رنقاً من الإحسان غير قَراحِ(٢)
وإذا مُنحتَ الخير من متكلِّفٍ
ظَهَرتْ عليه سجيَّة المنَّاحِ
تركَتْكمُو مثل المهيضِ جناحه
لا في الحبال ولا طليقُ سراحِ
مَنْ صَيَّر الأغلال زُهْرَ قلائدٍ
وكسا القيود محاسنَ الأوضاحِ(٣)
إنّ التي تبغونَ دون منالهَا
طول اجتهادٍ واضطرادُ كِفاحِ
سيروا إليها بالأناةِ طويلة
إنّ الأناةَ سبيلُ كل فلاحِ
وخذوا بناءَ المُلكِ عن دستوركم
إنّ الشِّرَاعَ مُثَقَّف الملّاحِ
يا دارَ (محمود) سلمتِ وبورِكتْ
أركانُكِ الهرميَّةُ الصُّفَّاحِ(٤)

---

(١) وَقَاح: ذو وقاحة.
(٢) قَرَاح: الصافي من المياه، أو الماء الخالص.
(٣) الأغلال: القيود أو الأصفاد. القلائد: ما يوضع على الصدر من حُلى. الأوضاح: أنواع من الحُلى والفضة.
(٤) الصُّفاح: الحجارة العريضة.

وٱزدَدْتِ مــن حســن الــثــنــاء وطــيــبــه
حــجــراً هــو الــدرِّيُّ فــي الأمــداحِ
ألأمّــة ٱنــتــقــلَــتْ إلــيــكِ كــأنــمــا
أنــزلــتــهــا مــن بــيــتــهــا بــجــنــاحِ
بــركــاتُ شــيــخٍ بــالــصــعــيــد مــحــمَّــلٍ
عــبءَ الــســنــيــنَ مــؤمَّــلٍ نــفَّــاحِ
بــالأمْــسِ جــادَ عــلــى الــقــضــيَّــةِ بــٱبــنــه
والــيــوم آوَاهــا بــأكــرَم ســاحِ

النَّسْرُ الْمِصْرِيُّ(*)

[من الرّمل]

أُعــقــابٌ فــي عَــنــان الــجــوّ لاحْ
أم ســحــاب فــرَّ مــن هُــوْج الــرِّيــاحْ؟
أم بــســاطُ الــرّيــح ردّتــه الــنــوى
بــعــد مــا طــوّف فــي الــدهــر وســاحْ؟
أو كــأنّ الــبــرجَ ألــقــى حــوتــه
فــتــرامــى فــي الــســمــاوات الــفِــســاحْ

❊ ❊ ❊

أقــبــلَــتْ مــن بَــعَــدٍ تــحــســبــهَــا
نــحــلــةً عــنّــت وطــنّــت فــي الــبــراحْ
يــا ســلاح الــعــصــر بُــشِّــرنــا بــه
كــل عــصــر بــكــمــيّ وســلاحْ(١)
إنّ عــزًّا لــم يــظــلَّــلْ فــي غــدٍ
بــجــنــاحــيــك ذلــيــل مــســتــبــاحْ
فــتــكــاثــرْ وتــألّــفْ فــيــلــقــاً
تــعــصــم الــسّــلْــمَ وتــعــلــو لــلــكــفــاحْ
مــصــر لــلــطــيــر جــمــيــعــاً مــسْــرحٌ
مــا لــنــا فــيــه ذنــابــى أو جــنــاحْ

(*) «قيلت بمناسبة قدوم صدقي الطيار المصري الأول من برلين إلى القاهرة طائراً في سنة ١٩٣٠م».

(١) الكميّ: الفارس الشجاع، أو لابس السلاح.

رُبَّ سـرب قـاطـع مـرَّ بـه
هـبـط الأرض مـليًّـا واْسـتـراحْ
لِـمَ لا يَـفْـتُـنُ فِـتْـيَـان الـحِـمـى
ذلـك الإقـدام أو ذاك الـطِّـمـاحْ[١]
مـن فـتـىً حـلّ مـن الـجـو بـهـم
فـتـلـقـوْهُ عـلـى هـامٍ وراحْ[٢]
إنّـه أول عـصـفـور لـهـم
هـزّ فـي الـجـو جـنـاحـيـه وصـاحْ
دبّـت الـهـمّـة فـيـه ومـشـت
عـزمـات مـنـك يـا (حـرب) صِـحـاحْ[٣]
نـاطـح الـنـجـم فـتـىً عـلـمـتـه
فـي حـيـاة حـرة كـيـف الـنّـطـاحْ
لـك فـي الأجـيـال تـمـثـال مـشـى
وجـدوا الـرشـد عـلـيـه والـصّـلاحْ
جـاوز الـنِّـيـل وعَـبـرَيْـهِ إلـى
أَكَـمِ الـشّـام وهـاتـيـك الـبـطـاحْ

❊ ❊ ❊

فـارسَ الـجـو سـلام فـي الـذّرى
وعـلـى الـمـاء ومـن كـل الـنـواحْ[٤]
ثِـبْ إلـى الـنـجـم وزاحِـمْ ركـنـه
واْمـتـلـئ مـن خـيـلاء ومـراحْ
إنّ هـذا الـفـتـح لا عـهـد بـه
لـضـفـاف الـنِّـيـل مـن عـهـد (فـتـاحْ)

---

(١) الطِّماح: الكبر أو الفخر.
(٢) الهام: مفردها هامة، وهي الرأس. الراح: مفردها راحة، وهي الكف.
(٣) (حرب): هو طلعت حرب مدير بنك مصر.
(٤) الذُّرى: مفردها ذروة، وهي أعلى كل شيء.

تلك أبوابُ السماء انفتحت
ما وراء الباب يا طير النجاحْ؟
أَسَمَاءُ النِّيْل أيضاً حرمٌ
من طريق الهند أم جوٌّ مباحْ؟!
عين شمس مُلِئت من موكبٍ
كان للأبطال أحياناً يُتَاحْ
ربما جلَّل وجه الأرض أو
ربما سدّ على الشمس السّراحْ
إنْ يَفتْه الجيشُ أو روْغتُه
لم يفته النشَأُ الزُّهْرُ الصِّبَاحْ
وفدى (فائزة) سُمْرُ القنَا
وفدى حارسها بِيْضُ الصّفاحْ
ولقد أبطأت حتى لم ينمْ
للجِمى ليل ولم يَنعم صباحْ
فابتغى العُذْرَ كرامٌ وانبرت
ألسنٌ في الثّلم والهدم فصاحْ
تلتوي الخيلُ على راكبهَا
كيف بالعاصف في يوم الجِماحْ
ليس مَنْ يركب سرجاً ليِّناً
مثل مَنْ يركب أعراف الرياحْ
سِرْ رُوَيْداً في فضاء سافرٍ
ضاحك الصفحة كالفردوس صاحْ
طرفت عيناً به الشمس فلو
خُيّرت لم تتحفَّز للرّواحْ
وتكاد الطيرُ من خفّته
تتعالى فيه من غير جناحْ

قــفْ تــأمــل مــن عــلــو قــبَّــةً
رُفِـعَـتْ لـلـفـضـل والـرأي الـصّـراحْ
نــزل الــنــواب فــيــهــا فــتــيــة
فــي جــنــاح وشــيــوخــاً فــي جَـنَـاحْ
حــمّــلــوا الــحــق وقــامــوا دونَــهُ
كـرَعـيـل الـخـيـل أو صـفّ الـرّمـاحْ
* * *
يــا أبــا الــفــاروق مَــنْ تــرعــى فــفــي
كـنـف الـفـضـل وفـي ظـل الـسّـمـاحْ
أنــت مــن آبــائــك الــسُّــحــب ومــا
فـي بـنـاء الـسُّـحُـب الأيـدي الـشّـحـاحْ[1]
يــدُك الــسَّــمْــحَــةُ فــي الــخــيــر وفــي
هــمّــة الــغــرس وفــي أَسْــوِ الــجِــراحْ
نــحــن أفــلــحــنــا عــلــى الأرض بــكــم
ورجــونــا فــي الــســمــاوات الــفَــلاحْ

(١) الشِّحاح: البخيلة أو الحريصة.

تُوتْ عَنْخ آمُونَ وَالْبَرْلَمَان(*)

[من الرّجز]

قُمْ سابق (السّاعة) وٱسبق وعدَهَا
ألأرضُ ضاقت عنكَ فٱصدعْ غِمْدَهَا
وٱمْلأ رماحاً غورَها ونَجْدَهَا
وٱفتح أصولَ النِّيل وٱستردّهَا
شلالها وعَذْبَها وعِدّهَا
وٱصرِفْ إلينا جزرَها ومدّهَا(١)
تلك الوجوه لا شكونا فقدهَا
بيَّضَت القربى لنا مُسْوَدّهَا
سُللتَ من (وادي الملوكِ) فٱزدهى
وأَلقَت الشمسُ عليه رأدهَا(٢)
وٱسترجَعَتْ دُولته إفرِنْدَهَا
أبيضَ ريَّانَ المتونِ ورْدَهَا(٣)
أبلى ظُبَى الدّهْرِ وفلَّ حَدَّهَا
وأخلق العُصورَ وٱستجدّهَا(٤)
سافرَ أربعين قرناً عدّهَا
حتى أتى الدارَ فألفَى عِنْدَهَا

(١) العدّ: الماء الجاري المتدفّق.
(٢) الرأْد: يقال: رأْد الضُّحى، أي وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء.
(٣) الإفْرِند: جوهر السيف ووشيه.
(٤) الظُّبى: مفردها ظُبة، وهي حد السيف.

إنـجـلـتـرا وجَـيْـشُـهـا ولُـورْدَهَـا
مَـسْـلُـولَـةَ الـهِـنـدِيِّ تـحـمـي هِـنْـدَهَـا[١]
قـامَـتْ عـلـى الـسـودانِ تَـبْـنـي سـدّهَـا
وركـزَتْ دونَ الـقـنـاةِ بَـنْـدَهَـا[٢]

❊ ❊ ❊

فـقـالَ والـحـسْـرَةُ مـا أشـدّهَـا
لـيـتَ جـدارَ الـقـبـر مـا تَـدهـدَهَـا[٣]
ولـيـتَ عَـيـنـي لـم تُـفـارق رَقْـدَهَـا
قُـمْ نَـبِّـنـي يـا (بـنـتـؤور) مـا دهَـا[٤]
مِـصـر فَـتـاتِـي لـم تـوقِّـرْ جـدّهَـا
دقـت وراءَ مَـضْـجـعـي جـازْ بَـنْـدَهَـا
وخَـلَـطَـتْ ظِـبَـاءَهـا وأُسْـدَهَـا
وسـكـبَ الـسـاقـي الـطِّـلا وبـدّهَـا[٥]
قـد سَـحـبـتْ عـلـى جـلالـي بُـردَهَـا
لـيـتَ جـلالَ الـمـوتِ كـانَ صَـدّهَـا

❊ ❊ ❊

فـقُـلـت: يـا مـاجِـدَهَـا وجَـعْـدهَـا
لـو لـم تـكُ ابـنَ الـشَّـمس كـنـتَ رِئْـدَهَـا[٦]
لـحـدُك ودَّتْـه الـنـجـومُ لـحـدَهَـا
أرَيـتَـنـا الـدُّنـيـا بـهِ وجِـدَّهَـا
سـلـطـانَـهـا وعـزَّهـا وَرَغْـدهَـا
وكـيـف يـعـطـي الـمـتَّـقـون خـلـدَهَـا

---

(١) الهِنْدي: نوع من السيوف. (٢) البند: العلم.
(٣) تَدَهْدَهَ: انقضّ وتدحرج. (٤) بتتاؤور: شاعر مصري قديم.
(٥) بَدَّ: يقال: بَدّ الشيء، أي فرَّقه وهنا بَدّ الطِّلاء أي أراقها.
(٦) الجعد: الكريم. الرِئد: الترب.

آثاركم يُخطي الحسابُ عَدّهَا
إنهدم الدّهرُ ولم يَهُدَّهَا
أبوابُك اللّاتي قَصَدنا قصدهَا
(كارتر) في وجْهِ الوفودِ رَدّهَا
لولا جهودٌ لا نريدُ جَحْدَهَا
وحُرمَةٌ من قربك ٱستمدّهَا
قلت لك ٱضربْ يده وقُدّهَا
وٱبعث له من البَعوضِ نُكدَهَا

❊ ❊ ❊

مِصْرُ الفتاةُ بَلَغت أشدّهَا
وأثبتَ الدَّمُ الزّكِيُّ رُشْدَهَا
ولعِبَتْ على الحبالِ وحْدَهَا
وجرّبتْ إرخاءَها وشَدّهَا
فأرسلتْ دُهاتَها ولُدَّهَا
في الغَرْب سدُّوا عندهُ مَسَدَّهَا[1]
وبَعَثت للبرلمان جندهَا
وحشدت للمهرجان حشدَهَا
حَدَتْ إليه شِيبها ومُردَهَا
وأبرزَتْ كَعَابها وخَوْدَهَا
ونَثرتْ فوق الطريق وردَهَا
وٱسْتقبلتْ فؤادها ووفدَهَا
مَوْئلها وكهفها ورِدَّهَا
وابن الذين قوّموا مَقَدَّهَا[2]

(١) اللُّد: الأشدّاء في الخصومة.
(٢) الرِّد: العماد، أي ما كان عماداً للشيء يدفعه وَيردّه.

وألَّفوا بعد انفراطٍ عِقْدَهَا
وجَعلوا صحراء ليبيا حَدَّهَا
وبَسطوا على الحجاز أيدهَا
وسيرُوا العاتيَ فيه عبدَهَا
حتى أتى الدَّارَ التي أعدّهَا
لِمصرَ تبْني في ذَرَاها مَجْدَهَا[1]
فَثَبَّتَ الشورَى وشَدَّ عقدَهَا
وقلَّدَ الجيل السعيد عهدَهَا
سلطَتُه إلى بنينا ردّهَا
يا ربِّ قوِّ يدها وشدّهَا
وافْتَحْ لها السُّبل ولا تسدَّهَا
وقِسْ لكلِّ خُطوةٍ ما بعدَهَا
وعن صغيرات الأمور حُدَّهَا
واصرفْ إلى جَدّ الشؤون جَدّهَا
ولا تُضِعْ على الضَّحايا جُهدَهَا
واكبحْ هَوى الأنفس واكسرْ حِقدَهَا
واجمعْ على الأمُّ الرؤوم وُلدَهَا
واملأْ بألبانِ النُّبوغ نَهدَهَا
ولا تدعها تُحْي مستبدَّهَا
وتنتحتْ براحتيها فَرْدَهَا[2]

(١) الذَّرى: الظّل.
(٢) تَنْتحِت: تنتزع.

مَصْرَعُ اللُّورد كِتْشنر

[من الرّمل]

قِفْ بهذا البحر وانظُرْ ما غَمرْ
مظهر الشمس وإقبال القمرْ
وانعرِضِ الموجَ مليًّا هل ترى
غمرة أودت بخوّاض الغُمَرْ
أخذت ناحية الحقّ به
وسبيلَ الناس في خالي العُصُرْ
منعَ اللُّبث وإنْ طال المدى
فلكٌ ما لعصاه مستقَرّ
دائرُ الدُّولاب بالناس على
جانبيْه المرْتَقَى والمنْحَدَرْ
نقَض (الإيوانَ) من آساسهِ
وأتى (الأهرامَ) من أُم الحُجَرْ
ومحا (الحمراءَ) إلّا عَمداً
نزعُها من عضُد الأرض عَسَرْ[1]
أين رومِيَّة ما قيصرُهَا
ما ليالِيها المُرِنَّاتُ الوتَرْ
أين (وادي الطّلْح) واللّائي بهِ
من دُمًى يَسْحَبنَ في المسك الحِبَرْ[2]

(١) (الحمراء): من القصور العظيمة بالأندلس.
(٢) (وادي الطّلْح): متنزّه بإشبيلية للمعتمد بن عبّاد. الحِبَر: مفردها حبرة وهي نوع من برود اليمن.

أيــن (نــابــلــيــون) مــا غــاراتُــهُ
شــنَّــهــا الــدهــر عــلــيــه مــن غِــيَــرْ
أيُّــهــا الــســاكــنُ فــي ظــلِّ الــمُــنــى
نــمْ طــويــلاً قــد تــوسّــدت الــزّهَــرْ
شــجــرٌ نــام وظــلٌّ ســابــغٌ
بــيــد أنّ الــصِّــلَّ فــي أصــل الــشّــجَــرْ[1]
يــذَرُ الــمــرءُ ويــأتــي مــا اشْــتــهــى
وقــضــاءُ الــلَّــه يــأتــي ويــذَرْ
كــلُّ مــحــمــولٍ عــلــى الــنــعــش أخٌ
لــك صــافٍ وُدُّه بــعــد الــكــدَرْ
إنْ تــكــنْ سِــلْــمــاً لــه لــم يــنــتــفــع
أو تــكــنْ حــربــاً فــقــد فــات الــضّــرَرْ
راكــبَ الــبــحــر أَمَــوْجٌ مــا تــرى
أم كــتــابُ الــدهــر أم صُــحْــفُ الــقــدَرْ
لــجَّــةٌ (كــالــلَّــوح) لا يُــحــصــى عــلــى
قَــلَــم الــقــدرة فــيــهــا مــا سُــطِــرْ
فــتــلــفَّــتْ وتَــنــسَّــمْ حــكــمــةً
واْلــمــسِ الــعِــبــرة مــن بــيــن الــفِــقَــرْ[2]
وتــأمّــل مَــلْــعــبــاً أعــجــبُــه
آيــةً، جــانِــبُــه الــمــرْخِــي الــسُّــتُــرْ
هــهــنــا تــمــشــي الــجــواري مَــرَحــاً
وجــواري الــدهــر يــمــشــيــنَ الــخَــمَــرْ[3]

(١) الصِّل: الثعبان.
(٢) الفِقَر: مفردها فقرة، وهي الجملة المختارة من الكلام.
(٣) يمشي الخَمَر: من خَمَر الشيء، أي تغيّر عما كان عليه، وهذه الجملة تقال لمن يخاتل صاحبه.

رُبّ سيفٍ ضربَ الجمعَ به
في كنوز البحر مطروح الكِسَرْ[١]
ونجادٍ لم يُطاول ضَحْوة
ناله الفجر عِشاءً بالقِصَرْ
وسفينٍ آمرٍ فيها البِلى
طالما أوحتْ إليه فأْتَمَرْ
ووجوهٍ ذهب الماءُ بها
في نهار الفَرْق أو ليل الشَّعَرْ
وعيونٍ ساجياتٍ سُجِّيت
برُفات السِّحر أو فَلِّ الحوَرْ[٢]
قُلْ لليث خُسِف الغِيلُ به
بين طِمٍّ وظلام مُعْتَكِرْ[٣]
أُنظرِ الفُلْكَ أمِنْها أثرٌ
هكذا الدّنيا إذا الموتُ حضرْ
هذه منزلةٌ لو زِدْتَها
ضاق عنك السَّعد أو ضاق العُمُرْ
فامض شيخاً في هوى المجد قضى
رحمةَ المجد ورفقاً بالكِبَرْ
مِيتةٌ لم تَلقَ منها عَلَزاً
من وقار الليث أنْ لا يُحتضَرْ[٤]

* * *

أنتمُ القومُ حمى الماء لكم
يَرجع الوِرْد إليكم والصَّدَرْ

---

(١) الكِسَر: مفردها كِسْرَة وهي القطعة الصغيرة من الشيء.
(٢) الفَلّ: الثَّلْم في حد السيف. (٣) الطِّم: البحر.
(٤) العَلَز: الهلع من الموت.

لُـــجَـــجُ الـــدأمـــاءِ أوطـــانٌ لـــكـــم
ومـــــن الأوطـــــان دُورٌ وحُـــــفَـــــرْ[١]
لـسـت فـي الـبـحـر وحـيـداً فـاْسْـتَـضـف
فـــيـــه آبـــاءَك تَـــنْـــزِلْ بـــالـــدُّرَرْ
رَسَـــبـــوا فـــيـــه كـــرامـــاً وطـــفـــا
طـائـفُ الـنَّـصـر عـلـيـهـم والـظَّـفَـرْ
❊ ❊ ❊
نَـشَـأَ الـنِّـيـل إلـيـكـم سِـيـرةً
لـكـمـو فـيـهـا عِـظـاتٌ وعِـبَـرْ
إقـرؤوهـا يُـكـشـف الـعـصـرُ لـكـم
كـلّ عـصـر بـرجـال وسِـيَـرْ
لا تـقـولـوا: شـاعـرُ الـوادي غَـوَى
مَـنْ يُـغـالِـطْ نـفـسـه لا يـعـتـبـرْ
مـوقِـفُ الـتـاريـخ مـن فـوق الـهـوى
ومـقـامُ الـمـوت مـن فـوق الـهَـذَرْ
لـيـس مَـنْ مـات بـخـاف عـنـكـمـو
أو قـلـيـلِ الـفـعـل فـيـكـم والأثـرْ
شِـدْتـمـو دنـيـاهُ فـي أحـسـنـهَـا
غـزوةَ الـسـودان والـفـتـحَ الأغَـرّ
وبَـنـى مـمـلـكـةَ الـنُّـوب بـكـم
فـاْذكـروا الـقَـتْـلـى ولا تـنْـسـوا الـبِـدَرْ[٢]
واْحـذروا مـن قِـسـمـة الـنِّـيـل فـيَـا
ضَـيْـعَـةَ الـوادي إذا الـنِّـيـل شُـطِـرْ
❊ ❊ ❊

(١) الدأماء: البحر.
(٢) البِدَر: مفردها بَدْرَة، وهي الكمية العظيمة من المال.

رجـــلٌ لـــيـــس ابـــن (قـــارون) ولا
بـــآبـــن (عـــاديّ) مـــن الـــعَـــظْـــمِ الـــنَّـــخِـــرْ
لـــيـــس بـــالـــزاخـــر فـــي الـــعـــلـــم ولا
هـــو يـــنـــبـــوع الـــبـــيـــان الـــمـــنـــفَـــجِـــرْ
رَضَـــع الأخـــلاق مـــن ألـــبـــانِـــهَـــا
إنّ لـــلأخـــلاق وقـــعـــاً فـــي الـــصِّـــغَـــرْ
ورآهـــــا صـــــورةً فـــــي أُمِّـــــه
ومـــن الـــقـــدوة مـــا تُـــوحِـــي الـــصُّـــوَرْ
ذلـــك الـــمـــجـــدُ وهـــذي سُـــبْـــلـــهُ
بـــيِّـــنٌ فـــيـــهـــا ســـبـــيـــلُ الـــمُـــعْـــتَـــذِرْ[1]
أبْـــعَـــد الـــسَّـــاعـــون يـــبـــغـــون الـــمَـــدَى
والـــمَـــدَى فـــي الـــمـــجـــد دانٍ لِـــنَـــفَـــرْ
كـــجـــيـــاد الـــسَّـــبْـــق لَـــنْ تُـــغْـــنِـــيَـــهَـــا
أدواتُ الـــسَّـــبْـــق مـــا تُـــغْـــنـــي الـــفِـــطَـــرْ

❊ ❊ ❊

وجَـــنـــاحُ الـــسِّـــلـــم إلّا أنـــهَـــا
ســـاعـــةَ الـــرَّوْع جَـــنـــاحٌ مـــن سَـــقَـــرْ[2]
مـــن حـــديـــدٍ جـــانِـــبـــاهـــا ســـابـــغ
ربَـــض الـــمـــوتُ عـــلـــيـــه وفَـــغَـــرْ
أشـــبـــهـــت أفـــواهـــهـــا أعـــجـــازهَـــا
قـــنـــفُـــذٌ فـــي الـــيـــمِّ مـــشـــروعُ الإبَـــرْ
أرْهَـــفَـــتْ ســـمـــعَ الـــعَـــصـــا وآكـــتَـــحَـــلـــت
إثـــمـــد الـــزَّرْقـــاء فـــي عَـــرْض الـــسَّـــدِرْ[3]

---

(١) بيِّن: واضح. (٢) سَقَر: جهنّم.
(٣) العصا: اسم الفرس المشهورة التي ورد ذكرها في مصرع الزباء، أي ملكة تدمر. الإثمد: الكحل. الزَّرْقاء: هي زرقاء اليمامة المشهورة بقوة البصر. السَّدِر: البحر.

وتــؤدّي الــقــول لا يَــسْــبِــقــهَــا
رُسُــلُ الأرواح فــي نــقــل الــفِــكَــرْ
خَــطَــرت فــي مَــحْــجَــريــهــا ومــشَــتْ
بــعــيــون الــمــلــك فــي بــحــر وبَــرّ
غــابــة تــجــري بــســلــطــان الــشَّــرى
خــادراً فــي ألــف نــاب وظُــفُــرْ[1]
وإذا الــمــوت إلــى الــنــفــس مــشــى
وركــبــتَ الــنَّــجــمَ بــالــمــوت عَــثَــرْ
رُبَّ ثــاوٍ فــي الــظُّــبَــى مُــمْــتَــنِــعٍ
سَــلَّــهُ الــمــقــدارُ مــن جــفــن الــحَــذَرْ
تَــسْــحَــب الــفــولاذ فــي مُــلْــتَــطــمٍ
بــالــعَــوادي مُــتَــعــالٍ مُــعْــتَــكِــرْ
لــو أَشــارت جــاءَهــا ســاحــلــهُ
فــي حــديــدٍ وعــديــدٍ مُــنْــتَــصِــرْ
أو فَــدَى الــمــيِّــتَ حــيٌّ فُــدِيَــتْ
بِــوَقَــاحٍ فــي الــجــواري وخَــفِــرْ[2]
بــعــث الــبَــحــرُ بــهــا كــالــمــوج مــن
لــجــج الــسِّــنــد وخُــلــجــان الــخَــزَرْ[3]
لَــمــســتــهــا لــلــمــقــاديــر يــدٌ
تــلــمــس الــمــاءَ فــيــرمــي بــالــشَّــرَرْ

(١) الخادر: الأسد، ويقال: أسد خادر، أي مقيم في خدره.
(٢) الوَقَاح: ذو الوقاحة، (تستعمل للمذكر والمؤنث)، أي قليلة الحياء. الخَفِر: الجارية شديدة الحياء.
(٣) بحر الخَزَر: هو بحر قزوين، والخَزَر أيضاً شعب سكن بلاد القفقاس في القرون الوسطى.

ضـــربـــتـــهـــا وهـــي ســـرٌّ فـــي الـــدُّجـــى
لـــيـــس دون الـــلَّـــه تـــحـــت الـــلـــيـــل سِـــرّ
وجَـــفَـــت قـــلـــبـــاً وخـــارت جُـــؤْجُـــؤاً
ونَـــزَتْ جَـــنْـــبـــاً ونـــاءت مـــن أُخَـــرْ
طُـعِـنَـتْ فـأنْـبَـجَـسَـتْ فـأسْـتَـصْـرَخَـتْ
فـــأتـــاهـــا حَـــيْـــنُـــهـــا فـــهـــي خَـــبَـــرْ[1]

(١) الحَيْن: الهلاك أو الموت. فهي خبر: أي قضت وأصبحت من الماضي.

الْبَرْلَمَان

«على أثر ائتلاف الأحزاب»: [من الكامل]

سَكَنَ الزّمانُ ولانتِ الأقدارُ
ولكلِّ أمرٍ غايةٌ وقرارُ
أرخَى الأعنَّة للخطوب وردَّهَا
فَلَكٌ بكل فجاءةٍ دوّارُ
يجري بأمرٍ أو يدور بضدِّه
لا النقضُ يعجزه ولا الإمرارُ
هل آذنتنا الحادثاتُ بهدنةٍ
وهل ٱستجابَ فسالمَ المقدارُ
سدل الستار وهل شهدتَ رواية
لم يعترضها في الفصول ستارُ
وجرت فما ٱستولت على الأمد المُنى
وعدَت فما حَوَتِ المدى الأوطارُ
دون الجلاء ودون يانع ورده
خطوات شعب في القتَاد تُسَارُ[1]
وبناء أخلاقٍ عليه من النُّهى
سورٌ ومن علم الزمان إطارُ
وحضارةٌ من منطق الوادي لهَا
أصل ومن أدب البلاد نِجَارُ[2]

❊ ❊ ❊

(١) القَتَاد: شجر صلب له شوك كالإبر، وهي هنا كناية عن المشقّة وصعوبة المسار.
(٢) النِّجَار: الأصل والحسب.

أعـمـى هـوى الـوطـن الـعـزيـز عـصـابـة
مـسـتـهـتـريـن إلـى الـجـرائـم سـارُوا
يـا سـوء سُـنّـتـهـم وقُـبْـح غـلـوّهـم
إنّ الـعـقـائـد بـالـغـلـوّ تُـضـارُ[1]
والـحـق أرفـع مِـلـة وقـضـيـة
مـن أنْ يـكـون رسـولـه الإضـرارُ
أخـذت بـذنـبـهـمُ الـبـلادُ وأمـةٌ
بـالـريـف مـا يـدرون مـا الـسـردارُ
فـي فـتـنـةٍ خُـلِـط الـبـريء بـغـيـرهِ
فـيـهـا ولـطِّـخ بـالـدم الأبـرارُ
لَـقِـيَ الـرجـال الـحـادثـاتِ بـصـبـرهـم
حـتـى ٱنـجـلـت غـمَـمٌ لـهـا وغِـمـارُ[2]
لانـوا لـهـا فـي شـدة وصـلابـةٍ
لـيـنَ الـحـديـد مـشـتْ عـلـيـه الـنـارُ
ألـحـق أبـلـجُ والـكـنـانـة حُـرَّةٌ
والـعـز لـلـدسـتـور والإكـبـارُ
ألأمـر شـورَى لا يـعـيـثُ مـسـلّـطٌ
فـيـه ولا يَـطـغـى بـه جـبّـارُ
إنّ الـعـنـايـة لـلـبـلاد تـخـيّـرتْ
والـخـيـر مـا تـقـضـي ومـا تـخـتـارُ
عَـهْـدٌ مـن الـشـورى الـظـلـيـلـة نَـضَّـرتْ
آصـالـه وٱخـضـلَّـتِ الأسـحَـارُ

(١) الغُلُوّ: المبالغة في الأمر، أو التَّزمت والمغالاة.
(٢) الغُمَم: مفردها غُمّة وهي الشّدّة أو الكرب.

تجني البلادُ به ثمارَ جهودهَا
ولكل جهد في الحياة ثِمارُ
بنيان آباءٍ مشوا بسلاحهم
وبنينَ لم يجدوا السلاح فثارُوا
فيه من التلّ المدرّج حائطٌ
ومن المشانق والسجون جدارُ
أَبَتِ التقيّدَ بالهوى وتقيدت
بالحق أو بالواجب الأحرارُ
في مجلس لا مال مصرَ غنيمةٌ
فيه ولا سلطان مصرَ صَغَارُ(١)
ما للرجال سوى المراشد منهج
فيه ولا غيرَ الصلاح شعارُ
يتعاونون كأهل دارٍ زُلزِلَتْ
حتى تقرّ وتطمئن الدارُ
يُجرون بالرفق الأمورَ وفُلكهَا
والريح دون الفُلْك والإعصارُ
ومع المجدد بالأناة سلامة
ومع المجدد بالجماح عِثارُ(٢)
ألأمة ٱئتلفَتْ ورَصَّ بناءهَا
بانٍ زعامته هدى ومنارُ
أسدٌ وراءَ السن معقود الحُبَى
يأبى ويغضبُ للشّرى ويغارُ(٣)

(١) الصَّغار: الذّل والهوان. (٢) العِثار: المكروه أو المهلكة.
(٣) الحُبى: مفردها حبوة، أي ما يحتبى به من ثوب أو عمامة، ويقال: (عقد حبوته) أي قعد.

كهف القضية لا تنام نيوبه
عنها ولا تتقاعس الأظفارُ
يومَ الخميس وراء فجرك للهدى
صبح وللحق المبين نهارُ
ما أنت إلّا فارسيٌّ ليله
عرس وصدر نهاره إعذارُ[1]
بكرَتْ تزاحم مِهرجانك أمةٌ
وتلفتَتْ خلف الزّحام ديارُ
وروى مواكبك الزمانُ لأهله
وتنقّلَتْ بجلالها الأخبارُ
أقبلْتَ بالدستور أبلج زاهراً
يَفتَنّ في قسماته النُّظَارُ
وذؤابة الدنيا ترفُّ حداثةً
عن جانبيه وللزمان عِذارُ[2]
يحمي لفائفه ويحرس مهدَه
شيخٌ يذود وفتيةٌ أنصارُ
وكأنّه عيسى الهدى في مهدِه
وكأنّ سعداً يوسفُ النجارُ
ألتاج فُصّل في سمائك بالضُّحى
منك الحُلَى ومن الضُّحى الأنوارُ
يكسو من الدستور هامةَ ربه
ما ليس يكسو الفاتحين الغارُ

(١) الإعذار: طعام يتخذ للأفراح ومناسبات السرور.
(٢) العِذَار: الناصية.

بـالـحـق يـفـتـحُ كـلُّ هـادٍ مـصـلـحِ
مـا لـيـس يَـفْـتَـحُ بـالـقَـنـا الـمـغـوارُ[1]

❊ ❊ ❊

وطـنـي لـديـك ـ وأنـت سـمْـحٌ مـفْـضِـلٌ ـ
تُـنْـسَـى الـذنـوبُ وتُـذْكَـرُ الأعـذَارُ
تَـابَ الـزمـان إلـيـك مـن هـفـواتِـهِ
بـوزارة تُـمـحـى بـهـا الأوزارُ

(١) المغوار: الشجاع.

قلْ للرّجال طَغَى الأسِيْر

«وقال وقد ألقيت في حفلة نسائية عظيمة أنعقدت بدار التمثيل العربي برئاسة السيدة هدى شعراوي»:

[من الكامل]

قُلْ للرِّجال طغى الأسيرْ ... طيرُ الحِجال متى يَطيرْ؟
أوهى جناحَيْه الحديـ ... ـدُ وحزَّ ساقيْه الحريرْ
ذهب الحِجابُ بصبره ... وأطال حيرته السُّفورْ[1]
هل هُيِّئتْ دَرَجُ السما ... ء له، وهل نُصَّ الأثيرْ؟
وهل ٱستمرَّ به الجَنا ... حُ، وعَمّ بالنَّهْضِ الشَّكيرْ[2]
وسما لمنزله من الدُّنيا، ومنزلُه خطيرْ؟[3]
ومتى تُساس به الريَا ... ضُ كما تُساس به الوكورْ؟[4]
أو كلّ ما عند الرجا ... لِ لهُ: الخواطب والمهورْ؟
والسجنُ في الأكواخ أو ... سجنٌ يقال له القصورْ؟

* * *

تاللَّه: لو أنَّ الأدي ... ـمَ جميعه روضٌ ونورْ
في كلّ ظلٍ ربوةٌ ... وبكلّ وارفةٍ غديرْ
وعليه من ذَهَبٍ سيَا ... جٌ أو من الياقوت سُورْ
ما تَمّ من دون السما ... ء له على الأرض الحبورْ
إنّ السماءَ جديرةٌ ... بالطير، وهو بها جديرْ
هي سرجه المشدودُ وهـ ... ـو على أعنّتها أميرْ

(١) السّفور: رفع الحجاب.
(٢) الشَّكير: صغار الريش لدى الطائر ينبت بين كباره.
(٣) خطير: أي ذو شأن عظيم. (٤) الوكور: مفردها وَكْر، وهو مأوى الطائر.

حُـــريـــةٌ خُـــلِـــق الإنَـــا ثُ لـهـا كـمـا خُـلِـقَ الـذّكـورْ

❊ ❊ ❊

هـاجَـتْ بـنـات الـشـعـر عِـيـ ـنٌ مـن بـنـات الـنّـيـل حُـورْ[1]
لـي بـيـنـهـنَّ ولائـدٌ هُـمْ مـن سـواد الـعـيـن نـورْ
لا الـشـعـر يـأتـي فـي الـجـمـا نِ بـمـثـلـهـنّ ولا الـبـحـورْ
مـن أجـلـهـنّ أنـا الـشـفـيـ ـق عـلـى الـدّمـى وأنـا الـغـيـورْ
أرجـو وآمـل أنْ سـتـجـ ـري بـالـذي شِـئـنَ الأمـورْ

❊ ❊ ❊

يـا (قـاسـم) ٱنـظـر كـيـف سـا ر الـفـكـر وٱنـتـقـل الـشـعـورْ[2]
جـابـت قـضـيَّـتـك الـبـلا د كـأنـهـا مـثـلٌ يـسـيـرْ
مـا الـنـاسُ إلّا أوَّلٌ يـمـضـي فـيـخـلـفـه الأخـيـرْ
ألـفـكـر بـيـنـهـمـا عـلـى بـعـد الـمـزارِ هـو الـسّـفـيـرْ
هـذا الـبـنـاء الـفـخـم لـيـ ـس أسـاسـه إلّا الـحـفـيـرْ
إنّ الـتـي خـلَّـفـتَ أمـ ـس ومـا سـواك لـهـا نـصـيـرْ
نـهـض الـحـفـيُّ بـشـأنـهَـا وسـعـى لـخـدمـتـهـا الـظـهـيـرْ[3]
فـي ذمـة الـفـضـلـى هـدى جِـيـل إلـى هـاد فـقـيـرْ
أقْـبَـلـنَ يـسـألـنَ الـحـضـا رة مـا يُـفـيـد ومـا يـضـيـرْ
مـا الـسّـبْـل بـيِّـنـة ولا كـل الـهـداة بـهـا بـصـيـرْ

❊ ❊ ❊

مـا فـي كـتـابِـكَ طـفـرةٌ تـنـعـى عـلـيـك ولا غـرورْ
هـذّبـتَـه حـتـى ٱسـتـقـامـت مـن خـلائـقـك الـسـطـورْ
ووضـعـتـه وعـلـمْـتَ أنّ حـسـابَ واضـعـه عـسـيـرْ
لـك فـي مـسـائـلـه الـكـلا مُ الـعـفُّ والـجَـدَل الـوقـورْ

---

(١) عِيْن: مفردها عيناء، حور: مفردها حوراء.
(٢) يا قاسم: يخاطب الشاعر قاسم أمين.
(٣) الحَفيّ بشأنها: المهتم بأمرها. الظّهير: المساند والداعم.

ولك البيانُ الجذلُ في أثنائه العلم الغزيرْ
في مطلب خَشِنٍ كثيـ ـرٍ في مزالقه العثورْ
ما بالكتاب ولا الحديـ ـث إذا ذكرتهما نكيرْ
حتى لتسأل هل تغا ر على العقائد أم تغيرْ؟
عشرون عاماً من زوا لك ما هي الشيء الكثيرْ
رِعْنَ النساء وقد يرو ع المشفق الجلل اليسيرْ
فنسِيْنَ أنك كالبدو ر ودون رفعتك البدورْ
تفنى السنون بها وما آجالها إلّا شهورْ

❊ ❊ ❊

لقد اُختلفنا والمُعَا شِرُ قد يخالفه العشيرْ[1]
في الرأي ثم أهاب بي وبك المنادم والسميرْ
ومحا الرواح إلى مغا ني الود ما اُقترف البكورْ
في الرأي تَضْطَغِنُ العقو ل وليس تَضْطَغِنُ الصدورْ[2]

❊ ❊ ❊

قُلْ لي بعيشك: أين أنـ ـت؟ وأين صاحبك الكبيرْ؟
أين الإمام وأين إسـ ـماعيل والملأ المنيرْ؟
لمّا نزلتم في الثرى تاهت على الشّهب القبورْ
عصر العباقرة النجو م بنوره تمشي العصورْ

(١) العشير: الصاحب أو الصديق.
(٢) إضْطَغَنَ: إنطوى على الأحقاد وقابل الحقد بالحقد.

تَكْرِيمُ حَسَنين بك بمُنَاسَبَة طَيَرَانه

[من الكامل]

جِنٌّ على حرم السماء أغارُوا ... أم فتيةٌ ركبوا الجناح فطارُوا
من كل أهوجَ في الهواء عنانُهُ ... هوجُ الرياح وسَرْجُهُ الإعصارُ
يبغي حجابَ الشمس يطلب عندهَا ... عزًّا تحمّله الجدود وسارُوا
لم يبقَ منه ومن حضارة عهده ... إلّا صوى محجوجة ومنارُ[1]
ومقالة الأجيال لم يلحقْ بهم ... بانٍ ولم يدركهُمُ حفّارُ

* * *

طلعوا على الوادي براية عصرهم ... ولكل عصر راية وشعارُ
إثنان ثمّ ترى النسور كثيرةً ... من كل ناحيةٍ لها أوكارُ
سرّ النجاح وركنُ كلّ حضارةٍ ... همٌ من المتطوعين كبارُ
نسخت بأبطال السماء بطولة ... في الأرض يوشك ركنها ينهارُ
هذا زمان لا الأعنّة منزلٌ ... للبأس فيه ولا الأسنّة دارُ[2]
ما البأس إلّا من جناحَيْ خاطفٍ ... في البر والبحر اسمه الطيّارُ
أترى السلامة في السماء وظلهَا ... أم بالسماء يصولُ الاستعمارُ
حرم الهدى والحق ربع جلاله ... وغدا وراح بجانبيه دمارُ
يا جائب الصحراء مِلْءُ سرابهَا ... غُرَرٌ ومِلْءُ ترابها أخطارُ[3]

(١) صوىً: مفردها صُوّة، وهي ما غلظ وارتفع من الأرض أو من أحجار تكون دليلاً في الطريق، أي الرسوم والآثار.
(٢) الأعِنَّة: مفردها عِنان، وهو الزّمام. الأسِنّة: مفردها سِنان وهو نصل الرمح.
(٣) الغَرَر: التعريض للهلاك.

يكفيك من همم الشجاعة ليلةٌ ... لك من غوائلها خلت ونهارُ
لمّا اعتمدت على الجناح تلفّتتْ ... بِيدٌ وقلَّبتِ العيونَ قِفارُ[١]
في كلّ صحراءٍ وكلّ تَنوفةٍ ... أرضٌ عليك من السماء تغارُ[٢]
(حَسَنينُ) لو لم يَعذروك لبادرَتْ ... لك من لسان جِراحك الأعذارُ
للَّه سرجُك في السماء فإنه ... سَرْجُ الأهلّة ما عليه غبارُ
عرض الخسوفُ له فما أزرى به ... ما في الخسوف على الأهلة عارُ
أو لم تطأ أرض السماء ولم تَدُرْ ... حيث الشموس تدور والأقمارُ
ألقى أبو الفاروق نحوك باله ... وتشاغلَتْ بك أمةٌ ودِيارُ

❊ ❊ ❊

نصب السّرادق والمطار وحلّقَتْ ... في الجو تلمس شخصك الأبصارُ
فلمستَ أقضية السماء وأسفرَتْ ... حتى نَظرتَ وجوهها، الأقدارُ
قدر على يُمنى يديه سلامةً ... لك حيث مِلْتَ وفي السماء عِثَارُ[٣]
فإذا سقطت على حديد مضرم ... صَدَفَ الحديدُ ولم تنلْك النارُ[٤]
ماذا لقيت من النجائب كلهَاً ... قل لي أعندك للنجائب ثارُ؟
هذي تَعَثّرُ في الزِّمام وتلك لا ... تمضي وأخرى في السلوك تحارُ[٥]
فَشَلٌ يُعَظَّمُ كالنجاح عليه من ... شرف الجروح ونورهنَّ فخارُ
لو لم يكن قتلى وجرحى في الوغى ... لم يعلُ هامَ الظافرين الغارُ

(١) البِيْد: مفردها بيداء، وهي الفلاة.
(٢) التَّنوفة: البرّية لا ماء فيها ولا أنيس.
(٣) العِثَار: المهلكة.
(٤) صَدَفَ: أعرض ومال.
(٥) تَعثّر: أي تتعثّر.

صَقْرُ قُرَيش
عَبْدُ الرَّحْمن الدَّاخِل

«موشّح أندلسي»

[من الرّمل]

مَـنْ لِـنـضـوٍ يَـتـنـزَّى ألـمَـا ... بـرّح الـشّـوقُ بـه فـي الـغـلَـسِ[1]
حَـنّ لـلـبـان ونـاجَـى الـعَـلَـمَـا ... أيـن شـرقُ الأرضِ مـن أنـدلـسِ

❊ ❊ ❊

بـلـبـلٌ عـلَّـمـه الـبـيـنُ الـبـيـانْ ... بات في حَبل الشجون ٱرْتَكبَا
في سماء اللّيل مخلوعُ العِنانْ ... ضـاقـتْ الأرضُ عـلـيـه شَـبَـكَـا
كلّما ٱستوحش في ظل الجنانْ ... جُنَّ فٱستضحك من حيث بَكَى
إرتـدى بُـرْنُـسَـه والـتَـثَـمَـا ... وخَطا خُطْوَة شيخٍ مُرْعَسِ[2]
ويُـرى ذا حَـدَبٍ إنْ جَـشـمَـا ... فـإنِ ٱرتـدَّ بـدا ذا قَـعَـسِ[3]

❊ ❊ ❊

فـمُـه الـقـانـي عـلـى لَـبّـتِـهِ ... كـبـقـايـا الـدَّم فـي نَـصـل دقـيـقْ
مَـدّه فـٱنـشَـقَّ مـن مَـنْـبـتِـهِ ... مَنْ رأى شِقَّيْ مقَصّ من عَقيقْ
وبـكـى شـجـواً عـلـى شُـعْـبـتِـهِ ... شجْوَ ذاتِ الثُّكل في السِّتر الرقيقْ
سَـلّ مـن فـيـه لـسـانـاً عَـنَـمَـا ... ماضِياً في البَثِّ لم يحتَبِسِ[4]
وتَـرٌ مـن غـيـر ضـربٍ رَنَّـمَـا ... فـي الـدُّجـى أو شـررٌ مـن قـبَـسِ

❊ ❊ ❊

---

(١) يتنزّى: يتوثّب.
(٢) المُرْعَس: الذي يمشي مشياً خفيفاً من الإعياء.
(٣) القَعَس: ضد الحَدَب، أي نتوء الصدر.
(٤) العَنَم: شجر له ثمرة حمراء يشبّه بها البنان المخضوب، وهنا يشبّه بها اللّسان.

نَـفـرت لـوعـتُـه بـعـد الـهـدوءْ والدُّجى بيتُ الجَوى والبُرَحَا
يَـتـعـايـا بـجَـنـاح ويَـنـوءْ بـجـنـاح مُـذْ وهَـى مـا صَـلَـحَـا
سـاءه الـدهـرُ ومـا زال يـسـوءْ مـا عـلـيـه لـو أسَـا مـا جَـرَحَـا
كـلـمـا أدمـى يـديـه نَـدَمَـا سـالـتـا مـن طـوْقـه والـبُـرنـس
فـنِـيَـتْ أهـدابـه إلّا دَمَـا قام كـالـيـاقـوت لـم يَـنْـبَـجِـسِ[1]

❊ ❊ ❊

مَـدَّ فـي الـلّـيـل أنِـيـنـاً وخَـفَـقْ خَفقان القُرط في جُنح الشَّعرْ
فَـرغـت مـنـه الـنَّـوى غـيـر رَمَـقْ فضْلَةَ الجُرْح إذا الجرحُ نَغَرْ[2]
يـتـلاشـى نـزواتٍ فـي حُـرَقْ كـذبـالٍ آخـرَ الـلـيـل اُسـتـعَـرْ[3]
لـم يـكـن طـوْقـاً ولـكـن ضَـرَمَـا مـا عـلـى لَـبَّـتـه مـن قَـبَـسِ
رحـمـةُ الـلّـه لـه هـل عـلِـمَـا أنّ تـلـك الـنـفـس مـن ذا الـنَّـفَـسِ

❊ ❊ ❊

قـلـت لـلَّـيـل ولـلَّـيـل عَـوَادْ مَنْ أخو البَثّ فقال: ابنُ فِراقْ
قلتُ ما واديه قال الشجو وادْ ليس فيه من حجاز أو عِراقْ
قلتُ لكن جفنه غير جوادْ قال شرّ الدمع ما ليس يُراقْ
نَـغـبِـط الـطَّـيـرَ ومـا نـعـلـم مَـا هـي فـيـه مـن عـذابٍ بَـئِـسِ[4]
فـدَعِ الـطَّـيـرَ وحـظًّـا قُـسِـمَـا صَـيَّـر الأيـك كـدُور الأنَـسِ

❊ ❊ ❊

نـاحَ إذ جَفَـنـايَ فـي أسـر الـنـجـومْ رَسَفَا في السُّهد والدمعُ طليقْ[5]
أيّـهـا الـصـارخ مـن بـحـر الـهـمـومْ ما عسى يُغني غريقٌ عن غريقْ
إنّ هـذا الـسَّـهـم لـي مـنـه كـلُـومْ كـلُّـنـا نـازحُ أيْـكٍ وفـريـقْ

(١) لم يَنْبجس: لم يتفجّر.
(٢) نَغَر: يقال: جُرحٌ نغّار، أي جيّاش بالدم.
(٣) الذُّبال: مفردها ذُبالة، أي الفتيلة.
(٤) غبط الطير: أي تمنّى أن يكون حاله كحال الطير دون أن يريد زوال تلك الحال عن الطير.
(٥) رَسَفَا: تقيّدا.

قلِّب الدُّنيا تجدها قِسَمَا صُرِّفَت من أنعم أو أبؤُسِ
وٱنْظر الناسَ تجِدْ مَنْ سَلِمَا من سهام الدَّهر شجَّته القِسِي

❊ ❊ ❊

يا شباب الشَّرق عنوان الشَّبابْ ثمرات الحَسَب الزَّاكي النَّميرْ
حَسبُكم في الكرَم المحض اللُّبابْ سِيرةٌ تبقى بقاء ابنَيْ سميرْ[١]
في كتاب الفخر (للداخل) بابْ لم يَلجْه من بني الملك أميرْ[٢]
في الشموس الزُّهر بالشام ٱنتمَى ونمى الأقمار بالأندلسِ
قعَد الشَّرقُ عليهم مأتمَا وٱنثنى الغربُ بهم في عُرُسِ

❊ ❊ ❊

هل لكم في نبأ خير نَبَأْ حِلْيَةِ التاريخ مأثور عظيمْ
حل في الأنباء ما حلَّتْ سَبَأْ منزل الوسطى من العقد النَّظيمْ
مثلَه المقدارُ يوماً مَا خَبَأْ لسليب التاج والعرش كظيمْ
يُعجزُ القُصّاصَ إلّا قَلَمَا في سوادٍ من هوىً لم يُغْمَسِ
يُؤثِر الصّدق ويجزي عَلَمَا قلَب العالَم لو لم يُطْمَسِ

❊ ❊ ❊

عن عِصامِيٍّ نبيل مُعْرِقِ في بُناةِ المجدِ أبناءِ الفخارْ
نهضتْ دولتهم بالمشرقِ نهضة الشمس بأطراف النهارْ
ثم خان التاجُ وُدّ المَفرقِ ونَبَتْ بالأنجم الزُّهر الديارْ
غفلوا عن ساهرٍ حول الحِمَى باسطٍ من ساعِدَيْ مفترسِ
حام حول الملك ثم ٱقتحمَا ومشى في الدم مشى الضَّرِسِ[٣]

❊ ❊ ❊

ثأرُ عثمانَ لمروان مَجَازْ ودَمَ السِّبْطِ أثار الأقربونْ[٤]

---

(١) إبنا سمير: الليل والنهار.
(٢) (الداخل): هو عبد الرحمن الداخل أول ملوك بني أمية في الأندلس.
(٣) الضَّرِس: الصعب الخلق أو المجرّب المقاتل.
(٤) السِّبْط: يعني الحسين بن علي رضي اللّه عنهما.

حسَّنوا للشام ثأراً والحجازْ فتَغالى الناسُ فيما يطلبونْ
مكْرُ سُوَّاسٍ على الدَّهْمَاءِ جازْ ورُعاةٌ بالرعايا يلعبونْ
جعلوا الحقَّ لبَغْيٍ سُلَّمَا فهو كالسِّتر لهم والتُّرُسِ
وقديماً باسمه قد ظَلَمَا كلُّ ذي مِئْذنةٍ أو جَرَسِ

❊ ❊ ❊

جُزِيتْ مروان عن آبائهَا ما أراقوا من دِماء ودموعْ[١]
ومن النفس ومن أهوائهَا ما يؤدّيه عن الأصل الفروعْ
خَلَتِ الأعوادُ من أسمائهَا وتغطَّت بالمصاليب الجذوعْ
ظَلَمتْ حتى أصابت أظْلمَا حاصدَ السيف وبِيءَ المَحْبَسِ[٢]
فطِنَاً في دعوة الآلِ لِمَا هَمس الشاني وما لم يَهمِسِ

❊ ❊ ❊

لبِست بُرْدَ النّبيِّ النَّيِّراتْ من بني العبَّاس نوراً فوق نورْ
وقديماً عند مروان تِراتْ لزَكِيَّاتٍ من الأنفس نورْ
فنَجا الدَّاخلُ سبْحاً بالفراتْ تارك الفِتنةِ تطغى وتَنُورْ[٣]
غَسَّ كالحوت به واقتحَمَا بين عِبْريْهِ عيون الحَرَسِ[٤]
ولقد يُجدي الفتى أنْ يَعلمَا صَهْوَةَ الماءِ ومَتْنَ الفرَسِ

❊ ❊ ❊

صحِب الداخلَ من إخوتِهِ حدثٌ خاضَ الغِمارَ ابن ثمانْ
غلَب الموج على قوَّتِهِ فكأنّ الموج من جُنْدِ الزمانْ
وإذا بالشّط من شِقْوَتِهِ صائحٌ صاح به: نِلتَ الأمانْ
فأنثنى مُنْخَدِعاً مُسْتَسْلِمَا شاةٌ اغترّت بعَهد الأطْلَسِ[٥]

---

(١) مَرْوان: أي بنو مَرْوان.

(٢) الأظلم: المقصود به هنا، هو أبو مسلم الخراساني، صاحب دعوة بني العبّاس، وقد سلب بني أمية ملكهم.

(٣) تَنُور: تنتشر.

(٤) غسَّ: دخل ومضى قُدُماً.

(٥) الأطلس: من أسماء الذِّئب.

خضَب الجندُ به الأرضَ دمًا وقلوبُ الجُنْد كالصَّخر القَسِي

* * *

أيّها اليائسُ مُتْ قبل المماتْ أو إذا شئت حياةً فالرّجَا
لا يَضِقْ ذَرعُك عند الأزَماتْ إنْ هي اشتدَّت وأمِّلْ فرَجَا
ذلك الدَّاخلُ لاقى مظلماتْ لم يكن يأمُل منها مَخْرَجَا
قد تولّى عزُّه وانصرمَا فمضى من غَدِهِ لم ييأسِ
رام بالمغرب مُلْكاً فرمَى أبعدَ الغَمْر وأقصى اليَبَسِ

* * *

ذاك واللَّهِ (الغنى) كلُّ (الغنى) أيّ صعبٍ في المعالي ما سَلَكْ[1]
ليس بالسائل إنْ همّ مَتَى لا ولا الناظرِ ما يوحي الفَلَكْ
زايَلَ المُلْكُ ذويه فأتَى مُلْكَ قومٍ ضيَّعوه فملَكْ
غَمراتٌ عارضت مُقتَحِمَا عالِيَ النفسِ أشَمَّ المَعْطسِ[2]
كلّ أرضٍ حلَّ فيها أو حِمَى منزلُ البدر وغابُ البيهسِ[3]
نزلَ الناجي على حُكْم النّوى وتواري بالسُّرى من طالبِهْ
غيرَ ذي رَحْلٍ ولا زادٍ سوى جوهرٍ وافاه من بيت أبيهْ
قمرٌ لاقى خسوفاً فانزوى ليس من آبائه إلّا نَبِيهْ
لم يجِدْ أعوانَه والخدمَا جانبوه غيرَ (بدر) الكيِّسِ
من مواليه الثقاتِ القدَمَا لم يخنه في الزمان الموئِسِ

* * *

حين في أفريقيا انحل الوِئامْ واضمحلَّت آية الفتح الجليلْ
ماتتِ الأمة في غير التئامْ وكثير ليس يلتامُ قليلْ

---

(١) ملاحظة: يبدو أن هناك خطأً فنياً حصل في الشطر الأول من البيت، إما نتيجة النقل عن المسودات أو نتيجة خطإٍ ما في طباعة النسخة القديمة للديوان، وأعتقد أن الصحيح هو التالي: (ذاك واللَّه الفتى كلّ الفتى) فتُستبدل كلمة الغنى بكلمة الفتى ليتناسب المعنى مع السياق العام وتتفق القافية مع ما يليها.

(٢) المَعْطَس: الأنف.

(٣) البَيْهس: من أسماء الأسد.

يـمـنٌ سَـلَّـت ظُـبَـاهـا والـشـآمْ ... شـامـهـا هـنـديـةً ذات صـلـيـلْ[١]
فـرَّق الـجـنـدَ الـغِـنـى فـٱنـقَـسـمَـا ... وغـدا بـيـنـهـم الـحـق نـسِـي
أوحـشَ الـسـؤددُ فـيـهـم وسَـمَـا ... لـلـمـعـالـي مَـنْ بـه لـم تـأْنَـسِ
رُحِـمـوا بـالـعـبـقـريِّ الـنـابِـهِ ... ألبعيد الـهِـمَّـةِ الـصَّـعْـبِ الـقِـيـادْ
مـدَّ فـي الـفـتـح وفـي أطـنـابِـهِ ... لـم يَـقـف عـنـد بِـنـاء ابـن زيـادْ[٢]
هـجـرَ الـصـيـد فـمـا يُـعْـنَـى بِـهِ ... وهـو بـالـمـلـك رفـيـقٌ ذو ٱصـطـيـادْ
سَـلْ بـه أنـدلـسـاً هـل سَـلِـمَـا ... مـن أخـي صـيـد رفـيـق مَـرِسِ[٣]
جـرَّد الـسـيـفَ وهـزَّ الـقـلـمَـا ... ورمـى بـالـرأي أمَّ الـخُـلَـسِ[٤]

❊ ❊ ❊

بـسـلام يـا شـراعـاً مـا دَرَى ... مـا عـلـيـه مـن حـيـاء وسَـخَـاءْ
في جناح الـمَـلَـكِ الـرُّوح جَـرَى ... وبـريـح حـفّـهـا الـلـطـفُ رُخـاءْ[٥]
غـسَـل الـيـمُّ جِـراحـاتِ الـثـرَى ... ومـحـا الـشِّـدةَ من يـمـحـو الـرَّخـاءْ
هـل دَرى أنـدلـسٌ مَـنْ قَـدِمَـا ... دارَه مـن نـحـو بـيـت الـمـقْـدِسِ
بـسـلـيـل الأمَـويّـيـن سَـمَـا ... فـتـحُ مـوسـى مُـسْـتَـقـرَّ الأُسُـسِ

❊ ❊ ❊

أُمَـوي لـلـعُـلا رحـلَـتُـهُ ... والـمـعـالـي بـمَـطـيٍّ وطُـرقْ
كـالـهـلال ٱنـفـردَت نُـقْـلـتُـهُ ... لا يُـجـاريـه ركـابٌ فـي الأفـقْ
بُـنِـيـتْ مـن خُـلـق دولـتُـهُ ... قد يَشيد الدُّوَلَ الشمَّ الخُلقْ
وإذا الأخـلاق كـانـت سُـلَّـمَـا ... نـالـت الـنَّـجـمَ يـدُ الـمُـلْـتَـمِـسِ
فـٱرْقَ فـيـهـا تَـرْق أسـبـاب الـسَّـمَـا ... وعـلـى نـاصـيـةِ الـشـمـس ٱجْـلِـسِ

❊ ❊ ❊

(١) شام السيف: أي سلّه. هنديّة: أي سيوف.
(٢) ابن زياد: هو طارق بن زياد فاتح الأندلس في عهد عبد الملك بن مروان.
(٣) المَرِس: هو الشديد المِراس، المجرّب في الحروب.
(٤) الخُلَس: مفردها خُلسة، وهي الفرصة المناسبة.
(٥) المَلَك الروح: هو جبريل عليه السلام.

أيَّ مُـلـكٍ مـن بـنـايـات الـهـمَـمْ أَسَّسَ الدّاخلُ في الغربِ وشادْ
ذلـك الـنـاشـئُ فـي خـيـرِ الأُمَـمْ ساد في الأرض ومَنْ يَخْلُقْ يُسادْ
حـكـمـت فـيـه الـلـيـالـي وحَـكَـمْ فـي عَـواديـهـا قِـيـاداً بـقـيـادْ
سُـلِـب الـعـزَّ بـشـرقٍ فـرَمَـى جـانـبَ الـغـرب لـعـزٍّ أقـعَـسِ
وإذا الـخـيـرُ لـعـبـدٍ قُـسِـمَـا سـنـحَ الـسَّـعـدُ لـه فـي الـنَّـحَـسِ

❊ ❊ ❊

أيّـهـا الـقـلـبُ أحـقٌّ أنـتَ جـارْ لـلـذي كـان عـلـى الـدّهـر يـجِـيـرْ
هـاهـنـا حـلَّ بـه الـرّكـب وسـارْ وهـنـا ثـاو إلـى الـبـعـث الأسـيـرْ
فَـلَـكٌ بـالـسَّـعـد والـنَّـحـس مُـدارْ صَـرع الـجـامَ وألـوى بـالـمُـديـرْ[١]
هـاهـنـا كـنـتَ تَـرى حُـوَّ الـدُّمَـى فـاتـنـاتٍ بـالـشِّـفـاه الـلُّـعُـسِ[٢]
نـاقـلاتٍ فـي الـعـبـيـر الـقـدَمَـا وأطـئـاتٍ فـي حَـبـيـرِ الـسُّـنْـدُسِ

❊ ❊ ❊

خُـذْ عـن الـدُّنـيـا بـلـيـغَ الـعـظـةِ قـد تَـجـلَّـت فـي بـلـيـغ الـكَـلِـم
طـرَفـاهـا جـمـعـا فـي لَـفـظـةِ فـتـأمَّـل طـرَفـيـهـا تَـعْـلَـم
ألأمـانـي حُـلُـمٌ فـي يـقـظـةِ والـمـنـايـا يـقـظـةٌ مـن حُـلُـم
كـلُّ ذي سِـقْـطَـيْـن فـي الـجـوّ سـمَـا واقـعٌ يـومـاً وإنْ لـم يُـغْـرَسِ[٣]
وسـيـلـقـى حَـيْـنـه نَـسـر الـسَّـمَـا يـوم تُـطـوى كـالـكـتـاب الـدّرسِ[٤]

❊ ❊ ❊

أيـن يـا واحـدَ مـروانَ عَـلَـمْ مَنْ دعاك الصَّقْرَ سمّاه العُقابْ[٥]
رايـةٌ صـرَّفـهـا الـفَـرْدُ الـعَـلَـمْ عن وجوه النصر تصريفَ النقابْ
كـنـت إنْ جـرَّدتَ سـيـفـاً أو قَـلَـمْ أُبْـتَ بـالألـبـاب أو دِنْـتَ الـرِّقـابْ

---

(١) الجام: الكأس.
(٢) الدّمى: مفردها دمية، وهي الصورة المنقّشة الموشّاة. اللَّعَس: سُمْرة مستحسنة في الشفة. والشفاه اللُّعس، أي التي فيها سُمرة.
(٣) السِّقْط: جناح الطائر.
(٤) الحَيْن: الهلاك.
(٥) العُقاب: اسم راية عبد الرحمن الدَّاخل.

ما رأى الناسُ سواه عَلَمَا ... لم يُرَمْ في لُجّةٍ أو يَبِسِ
أعلَى رُكْن السِّماك ادّعَمَا ... وتغطَّى بجَناح القُدُسِ[1]

❊ ❊ ❊

قصرُك (المُنْية) من (قرطبةِ) ... فيه وارَوْك ولَّهِ المصيرْ
صَدَفٌ خُطّ على جوهرةِ ... بَيْدَ أنّ الدهر نَبَّاشٌ بصيرْ
لم يدع ظلاً لقصر (المُنْيةِ) ... وكذا عمر الأمانيّ قصيرْ
كنت صقراً قُرشيًّا عَلَمَا ... ما على الصَّقْر إذا لم يُرْمَسِ
إنْ تَسَلْ أين قبور العُظَمَا ... فعلى الأفواه أو في الأنفُسِ

❊ ❊ ❊

كم قبورٍ زَيَّنَتْ جيدَ الثَّرَى ... تحتها أنجسُ من مَيْتِ المجوسْ
كان مَنْ فيها وإنْ جازوا الثُّرَى ... قبل موت الجسم أموات النفوسْ
وعظامٌ تتزكَّى عنبرَا ... من ثناء صِرنَ أغفال الرُّموسْ[2]
فأتخذْ قبرك من ذِكرٍ فمَا ... تبنِ من محموده لا يُطمَسِ
هَبْك من حرص سكنت الهَرَمَا ... أين بانيه المنيعُ المَلْمَسِ

(١) السِّماك: كوكب.
(٢) الرُّموس: مفردها رمس، وهو القبر.

زَحْلَة

[من الكامل]

شـيَّـعـتُ أحـلامـي بـقـلـبٍ بـاكِ
ولـمـحـتُ مـن طـرق الـمـلاح شـبـاكِـي
ورجـعـت أدراجَ الـشـبـاب ووَرْده
أمـشـي مـكـانـهـمـا عـلـى الأشـواكِ
وبـجـانـبـي واهٍ كـأنّ خـفـوتـه
لـمّـا تـلـفّـت جـهـشـة الـمـتـبـاكِـي
شـاكـي الـسـلاح إذا خـلا بـضـلـوعـه
فـإذا أهـيـب بـه فـلـيـس بـشـاكِ
قـد راعـه أنـي طـويـت حـبـائـلـي
مـن بـعـد طـول تـنـاول وفـكـاكِ[1]
ويـح ابـن جـنـبـي كـل غـايـة لـذة
بـعـد الـشـبـاب عـزيـزة الإدراكِ[2]
لـم تـبـقَ مـنّـا يـا فـؤادُ بـقـيـةٌ
لـفـتـوّة أو فـضـلـةٌ لـعـراكِ
كـنّـا إذا صـفّـقْـتَ نـسـتـبـق الـهـوى
ونـشـدّ شـدّ الـعـصـبـة الـفُـتّـاكِ
والـيـوم تـبـعـث فـيّ حـيـن تـهـزنـي
مـا يـبـعـث الـنـاقـوس فـي الـنّـسـاكِ

❊ ❊ ❊

(١) حبائلي: شِباكي.
(٢) ابن جنبي: أي قلبي.

يـــا جـــارةَ الـــوادي طـــربـــتُ وعـــادنـــي
مـــا يـــشـــبـــه الأحـــلامَ مـــن ذكـــراكِ
مـثّـلـتُ فـي الـذكـرى هـواكِ وفـي الـكـرى
والـذكـريـاتُ صـدى الـسـنـيـنَ الـحـاكـي
ولـقـد مـررتُ عـلـى الـريـاض بـربـوة
غـنّـاءَ كـنـت حِـيـالـهـا ألـقـاكِ[١]
ضـحِـكـتْ إلـيَّ وجـوهـهـا وعـيـونُـهَـا
ووجـدتُ فـي أنـفـاسـهـا ريّـاكِ
فـذهـبـتُ فـي الأيـام أذكـر رفـرفـاً
بـيـن الـجـداول والـعـيـون حـواكِ[٢]
أذكـرتِ هـرولـة الـصـبـابـة والـهـوى
لـمّـا خـطـرتِ يُـقـبِّـلان خـطـاكِ
لـم أَدر مـا طـيـبُ الـعـنـاق عـلـى الـهـوى
حـتـى تـرفـق سـاعـدي فـطـواكِ
وتـأوَّدَتْ أعـطـاف بَـانِـكِ فـي يـدي
وٱحـمـرّ مـن خَـفَـرَيْـهـمـا خـدّاكِ
ودخـلـتُ فـي لـيـلـيـن فـرعِـك والـدّجـى
ولـثـمـتُ كـالـصـبـح الـمـنـوَّر فـاكِ[٣]
ووجـدتُ فـي كـنـه الـجـوانـح نـشـوةً
مـن طـيـب فـيـك ومـن سُـلاف لَـمَـاكِ[٤]
وتـعـطـلَـتْ لـغـة الـكـلام وخـاطـبَـتْ
عـيـنـيّ فـي لـغـة الـهـوى عـيـنـاكِ

(١) غَنَّاء: كثيرة الخضرة والعشب. (٢) الرّفْرف: ما تهدّل من الشجر والنبات.
(٣) الفرع: الشَّعْر.
(٤) السّلاف: هو أول الخمر وأفضله. اللّمى: سمرة مستحبة في الشفة.

ومـحـوت كـل لـبـانـة مـن خـاطـري
ونـسِـيـتُ كـل تـعـاتـب وتـشـاكِـي[١]
لا أمـسِ مـن عـمـر الـزمـان ولا غـدٌ
جُـمِـع الـزمـان فـكـان يـوم رضـاكِ

❊ ❊ ❊

لُـبـنـان ردّتـنـي إلـيـك مـن الـنَّـوى
أقـدارُ سـيـرٍ لـلـحـيـاة دَرَاكِ
جـمـعـت نـزيـلَـيْ ظـهـرهـا مـن فـرقـة
كـرةٌ وراء صـوالـجِ الأفـلاكِ[٢]
نـمـشـي عـلـيـهـا فـوق كـل فـجـاءة
كـالـطـيـر فـوق مـكـامـن الأشـراكِ
ولـو أنَّ بـالـشـوق الـمـزار وجـدتـنـي
مـلـقـى الـرّحـال عـلـى ثَـرَاك الـذاكِـي

❊ ❊ ❊

بِـنْـتَ الـبـقـاع وأمَّ بِـردَونِـيِّـهَـا
طِـيـبِـي كـجِـلّـقَ وٱسـكـبـي بَـردَاكِ[٣]
ودمـشـق جـنـات الـنـعـيـم وإنـمـا
ألـفـيْـتُ سُـدَّةَ عَـدْنِـهِـنّ رُبـاكِ
قـسـماً لـو ٱنـتـمـت الـجـداول والـرُّبَـى
لـتـهـلـل الـفـردوس ثـم نـمـاكِ
مـرآك مـرآه وعـيـنـك عـيـنـه
لِـمَ يـا (زُحَـيْـلَـةُ) لا يـكـون أبـاكِ؟!

---

(١) اللّبانة: حاجة النفس.
(٢) الصوالج: مفردها صولجان، وهو العصا المعقوفة الرأس يَحْمِلُها الملوك والفرسان.
(٣) بِردَوْنِيّها: أي نهر البردوني المشهور. جِلّق: من أسماء دمشق.

تـلـك الـكـروم بـقـيـةٌ مـن بـابـلٍ
هـيـهـاتَ نَـسَّـى الـبـابـلـيّ جـنـاكِ
تُـبـدي كَـوَشْـي الـفُـرس أَفْـتَـنَ صـبـغـةٍ
لـلـنـاظـريـن إلـى ألـذ جِـيـاكِ
خـرزاتُ مـسـكٍ أو عـقـود الـكـهـربَـا
أُوْدِعْـنَ كـافـوراً مـن الأسـلاكِ
فـكّـرت فـي لـبـن الـجـنـان وخـمـرهَـا
لـمّـا رأيـت الـمـاء مَـسّ طِـلاكِ[1]
لـم أنـس مـن هـبـة الـزمـان عـشـيـة
سـلـفـت بـظـلـك وانـقـضـت بِـذَاركِ
كـنـت الـعـروس عـلـى مَـنـصـة جـنـحـهَـا
لُـبـنـان فـي الـوَشْـي الـكـريـم جـلاكِ
يـمـشـي إلـيـك الـلـحـظ فـي الـديـبـاج أو
فـي الـعـاج مـن أي الـشّـعـاب أتـاكِ
ضـمّـت ذراعـيـهـا الـطـبـيـعـة رقـةً
صِـنِّـيـن والـحـرمـون فـاحـتـضـنـاكِ[2]
والـبـدر فـي ثَـبَـج الـسـمـاء مـنـوّر
سـالـت حـلاه عـلـى الـثـرى وحـلاكِ
والـنَّـيِّـراتُ مـن الـسـحـاب مـطـلـةٌ
كـالـغِـيْـد مـن سِـتْـرٍ ومـن شـبّـاكِ
وكـأنّ كـل ذؤابـة مـن شـاهـق
ركـن الـمـجـرّة أو جـدار سـمـاكِ
سـكـنـت نـواحـي الـلـيـل إلّا أنَّـةً
فـي الأيـك أو وتـراً شـجـيَّ حـراكِ

(١) الطِّلا: الخمر.
(٢) صنّين والحرمون: جبلان من جبال لبنان.

شـــرفـــاً عـــروس الأرز كـــل خـــريـــدة
تـــحـــت الـــســـمـــاء مـــن الـــبـــلاد فـــداكِ[١]
ركـــز الـــبـــيـــان عـــلـــى ذراك لـــواءَه
ومـــشـــى مـــلـــوك الـــشـــعـــر فـــي مـــغـــنـــاكِ
أدبـــاؤك الـــزُّهْـــرُ الـــشـــمـــوس ولا أرى
أرضـــاً تـــمـــخّـــضُ بـــالـــشـــمـــوس ســـواكِ
مـــن كـــل أروع عـــلـــمـــه فـــي شـــعـــره
ويـــراعـــه مـــن خـــلـــقـــه بـــمـــلاكِ
جـــمـــع الـــقـــصـــائـــد مـــن ربـــاك وربـــمـــا
ســـرق الـــشـــمـــائـــل مـــن نـــســـيـــم صـــبـــاكِ
مـــوســـى بـــبـــابـــك فـــي الـــمـــكـــارم والـــعـــلا
وعـــصـــاه فـــي ســـحـــر الـــبـــيـــان عـــصـــاكِ[٢]
أحـــلـــلـــت شـــعـــري مـــنـــك فـــي عـــلـــيـــا الـــذُّرَى
وجـــمـــعـــتـــه بـــروايـــة الأمـــلاكِ
إنْ تـــكـــرمـــي يـــا (زحـــل) شـــعـــري إنـــنـــي
أنـــكـــرت كـــلّ قـــصـــيـــدة إلّاكِ
أنـــت الـــخـــيـــال بـــديـــعُـــه وغـــريـــبـــه
ألـــلَّـــه صـــاغـــك والـــزمـــان رواكِ

(١) الخريدة: الفتاة الحسناء البكر.
(٢) (موسى): المقصود هنا، موسى حنّا نمّور رئيس مجلس النواب اللبناني الأسبق وابن مدينة زحلة.

ذِكْرَى اسْتِقْلال سُوريا وذِكْرَى شُهَدائها

[من الوافر]

حـيـــاةٌ مـــا نـــريـــدُ لـــهـــا زِيـــالَا
ودنـــيـــا لا نـــودّ لـــهـــا انـــتـــقـــالَا
وعـــيـــشٌ فـــي أصـــول الـــمـــوت سـمٌّ
عـــصـــارتـــه، وإنْ بَـــســـط الـــظِّـــلالَا
وأيـــامٌ تـــطـــيـــر بـــنـــا ســـحـــابـــاً
وإنْ خِـــيْـــلَـــتْ تـــدبّ بـــنـــا نِـــمَـــالَا
نـــريـــهـــا فـــي الـــضـــمـــيـــر هـــوى وحُـــبـــاً
ونـــســـمـــعـــهـــا الـــتـــبـــرم والـــمَـــلالَا
قِـصـارٌ حـيـن نـجـري الـلـهـوَ فـيـهَـا
طـــوالٌ حـــيـــن نـــقـــطـــعـــهـــا فِـــعـــالَا
ولـــم تـــضـــقِ الـــحـــيـــاة بـــنـــا ولـــكـــن
زحـــامُ الـــســـوء ضـــيّـــقـــهـــا مَـــجـــالَا
ولـــم تـــقـــتـــل بـــراحـــتـــهـــا بـــنـــيـــهَـــا
ولـــكـــن ســـابـــقـــوا الـــمـــوت اقـــتـــتـــالَا
ولـــو زاد الـــحـــيـــاة الـــنـــاسُ ســـعـــيـــاً
وإخـــلاصـــاً لـــزادتـــهـــم جَـــمَـــالَا

❊ ❊ ❊

كـــأنّ الـــلّـــه إذ قـــســـمَ الـــمـــعـــالـــي
لأهـــل الـــواجـــبِ ادّخـــر الـــكَـــمَـــالَا

تــرى جــداً ولــســت تــرى عــلــيــهــم
ولــوعــاً بــالــصــغــائــر واشــتــغــالَا
ولــيــســوا أرغــدَ الأحــيــاء عــيــشــاً
ولــكــن أنــعــمَ الأحــيــاء بَــالَا
إذا فــعــلــوا فــخــيــرُ الــنــاس فــعــلاً
وإنْ قــالــوا فــأكــرمــهــم مَــقَــالَا
وإنْ سَــأَلَــتْــهُــمُــو الأوطــانُ أعــطَــوْا
دمــــاً حــــرًّا وأبــــنــــاءً ومَــــالَا

❊ ❊ ❊

بــنــي الــبــلــد الــشــقــيــق عــزاء جــارٍ
أهــاب بــدمــعــه شــجــنٌ فــســالَا
قــضــى بــالأمــس لــلأبــطــال حــقــاً
وأضــحــى الــيــومَ بــالــشــهــداء غــالَــى
يــعــظِّــم كــل جــهــدٍ عــبــقــريٍّ
أكــان الــسّــلْــم أم كــان الــقِــتَــالَا
ومــا زِلــنــا إذا دهــت الــرزايَــا
كــأرحــم مــا يــكــون الــبــيــت آلَا[1]
وقــد أنــســى الإســاءةَ مــن حــســودٍ
ولا أنــســى الــصــنــيــعــةَ والــفِــعــالَا
ذكــرت الــمــهــرجــانَ وقــد تــجــلّــى
ووفــد الــمــشــرِقَــيْــنِ وقــد تــوالَــى
وداري بــيــن أعــراس الــقــوافــي
وقــد جَــلَــيَــتْ ســمــاء لا تــعــالــى
تــســلّــلَ فــي الــزحــام إلــيَّ نِــضــوٌ
مــن الأحــرار تَــحــســبــه خــيــالَا

(١) الرزايا: مفردها رزيّة، وهي المصيبة العظيمة.

رسولُ الصابرين ألمّ وهناً
وبلّغني التحية والسؤالَا
دنا مني فناولني كتاباً
أحسست راحتاي له جلالَا
وجدت دَم الأسود عليه مِسكاً
وكان الأصلُ في المسك الغزالَا
كأنّ أسامِيَ الأبطال فيه
حواميمُ على رق تتالَى
رواةُ قصائدي، قد رتَّلوهَا
وغنوها الأسنّة والنِّصالَا[1]
إذا ركزوا القنا ٱنتقلوا إليهَا
فكانت في الخيام لهم نقالَا

❊ ❊ ❊

بنى سوريةَ ٱلتئموا كيوم
خرجتم تطلبون به النِّزالَا
سلوا الحريّة الزّهراء عنّا
وعنكم هل أذاقتنا الوصالَا؟
وهل نلنا كلانا اليوم إلّا
عراقيبَ المواعد والمطالَا![2]
عرفتم مهرها فمهرتموهَا
دماً صَبغَ السباسبَ والدّغالَا[3]
وقمتمْ دونها حتى خضبتمْ
هوادجَها الشريفة والحِجالَا

(١) الأسِنّة: مفردها سِنان، وهو نصل الرمح.
(٢) عراقيب المواعد: كناية عن المواعيد الكاذبة. ويقال: إنّ عرقوب هو رجل يُضرب به المثل في الكذب والخلف في الوعد.
(٣) السباسب: الصحارى أو الفلوات لا نبات فيها ولا شجر.

دعُـوا فـي الـنـاس مـفـتـونـاً جـبـانـاً
يـقـول الـحـرب قـد كـانـت وبَـالَا[١]
أيَـطـلـبُ حـقَّـهـم بـالـروح قـومٌ
فـتـسـمـع قـائـلاً ركـبـوا الـضّـلالَا؟
وكـونـوا حـائـطـاً لا صـدعَ فـيـه
وصـفًّـا لا يُـرَقّـع بـالـكـسـالَـى
وعـيـشـوا فـي ظـلال الـسّـلْـم كـدًّا
فـلـيـس الـسّـلْـمُ عـجـزاً واتـكـالَا
ولـكـن أبـعـد الـيـومـيـن مـرمـىً
وخـيـرهـمـا لـكـم نُـصْـحـاً وآلَا
ولـيـس الـحـرب مـركـبَ كـل يـوم
ولا الـدم كـلَّ آونـةٍ حـلالَا

❊ ❊ ❊

سـأذكـر مـا حـيـيـت جـدارَ قـبـر
بـظـاهـر جِـلَّـق رَكِـبَ الـرمـالَا
مـقـيـمٌ مـا أقـامـت (مَـيْـسَـلُـون)
يُـذَكِّـر مـصـرع الأُسْـدِ الـشِّـبـالَا[٢]
لـقـد أوحَـى إلـيّ بـمـا شـجـانـي
كـمـا تـوحـي الـقـبـورُ إلـى الـثـكـالَـى
تـغـيّـب (عـظْـمـة) الـعـظـمـات فـيـه
وأولُ سـيـدٍ لـقِـي الـنِّـبَـالَا[٣]

(١) الوَبَال: الويل أو الشدّة وسوء العاقبة.
(٢) (ميسلون): موقع غربي دمشق، تواقع فيه الجنرال غورو الفرنسي مع الجيش السوري حين قتل القائد يوسف العظمة، وذلك سنة ١٩٢٠م.
(٣) إشارة إلى القائد يوسف العظْمة.

كـــأن بـــنـــاتـــه رفـــعـــوا مـــنـــاراً
مـــن الإخـــلاص أو نـــصـــبـــوا مـــثـــالَا
ســراجُ الــحــقِّ فــي ثــبــج الــصــحــارى
تـــهـــاب الـــعـــاصـــفـــات لـــه ذُبَـــالَا
تـــرى نـــور الـــعـــقـــيـــدة فـــي ثـــراه
وتـــنـــشـــقُ مـــن جـــوانـــبـــه الـــخـــلالَا
مـشـى ومـشـت فـيـالـقُ مـن فـرنـسـا
تـــجـــر مـــطـــارف الـــظـــفـــر اخـــتـــيـــالَا
مـــلأن الـــجـــوّ أســـلـــحـــةً خِـــفَـــافـــاً
ووجـــه الأرض أســـلـــحـــةً ثِـــقَـــالَا
وأرسَـــلْـــنَ الـــريـــاح عـــلـــيـــه نـــاراً
فـــمـــا حـــفـــل الـــجـــنـــوب ولا الـــشّـــمـــالَا
ســـلـــوه هـــل تـــرجّـــل فـــي هـــبـــوبٍ
مـــن الـــنـــيـــران أرْجَـــلَـــتِ الـــجـــبـــالَا؟
أقـــام نـــهـــاره يُـــلـــقـــي ويَـــلـــقـــى
فـــلـــمّـــا زال قـــرص الـــشـــمـــس زالَا
وصـــاح تـــرى بـــه قَـــيْـــدَ الـــمـــنـــايَـــا
ولـــست تـــرى الـــشَّـــكـــيـــمَ ولا الـــشِّـــكـــالَا[1]
فـــكُـــفِّـــنَ بـــالـــصـــوارم والـــعـــوالـــي
وغُـــيّـــب حـــيـــث جـــال وحـــيـــث صـــالَا
إذا مـــرت بـــه الأجـــيـــال تـــتـــرى
ســـمـــعـــت لـــه أزيـــزاً وابـــتـــهـــالَا
تـــعـــلـــق فـــي ضـــمـــائـــرهـــم صـــلـــيـــبـــاً
وحـــلَّـــق فـــي ســـرائـــرهـــم هِـــلالَا

(١) الشّكيم: مفردها شكيمة وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس. الشِّكال: حبل تُشَدُّ به قوائم الدّابة.

تمثالُ نَهْضَة مِصْر

[من المتقارب]

جعلتُ حُلاها وتمثالَهَا
عيونَ القوافي وأمثالَهَا
وأرسلتها في سماء الخيالِ
تجرُّ على النَّجم أذيالَهَا
وإني لغرِّيدُ هذي البطاحِ
تغذّى جَناها وسَلسالَهَا
ترى مصرُ كعبةَ أشعارِهِ
وكلَّ معلَّقةٍ قالَهَا
وتلمَحُ بين بيوتِ القصيدِ
حِجالَ العروسِ وأحجالَهَا[1]
أدار النسيبَ إلى حبِّهَا
وولّى المدائحَ إجلالَهَا
أرَنّ بغابِرها العبقريِّ
وغنّى بمثل البُكا حالَهَا
ويروي الوقائع في شعرِهِ
يروض على البأس أطفالَهَا
وما لَمَحُوا بعدُ ماءَ السيوفِ
فما ضَرّ لو لَمَحُوا آلَهَا

❊ ❊ ❊

(١) الحِجَال: مفردها حَجَلَة وهي بيت العروس. الأحجال: الخلاخيل.

ويـومٍ ظـلـيـلِ الـضُّـحـى مـن بـشَـنـسَ
أفـاءَ عـلـى مـصـر آمـالـهَـا
روى ظـلُّـه عـن شـبـاب الـزمـانِ
رفـيـفَ الـحـواشـي وإخـضـالَـهَـا[1]
مـشَـت مـصـرُ فـيـه تُـعـيـد الـعـصـورَ
ويـغـمُـرُ ذكـر الـصِّـبـا بـالـهَـا
وتَـعْـرض فـي الـمِـهـرجـان الـعـظـيـم
ضُـحـاهـا الـخـوالَـي وآصـالـهَـا

❊ ❊ ❊

وأقـبـل (رمـسـيـسُ) جَـمَّ الـجَـلالِ
سَـنِـيَّ الـمـواكـب مُـخـتـالـهَـا
ومـا دان إلّا بـشُـورى الأمـورِ
ولا ٱخـتـال كـبـراً ولا ٱسـتـالـهَـا
فـحـيَّـا بـأبْـلـجَ مـثـل الـصَّـبـاح
وجـوهَ الـبـلاد وأرسـالـهَـا
وأَومـى إلـى ظـلـمـاتِ الـقـرونِ
فـشَـقّ عـن الـفـنّ أسـدالـهَـا
فـمَـنْ يُـبْـلِـغُ (الـكَـرْنـك) الأقـصـريَّ
ويـنـبـئُ (طِـيـبـة) أطـلالـهَـا
ويُـسـمِـع ثَـمَّ بـوادي الـمـلـوكِ
مـلـوكَ الـديـار وأقـيـالـهَـا[2]
وكـلَّ مـخـلَّـدَةٍ فـي الـدُّمـى
هـنـالـك لـم نُـحـصِ أحـوالَـهَـا

(١) اخضلّ: ابتلّ.
(٢) الأقيال: الملوك.

عـلـيـهـا مـن الـوحـي ديـبـاجـةٌ
ألـحَّ الـزَّمـانُ فـمـا آزدالـهَـا
تـكـاد وإنْ هـي لـم تَـتَّـصـل
بـروح تُـحـرِّك أوصـالـهَـا
ومـا الـفـنُّ إلّا الـصـريـحُ الـجـمـيـلُ
إذا خـالـطَ الـنـفـسَ أوحـى لـهَـا
ومـا هـو إلّا جـمـالُ الـعـقـولِ
إذا هـي أَولـتـه إجـمـالـهَـا

❊ ❊ ❊

لـقـد بـعـث الـلَّـهُ عـهـدَ الـفـنـونِ
وأخْـرجَـتِ الأرضُ مَـثَّـالـهَـا
تـعـالَـوْا نـرى كـيـف سـوَّى الـصَّـفـاةَ
فـتـاةً تُـلَـمْـلِـمُ سِـرْبـالـهَـا[1]
دَنـت مـن أبـي الـهـول مَـشْـي الـرؤوم
إلـى مُـقْـعَـدٍ هـاج بَـلـبـالـهَـا
وقـد جـاب فـي سَـكـرَات الـكـرَى
عُـروض الـلـيـالـي وأطـوالـهَـا
وألـقـى عـلـى الـرمـل أرواقَـهُ
وأرسـى عـلـى الأرض أثـقـالـهَـا[2]
يُـخـال لإطـراقـه فـي الـرِّمـالِ
(سـطـيـحَ) الـعـصـور ورمّـالـهَـا[3]

---

(١) الصفاة: الصخرة.

(٢) الأرواق: مفردها رَوْق وهو الفسطاط أو الخيمة، ويقال: ضرب رَوْقَه بالمكان أي نزل وضرب خيمته.

(٣) سطيح: اسم كاهن من كهان العرب، والسطيح أيضاً الضعيف البطيء الحركة من مرض أو زمانة.

فقالت: تحرَّكْ فَهمَّ الجمادُ
كأنّ الجماد وعَى قالَهَا[١]
فهل سَكبَتْ في تجاليدِهِ
شُعاع الحَياةِ وسيَّالَهَا
أتذكر إذ غضِبَتْ كاللُّباةِ
ولمّت من الغِيل أشبالَهَا[٢]
وألقت بهم في غِمار الخطوبِ
فخاضوا الخطوبَ وأهوالَهَا
وثاروا فجُنّ جُنون الرِّياحِ
وزُلزِلَتِ الأرض زَلزالَهَا
وبات تَلَمُّسُهم شيخَهُمْ
حديث الشعوب وأشغالَهَا
ومَنْ ذا رأى غابةً كافحتْ
فردَّت من الأسر رِئْبَالَهَا[٣]
وأهيبُ ما كان بأس الشعوبِ
إذا سلّح الحقُّ أعزَالَهَا

❊ ❊ ❊

(فؤاد) ٱرفع السِّتر عن نهضةٍ
تقدّم جَدُّك أبطالَهَا
ورُبَّ امرئ لم تَلِده البلادُ
نماها ونبَّه أنسالَهَا[٤]
وليس اللآلئُ مِلْكَ البحورِ
ولكنها مِلْكُ مَنْ نالَهَا

(١) وعى قالها: أي وعى قولها.
(٢) اللّباة: أي اللّبؤة.
(٣) الرِّئبال: الأسد.
(٤) الأنسال: مفردها نسل، أي الولد والذريّة.

ومـــا (كـــعـــلـــيّ) ولا جـــيـــلِـــه
إذا عـــرَضـــت مـــصـــرُ أجـــيـــالـــهَـــا
بـــنـــوا دولـــةً مـــن بـــنـــات الأســـنَّـــ
ـة لـــم يـــشـــهـــد (الـــنِّـــيـــلُ) أمـــثـــالـــهَـــا
لـــئـــن جـــلّـــل الـــبـــحـــرَ أســـطـــولُـــهَـــا
لـــقـــد لـــبِـــس الـــبـــرّ قـــسْـــطَـــالـــهَـــا[1]
فـــأمـــا أبـــوك فـــدُنـــيـــا الـــحـــضـــارَ
ة لـــو ســـالـــم الـــدّهـــر إقـــبـــالـــهَـــا
تـــخـــيّـــر (أفـــريـــقـــيـــا) تـــاجَـــهُ
ورتّـــب فـــي الـــتـــاج (صُـــومـــالـــهَـــا)
ركـــابُـــك يـــا (ابـــن الـــمُـــعِـــزّ) الـــغـــيـــوثُ
ويـــفـــضُـــلـــنَ فـــي الـــخـــيـــر مِـــنـــوالـــهَـــا
إذا سِـــرْنَ فـــي الأرض نـــسَّـــيْـــنَـــهَـــا
ركـــابَ الـــســـمـــاء وأفـــضـــالـــهَـــا
فـــلَـــم تـــبـــرح الـــقـــصـــرَ إلّا شـــفـــيـــتَ
جـــدوبَ الـــعـــقـــول وإمـــحـــالـــهَـــا
لـــقـــد ركَّـــب الـــلَّـــهُ فـــي ســـاعـــديـــكَ
يـــمـــيـــن الـــجـــدود وشـــمـــآلـــهَـــا
تَـــخُـــطُّ وتَـــبـــنـــي صـــروحَ الـــعـــلـــوم
وتـــفـــتـــح لـــلـــشّـــرَق أقـــفـــالـــهَـــا

(١) القسطال: غبار الحرب.

الْحُرّيَّةُ الحَمْراء

«قيلت في احتفال بيوم ١٣ نوفمبر»:

[من الكامل]

في مهرجان الحق أو يوم الدّمِ
مهجٌ من الشهداءِ لم تتكلمِ
يبدو على (هاتورَ) نورُ دمائهَا
كدمِ الحسينِ على هلال محرّمِ
يوم الجهاد بها كصدر نهاره
متمايِلُ الأعطاف مبتسمُ الفمِ
طلعت تحجُّ البيت فيه كأنهَا
زُهْرُ الملائك في سماء الموسمِ
لا لم تطلَّ من السماءِ وإنما
بين السّحابِ قبورُها والأنجمِ
ولقد شَجاها الغائبون وراعهَا
ما حلَّ بالبيت المضيء المظلمِ
وإذا نظرتَ إلى الحياة وجدتهَا
عُرساً أُقِيم على جوانب مأتمِ
لا بدّ للحرّيّة الحمراء من
سَلوى تُرقِّدُ جرحَها كالبَلسمِ
وتَبَسّمٌ يعلو أسرّتها كما
يعلو فم الثكلى وثغر الأيّمِ[١]

(١) الثَّكلى: مَنْ فقدت ولدها. الأيّم: مَنْ لا زوج لها.

يـومُ الـبـطـولـة لـو شـهـدْتُ نـهـارَه
لـنـظـمْـتُ لـلأجـيـالِ مـا لـم يُـنـظـمِ
غُـبِـنَـتْ حـقـيـقـتُـه وفـات جـمـالَـهَـا
بَـاعُ الـخـيـال الـعـبـقـريِّ الـمُـلْـهـمِ
لـولا عـوادي الـنّـفـسِ أو عـقـبـاتـه
والـنّـفـسُ حـالٌ مـن عـذاب جـهـنّـمِ
لَـجَـمَـعْـتُ ألـوان الـحـوادث صـورةً
مـثَّـلـتُ فـيـهـا صـورة الـمـسـتـسـلـمِ
وحـكَـيْـت فـيـهـا الـنِّـيـلَ كـاظِـمَ غـيْـظـه
وحـكـيـتُـهُ مـتـغـيِّـظـاً لـم يَـكْـظِـمِ
دعـت الـبـلاد إلـى الـغـمـار فـغـامـرت
وطـنـيـةٌ بـمـثـقـفٍ ومـعـلّـمِ
ثـارت عـلـى الـحـامـي الـعـتـيـد وأقـسـمـت
بـسـواه جـلَّ جـلالـه لا تـحـتـمِـي
نَـثَـرَ الـكِـنَـانـة ربُّـهـا وتـخـيـرَتْ
يـده لـنـصـرتِـهـا ثـلاثـة أسـهـمِ[1]
مـن كـلّ أعـزل حـقُّـه بـيـمـيـنـه
كـالـسـيـف فـي يُـمْـنَـى الـكـميّ الـمـعـلَـمِ[2]
لـم يُـحْـجِـمـوا فـي سـاعـة قـد أظـفـرت
مَـلِـكَ الـبـحـار بـكـل قـيـصـر مـحـجـمِ
وقـفـوا مـطـيّـهـمـو بـسـلّـم قـصـره
والـبـأس والـسـلـطـان دون الـسُّـلّـمِ
وتـقـدّمـوا حـتـى إذا مـا بـلّـغـوا
أوحَـوْا إلـى مـصـرَ الـفـتـاة تـقـدّمِـي

(١) الكِنَانة: جعبة السّهام.
(٢) الكميّ: الفارس الشجاع، أو لابس السلاح.

سالت من الغاب الشُّبولُ غلا بهَا
لبن اللَّباةِ وهاج عرقُ الضّيْغمِ[1]
يومَ النضال كستك لونَ جمالهَا
حريةٌ صبغت أديمك بالدَّمِ
أصبحتَ من غرر الزمان وأصبحت
ضحكت أسرة وجهك المتجهمِ
ولقد يُتمت فكنت أعظم روعة
يا ليت من (سعد) الحِمى لم تَيتمِ
لِيَنَمْ أبو الأشبال ملء جفونه
ليس الشُّبول عن العرين بنوَّمِ

(١) الشّبول: مفردها شبل، وهو ولد الأسد. اللّباة: اللبؤة. الضّيغم: الأسد.

تكْرِيم علي بك إبراهِيم

«وقال في تكريم الدكتور علي بك إبراهيم الجراحي العبقري»: [من الرّمل]

إبتغوا ناصيةَ الشمس مكانَا
وخُذوا القمَّةَ علماً وبيانَا
وٱطلبُوا بالعبقريات المدى
ليس كلُّ الخيل يَشْهَدنَ الرّهانَا
إبعثوها سابقاتٍ نُجُباً
تَملأ المضمارَ معنًى وعيانَا
وثِبوا للعزِّ من صهوتِهَا
وخذوا المجدَ عناناً فعنانَا
لا تثيبوها على ما قلَّدَتْ
من أيادٍ، حسداً أو شنآنَا[1]

* * *

وضَئيلٍ من أُساة الحيّ لم
يُعْنَ باللحم وبالشحم اختزانَا
ضامر في سُفعةٍ تحسبه
نِضو صحراء ٱرتدى الشمس دهانَا[2]
أو طبيباً آيباً من (طيبة)
لم تَزَلْ تَنْدَى يداه زعفرانَا
تُنكر الأرضُ عليه جسمَه
واسمُه أعظمُ منها دورانَا

(١) الشنآن: البغض.
(٢) السُّفعة: السواد أُشْرِبَ حمرة.

نـال عـرشَ الـطـب مـن (امـحـوتـب)
وتَـلَّـقـى مـن يَـدَيـه الـصـولـجـانَـا[١]
يـا (لأمـحـوتـبَ) مـن مُـسـتـأْلِـهٍ
لـم يـلـد إلّا حـواريًّـا هـجـانَـا
خـاشـعـاً لـلَّـه لـم يُـزْهَ ولـم
يـرهـق الـنـفـس اغـتـراراً وافـتـنـانَـا
يـلـمـس الـقـدرةَ لـمـساً كـلـمـا
قـلـب الـمـوت وجـسَّ الـحـيـوانَـا
لـو يُـرى الـلَّـه بـمـصـبـاح لَـمَـا
كـان إلّا الـعـلـم جـلّ الـلَّـه شـانَـا
فـي خِـلالٍ لـفـتـت زهـر الـرُّبـى
وسـجـايـا أَنْـسَـتِ الـشّـرْب الـدِّنـانَـا[٢]
لـو أتـاه مـوجـعـاً حـاسـده
سَـلَّ مـن جـنـب الـحـسـود الـسـرطـانَـا
خـيـرُ مَـنْ عـلّـم فـي (الـقـصـر) ومَـنْ
شـقَّ عـن مـسـتـتـر الـداء الـكـنـانَـا[٣]
كـلُّ تـعـلـيـم تـراه نـاقـصـاً
سـلـم رث إذا أسـتُـعـمـل خـانَـا
دَرَكٌ مـسـتَـحْـدثٌ مـن دَرَجٍ
ومـن الـرّفـعـةِ مـا حـطّ الـدّخـانَـا

❊ ❊ ❊

لا عـدمـنـا لـلـسـيـوطـيّ يـداً
خُـلـقَـتْ لـلـفـتـق والـرتـق بـنـانَـا

(١) الصولجان: العصا المعقوفة الرأس يَحْمِلُها الملوك والفرسان.
(٢) الدّنان: مفردها دنّ، وهو إناء الخمر.
(٣) الكنان: الستر أو الوقاء.

تصرف المشرط للبرء كما
صرَّف الرّمْح إلى النصر السّنانَا
مَدَّها كالأجل المبسوط في
طلب البُرْء اجتهاداً وافتنانَا
تجد الفولاذَ فيها محسناً
أخذ الرفقَ عليها والليانَا
يدُ إبراهيم لو جئتَ لهَا
بذبيح الطير عاد الطيرانَا
لم تُخِطْ للناس يوماً كفناً
إنما خاطت بقاء وكيانَا
ولقد يؤسى ذوو الجرحى بهَا
من جراح الدّهر أو يشفى الحزانَى
نَبغَ الجيل على مِشْرطهَا
في كفاح الموت ضرباً وطِعانَا
لو أتت قبل نضوج الطب ما
وجد التنويم عوناً فاْستعانَا

❊ ❊ ❊

يا طرازاً يبعث اللَّه به
في نواحي ملكهِ آناً فآنَا
من رجال خُلِقوا أَلْوية
ونجوماً وغيوثاً ورِعانَا(١)
قادة الناس وإنْ لم يقربوا
طبعات الهند والسّمْر اللّدانَا
وغذاء الجيل فالجيل وإنْ
نسي الأجيال كالطفل اللّبانَا

(١) الرِّعان: رؤوس الجبال.

وهـمـو الأبـطـال كـانـت حـربـهـم
مـنـذ شـنّـوهـا عـلـى الـجـهـل عَـوانَـا

❊ ❊ ❊

يـا أخـي : والـذخـر فـي الـدنـيـا أَخٌ
حـاضـر الـخـيـر عـلـى الـخـيـر أعـانَـا
لـك عـنـد ابـنـيَ أو عـنـدي يـدٌ
لـسـتُ آلـوهـا ادكـاراً وصـيـانَـا
حَـسُـنـت مـنّـي ومـنـه مـوقـعـاً
فـجـعـلـنـا حـرزَهـا الـشـكـر الـحـسـانَـا
هـل تـرى أنـت؟ فـإنـي لـم أجـد
كـجـمـيـل الـصـنـع بـالـشـكـر اقـتـرانَـا
وإذا الـدّنـيـا خـلَـت مـن خـيّـر
وخـلـت مـن شـاكـرٍ هـانـت هـوانَـا
دفـع الـلَّـه حـسـيـنـاً فـي يـد
كَـيَـدِ الألـطـاف رفـقـاً واحـتـضـانَـا
لـو تـنـاولـت الـذي قـد لـمـسَـتْ
مـنـه مـا زدت حـذاراً وحـنـانَـا
جـرحـه كـان بـقـلـبـي يـا أبـاً
لا أنـبِّـيـه بـجـرحـي كـيـف كـانَـا
لـطـف الـلَّـه فـعُـوفـيـنـا مـعـاً
وارتـهـنَّـا لـكَ بـالـشـكـر لـسـانَـا

مرحباً بالرّبيع

«وقال وهي القصيدة التي ألقيت في دار الأوبرا الملكية في حفلة افتتاح مؤتمر تكريمه الذي ٱنعقد فيها»:

[من الخفيف]

مـرحـبـاً بـالـربـيـع فـي رَيْـعـانِـهْ
وبـأنـواره وطـيـبٍ زمـانِـهْ
رفَّـت الأرضُ فـي مـواكـبِ آذا
رَ وشـبَّ الـزمـان فـي مـهْـرَجـانِـهْ
نـزل الـسـهـلَ ضـاحـكَ الـبِـشـر يـمـشـي
فـيـه مَـشْـيَ الأمـيـرِ فـي بـسـتـانِـهْ
عـاد حَـلـيـاً بـراحَـتَـيْـهِ ووشـيـاً
طـولُ أنـهـارِهِ وعَـرْضُ جِـنـانِـهْ
لـفَّ فـي طَـيْـلَـسَـانِـهِ طُـرَرَ الأر
ضِ فـطـاب الأديـمُ مـن طَـيْـلَـسَـانِـهْ[1]
سـاحـرٌ فـتـنـة الـعـيـون مـبـيـنٌ
فـصَّـل الـمـاءَ فـي الـرُّبـى بـجـمـانِـهْ[2]
عـبـقـريُّ الـخـيـالِ زاد عـلـى الـطَّـيْـ
ـفِ وأربـى عـلـيـه فـي ألـوانِـهْ
صِـبـغَـةُ الـلَّـهِ! أيـن مـنـهـا رَفـائـيـ
ـلُ ومِـنـقـاشـه وسـحـرُ بـنـانِـهْ

(١) الطيلسان: كساء أخضر يلبسه الخاصة من العلماء وغيرهم. طُرَر: مفردها طرّة، وهي الناصية أو الجبهة.
(٢) الجمان: اللؤلؤ.

رنَّـــم الـــروضُ جَـــدولاً ونـــســـيـــمـــاً
وتـــلا طـــيـــرَ أيْـــكِـــهِ غـــصـــنُ بـــانِـــهْ
وشـدَت فـي الـرُّبـى الـريـاحـيـنُ هـمـسـاً
كـــتـــغـــنّـــي الـــطـــروبِ فـــي وجـــدانِـــهْ
كـــلُّ رَيـــحـــانـــةٍ بـــلـــحـــنٍ كـــعُـــرسٍ
أُلِّـــفـــتْ لـــلـــغـــنـــاء شـــتّـــى قِـــيـــانِـــهْ[١]
نَـــغَـــمٌ فـــي الـــســـمـــاءِ والأرض شـــتّـــى
مـــن مـــعـــانـــي الـــربـــيـــعِ أو ألـــحـــانِـــهْ
أيـــن نَـــوْرُ الـــرّبـــيـــع مـــن زَهَـــر الـــشِّـــعْـــ
ـرِ إذا مـــا اســـتـــوى عـــلـــى أفـــنـــانِـــهْ[٢]
ســرمــدُ الــحــســن والــبــشــاشــة مــهــمــا
تـــلـــتـــمـــســـهُ تـــجِـــدْه فـــي إبَّـــانِـــهْ
حَـــســـنٌ فـــي أوانِـــه كـــلُّ شـــيءٍ
وجـــمـــالُ الـــقَـــرِيْـــضِ بـــعـــد أوانِـــهْ
مَـــلِـــكٌ ظِـــلُّـــهُ عـــلـــى رَبْـــوَة الـــخُـــلـــ
ـد وكُـــرســـيُّـــه عـــلـــى خُـــلـــجـــانِـــهْ
أمَـــرَ الـــلَّـــه بـــالـــحـــقـــيـــقـــةِ والـــحـــكـــ
ـمـةِ فـالـتـفَّـتـا عـلـى صـولـجـانِـهْ[٣]
لـــم تَـــثُـــرْ أُمَّـــةٌ إلـــى الـــحَـــقِّ إلّا
بـــهُـــدَى الـــشـــعـــرِ أو خُـــطـــى شـــيـــطـــانِـــهْ
لـــيـــس عَـــزْفُ الـــنـــحـــاس أوقـــعَ مـــنـــه
فـــي شـــجـــاعِ الـــفـــؤادِ أو فـــي جـــبـــانِـــهْ

❊ ❊ ❊

(١) القيان: مفردها قينة، وهي المُغنِّية.
(٢) الأفنان: مفردها فنن، وهو الغصن.
(٣) الصولجان: عصا معقوفة الرأس، يَحْمِلُها الملوك والفرسان.

ظـلَّـلَـتْـنِـي عـنـايـة مـن (فـؤادٍ)
ظـلَّـل الـلَّـهُ عـرشَـه بـأمـانِـهْ
ورعـانـي رعـى الإلٰـه لـه الـفـا
روق طـفـلاً ويـوم مـرجُـوٍّ شـانِـهْ
مَلِكُ النِّيلِ من مَصَبَّيْهِ بالشطِّ إلى مَنْبَعَيْهِ من سودانِهْ
هـو فـي الـمُـلـك بـدرهُ الـمـتـجـلِّـي
حُـفَّ بـالـهـالـتـيـن مـن (بـرلـمـانِـهْ)
زادهُ الـلَّـه بـالـنـيـابـةِ عـزًّا
فـوق عـزِّ الـجـلال مـن سـلـطـانِـهْ
❊ ❊ ❊
مـنـبَـرُ الـحـقِّ فـي أمـانـة سـعـد
وقِـوامُ الأمـورِ فـي مـيـزانِـهْ
لـم يَـرَ الـشـرقُ داعـيـاً مـثـل سـعـدٍ
رَجَّـه مـن بِـطـاحـه ورِعـانِـهْ[1]
ذكَّـرتـه عـقـيـدةَ الـنـاسِ فـيـهِ
كـيـف كـان الـدخـولُ فـي أديـانِـهْ
نـهـضـةٌ مـن فـتـى الـشـيـوخ وروحٌ
سـرَيَـا كـالـشـبـابِ فـي عُـنـفـوانِـهْ
حـرّكـا الـشـرقَ مـن سـكـونٍ إلـى الـقـيـ
ـدِ وثـارَا بـهِ عـلـى أَرسـانِـهْ
وإذا الـنـفـسُ أنـهـضـت مـن مـريـض
دَرَجَ الـبُـرءُ فـي قـوى جُـثـمـانِـهِ
❊ ❊ ❊

(١) الرِّعان: رؤوس الجبال.

يـا عُـكـاظـاً تـألّـف الـشّـرقُ فـيـه
مـن فِـلـسـطـيـنـهِ إلـى بـغْـدانِـهْ[١]
إفـتـقـدنـا الـحـجـازَ فـيـه فـلـم نـعـ
ـثُـرْ عـلـى (قُـسِّـهِ) ولا (سَـحـبـانِـهْ)[٢]
حـمـلـتْ مـصـرُ دونـه هـيـكـلَ الـدِّيـ
ـنِ وروحَ الـبـيـان مـن فـرقـانِـهْ
وُطِّـدَتْ فـيـك مـن دعـائـمـهـا الـفُـصْـ
ـحَـى وشُـدَّ الـبـيـانُ مـن أركـانِـهْ
إنـمـا أنـت حَـلـبـة لـم يُـسَّـخـر
مـثـلُـهـا لـلـكـلام يـوم رِهـانِـهْ
تـتـبـارى أصـائـلُ الـشـام فـيـهَـا
والـمـذاكـي الـعـتـاقُ مـن لُـبـنـانِـهْ
قـلَّـدتـنـي الـمـلـوك مـن لـؤلـؤ الـبـحـ
ـريْـن آلاءهـا ومـن مَـرجـانِـهْ
نـخـلـة لا تـزال فـي الـشّـرق مـعـنـىً
مـن بـداواتـه ومـن عـمـرانِـهْ
حـنَّ لـلـشـام حِـقـبـةً وإلـيـهَـا
فَـاتـحُ الـغـرب مـن بـنـي مـروانِـهْ
وحـبـتـنـي (بُـمْـبَـايُ) فـيـهـا يـراعـاً
أفـرغَ الـوُدُّ فـيـه مـن عِـقـيـانِـهْ[٣]
لـيـس تـلـقـى يـراعَـهـا الـهـنـد إلّا
فـي ذَرَى الـخُـلْـقِ أو وراءَ ضـمـانِـهْ

(١) بغدان: من أسماء بغداد، أو لغة من بغداد.
(٢) قُسّ: هو قس بن ساعدة. سَحبان: هو سَحبان وائِل. وكلاهما خطيب اشتهر بالفصاحة.
(٣) (بُمْبَاي): إقليم في الهند. العِقْيان: الذهب الخالص.

أنتضيه انتضاءَ موسى عصاه
يفرَقُ المستبدُّ من ثعبانِهْ
يلتقي الوحيَ من عقيدةِ حُرٍّ
كالحواريِّ في مدَى إيمانِهْ
غيرَ باغٍ إذا تطلَّب حقًّا
أو لئيمِ اللَّجَاج في عُدوانِهْ
موكِب الشعرِ حرّكَ المتنبي
في ثَراهُ وهزَّ من حَسَّانِهْ[1]
شُرِّفَتْ مصرُ بالشموسِ من الشَّر
قِ نُجُوم البيانِ من أعيانِهْ
قد عَرَفنا بنجمهِ كلَّ أُفْقٍ
واْستبنَّا الكتابَ من عنوانِهْ
لست أنسى يداً لإخوان صدقٍ
منحوني جزاءَ ما لم أُعانِهْ
رُبَّ سامي البيانِ نبَّه شأني
أنا أسمو إلى نباهة شانِهْ
كان بالسبقِ والميادينِ أولى
لو جرى الحظُّ في سَواء عنانِهْ
إنما أظهروا يدَ اللَّه عندي
وأذاعوا الجميلَ من إحسانِهْ
ما الرحيق الذي يذوقون من كرْ
مِي وإنْ عشت طائفاً بدنانِهْ
وهَبوني الحَمامَ لذَّة سجعٍ
أينَ فضلُ الحَمامِ في تحنانِهْ؟

(١) المتنبي: هو أبو الطيب المتنبي. حسّان: هو حسان بن ثابت، شاعر الرسول. وكلاهما من أشهر الشعراء.

وتَـرٌ فـي الـلَّـهـاة مـا لـلـمُـغَـنِّـي
مـن يـدٍ فـي صـفـائـه ولِـيـانِـهْ[١]

❊ ❊ ❊

رُبَّ جـارٍ تَـلَـفَّـتـت مـصـرُ تـولـيـه سـؤالَ الـكـريـم عـن جـيـرانِـهْ
بَـعَـثَـتْـنِـي مـعـزِّيـاً بـمـآقـي وطـنـي أو مـهـنِّـئـاً بـلـسـانِـهْ
كـان شـعـري الـغـنـاءَ فـي فـرح الـشَّـر قِ وكـان الـعَـزاءَ فـي أحـزانِـهْ
قـد قـضـى الـلَّـه أنْ يـؤلِّـفـنـا الـجـر حُ وأنْ نـلـتـقـي عـلـى أشـجـانِـهْ[٢]
كـلـمـا أنّ بـالـعـراقِ جـريـحٌ لَـمَـسَ الـشَّـرقُ جَـنْـبـه فـي عُـمـانِـهْ
وعـلـيـنـا كـمـا عـلـيـكـم حـديـدٌ تـتـنَـزَّى الـلـيـوث فـي قـضـبـانِـهْ[٣]
نـحـن فـي الـفِـقْـهِ بـالـديـار سَـواءٌ كـلُّـنـا مـشـفِـقٌ عـلـى أوطـانِـهْ

(١) اللّهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم.
(٢) الأشجان: الأحزان.
(٣) تتنزّى: تتوثب.

فهرس المحتويات

الجزء الأول

مُقَدَّمَة ٥
مُقَدَّمَةُ الطَّبْعَةِ الأُولَى ٩
كِبارُ الحوادِثِ في وادِي النّيل .. ٢٣
الهمزيَّة النَّبويَّة ٤٨
صدى الحرب ٦١
أبوّة أميرِ المؤمنين ٦٢
الجلوسُ الأسعد ٦٢
حلمٌ عظيمٌ وبطشٌ أعْظَم ٦٣
معْجزاتُ الجنودِ على
الحُدود ٦٤
زينَبُ بني عثمان ٦٦
الحالة في بحر الرّوم ٦٧
مَنْعَة السواحِل العثْمانية ٦٨
زينب المتطوّعَة في موقعة ٧٠
مَضيق ملُونا ٧١
الحاج عبدُ الأزَل باشا ٧٤
هَزيمَةُ طرناو ٧٦
التّلاقِي عَلى سهْل فرسالا ٧٩
غصْب دوموقو ٨٢
أحْلامُ اليُونان ٨٣
عفو القادِر ٨٥
التماسُ القبول ٨٥
انتصار الأتراك في الحرب
والسياسة ٨٧
بعْدَ المنْفى ٩٦
ذِكْرَى المَوْلِد ١٠٢
مَشْروع ملنر ١٠٩
مَشْروع ٢٨ فبراير ١١٥
اللَّهُ والعِلْم ١١٩
ذكرى كارنارفون ١٢٤
أيّها العُمّال ١٣٢
نَـجَاة ١٣٤
إلى عَرَفات ١٤١
مصْرُ تجدّد مجدَها بنسائِها
المتجدّدات ١٤٧
خِلافَةُ الإسْلام ١٥٠
تَكْـريـم ١٥٥
عَلى سفح الأهْرام ١٦١
المطَريةُ تتَكَلّم ١٦٦
الإنْقِلاب العُثْمَانيّ وسقوط
السّلطان عبد الحميد ١٧٠
انتحارُ الطّلَبَة ١٧٥
عَبَثُ المَشِيب ١٧٩

أبو الهول ١٨٣
مَمْلَكَةُ النّحْل ١٩٤
فِي سَبيلِ الهِلالِ الأَحْمر ١٩٨
الأَزْهَـر ٢٠٠
وَدَاعُ فرُوق ٢٠٥
رَحّالةُ الشَّرْق ٢٠٧
بَـرَاءَة ٢١١
الصَّحَافة ٢١٣
عيدُ الفِداء ٢١٦
نَكْبةُ بيروت ٢١٧
تَكْلِيلُ أَنْقَرَة وعَزْلُ الآستَانَة ٢٢٠
عيدُ الدّهْر وليلةُ القدْر ٢٢٨
وَدَاعُ اللّورد كرُومر ٢٣٤
بَيْنَ الحِجَابِ والسّفور ٢٣٩
العِلْم والتّعليم وواجب
المعلّم ٢٤٣
بنك مِصر ٢٥٠
مرْحَباً بالهِلال ٢٥٢
يا شبابَ الدّيار ٢٥٦
نهْجُ البُرْدَة ٢٦٠
خاتمة رياض ٢٨٣
ضجيج الحجيج ٢٨٨
إستقْبال ٢٩٣
أرسطاطاليس وترجمانه ٢٩٧
شهيد الحق ٣٠٠
تَحيّة للتّرْك ٣٠٤
الأسطول العثمانيّ ٣٠٧
الأندلس الجديدة ٣١٣
ضيفُ أميرِ المؤْمنين ٣٢٦
ذكرى دنشواي ٣٣١
الهلال الأحمر ٣٣٢
رومـة ٣٣٦
على قَبْرِ نَابلْيُون ٣٤٢
تَكْريم ٣٥١
إعْتِداء ٣٥٦
تُوت عنْخ آمون ٣٦٠
تحيّة المؤتمر الجغرافيّ ٣٧٢
الصّليب الأحمر ٣٧٧
تحيّة للتّرك ٣٨٠
الدُّسْتورُ العُثْمانيّ ٣٨٩
الهِلالُ والصّليبُ الأحْمران ... ٣٩٦

الجُزْءُ الثَّانِي

باب الوصف

آية العَصْرِ في سَماء مِصْرَ ٤٠٣
شِيكسْبِير ٤٠٧
أَثَرُ الْبَالِ فِي الْبَال ٤١٢
مَرْقَص ٤١٧
تَحْلِيَةُ كِتَاب ٤٢١
صفة الكتاب ٤٢١
صفة التاريخ ٤٢٢
صفة الجبرتي ٤٢٣

صفة واقعة الأهرام ٤٢٦
الرَّبيعُ وَوَادِي النّيل ٤٢٩
مَسْجِدُ أَيَا صُوفْيَا ٤٣٤
غَابُ بُولُونْيَا ٤٣٦
الْمَرْأَةُ الْعُثْمَانِيَّةُ ٤٣٨
الْـهِـلالُ ٤٣٩
الشّروق والغُروبُ ٤٤٠
طُلُوعُ البَدْرِ ٤٤٢
بَلْدَةُ الْمُؤْتَمَرِ لِنَاظِرِهَا،
في بَهْجَةِ مَنَاظِرِهَا ٤٤٤
الطَّبيعَةُ ٤٥٠
الْبُسْفُور كأَنَّكَ تَرَاهُ ٤٥٦
الرّحْلَةُ إِلَى الأَنْدَلُسِ ٤٦١
كُوكْ صُو ٤٧٤
كلابُ الآسِتانَة ٤٧٧
أَنَسُ الْوُجُود ٤٧٨
الـنَّـفْـسُ ٤٨٤
مَيْدَانُ الْكُونْكُورد ٤٩٠
أَيُّـهَـا النّـيـلُ ٤٩١
نَكْبَةُ دِمَشْق ٥٠٧
رَمَضَانُ وَلَّى ٥١٣
مِـصْـرُ ٥١٧
الْبَحْرُ الأَبْيَضُ الْمُتَوَسّطُ ٥١٩
في مَعْرَضِ الأَزْهارِ بِبَارِيْس ... ٥٢٠
بَارِيسُ ٥٢١
لنا صاحبٌ ٥٢٥
وداع محجوبُ ٥٢٦
طُوكْيُو ٥٢٨
طَابَعُ الْبَرِيد ٥٣٢
الطَّيَّارُونَ الْفَرَنْسِيُّون ٥٣٣
وَصْفُ مَرْقَص ٥٣٧
تُوت عَنْخ آمُون وَحَضَارَةُ
عَصْرِه ٥٤١
دِمَشْق ٥٤٦
أُخْتُ أَمِينَة ٥٥٠
أَنْدَلُسِيَّة ٥٥١
وَصْفُ الْغَوَّاصَة ونكْبَة البَاخِرَة
لوْزيتَانِيَا ٥٦٠
جِسْرُ الْبُسْفُور ٥٦٢
إلى حسينٍ ٥٦٣

باب النسيب

خَدَعُوها ٥٦٧
رفقاً بجفنٍ ٥٦٨
سُوَيجِع النّيْل ٥٦٩
يَا وَيْحَ أَهْلِي ٥٧١
منك يا هاجرُ دائي ٥٧٢
لقد لامني لائمٌ ٥٧٣
عِتَاب ٥٧٤
جَعَلْتُ الحُبَّ دَأْبَا ٥٧٥
رَوّعوه ٥٧٦
ما تِلْكَ أَهْدابي ٥٧٨
لا والقوامِ ٥٧٩

لحظها ٥٨٠
ودُّ الغَواني ٥٨١
الوشاة ٥٨٢
بَثَثْتُ شكوايَ ٥٨٣
يمُدُّ الدُّجى في لوعتي ٥٨٤
هامَ الفؤادُ ٥٨٧
للعاشِقينَ رضَاك ٥٨٨
مَصَارعُ الأكبَاد ٥٨٩
قِف باللّواحِظ ٥٩٠
مُضْنَاك ٥٩١
نسماتُ النّيْل ٥٩٣
السُّمْر الخَوَاطِر ٥٩٦
في ذي الجُفون ٥٩٧
إنّ الهَوى قَدَر ٥٩٨
أتَغْلِبُني ذات الدَّلال؟ ٥٩٩
قلبٌ يذوبُ ٦٠١
الطَّيْفُ الزائرُ ٦٠٣
كِلانَا غَرِيب ٦٠٤
أَهْوَى الغَزَال ٦٠٦
رُدَّت الرُّوحُ ٦٠٧
وَصْفُ الهَوى ٦٠٨
علّموه ٦٠٩
جِئنَا بالشعورِ والأحداق ٦١٠
مضْنًى ٦١١
فَدَتك الجوانحُ ٦١٢
لامَ فيكم ٦١٣
بات المُعنّى ٦١٤
كيف أُلامُ؟ ٦١٥
يا لِلْهَوَى! ٦١٦
سلوا غزالاً ٦١٨
ذادَ الكرى ٦١٩
الغَزَال الرَّامي ٦٢٠
به سِحْرٌ ٦٢١
السّحْرُ المُبِيْنُ ٦٢٣
عصيّ العِنان ٦٢٥
يا حسنَه بين الحِسَان ٦٢٦
يا ناعماً رقدَتْ جفونُه ٦٢٧
صَحَا القَلْب ٦٢٨
صُونِي جَمَالك ٦٢٩
ظَبْيَةُ الْبَانِ ٦٣٠
رُوحِي فِدَاه ٦٣١
مقاديرُ ٦٣٢
شَمْسُ المَحَاسِن ٦٣٤
دُنْيَا القَلْبِ ٦٣٦

متفرّقات

مَصَايرُ الأيَّام ٦٤١
لُبْنَان ٦٤٥
الْمُؤْتَمَرُ ٦٤٨
النَّسْرُ الْمِصْرِيُّ ٦٥٤
تُوتْ عَنْخ آمُونَ وَالْبَرْلَمَان ٦٥٨
مَصْرَعُ اللُّورد كِتْشنر ٦٦٢
الْبَرْلَمَان ٦٦٩

قلْ للرّجال طَغَى الأسِيْر ٦٧٤
تَكْرِيمُ حَسَنين بك بمُنَاسَبَة
طَيَرَانه ٦٧٧
صَقْرُ قُرَيش عَبْدُ الرَّحْمٰن
الدَّاخِل ٦٧٩
زَحْلَة ٦٨٧
ذِكْرَى اسْتِقْلال سُوريا
وذكْرَى شُهَدَائها ٦٩٢
تمثَالُ نَهْضَة مِصْر ٦٩٧
الْحُرّيَّةُ الحَمْراء ٧٠٢
تكْرِيم علي بك إبراهِيم ٧٠٥
مرحباً بالرّبيع ٧٠٩